جامعة وهران 2

كلية العلوم الاجتماعية

قسم علم الاجتماع

أطروحة

لـــــــــنيـــل شهادة دكتوراه علوم

في علم اجتماع العـــائلة

واقع العنف ومظاهره ضمن العائلة في المجتمع الجزائري: دراسة ميدانية بمدينتي تلمسان ووهران

من إعداد الطالبة

قرطي فائزة

الأستاذ المشرف

شنافي فوزية

تشكيلة لجنة المناقشة.

الصفة	**الاسم واللقب**	**الرتبة**	**مؤسسة الانتماء**
الرئيس	بوشيخاوي اسمهان	أستاذة	جامعة وهران 2
المشرف	شنافي فوزية	أستاذة محاضرة أ	جامعة وهران 2
مناقش	مالك شليح توفيق	أستاذ محاضر أ	جامعة وهران 2
مناقش	سيكوك قويدر	أستاذ	المركز الجامعي البيض
مناقش	مزوار بلخضر	أستاذ	جامعة تلمسان
مناقش	بولقدام سميرة	أستاذة محاضرة أ	جامعة سعيدة
عضو مدعو مشرف سابق	سلاك بونوه	أستاذ	جامعة وهران 2

الموسم الـــجامعي

2021/2020

تشكرات

أشكر الله عزّ وجلّ الذي منحنا القوّة والإرادة لإتمام هذه الرسالة المعتبرة، ولكن لا يمكن التواني عن تقديم كل تشكراتنا الخالصة لكل من بادر في تقديم يد المساعدة من قريب أو من بعيد لإنجاز هذا العمل المتواضع؛ وعليه:

أشكر على وجه الخصوص الأستاذ سلاك بونوه على إشرافه لهذه الرسالة بأوفر صبر وبكل تواضع، ونشكره على توجيهاته المدعّمة في مسار دراستنا للموضوع؛ كما أتشكّر، جزيل الشّكر، الأستاذة شنافي فوزية على قبولها في مواصلة تأطير هذه الرسالة، وأقدّم لها تحياتي الخالصة على مجهودها وصبرها في مراجعة هذا العمل الأكاديمي والذي تمّ استكماله بما يقتضيه الاستحقاق العلمي فضلا بما قدّمته لنا من توجيهات ونصائح.

وكما لا أنسى أن أقدّم كل تشكراتي إلى جماعة المبحوثين نساءا ورجالا على وضعهم ثقتهم فينا وقبولهم بمنحي قسطا من وقتهم في الإجابة على جميع أسئلتنا الواردة في دليل المقابلة بكل صبر وطيب خاطر فمن خلالهم تمّكنا من التوصّل إلى أدق المعطيات والمعلومات بصفة ملموسة من الواقع.

وأخيرا أشكر وأحيّي كلّ من دعّمني وشجّعني حتّى ولو بكلمة صغيرة، لنجاح هذا العمل.

إهداء

أهدي هذه الرّسالة إلى أقرب الناس إليّ:

أبي العزيز، وأمّي الغالية التي ساعدتني بدعواتها لإنجاز هذا العمل المتواضع. أطلب من الله عزّ جلّ أن يطيل في عمرهما.

وإلى زوجي الذي ساندني ودعّمني طوال المسار الدراسي الجامعي لبلوغ هذه الدرّجة، أشكره جزيل الشكر، وأطلب من الله عزّ وجلّ أن يصون علاقتنا.

وإلى أبنائي الأعزاء، يحفظهما الله من شرّ هذه الدنيا وبلائها.

وإلى جميع أفراد عائلتي، وأخص بالذكر والد الزوج أكرمه الله وأطال عمره، ووالدته رحمها الله وأسكنها فسيح جنانه.

الفهرس

مـــــقـــدمـة عامّة 1

الفصل الأوّل: ضبط مفاهيم العنف ومظاهره، والنظريات المفسرة له

تمهيد 12

I. ضبط مفاهيم الدراسة.. 13

1. تعريف العنف 13
2. الفعل الاجتماعي والتفاعل الاجتماعي 15
3. العنف الأسري.. 15
4. مفهوم الأسرة ومفهوم العائلة 16
5. مفهوم العلاقة الزوجية والعلاقة الزواجية 18
6. الحياة الزواجية 19
7. التواصل الزوجي 19
8. العنف الزوجي 19
9. التفكك الأسري 20
10. العنف ضدّ الأبناء أو عنف الأصول ضدّ الفروع 21

II. مقاربات نظرية حول ظاهرة العنف 22

1. نظرية الصراع... 22
2. النظرية البنائية الوظيفية.. 25
3. النظرية التفاعلية الرمزية 26
4. مقاربة النوع الاجتماعي.. 26
5. نظرية الاكتساب الاجتماعي 28
6. المقابة السلوكية 30
7. المقاربة النفسية والتحليلية النفسية 31
8. المقاربة الطبية 32

III. مظاهر العنف الأسري.. 33

1. مظاهر العنف الزوجي 33

أ. العنف الجسدي.................................. 34
ب. العنف اللفظي 35
ت. العنف النفسي 35
ث. العنف الرمزي 36

2. مظاهر العنف ضدّ الأبناء 38

أ. القساوة المفرطة اتجاه الأبناء: تشمل الإهمال والعنف جسدي والنفسي.................................38
ب. الحماية المفرطة والتدليل المفرط 39

IV. آثار مظاهر العنف وآليات إنتاجها 39

1. العنف الفردي.. 41

خلاصة الفصل...43

الفصل الثاني: العنف في ظل التغيرات الاجتماعية والاقتصادية

تمهيد 45

I. التغيرات الاجتماعية العامة ودورها في تغيير مسار المرأة: 45

1. اكتساح المرأة للفضاء العام 45

1.1 . ظاهرة التمدرس: إبراز الوجود الاجتماعي للمرأة 45

2.1. خروج المرأة للميدان المهني 47

2. تطلعات اجتماعية لبناء دولة حديثة: بين التقيّد بالقيم الثابتة والتغيير 47

1.2.التفوّق النسوي وانعكاساته الاجتماعية: المرأة لا تزال قيد الثقافية التقليدية 47

2.2. الإجراءات القانونية والتشريعية لحماية المرأة من العنف: إثبات وجودها الذاتي............................49

II. التنشئة الأسرية للمرأة في مجتمع متغير بين التقليد والحداثة:.......................................53

1. دور الأب في تنشئة المرأة..53

2. دور الأم في إرساء مكانة المرأة وأدوارها التقليدية...56

1.2. النمط التربوي للأم: نمط تقليدي صارم في مجتمع متغيّر..................................56

2.2. العلاقة أم/ابنة علاقة معنَّفة بامتياز: امرأة رافضة للثقافة الأبوية..........................61

III. الحياة الزواجية في ظل التغيرات الاجتماعية..63

1. مرفولوجية الأسرة بين السكن التقليدي والحديث 63

2. المرأة بين التقليد والحداثة: بين الانصياع والمواجهة 65

1.2. المرأة عليها الانصياع لمعتقدات الجماعة: تحرم من إثبات الذات المستقلة 65

2.2. المراة مواجهة لسطوة التقاليد..67

3. الرؤية العصرية للمرأة في نمط العلاقة الزوجية: عمل المرأة بين التأييد والمعارضة...........72

1.3.رجل لا يتقبل فكرة عمل المرأة 72

2.3.رجل يُدعِّم إثبات الذاتية الفردية للمرأة: نجاح مهني أو دراسي خاضع لشروط 74

3.3. المرأة مُضبطة في مجتمع متغيّر بحكم مفهوم الرجولة 78

IV. بروز سلطة المرأة ببروز شخصيتها المستقلة..80

1. امرأة ترفض التراتبية الزواجية: تريد صدارة الهرمية بمختلف الطرق..........................80

1.1.المرأة تطمح في الإستحواذ على السلطة بعدوانية 80

2.1.المرأة تتوصّل إلى السلطة بممارسة عنف رمزي ضدّ الزوج 82

2. الرجل لا يتقبل تحدّي الزوجة في مجتمع يرفض سلطة المرأة 83

1.2. نمط العلاقة الزوجية المتوازنة في مجتمع مزدوج المعتقدات......... 86

3. الأدوار الاجتماعية التقليدية للزوجين: بين التثبيت والمقاومة 87

1.3. معاناة المرأة العصرية في تعدد أدوارها الاجتماعية: امرأة مُستلبة ماديا ومعنويا..................89

2.3. امرأة تطمح في بناء علاقة متكافئة المسؤوليات مع الزوج: تتوجه لتغيير نمط الأدوار التقليدية...93

3.3. معاناة الزوج في تأكيد دوره التقليدي: ظروف مادية تؤدّي إلى نشوب عنف زوجي 97

V. الهوية الجندرية في أزمة 104

1. علاقة زواجية تستدعي إعادة النظر في الهويات التقليدية.....................................105

1.1.الأنوثة في أزمة: امرأة رافضة معايير الرجولة التقليدية 106

2.1. رجل متأزّم لانحلال معايير الأنوثة التقليدية 108
خاتمة الفصل 116

الفصل الثالث: الزوجان والعلاقات الأسرية المعنَّفة

تمهيد 117
I. العنف والحياة الأسرية 118
1. نوعية العلاقات ضمن المجال الأسري مقارنة بالمجال العام..118
2. المرأة والحياة الزواجية: واقع الحياة المشتركة 121
1.2. علاقة الكنّة بالحماة: هي علاقة خضوع 123
2.2. مكانة المرأة في حياتها الزواجية 130
3.2. الرجل مجال مشترك بين امرأتين: احتكار الحماة للعلاقة الزوجية 138
4.2. الفروق الاجتماعية والمادية الأسرية تؤثّر على مكانة المرأة 145
5.2. دور المرأة في إثبات ذاتها كمواجهة للوضع: إمرأة خائبة الأمل في علاقتها بالجماعة الأسرية.. 150
II. واقع الأسرة النووية في علاقتها بالعائلة..163
1. حياة زوجية مضطربة: الزوج يتخلل علاقة صراع نسوية عن بُعد 165
1.1. الزوجة ترفض علاقتها الهرمية بأسرة الزوج 165
2.1. زوجات تنكرن علاقتهنّ بأسرة الزوج 167
3.1. الزوجة تُطالب بالزوج كمجال خاص بها 171
2. الزوج وظروف علاقته الزواجية: كما تُخدع الزوجة يخدع الزوج...175
1.2. التفاوت الاجتماعي الأسري: ظروف مادية ومعنوية قاهرة للزوج...................................... 177
2.2. حياة زواجية مضطربة للزوج: ظروف تمنع إنشاء الرابط الزوجي 182
3. مكانة الأسرة النووية في حياة الفرد: العلاقة الزوجية تنشأ بضغط من الزوجة..................................185
1.3. علاقة الزوجة بالابناء: علاقة صلدة أمام هشاشة العلاقة بالزوج/الأب 187
خلاصة الفصل..188

الفصل الرابع: العنف في غور العلاقة الزواجية وأثره على المحيط الأسري

تمهيد 190
I. نمط العلاقة بين الزوجين: علاقة معنَّفة بامتياز...191
1. علاقة زوجية ضعيفة بضعف التفاعل الزوجي 191
1.1. ضعف التفاعل الزوجي بضعف التقسيم الجنسي للمسؤوليات 192
2. العلاقة الزوجية واهية بضعف عملية التواصل 206
1.2. التواصل خاضع لميكانزمات الاتصال: غياب ثقافة الحوار والنقاش..................................... 208
2.2. ضعف التفاعل الوجداني نابع من ضعف التواصل والاتصال 214
3.2. المرأة والجسد: تشييّئ المرأة واختزال وجودها بيفاعتها.. 221
II. أثر العنف على المحيط الأسري 231
1. ظاهرة الطلاق في الجزائر...231
1.1. ظروف حياة المرأة بعد الطلاق.................. 232
2.1. علاقة الفرد بالأسرة الأصلية في حالة التفكك الأسري 236
2. علاقات البنوّة خاضعة للعنف الرمزي: أبناء تحت السيطرة 239

1.2. الأبوة رمزية أسرية: علاقات الأبوة منتزعة بسلطة المرأة... 240
2.2. ضعف النسب الأبوي بتأكيد النسب الأمومي 245
3.2.علاقة الأمومة والبنوة: علاقة معنَّفة بامتياز 249

3. أثر العنف الأسري على الأبناء 252

1.3. العنف الأسري ينتج أبناء عنيفي الطبع: طبع يؤثر على نمط العلاقة الزوجية المستقبلية 253
2.3. العنف الأسري ينتج أبناء متمرّدين ضدّ الوالدين 255
3.3. الانحرافات الاجتماعية نابعة من ظروف أسرية قاهرة 258

4. تأثير العنف الأسري على صحّة الفرد 261

1.4. الصحّة النفسية للفرد 262
2.4.الوهن الجسدي نتاج اجتماعي 265
3.4.الانتحار: مواقف اجتماعية تستدعي إلى التفكير في مغادرة الحياة 267

خلاصة الفصل...270

خــــــــاتمـة 271

المـلاحـق

الملحق الأوّل: الجداول التكرارية 276

الملحق الثاني: الجدول السوسيوغرافي 286

الملحق الثالث: دليل المقابلة...292

قائمة المراجع 297

« إن السعادة تسود المجتمع إذا سلك كل فرد سلوكا صحيحا كعضو في الأسرة»

كومفوشيوس

مـــــقــدمـة عامّة

إنّ العنف يُعتبر واقع اجتماعي متواجد عبر الزّمن منذ العصور الغابرة، حتى قبل أن تعهد المجتمعات تطورات من الناحية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية؛ وكانت الأسرة أوّل محيط اجتماعي شهد العنف وعانى مختلف مظاهره الجسدية والمعنوية؛ والنصوص الدينية ترصد لنا مواقف عديدة للعنف التي تجلّت في عهود مضت مسّت الوحدة العضوية للبنية الأسرية، من بينها ما نتج من خلافات بين الإخوة والتي أدّت إلى ممارسة العنف مثل ما وقع بين قبيل وهبيل، أو بين سيّدنا يوسف وإخوته الإحدى عشر؛ وتعتبر من أهمّ الحوادث التي تصوّر لنا العنف الأسري كانت بوادرها مرتبطة بموضوع الغيرة.

ودراستنا هذه تهتم بمعرفة بوادر العنف الأسري في الوقت الحالي، حيث نستنطق في الميدان واقع العائلة في المجتمع الجزائري فنتعرّف على مختلف مواقف التعنيف الأسرية والتوصّل إلى إبراز جذورها التي تتضمن عوامل وأسباب تؤدّي إلى ممارسة العنف بمختلف مظاهره وأشكاله، فعلى حسب الدكتور أحمد زايد "المعضلة الرئيسية في دراسة العنف الأسري ليست معرفة أنماطه بل التعرف على أسبابه،[1] ضمن كل علاقة من العلاقات الأسرية، والتي غالبا ما تندرج في تفسيرات الحس المشترك على أساس تكديس المعاناة عبر سيرورة حياة مليئة بالشدّة، والقسوة، وعلاقات التمييز، وسوء المعاملة، وغيرها من البراهين التي تبرّر بعض الأفعال العنيفة في علاقات التفاعل الاجتماعية الأسرية، وأساسا هي تبريرات تتطلب الفهم والتحليل تبعا لدراسة علمية نتقصى من خلالها مضمون الفعل المعنِّف الذي يوجهه الفرد في علاقته بالآخر على حسب المكانات والأدوار التي يحتلها ضمن البنية الأسرية المبنية على الهرمية، غالبا ما تكون فيها المرأة ضحية للعنف الأسري تبعا لما أثبتته معظم الدراسات السابقة حول العنف ضدّ المرأة.

قد أشار Samar Smati في مقال له يحمل عنوان: "امرأة من بين عشر نساء تتلقى العنف في علاقتها الزوجية" إلى وجود بحوث علمية تُثبت تفشي ظاهرة العنف ضدّ المرأة على المستوى الوطني، والتي تُوضّح لنا خطورة هذه الظاهرة في الجزائر؛ وأثبتت معظم الدراسات أنّ الزّوجة تتلقى مختلف أشكال العنف الجسدي، واللفظي، والنفسي، والجنسي في علاقتها الزواجية، مُهانة ومُذله، على غرار ما تتلقاه من تهديدات حول الطلاق، حيث تصبح حياتها على هذا الشكل مملة تبعث الضيق.[2]

وعلى حسب الأخصائية الاجتماعية والقيادية دليلة جربال، تشير أنّ الإحصائيات المحددة لعدد النساء المعنَّفات في الجزائر تبقى غير دقيقة، وهذا لأنّ النساء اللواتي يتعرضن للعنف لا يقمن بالإبلاغ؛ وحتى وإن قُمن بذلك فيجدن أن الذهنيات الجزائرية لا تساعد على إيداع شكوى؛ وعلى حسب رأيها أنّ هذا الأمر يجعل من الإحصاء عملية صعبة للغاية[3] للإلمام بمجمل العنف الوارد ضدّ المرأة في العائلة الجزائرية سواء الزوجي منه أو الأسري عامّة.

لكن، وإن كان العنف ضدّ المرأة من المسكوت عنه في المجتمع الجزائري، ورغم أنّه، غالبا لا يمكن أن نأخذ أرقام إحصائية دقيقة حوله، يبقى عنف بارز للعيان، وارد في أخبار الصحف والمجلات، وكَتب عنه باحثين من مختلف التخصصات، خلافا عن العنف ضدّ الرّجل الذي لا يزال في محل تساؤلات بما أنّ المجتمع العام لا يعترف بوجود هذا النمط من العنف، فمن الممكن أن يكون وارد في الأسرة الجزائرية ولكنه مُختفي كظاهرة اجتماعية حيث يصعب علينا إدراك مدى معاناة الرجل في المجال

---

[1]. أحمد زايد، قراءات في أدبيات العنف رؤية سوسيولوجية، الأبعاد الاجتماعية والجنائية للعنف في المجتمع المصري، المؤتم السنوي الرابع، المجلد الأول، مركز القوة للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، 2002. ص.67؛ نقلا عن: منال محمد عباس، العنف الأسري: رؤية سوسيولوجية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2011. ص.103

[2]. Samar Smati, Près d’une femme sur dix subit des violences dans son couple : Les chiffres effarants de la violence à leur égard, A la une/Actualité, 2018.

[3] . أنظر: سهيل مقدم، من اجل اسراتيجية فعالة في مواجهة العنف الاجتماعي، محلة العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة وهران، العدد الثامن، 2012. ص.386

الأسري؛ وعليه يتوجّب علينا أن نسلطّ عليه الضوء في البحوث العلمية فيحظى اهتمام وافر في مجال العنف الأسري بجانب المرأة، فلا يمكن أن نستبعد وجوده في مجتمعنا، ولا يمكن أن نتغاضى عن إمكانية القول أن الرجل قد يمارس ضده العنف الأسري، ومن الممكن أن يجد نفسه في علاقة مع زوجة معنِّفة؛ وعليه كانت مكانة الرجل ووضعه ضمن البنية الأسرية من الأهداف الفرعية التي نبحث فيها في دراستنا هذه، خاصّة بعدما أن أحرزت المرأة على مكانة اجتماعية مرموقة ساعدتها على إثبات فرديّتها ومكنتها من تحقيق حياة مستقرة ومستقلة بذاتها، فلا يمكن في الوقت الراهن أن نركز على جنس دون الآخر في دراسة موضوع العنف لإثبات مدى تفشّيه ضمن المجال العائلي، وكما "يرى بعض خبراء العلوم الاجتماعية أنّ البيت... قد أصبح من أكثر الأماكن خطرا. ومن الوجهة الإحصائية، فإن الفرد مهما كان عمره وجنسه، يكون أكثر عُرضة لمخاطر الإيذاء الجسدي في البيت منه في المواقع الأخرى خارج البيت،[1] وبالتالي كل فرد من أفراد الأسرة من الممكن أن يعاني ويقاسي ظروف عائلية لا يمكن تحملها وقد يكون عُرضة لمواقف تؤثر فيه لا يستطيع مقاومتها سواء امرأة أو رجل، راشد كان أم طفلا؛ وكل فرد إلاّ ويمكنه أن يكون ممارس للعنف ضدّ الآخر أو ضدّ الجماعة أين يُواجه ظروف أسرية تفوق إرادته الشخصية.

وعليه ارتأينا أن يكون العنف الزوجي كمدخل لهذه الدراسة، فنتعرّف على منبع العنف الوارد ضمن العلاقة الزوجية، ودرجة تلقّيه بالنسبة لكل طرف في علاقته بالقرين، وعلاقة كل منهما بأعضاء العائلة ككلّ سواء ضمن علاقات النسب أو ضمن الروابط الأسرية الأصلية مع الوالدين والإخوة والأخوات، فنقوم بدراسة الزوجان وما يحيط بهما من مواقف العنف مع أجزاء البنية العائلية، فلا يمكن أن نقتصر على العلاقة الثنائية ونتجاهل أعضاء الأسرة التي يتفاعل معها الزوجان، حيث يشير Lang أنّ الاقتصار على العلاقات الثنائية غير كاف ويقودنا إلى فهم خاطئ لحياة الأسرة، فيجب أن ننظر إلى الفرد في علاقته الثنائية وأيضا في علاقاته الثلاثية،[2] ويؤكّد René Girard ضمن نفس السياق أنّه، لا يوجد قصة منحصرة في علاقة بين إثنين،[3] ولهذا ارتأينا أن نغوص في غمار وغور العلاقات الأسرية فنكشف عن مختلف مظاهر العنف وأشكاله التي من الممكن أن تأخذ إلى العدائية والعدوانية، فتُؤثر على نمط العلاقات التفاعلية الأسرية بين الجنسين أو بين الجيلين يكون فيها الأطفال ضحية عنف أسري؛ بمعنى آخر توجّهاتنا في إطار موضوع دراسة العنف الأسري تتناول مواقف العنف التي يستقبلها كل فرد في علاقته الزوجية والأسرية، وإبراز جذورها التي تحول دون بناء علاقة زوجية موفّقة تستدعي الشعور بالاستقرار الأسري، والبحث عن الآليات الخفيّة التي تستدعي إلى نشوب العنف والذي يفسح المجال في وضعيات محتدمة الصراع ومعضلات يصعب حلّها، أين العنف يبلغ ذروته لا يمكن الحدّ منه بعد أن تختلط الموازين وتتشوّه المواقف فيضمحلّ المنبع المولّد للعنف في فترة يعجز أفراد الجماعة الأسرية على استيعاب العامل الأساسي الذي ولّد التوترات والخلافات الجماعية، ومن الفاعل الأساسي الذي كان له يد -بقصد أو بدون قصد- إلى تفعيل العنف، مع تحميل المسئوليات على عاتق أفراد ليس لهم أي صلة ليكونوا موضوع تثريب وتثبيط، وهنا يكمن هدف موضوع البحث، حيث ندقّق في التفاصيل التي ولّدت العداء والعدوانية، فنقوم بدراسة العنف كمتغيّر تابع قبل أن نتطرّق للبحث عمّا يخلّفه العنف من آثار سلبية في غور العلاقات الأسرية، هذا إذا لم يكن له آثار إيجابية مضمرة لا ترى بالعين المجرّدة.

وعليه في دراستنا هذه توجهنا لأن نتقصى الأوضاع السلبية التّي تُحدث اضطرابات بين الزوجان وتخلّ في توازن العلاقات الأسرية في المجتمع الجزائري حاليا، ونتعرّف على العوامل المثيرة لها والتي تجعل الفضاء الأسري مجال يعكّر صفو الحياة بدلا من أن يكون مجالا للاطمئنان والاستقرار النفسي للفرد. وعليه طرحنا الإشكالية التالية:

---

[1]. أنتوني غدنز، علم الاجتماع، تر: فايز الصباغ، مركز دراسات الوحدة العربية: بيروت، ط4، 2005. ص267.

[2]. (D.Lang and G.Cooper, reanson and violence, London, Tavistock, 1964, P.109.)؛ نقلا عن سامية مصطفى الخشاب، النظرية الاجتماعية ودراسة الأسرة، الدار الدولية، القاهرة، مصر، 2007.ص84.

[3]. Serge Chaumier, Les Pièges de l'exclusivité, Passant Ordinaire, n°30, 2000.

ما هي العوامل التي تثير ممارسة العنف بأشكاله المتعددة بين الزوجين، وفي غور العلاقات التفاعلية العـائلية عامة؟

ومن الفرضيات المقترحة كإجابة مؤقتة على الإشكالية والتي اختبرنا صحّتها في الميدان بعد جمع المعطيات وتحليلها؛ هي كالآتي:

الفرضية الأولى: التمسك بالمعتقدات الثقافية التقليدية كثيرا ما تؤدي إلى ممارسة العنف داخل العائلة.

الفرضية الثانية: بروز الشخصية المستقلة للمرأة سبب من الأسباب المثيرة للعنف.

الفرضة الثالثة: ظروف سوسيواقتصادية تؤثر في علاقات التفاعل العائلية، فيكون البعد المادي من العوامل المثيرة للصراع بين أعضاء العائلة.

الفرضية الرابعة: دوافع فردية، تولّد العدوان في نفسية الفرد ضمن علاقاته التفاعلية مع أعضاء العائلة.

وقد اعتمدنا في دراستنا هذه على المقاربة الكيفية، حيث أنّ "الطريقة الكيفية تقودنا لاكتشاف عناصر جديدة... وفي هذا المجال –لموضوع العنف- الدراسات الكيفية نوعا ما قليلة رغم أهمّيتها، فهي تبحث على إبراز العلاقات السببية بأي شكل من الأشكال، بدراسة المراحل"[1] المسترسلة التي أدّت إلى تجلّي ظاهرة العنف، والتركيز على فهم الأسباب التي تؤدّي إلى الممارسات العنيفة، حيث لا نتوقّف على البحث عن العوامل والأسباب المولّدة للعنف بصفة جامدة، وإنّما، على حسب Schar Moser "لابدّ أن نتوخّى حذرنا لكي لا نخلط بين العوامل المؤدية للعنف، والتفسيرات المسبّبة له؛[2] وكما وضّح Kuenzli-Monard في دراسة له حول موضوع العنف أنّ البحث عن الأسباب التي تستدعي ممارسة العنف غير كاف، فيدعونا إلى البحث عن الأسباب وفهمها، معبّرا بذلك أنّه: "إذا حاولنا فهم أسباب المشكل، فقد وجدنا نصف الحل لهذا المشكل"؛[3] وللتوصل إلى هذا الهدف في دراسة موضوع العنف الأسري يتوجّب علينا اتباع خطوات منهجية تستدعي بلوغ نتيجة علمية مستوحاة من معطيات ميدانية ملموسة أين نقوم بالتحقّق من الفرضيات.

ولكن نشير أنّه، قبل الدراسة الميدانية التحقيقية لاختبار صحّة الفرضيات أو تفنيذها، قمنا بالأخذ والرد بين دراسة استطلاعية بيبلوغرافية وميدانية.

فأمّا القراءات الاستطلاعية كانت تتوجّه قبل كل شيئ إلى التنقيب البيبلوغرافي للالمام بالدراسات السابقة حول موضوع العنف الأسري –والتي سنعرضها لاحقا ضمن السياق المنهجي للدراسة- أين وجدنا ثراء في المراجع المتعلقة بالعنف من الناحية الاجتماعية والسيكولوجية، فاستلهمنا بذلك نمط الحالة النفسية للفرد المقهور الذي عانى العنف بمختلف مظاهره في علاقاته العائلية؛ وعليه تقرّبنا من الظاهرة ودقّقنا في المحتوى المجرّد لها من حيث النظريات والمفاهيم المرتبطة بها بصفة عامّة أين قمنا بعملية البناء الفكري للموضوع حيث توغّلنا نحو الكشف عن عمق الظاهرة بعد بحث بيبليوغرافي عميق.

ومنه ساعدتنا هذه القراءات على بناء دليل المقابلة وتحديد الأسئلة المرتبطة، بصفة قوية، بمضمون العنف ضمن النسق الأسري؛ كما وجّهتنا بعض القراءات في كيفية طرح الموضوع على المبحوثين

[1]. Revue critique de littérature, L'impact de la violence conjugale sur les enfants, Florence Ovaere Sofia Sardo-Infirri Abdia Touahria-Gaillard Jean-Maxime Lévy, Avec la participation de Laure Chaveron et Cândida Ferreira- Leconte, Réf. : 2007aor1, Octobre 2007. P25

[2]. voir: Schar Moser Marianne, La violence dans les relations de couples : les causes et les meurs prise en suisse, B.F.E.G. 2008. P.18

[3]. Fabienne Kuenzli-Monard, « Déconstruction des idées reçues sur la violence : une alternative à la violence, Thérapie Familiale, Vol. 22, No 4, Genève, 2001. P.P. 398-399.

وكيفية التعامل مع المبحوث ضحية العنف، وخاصّة كيفية توجيه الأسئلة باعتباره موضوع حسّاس ومُؤثّر.[1]

وعليه كانت الدراسة الاستطلاعية الميدانية مجال قمنا فيه باختبار أسئلة دليل المقابلة إذا كانت مؤهّلة للدراسة، تدفع بالمبحوث إلى البوح والإدلاء عن المواقف التي تعرّض فيها للعنف؛ وبذلك تعرّفنا على مجتمع البحث بالاستعانة بتقنية الملاحظة الغير مباشرة أين اكتشفنا المبحوثين الراغبين بالتصريح عن حياتهم الخاصّة والذين عانوا ظروف قاسية في المجال العائلي؛ وكان مقرّ مجلس القضاء بحي "ستي جمال" وحي "مرافال" بمدينة وهران من بين الأماكن –وأفضلها- التي قمنا فيها باختيار البعض من مبحوثينا لاستجوابهم بعدما ربحنا ثقتهم فحدّدنا موعد للقائهم؛ على غرار بعض الأحداث التي قمنا بتتبّعها، الخاصة لبعض المبحوثات المقرّبات بصفة غير مباشرة حيث استقصينا الحقائق وواقع الظاهرة، فقمنا بطرح أسئلة فضولية تخصّ موضوع البحث، وحاولنا معرفة طبيعة العلاقة بين الزوجين، فاغتنمنا الفرصة في حالات عديدة طلب جلسة لمقابلة مغلقة.

ونشير أنّه قد تم تحديد مجتمع البحث جغرافيا بمدينة تلمسان وبمدينة وهران، مع الأخذ بعين الاعتبار الأصل الأسري للمبحوثين ومكانة إقامتهم بحكم أنّ مدينة وهران يقطنها أصول جزائرية مختلفة الانتماء الإثني والعرقي، فتحصلنا على مجتمع بحث أصلهم من مختلف المدن الجزائرية وضواحيها، وعلى جميع المستويات الاجتماعية؛ وعليه كان مجتمع البحث المختار صدفي مقصود؛ فكان صدفي بهدف التعرّف على واقع العنف بصفة واسعة ومجملة، تمسّ جميع المستويات السوسيواجتماعية، حيث لم نقتصر فقط على المبحوثين المتعرضين للعنف بصفة مقصودة بل كذلك توجهنا إلى أشخاص نجهل واقع حياتهم الخاصة بهدف التوصّل إلى معرفة مدى تواجد العنف، والعوامل المنتجة له ضمن العائلة الجزائرية؛ وحاولنا الغوص في أعماق الظاهرة، فقرّبنا المجهر الميكروسوسيولوجي بالتركيز في مجتمع البحث على الفئة المتزوّجة، والأفراد الذين كانت لهم تجربة الحياة الزواجية، المطلّقين منهم والأرامل، وذلك لنكوّن معرفة عميقة حول الظروف القاسية التي عانى منها الفرد من الطفولة إلى مرحلة ما بعد الزواج، بهدف التمسّك بزمام الموضوع حيث نكتشف كينونة وجود العنف، فكان المدخل إلى البنية الأسرية سيكوسوسيولوجي حيث حاولنا الغوص في عمق المحيط العلائقي للفرد، فتوغّلنا في غمار وغور العلاقات الأسرية والعائلية للتوصّل إلى الواقع الاجتماعي الأسري؛ ونشير أنّ عملية التنقيب في الواقع الملموس دام لفترة سنة تقريبا في 2017.

ونوضّح أكثر أنّنا اعتمدنا في دراستنا الميدانية على المقابلة النصف موجّهة كأداة لجمع المعطيات، تتضمن بعض من الأسئلة المحفّزة وهي أسئلة غير مباشرة تثير الرغبة في سرد المواقف التي عانى منها الفرد في علاقته بأعضاء العائلة بحيث "العنف يعتبر دائما ظاهرة طوباوية، حيث أنّه من الصعوبة على الفرد الكشف عن العنف سواء كان ضحيّة أو ممارس له،[2] فاستخدمنا لنفس الغرض، البعض من الكلمات المُعبر عليها، تركناها مفتوحة على حسب إدراك ووعي كل فرد أو مبحوث بها، تكون مُستخلصة من تجربته الخاصة في علاقته بأفراد العائلة عامة؛ وعليه، "طرح الأسئلة الغير مباشرة وضّحت لنا نمط العلاقات الأسرية ومواقف سوء المعاملة، فتعرّفنا على العلامات الموحية لوجود العنف ضمن المجال الخاص، وبالتالي فسحت لنا المجال للمرور إلى الأسئلة المباشرة للموضوع؛[3] فنموّه أنّ دليل المقابلة كان يحمل ثقل من الناحية الاستفسارية والاستفهامية، ساعدتنا على جمع المعطيات والبيانات بصفة ملموسة حيث تعرّفنا بذلك على واقع العنف ضمن العائلة في المجتمع الجزائري.

وأثرنا غنًى لدليل المقابلة باستنطاق مواقف العنف في جميع أطوار تنشئة الفرد بأسئلة دقيقة ومُمَحورة، كل محور يخصّ مرحلة معينة من تنشئته، بداية من مرحلة الطفولة في علاقته بأعضاء الأسرة الأصلية

---

[1]. Voir :Evelyne Josse, Les violences conjugales : Quelques repères, Algérie, Alger, Octobre 2007.
[2]. Gilles RONDEAU, La violence familiale, Université de Montréal, 1994. P8
[3]. voir :Evelyne Josse, Les violences conjugales :Quelques repères, Algérie, Alger, Octobre 2007.

مرورا بمرحلة الخطبة والزواج إلى ما بعد ذلك من ظروف ووقائع قد أثارت العنف في علاقاته العائلية، فـ"إنّ دراسة المواقف السابقة للفرد تسمح لنا باستدلال الأسباب للصعوبات الحالية،[1] وكما تشير Giles-Sims أنّ سرد الحياة تسمح لنا بإعادة تشكيل الأحداث، ومعرفة المواقف المتكررة بين الجيلين أو المؤثّرة من جيل إلى جيل؛ ويؤكّد May Clarkson أنّ هذه التقنية هي فقط وسيلة من بين الوسائل المعتمد عليها في دراسة ظاهرة ما، ولكن مما لا شكّ فيه أنّها الأفضل لفهم مضمون الفعل الفردي، فمن خلال سرد الحياة يمكن أن نلاحظ ونتوّصل إلى أنماط الأفعال، وتسلسلها، وتناقضها فيما بينها، وحركيّتها، وهذا ما لا يمكن لتقنيات أخرى أن تتوصّل لها؛[2] كما يذهب Evelyne Josse إلى أهميّة التركيز على "التطورات التي ساهمت في ممارسة العنف والمحاولات التي فكر فيها لقطع أي علاقة أسرية أو تغيير نمط الحياة"[3] حيث نتوصّل مُجملا إلى ضبط كل المواقف التي من الممكن أن تقود إلى علاقات أسرية عنيفة؛ كما استعنّا بتقنية الملاحظة الغير مباشرة طوال فترة المقابلة التي كانت تدوم من ساعتين إلى ثلاث ساعات، باتباع ملامح الوجه وإيماءاته وكل ما يصدر من المبحوث من إشارات (تلويح باليد، صمت، بكاء... إلخ) والتي تدلّ على ثبوت المواقف المعنَّفة، ودرجة تأثيرها على الفرد.

وقد توصلنا إجمالا في دراستنا إلى مقابلة 45 مبحوث بهدف حصر جميع العوامل التي تؤدي إلى ممارسة العنف في حالات مختلفة، ومعرفة مدى تجلّي الظاهرة في المجتمع ومدى تكرارها؛ ومن الصعوبات الميدانية التي واجهناها –في هذه المرحلة من الدراسة- وحاولنا تجاوزها وتخطّيها تتمثل في، حساسية موضوع البحث المؤثّر بشدّة، إذ تعسّر علينا جلب ثقة البعض من المبحوثين للتصريح عمّا يختلجهم من مشاعر الغضب، الغيظ، والقهر، وسرد حياتهم بصفة مريحة؛ ومن جهة أخرى كانت تقنية التسجيل صعبة المنال، فقد استعنّا بها مع البعض، وبعضهم لم يقبل فارضين الكتابة فقط، خاصّة من المبحوثين الذين تعرّفنا بهم في دار القضاء والمحكمة بمدينة وهران.

ومن أبرز الصعوبات التي إلتقينا بها مرتبطة بما يحمله المجتمع من منمطات تقليدية في العلاقة بين الرجال والنساء، حيث اكتشفنا أن جنس المبحوث مهم في البحث العلمي مع فئة خاصة من المبحوثين، إذ أنّ الدخول إلى المجتمع الرجولي والتحدّث مع الرجال كوني باحثة –أنثى- من الأمور العويصة؛ لم يتيح لنا الفرصة الكافية للتماس الظاهرة بصفة عميقة مع هذه الفئة الاجتماعية مما يعيق نوعا ما التوصّل إلى الهدف المراد أن نصبوا إليه في الدراسة، ولا يستهان على نمط المجتمع الذي لا يزال محافظ، وانتماء الباحث إلى نفس الثقافة الاجتماعية المحافظة وما يملكه من معتقدات ثقافية تقليدية تعيق التعمّق في البحث، ولكن حاولنا أن نتميّز ببعض المرونة النسبية للقيام بالبحث –استعانة لبعض التوصيات الأدبية التي تحثّ الباحث على التحلي بالمرونة العالية في المجتمعات الفاصلة بين الجنسين بطريقة صارمة[4]- وعليه حاولنا تجاوز هذه المعضلة في ميدان البحث والإلمام بالمعطيات ضمن مجتمع البحث الرجولي المتوفّر بين أيدينا للدراسة والذي لا يضاهي المجتمع النسوي، وكان يمثّل 29% من مجموع المبحوثين، فـ"يبقى جنس الباحث، وخاصة الباحثة، يضع حدودا لا يستهان بها تُنقص من أهداف الباحث وآفاق بحثه"؛[5] وأهمّ ما في الموضوع نريد الإشارة له أننا حاولنا الدخول في غور العلاقة الزوجية والتقاط معلومات

---

[1]. Revue critique de littérature, L’impact de la violence conjugale sur les enfants, Florence Ovaere Sofia Sardo-Infirri Abdia Touahria-Gaillard Jean-Maxime Lévy, Avec la participation de Laure Chaveron et Cândida Ferreira- Leconte, Réf. : 2007aor1, Octobre 2007. P25

[2]. May Clarkson, La Violence Familiale : une approche systémique, Service des études et analyses, Québec, Novembre 1994. P.140

[3]. Evelyne Josse, Les violences conjugales : Quelques repères, Algérie, Alger, Octobre 2007. P.37

[4]. أنظر: كميليا فوزي الصلح وأخريات، في وطني أبحث، المرأة العربية في ميدان البحوث الاجتماعية، إشراف و ترجمة أسعد سليم،، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، 1993، ص.66؛ نقلا عن: شارب مطاير دليلة، رسالة دكتوراه العلوم، تخصص علم الاجتماع، الفضاء المنزلي والعمل: الأساتذة الجامعيون والعلاقات الجنوسية، السنة الجامعية 2010/2009. ص.19.

[5]. شارب مطاير دليلة، نفس المرجع، ص.11

دقيقة رغم حساسيتها فيما يخصّ "العلاقات الجنسية المبلورة بقيم وبصفة طوباوية مضاعفة، فهو مجال خاص ومن الصعوبة التدخل في هذه الخصوصية الزوجية[1] عند كلا الجنسين.

وقد اعتمدنا في تحليلنا للمعطيات المتوصّل لها في دراسة ظاهرة العنف الأسري، على بعض المقاربات التي نشير إليها بصفة موجزة – حيث نستعرضها بالتفصيل في الفصل الأول- ومن بينها:

المقاربة البنائية الوظيفية، وهي مقاربة أساسيّة في دراسة النسق الاجتماعي والأجزاء المكوّنة له، والمرتبطة فيما بينها بصفة متكاملة، كل جزء منه يحتل أوضاع ومكانات مرتبطة بالأدوار المنوطة له للحفاظ على هذا الكل المشترك من حيث استوفاء وظائفه، فإذا برز خلل أو أيّ عجز وظيفي في أي جزئ من هذه الأجزاء قد يحدث اضطرابات في النسق الاجتماعي ككل؛ ومنه للتوصل إلى التحليل الكلّي للنسق لابدّ من دراسة أجزائه وعلاقات التفاعل بينها وظيفيا، أين كان الفرد موضع اهتماماتنا ضمن البناء الأسري يكشف لنا عن نمط الروابط الأسرية في علاقته بأعضاء العائلة ككلّ والمواقف التي تخلّ بتوازن البناء الأسري، ونمط القيام بوظائف تضمن استقرار النسق وتوفير متطلبات أعضاء العائلة بصفة سيستيمية؛ وإنّ عدة محلّلين اجتماعيين، على سبيل الذكر Steimetz وStrauss 1974؛ وGiles-Sims 1983، اعتمدوا على المقاربة السيستيمية في دراسة موضوع العنف ضمن المجال الأسري مركزين أكثر على الفرد في علاقات التفاعل. وقد ركّزت Giles-Sims على المقاربة السيستيمية في دراسة العنف وأساسا على سياق العمليات التفاعلية في البناء الأسري بطرح السؤال التفسيري "كيف؟" (le comment) والأسباب المرتبطة بها بطرح السؤال الاستفساري "لمــاذا؟" (le pourquoi)[2]

وإلى جانب الاتجاه البنائي الوظيفي والمقاربة السيستيمية لدراسة موضوع البحث كان من المجدي بنا الاعتماد على الاتجاه التفاعلي الرمزي وما يتضمنه من علاقات صراع والتبادل، يساعدنا في تحليل علاقة التفاعل والتواصل بين الأجزاء المكونة للبنية الأسرية؛ ويرتكز الاتجاه التفاعلي الرمزي على فهم السلوك الإنساني ضمن قالب ثقافي نشأ فيه الفرد، يحمل رموز ومعاني ودلالات اكتسبها من محيطه ضمن علاقاته التفاعلية مع أعضاء العائلة حيث "لا يكون سلوك الفرد مجرد استجابة للآخرين، بل هو استجابة ذاتية أي استجابة لنتائج الرموز الداخلية"[3] والتي لها علاقة وثيقة بالأدوار وتوقعات الدور لمختلف المكانات والأوضاع التي يحتلها الفرد ضمن البناء الثقافي الأسري وما يحتويها من نزاعات وتوترات؛ إذ استندنا بالمقابل على نظرية الصراع وما تحمله من مفاهيم السلطة والقوة؛ ونظرية التبادل باعتبارها عملية تبحث عن التوافق والتلاؤم بين فردين أو جماعتين لهم قيم مشتركة ومعاني مشتركة، "والناس وفقا لهذه النظرية ينبغي أن يأخذوا من الآخرين ما يمكنهم الحصول عليه في إطار علاقة معينة، ومَنح هؤلاء الآخرين ما يطلبونه؛ كما أنّهم قادرون على مكافئة وعقاب بعضهم البعضن.. في مواقف اجتماعية تبادلية"[4] بين الجيلين، وبين الجنسين، وهذه الأخيرة تُقرّبنا من نظرية النوع الاجتماعي، ودراسة العلاقة الزوجية في تصوّرها الجنوسي وما تحمله من تمثلات اجتماعية تحدّد معنى الذكورة والأنوثة، وما تكتسيه من أدوار متباينة ومتمايزة ضمن البناء العائلي العام.

لقد كانت نظرية النوع الاجتماعي أهم النظريات المعتمد عليها في مختلف الدراسات التي تهتم بموضوع العنف الأسري وخاصة الصادر بين الزوجين؛ ولهذا ارتأينا استعراض أهم الدراسات السابقة التي أجريت حول العنف ضمن المجال الخاص، فنتطرّق لأهمّ الجوانب التي حضت أكثر باهتمام مختلف الباحثين والمفكّرين الجزائريين والعرب عامّة، ومختلف المناهج المتبعة في دراستهم للموضوع.

إنّ العنف الأسري كان ولا يزال من المواضيع المثيرة للاهتمام في الدراسات والبحوث العلمية، ولكن أغلبيتها تركّز على موضوع النساء المعنَّفات والعلاقة بين الزوجين أين تكون المراة ضحية عنف

[1] . Evelyne Josse, O.p. Cité, P.27
[2]. May Clarkson, O.p. Cité, P.p.8-9
[3] . سناء حسنين الخولي، الأسرة والحياة العائلية، دار الميسرة، عمان، ط، 2011.ص.ص.119-120
[4] . محمد عودة، أسس علم الاجتماع، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د.ت. ص.99.

زوجي؛ كما أنّ الدراسات السابقة صبّت اهتمامها حول وضع الطفل ضمن الحياة الأسرية المليئة بالصخب والمعاناة؛ ولكن من المواضيع القليقة والنادرة جدّا لكي لا نقول المنعدمة، المتعلّقة بالدراسات الخاصّة حول الزوج المعنِّف؛ ومنها:

المرجع الموسوم بـ" Violence : Passage à l'acte et situations de rupture" تحت إشراف **يحياوي عبد السلام**؛ وهو مرجع يلمّ مختلف الكتابات من متخصّصين في علم النفس، وعلم النفس الاجتماعي والإكلينيكي، تهدف إلى معرف مختلف الدوافع التي تجرّ الفاعل للاندفاع نحو ممارسة العنف، حيث كانت الدراسات تركّز عن العوامل السيكولوجية والسيكواجتماعية التي تؤدّي إلى نشوب العنف ضمن المجال الأسري، باستعمال تقنيات دراسة حالات مختلف، فعلى الأرجح كانت لا تتعدى ثلاث حالات لكل متخصّص، من بينهم Pierre Kammerer، مركّزين على فئة المراهقين ووضعهم في علاقتهم بأعضاء الأسرة؛ وقد توجّه يحياوي عبد السلام، ورفقائه في نفس المرجع، في توضيح من؟ وكيف؟ ولماذا؟ يتوجّه الفاعل الاجتماعي في مختلف المواقف الاجتماعية الأسرية في ممارسة العنف، أين النظام الاجتماعي يخلق توترات نفسية تقود المراهق إلى التمرّد والعصيان، حيث يعبّر عمّا يختلجه من غيض وحنق خاصّة اتجاه الأولياء[1]

وقد أفادنا المرجع الخاص بالباحث السوسيولوجي **سليمان مظهار** في دراسته الخاصة حول العنف في المجتمع الجزائري، والذي اعتمد فيها على تقنية الملاحظة الغير مباشرة، مُستعملا أداة المقابلة في جمع المعطيات، حيث كان الفرد هو من بين اهتماماته للتوجه إلى الكشف على نمط العنف الوارد ضمن علاقات التفاعل الاجتماعية؛ فكانت دراسته تهدف إلى إبراز العنف الذي لا ينظر إليه بالعين المجرّدة ولا يمكن استيعابه في غور وغمار العلاقات إلاّ من خلال تفكيك وإعادة بناء الرمزيات الاجتماعية والتي تطفوا وتتخلل الأجزاء المكونة للبنية الأسرية سواء المهنية منها والأسرية من- حيث المكانات والأدوار والتوقعات؛ وكان الفصل الأسري هو مركز اهتمامنا والذي له علاقة بموضوع دراستنا، أين اكتشفنا أثر العنف الرمزي على علاقات التفاعل بين الزوجين والعلاقات الأسرية، حيث استلهمنا من مضمون العنف عند الكاتب بحكم الرمزيات الاجتماعية الأسرية أنه موجود ويتواجد في المجتمع في كل لحظة وفي كل حياتنا اليومية، لا يعي به إلاّ الفرد المتميّز بالفطنة في علاقته بالآخر، يشعر أنه فرد مخدوع مسيّر من طرف الجماعة.[2]

وقد توجّه **علي حساني** في مداخلة له يغلب عليها طابع نظري أنثروبولوجي، إلى الإحاطة في التركيز على العنف الاجتماعي ضمن المجتمع الجزائري عامّة، موضّحا مختلف مظاهره التي تتجلّى على مختلف المجالات الاجتماعية مستعينا بالاتجاه البنائي الوظيفي، والاتجاه التفاعلي الرمزي، مركّزا على الأبعاد السوسيوثقافية والسوسيواقتصادية لشرح كيفية تجلي العنف ضمن البناء الاجتماعي العام في مجتمع لا يزال يحتفظ برواسب ثقافية تقليدية، ويحدّد علاقة الفرد ضمن النظام الاجتماعي أين يكون تحت سلطة تعسّفية في علاقة هرمية ضمن المؤسسات الاجتماعية (أسرة- مدرسة- ميدان العمل..) أين "الحقرة" لها مفعول خاص ضمن العلاقات التفاعلية الاجتماعية في المجتمع الجزائري، موضحا أنه التعبير العاميّ والمتداول بين أفراد المجتمع.[3]

وكان للباحثة **JOSSE Evelyne** اهتمام خاص في دراسة العنف الزوجي في الأسرة العربية وخاصّة الجزائرية منها، واتجهت إلى إبراز مختلف مظاهر العنف النفسية والجسدية والجنسية التي تستقبلها المرأة في حياتها الزوجية والأسرية عامّة، موضّحة مختلف السياقات الاجتماعية التي تتجلى فيها العنف في مختلف الدول العربية والغربية، مُهتمة بالمجتمع الجزائري على وجه الخصوص، أين

[1]. Yahyaoui Abdessalem et coll., VIOLENCE : Passage à l'acte et situations de rupture, Ed : la pensée sauvage, Grenoble, 2000.

[2]. MEDHAR Slimane, La violence sociale en Algérie, Thala éditions, Alger,1997

[3]. HASSANI Ali, Typologie des violences sociales en Algérie , Conférence donnée au Centre de Documentation économique et sociale Sophia, à Oran en mars 2017.

المرأة تكون تحت علاقة تراتبية بالزوج ورجال العائلة عامّة، والتي تؤثّر عليها نفسيا وجسديا، وكلها تخفي وراءها أسباب اقتصادية وثقافية والمرتبطة بهيمنة الزوّج على الزوجة وتفوّق الرجل على المرأة؛ وقد استعانت الباحثة في دراسة الموضوع بالمنهج الكمي الإحصائي لإثبات مختلف مظاهر العنف التي تستقبلها النساء المعنَّفات في علاقتهنّ بأزواجهنّ، حيث تصرّح أنّ: العنف الجنسي تجلّى بنسبة 15,3% في كندا؛ 25% في زمبابوي (Zimbabwe)؛ 34,4% في مصر (Égypte)؛ أما العنف في المجتمع الجزائري تشير إليه الباحث في مختلف المظاهر، مصرّحة أنّ المجال الأسري هو من أكثر المجالات الذي تتعرض فيه المرأة للعنف بنسبة % 64,9؛ و50% من ضحايا العنف هم نساء متزوجات، و50% الأخرى من النساء صرحن أنهن تعرضن للعنف من طرف الزوج أو من الزوج السابق، والنساء العاملات هن من الأكثر الفئات اللواتي تتعرضن للعنف؛ وتشير خلافا عن علاقة المرأة بالزوج، أنّ النساء الغير متزوّجات تتعرض في حياتهم الأسرية إلى العنف مع الإخوة بنسبة 36%، و67,3%, كان عنف وارد ضدّ المرأة من طرف الزوج.[1]

واتجه **سهيل مقدم** في دراسة أشكال العنف الاجتماعي: المدرسي والأسري، ويعبّر عن معاناة المرأة المعنَّفة في علاقتها الزواجية، من خلال دراسات إحصائية سابقة تثبت بوجود عنف ضدّ المرأة في المجتمع الجزائري في مختلف القطاعات الأسرية والعمومية، والمهنية، حيث يشير من خلال ما جاءت به "جعفري": 50% من النساء المعنفات متزوجات، و36,1% عازبات، و7,4% مطلقات، 6,6% أرامل. وتبلغ نسبة العنف ضد المراة في المنزل 94.9%، مقابل 26,4% في الأماكن العمومية، و4,5% في أماكن العمل. وعموما يوجد 20000 امرأة تودع شكاوي في المحاكم القضائية؛ ويعبّر بلسان "خياطي "أن 811 حالة موثقة لا تعكس حقيقة وضعية المرأة الجزائرية التي تتعرض إلى كل أشكال العنف حيث هناك صعوبة في تحديد إحصائيات دقيقة لأن أغلب الحالات لم تصل إلى الشرطة والقضاء فقليلا ما نجد بعض النساء يلجأن إلى هذه المراكز والكثير منهن يفضلن عدم البوح بذلك خشية من الطرد أو الطلاق وتبقى الكثير من الأمور خفيّة.[2]

وفي نفس المضمون كانت الدراسة الخاصة للباحثة **بوزيد صليحة** تركّز على معاناة المرأة الجزائرية وعلى الأرجح في مدينة القبائل، ضمن الأسرة، مستشهدة ببعض تصريحات المبحوثات، فهي دراسة كيفية لمجتمع البحث قصدي، موجّه للمرأة المتزوجة المعنَّفة، تهدف إلى إبراز مختلف العوامل التي تسمح بتجلي العنف، والتي صنّفتها باختلاف مظاهره، على أساس: عوامل فردية، عوامل بنائية.. إلخ؛ موضّحة مختلف المفاهيم المرتبطة بموضوع العنف؛ واعتبرت أنّ المجال الأسري لم يعد مكان بالنسبة للمرأة المتزوجة مكان للأمان والاستقرار الاجتماعي والنفسي.[3]

وكانت إشكالية الدراسة عند الباحثة **كبداني خديجة** تتمثل في التنقيب عن العوامل التي تؤدّي إلى فعل الانتحار، وتشير أن الدراسة أنجزت على مستوى مركز البحث في الأنثروبولوجيا الإجتاعية والثقافية سنة 2005؛ والفئة المختارة للدراسة مأخوذة من الشباب الجزائري وبالضبط من مدينة وهران وتمثل 22 شاب، 13 منهم ذكور و9 إناث؛ وتعتمد في نطاق هذه الدراسة على المنهج التحليلي الوصفي، مستعرضة النتائج في جداول تكرارية توضح للقارئ النقاط الدقيقة التي تمثّل تداعيات اللجوء إلى التفكير في الانتحار؛ وتوضّح الكاتبة أنّ الانتحار ضمن الأسرة الجزائرية أو بالأحرى محاولات الانتحار في مجتمعنا، أخذت بعدا آخر، لا تهدف إلى وضع نهاية للحياة لكن وضع نهاية لوضعية قاهرة تدخل صاحبها في دائرة اليأس والقنوط، هذه الوضعية التي لا يتمكن الفرد من تجاوزها أو التعبير عنها لتصادمها بمتغيرات وعوامل أخرى غالبا ما تعود إلى النظام الذي ينتمي إليه سواء تعلق الأمر بالأسرة أو بالمجتمع ككل؛ وتشير أنّ نقص الاتصال في الوسط الأسري، الأمن وفقر الروابط الإجتماعية، الظروف

---

[1]. JOSSE Evelyne, Les violences conjugales : Quelques repères, Algérie, Alger, Octobre 2007.

[22] . سهيل مقدم، من أجل استراتيجية فعالة في مواجهة العنف الاجتماعي، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة وهران، العدد الثامن، 2012.

[3]. Bouzid Baa Saliha, Femmes victimes de violences conjugale, Dirassat insaniya wa Ijti-maiya, université d’oran1, N°6, janvier 2016.

الاجتماعية الاقتصادية والسياسية الغير مستقرة، من أهم العوالم التي تفقد الشباب الثقة بالنفس، حيث يخل إلى دائرة اليأس والانسحاب من المجتمع.[1]

ومن الدراسات العربية، كانت دراسة **خالد بن السعود الحليبي** حول العنف الأسري تتجه في البحث عن أسبابه ومظاهره وآثاره وعلاجه، مركّزا على المرأة والطفل، من خلال دراسة استقرائية حول وضع المرأة والأبناء في الأسرة ضمن المجتمع السعودي، ويوضّح الكاتب العنف الأسري بناءا على الحياة العصرية التي أثرت على الحياة الأسرية، باعتبار أنّ التحضّر تمخضّ عنه مشاكل اجتماعية لم تكن موجودة في المجتمعات التقليدية، خلافا عن الدخل القليل والموارد المادية أصبحت أساس المعاناة والنزاعات بين أفراد العائلة الواحدة، أين البعد الاقتصادي يؤثّر بالضرورة على العلاقات الاجتماعية العائلية. كما يوجّه أثر العنف في فصل خاص على الطفل فيشير معاناته ضمن الحياة الأسرية المعنّفة.[2]

واتجهت دراسة **حسان العرباوي** اعتمادا على نظرية التعلم الاجتماعي في تفسير وتحليل الوقائع الاجتماعية للعنف الأسري؛ وموضوع دراسته يتمحور حول العنف الزوجي ضد المرأة وأثره على الأبناء. والعينة المنتقاة خصصت للزوجات المعنَّفات من طرف أزواجهم، وتكونت من50 مبحوثة؛ وكما استعان بالمقابلة النصف موجهة لمجتمع بحث يمثّل 15 مبحوث مقسّمين بين الوظائف التالية من محاميين ومحاميات وموظفي العدالة ومستخدمي الشرطة؛ ومن نتائج الدراسة يوضّح أنّ الزوجات يتعرضن إلى العنف من طرف أزواجهن منذ أيام الخطوبة وبداية الحياة الزوجية وهذا بنسبة 30%، أما نسبة 70% فأكدن غير ذلك، أما النوع الغالب الممارس على المبحوثات هو العنف الجسدي بنسبة 60%، ثم يليه العنف اللفظي والنفسي بنسبة 40%. وكانت تفسيرات المبحوثات للعنف المستقبل من طرف أزواجهنّ على أنه ناتج من طبيعة مزاجية لشخصية الزوج بنسبة 44%، وعدوانية بنسبة 50%؛ وعموما قد وضّح الباحث أنّ العوامل الأسباب التي تؤثّر على العلاقات الأسرية مرتبطة بعدم تحمل المسؤولية الزوجية من طرف أحد أفراد الأسرة وهذا يرجع بالأساس الى غياب أحد أفراد الأسرة عن البيت، سواء الزوج أو الزوجة، مما يؤدي الى عدم الاهتمام بالأولاد وظهور ما يسمى بالخيانة الزوجية، ومختلف المشاكل التي تكون لها نتائج سلبية على الأسرة من الناحية المادية والمعنوية، غالبا ما تؤدّي إلى التفكك الأسرة والذي يؤثّر على علاقة الأبناء بأوليائهم.[3]

وضمن نفس الموضوع كانت دراسة **عبد المحسن بن عمار المطيري** تبحث عن التعرف على مدى ارتباط العنف داخل الأسرة بجنوح الأحداث، والبحث عن العوامل التي تبني شخصيات منحرفة تؤثّر بالضرورة على المجتمع عامّة باتباع المنهج الوصفي الاحصائي. ومن النتائج المتوصل لها تثبت أنّ سوء المعاملة للطفل بمختلف أشكالها وبصفة متكررة تؤثّر في الأبناء تثير الانسياق نحو الانحرفات الاجتاعية من بينها: العقاب البدني بدون سبب رجعي بمتوسط حسابي 1.49 وانحراف معياري يقدّر بـ 20.80؛ بمقابل المعاملة السيّئة والقاسية. على غرار حياة الصخب والشجارات المستمرة التي يعاني منها الأبناء في الوسط الأسري بمتوسط حسابي يقدّر بـ 1.67 وانحراف معياري يمثّل 0.91، ومن الأبناء الذي تعرضوا للطرد من أفراد أسرتهم تشمل متوسط حسابي يقدر بـ 1.55 بانحراف معياري 0.96[4]

[1] . كبداني خديجة، محاولات الانتحار بين أزمة الوجود وأزمة الاتصال: مقاربة سوسيو-ثقافية، دراسات انسانية واجتماعية، جامعة وهران2، العدد:08، 2018.

[2] . خالد بن السعود الحليبي، العنف الأسري: أسبابه ومظاهره وآثاره وعلاجه، مدار الوطن للنشر، المملكة العربية السعودية، الرياض، 2009.

[3] . حسان عربادي، العنف ضد الأطفال في الوسط الأسري: دراسة ميدانية لعينة أفراد من أسر مقيمة ببلدية براقي، رسالة لنيل شهادة الماجستير، تخصص علم الاجتماع الثقافي، إشراف: أ. عبد الغني مغربي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم الاجتماع، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2005/2004.

[4] . عبد المحسن بن عمار المطيري، العنف الأسري وعلاقته بانحراف الأحداث، دراسة مقدمة للحصول على شهادة الماجستير في العلوم الاجتماعية، إشراف: معن بن خليل العمر، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 2006.

ومن الدراسات الأكاديمية -لرسائل الدكتوراه- اختلفت الاشكاليات باختلاف اهداف الدراسة، فكانت إشكالية الباحث **بوعلاق كمال** تتوجّه نحو البحث -على حد تعبيره- عن الدوافع والأسباب الرئيسية التي أدت إلى حدوث العنف الزوجي، والظروف التي ساعدت على وقوعها، والأشكال التي اتخذها هذا العنف. كانت الدراسة قائمة في المجتمع الجزائري وبالضبط في مدينة معسكر. مستعينا بالمنهج الوصفي للتحليل، والتقنية الاحصائية. وتم اقتناء مجتمع البحث من فئة النساء المتزوجات المتردّدات على مستشفى مسلم الطيب في مصلحة الطب الشرعي بمعسكر، وتمثل 50 امرأة، مستعملا تقنية الملاحظة وأداة المقابلة النصف موجهة؛ ومن النتائج المتوصل لها عموما، على حدّ تعبيره: المرأة يمارس عليها العنف الجسدي بنسبة 60% والعنف المعنوي بنسبة 56% وعوامله مرتبطة بالمكتسبات الاجتماعية للطبع العنيف عند الرجل خلال فترة التنشئة الاجتماعية، يتصف بالسلطة، ويتميز بسرعة الغضب؛ رفضه لتحمل المسؤولية؛ إظافة إلى العوامل الاقتصادية؛ العامل الثقافي كالفارق في المستوى التعليمي بين الزوجين، والفارق بين الحالة المعيشية للعائلتين؛ ومن نتائج العنف على الأسرة هو تفككها وانعدام الثقة بين أطرافها وتحطيم كيانها، وتعرضها للزوال وإعاقة مسارها وديمومتها ووظائفها.[1]

أما **زيان محمد** فلقد درس العنف ضدّ المرأة بناءا على مفهوم الرجولة من المنظور الأنثروبولوجي، حيث ركّز على معنى الرجولة الشعبية ومدى امتدادها في ممارسة العنف، حيث كان يهدف إلى البحث عن متى يكون الذّكر رجلا؟ فيتساءل حول العلاقة بين العنف الممارس على المرأة مع بلورة مفهوم الرجولة في المجتمع الجزائري، بالتركيز على مدينة شلف، وهران، وسيدي بلعباس، والاهتمام ببعض المدن الأخرى في المجتمع الجزائري. كانت العينة التي قام بانتقائها مقصود من الشباب الجامعي؛ وعينة مقصودة من أفراد ذوي مستويات متنوعة من الجنسين منهم: أميّين، مستوى ابتدائي، متوسط وثانوي، وينحذرون من طبقات اجتماعية ضعيفة ومتوسطة للبحث عن الاختلاف الوارد في التصورات والتمثلات لمكانة الرجل والمرأة ودورهما في المجتمع. ونشير أن هذه الدراسة كيفية حيث اعتمد على تقنية الملاحظة وأداة المقابلة، وحدّد مجتمع البحث بـ10 ذكور و10 إناث، أغلبهم عزّاب – غير متزوّجون-؛ ومن أهمّ النتائج المتوصل لها في هذه الدراسة، يشير لها الباحث من منضور العنف الممارس تجاه النساء يكون باسم الحفاظ على قيم ومكتسبات الفحولة والرجولة. وهذه الأخيرة متجذّرة في أغلب المجتمعات، ويتم الدفاع على مكتسبات الرجولة من خلال ممارسة عنف يسمّى "تشنجات رجولية" تستهدف لرسم حدود العلاقات بين الجنسين.[2]

وقد اتخذت الباحثة **دشاش نادية** منعرجا في دراسة العنف الزوجي بالاهتمام بموضوع الرجل المعنَّف، فتطرح إشكالية البحث عن العوامل التي تؤدّي بالزوجة إلى تعنيف الزوج، باتباع المنهج الكمّي في دراسة الموضوع. توصّلت الباحثة في دراستها الميدانية الإحصائية لعينة تمثّل 123 من جلّ النساء والرجال، إلى نتائج توضح فيها عامة الأسباب التي تؤدي بالزوجة إلى العنف ضد زوجها، فـ 85.36% راجع من إهمال الزوج لواجباته نحو زوجته؛ 83.73% سوء معاملة الزوج لزوجته؛ 77.23% ضعف في شخصية الزوج؛ 72.35% عدم اقتناع الزوجة بالزوج (زوج مفروض عليها من طرف الأسرة)؛ 63.41% العجز المادي للزوج؛ 52.84% التفوق التعليمي للزوجة. ومن أشكال العنف الممرسة ضدّ الزوج تتمثل في: المعايرة والمقارنة مع الغير تتمثل بـ 82.11%؛ المعادات 78.86%؛ حرمانه من ممارسة حقوقه الشرعية 73.17%؛ السب والشتم 70.73%؛ تحريض الأبناء 70.73%؛ خروج الزوجة دون إذن زوجها 66.66%؛ حرمان الزوج من زيارة أهله 65.06%، الضرب 43.08%.[3]

---

[1] . بوعلاق كمال، رسالة دكتوراه، تخصص علم الاجتماع، العنف الأسري وأثره على الأسرة والمجتمع في الجزائر: دراسة ميدانية على مستوى مصلحة الطب الشرعي بمستشفى مسلم الطيب بمعسكر، جامعة وهران، قسم علم الاجتماع، السنة الجامعية 2016-2017

[2] . زيان محمد، رسالة دكتوراه العلوم، تخصص علم الاجتماع الثقافي، الرجولة ومسألة العنف ضد المرأة في الجزائر: مقاربة سوسيوثقافية، جامعة وهران، السنة الجامعية 2013/2012.

[3] . دشاش نادية، عنف الزوجة ضد الزوج: أسبابه وأشكاله حسب رأي الأسرة التربوية بولاية قالمة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، فرع علم النفس الاجتماعي، المشرف: الهاشمي لوكيا، جامعة منتوري: قسنطينة، السنة الجامعية 2006/2005

ما لاحظناه في مختلف الدراسات السابقة في مجملها كان لها اهتمام خاص يتّجه بالتركيز على الأسباب المولدة للعنف الأسري مع الأخذ بعين الاعتبار فرد من أفراد الأسرة يقع عليه الدراسة بصفته الفرد المعنَّف الأكثر تعرضا للعنف؛ وأما دراستنا تمتد إلى التركيز والاهتمام بكل فرد –رجلا كان أو امرأة أو طفلا- قابل للتعنيف الأسري سواء أكان مستقبل له أو من ممارسيه حيث نقوم بدراسة العنف كمتغير مستقل لنتوجّه إلى دراسته كمتغير تابع، أين عامل يولد عامل آخر يكون مسبب لنشوب علاقات أسرية عنيفة في علاقة تأثير وتأثّر.

الفصل الأول

ضبط مفاهيم العنف ومظاهره، والنظريات المفسرة له

I. ضبط مفاهيم الدراسة
II. مقاربات نظرية حول العنف الأسري
III. مظاهر العنف الأسري
IV. آثار مظاهر العنف وآليات إنتاجها

تمهيد

إنّ واقع العنف ضمن العائلة كظاهرة اجتماعية في الوقت الحالي لا يمكن استلهامها دون الإحاطة على كل الجوانب النظرية التي تساعدنا على الغوص في أعماق الظاهرة واستنطاق المفاهيم المرتبطة بها، حيث نتوجّه إلى فهم وتفسير وتحليل المعطيات المتوصّل إليها في الدراسة الميدانية أين نصعد من الملموس إلى المجرّد.

I. ضبط مفاهيم الدراسة

1. تعريف العنف "violence"

العنف لغويا هو الخُرق بالأمر وقلة الرّفق به، وهو ضدّ الرفق، وكل من الرفق من خير ففي العنف من الشر؛[1] أمّا على حسب قاموس اللغة الفرنسية "la rousse، 2018" العنف هو سلوك عدواني، قوّة فضّة ممارسة نحو الآخر، بهدف الضغط عليه؛ وهو الاستعانة الفضة للقوة الجسدية.

وعلى حسب معجم اللغة الفرنسية "le robert: maxi plus" العنف هو قوّة غليظة موجّهة ضدّ إرادة الفرد، والضغط عليه بهدف إخضاعه بالقوّة أو التهديد. وقد يمارس بليونة ولطف"

وعلى أساس "معجم اللغة الفرنسية "le petit robert, 1986" يحدّد كلمة "عنف" باعتباره "قوّة فضّة لإخضاع شخص ما". هذه الكلمة تعود إلى "السّلطة"، "القساوة"، "ثوران"، "حقد"، "عذاب"، "معاناة"، "آلام"، "تعاسة"، إلخ.[2]

أشار May Clarkson أنّ العنف لغة والمعرّف من حيث القوة المفرطة والفعل الذي من خلاله تمارس هذه القوّة، يتوجّب إعادة النظر فيه بحيث يخفي وراءه فخّ، مُعتبرا أنّه لنتكلّم عن العنف والإفراط فيه علينا أن نعود إلى المعايير والقيم الموجودة في المجتمع ونقوم بتحديدها والتركيز عليها لنقول أنه يوجد إفراط في ممارسة العنف، فمفهوم العنف مرتبطة بها. ومن ثمّ نحاول تحديد تعريف عالمي للعنف في هذا المجال. ويستطرد Clarkson في حديثه بما جاء به Galtung (1980) والذي نوّه فيما يخصّ تحديد تعريف للعنف على أنه ليس بالأمر السّهل حيث يتوجّب أن نَسير برفق وحذر وحكمة للوصول إلى تعريف دقيق لمفهوم العنف، وهذا لأنه يحمل عبئ عاطفي ثقيل ويشتمل ظواهر متعدّدة ومتباينة حيث أنّ العنف عامة يُعتبر كشيئ سيّئ يتوجّب تفاديه، ولذلك في تعريف "العنف" علينا إقصاء كل الأشياء التي لا يمكن تفاديها، وإدماج ما يجب رفضه؛ ويوضّح Galtung أكثر أنّ العنف يحمل سمة أساسية مشتركة تلمّ كل الظواهر وهي "التدمير" destruction، والعنف هو شيئ ما نتجنّبه يمنع ويعيق تنمية الروح المعنوية للإنسان، وهذا يعني أنه يمنع الفرد من إرضاء رغباته الأساسية، تشعره بالسعادة الشخصية.[3] ويؤكّد Johann Galtung ضمن نفس السياق أنّ "العنف هو الحدّ من إمكانيّة العيش، والاستياء من الاحتياجات الأساسية التي استغنينا عنها، حيث مستوى الرّضا لهذه الضروريات يكون أقل من المستوى الأدنى"[4]

ويحدّد المتخصّصون في دراسة العنف، على أنّه يخفي بعد سوسيوثقافي محض، حيث: بالنسبة لـLamine Ndiaye يحدّد مفهوم العنف على أنّه ظاهرة ثقافية، ولهذا بروزه ومضمونه يمكن أن يختلف من مجتمع لآخر، ومن عهدة زمنية إلى أخرى"[5]

وكما أشار Michaud أن العنف يتواجد في علاقات تفاعل بين فردين أو أكثر بطريقة مباشرة أو غير مباشرة... وبدرجات مختلفة، فيكون إما جسدي معنوي، تملّكي، أو يكون في الممارسات الرمزية والثقافية"،[6] وعليه فإنّ العنف "تعتمد مشروعيته على اعتراف المجتمع به، وهو تعبير صارم معبر عن القوة التي تمارس لإجبار الفرد أو الجماعة على القيام بعمل أو أعمال محددة يريدها فرد أو جماعة أخرى، ويعبر العنف عن القوة الظاهرة حيث تتخذ أسلوبا فيزيقيا (ماديا) مثل الضرب، أو يأخذ صورة أخرى تمثل الضغط الاجتماعي"[7]

---

[1] . ابن منظور، لسان العرب المحيط، دار الجيل، بيروت، المجلد الرابع، 1988. ص.903.

[2]. Yahyaoui Abdessalem et coll., O.p. Cité, P.190.

[3]. May Clarkson, O.p. Cité, P.10

[4]. HASSANI Ali, Typologie des violences sociales en Algérie, O.p. Cité.

[5]. HASSANI Ali, Typologie des violences sociales en Algérie, O.p. Cité

[6]. Bouzid Baa Saliha, O.p. Cité, P.7

[7] . عبد الحفيظ معشوشة، سعد الدين بوطوبال، العنف الأسري الموجه ضد الطفل، الملتقى الوطفي الثاني حول: الاتصال وجودة الحياة في الأسرة، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، أيام 10/09 أفريل 2013. ص.2-3

وأكّد كل من Gelles وStrauss على طبيعة العنف السوسيوثقافية المعترف بها اجتماعيا، مصرّحين بذلك أنّ: "العنف يصبح ممكن إذا لم ننجح في تحديده أنه من الصفات السيّئة والغير مناسبة. وما يسمّى بأفعال "طبيعية" للعنف تُهيّئ لبلوغ ذروة الممارسات العدوانية المؤذية والأكثر خطورة. وباختصار لأنه يُحكم على كل سلوك عنيف ضدّ الضحية أنّه مستحقّ وتستوجب اللّوم.[1]

وعليه فإنّ العنف مقنّن اجتماعيا يؤدّي إلى تطويق الفرد على أساس اديولوجية أسرية مستمدّة من الرواسب الثقافية تشجّع العنف الأسري، والذي قد يؤول إلى ردود أفعال مناوئة من طرف الفرد فيصبح "ضرورة اجتماعية"، هكذا يخبرنا Medhar Slimane بحكم أنّ العنف يتجلى بشدة كاتجاه أساسي تبعا لعوامل وأسباب ضمن علاقات التفاعل الاجتماعية؛ ويتولّد على إثر الشعور بالضيق وعدم الأمان، ونزاعات تكون متبوعة عادة بشجارات، وهذه تتجلى إلاّ إذا كانت تجاوزات تجبر الفرد وتلزمه على المواجهة وبعدوانية، فالأفراد لا يمكنهم احتواء الصراع إلاّ إذا تعرضوا للإهانات، وهذه العدوانية الظاهرة لا تمنعه عن مواجهات جسدية، فعلى حسب سليمان مظهار أنّ الفاعل الاجتماعي يعتبر العنف كمبدأ للفعل لحماية نفسه فيرفع الأمان عن الآخر، وعليه الفرد يلجأ للمواجهات العدوانية على أساس الموقف الذي يعيشه ويعي به ومن خلال الوسائل التي يستند إليها للمواجهة والهدف المراد التوصل له.[2] وضمن نفس المضمون يوضّح Clarkson العنف ضمن المجال الأسري على أنّه "الاعتقاد الذي يسمح للفرد باستعمال قوّته ليفرض رغباته وإرادته"[3]

أمّا Marc Leblanc يوجّه شروط لكي نناقش مفهوم العنف، فيقول: "عندما نتحدّث عن العنف يجب التمييز بين: من جهة، الاتجاهات والقيم والذهنيات العنيفة، ومن جهة أخرى السلوكات العنيفة؛ فيما يخصّ الأولى مرتبطة بالتمييز العنصري، التمييز الجنوسي sexisme...إلخ، وهي اتجاهات تسمح بتجلّي تصرفات عنيفة... وهذه التصرفات التي توضّح تفاعل الأفراد فيما بينهم إكراها... فأمّا التعريف المحدد للسلوكيات العنيفة لا يمكن أن يكون تام بدون الاهتمام لطبيعة الحركات العنيفة، والتمييز بين خمس أصناف في استعمال القوّة في إطار علاقات التفاعل: العدوان الرّمزي (إيماءات، غلق الباب بشدّة)، والعدوان اللفظي (صراخ، هجوم كلامي أو حواري) والعدوان النفسي (التهديد والتخويف)، والعدوان الجسدي (الهجوم، التعارك، والملامسات الجنسية) والعدوان المادي في تدمير ممتلكات الآخر وسلبها؛[4] وعليه نشير أنّ العنف الأسري يتضمّن أشكال ومظاهر مختلفة ضمن علاقات التفاعل الأسرية منه الموجّه للأطفال من طرف الراشدين، ومنه ما يتجلّى بين الزوجين وعلاقاتهما بأفراد الأسرة، ويختلف باختلاف المكانات والأدوار ضمن العلاقات التراتبية الأسرية، فأفراد الأسرة يتّخذون أشكال مختلفة للسلوكيات العنيفة، وهذه الأخيرة "تستند إلى استخدام القوة التي تسبب الضرر والإيذاء... ولا يتضمّن فقط ارتكاب سلوك يتسم بالعنف بل يتضمن أيضا الامتناع عن ممارسة سلوك مثل إهمال الطفل... حرمان باقي أفراد الأسرة الآخرين من حقوقهم وحرياتهم ويحول دون تمتعهم بحق الاختيار؛[5] كما يعتبر "العنف سلوك إيذائي قوامه إنكار الآخر كقيمة متماثلة للأنا أو للنّحن، وكقيمة تستحق الحياة والاحترام... إذن معنى العنف الأساسي في المنظور الاجتماعي والسوسيولوجي هو عدم الاعتراف بالآخر، رفضه أو تحويله إلى الشيئ (المناسب) للحاجة العنيفة.[6]

وعموما تبعا لكل ما قمنا باستعراضه حول تعريف العنف، نشير أنّ هذا الأخير يختلف تعريفه باختلاف التخصّصات التي قامت بدراسته والتي صنّفته تبعا لتباين مظاهره وأشكاله باعتبارها أفعال مقيتة غير مُرضية؛ ورغم ذلك، في سياق مضمون العنف يتوجب لنا تحديد بعض مفاهيم الدراسة

---

[1] . Rondeau Gilles, La violence familiale, Université de Montréal, 1994.P.6
[2]. Medhar Slimane, O.p. cité, P.p.181-186.
[3]. May Clarkson, O.p. Cité, P.12.
[4]. Marc Leblanc, Le cycle de la violence physique: trajectoire sociale et cheminement personnel de la violence individuelle et de groupe, 1990. P.7
[5] . صفوان مبيض، مرجع سبق ذكره، ص.115
[6] . مدحت مطر، تنامي ظاهرة العنف في المجتمع وعلاجها، اليازوري، عمان: الأردن 2014. ص.22

ومن بينها مفهوم الفعل الاجتماعي، وعلاقته بالفاعل، بحكم أن العنف هو فعل ممارس من طرف أفراد الجماعة الواحدة في سياقات التفاعل الاجتماعي ضمن الحياة العائلية.

2. الفعل الاجتماعي والتفاعل الاجتماعي

مضمون الفِعل لغويا، هو إسم مأخوذ من فِعل، "فَعَلَ"، ويعني عَمِل، وافتعل الشيئ؛ ويكون "الفاعل"، جمع "فاعلون وفَعلة"، و"الفاعِلة" جمعها "فاعلات وفواعل" هو (هي/هم/هنّ) الذي يقوم بالفعل[1]

الإطار المرجعي للفعل، استخدمه بارسونز لتحليل الأنساق الاجتماعية، وأنساق الشخصية، ويركز هذا الإطار على "الفاعل" من وجهة نظر قيمه وأهدافه، في مواقف محدّدة وقد أكّد بارسونز على ذلك حينما كان يتحدّث عن فكرته في توجيه الفاعل نحو الموقف... ومن بين الأعمال التي أثرت في نظرية الفعل الاجتماعي مناقشات ماكس فيبر وغيرهم، وتقوم على تأكيد المعنى الذاتي في موقف الفاعل، والإشارة إلى ضرورة دراسته في ضوء القيم الخاصة عنده، وتوقعاته لاستجابات الآخرين، ويدرس السلوك الانساني من خلال التصرفات التي يقوم بها الأشخاص في مواقف محدودو ثقافيا، وفي أنساق معينة للعلاقات الاجتماعية؛ وتنظر هذه النظرية إلى الفعل الاجتماعي بوصفه الوحدة الرئيسية للبحث، ويكتسب هذا الفعل صفة "اجتماعية" حينما يتواجد القصد في توجيه سلوك الفاعل أو مجموعة فاعلين ومعنى ذلك أن التفاعل هو السياق الذي تنمو فيه الشخصية.[2]

وفي إطار عملية التفاعل يُمارس العنف كفعل ورد فعل في علاقة تأثير وتأثر بين الأجزاء المكونة للجماعة الأسرية، يكون أحدهم هو الفاعل الأساسي الذي عَمِل على نشوب العنف الأسري وقام بافتعاله عن قصد أو بدون قصد.

يشير مصطلح التفاعل بمعناه العام إلى دور متبادل له طابع دينامي، وإلى علاقة بين متغيرين أو أكثر، مع ملاحظة أن هذه العلاقة تنطوي على تأثير متبادل بين الأطراف أو المتغيرات؛ كما أنه يشير إلى سلوك موجه نحو شخص آخر أو متأثر به. وقد استخدم جورج هومانز George Hamans المصطلح بمعناه الأخير في تحليله للجماعات وهو يشبه التعريف المألوف للتفاعل الاجتماعي؛ وهذا الأخير هو عملية اجتماعية أساسية والتي تعبر عن ذاتنا في الإتصال وفي العلاقة المتبادلة بين فردين أو أكثر وبين جماعات.. ويمارسون التأثير المتبادل في سلوك بعضهم بعض، وتوقعاتهم، وفكرهم، من خلال اللغة والرموز والاشارات؛[3] وقد يصل التبادل الممارس في إطار عملية التفاعل إلى عنف وارد بين أفراد الجماعة الأسرية -أو العائلية- ويسمى عنف أُسَري.

3. العنف الأسري

عرفت منظمة الصحة العالمية العنف الأسري على أنه "السلوك الذي يصدر في إطار علاقة حميمية ويسبب أضرارا وآلاما... لأطراف تلك العلاقة؛[4] ويشير منير كرادشة على أنّ العنف الأسري "يتمثل في المعاملة السيئة التي يتلقاها الفرد سواء في منزل الأب أو من قبل الزوج، يخلق الرهبة والشعور بالإهانة والمذلة، ويدمر احترام الإنسان لذاته، وينسحب كذلك على الأطفال داخل الأسرة"؛[5] وتبعا لــ May Clarkson "الفئة الأكثر تعرضا للعنف الأسري هم الأطفال والنساء"؛[6] ومن جهة أخرى

---

1 . منجد الطلاب، نظر فيه ووقف على ضبطه، فؤاد إفرام البستاني، ط.23، دار دمشق، بيروت، د.ت.

2 . محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2005. ص.ص. 15-16.

3. محمد عاطف غيث، نفس المرجع، ص.252.

4. صفوان مبيض، مرجع سبق ذكره، ص.114

5. منير كرادشة، العنف الأسري: سيولوجية الرجل العنيف والمرأة المعنفة، عالم الكتب الحديث، إربد: الأردن، 2009. ص.ص.36-37

6. May Clarkson, O.p. Cité, P.12

قد يكون العنف الأسري فعل ممارس من طرف المرأة نحو الرجل، من طفل إلى طفل آخر أو من طفل نحو راشد، أو أكثر من هذا، أحد أفراد العائلة (طفل أو راشد) نحو شخص مسنّ.[1]

وذهب صفوان مبيض في تعريفه للعنف الأسري على أنه كل عُنف يقع في إطار العائلة، ومن قبل أحد أفراد العائلة بمالَهُ من سلطة أو ولاية أو علاقة بالمجني عليه؛[2] وعموما العنف الأسري على حسب ما جاء في تعريف الأمم المتحدة هو "كل سوء في استخدام القوة والسلطة... في العائلة ضد أفراد آخرين".[3]

وأمّا العنف الأسري الذي نوظّفه في دراستنا، إجرائيا، هو ذلك العنف الممارس عن قصد أو بدون قصد ويبرز كفعل و/أو رد فعل يتضمّن سوء المعاملة والإساءة جسديا أو معنويا للطرف الآخر، لدوافع وأهداف شخصية أو جماعية؛ يمارس من طرف الزوج ضدّ الزوجة أو العكس، وكذلك العنف الممارس من طرف الجماعة الأسرية اتجاه أحد الزوجان أو كلاهما، ومن طرف أحد الوالدين أو كلاهما نحو الأبناء، وفي الاتجاه معاكس من طرف الأبناء نحو الوالدين؛ يمسّ عامّة الروابط الأسرية ويؤثر على البعد المعنوي والجسدي للفرد.

وعليه مجال الصراع ضمن الأسرة يكون واسع يتخلل العلاقات بين أفراد العائلة فيثير الممارسات العنيفة بمختلف أشكالها، من الممكن أن تكون لها أثر بين الزوجين، وقد تتجاوز الحدود الزوجية فتؤثّر على علاقات الأبوة والبنوة، أين يكون الأطفال ضحية لعلاقات معنَّفة محتدمة بين الزوجين؛ أو قد تكون ممارسة على أطراف العلاقة الزوجية في علاقتهما بأسرة الزوج –أو الزوجة-

وفي خضمّ تحديدنا لمفهوم العنف الأسري يتوجّب علينا التمييز بين مفهوم العائلة والأسرة، خاصّة أنّ موضوع الدراسة يتطرّق إلى واقع العنف ضمن العائلة بحكم العلاقة الأسرية التي بُنيت بين الزوجين من جنسين مختلفين ولكنهما غير منفصلين عن الرّابط القرابي العائلي أين تنشأ العلاقات المعنَّفة.

4. مفهوم الأسرة ومفهوم العائلة

الأسرة لغويا: أهل الرّجل، المعروفون بالعائلة، جمعها: "أُسر"، ومأخوذة من فعل "أسَرَ" (أسره-استأسره-أسرًا) والذي يعني، قبض عليه وأخذه.[4]

الأسرة من الناحية الاصطلاحية تعتبر نسق من بين الأنساق الاجتماعية المكوّنة للبناء الاجتماعي؛ وتتضمّن تعاريف مختلفة حدّدها مختلف الباحثين والمفكرين المتخصصين في علم الاجتماع العام والأسري، ولكن كلّها تعبِّر عن "خصائص بنائية"[5] نذكر منها:

يعرف "E.W.Burgess" و"H.J.Locke" الأسرة في كتابهما "The Family" بأنها: "مجموعة من الأشخاص يرتبطون بروابط الزواج أو الدم أو التبني، ويعيشون في منزل واحد، ويتفاعلون وفقا لأدوار اجتماعية محددة، يحافظون على نمط ثقافي عام" ويعدّ هذا التعريف من أشهر التعاريف للأسرة.[6]

---

1. May Clarkson, O.p. Cité, P12.

2. صفوان مبيض، العنف المجتمعي، اليازوري، عمان، 2013. ص.114

3. حنان قرقوتي، عنف المرأة في المجال الأسري، كتاب الأمة، سلسلة دورية تصدر كل شهرين عن إدارة البحوث والشؤون الاسلامية، قطر، العدد 18 1، 2015. ص.14.

4. منجد الطلاب، نظر فيه ووقف على ضبطه، فؤاد إفرام البستاني، ط.23، دار دمشق، بيروت، د.ت.

5. عبد الباسط محمد حسن، علم الاجتماع: الكتاب الأول، المدخل، دار غريب، بدون تاريخ. ص.170.

6. (Burgess,E, and Locke, H : The family From tradition to companion ships, Niew york, 1950, P.p.7-9) نقلا عن: عبد القادر القصير، الأسرة المتغيّرة في مجتمع المدنية العربية :دراسة ميدانية في علم الاجتماع الحضري والأسري، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، ط1،1999 . ص.ص. 35-36.

ويعرّفها "كريستانس" أنهـــا "عبارة عن مجموعة من المكانات والأدوار المكتسبة بالزواج أو الولادة"؛[1] والأسرة وفقا لتعريف "ميرداك" هي عبارة عن جماعة اجتماعية تتميز بمكان إقامة مشترك، وتعاون اقتصادي ووظيفة تكاثرية لعلاقة جنسية يعترف بها المجتمع[2]

ولكن رغم تعدد تعاريف الأسرة إلاّ أنه استوجب علينا في تحليلنا لموضوع الدراسة تحديد الاختلاف الوارد بين مفهوم العائلة والأسرة، حيث أنّ اصطلاحا "العائلية تتألف من الإخوة والآباء والأعمام والخالات وأولاد العم وأولاد الخال... ويتقابلون في المناسبات الدينية والشعائرية المفرحة منها والمقرحة، ويَنشطون في المصالح المشتركة مثل قضايا الإرث... أما الأسرة هي العلاقة المباشرة للفرد مع أسرته؛[3] كما يمكن أن يعبّر عن الأسرة من خلال مفهوم "الأسرة النووية"، وهي مجموعة اجتماعية محدودة نشأت عن طريق إنجاب الأطفال تتألف من زوج وزوجها وأطفالهما، تتكون من جيلين متعاقبين، وأطلق عليها أيضا الأسرة الابتدائية، حيث تحوي العناصر الأساسية التي يتشكل منهـــا أي نظام أسـري[4]

وعليه مفهوم الأسرة خصّصناه إجرائيا في دراستنا للأسرة النووية التي تضمّ الزوجان وأبناء من صلبهما، وعلاقة كل طرف من أطراف العلاقة الزوجية بأسرته الأصلية (الوالدين والإخوة والأخوات)، بحكم أنّ "شبكة العلاقات الاجتماعية تنشأ من منطق أن الشخص ينتمي إلى أسرتين، فكما ينوّه "راد كليف براون" أنّ الانتماء الأولي يكون في وضعه كإبن وأخ ضمن "أسرة التوجيه" والثانية كزوج وأب في "أسرة الإنجاب"،[5] وأُطلق عليها أيضا الأسرة الابتدائية، حيث تحوي العناصر الأساسية التي يتشكل منهـــا أي نظام أسـري[6] وتقوم بتنشئة أطفالها، وهي أهمّ وظيفة اجتماعية بعد الإنجاب تحرص عليها الأسرة النووية حيث تتحوّل إلى أسرة توجيهية وإرشادية.

ويوضّح أكثر "Talcott Parsons" أن العلاقة الزواجية تنشأ من خلال الزواج وهي الأسرة المنجبة والتي نميّزها عن أسرة التوجيه التي وُلد بها الفرد"[7]

أما مفهوم العائلة فوظّفناه للدلالة على علاقات المصاهرة، والعلاقات القرابية التي تربط قرناء الأزواج بأسرة النسّب من منظور المتخصّصين في علم الاجتماع أمثال بوتفنوشنت، عدي الهواري، وغيرهم، حيث يوظّفون مفهوم "العَايْلة" -باللغة المحليّة- لنمطها الموسّع، والإشارة إلى الأسرة الجزائرية التقليدية –الممتدة-، وفي هذا الخصوص يقول بورديو أنّ "الأسرة الممتدة أو الموسّعة تعتبر الخلية الأساسية للمجتمع الجزائري... تضمّ كل أفراد العائلة من خط الأب... حيث تتجمّع عدة أجيال تحت كنف ورعاية رئيس واحد يكوّنون بذلك علاقات ودّية مشتركة" كما أنّها "وحدة اجتماعية تضمّ عدّة أسر نووية تابعة لخطّ الذكر"[8] في علاقات تراتبية مرتكزة على تدرّج سلمي بين الأجيال والجنسين، فعلى حسب "De Singly" أنّه لا يمكن تصوّر مؤسسة اجتماعية بدون وجود تدرّج سلّمي وسلطة تُوجِّه النظام تحت قوانين ضابطة تحفظ تماسك المؤسسة الأسرية.[9]

وعليه ومن خلال دراستنا الميدانية تبيّن لنا أنّ العنف في كثير من الحالات ينشب ضمن الأسرة النووية وعلاقتها بالأسرة الممتدة "العائلة" ضمن علاقات هرمية، ويأخذ أشكال متعدّدة –نتطرق إليها

---

1. (Christensen,H : »Hand book of marriage and the family »,Chicago, 1964, P.3)؛ نقلا عن: عبد القادر القصير، نفس المرجع، ص.36.
2. (Murdock, G .P. « social organisation », New york, 1949. P.1)؛ نقلا عن: عبد القادر القصير،سبق ذكره، ص.35.
3. محمد مهدي القصاص، علم الاجتماع العائلي، كلية الآداب، جامعة المنصورة، 2008. ص69.
4. جون سكوت، جون سكوت، تر: محمد عثمان، معجم علم الاجتماع: المفاهيم الأساسية، الشبكة العربية للأبحاث والنشر علي مولا، بيروت، 2009. ص375-376
5. فاتن شريف، الأسرة والقرابة: دراسات في الانثروبولوجية الاجتماعية، دار الوفاء :الاسكندرية، ط1، 2006. ص.36
6. جون سكوت، معجم علم الاجتماع سبق ذكره، ص375-376
7. De Singly François, sociologie de la famille contemporaine, Armand colin, paris, 2007. P.50.
8. Bourdieu p., sociologie de l'algérie, que-sais-je ? n802, paris, puf, 1974. P12-P71. Par : Kouaouci Ali, Famille–Femme et contraception : contribution à une sociologie de la famille algérienne, CENEAP, Alger, 1992. P.p. 181-182.
9. De Singly François, la famille individualiste face au pratique culturelle, paris, VERLIS, 2002.

ضمن نفس الفصل-؛ كما ينشب العنف بين الزوجين ويسمّى "عنف زوجي" وهذا الأخير يوجّهنا نحو التطرّق إلى ضبط مفهوم العلاقة الزوجية.

5. مفهوم العلاقة الزوجية والعلاقة الزواجية

إنّ العلاقة الزوجية سيان العلاقة الزواجية اصطلاحا محدّدة على أنها العلاقة التي تجمع الزوجان من جنسين مختلفين في حياة مشتركة بناءا على منظومة الزواج ويكون لهما الشرعية في إقامة علاقات جنسية لغرض الإنجاب، حيث يشكلان أسرة نووية؛ وغالبا ما يستعمل مفهوم العلاقة الزوجية في مختلف الدراسات والمراجع كترجمة لمفهوم "le couple" باللغة اللاتينية، وكل يترجم هذا اللفظ على أساس نظرته الخاصة لموضوع دراسته، حيث:

استعمل الخمار بوقرعة في مقاله الحامل لعنوان الزوجان والخطاب، مفهوم الزوجين كترجمة لمفهوم "couple" عوض مفهوم زوج، لما يوحي الاعتقاد أننا أمام الرّجل.[1]

أما الأستاذة شارب دليلة فتشير في رسالتها الموسومة بـ"الفضاء المنزلي والعمل" أنها قد استعملت مفهوم الأزواج كوحدة اجتماعية منفردة ومستقلة في تسيير شؤون الأسرة نظرا لتعذر وجود مصطلح الزوج بمعنى "couple"[2]

كما خصّصت بسمة بدران مفهوم "couple" مفهوم "الثنائي" في ترجمتها لكتاب Kauffman الموسوم بـ: "sociologie du couple"[3]

ولكن دراستنا الخاصة تستوجب علينا التمييز إجرائيا بين مفهوم الرابط الزوجي –أو العلاقة الزوجية- بمضمون "couple"، وما يتضمّنه مفهوم العلاقة الزواجية –أو الرابط الزواجي- في خضم الحياة الزواجية؛[4] على غرار ذلك فلقد خصّصنا للضرورة في التحليل، مفهوم الثنائي للدلالة على العلاقة بين الفتى والفتاة والتي بُنيت في مجال تعارف قبل الزواج.

وعليه، ارتأينا أن نوظّف هذا المفهوم للتعبير عن معنى العلاقة الزوجية وهي علاقة تتضمّن عدد زوجي بحكم العلاقة المزدوجة التي تربط بين شخصين اثنين مقترنين، الزوج والزوجة؛ ولو نتكلّم عن العنف الزوجي فنحن ضمن علاقة زوجية يكون أحد الطرفين مستقبلا للعنف من الطرف الآخر سواء الزوج أو الزوجة، قد يتوصّل العنف إلى حدّ المساس في وثاقهما الزواجي.

كما استعنّا في مضمون التحليل إلى مفهوم الرابط الزوجي المقارب لمفهوم "le couple" باللغة اللاتينية؛ وأهمّ ما يميّز مضمون الرابط الزوجي هي "العلاقة القائمة على عوامل التفاعل المترجمة إلى فن التعامل والتبادل والمساعدة المشتركة بينهما والتي تبني الهوية الشخصية في علاقة كل منهما بالآخر إذ كل زوج يتعلق بالآخر حيث يكوّنان الأنا الزوجية،[5] فتصبح علاقة وطيدة غير قابلة للإنفصال، مؤكّدا بيار بورديو ذلك مُشيرا أنّ "الزوجين يكوّنان وحدة أولية مشتركة يستحيل تقسيمها، إذا يهتدي كل واحد إلى نفسه في الآخر الذي يعترف به على أنه الآخر ذات نفسها... حتى حال الانصهار والتوحّد... حيث يمكن أن يتلاشى أحداهما في الأخر... مع الاعتراف المتبادل عن

---

1. الخمار بوقرعة، عنوان الزوجان والخطاب: نحو وضع إشكالي جديد لمفهوم الزوجين، مجلة أزواج وتساؤلات: سلسلة بإشراف عائشة بلعربي، نشر الفنك، 1992. ص.13

2. شارب مطاير دليلة، رسالة دكتوراه سبق ذكرها، ص.24.

3. كوفمان ج.ك.، تر: بسمة بدران، علم الاجتماع الثنائي، ط1، المؤسسة الجامعية، مصر،2001.

4. التمييز في المفهومين قد تطرقنا له في دراستنا الخاصة لمذكرة الماجستير الهادفة لمعرفة مضمون "le couple" في الأسرة الجزائرية. أنظر: قرطي فائزة، مذكرة ماجستير، تخصص علم الإجتماع العائلي، الزوجان والعلاقات الأسرية، إشراف: فسيان حسين، السنة الجامعية 2016/2015؛ أنظر كذلك: قرطي فائزة، السلطة والصراع في واقع الحياة الزواجية، مجلة الحوار الثقافي، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة مستغانم، العدد: شتاء رقم 11، 2017.

5 . De Singly François (2007), O.p. Cité, P.p. 90-91.

الثقة،[1] وهذا ما يختلف عن الرابط الزواجي العلاقة الزواجية "relation conjugale" إجرائيا، وهي العلاقة التي نشأت بين رجل وامرأة عن طريق الزواج، لهما شرعية إقامة علاقة جنسية بهدف الإنجاب، لا يكوّنان تصوّر مشترك لمضمون العلاقة الزوجية.

6. الحياة الزواجية

تشير الحياة الزواجية من الناحية الاجرائية إلى العلاقات التفاعلية الأسرية التي يصطدم بها الزوجان بعد عقد الاقتران والشعائر العرفية التي تثبت إقامة علاقة زواجية بين رجل وامرأة، فتتحدّد الأدوار والأوضاع، وتنشأ العلاقات التراتبية بين الزوجان وعلاقة كل زوج بأسرة القرين، حيث يتكوّن مضمون ثلاثي للحياة الزواجية؛ وعليه العنف ضمن الحياة الزواجية هو العنف الذي يمارس على أحد أطراف العلاقة الزوجية أو كلاهما بعد الزواج من طرف أعضاء العائلة وأثّر بالضرورة على الرابط الزوجي أين تعسّر على الزوجين عملية التواصل، من الممكن أن تأخذ إلى علاقة زوجية معنَّفة.

7. التواصل الزوجي

لا يمكن أن نتكلّم عن علاقة بين الزوجين بدون التطرّق لمفهوم التواصل، بهدف التوصّل إلى نمط العلاقة التي تجمع بينهما، وعليه حدّدنا مفهوم إجرائي لمفهوم التواصل، والذي يضمّ مفهوم الاتصال والحوار، والتوافق الزوجي، والعلاقات الحميمية والوجدانية، وكلّها تشجّع على الاقتراب بين الزوجين.

- **مفهوم التوافق الزوجي**

يعرف "جولدنسون" التوافق أنه الاستعداد للحياة الزوجية، والحب المتبادل، والإشباع الجنسي وتحمل مسؤوليات الحياة الزوجية، والقدرة على حل مشكلاتها، وتصميم كلا الزوجين على مواجهة المشكلات المادية والاجتماعية، والصحية، والحرص على دوام العلاقة الزوجية"[2]

- **المفهوم الاجرائي للعلاقة الحميمية**

العلاقة الحميمية تضمّ كل المشاعر الوجدانية من المحبة، والمودّة، والإخلاص، والاحترام المتبادل، بما فيها العلاقات الجنسية. وعليه نحدّد بعض المفاهيم المرتبطة بالعلاقة الحميمية والتي اعتبرها علي حساني من المفاهيم المهمّة التي تساعدنا على فهم الصراع والعنف؛ فإنّ المودّة والتي هي بالمفهوم اللاتيني "l'Affection" تعني الشعور بالارتباط لأشخاص نحبّهم، وهو حالة عاطفية، تضمّ الشعور بالحنان اتجاه الآخر؛ الحب "Aimer" ويعني إثبات المودّة، التمسّك بالآخر، الصداقة، وإثبات الشغف للآخر، وجود ميول نحوه وتشعر بالمتعة معه.[3]

إنّ العلاقة الزواجية كما تتضمّن علاقات التوافق، تتخلّلها توترات وصراعات وسلوكات عنيفة قد تولي إلى التفكّك الأسري، حيث لا وجود لأسرة مثالية.

8. العنف الزوجي

غالبا لمّا نتحدّث عن العنف الزوجي يتبادر لنا في الأذهان تفوّق الرّجل على المرأة أين تكون الزوجة هي ضحيّة عنف زوجي؛ وهذا النوع من العنف الأسري "الموجه ضد المرأة لم ينل من

[1] . بيار بورديو، الهيمنة الذكورية، ترجمة سليمان قعفراني، مراجعة ماهر تريمش، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحددة العربية، بيروت، 2009. ص.ص.164-165.

[2]. نادية حسن أبو سكينة، منال عبد الرحمن خضر، العلاقات والمشكلات الأسرية، دار الفكر، عمان، ط1، 2011. ص.148

[3]. Hassani Ali, Des mots pour comprendre le conflit et la violence, Dar El Gherb, Algérie, 2005. P .127

اهتمام علماء الاجتماع حتى عام 1970، وقد كانت البدايات مرتبطة بعيادات "العلاج النفسي" بعدما أن أشار الأطباء النفسانيون إلى تعرض النساء لكثير من أوجه الإساءة والعنف خاصة من قبل الذكور،[1] فتم الكشف عن وجود عنف أسري وخاصّة في غور العلاقة الزواجية أين بدأت البحوث العلمية والمنظمات العالمية الاهتمام بموضوع النساء المُعنَّفات؛ فعرّفت الجمعية العامة للولايات المتّحدة عام 1993 العنف الموجّه ضدّ النساء هو كل فعل عنيف ضدّ الجنس الأنثوي ويسبّب، أو يمكن أن يسبّب، ضرر أو آلام جسدية، جنسية، أو نفسية، زيادة على التهديد في بعض الأفعال، الضغوطات أو الحرمان التعسّفي للحريّة، سواء في الحياة الخاصة أو العامّة"[2] فإنّ العنف ضد المرأة "هو أي سلوك أو تصرف يقوم به الزوج عن غير عمد أو عن عمد من أجل السيطرة على زوجته وإخضاعها عن طريق انتهاج سوء المعاملة أو الإيذاء.[3]

ولكن لطالما كانت "أغلبية الأعمال العلمية التي بحثت حول العنف اعتبروا منذ زمن طويل أن العنف موجّه ضد النساء، وممارس من طرف الرجال، وطالما همّشت العنف ضدّ الرجال، منتقدين في هذا المجال وجود المرأة المرتكبة للعنف ومفهوم العنف الموجه ضد الرجال؛ ولكن قد أثبتت دراسات علمية على تواجد هذا النمط من العنف الزوجي، ومن البحوث التي اهتمت بالعنف الذي يعيشونه الرجال بوادرها انبعثت من ألمانيا على يد (Lenz، 2001) و(Forschungsverbun، 2004)، والتي تؤكّد أن الرجال يواجهون تجارب للعنف مضاعفة... ومراحل العنف تسير في سياقات خارج المجال الأسري... وكذلك ضمن العلاقة الزوجية أين المرأة تكون هي الفاعلة للعنف، وأثبتت أنّ الرجال يستقبلون كل أشكال العنف من طرف زوجاتهم، مع الهيمنة للعنف النفسي، وهذا الأخير يتجلى ضدّ الأزواج على شكل تصرفات مراقبة (الغيرة، منع بعض الاتصالات، مراقبة الاتصالات الهاتفية، أو الرسائل الالكترونية)، كما أن العنف النفسي يكون على شكل تهديدات، وإهانات، أما العنف الجسدي فعلى العكس يكون نادرا جدّا.[4]

وعليه، لمّا نتكلّم عن العنف الزوجي فنحن ضمن علاقة زوجية –رجل وامرأة- لا يمكن أن نركّز على زاوية واحدة، ونتغاضى عن العنف الممارس ضدّ الرجل من طرف المرأة؛ فالعنف الزوجي هو العنف الممارس في كلا الاتجاهين سواء أكان موجّه ضدّ الزوج بافتعال الزوجة، أو ضدّ هذه الأخيرة بفعل الزوج؛ وقد يكون العنف الزوجي محتدم الصراعات يأخد إلى تفكّك العلاقات الأسرية أين يكون وضع الأبناء محل تساءلات في علاقتهم بالأولياء.

9. التفكك الأسري

يعرف عاطف غيث التفكك الأسري على أنّه أي وَهَن أو سوء تكيّف وتوافق أو انحلال يصيب الروابط التي تربط الجماعة الأسرية كل مع الآخر، ولا يقتصر وَهَن هذه الروابط على ما يصيب العلاقة بين الرجل والمرأة بل قد يشمل أيضا علاقات الوالدين بأبنائهما.[5]

كما يعطي عبد الخالق محمد العفيفي تعريف شامل للتفكك الأسري يتضمّن ما يلي: "التفكك الأسري يعبّر عن بعض الحالات الموجودة ضمن الأسر، والتي تنعدم فيها الأهداف المشتركة بين الزوجين، ويسودها النزعة الفردية والأنانية لكل فرد فيها، ويسودها ضعف الاتصال والتفاعل بين أفرادها، وأيضا يسودها التناقض والاختلاف في الميول والاهتمامات بصورة تؤدي إلى وجود نزاع وشجار مستمر قد يصل إلى الاعتداء الجسدي... ويشمل التفكّك في تعارض الاتجاهات العاطفية بين

---

[1] . منير كرادشة، مرجع سبق ذكره، ص.23

[2]. Evelyne Josse, O.p. Cité, P.4

[3]. إيمان عبد الوهاب موسى، انعكاس الوضع الحالي على العلاقات الأسرية (العنف ضد الزوجة)، 2007. عن فوزية بلعجال، العنف الأسري ضد المرأة في المجتمع الجزائري، المجلة المغربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، سبق ذكرها، ص.93

[4]. Schar Moser Marianne, O.p. Cité, P..39

[5]. عبد الخالق محمد عفيفي، بناء الأسرة والمشكلات الأسرية المعاصرة، المكتب الجامعي الحديث، بورسعيد، 2011. ص.262

أفراد الأسرة الواحدة، ويسود العدوان بينهم أو النفور العاطفي والسطحية في العلاقات. كما قد يتجلّى في الأسر الغير مكتملة الأجزاء (مثلا هجر الزوج أو الزوجة) يعوق من تحقيق وظائفها وأهدافها.[1]

ونشير أنّ كلا التعريفين قريبين من الدراسة الخاصة في رسالتنا حول موضوع العنف، حيث ندرس العوامل التي تؤدّي إلى تفكّك الأسرة النووية وما يندرج عنها من آثار بعد الانفصال أو الطلاق.

- **مفهوم الانفصال الزوجي والطلاق**

إنّ الطلاق لغويا هو اسم مرتبط بفعل: "طَلّق" و"طُلّقت"، المرأة من زوجها فهي "طالِق"؛[2] أمّا الانفصال لغويا جاء من فعل "فصل" بمعنى: فرَّق، قطع، قضى، سرّح، صرّف، أوقف، أبعد؛ وانفصل هو ضدّ "اتّصل"[3]

إنّ الانفصال غالبا ما يتم توظيفه في القراءات الأدبية على أساس مفهوم الطلاق وفض الرابط الذي يجمع بين الزوجين، ولكن في دراستنا الانفصال من الممكن أن يتواجد في مختلف الحالات بمختلف المضامين، على خلاف مفهوم الطلاق.

الطلاق الذي يناسب دراستنا هو على الأرجح يدلّ على فض الرابطة الزواجية بحكم فسخ عقد الزواج الذي يجمع بين الزوجين قانونيا؛ كما تمّ التعقيب عليه في منظور "التطليق" الذي يتمّ إصداره بقرار من المحكمة القضائية بطلب من الزوجة؛ أو الخلع وهو قرار صادر من المرأة لفض علاقتها بالزوج.[4]

أمّا الانفصال فيشمل مضامين مختلف على حسب الحالات الواردة في سياق تحليلنا للموضوع، حيث يكون مرتبط بالطلاق الروحي أو الانفصال الوجداني، في حالة ضعف التواصل الزوجي، ومن الممكن أن يفصل الزوج علاقته بالزوجة في حالة تعدّد الزوجات بدون فعل الطلاق؛ ويكون الانفصال غالبا أسبق من اتخاذ أي نوع من أنواع الطلاق القانوني.

10. العنف ضدّ الأبناء أو عنف الأصول ضدّ الفروع

أوّل ظاهرة عنف حضيت بالاهتمام هي ظاهرة العنف الممارس نحو الابناء من طرف أحد الأصول –الأب أو الأم- أو كليهما، فإنّ "إساءة المعاملة للأطفال وإهمالهم هو من العنف الأول تاريخيا في المجال العائلي... إلى غاية نصف القرن 19"،[5] وكان "مجال الطب هو أول من لفت النظر للعنف ضد الأطفال... ففي سنة 1860 تمكن أستاذ الطب الشرعي في باريس Ambroise Tardieu من وصف الأعراض التي مرت عليه بأنها ممارسات تَنِمُّ عن سوء معاملة الوالدين لأبنائهم، وتبين ذلك من خلال الكشف عن 32 طفلا ضربوا أو حرقوا حتى الموت. كما قام Athol من لندن بدراسة حالات كسر العظام المتكررة لدى الأطفال وتوصل إلى نتيجة وهي أنها تعود لسوء معاملة الأبناء.[6]

"وفي عام 1962 دفع الطبيب سير هنري بمقاله المشهور بعنوان "متلازمة الطفل المبرح ضربا" للنشر والتي ساعدت على لفت انتباه المجتمعات الإنسانية إلى مشكلة العنف ضد الأطفال، ومدى الأضرار الجسدية التي يمكن أن تلحقه مثل هذه الممارسات من آثار مدمرة على أبدان الفرد وعلى تكوينهم النفسي.[7]

---

1 . عبد الخالق محمد عفيفي، نفس المرجع، ص.ص.263-264

2 . فؤاد إفرام البستاني، منجد الطلاب، ط.23، دار دمشق، بيروت، د.ت.

3 . منجد الطلاب، نفس المرجع.

4 . أنظر: قانون الأسرة الجزائري، رقم 84-11 المؤرخ في 9 يونيو 1984، المعدل والمتمم بالأمر رقم 05-02 المؤرخ في 27 فبراير 2005.

5. May Clarkson, O.p. Cité, P12.

6 . نورة ناصر المريخي، مرجع سبق ذكره، ص.19

7. منير كرادشة، مرجع سبق ذكره، ص.23

وفي دراستنا هذه نهتم بالبحث عن العوامل التي تؤدّي إلى سوء معاملة الفروع –الأبناء أو الأحفاد- في سياق أسري مليئ بالتعنيف والصخب وسوء العلاقات بين أفراد العائلة الواحدة أين نكشف عن الآثار التي تخلفها الظروف الأسرية والعائلية عامة على الابناء في مرحلة الصبى أو مرحلة الرشد.

II. مقاربات نظرية حول ظاهرة العنف

العنف ظاهرة اجتماعية اهتمّ بها عدّة متخصّصين في عدّة مجالات، حاولوا الوصول إلى تفسيرات دقيقة لمفهوم العنف ومدى ارتباطه بسلوكيات الفرد والجماعة، وبحثوا عن بوادره في غمار العلاقات الأسرية؛ وعليه ندرج أهمّ المقاربات والنظريات التي تقودنا إلى توسيع الرّؤى حول موضوع العنف، وتُوَجّهنا إلى فهم آليات توليد الممارسات العنيفة في المجال الأسري المختلفة المظاهر والأشكال، مع الإشارة أنّ "كل النظريات التي تبحث عن عوامل العنف وأسبابه هي ليست منفصلة تماما عن بعضها البعض، فعلى العكس يوجد مخطط مشترك فيما بينها مع وجود تداخل في مختلف الطرق والمناهج، أغلبيتها ترمي إلى متغيرات تكون مفتاح تفسيري للعنف والصراع والقلق، والسلطة والأبوية.[1]

1. نظرية الصراع

نظرية الصراع لها علاقة وثيقة بالمشاكل والنزاعات والتوترات التي تتولّد في علاقات التفاعل تُحدث اضطرابات في البناء الأسري يكون أساسها علاقات شجار؛ ويعتبر برجس W.Bergess ولوك J.Locke أنّ الشجار ما هو إلاّ شكلا من الصراع.. يمكن تصنيفه في فئتين: الشجار المدمر والشجار البناء. فالشجارات الهدامة هي تلك التي تتركز على تجريح ذات الطرف الآخر. وتميل إلى تدمير الصور والخيال التي يعيش بهما الإنسان. أما المشاجرات البنائية، فهي التي تدور حول مواضيع ومشاكل تتضمن: إعادة تحديد المواقف وتفسيرها. وتخفيف التوترات الانفعالية وإعادة بناء التوقعات.. كما تؤدي عادة إلى كشف قوة العلاقات الكامنة بين أعضاء الأسرة المتشاجرين، حيث يكون الصراع في حدود معينة كعملية ملائمة لمواجهة المشاكل وإيجاد حلول لها.[2]

والصراع الأسري ينشأ ضمن علاقة تراتبية بين جيلين متعاقبين أو بين الجنسين، وتختلف في شدّتها وحدّتها، وتتضمن علاقات القوّة والسلطة والتي تعتبر من المفاهيم الأساسية لنظرية الصراع، فـ"القوة تعني إمكانية قيام فاعل معين بتنفيذ إرادته بغض النظر عن عناصر المقاومة والمعارضة... والسلطة هي القوة الشرعية... وهي مرتبطة بالأدوار الاجتماعية... فإما أن يحتل الأفراد مراكز مسيطرة ومتحكمة أو أن يكونوا خاضعين وتابعين للآخرين. وهذا مصدر أساسي من مصادر الصراع الاجتماعي،[3] ويوضّح أكثر محمد نبيل جامع أنّ الصراع ليس فقط علاقة تدرجيّة بين الأجيال، بل يتوسّط علاقة تدرّجية في النفوذ،[4] وما يملكه الفرد من عوامل مادية وسيكولوجية وثقافية تتدخّل في رمزية العلاقات الأسرية.

1.1. نظرية التبادل والصراع

إنّ العلاقات التفاعلية الأسرية تتضمن علاقات تبادل أو علاقات صراع وهي أساس العلاقات الأسرية قد تؤدي إلى توطيد الروابط أو تفككها أو تقلّصها؛ وعلاقة التبادل قد تكون علاقة مادية أو عاطفية يشعر الطرفان بالارتياح في علاقة التفاعل المتساوية، حيث أنّ كل صلة اجتماعية يعرّفها

1. voir : Schar Moser Marianne, O.p. Cité, P.11
2. محمود حسن، الأسرة ومشكلاتها، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1981. ص.ص.288-289
3. محمد عودة، مرجع سبق ذكره، ص.107
4. أنظر: محمد نبيل جامع، مرجع سبق ذكره، ص.ص.181،180

"M.Mauss" بكونها عقدا تبادليا... فلا يمكننا أن نعطي دون أن نأخذ والعكس بالعكس.[1] والعلاقات الوجدانية وما يتضمنها من عواطف هي من أهمّ ما يسعى إليه الفرد في تحقيقه في علاقات التبادل الأسرية المترجمة في المكافآت المعنوية، التعاون والتآزر، الحب والتقدير والاحترام؛ وهذه العلاقات تولّد الارتباط الموفّق، ما سمّاه "هومانز" بـ"قانون الاتفاق"، أما العلاقات الغير متكافئة فتولّد قانون اللامساواة تؤدي إلى الصراع.[2]

وتشير نظرية التبادل أنّ "العنف لا يحدث نتيجة لعمليات تبادل القوة أو الأثر المُؤذي فحسب، وإنما ينشأ نتيجة لوجود خلل... يحدث عندما تكون المنافع أو الفوائد المترتبة على سلوك معين أقل من الكلفة أو الخدمة، وفي مثل هذه الحالات يجد الناس أنفسهم في مواقف ضاغطة ومحبطة تنعدم فيها البدائل أمامهم، عند ذلك يفشل التبادل ويظهر التوتر ويصبح الصراع هو البديل المحتمل أمامهم،[3] والذي من الممكن أن يقود إلى ممارسات عنيفة تدخل في نطاق التبادلي بين أفعال معاكسة، خاصّة لّما العنف يكون لفظي أين تتراشق أطراف العلاقة التفاعلية بالألفاظ النابية، حيث تؤكد هذه النظرية على أنه "إذا قام شخص ما بسلوك عدواني ضد شخص آخر فلا بد أن تكون النتيجة سلوكا عدوانيا مماثلا... فالسلوك المعتاد هو استجابة للعنف الذي تمارسه مؤسسات المجتمع ضد الفرد المتجسد في الجزاءات والضوابط،[4] وهذه الاستجابة ناتجة عن توترات كامنة تتخلّل الفرد تثير دافعية ممارسة العنف ضدّ الآخر أو ضدّ الجماعة المُسيئة له.

ولكن من المجدي بنا أن نتوقّف لنشير إلى الاختلاف الوارد بين التوتر الفردي، والتوتر الذي يتخلّل العلاقات الأسرية، فأما الأوّل فهو التوتر الناجم عن ضغوطات نفسية يشعر بها الفرد بناءا على ظروف اجتماعية قاهرة تدفعه إلى الشعور بالمعاناة في علاقات التبادل، ولها دور في تجلّي التوترات العلائقية في مجال الصراع، وضمن هذا المجال يوجّه كل من برجس ولوك إلى التمييز بين الصراع والتوتر، ويريان أن الصراع بمثابة معارك تنشب في الأسر حول كل صور الخلافات، ولكن ينتهي الأطراف عادة على إيجاد حل لها، أو إنْهائِها ففضّ الخلاف؛ أما التوتّرات فهي صراعات يفشل الأطراف في حلها وقد تجد أسلوبا مباشرا للتعبير، وقد تكبت بتأثير قوة إنفعالية متراكمة.[5]

2.1. نظرية التنافس والصراع

التنافس والصراع، "هما عمليتان اجتماعيتان يختلفان في أوجه معينة ويتشابهان في أوجه أخرى حتى أنه يصعب القول أين ينتهي التنافس ليبدأ الصراع.[6]

التنافس هو كفاح شخصين أو أكثر لبلوغ هدف يكون نصب أعين الكلّ، ويكون هذا التنافس عن وعي أو بدون وعي، ولكن لا يتضمّن غرض تحطيم منافسيهم لهزيمتهم؛ أمّا الصراع فهو المحاولة المتعمدة للمعارضة والمقاومة أو كسر إرادة الآخرين؛ وكما في المواقف المتنافسة فإن الهدف يكون مرغوب فيه، ولكن لا يمكن للكل الحصول عليه أو المشاركة فيه، وبدلا من التنافس... فإن الأشخاص يوجهون كل جهودهم لإلحاق الهزيمة بمن ينافسهم أو بمن ينافسونهم على هذا الهدف. ففي حالة صراع يكون الفرد شاعرا بما يتصارع معهم، حيث ينقلب التنافس إلى صراع.[7] ومن الممكن أن

[1] . فيليب بلانشيه، التداولية: من أوستن إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع: سوريا، ط1، 2007. ص.91.
[2] . أنظر: محمد نبيل جامع، مرجع سبق ذكره، ص.188
[3] . أسماء جميل، العنف الاجتماعي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 2007. ص75. عن: أنس عباس غزوان، العنف الأسري ضد الأطفال وانعكاساته على الشخصية، مجلة جامعة بابل، العلوم الانسانية، المجلد 23، العدد 4: 15-2. ص.6
[4]. معن خليل عمر، نظريات معاصرة في علم الاجتماع، مؤسسة ترجمان، 2005. ص76. عن: أنس عباس غزوان، نفس المرجع السابق، ص.6
[5]. محمود حسن، مرجع سبق ذكره، ص.289
[6]. محمد مصطفى الشعبيني، علم الاجتماع: دراسات في علم الاجتماع، دار النهضة العربية، القاهرة، 1974. ص.56
[7]. محمد مصطفى الشعبيني، نفس المرجع، ص.ص.57-58

"تصل الصراعات إلى مستوى من العنف كبير أو صغير... وتأخذ شكل لعبة حصيلتها صفر، ما يربحه أحدهم يخسره الآخر، بل تكون أحيانا سلبية، حيث لا يوجد إلا الخاسرون"[1]

وأهمّ ما يميّز علاقات الصراع، قيام مناهضات ومقاومات تحت مبدأ التغيير في النسق الأسري سواء من منظور النظم القيمية أو من الناحية المرفولوجية للأسرة، أين تتضارب الذهنيات والمصالح باختلاف مكانة وأدوار الأجزاء المكوّنة للبنية الاجتماعية الأسرية حيث يمارس العنف في علاقات تأثير وتاثر؛ وعليه فإنّ العنف غالبا ما يكون مرتبط بمسرح صراع أسري سابق عن وجود عنف، كما قد يكون العنف هو الذي يقود إلى صراعات وشجارات يعجز أفراد العائلة عن إدارتها. وفي هذه العلاقة المتواترة المواقف يتوجّب علينا التمييز بين العنف والصراع كمفهوم، ومعرفة الصلة الواردة بينهما.

3.1. العلاقة بين مفهوم العنف ومفهوم الصراع

في دراستنا الخاصّة بالعنف الأسري كان لا بدّ لنا من الإشارة إلى العلاقة الواردة بين العنف والصراع، والاختلاف الوارد بينهما في مواقف اجتماعية مختلفة تتضمن صراع أسري، وهذا الأخير على حسب Kellerhals ليس بالضرورة أن يتخلّله مواقف العنف كما هو الحال بين مفهوم القلق والنوبة العصبية، فـ"ما يسمّى مُقلق والقلق لا يعني بالضرورة نوبة عصبية، وهذا لأنّه ما يتخلّل التوتر والنوبات العصبية نمط إدارة المشاكل، والذي يعمل على تجنّب المخاطر حيث يتم التكيف بليونة وبكفاءة مع المشاكل؛ وتجاهل هذه المشاكل سيؤدي إلى تكديس التوترات"[2].

وقد تميّز التباين بين الصراع "conflit " والعنف"violence "، في دراسة خاصة بالعنف ضدّ النساء بفرنسا، حيث أشارت أنّ الصراع هو ما يكون محاط من خلال نزاعات وشقاق لمختلف المسائل والمواضيع الخاصة حول (الحياة اليومية، المال، العمل، العلاقات، خروج من المنزل، أطفال، ومواضيع خاصة بالعلاقات الجنسية) وفي أغلب الأحيان هذه الشجارات تتجّه نحو الممارسات العنيفة على موضوع واحد من هذه المواضيع. وبما أنّ معظمهم يتشاجروا ولكن الأقلين منهم يعيشون مواقف العنف الزوجي... والتي تبرز في قلب السياق... ومع الإفراط في الموضوع، يتعكّر بالمقابل الجوّ العائلي... أين الخوف والاتهامات توجّه يوميا للأم والأبناء".[3]

وفي نفس المضمون يؤكّد Jean Marie Muller أنّ "العنف يبرز مباشرة كاضطراب في الصراع"[4] فيكون الصراع أسبق من أيّ شكل من أشكال العنف، وهذا الأخير يعتبر الوسيلة الأخيرة لممارسيه يريدون الوصول لمرادهم، وغالبا ما يتمّ الاستنجاد بالعنف بعد تشاجرات ونزاعات وتفاوضات محتدمة قد تؤدّي إلى العدائية، أين تختلف المعتقدات والاتجاهات والأفكار، وهذا الاختلاف يكون بناءا على "تجاربنا السابقة، وانتمائنا الاجتماعي والثقافي، وموقفنا اتجاه حالات عديدة من النزاع[5] وعليه يأخذ الصراع تفسيرات مختلفة، وله مرادفات متعدّدة: معركة lutte، خصومة وعداوة antagonisme، منافسة rivalité، تضارب الأفكار، شقاق désaccord، جدال وخلاف litige، مقاومة ومعارضة opposition، الأزمة والحرب crise et guerre. ويكون الصراع هو نتيجة قوى متعارضة، المتعلّقة بمختلف الاحتياجات والمصالح أو القيم.[6]

أمّا May Clarkson فيفرّق بين العنف ومفهوم الصراع، فيشير أنّ الصراع على حسب القاموس الفرنسي le Petit Robert أنّه: "مُصادفة مبادئ، ومشاعر مُناقضة ومُتعارضة"، ولكن ضمن العلاقات

---

[1]. جيل فيريول، تر: أنسام محمد الاسعد، معجم مصطلحات علم الاجتماع، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1، 2011. ص.56

[2]. Kellerhals Jean, Widmer Eric, Levy René, mesure et démesure du couple: cohésion, crise de résilience dans la vie des couples, payot § rivages, Paris. 2004. P.P.159-165

[3]. Revue de l'union nationale des associations familiale, Réalités: violences conjugales, N°90, 2010. P.16

[4]. Hassani ali, typologie des violences sociales en algerie, C.p.

[5]. Hassani Ali, des mots pour comprendre le conflit et la violence, O.p. Cité, P.18

[6]. Hassani Ali, des mots pour comprendre le conflit et la violence, C.p., P.18

الإنسانية وداخل الأسرة... فضّ الصراع يمكن أن يكون بلطف عن طريق الحوار، والتفاوض، والاحترام المتبادل. فإذن يمكن أن يكون الصراع داخل الأسرة أو خارجها بدون اللجوء إلى العنف؛ خلافا على ذلك العنف يمكن أن يستعمل كوسيلة للمراقبة، وبغياب أي نوع من الصراع في بعض الأحيان. ويوضّح Clarkson أكثر أنّ العنف داخل الأسرة يحمل ثقل انفعالي وعاطفي،[1] وعليه يمكننا على حدّ التعبير أنّه توجد علاقة متطاردة أو متعاقبة بين الصراع والعنف ضمن علاقات التفاعل الأسرية، والتي تأخذنا في سياق انفعالي إلى عنف ضمن البنية الأسرية.

2. النظرية البنائية الوظيفية

إن النسق الأسري يتضمّن "عنف بنيوي violence structurelle"، وهذا الأخير على حسب Elise Bouldingيُدعّم العنف السلوكي، يطبّق في الهياكل التنظيمية والمؤسساتية... فهذه الهياكل تحدّد عمليات التنشئة التي تحثّ الأفراد على العقاب أو الخضوع، وفقا لأدوارهم. وهذا المظهر من العنف يرسّخ قمّة العنف الجسدي، ثقافيا مقبول في المجتمع،[2] ضمن علاقات اجتماعية مبنية على التراتبية الهرمية.

والبنية الأسرية هي مؤسسة اجتماعية تتميّز بالهرمية بين الجيلين وبين الجنسين، حيث تتضمّن علاقات متفاوتة ومتباينة بين أجزائها، فهناك من يملك شرعية في ممارسة السلطة وإصدار الأوامر، ومن يلزم عليهم الامتثال إلى حدّ الانصياع والإذعان لهذه السلطة، وهذه الأخيرة "لا يمكن فصلها عن مفهوم القوّة، فكما يرى Ralf Dahrendorf أن للقوة وظيفة وأن قوتها تكمن في كونها مصدرا للشقاء والفرقة لأنها تولد تعارضا في المصالح وتوقعات الدور، فالقوة والسلطة مصدران أوليان للذين يمتلكونها، لهم مصلحة في الإبقاء على الوضع على ما هو عليه؛[3] وبناءا على ذلك "انتقد Dahrendorf نموذج تالكوت بارسونز -أحد علماء الوظيفية البنائية- الذي أشار أن الحياة الاجتماعية تشهد توازن اجتماعي وتبادل متكافئ وعلاقات وظيفية، بمعنى أنه ينظر إلى العالم على أنه عالم متوازن... وليس فيه أي مصدر للتغير من داخل المجتمع.[4]

إنّ هذا التوازن والاستقرار الذي يميّز الأسرة لا يستمرّ إلاّ من حيث الضبط الاجتماعي، قد يتوصّل أعضاء العائلة المحافظة على قيمهم ومعتقداتهم بفعل الضغط، والعقاب والجزاء؛ ولكن التغير حتمي ولا مفرّ منه، فـ"لما تتضارب المصالح الشخصية والجماعية تولي إلى طلب التغيير والدخول في صراع قد يكون كامن أو حاد. ولكن كما نوّه Lewiscoser حيث قال في كتابه وظائف الصراع الاجتماعي بأنه من الواجب علينا أن لا ننظر دائما للصراع على أنه شرّ بل علينا أن ننظر له على أنه ظاهرة ايجابية لها تأثير تكاملي مهم على الأنساق والنظم... بإدخال سلسلة من التعديلات[5] أين الأجزاء المكنونة للبنية الأسرية تواجه لمجابهة القيم الثقافية التي تتضارب مع اتجاهاتهم الفردية والتي يعتبرها أعضاء العائلة من الجيل الأوّل أنها نظم قيميّة سائدة وسرمدية غير قابلة للتعديل أو للتغيير، فـ"يعتبر رواد النظرية البنائية أن العنف يعكس واجهة المجتمع والثقافة التي من خلالها يترسّخ السلوك المعنّف. ولا يمكن دراسة الأفعال المعنِّفة بدون أخذ الاعتبار للسياق الثقافي... ربّما من المستحيل دراسة هذه الظاهرة بدون ربطها بالمعايير ونظام القيم المنسوبة لمجتمع ما[6].

كما ينوّه May Clarkson في نفس السياق أنّه قد يتجلّى "عنف شخصي" في علاقة القوّة، أين الضحية تكون سريعة التأثير. وهذه القابلية السريعة التأثير يمكنها أن تكون مرتبطة بخصائص سوسيوثقافية

---

[1]. May Clarkson, O.p. Cité, p.8.

[2]. May Clarkson, O.p. Cité, P.p. 10-11

[3]. صالح خليل الصقور، أثار التفكك الأسري على النظام الاجتماعي العام، دار زهران للنشر، الأردن، 2013. ص.26.

[4]. صالح خليل الصقور، نفس المرجع، ص.11.

[5]. صالح خليل الصقور، نفس المرجع، ص.11.

[6]. May Clarkson, O.p. Cité, P.11.

بمحاداة مع خصائص السنّ، والجنس، والحالة الصحيّة الجسدية، والنفسية،[1] مؤكّدة Elise Boulding أنّ العنف البنيوي... يجعل بعض الأفراد ضحايا سريعي التأثير بالمعاناة"[2]

ومن أهمّ ما يميّز النظرية البنائية الوظيفية أنّ أي ضرر يمسّ جزئ من الأجزاء المكوّنة للبنية الأسرية يؤثّر بالضرورة على الأجزاء الأخرى، حيث المعاناة الفردية تخلّف معاناة جماعية، "فإذا حدث اكتئاب لشخص في الأسرة يؤثر على سبيل المثال على جميع أفراد الأسرة ومن ثم يعتبر الاكتئاب مشكلة أسرية وليست فردية"،[3] وعلى سبيل الذكر فإنّ العنف الذي يتخلّل العلاقة الزوجية قد يمسّ أطراف الأسرة النووية أين يكون الأبناء ضحية عنف أسري.

3. النظرية التفاعلية الرمزية

إنّ النظرية التفاعلية الرمزية تدرس العنف على مستوى الرموز التي تتخلل علاقات التفاعل الأسرية، "تشمل جميع أشكال التواصل منها تقاسيم الوجه، التلويح لشخص ما، أو القيام بإيماءات ذات دلالات بذيئة،[4] فيكون اتصال على مستوى الرموز، ذات مضمون سلبي يعبّر عنها بسلوكيات عنيفة مترجمة في إشارات موحية بمعاني الحنق، الغيظ، عدم الرّضا، الضّجر، عدم قبول واقع معاش وغيرها من المواقف التي يستاء منها أفراد الأسرة. وبما أنّ "هذه النظرية تعتبر أن الرموز والكلمات والإشارة من مبادئها الأساسية، فإنّ العنف الموجه ضد الأفراد -كيفما كان شكله- سواء أكان العنف لفظيا أم جسديا يكون واحدا من تلك التعبيرات الأساسية للنظرية التفاعلية الرمزية[5] والتي تتوسّط علاقات التفاعل الأسرية.

كما أنّ الرموز التي تطفو ضمن العلاقات الأسرية والتي تعبّر عن وجود للعنف بشكل بارز، يمكن أن تكون مضمرة مرتبطة بتصوّرات رمزية تأخذ شكل "عنف رمزي" حيث نظم القيم والمعتقدات والمعايير الثقافية لها قيمة اجتماعية تولي الخضوع لها، وغالبا ما يكون هذا الخضوع قسري بفعل الضغط؛ على غرار بعض أعضاء العائلة الذين يملكون رمزية اجتماعية مقدّسة يتوجبّ الانصياع لهم والانحناء لتعليماتهم وأوامرها حتى ولو كانت هذه الأوامر ضدّ إرادة الفرد، أين لا وجود لمعنى الفرديّة، فهذا الأخيرة مجبر على الانصياع للعلاقات الهرمية الأسرية.

ولكن بالمقابل، ينوّه هذا الاتجاه موجّها نظرته على مضمون الفرديّة ضمن نمط العلاقات الأسرية في دراسة العنف، فيشير أنّه "كلما سادت قيم الفردية والأنانية والذاتية في الأسرة كلما قلت درجة التفاعل الأسري الإيجابي، مما يفضي إلى العديد من مظاهر العنف الأسري"[6] وغالبا ما تطغى هذه الذّاتية أو الرّوح الفردية بين الزوجين أين الضمير "أنا" يكون له رمزية أقوى من الضمير "نحن" والذي يعبّر عن التصوّر الزوجي الموحّد بمعنى "أنا وأنت وعلاقتنا معــا"[7]

وأهمّ ما يمسّ هذه الوحدة الثنائية، إسقاط تصوّرات رمزية سلبية حول القرين، حيث يتمّ تقييمه على حسب اتجاهاته ومعتقداته الاجتماعية، وهذا التقييم الرمزي على حسب E.Goffman "عندما يصل إلى الطرف الآخر المعني فإنه يقيِّم نفسه بموجب هذا التقييم الذي حصل عليه[8] حيث يكوّن صورة سيّئة حول ذاته قد تولي إلى أضرار نفسية.

4. مقاربة النوع الاجتماعي

---

1. May Clarkson, O.p. Cité, P.11.
2. May Clarkson, C.p., P.p.10-11
3. محمد نبيل جامع، مرجع سبق ذكره، ص.167.
4. أنتوني غدنز، مرجع سبق ذكره، ص76.
5. أنس عباس غزوان، مرجع سبق ذكره، ص.6.
6. علي اسماعيل عبد الرحمان، العنف الأسري: الأسباب والعلاج، مكتبة الأنجلو المصرية، دون تاريخ.
7. Voir : Centre d'Education à la famille et à l'Amour, Les clefs d'un couple qui dure, apprentissage de la vie à deux, CEFA asbl, mars 2008. P.2.
8. غني ناصر حسين القريشي، المداخل النظرية لعلم الاجتماع، دار الصفاء، عمان، ط1، 2011. ص.420.

دراسات علمية حديثة أكّدت على دمج الرؤية للنوع الاجتماعي في دراسة العنف، تبحث على معالجة وتفسير العنف بين الجنسين بوجهة نظر البناء الاجتماعي للنوع؛[1] ويقوم مفهوم النوع الاجتماعي أو الهوية الجندرية "gender" على التمييز بين الجنس البيولوجي للشخص –sex- وبين المستوى النفساني والاجتماعي والثقافي لهويته الجنسية البيولوجية تلك... وإنّ بعض الباحثين يترجمون مصطلح gender بـ"النوع الاجتماعي"، أو "النوع الجنسي"، أو "الجنوسة"... فلم يستقر في اللغة العربية على لفظ واحد ووحيد؛ ولكن الجندر تعريفا فهو الوجه الاجتماعي والثقافي للانتماء الجنسي البيولوجي.[2]

تفسّر Evelyne Josse مفهوم "جندر" بأنّه يشير إلى مبدأ النظام الاجتماعي؛ وينسب إلى خصائص الأفراد ضمن جماعة الانتماء وثقافتها وفقا لانتمائهم الجنسي، فكل مجتمع إلاّ ويحدّد القوانين الخاصة لأعضائه، أطفال وراشدين، بموجب انتمائهم الجنسي الأنثوي أو الذكوري؛[3] وبنفس المضمون تشير Béatrice Borghino إلى مفهوم النوع على أنّه يعود إلى مجموعة القوانين الضمنية أو المصرّحة التي تحكم العلاقات بين النساء والرجال،[4] وهي بمثابة علاقات هرمية تستدعي إلى العنف الزوجي، وهذا الأخير قد تَوجّه "التنظيم الخاص بالأمم المتحدة إلى تحديده بمفهوم العنف الجنوسي " les sexistes violences" بصفته "العنف الموجه ضدّ النساء" والذي يعني كل فعل عنيف مبني على أساس الانتماء للجنس الأنثوي.[5]

وتوجّهت المدرسة النسوية على أنّ هذا العنف نابع من بناء اجتماعي لنظام سوسيوثقافي، حيث أنّ التقاليد والمعايير والأيديولوجية الثقافية هي التي تؤسّس وتثبت العنف ضدّ المرأة؛[6] وهذا ما أكّدته دراسات من "عدّة باحثين من مختلف التخصصات (أنثروبولوجيون، إجتماعيون، اقتصاديون، ونفسانيون، ومتخصصين في القانون...) على أنّ العنف الممارس ضدّ النساء يشترك فيه نظام تاريخي منظم ومهيكل، من خلاله الرجال والنساء احتلوا فيه مكانات غير متساوية... حيث الهيمنة تكون قائمة على التحيّز الجنسي"[7] والتي تعمل العائلة على المحافظة عليها وصيانتها، حيث إذا ما حاولت الزوجة أن تتخطّى هذا التصوّر فقد تتعرّض للمجازفة أين تستقبل العنف من طرف الزوج أو من قبل أعضاء العائلة ككلّ باعتبارها انحرفت على المعايير الاجتماعية المطلوبة التي تضبط العلاقة بين الزوجين، ففي هذه الحالة يكون العنف على حسب Dobash وKlein وSchechter وسيلة تستعين به العائلة للتمسّك بنظامها المبني على التمييز الجنسي، في مجتمع يحمل تصوّر عنصري للجنس "sexiste société" تكون المرأة ضحيته. ويكون للرجّل تنشئة منظّمة تعمل عل تنمية قمّة العنف فيه... فالمجتمع له تأثير قويّ في تكوين رجل يتّخذ سلوك معنِّف ضدّ المرأة.[8]

وقد اتجهت اهتمامات علماء الاجتماع النسويين في مجال الاختلافات الثقافية بين الجنسين إلى إثبات أنّ العنف ضدّ الزوجة يتضمّن جوانب جوهرية تجعل المرأة مضطهدة في علاقتها بالزوج، وتشمل ثلاث محاور أساسية تتمثّل في: مسألة التقسيم البيتي للعمل؛ والقضايا المتعلقة بأنشطة الرعاية؛ وتوزيع القوة والسلطة المتفاوتة داخل العائلة وأساسا هي علاقة غير متكافئة بين الجنسين. وبناءا على ذلك فقد توصّل النسويون إلى استقصاء صحة الفرضية التي تعبّر عن "العائلة المتوازنة" التي تشمل فكرة المساواة والإنصاف في توزيع الأدوار والمسؤوليات بين أفرادها. مُشيرة إلى أن النساء

---

1. Schar Moser Marianne, O.p. Cité, P.41

2 . عزة شرار بيوض، الرجولة وتغير أحوال النساء،: دراسة ميدانية، المركز الثقافي العربي: بيروت-لبنان، ط1، 2007.

3 . Evelyne Josse, O.p. Cité, P.p.8-9

4. Borghino B., Genre et sexe : quelques éclaircissements, Le débat sur la légitimité du terme "genre" n'est pas récent, le 7 janvier 1999.

5. Revue de l'union nationale des associations familiale, Réalités: violences conjugales, C.p.,P.29

6. Fabienne Kuenzli-Monard, Déconstruction des idées reçues sur la violence : une alternative à la violence, Thérapie Familiale, Vol. 22, No 4, Genève, 2001. P. 404

7 . Revue de l'union nationale des associations familiale, Réalités: violences conjugales,C.p., P.29

8. Fabienne Kuenzli-Monard, C.p., P. 404

مازِلن يتحملن العبء الأكبر والمسؤولية الأساسية للمهمّات البيتية، ويتمتعن بوقت فراغ أقل مما ينال الرجال، وذلك رغم التزايد المظطرد في أعداد النساء اللواتي يُزاولن عملا مأجورا خارج المنزل.[1]

وتعطي Evelyne Josse أمثلة عامّة التي تحدّد وجود العنف الجندري والمتمثلة في: عملية الإجهاض... زواج مبكّر، التمييز بين الجنسين في نوعية الغذاء باستنكار المرأة... طلاق، منع التنقل بحرية، التمييز بين الجنسين في تلقي العلاج (عند بعض المدن المرأة لا تتلقى العلاج إلا بإذن الزوج أو أحد أفراد أسرة الذكر)... حرمانها من الملكية والميراث... فصل الطفل عن الأم وأسرة الزوج تولي الحضانة، منعها من حيازة المستندات الخاصة (الدفتر العائلي، بطاقة التعريف الوطنية، جواز السفر، بطاقة بنكية...)؛ وعامّة المرأة تعتبر فرد قاصر "mineure"[2] يمنع من حريته بصفة استبدادية.

وكل هذه التصنيفات الجندرية المذكورة والتي تثير العنف الجنوسي ما هي إلاّ منمطّات اجتماعية تنتقل عبر أجيال، "يكتسبها أفراد الأسرة من خلال عملية التنشئة الاجتماعية؛ وعليه من المهم أن نسطّر على أهمية الاكتساب الاجتماعي، وما يحتويه من مفهوم الاستبطان للمنمطات الخاصة بالأدوار والعلاقة بين الجنسين حيث أنّ اللجوء إلى العنف ضمن الأسرة ما هو إلاّ تعبير عن تأكيد تفوّق الرجّل وسلطته في المراقة الاجتماعية"[3]

5. نظرية الاكتساب الاجتماعي (التعلم الاجتماعي)

تبعا لهذه النظرية Bandura ميّز بين العوامل الاجتماعية والعوامل الفردية للعنف بحكم أنّ المحيط يلعب دور مهمّ في نشأة السلوك الفردي، حيث يفسّر العنف على أنه سلوك مكتسب، فالملاحظات والتقليد لهما الأثر البالغ في التحصيل للسلوك العنيف، وهذا ما يسمح بانتقال فكرة العنف من جيل إلى جيل.[4]

وأثبتت دراسات أنثروبولوجية أنّ العنف فعل مكتسب، منها دراسة Margaret Mead، التي أجريت في قبيلتين وضّحت من خلالهما الاختلاف في كيفية تربية الأبناء وتنشئتهم، حيث لاحظت أنّ قبيلة "أراباتش Arapesh" الذين يتميّزون بطبع هادئ ووديع، أبنائهم محبّين ذو طباع لطيفة، عكس قبيلة "الموندیجومور Mundigomor" الذين لديهم طباع خشنة وفظّة، أبناؤهم يتميّزون بالرعونة والعدوانية،[5] وهذا ما يؤكّد أنّ الطفل يتعلّم العدوان والعنف من البيئة التي ترعرع فيها، وعليه "العنف ليس سلوكا فطريا تدفعه الغرائز بل هو سلوك اجتماعي تدفع إلى ظهوره مجموعة من العوامل الموضوعية الكامنة في البيئة المحيطة بالفرد ومجموعة من العوامل الذاتية الفردية التي تتمثل في القدرات السيكولوجية والفروق النفسية للأفراد"[6]

وعليه فنظرية الاكتساب الاجتماعي تركّز على أنّ العنف موروث ثقافي مكتسب من المحيط الأسري، من أهمّ هذه المكتسبات الاجتماعية تتمثّل في تنميط العنف ضدّ النساء، فيعتبر العنف الجسدي ضدّ المرأة من البديهيات المستخفّ بها والمتساهل معها تدّي إلى تجاهل العنف الزوجي،[7] فيكون من الجوانب المكتسب اجتماعيا أين الهيمنة الذكورية يكون لها صدى واسع في البناء الاجتماعي العائلي. ولهذا يشير إيميل دوركايم أنّ "ظاهرة العنف ظاهرة موضوعية لها وجود خاص خارج شعور الأفراد اللذين يلاحظونها ويحسّون بها لأنها ليست من صنعهم بل من صنع البيئة التي يعيشون فيها، فهي التي علمتهم ودربتهم على استعمال القوة والعنف ضد النساء لحملهن على الرضوخ لإرادة الرجال، وظاهرة العنف التي يعتمدها الرجال ضد النساء ليست وليدة تفكيرهم الذاتي، بل أن تفكيرهم الذاتي

[1]. أنتوني غدنز، مرجع سبق ذكره، ص.261

[2]. Evelyne Josse, O.p. Cité, P. 10

[3]. Schar Moser Marianne, O.p. Cité, P.42

[4]. Rondeau Gilles, La violence familiale, O.p., Cité, P.12

[5]. Margaret Mead, mœurs et sexualité en Océanie 1935. Edit. Plon-pocket, 2004. P.p. 219-227

[6]. شادية علي قناوي، نحو تفسير آليات العنف في المجتمع المصري: رؤية سوسيولوجية، قسم علم الاجتماع، عين شمس وقطر.

[7]. Voir : Schar Moser Marianne, O.p. Cit., P.42

ينبع من طبيعة الظواهر الاجتماعية المحيطة بهم كالخصام والمنافسة والقهر،[1] وكلّها مميزات تعمل الأسرة على إرسائها عبر أجيال تولي إلى ممارسة العنف الزوجي، "مما يسمح بسهولة ضمن هذا السياق باستمرارية العنف مادامت الجماعة الأسرية محافظة على نفس الشروط، كنظام مغلق على نفسه؛ ولوضع حد لهذه الاستمرارية... ستحاول المرأة التخلص من العنف[2] من خلال رفض بعض المنمّطات الاجتماعية التي تخدم المصلحة الذكورية دون الأنثوية تجعلها في وضع الضحيّة.

إنّ الزوجة في مرحلة معيّنة ستقوم بإعادة النظر في مكانتها الأسرية التي تستدعي إعادة التساؤل في مجتمع أصبحت فيه امرأة لها مكانة قيّمة بجانب الرّجل، الأمر الذي يولي إلى ممارسة العنف بهدف تغيير المكتسبات الاجتماعية التقليدية، حيث "المرأة ليس بالضرورة أن تكون في موضع الضحية، فعلى العكس يمكنها أن تكون في مكانة عُليا، أو تمتلك مهارة في التفاعل الكلامي مقارنة مع زوجها. وهذه الوضعية الغير مقبولة في نظر الرجال والتي تسمح لهم باللجوء إلى العنف لإعادة تنظيم العلاقة المهيمنة من جهته والتي استبطنها في مساره التنشئوي. ودراسات MacLeod للنساء المعنّفات تؤكّد أنهن نساء تعتبر أنفسهنّ "أكثر فعالية من الرجال"[3]

وعليه فإنّ "نظرية الاكتساب الاجتماعي لها نظرة حول العنف الزوجي والذي يمكن أن يكون نتاج لعاملين هما: تصوّر ضيّق للأدوار الاجتماعية لكل من الرجل والمرأة، والذي هو مكتسب من محيط يعمل على إنماء الرغبة في الارتقاء وامتلاك السلطة والمراقبة؛ كما أنّ الفرص المحيلة للزوجين محدودة جدّا في إنماء القدرة الكلامية وإمكانيتهم في تأكيد ذاتهم. من خلال هذين العاملين المتداخلين سمح لـ Dutton بالتمييز بين الرجال الذين يسلكون المسلك العنيف، ومنهم من يعيش الصراع الزوجي ولا يلجأ إلى ممارسة العنف؛ فلابدّ أن نسلّط الضوء على كيفية توزيع السلطة ضمن العلاقة الزوجية، ومحاولة فهمها"[4] ودراسة العنف الزوجي من زاويتين أين يكون متبادل من طرف الزوجين في علاقة تأثير وتأثر، تكون السلطة محل تنافس وصراع وتناقض. وهذا الأخير ما هو إلاّ تناقض بين المكتسبات الاجتماعية المستبطنة من طرف، والرغبة في إعادة بناء هذه المكتسبات المرفوضة من طرف آخر أين ينشب العنف الأسري والزوجي على وجه الخصوص.

وأهمّ ما تتميّز به نظرية الاكتساب الاجتماعي في غور العنف الزوجي والعائلي عامّة، احتمال إثارة العنف لأجيال لاحقة وزرع بدرة العنف في الطفل أو المراهق، حيث "أثبتت دراسات ميدانية -في هذا السياق- أنّ التجارب التي مرّ بها الفرد في مرحلة الطفولة ضمن الأسرة الأصلية أين كانوا شاهدين على العنف بين الوالدين، تلعب دور كبير في تجلي العنف ضمن العلاقة الزوجية المستقبلية؛ وتمّ تفسير هذه الظاهرة التفاعلية بين الجيلين، بميكانزمات الاستبطان للنمط السلوكي العنيف[5] فليس من الضروري أن يكون التعلّم والاكتساب فعل مقصود لتوجيه أفراد الجماعة الأسرية الواحدة على ممارسة العنف ضدّ الآخر، حيث "أن معظم السلوك العدواني يتم تعلمه من خلال الملاحظة والتقليد.[6]

يوضّح لنا Schar Moser في هذا الصّدد أنّ الأسرة باعتبارها مجال إيكولوجي مليئ بالصراعات، يعيش الفرد ضمنه تجارب من سوء المعاملة والقسوة تعود عليه باضطرابات شخصية، ونفسية، تؤثّر

---

[1]. احسان محمد الحسن، علم الاجتماع العنف والإرهاب: دراسة تحليلية في الإرهاب والعنف السياسي والاجتماعي، دار وائل للنشر، الأردن، ط1، 2008. ص.157. عن مريوة حفيظة، العنف ضدّ النساء في المجتمع الجزائري وآثاره السلبية، المجلة المغربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، الملتقى الوطني حول: مظاهر العنف الاجتماعي وتداعياته المختلفة (يومي 09و2013/12/10)، دار الكنوز للانتاج والنشر والتوزيع، جامعة جيلالي ليابس: سيدي بلعباس، الجزائر، ع:9، جوان 2014. ص.75-76

[2]. May Clarkson, O.p. Cité, P.31

[3]. Rondeau Gilles, O.p. Cité, P.13

[4]. Rondeau Gilles, O.p. Cité, P.13

[5]. Schar Moser Marianne, O.p. Cité, P.p. 19-20

[6] . نورة ناصر المريخي، سارة ابراهيم المريخي، الإساءة والعنف ضد الطفل، المجلس الأعلى لشؤون الأسرة، دولية قطر، الطبعة الأولى، 2013. ص.26.

بالضرورة على مستوى العلاقات القرابية، بين الزوجين وعلاقتهما بالعائلة، ولكن ليس بصفة حصرية، فيستطرد في سياق المضمون أنّ دراسات أخرى تسطّر بالمقابل أنّ الأغلبية من الأفراد ضحايا العنف العائلي بصفة مباشرة أو غير مباشرة في مرحلة الطفولة لا تعيد إنتاج هذا النمط من السلوك،[1] فـ"يمكن أن يولّد العنف الزوجي طفل ضحية وفاعل للعنف في سنّ الرشد حيث يعاد إنتاج التصرفات العدوانية، كما يمكن للطفل ألاّ يتحوّل لراشد معنِّف للآخر، ولكن بعض الدراسات أشارت أنّ الرجال هم سريعي التأثر بالعنف الأسري مقارنة مع النساء سواء كان ضحية أو شاهدات للعنف.[2]

6. المقابة السلوكية "Ethologique"

إنّ المقاربة السلوكية تفسّر العنف على أساس دوافع غرائزية، وتوظّف مفهوم العدوان "Agression" والعدوانية "Agressivité" وتميّزهما عن مفهوم العنف باعتبار أن "العنف يضم فكرة التباين والاختلال أو الاضطراب، والتجاوز أو الخرق للنظام والقوانين والمعايير، والتي لا وجود لها عند الحيوان... والعدوانية هي نتيجة سلوكية تؤدي إلى إلحاق الضرر بالآخر... وهي كل استعداد للسيطرة على من نعتبره ندًّا لنا، هذه العدوانية يمكن أن تكون عَابِرة متمثّلة في نظرات ثاقبة بسيطة، وعند البعض تكون متعمَّدة كنتيجة سلوكية تؤدي إلى إلحاق الضرر بالشخص"[3]

ويوضّح "زلمان" الاختلاف القائم بين العنف والعدوان، فيعرّف هذا الأخير بأنه نشاط يسعى من خلاله الشخص أن يُحدث أذًى جسمانيا أو أَلَمًا فيزيقيا لشخص آخر... أو أنه سلوك يحاول أن يحقق هدفا معينا يتحدد في إيذاء شخص آخر؛ والعنف فهو السلوك البارز والظاهر لميل الإنسان للعدوان[4]

وغالبا ما يستعمل بعض المفكّرين مفهوم العدوان والعنف للإشارة إلى نفس المضمون، فأما Ferrari Pierre فيشير أنّ مفهوم العداونية يشبه مفهوم العنف، ويحمل معنى مزدوج... فمن جهة يُمارس على الموضوع سلطة بهدف الضغط عليه، وامتلاكه، ومن جهة أخرى يمارس العدوانية على الموضوع ويصبح أسيره، إزعاجه، إهانته، تدميره، إلى أن يصل إلى أوجّ أشكال العدوانية: إهدار الفرد إلى غاية نكران ذاته، والخضوع لسلطة الآخر."[5] وأمّا Madeleine Grawitz فتميّز بين العدائية والعدوان، فتشير إلى العدوان على أنّه فعل أو سلوك، في حين العدائية ميول لهذا السلوك. وتموّه على أنّ العدائية ميول للدفاع عن النفس أو تأكيد الذات باستعمال العنف[6] وهنا العنف والعدوان يحملان نفس المعنى فكلاهما يعبّران على قدوم الفرد لارتكاب العنف.

ويفرّق Pierre Benghozi، بين العنف والعدوانية من حيث مضمون الروابط والعلاقات الأسرية، فيشير أن "العنف هو الهجوم ضدّ الصلة أو الرابط "le lien" أما العدوانية فهي تقوم باستدعاء الآخر، حيث تثيره أو تحرّشه؛ إذ أنّ العدوانية تدوّن في العلاقة بالآخر "relation"؛ وعليه يميّز بين مفهوم الصلة والعلاقة باعتبار أنّهما مختلفين، فالصلّة تعني علاقات البنوّة والأبوّة، وروابط الانتماء لأي جماعة إجتماعية، وتعتبر واضحة مقارنة مع العلاقة التي هي علاقات صراع. فيعطي مثال موضّحا فيه ذلك: يمكن أن يكون غموض بين الأب وابنه من ناحية الصلة، ولكن يمكن أن يوجد صراع قويّ من ناحية العلاقة. حيث *الصراع العدواني العلائقي يستدعي العنف في الصلة إلى معاناة.*[7] كما أنّ الهجوم الذي يؤدّي إلى المساس في القوانين العرفية، وكأنه هجوم ضدّ الصلات.[8]

---

[1]. Voir : Schar Moser Marianne, O.p. Cité, P.p.12-20

[2]. Revue critique de littérature, L'impact de la violence conjugale sur les enfants, C.p., P.58

[3] . Goldberg Jacques, Violence animale, violence humaine, Pardès 2002/1 (N°32-33), P.p.187-196.

[4] . مدحت مطر، مرجع سبق ذكره، ص.ص.29-30

[5]. Yahyaoui Abdessalem, O.p. Cité, P.7

[6] . (Grawitz Madeleine, Lexique des sciences sociale, 6éd., Dalloz, Paris, 1994, P10.)، نقلا عن: حسان عربادي، مذكرة ماجستير، تخصص علم الاجتماع الثقافي، العنف ضد الأطفال في الوسط الأسري: دراسة ميدانية لعينة أفراد من أسر مقيمة ببلدية براقي، السنة الجامعية 2004/2005.ص44-45

[7] . Yahyaoui Abdessalem., O.p. Cité, P.p.15-20

[8]. Yahyaoui Abdessalem, C.p. P.p.26-27

والهجوم بدوره يأخذ أشكال متعدّدة في ممارسات عدوانية تنشب لعوامل وأسباب والتي حدّدها Goldberg من حيث مضمون المنافسات: على القوت، على الشريك، الرغبة في الاستيلاء على مجال والتمسك به، أو للوصول إلى مكانة والتثبت بها ضمن التدرج الاجتماعي، وهناك غالبا تعاقب بين العاملين الأخيرين –المجال والتدرج- حيث الهدف للتوصل إلى الدخول في مجال معين لابدّ أن يولي الرغبة إلى مكانة اجتماعية والبحث عن السيادة والسيطرة الاديولوجية، وهذا ما يستدعي إلى الممارسات العدوانية، على غرار مواقف الشعور بالخوف خاصّة من الغرباء، وكره الأجانب. وأقصى دراجات العدوانية تؤدي إلى القتل بفعل الغيرة، والصراع الأبوي.[1]

ويوضّح أكثر Goldberg ضمن نفس المضمون أنّ العدوان والعداء لا يبرزان دائما بهجومات مرئية واضحة، وغالبا ما نلاحظ سلسلة من الإشارات العدائية تدلّ على نيّة الشروع في الهجوم: التهديدات يمكن أن تكون حادة جدّا ومضمرة؛ ويمكن أن تكون واضحة وجليّة؛ التهديد والوعيد في أغلب الأحيان تكبح العدوان. في أغلب الأحيان بداية بروز التصرف العدواني يكون بإثارة بصرية (التحديق) فمثلا تثبيت النظر بصفة مباشرة كإشارات موحية للخضوع.[2]

7. المقاربة النفسية "Psychologique"، والتحليلية النفسية "psychanalyste"

نجد علماء النفس -أيضا بمضاهاة مع النظرية السلوكية- يميلون لاستعمال مصطلح العدوان بدلا من العنف، وذلك للدلالة على أنه غريزة تدخل في تكوين الإنسان، فترى أن "السلوك العنيف غريزة فطرية وسلوك فطري غير مكتسب تدفعه إليه عوامل في تكوينه الفسيولوجي،[3] وتعتبر أنّ أقصى درجات العدوانية تتجلى في نزعة القتل، حيث أنّ فرويد في مرجعه « Totem et Tabou » لا يتردّد في إثبات أنّ نزعة القتل موجودة عند كل إنسان في اللاوعي، وهذه النزعة أكبر قوّة مما نتوقّع، رغم أنّ القتل من المحرّمات، والممنوعات الأخلاقية... ويفسّر فرويد ويبرّر التناقض الموجود عند كل فرد بخصوص دوافع القتل... فالممنوع والمحرّم للقتل يُرفع عندما يتضمّن الموقف الحماية الأوّلية. أما الحماية الأخرى لا تتضمن فقط العدوانية كدافع، فأمام غريزة القتل يوجد كذلك دوافع البقاء... دوافع الحب؛ وهذه الدوافع مرتبطة فيما بينها... الحب مثلا يحتاج إلى نوع من الملكية العدوانية للموضوع وهذا ليؤمّن المراقبة.[4]

كما تقودنا هذه المقاربة لفهم العنف بما ينتابه الفرد من اضطرابات سيكولوجية تؤثّر في سلوكياته نحو ممارسات عدوانية، ويكون الإحباط هو العامل المحرّك للعدوان، فإنّ "العنف في المجال النفسي هو تعبير عن انفجار لقوة لا تخضع لسيطرة العقل، حيث تظهر على شكل سلوك عدواني ناتج عن حالة إحباط يكون متبوعا بالقسوة والعدوان والقهر والإكراه ويكون مشحونا بانفعالات الغضب، حيث يؤدي إلى إلحاق الضرر"[5]

ويميز Berkowitz Leonard بين الإحباط والانفعالات السلبية، مُعتبرا أنّ هذه الأخيرة تظهر عندما تكون في أجواء أو ظروف مقيتة، كأن نتعرض لهجوم أو ألم أو نكون غير مرتاحين للبيئة المحيطة بنا؛ وفي كلتا الحالتين يمكن أن يلجأ الفرد للعدوان حتى وإن كان الإحباط يعتبر العامل الأساسي المثير للعدوان،[6] فالشعور بالإحباط يدفع الفرد للسلوك العدواني.
يشير رواد نظرية الإحباط أنّ العدوان دافع غريزي داخلي لكن لا يتحرك بواسطة الغريزة كما بينت نظرية الغرائز، بل نتيجة تأثير عوامل خارجية. ويعرف Dollarde رائد هذه النظرية بأنه تلك الحالة التي تحدث عندما يكون هناك تدخل يحول دون تحقيق الهدف، وهو يرى أن الإحباط دالة لثلاث

[1] . Goldberg Jacques, Violence animale, violence humaine, Pardès 2002/1 (N°32-33), P.p.187-196.
[2] . Goldberg Jacques, C.p., P.p.187-196.
[3]. نورة ناصر المريخي، مرجع سبق ذكره، ص.26.
[4]. Yahyaoui Abdessalem O.p. Cité, P.8
[5]. مديحة عبارة وآخرون، العنف ضد المرأة دار الفجر، القاهرة، ط1، 2008، ص.19. عن مريوة حفيظة، العنف ضدّ النساء في المجتمع الجزائري وآثاره السلبية، المجلة المغربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، سبق ذكرها، ص.74.
[6]. منال محمد عباس، مرجع سبق ذكره، ص.73.

عوامل رئيسية هي درجة أهمية الهدف بالنسبة للفرد، شدة الرغبة في الاستجابة للإحباط، وعدد المرات التي تعاق فيها الجهود المبذولة من أجل تحقيق الهدف. كما أضاف Miller أن هناك استجابات أخرى للإحباط غير العنف كالانطواء والانسحاب والاكتئاب.[1]
وعليه توجّهنا نظرية الإحباط إلى توسيع الرّؤى نحو مختلف المواقف والظروف الأسرية التي تؤدّي إلى ممارسات عدوانية وتجلّي العنف، فإن هذا الأخير "هو محصلة مجموعة من العوامل المتعددة والمتشابكة يرجع بعضها إلى عوامل بيولوجية وبعضها الآخر إلى عوامل نفسية، كما يرجع بعضها الآخر إلى عوامل اجتماعية واقتصادية، ذلك أن السلوك العدواني ما هو إلا استجابة لموقف معينة ترتبط بالفرد بوصفه كائنا اجتماعيا يعيش في أوساط اجتماعية عديدة،[2] فإن الحقيقة التي لا تحمل شكا هي وجود الدافع العدواني لدى جميع الأفراد والذي يتشكّل في سلوك خارجي يتصف بالعنف نتيجة لتضافر عوامل داخلية تتعلق بحالة الفرد النفسية والعضوية وعوامل بيئية خارجية[3]

8. المقاربة الطبية "Etiologique"

إنّ هذه النظرية تهتم بدراسة الأسباب التي تؤدّي إلى الوهن الجسدي والنفسي للفرد، -فعلم الإطيولوجيا "étiologique" هو علم يختص باكتشاف أسباب الأمراض- وأثبتت هذه النظرية أنّ بعض الأمراض هي من علامات وجود عنف داخل الأسرة، أو فرد معرّض للعنف.[4]

وقد حدّدت وزارة الصحّة لـ "كيبك" Québec التفسير التالي للعنف... على أنه كل فعل مباشر أو غير مباشر موجّه لإلحاق الضّرر بالشخص أو لتدميره، سواء من الناحية الجسدية أو النفسية، أو من ناحية الممتلكات الخاصّة له، أو في مشاركته الرمزية؛ وتضيف اللجنة إلى هذا التعريف مصطلح الإهمال "négligence" والذي يعني التقصير في توفير الراحة والسعادة أو الرفاهية للفرد أو الشعور بالأمن.[5]
فيمكن القول عن الصحة أنها "حالة الكفاءة البدنية والنفسية والاجتماعية التامة، وليست مجرد الخلو من المرض أو العاهات"[6]

كما أعلنت بهذه الخصوص منظمة الصحة العالمية "العنف" كمشكلة صحية، نظرا لفداحة الآثار والإصابات الجسدية (العاهات الناتجة عنه) والنفسية (قلق توتر عدم شعور بالأمان) والاجتماعية التي يتركها على ضحاياه،[7] فيعدّ مفتعل للأمراض الجسدية، والاضطرابات السيكولوجية، حيث العنف في هذه الحالة "يعتبر مرض مزمن يقود إلى حياة مضطربة،[8] ويمسّ كل أطراف العلاقات الأسرية راشدا كان أو طفلا، حيث ينوّه –على سبيل الذكر- Moatti Daniel أنّ العنف يترتّب عليه تأخر في النمو السيكولوجي للطفل على غرار ما ينجم عنه من اضمحلال للقيم والمعايير الاجتماعية والتي هي أساسا من النتائج الواضحة لهذا "المرض" وتبرز بتهميش الفرد في قلب الإطار الاجتماعي. كما أنّ العنف الممارس على الطفل أو في مرحلة الصبا يمكن أن يقوده إلى ارتكاب أفعال عنيفة ضدّ النفس، ومن بينها "الانتحار"،[9] ومن الممكن أن يؤدّي إلى نفس الحالة بالنسبة للفرد الراشد.

وعليه فإنّ جل الاضطرابات التي يعيشها الفرد في حياته الاجتماعية والتي تؤثّر على صحتّه من الناحية الجسدية والنفسية ما هي إلاّ نتائج لمظاهر وأشكال مختلفة للعنف الممارسة عليه ضمن البنية الأسرية والتي تظهر في أغلب الأحيان على شكل سلوكيات عدوانية تولي إلى ممارسة العنف؛ وعليه

---

1. نورة ناصر المريخي، مرجع سبق ذكره، ص27.
2. صالح محمد العمري، العودة إلى الانحراف في ضوء العوامل الاجتماعية، رسالة ماجستير، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 1995. ص68. عن: أنس عباس غزوان، مرجع سبق ذكره، ص7.
3. شادية علي قناوي، مرجع سبق ذكره.
4. Evelyne Josse, O.p. Cité, P.31
5. May Clarkson, O.p. Cité, P11
6. طارق محمد، مشاكل بيئية وأسرية، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 2008. ص150.
7. منير كرادشة، مرجع سبق ذكره، ص107.
8. voir : Moatti Daniel, La communication par la violence. In: Communication et langages, n°123, 1er trimestre 2000. Document généré le 15/10/2015.
9. Moatti Daniel, c.p.

سنتطرّق بالتفصيل إلى دراسة العنف الأسري ومختلف مظاهره التي تتجلى كفعل أو رد فعل ضمن علاقات التفاعل الأسرية المعنَّفة.

III. مظاهر العنف الأسري

إنّ العلاقات الأسرية غالبا ما تتخلّلها توترات، شجارات، تطاحنات، وكلّها تعبّر عن صراع ضمن المجال الأسري، والتي من الممكن أن تقود أعضاء الجماعة الأسرية إلى ممارسات عنيفة، وعليه "الصراعات الأسرية كعملية تفاعل يمكن أن تكون حادة أو مزمنة. ويتميز الصراع الحاد بثورة مفاجئة، وعادة يأخذ شكل العنف... والأسرة التي تعيش في صراع دائم توصف بأنها في حالة حرب دائمة... ينقل الأسرة من موقف سيئ إلى أسوأ،[1] ومن عنف أسري أقل شدّة إلى أكثر حدّة تبعا لمظاهر العنف وأشكالها التي يستقبلها، أو يمارسها الفرد، في علاقته بالآخر والتي "تشمل الاحتداد والخصام، تبادل الألفاظ الجارحة، انفجار ثورات الغضب الجارف، توجيه التهديدات السافرة، قد تصل المشاجرة إلى ذروتها وتتمثل في استخدام العنف والإيذاء البدني.[2]

وعموما مظاهر العنف في المجال الأسري يوجد في وضعيات تفاعلية مختلفة يقوم الفرد أو العديد من الأفراد بالاعتداء على الآخرين وإلحاق الضّرر بهم بدرجات متفاوتة، سواء في السلامة الجسدية والنفسية، أو في الممتلكات، أو في مشاركاتهم الرمزية والثقافية؛[3] ويكون موجّه في بعده الأوسع بين أفراد العائلة، أو في بعده الميكروسوسيولوجي بين الزوجين أو بين الأصول والفروع.

1. مظاهر العنف الزوجي

من أهمّ مظاهر العنف الزوجي أين يكون كلا الطرفان محل تعنيف يتمثّل في مفهوم "النشوز" تبعا لما ذكر في الشريعة الإسلامية؛ فأما "نشوز الزوجة شرعا يقصد به: ترفعها على زوجها وتعاليها عليه؛ إما لحسبها أو لمالها أو لعملها أو لجمالها. أو لكراهية زوجها وانشغالها برجل أفسد علاقتها بزوجها،[4] كما يقصد به "العصيان والترفع عن الطاعة فيما فرض الله عليها من طاعته؛ وأمّا نشوز الزوج فهو تباعده عن زوجته وتجنبه لها، وترفع عن صحبتها أو تركه مضاجعتها والتقصير في نفقتها أو المشقه عليها بالتكاليف.[5]

ويستخلص Johnson في عام 1995 أن العنف الزوجي يتضمّن ظاهرتين تمس كلّ منهما: العنف الموضعي"La violence situationnelle"، والترويع الزوجي "Terrorisme conjugale"؛ فبالنسبة "للعنف الموضعي" يتجلّى من مواقف وأحداث يكون فيها اختلافات وصراعات في علاقات التفاعل الزوجية يمكن أن تولّد عنف ويكون عكسي متبادل قد ينجم عنه عنف خطير مع الوقت. ومع تطوّر الأحداث يؤدّي إلى "الترويع الزوجي" أين يتمّ في معظم الحالات الاستنجاد بالعنف وينبع من رغبة أو دوافع لممارسة مراقبة شاملة للشريك. وكلّما كانت المراقبة قويّة، كلما نتج عنف له وقع شديد؛ فيمكن أن يكون العنف الجسدي مرتبط بموقف ووضعية معيّنة لمراقبة ضعيفة ويسمى "العنف الموضعي". ويتحوّل إلى ترويع وعنف شديد عندما العنف الجسدي يرتبط بموقف مراقبة صارمة وقويّة.[6]

---

[1] . محمود حسن، مرجع سبق ذكره، ص.ص.290-291

[2]. محمود حسن، مرجع سبق ذكره، ص.ص.290-291

[3]. Hassani Ali, Typologie des violences sociales en Algérie, C.p., 2017.

[4]. عبد الرحمان الصابوني، أحكام الطلاق في الفقه الإسلامي، دار القلم، 1978. ص.252. عن: عبد الخالق محمد عفيفي، بناء الأسرة والمشكلات الأسرية المعاصرة، المكتب الجامعي الحديث، بورسعيد، 2011. ص.242.

[5]. عبد الخالق محمد عفيفي، نفس المرجع السابق، 2011. ص.244

[6]. Denis laroche, condition de vie : Prévalence et conséquence de la violence conjugale envers les hommes et les femmes, Institut de la statistique, Québec, Juillet 2005. P.p.19-20

ومن بين مواقف المراقبة التي صنّفها Denis laroche تمسّ كلا الطرفان، تتمثّل في:[1] "هو (هي) يحاول الحدّ من علاقات الشريك العائلية أو الصداقية؛ هو (هي) يقلل من شأنها ويستخفّ بها، مع توجيه كلام جارح؛ هو (هي) غيور بدرجة قويّة ويمنع بالتحدث مع رجال/نساء آخرين؛ هو (هي) يحاول بإلزام معرفة مع من تتحدّث وفي كل وقت؛ يقوم (تقوم) بالإهانة أو التهديد وإلحاق الضرر بأحد أفراد أسرتها؛ يحاول (تحاول) تدمير ثروتها وممتلكاتها الخاصّة.

كما يبرز العنف المتبادل بين الزوجين أين أحد أطراف العلاقة الزوجية له دافع الاستحواذ على السلطة، واتخاذ القرارات الفردية، حيث يحدّد Daniel Welzer Lang العنف الزوجي على أنّه "الاستعمال الكاسح والمهدّم للسلطة، عبرها الشخص يفرض على الآخر نظرته للحياة، يضغط عليه للتنازل عن كل الأفكار والرغبات ومعارضا لخصائصه ويمنعه أن يكون هو-بالذات"[2] فيعمل كل طرف ضمن العلاقة الزوجية على تعديل الآخر، على حسب Bernard lahire حيث يدخل الزوجان إلى تنشئة أسرية متأخّرة[3] أين يستقبل الزوجان مختلف مظاهر العنف في ردود أفعال مناوئة.

ويمكن أن يأخذ العنف شكل مباشر أو غير مباشر. المركز العالمي لستوية الصراعات، يشير أنّ العنف المباشر هو العنف الجسدي منه واللفظي، له جانب بارز، جذوره تمتد من عنف بنيوي والذي يمثّل الجانب الخفيّ وهو العنف الغير مباشر؛[4] ويوضّح Laurent Mucchielli أكثر أنّ مظاهر العنف البارزة، والمباشرة، تتمثل في العنف الجسدي واللفظي واكذلك لنفسي حيث أنّه، "وراء كلمة "عنف" نجد مزيج من أشياء مختلفة، نظرات ثاقبة.. شجارات.. إلى حد الاغتصاب والقتل... فكلمة عنف ليس لها معنى إلاّ بالتمييز جيّدا في الواقع وكشف ما تحمله الإساءة وما يتعرّض له الجسد من خوف وابتزاز وتهديد.[5]

أ. العنف الجسدي

العنف الجسدي على حسب May Clarkson يكون معمّد -ليس حادث– لإلحاق آلام أو جروح، إهمال جسدي، وحرمان الآخر من القوت؛[6] ويضيف Gelles وStrauss مؤكّدَين أنّ العنف الجسدي بأنّه فعل مقصود... يسبّب قُرحة أو إصابة جسدية للآخر، يضمّ مجموعة واسعة من الأشكال تمتد من الخفيفة إلى الأكثر خطورة: التشدّد، الضغط، الدّفع، الصّفع، الضّرب... إلى غاية القتل.[7]

وتعرّف Evelyne Josse العنف الجسدي على أنّه كل فعل يُنتج ضرر جسدي، قد يكون معرّض للخطر"[8] ويأخذ أشكال متنوّعة تؤدّي إلى إصابات جسدية خطيرة منها "الضرب، الرفس، الصفعات، ضربات مرفوقة أو غير مرفوقة بأشياء، تهديد بسلاح، محاولة خنق الآخر أو قتله،[9] كما انه يأخذ أشكال تتمثل في: جروح، حروق أو اعتداء جنسي. وينتج عنه ورم دموي، كسور، نزيف دموي، ثقب في طبلة الأذن. كما يمكن أن يمارس العنف على المرأة الحامل وقد تتعرض لإسقاط الحمل أو الإجهاض.[10] ويتضمن مختلف أشكال سوء المعاملة الجسدية من الضرب أو الصفع، هزّ شخص بقوّة، الضرب بأشياء، الاختناق، الحرق، الرّفس، التهديد بالسكين.[11]

1. Denis laroche, C.p., P.p.19
2. Bouzid Baa Saliha, C.p., P.8
3. Voir: Martin segalin, sociologie de la famille,6ème Ed : Armand colin,2008.
4. Hassani Ali, Typologie des violences sociales en Algérie, C.p.
5. Laurent Mucchielli, Pour comprendre la violence, 2001. P.p.3-4
6. May Clarkson, O.p. Cité, P.11
7. Rondeau Gilles, O.p. Cité, P.6
8. Evelyne Josse, O.p. Cité, P.p.8-9
9. Revue de l'union nationale des associations familiale, Réalités: violences conjugales, C.p., P.p.5-16
10. May Clarkson, O.p. Cité, P.21.
11. Revue critique de littérature, L'impact de la violence conjugale sur les enfants, C.p., P.23

فيتّضح من مضمون تعريف العنف الجسدي أنّ العنف درجات ذروته القصوى تبلغ إلى ارتكاب فعل إجرامي متمثّل في القتل، وهذا الأخير من أخطر أشكال العنف الجسدي؛ وعامّة العنف الجسدي يعني "التوصّل إلى جسد الآخر، يهدف إلى إلحاق الضرر"،[1] ومن الأضرار التي يتعرّض لها الجسد مرتبطة بعنف جنسي من أشكاله الغنية عن التعريف "الاغتصاب". ويعتبر العنف الجنسي من أحد أشكال العنف الجسدي "لمحاولة الحصول على ممارسة جنسية بفعل الضغط، مفروضة من طرف الزوج بالقوّة، مع إفراط وإرهاق جنسي،[2] حيث يسبّب هالة من التوترات النفسية.

المتخصصين ينوّهون أنّ النساء هن ضحيات للعنف الجسدي بصفة أكبر مقارنة مع الرجال... فالرجال هم أكثر جسارة في ممارسة العنف الجسدي من النساء. ولمواجهة العنف الجسدي بعضهن يلجأن إلى رد فعل بنفس الشكل، والذي يولي إلى عنف أقوى منه من طرف الزوج، وهذا ما يؤدي إلى الدخول في دوامة من العنف بعد اللجوء لحل مشكلة العنف بالعنف؛[3] وغالبا ما يكون شكل العنف الجسدي المتعرّض له الزوج "صفعات" موجّهة من طرف الزوجة؛ ولكن نؤكّد أنّه "بينما "يميل الرجال إلى استخدام العنف الجسدي، تميل النساء إلى استعمال العنف اللفظي. وهذا الأخير وسيلة سريعة المفعول وتعمل على تفريغ الشحنات الزائدة لدى الفرد. تفريغ الغضب وحالة الاحتقان الموافقة للتوتر.. والعنف اللفظي الشديد المتراكم مؤشرا قويا على زيادة التوتر وبالتالي يشكل عاملا مساعد للتحول إلى العنف جسدي.[4]

ب. العنف اللفظي

"من أهم مظاهر العنف الذي يستقبله الفرد هو العنف اللفظي، ما يتبيّن في التهديدات والقذف أو الشتيمة، وغالبا ما تمسّ الرجال أكثر من النساء.[5]

يقول جون ميلر: "إذا ما أردنا تحديد العنف في كلمة واحدة، أعتقد أنه يتعين تحديدها فيما يلي: اغتصاب الآخر. ويمسّ الاغتصاب شخصيته وهويته. ولتحقيق ذلك ليس من الضروري استخدام سلاح ناري وتوجيه اللّطمات، فالكلام وحده يمكن أن يُهين الآخر"[6] والذي يمسّ الجانب النفسي للفرد، حيث الإهانات تعمل على تكسير صور الذّات[7] التي تولّد بدورها الشعور بعدم تقدير الذات، وهذا الأخير هو من العوامل السيكولوجية التي تؤدي إلى العدوانية حيث "يقوم الفرد بالتعبير عن تقدير الذات المهانة بسلوكات معنِّفة أو الانسياق نحو التهديد.[8]

ت. العنف النفسي

يشير المختصّين في هذا المجال أنّ كل من "العنف النفسي واللفضي –السابق الذكر- هما أكثر تدمير للشخصية مقارنة مع العنف الجسدي. وتعتبر جدّ مهلكة وتؤول إلى تدمير شيئا فشيئا إرادة النساء اللواتي عليهن الرضوخ لمقتضيات الرّجل صاحب السلطة.[9]

ومن بين أشكال العنف النفسي " العدوانية اللفظية، عدم تقدير الآخر وإذلاله وخزيه، ويحتوي كذلك العزلة، الغيرة المفرطة، مراقبة نشاطات الآخر، التهديد بتدمير ممتلكات الآخر، الإرهاق

---

[1]. Mansour Z. (2004), entre projet de départ et soumission : la souffrance de la femme battue, in : pensée plurielle, De Boeck Université, n°8,103-118. Pp.104-105. par: Bouzid Baa Saliha, C.p., .P10.

[2]. Evelyne Josse, O.p. Cité, P.9

[3] . Schar Moser Marianne, O.p. Cité, P.46

[4] . منير كرادشة، مرجع سبق ذكره، ص.69

[5]. Revue de l'union nationale des associations familiale, Réalités: violences conjugales, C.p., P.7

[6] . جون ماري ميلر، العنف والمقدس، دفاتر فلسفية ونصوص مختار 17. عن زيان محمد، مفهوم الرجولة ونزعة العنف ضد المرأة في الجزائر، المجلة المغربية للدراسات التاريخية والاجتماعية. سبق ذكرها، ص.159

[7] . Voir : Bouzid Baa Saliha, C.p., .P.10

[8] . Voir : D.Bouzid Baa Saliha, C.p., P.9

[9] . Bouzid Baa Saliha, C.p., P.10

العصبي والملاحقة والتجسّس؛[1] ويشمل كلّ أنواع الضغوطات التي من خلالها يتوصّل ممارس العنف إلى رغباته الخاصة، إلى أن "يخلق توترات غير محتملة لزوجته، بخلق جو من الخوف وعدم الأمان، محيط ملائم يدفع إلى بث الرعب في الآخر للرضوخ إلى مقتضياته" [2]

كما يضمّ العنف النفسي المفاهيم الآتية والتي "تشمل كل أنواع الإهمال والحرمان، والجروح الوجدانية، والقساوة، والاعتزال الغير مبرّر[3] والذي يخلق بعد المسافة مع الطرف الآخر وتجاهله من الناحية المعنوية والمادية؛ على غرار ما يتضمّنه العنف النفسي من: ابتزار، استفزاز (يحملق النّظر، التكلم عن نساء أخريات، ومقارنتهم بالقرين)، احتقار، قهر، تخويف وتهديد، إهانات، شتيمة، الخزي والإذلال، حط من قيمة الآخر، نبذ الآخر ، تنكيد العيش، والإرهاق العصبي، مراقبة تحركات الشريك (المراقبة الشّديدة)، إجبار على الخضوع بفعل الضغط، قيام بأعمال خارجة عن إرادة الفرد (مثلا الأشغال المنزلية)، احتجاز ومنع من الخروج، منع المرأة من إثبات ذاتها، اغتراب الشخص وتجاهله، مقاطعته، الامتناع عن الاتصال بالآخر، التمييز، السرقة، والحرمان بأشكاله المعنوية والمادّية (حرمانه من مصاريف المنزل، وتدمير ممتلكات الآخر)؛[4] وهذه الأخيرة هناك من يصنّفها كشكل من أشكال العنف المادّي أو الاقتصادي.

يعطي لنا Galtung حالات لوجود الحرمان في جملة قصيرة لها مضمون شامل، حيث يوضّح أنّ الحرمان يعتبره إلاّ مظهر من مظاهر منع سدّ الحاجيات الفردية والتي تفرز عدم الرضا. منها: حرمان الفرد من الضروريات المادّية الأساسية، وغالبا ما يكون نابعا من ظاهرة الفقر "La pauvreté"؛ والشكل الثاني يتمثّل في قمع رغبات الفرد؛ أما الشكل الثالث وهو الاغتراب، وحرمان الفرد من الضروريات الغير ماديّة (المعنوية)[5]

وتعطي Evelyne Josse تعريفا أدقّ وشامل لمضمون العنف النفسي موضّحا أنّه هو العنف الذي عندما لا يتمّ السّهر على توفير جوّ مريح وإيجابي، وارتكاب أفعال مضرّة للصحّة الذهنية والوجدانية للفرد؛ ويوضّح أكثر أنّ أهمّ ما يميّز العنف النفسي وأشكاله المرتبطة به والتي من المفروض أنّها مؤشّرات تثبت وجوده، إلاّ أنّه يصعب إدراكه وملاحظته... وذلك على إثر الشعور بالخجل لما تتلقاه الضحية من عنف أسري وخاصّة الزوجي منه.[6]

ويعتبر "العنف الرمزي" هو من أهمّ مظاهر العنف الذي يعجز الفرد على إدراكه حتّى من طرف مُستقبِليه، يطفو على العلاقات التفاعلية الأسرية، ويؤثّر على الفرد من الناحية النفسية بَعد أن يعي بمكانته ووضعه كشخص مقموع منتزع الشّخصية في علاقاته العائلية، تولّد دافعية التوجّه إلى سلوكيات مقاومة ومناهضة.[7]

ث. العنف الرمزي

يعطي لنا S. Medher، وMahfoud Achaibou فكرة عن السلوكات التي تتضمن العنف الرمزي والتي تتمثّل في الإيماءات والكلمات والاتجاهات، وهي غير محدودة ولا مفر منها وفي كل المجالات، تُشكّل عنف اجتماعي محض، وتتمثل في إزعاج الفرد وإحراجه، إضعافه وإنهاكه.[8]

---

1. Revue critique de littérature, L'impact de la violence conjugale sur les enfants, C.p., P.23
2 . Bouzid Baa Saliha, C.p., P.10
3. May Clarkson, O.p. Cité, P11
4. Voir : Revue de l'union nationale des associations familiale, Réalités: violences conjugales, C.p., P.p.5-16; Evelyne Josse, O.p. Cité, P.11
5. May Clarkson, , O.p. Cité, P.10
6. Evelyne Josse, C.p., P.11
7. أنظر: مصطفى حجازي، الإنسان المهدور: دراسة تحليلية نفسية اجتماعية، المركز الثقافي العربي، ط1، دون تاريخ؛ انظر كذلك:
Medhar Slimane, O.p. cit.,
8. Hassani Ali, Typologie des violences sociales en Algérie, C.p.,

وكما يقدّم Riadh Ben Rejeb شكل آخر من أشكال العنف الرمزي، والذي يكون مُضمر من خلال جسارة بعض الأفراد وحنكتهم في المراوغة والإقناع والتفاوض، تحول دون وقوع العنف مع وجود الحكمة، التفاوض والاتفاقية. ويعتقد Sorel أنّ هذه الحكمة ما هي إلاّ خداع ومكر لقوّة فردية أو جماعية تبحث عن تجنّب العنف"،[1] فعلى سبيل الذكر، الحوار من المفروض أنّ يكون "من استراتيجيات الفعل الغير العنيف يعتمد على قوة الكلام، ومحاولة إقناع الآخر. ولكن يمكن أن يؤدي قوة الكلام إلى جعل الضعيف العاجز الخضوع إلى القويّ الذي يتميّز بالخطاب الذكيّ وله الشرعية في الاستماع له.[2]

والعنف الرّمزي أساسا نجده عند Bourdieu مرتبط بالعنف البنيوي وهو شكل من أشكال العنف المولّد من طرف مؤسسات اجتماعية التي تمنع الفرد من تحقيق ذاته... ويمكن أن تتواجد من دون أن يلاحظها أحد. والعنف الرمزي يتموقع في مستوى أقرب من التفاعل الإنساني. مرتبط بمعايير وقيم الجماعة الاجتماعية... ويتواجد في مستوى الإيديولوجية... أين يكون المهيمن عليهم غير واعين أنهم تحت الهيمنة.[3]

إنّ البنية الأسرية وما تتضمّنه من قوانين عرفية ومعتقدات اجتماعية تعمل على ترسيخ نظامها من جيل إلى جيل، إلى أن يصبح "نظام عنيف بامتياز" والذي أشار إليه Vincent Belanger وآخرون أنه النظام الذي يدير نفسه بنفسه أين الأفراد استبطنوا معايير وقيم في علاقاتهم التفاعلية الأسرية؛ فسيكون عنف بنيوي بامتياز[4] حيث يكون الفرد تحت سيطرة رمزية بامتياز، لا يُبصرها في علاقته بالجماعة الأسرية التي يكوّن معهم العقل الجمعي، وهذا ما أشار إليه S.MEDHAR موضّحا أنّ تنشئة الفرد ضمن الجماعة تجعل منه تابع لها، لاجِم لرغباته فهو تحت تصرفها، وجوده مرتبط بها، ويعيش لأجلها كعضو منفِّذ؛ ولكن سرعان ما يشعر الفرد أنه قد خُدع بعدما يعي بوضعه ومكانته ضمن الجماعة الأسرية، فيخل بالنظام الاجتماعي ويحدث اضطرابات اجتماعية، فعلى حسب سليمان مظهار أنّ العنف الرمزي هو عنف اجتماعي خفيّ، يميّز المجتمع التقليدي، ويتحوّل إلى عنف جسدي كلّما أعيد النظر في الأثر الاجتماعي لهذا النوع من العنف.[5]

ويوضّح E.T.Goddet ضمن نفس السياق أنّ العلاقات الإنسانية ليست واضحة، لأنها نسجت من خلال التعارف، والتبادل والكلام. يسمح لكل فرد أن يشعر بأنه ينتمي إلى نفس المجال البشري والاعتراف بالآخر في نفس الوقت كشبيه له ومختلف عنه. عندما هذه العلاقات الرمزية تفقد معناها وتتشتّت، العنف الصغير يتجلّى. ويتّضح باللامبالاة، وإهمال الآخر، أو آخرين، مع عدم احترام معايير الأدب، والقوانين الاجتماعية. ولهذا يعتبر Goddet أنّ العنف الرمزي هو شكل من أشكال العنف الذي يدمّر العلاقات النفسية التي تتواجد بين البشر.[6]

في هذه المواقف الرمزية المعنَّفة يشعر الفرد بهدر الشخصية، وعدم التقدير للذات، إلى أن يعي بمكانته كفرد مضطهد، عاجز على التوصّل لطموحاته الخاصة، دائما تابع وخاضع لنظام اجتماعي صارم مفعم بالرمزيات الاجتماعية الباعثة لتعنيف الآخر بشكل ضاغِط، قد يصل الأمر إلى ممارسة العنف الجسدي لفرض التبعية والخضوع للمعتقدات الرمزية الثقافية، وهو الأمر الذي يولّد دافعية عند الفرد في توجيه رد فعل معاكس حيث يلجأ إلى ممارسة سلوكيات عدوانية اتجاه الشخص الذي قام بتعنيفه –أين يبرز العنف الفردي والذي سنوضحه ضمن نفس الفصل-

[1]. Yahyaoui Abdessalem O.p. Cité, P.190.

[2]. Hassani Ali, Des mots pour comprendre le conflit et la violence, C.p., P.130

[3]. Vincent Belanger, Arine Belenger-Vincent, Jean Michel Landry, repenser la violence : conversation avec Martin Hébert, Aspect sociologique, volume 14, n°1, avril 2007. P.P.10-9

[4]. Vincent Belanger, C.p., P. 15

[5] . Medhar Slimane, O.p. Cité.

[6]. Hassani Ali, Typologie des violences sociales en Algérie, C.p.

2. مظاهر العنف ضدّ الأبناء

إنّ الأبناء –من مرحلة الطفولة إلى غاية سنّ الرشد- يتعرّضون لمختلف أشكال العنف الفيزيقية والعاطفية من طرف الوالدين أو من أحد أفراد الأسرة، يكونوا ضحيّة علاقات عدائية، أو ضحيّة معتقدات ثقافية راسخة في الذهنيات، يتمّ السيطرة عليهم "عن طريق الضرب المقصود والعقاب البدني المبرح وغير المنظم، أو من خلال السخرية والإهانة المستمرة، أو من خلال إهمال رعايتهم وعدم توفير احتياجاتهم الصحية والجسمية والنفسية والاجتماعية الأساسية أو من جانب استغلالهم من طرف القائمين على رعايتهم وتكليفهم بأعمال فوق طاقتهم."[1] فعديدة هي أشكال العنف ضد الأبناء تشمل كل أنواع المعاملات القاسية والمسيئة لشخصهم كفرد اجتماعي، يتعرّض لـ"ضرر نفسي واجتماعي، وذلك من خلال ممارسة سلوك ضده يشكل تهديدا لصحته النفسية، يؤدي به إلى قصور في نمو الشخصية لديه واضطراب في علاقاته الاجتماعية بالآخرين؛ فيكون محروم من الحب والحنان، ومن التعليم، متعرّض للإهمال"[2]

أ. القساوة المفرطة اتجاه الأبناء: تشمل الإهمال والعنف جسدي والنفسي

غالبا ما يتعرّض الطفل أو المراهق في حالات إلى أشكال من القساوة بإفراط وسوء المعاملة التي تمسّه نفسيا، والتي تشمل "استخدام أدوات وأساليب بدنية (الألم الجسمي) أو التهديد به؛ ومن مظاهره الخشونة في التعامل مع الأبناء، عدم الابتسام في وجه الأطفال؛[3] على غرار الضرب المبرح وبدون أي مبرّر، غالبا ما يكون متبوع بالعنف لفظي يؤثر فيه نفسيا، وهذا الأخير كيفما كان شكله "من الصعب إثباته وتوثيقه وتسجيله حيث لا توجد علامات بدنية دالة عليه. كما الآثار قد لا تظهر بصورة مباشرة على الطفل وإنما يظهر أثرها بعد سنوات لاحقة... يتحوّل إلى شخصية متمردة، عدوانية، مخربة لممتلكات الغير، لا تشعر بالإنسانية نحو الآخرين.[4] وعليه نشير أنّ العنف النفسي عند الأطفال هو "كل تصرف أو فعل مؤذ نفسيا، يمس مشاعرهم، كالسخرية والتوبيخ والشتم، واللوم والترويع، الاحتقار والوصف بألفاظ بذيئة، وحتى الطرد من المنزل والحبس المنزلي.[5]

وكما يتضمّن العنف النفسي الممارس نحو الأبناء الحرمان المادي وما يقابله من حرمان معنوي أين يستغنيان الوالدين عن دورهما، الأمر الذي من الممكن أن يؤدّي بالأبناء إلى مسار منحرف حيث أنّ "الحرمان يمكن أن يقود إلى أنواع شتى من السلوك تبعا لـميللر Miller"[6] مع غياب الرقابة الاجتماعية التي تضبط رعونته وتردع تصرفاته السلبية، فيتعرّضون بصفة عامّة للإهمال.

فيشمل الإهمال "عدم الاهتمام بظروف مأكلهم وملبسهم وتمدرسهم... يبقى في الشارع لوقت طويل دون رفيق أو مراقب؛[7] ويتمثل في "ترك الطفل دون توجيه أو تشجيع أو محاسبة... والنتائج المترتبة عن هذا الأسلوب تتمثل في فقدان الإحساس بالمكانة، تكوين شخصية قلقة ومترددة، كما من السهل أن تخترق هذه الشخصية القانون ولا تَحترم حقوق الغير.[8]

ويعرف Friedrich وWheeler الإهمال على أنه الفشل في إمداد الطفل بالعاطفة والمساندة الضرورية لنمو الانفعالي والنفسي والاجتماعي، ويتضمن أي سلوك يأتي به الوالدين أو القائمين على رعاية الطفل ويتعارض مع الصحة النفسية له، أو يؤثّر على نموه النفسي والاجتماعي؛ وتشمل الألقاب التي

---

[1]. نورة ناصر المريخي، مرجع سبق ذكره، ص.23

[2]. أنس عباس غزوان، مرجع سبق ذكره، ص.10

[3]. نورة ناصر المريخي، نفس المرجع السابق، ص.81

[4]. نورة ناصر المريخي، نفس المرجع، ص.ص.62-81

[5]. عبد الحفيظ معشوشة، مرجع سبق ذكره، ص.7

[6]. أحمد أوزي، سيكولوجية العنف، منشورات مجلة علوم التربية، ط1، 2014. ص.90؛ عن: نجاة أحمد الزليطني، سيكولوجية العدوان والنظريات المفسرة له، المجلة الجامعية، العدد:16، المجلد الرابع، نوفمبر 2014. ص.169

[7]. عبد الحفيظ معشوشة، مرجع سبق ذكره، ص.7-8

[8]. نورة ناصر المريخي، مرجع سبق ذكره، ص.81

يوسم بها الأطفال كاستدعاء الطفل بأسماء مضحكة أو يقصد بها السخرية منه؛ وإلقاء المسؤولية على الطفل ولومه على مشكلات البالغين أو الحالة المالية لهم وتنمية إحساس الطفل بالخجل والذنب والمقارنات السلبية بالآخرين والاستخفاف بالطفل والتقليل من شانه.[1]

وقد تكون السخرية أبلغ أثر من الشتم وما يتقبله من عنف جسدي خاصة إذا كانت أمام الآخرين، فيفقد الطفل حينها ثقته بنفسه وبوالديه، فيصبح غاضبا مترددا مشككا في قدراته، الشيئ الذي يعوق تعلمه ونموه بشكل سليم، ويدخل في دوامة من الغضب والاكتئاب، ويزداد الأمر سوءا إذا تكرر مرات عديدة،[2] حيث تمسّ نرجسيّته فيصبح فردا مكسور الشخصية حثيث الانفعال يتميّز بالعدوانية، يثير سخطه ضدّ الفرد الذي يعتبره المسبب الأوّلي في إهدار شخصيته وتنكيد استقرار حياته.

ب. الحماية المفرطة والتدليل المفرط

إنّ الحماية المفرطة للأبناء وتدليلهم يعتبر من أشكال العنف الرمزي الموجّه لهم، يجعلهم دائما تابعين للآخر، لا يتطبّعوا على تحمل المسؤوليات. فيوضّح سليمان مظهار أنّ الحماية تعتبر عنف موجّه للأبناء، تتمّ "إلا في سيرورة هيمنة وخضوع والتي تدمر استقلاليته الفردية. ويصبح بالتالي ضعيف، حيث أنّ استمرارية حياته، قوته، إرضاء رغباته، دوره، مكانته وسيرورته الاجتماعية هي تابعة لكل من يحيط به... يكون تحت المراقبة الاجتماعية، على غرار ما يصدر من الجماعة الأسرية من تمثُّن تعمل على تذكيره دوما وباستمرار أن أمانه مرتبط بها وبتأكيد خضوعه وتقبله للنمط التقليدي.[3]

وعليه هذا الأسلوب من المعاملات ينتج شخصية خائفة، خاضعة معتمدة على الغير، شخصية يسهل استمالتها للفساد، شخصية غير مستقرة على حال، غير ناضجة، غير طموحة وترفض تحمل المسؤولية، وعلى غرار أسلوب التدليل والذي يعمل على تشجيع الطفل على أن يحقق جميع رغباته مع عدم توجيهه لتحمل أي مسؤوليات... وهذا الأسلوب يولد شخصية قلقة مترددة ومتخبطة، شخصية متسيبة ليست لها معايير وتفتقد ضوابط السلوك، فتتكوّن شخصية مُعتمِدة على الآخرين،[4] فهذه التربية الكثير الدلال تُنتج فرد مخيّب للأمل في علاقته الزوجية، لا يمكنه استوفاء مسؤولياته الأسرية وتأكيد دوره كزوج/زوجة وأب للأطفال حيث لم يتطبّع على تحمل المسؤوليات سواء الجماعية أو الذاتية؛ كما أنّ هذه الفئة من الأفراد ذوي الدّلال الفائق هم أفراد انتهازيين ولا يشعرون بالذّنب ويحمّلون مسؤولية أخطائهم على الآخرين، وغالبا ما تكون الزوجة والأبناء ضحية التنئشة الأسرية الغير سويّة.

فمن مختلف مظاهر العنف التي أوردناها سالفا، سواء الزوجية أو في علاقة الأولياء بالابناء نشير أنّه، رغم اختلاف وتعدد أشكال العنف التي تتهيّأ لنا أنها منفصلة فهي متداخلة؛ فمن المحتمل أن يمارس مرتكب الفعل العنيف، أو قد يتعرّض الفرد المستقبل له، لجميع مظاهر العنف النفسية والجسدية واللفظية، على غرار ما تتضمّنه رمزية العلاقات الأسرية من أشكال العنف المضمرة، وكلّها قد تؤثّر على الفرد من الناحية النفسية والجسدية أين يكون للعنف آثر في مراحل مسترسلة من حياة الفرد.

IV. آثار مظاهر العنف وآليات إنتاجها

إنّ العنف مسترسل بصفة متواصلة في سياق الصراع الأسري أين تتجمّع مختلف مظاهر العنف وأشكاله –التي فصّلنا فيها مسبّقا- فالعنف يتميّز بالاستمرارية "continuum de la violence"،

1. علي اسماعيل عبد الرحمان، مرجع سبق ذكره، ص.24
2. عبد الحفيظ معشوشة، مرجع سبق ذكره، 2013. ص.7
3 . Medhar Slimane, O.p. Cité, P.p.181-186.
4 . نورة ناصر المريخي، مرجع سبق ذكره، ص.80-81

وهذا المفهوم مهمّ جدّا لأنه يوضّح ما جاء به بورديو، بمفهوم "قابلية التحويل للعنف " convertibilité de la violence"، وهذا يعني أنّ وضعيات العنف يمكنها أن تتغيّر.[1]

ويفسّر Gelles وStrauss استمرارية العنف، على أنها تبدأ من تصرفات متقدّمة جدّ طفيفة لتصرفات أكثر خطورة[2] وهذا "سواءا للمرأة أو للرجل، وهذه الاستمرارية في العنف تتضمّن العنف الجسدي ونفسي ولفضي، وكل عنف مرتبط بموقف معيّن ودرجة توتّر معيّنة؛[3] وكما يشير Jean-Marie Muller، وMarabout في نفس السياق على أنّ العنف يمتدّ من عنف نفسي إلى عنف جسدي. من الإهانة إلى الامتهان، من التعذيب إلى القتل، فعديدة هي أشكال العنف وعديدة هي أشكال الكلمات.[4]

وقد لا حظنا في دراساتنا بوجود مضمون "الاستمرارية للعنف" بعد تفريغ المقابلات التي مرّت معنا، والتي تتضمن تكرار العبارات التالية: **"وَصلت نْطير في وجهه"؛ "نَوْصل نضربها"؛ "وصلنا للمتْعايْرة والدْباز"؛ "..خلاص وصلنا للطلاق"؛ "وصلت... قمت بالخلع"**. وكلّها عبارات تتخلّلها مفهوم "توصّلت" وهو مفهوم يوحي بوجود مواقف ووضعيات مختلفة للعنف والتي تصبح أكثر شدّة بعد مراحل متتابعة ومتداخلة تعمّها العدوانية والتي قد تؤدي إلى نتائج وخيمة في مرحلة يعجز فيها الزوجان عن إدارة الصراع، إلى أن تصبح حماية العلاقة الزوجية من الأمور الصعبة جدّا. والعنف الزوجي في هذه الحالة تفسّره Evelyne Josse على أنّه سياق تفاعلي، دينامي غير ثابت وعامّة تطوّري ، وغالبا العنف يبرز في المرحلة الأخيرة بعد صراع محتدم وتوترات وشحنات. فيبدأ العنف بشكل بسيط إلى أن يتّجه إلى نوبة عنيفة تفرز الإحساس بالاستياء والحنق فالعدوانية وممارسة العنف اتجاه الطرف الآخر. فالعنف هو متزايد، ويبدأ بـتشابك.[5] وعليه يعتبر "العنف في قلب العلاقة الزوجية تطوّري يمر عبر مراحل، أين يكون الرجل غالبا هو الممارس له، ويعبر عنه من خلال عنف جسدي، نفسي أو جنسي."[6]

إنّ مصطلح "الاستمرارية" للعنف أعيد استعماله من طرف العديد من المؤلّفين، واستخدم خصّيصا في إعادة توضيح العلاقات الواقعية بين العنف اللفظي والنفسي والجسدي؛ وقد توجّهوا إلى التنويه على أنّ مظاهر العنف هذه ولو أنها في النظرة الأولى تظهر مختلفة تماما وبكثافات متعدّدة، إلاّ أنّها ذو طبيعة متشابهة عندما ننظر إلى السياق الذي نتجت فيه. فكلّها تعبّر عن مضمون واحد وهو "العنف" وهذا الأخير هو الوسيلة المستعملة للتوصل إلى نفس النهاية: يضع المهاجم في مكانة مراقب ومهيمن، يقوم بممارسة العنف على الضحية، وإذا فشل في وسيلة سوف يتجرّأ للجوء إلى وسيلة "فعالة" تسمح له للتوصل إلى أهدافه حيث يعيد تنشيط سلطته على الآخر.[7]

ويؤكّد Mansour Z. ضمن نفس المضمون على أنّ المعنِّف يمارس مختلف أشكال العنف إلى غاية بلوغ هدفه في مراحل وخطوات متواترة فيقول أنّ "الرجل يلجأ إلى العنف الجسدي عندما محاولات الاستهزاء والتهديد أخفقت... فلا يستطيع بعدها ضبط النفس ومراقبة سلوكياته؛ فيمرّ إلى الوحشية في التوصّل إلى الجسد... وهو الشكل الذي يترك آثار واضحة[8] تمسّ سلامة المرأة الجسدية والنفسية، وهذه الأخيرة هي أشدّ وقعا من العنف الجسدي؛ حيث يوضّح MacLeod بعد دراسات متعدّدة حول العنف ومكانة المرأة، أنّ العنف النفسي يؤثّر على الفرد بشدّة، إلى حدّ التدمير، حيث أنّ الإهانات وفقد تقدير الذات المرتبطة بالعنف النفسي تترك أثارا لا تُمحى، مقارنة بالكسور والكدمات المرتبطة بالعنف الجسدي، تشفى وتختفي آثارها بمرور الوقت. ويسطّر كذلك أنّ التأثيرات الضّارة

---

1 . Vincent Belanger, C.p., P. 15
2. Rondeau Gilles, O.p. Cité, P.6
3. Welzer-Lang Daniel, « les hommes battus », Empan, 2009/1 (n°73). P.85
4. HASSANI Ali, Des mots pour comprendre le conflit et la violence, O.P. Cit., p.66
5. Voir : Evelyne Josse, O.p. Cité, P.16
6 . Revue de l'union nationale des associations familiale, Réalités: violences conjugales, C.p., P.5.
7. Rondeau Gilles, O.p. Cité, P.6
8. Bouzid Baa Saliha C.p., P10.

مرتبطة بالطابع المستمر والدّائم للعنف النفسي والمتميّز بسوء المعاملة، تُحوِّل الحياة الأسرية إلى سجن حقيقي.[1]

وكما توجّه Shee، إلى تفسير الممارسات العنيفة التي تتجلى في سياق الصراع الأسري من خلال تقديم تعريف لمعنى المرأة المعنَّفة، فيوضّح أنّ، المرأة ضحية العنف في المجال الأسري، هي المرأة التي تعرّضت لكل مظاهر العنف وأشكاله؛ فضُربت وهدّدت أو أوذيت بشيئ، مع توقّع عنف لفظي يتضمّن إهانة مرتبطة بانتقادات موجّهة لها، والسخرية والشتم، ومع الزمن ستؤثّر على حالتها النفسية يمكن أن تُدمر شخصيتها وشعورها بعدم الأمان، وهذا العنف يمارس من طرف الزوج"[2] أو من طرف أسرة الزوج عامّة، حيث "تفقد كرامتها وعزة نفسها، واستقلاليتها، وشعورها بالأمان، ولا يمكنها المقاومة لأنها تعرّضت بصفة مباشرة وباستمرار أو بصفة متكرّرة إلى عنف جسدي، نفسي، مادي، جنسي ولفظي"[3]

ويتكلّم Daniel Welzer-Lang على الصراع الزوجي القائم بغرض الضبط والذي يبلغ أقصى الدرجات أين الرجل يمارس العنف ضدّ الزوجة، فيوضّح أنّ هذا العنف يدخل في دورة مفرغة والتي تتميز بأربع مراحل حيث: "يسير العنف في دورة تمرّ بأربع مراحل لتعود إلى المرحلة الأولى وهي جوّ من التوترات أين الزوج يحاول فرض اتجاهاته ومعتقداته ويشكّك في قدرات المرأة كذريعة لبلوغ أهدافه، والزوجة في هذه الحالة تشعر بالتوجس إذا لم تجلب رضاه، حيث الزوج في هذه الحالة ينتقل إلى المرحلة التالية إلى لم يتوصل إلى نتائج إيجابية مع الزوجة ويمارس عنف نفسي، لفظي وجسدي...إلخ. فسوف ينفجر، حيث تشعر بالإهانة، يائسة، محطمة... إلخ، وهنا سيشعر بالذنب ويطلب الصفح، ويقلل من عدوانيته ولكن ينزع عليه المسؤولية ويعيد اللوم على الزوجة، حيث تشعر أنها مسؤولة عمّا جرى، فتؤنّب نفسها وتحاول أن تتغيّر لأجله، وهي مرحلة "شهر العسل" والتي تفسر أن النساء المعنَّفات لا يمكنها التحرّر من سلطة الزوج المعنِّف لها، وكلّما الدورة تتكرّر كلما تشعر بعدم كفاءتها، وتعيد اللوم على نفسها. والزوج يصبح عاطفي وودود ويَعِدها بعدم تكرار الفعل فتتوهّم ذلك،[4] حيث تعيش ظروف زواجية قاهرة إلى فترة قد تطور أو تقصر، ف"غالبا ما يتضاءل العنف الممارس على المرأة خاصة الجسدي منه بعد دورة حياة زوجية طويلة، عندما يتقدما في السنّ؛[5] ولكن إلى غاية هذه المرحلة لا يمكن استبعاد المواقف التي تكون فيها الزوجة ممارسة للعنف في ردود أفعال معاكسة ضدّ الزوج، في مرحلة تضيق فيها نفسيتها من شدّة تلقّي العنف، حيث تتولّد لديها العدائية ضدّ الزوج.

1. العنف الفردي

العنف الفردي يتجلّى كرد فعل معاكس -موجّه ضدّ الآخر- لمواجهة ظروف اجتماعية لم يرضى بها، أو لإعادة الاعتبار للذات المهانة، أو لبلوغ هدف معيّن، وغيرها من الدوافع التي تثير العنف ضدّ مواقف مختلفة؛ وتشير Bouzid Baa Saliha أنّ العنف الفردي هو بحدّ ذاته من العوامل الفردية التي تثير الممارسات العنيفة، أين يلجأ الفرد إلى العنف رغبة في تأكيد ذاته".[6]

إنّ "الفرد الذي يشعر أنه ذو قيمة متدنية ومُهاجم من طرف كل أعضاء العائلة، ومن جهة أخرى يعاني بعدم إمكانية التعبير، والشعور بالحرمان في الحياة اليومية، والتكديس لكل معاناته يؤدي إلى فقد السيطرة على نفسه، حيث ينشب العنف لحدث تافه لا قيمة له بمضمونه أساسا يتمثّل في محاولة

[1]. Rondeau Gilles, O.p. Cité, P.7

[2]. May Clarkson, O.p. Cité, P.14.

[3]. May Clarkson, C.p., P.14.

[4]. Kaufmann J.-C., sociologie du couple, 1ère édition, PUF. 1993. P.p.122-124 ; voir aussi : revue de l’union nationale des associations familiale, C.p., P.36.

[5]. Voir : revue de l’union nationale des associations familiale, C.p.

[6]. Voir : Bouzid Baa Saliha, C.p., P.9

إعادة الفرد السيطرة على نفسه وتأمين مكانة قيمة ضمن الأسرة؛[1] وعامة العنف من الناحية الاجتماعية، هو لغة التخاطب الأخيرة الممكنة مع الواقع ومع الآخرين، حين يحس المرء بالعجز في إيصال صوته بوسائل الحوار العادي، وكذلك حين تترسخ القناعة لديه بالفشل في إقناعهم بالاعتراف بكيانه وقيمته.[2]

ولكن الفكرة الأساسية لظاهرة العنف والتي برزت في سنوات الأربعينيات، والخمسينيات، وتوصّلت لذروتها في سنوات الستينيات. تنصّ على أنّه، لا يمكن أن نتكلّم على عنف فردي، حيث أن العنف ليس فقط فعل فردي وإنما يمكن أن يكون نتيجة لمواقف، واستجابة لوضعيات اجتماعية"،[3] فالعنف الفردي على حسب بعض المفكّرين والمنظّرين يعتبرونه نتاج لأسباب أو عوامل اجتماعية تقود إلى ممارسة العنف، وعلى رأسهم Rousseau حيث يقول أنّ "العنف يتجلى مع المجتمع. وهو ليس جزءا من الطبيعة"[4]

ومن أهمّ الدوافع التي تقود إلى ممارسة العنف الفردي –والتي أشار إليها Pierre Ferrari في نصّه الحامل لعنوان "العدوانية في فترة المراهقة"- مرتبطة بتحطيم ذاتية الفرد "Désubjectivation" وهو الشعور بغياب الاعتراف بالفرد كشخص مستقل؛ وجود تهديد لهوية الفرد؛ الصورة الغير إيجابية للذات تؤدي إلى شنّ العنف. ومن الخصائص التي تميّزهم أنهم تعرّضوا إلى تصدع خطير في نظامهم النرجسي والذي يُنتج الشعور بعدم تقدير الذات، وهي صورة غير قيّمة يكوّنها الفرد حول ذاته خلال فترة تنشئته، تُنتج الشعور بالنقص المبكّر والمتكرّر يولّد دوافع ليبيدية " libidinal"، وعدوانية... لا يشعر الفرد المعنَّف بواقعه إلا بعد تدمير وحشي يملأ به قصوره النرجسي. ويسطّر Winnicott على أنّ هؤلاء يلجؤون إلى ممارسات عدوانية بأمل إيجاد ضمن محيطهم تجارب إيجابية مُرضية.[5]

وغالبا ما تكون المرأة هي من بين الأفراد الذين يتعرضون للعنف الذي يخدش الصورة الإيجابية التي كوّنتها حول نفسها لفترة طويلة، أين الزوج يقدّم لها إهانات يشعرها بالدّونية، ويكوّن لها صورة مغايرة حول ذاتها تكون سلبية، وكل امرأة وقدرتها على مواجهة هذا النوع من الإهانات على حسب نمط شخصيتها، فهناك منهن من تواجه الأمر برد فعل معاكس، ومنهن من تقبّلن الصورة التي قدّمها لهن أزواجهن لذواتهن حوّلتهن إلى نساء يفتقرن إلى قبول الذات إلى حد عدم تقبل العلاقات بالمجتمع وبالتالي تفقد علاقات التفاعل الاجتماعية وتنزوي وتنطوي على نفسها، "فصورة كل فرد عن نفسه تتكون خلال نظرات الآخرين له... وأفضل طريقة لتغيير سلوك فرد هي أن نغير من تصوره لذاته"[6]
هذا ما أثبتته لنا الدراسة الميدانية عند أغلب المبحوثات اللواتي تعرّضن للدّونية من طرف الزوج تولّدت لهنّ عقدة الشعور بالنقص –كما سنرى في الفصول اللاحقة- كان غرض الزوج من هذا الهجوم تأكيد مكانة الزوجة التراتبية به، حيث يتوجّس من فقد تفوّقه الرجولي أين سيفقد هويتّه الذكورية التي منحها له المجتمع منذ الصبا، والتي كوّن من خلالها صورة إيجابة حول ذاته، فإذا ما شعر بتفوّق الزوجة عليه فقد تتولّد له عقدة النّقص. وبما أنّ "عقدة النقص، والشعور بالدونية من العوامل الذاتية التي تمهّد الطريق لظهور نوازع من الحقد الكامنة "[7] سيتجلّى عنف زوجي متبادل بين الرّجل والمرأة يحاول كلّ منهما الحط من قيمة الآخر أين يتجلّى العنف اللفظي حيث يتراشقان

---

[1]. May Clarkson, O.p. Cité, P.38

[2] . جليل وديع شكور، العنف والجريمة، الدار العربية للعلوم، ط1، 1997، ص.32؛ نقلا عن: دشاش نادية، عنف الزوجة ضد الزوج: أسبابه وأشكاله حسب رأي الأسرة التربوية بولاية قالمة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، فرع علم النفس الاجتماعي، المشرف: الهاشمي لوكيا، جامعة منتوري: قسنطينة، السنة الجامعية 2006/2005.

[3]. Vincent Belanger, C.p., P.p.2-3

[4]. Vincent Belanger, C.p., P.1

[5]. Yahyaoui Abdessalem, O.p. Cité, P.p.13-10

[6]. محمد مصطفى الشعبيني، مرجع سبق ذكره، ص.101

[7]. عدنان أبو مصلح، معجم علم الاجتماع، دار أسامة، عمان: الاردن، 2010. ص.325.

بألفاظ نابية مخلّة لكرامتهما، وإذا ما تمادت الزوجة في إثبات مكانة قيّمة لها فستجازف بنفسها لاستقبال عنف جسدي أين الزوج يؤكّد تفوّقه الذكوري بعدوانية.

ومن أقصى درجات العنف الفردي هو الفعل الإجرامي يتجاوز محاولة الاعتداء الجسدي أين الفرد يقوم بقتل أو محاولة قتل من يعتبره المسبّب الأول في هدر كيانه وشخصيته، وعلى إثره اضطربت حياته الشخصية والأسرية، فإمّا أن يكون عنف مرتكب ضدّ الزوج، أو ضدّ أحد الأصول أين يكون الفروع ضحايا العنف الأسري والذي يؤثّر عليهم في سنّ المراهقة أو سنّ الرشد حيث ينشأ شخص عدواني لا يتميّز بالنضج الانفعالي يتوصّل إلى ارتكاب العنف ضدّ أحد الوالدين أو ضدّ الذّات "Autodestructive" وهذا الأخير "هو عنف مازوشي، مدمّر للذات، يمكن أن يكون هادئ مثل بعض العواطف السيكوجسدية "Psychosomatique" كفقدان الشهيّة... وحدّه الأقصى يتمثّل في الانتحار.[1] رغم أنّ أسباب الانتحار الأوّلية تبعا لإيميل دوركايم لا يمكن ربطها بأسباب نفسية بل تدرك بصفتها أثرا لمتغيرات اجتماعية.[2]

فـ"يُعرّف الانتحار على أنه إقدام الإنسان بشكل متعمد لإنهاء حياته نتيجة عدم رضاه عنها أو معاناة ومشقة لا يستطيع التكيف معها، أو نتيجة لاضطراب تفكيره الذي يجعله يعتقد بأن الهروب من المشكلة وتصفية حياته هو الحل الأمثل؛[3] ويعرف إبراهيم عبد الرحمن الشرقاوي على أنه ظاهرة اجتماعية، ومُشكلة نفسية وطبيّة، يزهق الشخص روحه بسبب عجز عن مواجهة الواقع أو فشل شخصي في حل المشكلات الطارئة، أو يأس لعدم القدرة على التكيف مع الظروف الطارئة المستجدة والمفاجئة.[4]

خلاصة الفصل

إنّ العنف الأسري مُختلف المظاهر والأشكال، جذوره تمتد من معتقدات ثقافية لنظام الأواصر، بوادره مستقاة بشكل مضمر ضمن علاقات التفاعل الرمزية، ويأخذ طابع بارز بردود أفعال مناوئة للقيم السويوثقافية بعد إدراك الفرد بأن شخصيته منصهرة ضمن جماعة الانتماء، لا حريّة له في قلب الجماعة الضاغطة عليه بأساليب قاسية تتجلّى في ممارسات عنيفة أو عدوانية حيث يكون تحت سيطرة جماعية أو فردية، سواء من نفس جنسه أو من الجنس الآخر أين تتحدّد المعطيات الاجتماعية للنوع الاجتماعي، فيتلقى مختلف أشكال مظاهر العنف التي تمسّ بعده الصحّي النفسي والجسدي.

---

1. Yahyaoui Abdessalem O.p. Cité, P.p.13-10

2. ر.بودون، ف.بوريكو، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، تر: الدّكتور سليم حداد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986. ص.61-62.

3. محمود فتوح سعدات، الاسباب الدافعة للانتحار وطرق الوقاية منها، المؤتمر العلمي الدولي السنوي الخامس لكلية الشريعة، حالات القتل في المجتمع: الأسباب والعلاج من منظور اسلامي اجتماعي وقانوني، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2015. ص.318.

4. محمود فتوح سعدات، نفس المرجع، ص.318.

الفصل الثاني

العنف في ظل التغيرات الاجتماعية والاقتصادية

I. التغيرات الاجتماعية العامة ودورها في تغيير مسار المرأة
II. التنشئة الأسرية للمرأة في مجتمع متغيّر بيت التقليد والحداثة
III. الحياة الزواجية في ظل التغيرات الاجتماعية
IV. بروز سلطة المرأة ببروز شخصيتها المستقلة
V. الهوية الجندرية في أزمة

تمهيد

إنّ المجال العام (المحيط الاجتماعي الشامل) مفعم بالتغيّرات التي تمسّ عدّة مجالات، سياسية واقتصادية وثقافية، والتي تؤثّر بالضرورة على المجال الخاص (العائلي)، وهذا الأخير يستدعي تغيير ذهنياته بإعادة بناء قيمه ومعاييره وعاداته وقوانينه العرفية لمواكبة مستجدات الحياة الاجتماعية، ولكن الأمر ليس بالسهل حيث كل ما يطرأ من تحوّلات ضمن المجال العام ليس بالضرورة أن يكون مقبولا في المجال العائلي فـ"التطوّر الأيديولوجي للأسرة بطيء نوعا ما مقارنة مع المجتمع الكلّي... لصعوبة التوافق مع الأوضاع والقيم المتغيرة بفعل عمليات التحديث،[1] الأمر الذي يؤدّي إلى صراعات بين الأجزاء المكونة للبنية الأسرية سواء بين جيلين متعاقبين أو بين الجنسين، أو بين أفراد نفس الجيل ونفس الجنس أين تتضارب المعتقدات الأسرية بين التقليد والحداثة، فإن المحيط الذي نعيش فيه يحمل قوانين ومعايير ملزمة على الفرد، مجبر على الخضوع والانصياع لها حيث الأفراد والجماعات الاجتماعية تعترف شرعيا بنظام المجال الأسري، وأي تجاوز للقوانين الاجتماعية يعتبر خرق للنظام الاجتماعي العائلي، فهو نظام موجود قبل وجود الفرد، وهذا الأخير لا يملك وسيلة يناهض بها النظم العائلية إلاّ من خلال عمليات التمرّد، حيث يندفع إلى إبراز عدائيته ضدّ أعضاء الأسرة المتمسكين بثقافة الأواصر، فيطلب إعادة بناء التصورات الاجتماعية الأسرية، ورفع التسلّط الأسري عليه، والاتجاه نحو بناء شخصية مستقلة، وغالبا ما تكون المرأة هي ذلك الفرد الذي يحاول الاضطلاع للنجاح خارج المجال الأسري، والاندماج ضمن محيط أكثر اتساعا، أين تتوصل إلى الاستقلالية الذاتية المادية والمعنوية عن الجماعة الأسرية.

I. التغيرات الاجتماعية العامة ودورها في تغيير مسار المرأة:

شهدت الجزائر في الفترة ما بعد الاستقلال تطوّر اجتماعي على جميع المستويات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، في فترة مضت استدعت قيام دولة متطوّرة بعد الاستقلال من الاستعمار الفرنسي، ومن أهمّ الاستراتيجيات التطوّرية التي سُطّرت للنهوض بدولة عصرية حديثة الطلعة، تتمثّل في تكوين أفراد المجتمع، نساء ورجال، من الناحية العلمية والمهنية، حيث قامت الدولة بمحاربة الأمية وإنشاء نخبة علمية مثقّفة، يتم استغلالها والاستفادة من كفاءاتها وقدراتها العلمية بهدف جزأرة البلاد، أين برزت المرأة كمنافسة للرّجل ضمن المجال العام، وهذا من ابرز التحولات والتطوّرات التي أحدثت انقلاب اجتماعي باعتبار أنّ المرأة هي نصف المجتمع ولها إسهامات اجتماعية في بعث الرّقي في العديد من المجالات بجانب الرّجل، إلى أن غيّرت الدولة مسار المرأة بمحاولة بعث روح المساواة بين الجنسين ضمن المجال العام.

1. اكتساح المرأة للفضاء العام

1.1. ظاهرة التمدرس: إبراز الوجود الاجتماعي للمرأة

إنّ من أهم الاستراتيجيات التي اتبعتها الدولة الجزائرية للقيام بالبلاد، تكوين بنية فوقية على أساس قاعدة اقتصادية، فقامت بإعداد مشاريع تربوية تتمثّل في إنشاء مدارس ومعاهد وجامعات، حيث قفزت الدولة بذلك قفزة نوعية في الميدان التربوي من فترة الاستقلال إلى يومنا هذا؛ فـ"انتقلت الجزائر من جامعة واحدة ومدرستين بالجزائر العاصمة سنة 1962، إلى 106 مؤسسة جامعية سنة 2018؛[2] مع اتباع سياسية مجانية التعليم و"انتهاج سياسة التسيير لضمان الارتقاء المدرسي بتقديم منحة التمدرس للتلاميذ المعوزّين، والحرص على فتح مطاعم مدرسية مع العمل على تحسين الوجبات الغذائية، وضمان النقل المدرسي والصحة المدرسية؛[3] ولكن إلى جانب المخططات التسييرية

---

[1]. عبد القادر القصير، مرجع سبق ذكره، ص.84.

[2]. الشروق online، مايو 27, 2018.

[3]. النشرة الرسمية للتربية الوطنية، المديرية الفرعية للتوثيق التربوي، العدد:586، ماي 2016. نُظر يوم 24 فيفري 2020 على الموقع: http://www.education.gov.dz/wp-content/uploads/2016/11/boe-586-ar.pdf

كان لابدّ قبل كلّ شيئ للارتقاء الثقافي التعليمي من اتباع سياسية إجبارية التعليم لكلا الجنسين، والذي أدّى إلى ارتفاع متزايد لعدد المتمدرسين لكل من الفتيان والفتيات بنسب متباينة على مدى الطويل، فـ"قبل 1954 كانت المرأة لها جانب ضئيل المساحة في المجتمع... وتتوقف غالبا عن الدراسة في نهاية المرحلة الابتدائية، وفي سنّ البلوغ. ناذرا ما كانت المرأة تواصل دراستها في المتوسّط أو حتى في الثانوي، والأقلية منهنّ بصفة استثنائية تتوصّل إلى الدراسات العليا... إلى أن فُتحت أبواب المدارس بعد الاستقلال الوطني وبدأ يتجلى النجاح الدراسي لكل من الذكور والإناث،[1] على سنوات ممتالية في جميع الأطوار التعليمية، حيث:

"**على المستوى الابتدائي**: من بين 777.636 متمدرس في السنة الدراسية 1962-1963 كان عدد البنات المتمدسات 282.842، وتوصّل إلى 2.129.794 في العام الدراسي 1995-1996 من بين 7.617.728 متمدرس. وبات عدد المتمدرسين في نفس الطور في تزايد مستمر بالنسبة للبنات طوال السنوات اللاحقة إلى أن بلغ 2.159.423 في السنة الدراسية 2019/2018؛

على المستوى المتوسّط: من بين 30.790 متمدرس في السنة الدراسية 1962-1963 كان عدد البنات المتمدسات 8.815، وتوصّل إلى 751.023 في العام الدراسي 1995-1996 من بين 1.691.561 متمدرس؛ وتزايد عدد المتمدرسين بصفة مستمرّة إلى يومنا هذا حيث بلغ في السنة الدراسية 2019/2018 2.979.737 من بينهم 1.428.693 بنات؛

على المستوى الثانوي: من بين 5.823 متمدرس في السنة الدراسية 1963-1964 كان عدد البنات المتمدسات 1.277، وتوصّل إلى 218.898 في العام الدراسي 1986-1987 من بين 503.308 متمدرس؛ وارتفع عدد المتمدرسين في السنوات اللاحقة حيث سجّل الديوان الوطني للإحصايات أنه بلغ عدد المسجلين في الطور الثانوي خلال السنة الدراسية 2010/2009، 1171180، 58,25% منهم فتيات؛ إلى أن بلغ عدد المتمدرسات في سنة 2019/2018 670.240 من 1.222.673 متمدرس والتي تعادل نسبة 54.82% [2]

وأما **على المستوى الجامعي** فقد تزايد عدد الطلاب من 2375 طالب في 1962 إلى 1.730.000 طالب اليوم؛ مع ارتفاع نسبة الفتيات: كُنّ يمثلن 21.2 بالمائة ما بين 1963/1962، في حين بلغت نسبتهن سنة 2017، 62.5% من عدد الطلبة المسجلين.[3]

فنشير من خلال هذه الاحصائيات أنّ الدولة نجحت في استراتيجيتها السياسية والاقتصادية لبناء مجتمع مثقف، يضطلع أفراده إلى النجاح الدراسي والعلمي والمهني، على غرار استراتيجياتها المنتهجة لمحو الأميّة، حيث "كشف الأمين العام للديوان الوطني لمحو الأمية وتعليم الكبار أن نسبة الأمية في الجزائر تراجعت من 85 ٪ سنة 1962 إلى 8.71 ٪ سنة 2019، نظير الجهود التي بذلتها الدولة في هذا الإطار؛ وبخصوص نتائج هذه الاستراتيجية في الفترة الممتدة من 2008 إلى غاية 2019، ذكر ذات المسؤول أن أزيد من 3.2 مليون شخص تحرر من الأمية بالجزائر، موضحا أن ما يقارب 89 بالمائة منهم نساءا، وكذا نحو 38 بالمائة منهم يتنمون إلى الفئة العمرية (25-45 سنة).[4]

وأهمّ ما يثير التنظير له كنتيجة لارتفاع نسبة النساء في المجال الدراسي، مشاركة المرأة للرجل في تنمية البلاد من الناحية الاقتصادية والصناعية، إلى أن تصبح منافسة للرّجل أكثر من مشاركة له.

[1]. Boutefnouchet Mostefa, la famille algérienne : évolution et caractéristiques recentres, diffusion, Alger, 1980. P.242

[2]. Sellak bounoua : socialisation nouvelle et scolarisation des filles en algérie : 1962-1997, actes du colloque les femmes dans le débat génarationnel » : GEDISST/institut maghreb-europe, 15-16 Décembre 2000. Paris ; Les Principaux Indicateurs Du Secteur De L'education Nationale : Année scolaire 2018-2019, ONS, N°871. Vue sur le site : http://www.ons.dz/IMG/pdf/education_nat2018-2019.pdf; الديوان الوطني للإحصائيات أوت 2018

[3]. الشروق online، 27 مايو 2018

[4]. Journal Electronique « HORIZONS », janvier 2020. Vue le 24 /02 /2020 sur le site : https://www.sudhorizons.dz/ar/2016-10-15-18-14-14/2016-04-28-21-30-49/55205-2020-01-08-17-28-41

2.1. خروج المرأة للميدان المهني

بعدما كان المجتمع الجزائري يعتمد على انتاج زراعي بحث في الفترة الكولنيالية، إلى غاية فترة ما بعد الاستقلال مع اتباع قانون "التسيير الذاتي" سنة 1963، مرورا بمرحلة "الثورة الزراعية" في سنة 1971، اتخذت الدولة في السنوات اللاحقة نمط انتاجي جديد لتحديث البلاد، فأصبحت الجزائر مجتمع اقتصادي يرتكز على عملية التصنيع، الأمر الذي قاد إلى مرحلة النزوح الريفي والتي كانت لها صدى واسع مع بروز العمل المأجور في المجال الصناعي، حيث "شكلت الهجرة الداخلية نحو المدن يد عاملة صناعية، وأصبحت النساء فيها تشكل فئة من الإجارة المحتملة"[1] خاصّة بعد تفوقها الدراسي الذي أهّلها إلى الدخول إلى عالم الشغل والمشاركة في التنمية الاقتصادية والعلمية للمجتمع الجزائري، فاكتسحت جميع القطاعات العمومية والاقتصادية على غرار بعض المهن التي تخصّصت فيها الفئة النسوية، منها قطاع التعليم، حيث عرف قطاع التعليم الابتدائي في الجزائر لسنة 2007 /2008 زيادة تقدر بـ 4000 معلمة وتناقص حوالي 10.000 معلم من الرجال،[2] ويقدّم الديوان الوطني للاحصائيات أنّ عدد المعلمين في السنة الدراسية 2019/2018 في الطور الابتدائي قد بلغ 199.850 معلّم، منهم 162.518 نساء؛ وفي الطور المتوسّط 159.065 أستاذ منهم 114.638 أستاذة، وأما في الطور الثانوي فقد سجّلت الاحصائيات 67.152 معلّمة من بين 102.279 معلّم.[3]

هذا ما يثبت توغّل المرأة ضمن الفضاء العام بشكل بارز للعيان، بعدما أثبتت جدارتها على المستوى التبروي والتعليمي؛ وأبرزت كذلك كفاءاتها في جميع المجالات المهنية، وشغلت مناصب عالية في الميدان المهني والإداري، على غرار انضمامها لبعض المشاريع المدعّمة من طرف الدولة والتي تسمح لأفراد المجمع بإنشاء مؤسّسات صغير خاصّة، كانت للمراة مكانة فيها؛ وعليه أصبحت المراة منافسة للرجل ضمن المجال العام بعدما اندمجت في مجالات كانت سلفا خاصّة للفئة الذكورية.

ولكن، هذا التفوّق الأنثوي بجانب الذكور سواءا في المجال الدراسي أو المهني، بالرغم من كونه استراتيجية وطنية خاضتها الدولة الجزائرية كهدف للتنمية الوطنية والاستفادة من الفئة النسوية بصفتهنّ مواطنات قادرات على الإسهام في الرفع من شأن البلاد بجانب الرّجل، إلاّ أنّ الذهنيات التقليدية حول مكانة المرأة ودورها ضمن المجال الخاص، بقيت راسخة على مرّ سيرورة التقدم، عند أفراد المجتمع الجزائرين، وخاصّة في قلب العائلة، أين المرأة تكون قابلة لاستقبال العنف.

2. تطلعات اجتماعية لبناء دولة حديثة: بين التقيّد بالقيم الثابتة والتغيير

1.2. التفوّق النسوي وانعكاساته الاجتماعية: المرأة لا تزال قيد الثقافية التقليدية

إنّ الأسرة تخلّلتها معتقدات اجتماعية حديثة الطلعة نظير التغيرات الاجتماعية العامة، لم تحضى بالقبول المطلق أحدثت بذلك صراعات بين مؤيّدين ومعارضين للتصورات الاجتماعية الحديثة التي أهّلت المرأة لأن تكون لها هوية فردية مخالفة لايديولوجية العائلية، حيث أنّ تفوّق المرأة ضمن المجال العام لم يكن له استقبال رَحب من طرف الفئة الرجولية لتشاطره البحث عن النجاح المهني، وما يعقبه من كفاءة في ممارسة السلطة سواءا في الفضاء العام أو الخاص، الأمر الذي ولّد صراع حاد قائم بين الجنسين، خاصّة بعد فترة الاستقلال في مرحلة كان المجتمع الجزائري لا يزال يناهض الرواسب الثقافية للاستعمار الفرسي، ومن جهة أخرى يريد التقدّم والتطوّر والبحث عن الرقيّ الاقتصادي والثقافي؛ وهذا التناقض بوادره باعثة من التنشئة الأسرية التقليدية فـ""*الأسرة تقوم على*

---

[1] . شارب مطاير دليلة، رسالة دكتوراه سبق ذكرها، ص.224.

[2] . (Boubeker Ben bouzid, La réforme de l'éducation en Algérie: enjeux et réalisation, Alger,Casbah, 2009. P.285.)؛ نقلا عن: شارب دليلة، رسالة دكتوراه سبق ذكرها، ص.89.

[3] . Les Principaux Indicateurs Du Secteur De L'education Nationale, ONS. Cité.O.P.

أساس وظائف ونظام تصوّري تعمل على بنائه ومن خلاله تتواجد، وتستمر العلاقات الاجتماعية الأسرية... والذي يعطي انطباع لعائلة عادية، طبيعية، مثالية في وظائفها،[1] لا تتقبّل التغيير متمسكة بمبادئها، وهذا ما يستدعي إلى ممارسة عملية الضبط بفعل التعنيف لكل من يتجاوز طبيعتها الجمعية، وبالأخصّ طبيعة الهوية الجنوسية؛ وتكون المرأة الفرد الذي يقوم بإعادة التساؤل في البديهيات، فتحاول التغيير في المعتقدات الأسرية التي تحول بينها وبين تطلعاتها في المحيط العام بفرض اتجاهاتها المبلورة في مجتمع يتوجّه نحو التقدّم الاقتصادي والتربوي والعلمي، وهذا من أهمّ ما يميّز التحولات العصرية، فكما "يوضّح إيميل دوركايم في دراسته إشكالية القهر والتسلط في الحياة الاجتماعية أن العنف ظاهرة ثقافية أتت مع رياح التطور الاجتماعي، ومع تحول المجتمعات الإنسانية من مجتمعات بسيطة إلى مجتمعات مركبة؛[2] ويشير Kaufmann أنّ التغيرات الاجتماعية لا يمكن فصلها عن الثورات المؤهّلة للتغيير خاصّة في موضوع المساواة بين الجنسين، وديمقراطية النظام العلائقي، فالديمقراطية تعبّر عن التقدّم الاجتماعي والذي يسمح بشكل عميق لوضع قطيعة مع التقاليد، والبحث عن إبداء اختيارات شخصية في كل المجالالت : الأفكار، القيم، الحياة اليومية،[3] وهذه الاختيارات الشخصية ماهي إلاّ علامات لبروز ظاهرة الفردانية والتي أصبحت لها وقع جسيم في المجتمع الجزائري على مرّ سيرورة بناء الذات الفردية للمراة الجزائرية منذ فترة طويلة مضت، حيث "أصبحت النساء يقضات حول هويتهن الأنثوية والتي تحددت في مرحلة مبكرة في الجزائر بناءا على مكانتهن الغير قيّمة وعلى حياتهن المعيشية المؤلمة؛ ومع زيادة درجة وَعيهن كان لابدّ من مواجهتهن إبتدءا من فترة ظهورها (في سنوات الخمسينيات) وبأشكال مختلفة من المقاومات، حيث: [4]

- الاتحاد الوطني للنساء الجزائريات (UNFA) تأسست بعد الاستقلال مباشرة وكانت تضمّ عدّة مجاهدات واللواتي شاركن في النضال لأجل حرية الوطن؛ ومن بين الأهداف التي كانت تسعى إليها تتمثّل في "تحسين مكانة ووَضعيّة المرأة على المستوى الاجتماعي والسياسي ضمن جزائر مستقلّة وعصرية"؛ وهذه الحركة كانت مقيّدة ومكبوحة من طرف الحزب الواحد.
- كان هناك ثقل كبير على مستوى السلطات الدينية المتشبّثة بعمق للمبادئ أو للقيم العربية الاسلامية، فكان هناك قلق حول كل ما يؤدّي بالمساس لمكانة المرأة الجزائرية، بما أنّ الفترة الكولنيالية كانت قد شوّهت وأهدرت وقلّلت من أهمّية الأدبيات (في اللغة العربية)، وأعطت للنساء الناجعات عنوان مختلف ومخالف للمبادئ الاجتماعية الجزائرية. وعليه توجّهوا إلى التقدم نحو تنشئة المرأة بناءا على تربية تقليدية صارمة وتضييق الخناق عليها، ومحاربة كل "تطوّر" و"تجديد"، والذي يعدّ "انحراف" من الممكن أن يمسّ المرأة المسلمة ويشوّه النظام السوسيوثقافي الأصلي للمجتمع الجزائري.
- العطب الاجتماعي كان بارز بكثافة في نسبة الأميّن من النساء، والذي أصبح من المواضيع الأساسية المثيرة للاهتمام. المرأة لم تكن لها بروز قويّ على الساحة العلمية، وهذه سهلت المهمة على الأسر المحافظة، وأعاقت طموح النساء اللواتي تبحثن عن إحداث تغيير في وضع المرأة، وإعطاء نظرة عصرية للبنية الأسرية فيما يخصّ عدّة مواضيع، منها: إعادة النظر في الزواج المبكّر، وإعادة الرئية في منع المراة من الاستقلالية السكنية مع الزوج بعيدا عن الحماة، وتغيير النظرة السلبية لكل امرأة مواكبة

---

[1]. B. Bawin-Legros, familles, mariage, divorce, Ed: Pierre Mardaga, sans date. P.p.14-41

[2] . علي أسعد وطفة، بنية السلطة واشكالية التسلط التربوي في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1999. ص.164. عن: مريوة حفيظة، العنف ضدّ النساء في المجتمع الجزائري وآثاره السلبية، المجلة المغربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، سبق ذكرها. ص.73.

[3] . Kaufmann Jean-claude, trame conjugale : analyse du couple par son linge, Nathan, paris, 1992. P.136

[4]. Sellak bounoua, C.p.

للتغيرات تكون موسومة بمثابة امرأة غربية تنحّت عن ثقافتها الأصلية، ومؤهّلة لإلحاق الفساد. ولهذا المنمّطات المتصلّبة بقيت قائمة، والذهنيات التقليدية بقيت راسخة بقوّة."

2.2. الإجراءات القانونية والتشريعية لحماية المرأة من العنف: إثبات وجودها الذاتي

أ. إبرام معاهدات دولية ووطنية لرفع أي تمييز بين الجنسين.

رغم التغيرات الاجتماعية العامة على جميع المستويات الاجتماعية، الاقتصادية والتربوية والتعليمية التي برزت للعيان، والتي أسهمت في إعطاء منحى جديد لوضع المراة، سمح لها بالخروج من المنزل والبحث عن اثبات ذاتها ضمن المحيط العام في المجال الدراسي والمهني، لتكوِّن بذلك رأسمال ثقافي ومادي خاص بها؛ ورغم كل الامكانيات والامتيازات الاجتماعية التي عملت الدولة على إرسائها لإعطاء مرونة للمرأة في التوفيق بين مسؤولياتها الأسرية والمهنية من حيث إنشاء دور الحضانة العامة منها والخاصة؛ إلاّ أنّ وضعها الاجتماعي بقي معتمد على العرف العائلي وما يتضمّنه من تمثلات اجتماعية للاختلاف بين الجنسين عمل على كبحها، وطوّقها للارتقاء الذاتي والذي يؤثّر على الرقيّ الاجتماعي العام.

هذا الأمر الذي دفع بالدولة إلى وضع مخططات استراتيجية فيما يخصّ المسائل المرتبطة بمكانة الأسرة والمرأة، والسعي لتحقيق المزيد من المساواة بين الجنسين، بهدف إرساء الاستقرار ضمن البناء الاجتماعي العام برمّته بغضّ النظر عن المجال العائلي، فيوضّح لنا Erich Fromm أن المساواة بين الرجال والنساء مهمة في خلق علاقة متوازنة ضمن المجال العام، موضحا أنّ، هناك رغبة شديدة في إقصاء الاختلاف بمصطلح المساواة بين الرجل والمرأة، وهذه الفكرة في طور التقدم في المجتمعات الصناعية؛ ولكن يشير Fromm أنّه لا يجب أن نُخدع بهذه الفكرة الوهمية للمساواة فهو إتجاه يقوم على هدف إقصاء الاختلاف؛ ويستطرد موضحا: إنّ النساء متساويات لأنهن غير مختلفات؛ وفي السياق الديني المساواة تعني أننا كلنا بني آدم وكلنا ننتمي إلى نفس الكنه الإنساني، فكلّنا واحد، ولكن كلّ منّا له خاصيّاته ينفرد بها، فإذن هناك تساوي ولكن بالتفرّد في الخصوصيات، هذه المساواة الآن التي أصبحت تحمل في طياتها معنى التشابه أكثر من التفرّد تتمثّل في ممارسة نفس العمل، الاهتمام بنفس المواهب، فالمجتمع حاليا يشجع هذه الفكرة المتساوية لأنها محتاجة إلى مجتمع انساني موحد، كلهم متشابهين، لتوظيفهم ضمن نفس المجال بهدوء وبدون صراع،كلهم ممتثلين إلى نفس النظام.[1] على هذا الأساس كان يتوجّب على الدولة الجزائرية مكافحة كل أشكال العنف ضدّ المرأة كاستراتيجية للارتقاء الاجتماعي على جميع المستويات الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، والثقافية، وكانت أهمّ توجيهات الدولة الجزائرية متعلقة بترقية مكانة المرأة واحترام كرامتها وضبط العلاقات الأسرية بقوانين تشريعية مدنية وأسرية للحد من العنف ضدّ المرأة وإرساء الاستقرار الاجتماعي العام؛* وتنظيم جمعيات لها تجربة في مجال محاربة العنف القائم على النوع الاجتماعي، إلى جانب توعية المجتمع، والدعوة لكسب التأييد من أجل التغيير، فلقد تم الاتفاق خلال مسار التخطيط

---

[1]. Erich Fromm, L'art d'aimer, 1956, Traduit Par Jean-Louis Laroche, Françoise Tcheng, Desclee De Brower, 2007.P.5

*. أنظر: دستور الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، على الموقع: https://www.joradp.dz/har/consti.htm

استحدث المشرع الدستوري في التعديل 2016 مادة جديدة وهي المادة 36 تنص على: "تعمل الدولة على ترقية التناصف بين النساء والرجال في سوق التشغيل. وتشجع الدولة ترقية المرأة في مناصب المسؤولية في الهيئات و الإدارات العمومية و على مستوى المؤسسات" هذه المادة تهدف إلى تعزيز مبدأ المساواة في الشغل من خلال إقرار عمل الدولة على ترقية المرأة في تولي المسؤوليات وتعد كتكملة لبقية النصوص الدستورية المتعلقة بالمرأة وهذا ما يعزز من حقوقها و يدعم مشاركتها الفعلية في مجالات الحياة المختلفة. سلطاني ليلة فاطمية، "الحقوق والحريات والواجبات في ظل التعديل الدستوري الجزائري لعام 2016"، مجلة جيل الأبحاث القانونية المعمقة، أكتوبر 2016، ص33. نظر يوم 2020/03/01 على الرابط: https://jilrc.com/الحقوق-و-الحريات-و-الواجبات-في-ظل-التعد/

الاستراتيجي الوطني لمكافحة العنف القائم على التمييز بين الجنسين،[1] وتحرير المرأة من القيود الأبوية، ليتسنى لها إثبات كفاءاتها ضمن المحيط العام.

لقد "أُبرزت العلاقة بين العنف ضد المرأة والنزعة الأبوية في قرار مشهور اتخذته المحكمة الدستورية في جنوب إفريقيا في سنة 1999... يرتّب على الدولة واجبا مباشرا للحماية من العنف العائلي. وربطت المحكمة بين هذا الحق في الحماية وبين الحق في المساواة وعدم التمييز"،[2] وكما "اعترفت المواثيق الدولية ذات المضمون العام والاتفقيات ذات المضمون الخاص بالحقوق المدنية والسياسية على أساس المساواة بين الرجل والمرأة، والجزائر صادقت على أهم هذه الصكوك الدولية،[3] وكانت قد أرست الدولة تعاليمها على مكافحة التمييز الجنسي رسميا بموجب المرسوم الرئاسي رقم 96-51 المؤرّخ في 22 يناير 1996 والذي يتضمن انضمام الجمهورية الجزائرية إلى اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضدّ المرأة[4] بشكل خاصّ بعدما ما صادقت الدولة مسبّقا بموجب الأمر رقم 66-348 المؤرخ في 15 ديسمبر 1966 والمتضمّن قانون العقوبات، على اتفاقية دولية أقرتها الجمعية العامة للأمم المتحدة الخاصة بإزالة جميع أشكال التمييز العنصري في 21 ديسمبر سنة 1965؛[5] وتنوّه -ضمن نفس سياق المضمون- مرخوص فاطمة في مقال لها الحامل لعنوان "دراسة على ضوء آخر تعديلات التي طرأت على قانون العقوبات" أنّ التمييز يعتبر شكل من أشكال الجرائم التي يعاقب عليها القانون، حيث أنّ المشرع الجزائري قد كرّس الحماية الجنائية لضحايا أشكال التمييز وإرساء المساواة بين المواطنين امام القانون بتتميم قانون العقوبات وتدعيمه بمواد جديدة تُجرم أي سلوك تمييزي مس بحقوق الانسان كيفما كان شكله، واعتبر أنه يشكّل تمييزا كل تفرقة أو تقييد أو تفضيل يقوم على اساس الجنس أو العرق أو اللون أو النسب والأصل القومي أو الاثني أو الإعاقة... إلخ. ويعاقب القانون على أشكال التمييز بالحبس من 6 أشهر إلى 3 سنوات وبغرامة مالية من خمسين ألف إلى 150 ألف دج؛ كما أقرّ المشرع بتطبيق نفس العقوبة على كل شخص يقوم بالتحريض علنا على الكراهية أو على التمييز ضد أي شخص أو مجموعة من الأشخاص.[6]

ب. تعديل التشريعات القانونية الأسرية: حفظ المرأة من العنف الأسري

عمل المشرع الجزائري بضبط مواد في القانون الأسري وإلغاء أخرى لحماية المرأة من أي عنف ضدّها، سواءا قبل الزواج أو بعد الزواج في علاقاتها بالزوج وأسرة الزوج، فنذكر أهم التعديلات التي تحمي المرأة من التعنيف ضمن الفضاء الخاص.

- **التعديلات الخاصة بقسم الزواج**

لم تقف استراتيجيات الدولة الجزائرية على المساواة وفضّ كل علاقات التمييز فقط، وإنّما توجّهت إلى اثبات حق الاستقلالية للمرأة ليس فقط من الجانب المادّي، وإنّما في اتخاذ قراراتها الخاصّة بها والتي تراها ضرورية لتسطير حياتها الاجتماعية والأسرية، حيث تمّ تعديل القانون

---

1. أنظر: الوزارة المنتدبة المكلفة بالأسرة وقضايا المرأة، التقرير الوطني للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، الاستراتيجية الوطنية لمحاربة العنف ضد المرأة: أمان المرأة... استقرار الأسرة، د.ت.
2. الجمعية العامة للأمم المتحدة، دراسة متعمقة بشأن جميع أشكال العنف ضد المرأة: تقرير الأمين العام، الدورة 61، 6 جويلية 2006. ص38.
3. حجيمي حدة، مذكرة ماجستير في القانون، الحماية القانونية للمرأة في الجزائر، كلية الحقوق، جامعة الجزائر1 سعيد حمدين، السنة الجامعية 2014/2013.
4. أنظر: الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية، العدد: 06، المؤرخة في 24 يناير 1996م.
5. أنظر: الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، العدد:07، 16 المؤرّخة في 16 فبراير سنة 2014م
6. مرخوص فاطمة، الجماعة الجنائية ضد المساس بكرامة الأشخاص في قانون العقوبات الجزائري: دراسة على ضوى آخر التعديلات التي طرأت على قانون العقوبات الجزائري، مجلة الدراسات الحقوقية، جامعة سعيدة: الجزائر، ع:10، ديسمبر 2018. ص.169.

الأسري لضبط أفراد الجماعة الأسرية من ممارسة العنف ضدّ المرأة خاصّة فيما يتعلّق بأمور الزواج والطلاق، وإصدار حقوق المرأة الأسرية والزوجية بغرض رفع أي تمييز بين الجنسين.

فأوّلا نشير أنّ المشرّع الجزائري قد قام بضبط سنّ الزواج في مراحل مختلفة تبعا لنظم الزواج القائمة والمعمول بها من حقبة تاريخية إلى أخرى، حيث تمّ تعديل القانون الأسري لقسم الزواج مرّتين: عام 1984، وعام 2005.

فبعدما كان مسبّقا، تبعا للمادة الأولى من قانون رقم 63-224 المؤرخ في 29 يونيو سنة 1963 المتضمن تحديد السن الأدنى للزواج، والتي تشير أنّه: "لا يمكن للرجل قبل 18 سنة وللمرأة قبل 16 سنة أن يعقد الزواج؛[1] هذه المادة ضبطت أهلية الزواج للمرأة في سنّ ستة عشر سنة لأنّها كانت تُزوّج في أقل سنّ. وتمّ حاليا تحديد سن الزواج للمرأة بإتمام 19 سنة مثلها من الرّجل بدون تمييز، والذي ثُبت في القانون الأسري في المادة 7 من قسم الزواج، أنّه: "تكتمل أهلية الرجل والمرأة في الزواج بتمام 19 سنة، وللقاضي أن يرخص بالزواج قبل ذلك لمصلحة أو ضرورة، متى تأكدت قدرة الطرفين على الزواج. وهذه المادة قد عدّلت بالأمر رقم 05-02 المؤرخ في 27 فبراير 2005، بعدما أن حرّر في ظل القانون رقم 84-11 المؤرخ في 09 يونيو 1984 كما يلي: تكتمل أهلية الرجل في الزواج بتمام 21 سنة، والمرأة بتمام 18 سنة، وللقاضي أن يرخص بالزواج قبل ذلك لمصلحة أو ضرورة؛ ونشير أنّ "التعديل قد صدر حسب القانون المدني رقم 05-10 المؤرخ في 20 يونيو 2005، المعدل والمتمم للأمر رقم 75-85 المؤرخ في 20 سبتمبر 1975. والذي يشير في المادة 40 كل شخص بلغ سن الرشد متمتعا بقواه العقلية، ولم يحجر عليه، يكون كامل الأهلية لمباشرة حقوقه المدنية، وسن الرشد تسعة عشر (19) سنة كاملة. و نتيجة لذلك فإن الشخص قد يبلغ سن الرشد طبقا للقانون المدني في حين أنه غير مؤهل للزواج طبقا لقانون الأسرة، كما أن المرأة تكون كاملة الأهلية وفقا لقانون الأسرة دون أن تبلغ سن الرشد المدني،[2] فسنّ الزواج بالنسبة للمرأة كان دائما خاضع للمعتقدات الأسرية التي تعمل على تزويج المراة في سنّ مبكّرة والذي غالبا ما يكون ضدّ إراتها وبضغط من الفرد الذي يحمل الشرعية في إصدار قرار الزواج، فالتعديل للمادة الخاصة بأهلية الزواج في سن مبكرة يعني الحدّ من العنف ضدّ المرأة، وعليه فقد ضَبطت المادة 13 من القانون المدني رقم 05-10 المؤرخ في 20 يونيو 2005 أي زواج قائم ضدّ إرادة المراة فتُملي أنّه: "لا يجوز للولي، أبا كان أو غيره، أن يجبر القاصرة، التي هي في ولايته على الزواج، ولا يجوز له أن يزوجها بدون موافقتها. ووَرد مؤخرا جدلا قائما على تعديل قانون الأسرة في إباحة الزواج للمرأة دون وليّ، واعتبرت أنّها فكرة صادرة من جمعيات نسائية متحررة وبعيدة كل البعد عن عادات ومعتقدات الشعب الجزائري؛ وينتظر أن ينتقل هذا الجدل الي البرلمان... بين المؤيدين والمعارضين[3].

- **التعديلات الخاصة بقسم الطلاق**

عمل المشرّع الجزائري بوجوب المرأة اتخاذ قرار فصل العلاقة الزواجية بمحض إرادتها، بالطلاق أو الخلع، وذلك يعمل على رفع عنها أي شكل من أشكال العنف الزوجي ضدّها؛ وعليه، يمكنها أن تطلب التطليق لأسباب واردة في المادة 53 "معدّلة" بموجب الأمر رقم 05-02 المؤرخ في 27 فبراير 2005، من أهمّها: عدم الإنفاق؛ الهجر في المضجع فوق أربعة أشهر؛ الغيبة بمرور سنة بدون عذر ولا نفقة؛ مخالفة الشروط المتفق عليها في عقد الزواج، الشقاق المستمر بين الزوجين؛ كل ضرر معتبر شرعا؛..."

---

[1] . توضيح قانون رقم 63-224 المؤرخ في 29 يونيو سنة 1963 المتضمن تحديد السن الأدنى للزواج، نظر يوم 2020/02/24 على الساعة 09: 12 على الموقع التالي: https://elmouhami.com/ قانون-رقم-63-224-المتضمن-تحديد-السن-الادنى-ل/

[2] . أحمد الشامي، قانون الأسرة الجزائري طبقا لأحدث التعديلات، ص.66، نقلا عن: يوسفي كهينة، ولامي ليلى، عقد الزواج وفقا للأحكام الجديدة لقانون الأسرة الجزائري، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في القانون الخاص، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة عبد الرحمان ميرة، بجاية، السنة الجامعية 2013/2012.

[3] . دنيا الوطن، 2004/08/20: https://www.alwatanvoice.com/arabic/news/2004/08/20/8725.html.

وضمن نفس المضمون قد أضيفت المادة 8 بالأمر رقم 05-02، لحماية المرأة من العنف الزوجي لم تكن قد حرّرت مسبقا في القانون رقم 84-11 المؤرخ في 09 يونيو 1984، فتعتبر مادّة جديدة تنصّ: في حالة التدليس، يجوز لكل زوجة رفع دعوة قضائية ضد الزوج للمطالبة بالتطليق؛ كما أضيفت المادة 53 مكرر، وهي مادة جديدة بموجب الأمر رقم 05-02، تنصّ أنه: يجوز للقاضي في حالة التطليق أن يحكم للمطلقة بالتعويض عن الضرر اللاحق بها. وعامّة يجوز للزوجة مخالعة زوجها دون موافقة الزوج بقدر مالي تبعا للمادة 54 معدّلة بالأمر رقم 05-02. وفي كل الأحوال إذا انقضى حكم الطلاق، فالزوجة لها كل الحقوق في النفقة والحضانة والمسكن. -راجع المادة 57 مكرر(جديدة)، والمادة 64 (معدّلة) من قانون الأسرة-

- **التعديلات الخاصة بقسم الحقوق والواجبات بين الزوجين**

قد كان قانون الأسرة تبعا للمادة 39 التي حررت في ظل القانون رقم 84-11 المؤرخ في 09 يونيو 1984، تُجبر المرأة أن تكون زوجة مطيعة وكنّة تحترم عائلة الزوج. هذا النص القانوني كُتب لخدمة المجال العائلي، لحماية أي شقاق يعمل على إخلال التوازن في التدرج السلّمي العائلي،[1] ولكن في الواقع هذا القانون أدّى إلى اضطرابات في التفاعل بين أعضاء العائلة، أين وجدت الزوجة نفسها في وضع تعسّفي، مضطهدة في علاقتها بأسرة الزوج عامة والحماة خاصّة، مُجبرة قانونيا وعرفيا على التحلّي بالطاعة والخضوع للعائلة، تفقدها شخصيتها ومكانتها كإنسانة لها قيمة اجتماعية، وعليه وبموجب التغيرات التي رَفعت بمكانة المرأة اجتماعيا ضمن المجال العام وما تتضمّنه من اتفاقيات دولية ووطنية حول الحدّ من العنف ضدّ المرأة تمّ كذلك تعديل القانون الأسري بالأمر رقم 05-02 المؤرخ في 27 فبراير 2005، يضمن للمرأة مكانة موقرة ضمن المجال الأسري، ويضبط علاقات التفاعل الأسرية بعد الزواج بفعل الاحترام بمدأ الأخلاق، حيث تمّ إلغاء المادة 39 من القانون السابق، وتعديل المادة 36 التي تضبط العلاقة بين الزوجين وعلاقة كل منهما بوالدي القرين، والتي جاء فيها ما يلي: **"يجب على الزوجين: المحافظة على الروابط الزوجية وواجبات الحياة المشتركة؛ المعاشرة بالمعروف وتبادل الاحترام والمودة والرحمة؛ التعاون على مصلحة الأسرة ورعاية الأولاد وحسن تربيتهم؛ التشاور في تسيير الأسرة وتباعد الولادات؛ حسن معاملة كل منهما لأبوي الآخر وأقاربه واحترامهم وزيارتهم؛ المحافظة على روابط القرابة والتعامل مع الوالدين والأقربين وبالحسنى والمعروف"**

وعليه ومن كل ما سبق من تشريعات وقوانين صدرت في قلب التحولات الاجتماعية، فإنّ المرأة أصبحت لها في الوقت الحالي قوانين وتشريعات وأحكام تسمح لها بالتحرّر وتجاوز عقبات اجتماعية قد تضعها في مكانة تراتبية بالجنس الآخر؛ ولكن رغم كل الجهود التي عملت الدولة على ارسائها لإعلاء مكانة المرأة وحمايتها من كل عنف وارد ضدّها إلاّ أنّ "الوزارة المنتدبة بقضايا الأسرة والمرأة تشيرة مؤكّدة أنّ المكتسبات المعتبرة التي تحققت اجتماعيا فوارقها لا تزال موجودة بين الرجال والنساء،"[2] فالعرف العائلي لا يزال مرتبط بثقافة تؤكّد المكانة المتدنية للمرأة في الوسط الأسري ولا تزال محافظة على التمييز بين الجنسين وما يتبعهما من أدوار النوع الاجتماعي والتي يتطبع عليها أفراد المجتمع الواحد طوال مراحل تنشئته من الطفولة إلى الرّشد أين تتحدّد معايير الضبط الاجتماعي الذي يؤدّي إلى التمييز بين الجنسين، فـ"التغيير مهما بلغت درجته يعمل على إحداث معارف وأحكام جديدة ما تلبث إلا أن تتصارع مع المعارف العامة، بمعنى آخر فإن علماء التحديث يقولون بأن التغير قد يفسد تنظيم النسق السابق للسلوك، وأن القواعد والممارسات الجديدة ما تزال في طور النمو[3] ضمن مجال محتدم الصراع بين الجيلين وبين الجنسين، شذراته المعنّفة

---

[1]. Addi Lahouari, Les mutation de la société Algérienne : famille et lien sociale dans l'algérie contemporaine, OPU, Alger, 1994. P.74

[2] . الوزارة المنتدبة المكلفة بالأسرة وقضايا المرأة، التقرير الوطني للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، الاستراتيجية الوطنية لمحاربة العنف ضد المرأة: أمان المرأة... استقرار الأسرة، د.ت.

[3] . صالح خليل الصقور، أثار التفكك الأسري على النظام الاجتماعي العام، دار زهران للنشر، الأردن، 2013. ص.18

تُبعث من جرّاء "مشاكل علائقية" و"مشاكل بنيوية" والتي أشار إليها Hassani Ali موضّحا أنّ الأولى مرتبطة بالحوار والتواصل، اختلافات في وجهات النظر، وتبادل الآراء، التضارب في المصالح وتكون مفروضة على الطرف الآخر في علاقات التفاعل، مع مطالبته بالتخلي عن مصالحه الخاصّة، على غرار ما يحمله المجال الأسري من منمّطات.. أما الثانية فمرتبطة بالبناء التنظيمي الغير ملائم كما هو عليه في التدرج السلمي الصارم وما ينجم عنه من خلافات، باختلاف القيم والمعتقدات، خاصّة أنّ القيم هي أساس اليقين بما هو صحيح أو خاطئ، جيد أو سيّء، عادل أو غير عادل، وجلّ المعايير المختلفة لتقييم الأفكار والتصرفات؛ وهذا يعني أنّ الصراع يحدث عندما تختلف منظورات القيم؛ أو عندما الجماعة القيادية تعلن التقيّد بقيمها الخاصّة (نمط الحياة، الإيديولوجية..)"[1] في مجتمع قنّن العلاقات الاجتماعية بين الجنسين ووَجّه مسار المرأة نحو المجال العام أين صقلت شخصية مقاومة للمنمّطات التقليدية الأسرية.

II. التنشئة الأسرية للمرأة في مجتمع متغير بين التقليد والحداثة:

ما تبيّن لنا في الدراسة الميدانية أنّ التنشئة الأسرية للمرأة تستمدّ معاييرها وقيمها من معتقدات مبنية على تضارب بين ما هو تقليدي وحديث. من جهة، تتطبّع على نظم اجتماعية متوارثة عبر أجيال، بناءا على تصورات تقليدية مأخوذة من ثقافة الأواصر خاصّة فيما يخصّ الأدوار الاجتماعية الجنوسية، ونمط تقسيم الفضاءات المجزّأة إلى قسمين تميّز كل من الذكر والأنثى؛ ومن جهة أخرى، التغيرات الحديثة عملت على إرساء طابع جديد في نمط التنشئة الاجتماعية الأنثوية الممزوجة، بين من يوجّه ويرسّخ مكانتها التقليدية في علاقتها بالمجال الأسري، وبين من يدعّمها ويوجّهها ويشجّعها للاندماج ضمن المجال العام حيث تتجاوز دورها التقليدي، فرغم ما يصبوا إليه الوالدين لبناء صورة جديدة للمرأة في عالم متغيّر لإثبات ذاتها، إلاّ أنّه من جهة أخرى لم يتخلّيا عن التصورات التي تؤكّد مكانة المرأة في الأسرة، ومصيرها المرتبط بالزواج وما يتبعه من دور الأمومة وتربية الأبناء، فإنّ "الأسرة تتأثر بالأفكار والمعايير السائدة في المجتمع،[2] وبناءا على ذلك، المرأة مهما بلغت من نجاح دراسي ومهني إلاّ أنّ مصيرها الزواجي ينتظرها والأشغال المنزلية تبقى لصيقة بها.

1. دور الأب في تنشئة المرأة

كما رأينا مسبقا أنّ المرأة حاليا توصّلت لطموحاتها واقتحمت الفضاء العام إذ أسفرت عن وجودها وأثبتت كفاءتها الدراسية والمهنية، وما ثُبت في البعض من الحالات المنتقاة من الميدان، وكما أثبتت بعض الدراسات التي سبقت دراستنا[3] أنّ الأب يُعتبر هو الشخص الذي يُشجّع المرأة في صقل شخصية مختلفة عن المرأة التقليدية، يدعمّها ويساعدها على تغيير اضطلاعها للحياة؛ فتخبرنا المبحوثات:

> "الأب كان يحب القراي.. **الأب كان مزيرنا على القراي**.. كنت في الابتدائي لم أكن أحب أن أدرس.. **كان يضربنا كامل** كان مزيرنا على القراي.. **ظروفنا كانت قاسية**... دخلنا للمدينة.. كانت الحالة مزيريّة، وبرّانية في وسط المتحضّرين.. شويّ تقدّما لم تكن عدنا إمكانيات. فإذن في المتوسط حسّيت راسي غاية، زعما ريّحت، صبت راسي، مع انّني تفوّقت في الدراسة.. والأب كان يحب لي يقرا" (المبحوثة رقم 5)

> "الشيئ الذي فعله الأب أثار اعجابي، الأب هو الذي حمّسني باه نخدم هُنا في وهران، لو كان ماشي هو مانجيش نخدم هنا في وهران.. درت lanevette معسكر/وهران، ومرات نروح لعند أختي متزوجة هنا في وهران.. كنت في إطار تشغير الشباب وla situation تع دارنا ماكانتش غاية.. في حا الوقت خرج بويا من الخدمة عشنا ضروف صعبة ومن بعد فاتت.. تحمست وتشجعت وقلت دارنا انا أبنيها.. وأنا نقوم بيها وكمّلت البنيان.. عاونت بويا.. وبنيت الدار والحمد الله خليتها لوالديّ.. قلت لهم الله يسمح" (المبحوثة رقم 18)

---

[1]. Hassani Ali, Des mots pour comprendre le conflit et la violence, O.p. Cité, p.21

[2]. May Clarkson, O.p. Cité, P.31

[3]. Voir: Fsian Hocine, Thèse Doctorat d'état, psychologie clinique, identité féminine – identité masculine à propos des relations Homme/Femme en Algérie, université d'Oran, Année universitaire 2005-2006 ; voir aussi : Mostefa Boutefnouchet, la famille algérienne : évolution et caractéristiques recentres, diffusion, Alger, 1980.

إنّ من حديث المبحوثات يتبيّن لنا أنّ "الأب هو الفاعل الاجتماعي النشط الذي يعمل على تغيير مسار المرأة خارج الفضاء المنزلي،[1] إلاّ أنّه من جهة أخرى تبيّن لنا من خلال تصريحات المبحوثات، أنّ تشجيع الأب للبنات على الدراسة والقبول إلى العمل يخفي وراءه غاية وغرض لمنافع جماعية أكثر منها فردية، حيث الأسرة تبحث على الارتقاء المادي والطبقي في وسط اجتماعي أكثر تحضّرا، لا يمكن أن يخبوا ربّ العائلة إلى هذا الطموح إلاّ إذا اندمج أعضاء الأسرة ككل في محيط أوسع، يكسبون ثقافة المجتمع السائدة وقيمه ومعتقداته الثقافية ومعاييره فيحرزون الاندماج الاجتماعي، والذي يؤكّد -في حالات- بفعل معنِّف، مضمونه المباشر يوجّه لغرض الدراسة؛ وكما يُلحّ الوالد على تحفيز بناته لإثبات ذواتهن ضمن المجال العام بصفة مطلقة إذا الظروف المادية الأسرية تكون في حالة ميؤوس منها حيث يعجز عن الإعالة الأسرية و/أو يرغب في المساعدة أين تختلف المكانات حيث يصبح الأولياء تحت رعاية الأبناء، وهذه تكون فرصة وللأبد بالنسبة للمرأة لتحرز مكانة اجتماعية، تكوّن شخصية مستقلة عن الجماعة؛ وعليه يخبرنا Welzer-Lang أنّ الفتيات الشابات من الأحياء الشعبية، تستنفع بالمدرسة لتحرز على رأسمال دراسي وتترقى اجتماعيا، فتُؤجّلن الوقت المحدد للزواج، ولا تقرّرن العودة إلى مدينتهنّ إلاّ بعد إثبات ذواتهنّ وتحقيق مستقبلهنّ الفردي. تحاول من خلال استراتيجياتها تغيير اتجاهها، وتقوم على مساعدة الأب في النفقات حيث تصبح لها سلطة ضمن النظام الأبوي... فبعضهنّ ترحل عن الحيّ، وبعضهنّ تبقى... ولكن دائما هناك فتيات تتحرّك وتتغيّر مثلهن مثل الرجال؛ منهنّ من تفضّلن البقاء ومنهنّ من تتّبعن دراستهنّ وتحققن نجاح مهني. النساء اللواتي لم تثبت ذاتها ضمن المجال العام ستصدأ في مكانها، وتتشنّج، تبقى تحت الحماية الذكورية،[2] بعدما حرمت من متابعة دراستها جُعل منها امرأة لا تتمتع بشخصية مستقلة مرتبطة بمكانتها كامرأة تقليدية سجينة المنزل، بإرادتها أو بصفة تعسّفية تُكبح، من الاندماج ضمن المجال العام حيث الأعراف الأسرية والمنمّطات الاجتماعية تستدعي المرأة أن تثبت كفاءتها في المجال الأسري، لتكون امراة لها مسؤوليات تنتظرها بعد الزواج. فتحكي المبحوثات:

"بّا علّمني أتّكل على راسي.. صغيرة نروح البلدية نخرج papier، نروح centre ville بّحدي.. كان يشجّعني باش نقرا، ولكن من بعد لما التحقت بالثانوية قالي إذا استطعت وصّل غير النهائي وصايي.. ماكانش علابالوا إذا ننجح في الباكالوريا أو لاّ... كي قفلت 20 عام حبّ يزوجني.. أنا رفضت... كنت حابة نزوّج ولكن بعدا ماشي هذاك وماشي عند هاذوك الناس" (المبحوثة رقم 14)

"مولات 14 سنة بغاوا يزوجوني... كنت عاد نقرا في المتوسط زوجة أبي بغات تتهنى منّي.. بويا ما قالش لاّ، حتى كي صقصاوا عليه لقاوه ماشي تع زواج.. وبويا كي وصلت للنهائي خسرت الباكالوريا قالي حبسي قعدي في الدار" (المبحوثة رقم 15)

"أحسّ بالنقص، بالاك لّي ماكملش قرايتي هذا نعم.. أنا D.E.A وحبّست... كي زوجت ومشيت للبويرة ما نجمتش نكمّل قرايتي.. انا حبيت نعمل pharmacie، c'était mon rêve، ولكن الحمد الله.. حتى واحد ما منعني.. من بعد دبّرلي mon marie خدمة وقعدت نخدم" (المبحوثة رقم 4)

من خلال هذه التصريحات، يتبيّن لنا أنّ بعضهنّ من النساء اكتسبن منذ طفولتهن معايير الحياة الاجتماعية، واستبطنت في أواصلها رمزيات اجتماعية كوّنت لها صورة حول ذاتها مرتبطة بالفضاء الخاص، ومقتنعة في أعماقها أن مآلها ينتهي ببناء أسرة رغم ما توصلت له من نجاح دراسي فـ"إنّ إستعاب ما هو منتج اجتماعي ثقافي كبعد طبيعي إعتيادي صرف، يجعل المرأة تشعر في قرار نفسها أنّ رضوخها له هو جزئ لا يتجزّأ من طبيعتها ذاتها"،[3] حيث تكون موجّهة تحت عنف رمزي محض، لا تستطيع مقاومة القيادة الأسرية، حتى وإن بعضهنّ كانت واعيات أنّهن منساقات بضغط أُسري، ولكن من الممكن أن تنحاز بعضهنّ نحو المناهضة والإصرار على بناء ذاتها، لتستقل عن

---

[1] . أنظر فسيان حسين، نفس الرسالة، ص.ص.475-476؛ أنظر كذلك: قرطي فائزة، الزوجان والعلاقات الأسرية، مذكرة لنيل شهادة ماجستير، تخصص علم الإجتماع العائلي، السنة الجامعية 2016/2015.

[2]. Welzer-Lang D., Virilité et virilisme dans les quartiers populaires en France, VEI Enjeux, n° 128, mars 2002. P.12

[3] . شارب دليلة، رسالة دكتوراه سبق ذكرها، ص. 50

سلطة الأب المادية والمعنوية، فتفرض إرادتها، تمنع الجماعة والأب بوجه الخصوص على توجيه مستقبلها؛ وإذا ما وضعت الوالد تحت الأمر الواقع وخضع لإرادتها سيمارس سلطته الأبويّة أين يضع الابنة تحت الاستغلال المطلق يسلبها استقلاليتها الذاتية المادية.

فتحكي المبحوثة رقم 15:

"بويا.. ما خلانيش نكمل قرايتي.. كنت خدامة في الدار نغسل ونطيب ونربي.. إيا كان في عمري 17 سنة أو 18 سنة بقيت نعمل les formations ونحط les dossiers ومانقولش لبويا.. داخلة وخارجة.. قلت إذا حَكْمت تمّ أقول له... حتى هي قالت له: ماراهيش تقعد في الدار. بويا فاق بيّ قالي مالكي راكي غير تخرجي برّا ... إيّا تمّ قلت له.. مسكوني في العمل... إيا ترعف غير نخلص بويا يديها الشهرية قاع.. يقولي راني نلايملك، وهو ما يلايم ما والوا.. يفرض علي يقول لي: الدراهم جيبيهم.. حتى ما نلقاش باه نشري صوالحي.. وأنا عاد صغيرة 18 سنة ما نقدش نهدر كي ندير... حتى قطعت قلت له الدراهم راني ندسهم في la cnep.. وهكذاك كل مرة اعطيني مليون و2.. إيا نمدله".

إنّ من خلال التصريح الأخير وما تبيّن لنا في الدراسة الميدانية والتي وضّحت أنّه 48% من النساء حُرمن من إثبات ذواتهنّ خارج المجال الأسري من طرف الأسرة الاصلية (أنظر الجدول رقم 19) والمتوضّح في التمثيل البياني التالي:

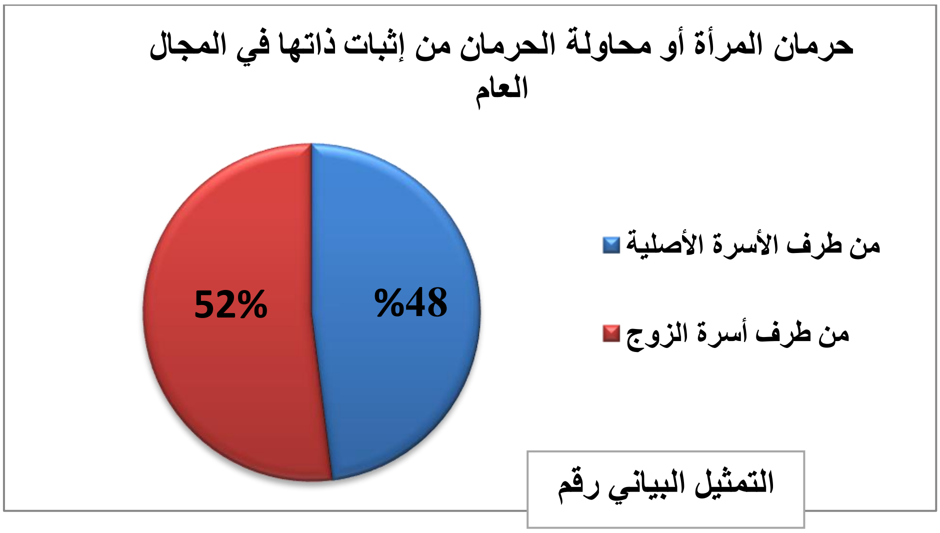

لقد ثُبت لنا أنّ المرأة كانت ولاتزال منعزلة عن المجال العام، لا يُسمح لها الدخول إلى الميدان المهني بسهولة، فغالبا عند بلوغ المرأة سنّ الزواج يرى الأب فيها صورة المرأة الراشدة التي يتوجّب عليها تأكيد نجاحها الأسري كزوجة وأم، لتعود إلى المجال المخصص لها منذ أجيال مضت، فـ"كل امرأة اقتحمت المجال العام، وتوصّلت إلى مستوى دراسي مقبول، تكون تحت الضّغط بناءا على التقاليد وعلى الهيمنة الذكورية، تتعرّض للتهديدات في ترك الدراسة من طرف الأب... على أقلّ حُجّة، إذا ما خنعت للتقاليد حيث يفرض عليها الحجاب، أو أنها أخفقت في الدراسة، أو في أي امتحان، بحيث يساء الضنّ بها. غالبا ما يتم فرض المكوث بالبيت للمرأة إذا أخفقت في امتحان الباكالوريا. وتتبنّى أعمال قاسية ومجحفة بعد سجنها في الفضاء المنزلي وتطويقها في أشغال المنزل، وبالتالي زواج مبكّر والذي غالبا ما يستدعي التفاوض مع الأسرة. الأمر الذي يستدعي بالفتيات بذل مجهودات، وتذليل الصعوبات الدراسية، لتنجح وتحرز على نتائج مشرّفة،[1] فالمجتمع لا يتقبّل فردية المرأة بحكم هويتها المرتبطة بالهيمنة الذكورية، هذه الأخيرة التي يعاد إنتاجها من جيل إلى جيل، تكون تحت المراقبة، يعمل نساء العائلة على توعية الفئة الذكورية بفعل ميكانزم التحريض بإعادة تذكير النظم القيمية والأخلاقية للمجتمع التقليدي، حيث لا يستهان بدور الأم التي تؤكّد مكانة المرأة وأدوارها

1. Sellak bounoua, C.p.

الأنثوية فتعيد إنتاج النظام الأبوي، أين تبقى مساهة المرأة في المجال العام مقيّدة فضَعيفَة؛ *والدخل المادي الذي تقتضيه ما هو إلاّ رمزا لنوع من الاستقلال الاقتصادي، ورمزا لعملها خارج البيت، كضرورة ملموسة لمساعة الأسرة على تحمل أعباء الحياة*،[1] ولا يمكن لها أن تتجاوز ما حدّدته لها الطبيعة البديهية.

2. دور الأم في إرساء مكانة المرأة وأدوارها التقليدية

تخبرنا المبحوثة رقم 5: "الأم نحاسبها نقول لها لو كان ماشي بّا لو كان ما قريش.. تقول لي وتزعف كيفاش! كنت نعبيكم بيديّ يديروا les cours.. هي تحرص على الطياب"

إن من خلال تصريح المبحوثة، وما تبيّن لنا في عدّة حالات، أنّ العلاقة بين الأم والإبنة هي علاقة معقّدة تحكمها وضعيات متضاربة بين ما هو تقليدي سائد في النظام الاجتماعي العام، وبين المستجدات الحديثة التي تخللت البينة الأسرية أعطت انطباع جديد لوضع المرأة، فبات وضع الأم في المجال التربوي صعب تحديده، أُلقيت مسؤوليات ثقيلة على عاتقها في النمط التنشئوي للإبنة في مجتمع متغيّر حيث تتحيّر في كيفية تربيتها؛ من جهة تريد لابنتها تفوق في المجال العام، فتقوم بواجبها لتضمن لها حياة اجتماعية عصرية، ومن جهة أخرى تحاول الأم ضبط ابنتها اجتماعيا في المجال الأسري، تحاول أن تغرس فيها القيم الاجتماعية الموافقة للعرف الاجتماعي العائلي المبنية تحت مبدأ التقسيم الجنسي من حيث الأدوار والمكانات والفضاءات، تريد لها نجاح أسري أين تكون امرأة مسؤولة على أعضاء العائلة، فهمّ الأم هو إنشاء امرأة نموذجية ناجحة كأم وزوجة وكنّة لأسرة الزوج، وهي بمثابة أدوار أساسية لها، بما أنّ الزواج هو مصيرها الأخير، فرغم تطلعات المرأة للنجاح ضمن المجال العام إلاّ أنّه يستوجب عليها إحراز النجاح في علاقاتها العائلية بعد الزواج أين يستوجب بذل جهد للاندماج الأسري،[2] وتفوّق المرأة في هذا الأخير يعتبر تفوّق للأم في تنشئة ابنتها بما هو معترف به اجتماعيا، ولهذا "تربية الفتاة تُعدّ مثل الدقّ على الحديد. أمها تعطي التعليمات من الصباح إلى المساء،[3] تعمل على تكوين ابنتها ضمن الفضاء المنزلي من حيث الأعمال المنزلية والطبخ، وتلقّنها في نفس الوقت نمط العلاقات الأسرية بعد الزواج، فـ"تنشأ الابنة على الطاعة والخضوع؛ وعلى هذا الأساس يتمّ اختيار الزوجة التي يعتبرها نساء العائلة الصالحة ككنة للعائلة - تكون امرأة منصاعة للحماة وأسرة الزوج- حيث يتم الزواج المرتب"[4] وهذا ما سيثير حنق المرأة – كما سنرى في دراستنا وفي نفس المحور- التي تنخدع في اتجاهات أمّها في توجيه مستقبلها بعدما تمّ "التكفّل بها عن طريق عملية التنشئة الأسرية وصنع امرأة كاملة قادرة على إدارة عائلة أخرى تمّ تحضيرها لفائدتها دون خلل.[5]

1.2. النمط التربوي للأم: نمط تقليدي صارم في مجتمع متغيّر

أ. المراة تكتسب دورها التقليدي بفعل العنف

الفتاة منذ صغرها تُلقّن على اكتساب أدوارها الاجتماعية الأسرية بجانب الأم، أين تتعرّف على نفسها وتَعي أنّ الفضاء المنزلي هو الأوّلي لها والمخصص لها اجتماعيا، فتتعلّم الأشغال المنزلية، تتدرّب على غسل الأواني ابتداء من السنة السادسة من عمرها، تضع لها الأم مقعد صغير تقف عليه لتصل إلى حوض الغسيل فيسهل عليها مزاولة العمل، وتبدأ مع مرور الوقت تنحاز لأمور

---

[1] . شارب دليلة، رسالة دكتوراه سبق ذكرها، ص.230.

[2]. Voir : Kaufmann J-C., sociologie du couple, 1ère édition, PUF, 1993. P.63.

[3]. Lacoste-Dujardin Camille, Les mères contre les femmes : Maternité et patriarcat au Maghreb, la découverte, paris. 1985-1996. P.75

[4]. Voir : Lacoste-Dujardin Camille, C.p., P.21

[5] . شارب دليلة، رسالة دكتوراه سبق ذركرها، ص.57؛ أنظر كذلك: Lacoste-dujardin، نفس المرجع السابق، ص.75

المطبخ، إلى أن تتعوّد على شُغل الدّار،[1] فهي الأشغال التي تعدّ من واجباتها وملزمة على استوفائها لمّا تصبح امرأة راشدة، يُلزم عليها تقبّلها فهي التي تحدّد لها مكانتها، وإذا تعنّتت عن آدائها قد تتعرّض للعنف اللفظي أو حتى الجسدي من طرف الأم التي لها الدور الرئيسي في تنشئة الفتاة. فتحكي المبحوثات عن نمط حياتها في فترة الصبّى، والنمط التربوي التي تلقّته في علاقتها بالأم:

"العقاب الممارس عليّ كان الضرب. كانت تضرب بالتّيو، غير "مّا" لي تضرب، وعندما يأتي أحد لكي يْسلّكْنا هذاك وين تَحْرَن وتزيد في الضرب.. في الدار لو لم تلقى الدّار مرتّبة أنا آكل السّوط أخواتاتي كانوا صغار أنا تحملت كلّش.." (المبحوثة رقم 6)

"كانت قاسية في المعاملة... على شغل الدار تأنبني وتصرخ عليّ" (المبحوثة رقم 14)

ما يتبيّن من تصريح المبحوثات أنّ العلاقة التي تربط الأم بابنتها تتمثّل في علاقة تنشئوية تربوية، حيث "الأم تجهّز ابنتها لتأسيس أسرة، وتعلمها كيف تتمسّك بمنزلها، وعليه تعدّ الأمّ حامية للثقافة التقليدية والمحافظة عليها"[2] فتعيد إنتاجها. قد تتجرّأ إلى إرساء وترسيخ التصورات التقليدية للمرأة عنوة بفعل العنف تعمل على ضمّ ابنتها إلى عالمها النسوي إكراها، وفي سنّ مبكّرة منذ فترة الطفولة والصبا تجهّزها لمرحلة الزواج، حيث من الممكن أن تتزوّج كذلك في سنّ مبكّرة.

يوضح Repusseau أن العنف مندمج في إطار التربية بلاوعي في مرحلة الطفولة مُعتبرا أنه، يُلقّن ويُعاد إنتاجه من جيل إلى جيل بدون شعور، يدخل في إطار بديهي طبيعي، فلا يمكن أن نتصوّر تربية بدون ضغوطات وتهديدات؛[3] والفتاة يكون لها نصيب وافر في هذا النمط التربوي بخلاف الصبيّ، مُعبّرة simon de beauvoir بذلك،[4] الذي يكون تحت خدمة الأُخت وكل نساء العائلة.

ويوضّح Andrée Michel منتقدا هذا النمط الذي يركّز على التقسيم الحاد بين الجنسين من حيث الأدوار حيث لا يمكن أن نتّخذه في المجال التربوي لتنشئة الأبناء كنمط مثالي في مجتمع يحمل قيم حديثة وأهمها فكرة التساوي بين الجنسين؛ ويستطرد .Andrée M في نفس الفكرة مُفسّرا من جهة أخرى التوازن والاستقرار بين الزوجين الذي لا يمكن تأمينه من خلال النمط القديم. فهو نمط لا يؤمّن التوازن الانفعالي للزوجين... حيث المراة الشابة تتطبع على نفس هوية الأم ومثلها تعدّ للحياة الأسرية، ستعجز عن الاندماج في مجال مهني، وأسرتها لا تولّد لها الدافعية في ذلك. والأم هي من تعمل على تأمين أهم الأعمال المنزلية فتترسّخ هذه الفكرة في البداهة،[5] فتُستبطن في أواصل المرأة حيث تعيد انتاج نفس النمط التربوي لتحرص على إعادة إنتاج الدور الاجتماعي المخصص للفئة النسوية، فـ"رغم أن البنات لا تتقبلن ولا تتحمّلن الأوامر وما هو مفروض من واجبات من طرف الأم لتقمن بالعمل المنزلي، إلاّ أنّه، في اليوم الذي تخرج منه الفتاة إلى أسرة مستقلة تجد نفسها في نفس الوتيرة للحياة الأسرية. وحتى نفس العلاقة أم/أبناء لأنّها العلاقة الأساسية والمميّزة التي تعمل على نقل الدور الأنثوي في الأعمال المنزلية،[6] الأمر الذي يدفع في اللاوعي بإعادة إنتاج الظروف نفسها التي أدت إلى قهرها، مع أن التنشئة الاجتماعية تقوم بها المرأة في مجتمع يفصل بين الجنسين، فتفسّر سيمون ديبوفوار هذا التناقض على أنه، في الواقع خلال العملية التنشئوية تكوّن الفتاة صورة عن نفسها منقولة إليها من أمها إلى حد كبير مع التصور الأبوي لدور المرأة، ثم تنعكس صورة الرجل عن المرأة لتكوَّن صورة المرأة عن نفسها... وتقوم المؤسسات التعليمية الحديثة بتثبيت هذه النظرة الذكورية عن المرأة ويساعد على تعميقها من طرف المرأة ذاتها، وبذلك يصبح تصور المرأة عن نفسها أحد العوامل المهمة في استمرارية النظام،[7] وبذلك تبقى المرأة أسيرة التقاليد تدفع إلى إعادة انتاج دور المرأة

[1]. Voir : Zerdoumi Nefissa., Enfants d'hier : L'éducation de l'enfant au milieu traditionnel algérien, François Maspero, Paris, 1982. P.187

[2]. Pierre Bréchon, la famille idées traditionnelles, idées nouvelles, 1976. P. 42; voir aussi : FSIAN Hocine, Thèse Doctorat d'état C.p., P.p.475-476

[3]. Voir :Repusseau Jean. Education et violence. In: Revue française de pédagogie, volume16, 1971. p. 5-11

[4]. انظر: سيمون دي بوفوار، ترجمة: ندى حداد، الجنس الآخر، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2008. ص.ص.67-68

[5]. Pierre Bréchon, O.p. Cité, P.47

[6]. Kaufmann Jean-claude (1992), O.p. Cité, P.p.36-32

[7]. عبد القادر القصير، مرجع سبق ذكره، ص.219

التقليدية في غور التغيرات الاجتماعية العامة، تحرم من اثبات ذاتها بحكم أنّ المسؤوليات الأسرية أولى من أي دور تخوضه ضمن الفضاء العام.

ب. امرأة تتحمل مسؤوليات أسرية تفوق إرادتها: تحرم من الاندماج ضمن المجال العام

تحكي المبحوثات:

"قعدوني في الدار، جدّتي مرضت وماكانش لّي يعاون ماما بعدما تزوجت أُختي.. نحس بلّي حرموني باش نكمّل قرايتي.. " (المبحوثة رقم 13)

"كان خاصهم –أسرة الأم-... نقابل جدّتي مريضة... ومن دون شك نوصل نبطّل القراي من بعد... Déjà كانوا حابّين نعيش في دار جدّي.. غير ربّي شاف فيَّ" (المبحوثة رقم 14)

"أنا أمية، ماقرّاونيش والدي.. أخواتي قع قاريين.. انا أمي كانت تولد هذا مور هذا.. ماطوّلش وتَرفد.. كنت نحس راسي مضلومة ولكن ماندافعش على راسي لا" (المبحوثة رقم 8)

إنّ من حديث المبحوثات يتبيّن أنّ الأم –أو نساء العائلة- تقوم بالحدّ من حريّة الابنة إذ تدفعها إلى استوفاء الأعمال المنزلية وتحمّلها مسؤوليات تفوق سنّها وتتجاوز إرادتها في علاقتها بأعضاء الأسرة، حيث أنّ "الفتاة الصغيرة تستوفي بالعمل المنزلي القاسي بإذعان.. وتتحمل مسؤوليات الاعتناء بإخوتها وأخواتها وهي لا تزال صبية في سنّ الثانية عشر. الأم منهمكة في عطلة الأمومة بعد ولادات متكرّر، أو أنّها، يأخذها الخمول والارتجال. والجدّة أخذها الوهن، عاجزة عن القيام، والأب غير مبالي "أَعمى". في هذه الظروف الأخت الكبرى تصبح سيّدة المنزل، تعتاد على دورها ولا تحلم بمناهضة الوضع،[1] إلى أن تُقاوم عُنف مزدوج بين الخضوع لمتطلبات العائلة قهرا، وبين حرمانها من إثبات ذاتها في محيط أوسع من المنزل، مقارنة نفسها بالرّجل، غالبا ما يكون الأخ له الفرصة لتأكيد ذاته خارج المجال الأسري، حيث توضّح سناء حسنين الخولي أنّ "هناك بالنسبة للنساء ما يُعرف "بالضغط الثقافي" من أجل استيعاب الدور في الوقت الذي تكون فيه للرجال حرية؛[2] وولهذا تعتبر Evelyne Josse أنّ "تكليف المرأة في سنّ مبكرة للقيام بأشغال المنزل وبإفراط وقسوة، هو من أنواع العنف الجندري.[3]

إنّ من نتائج دراستنا حول موضوع العنف الأسري تبيّن لنا أنّ المرأة بإمكانها أن تتوصّل إلى النجاح المهني والدراسي نظير الرّجل لو لا ظروف علاقتها بالعمل المنزلي، أين يطلب أعضاء العائلة يد عاملة مجّانية في المهام المنزلية، تقوم بمساعدة الأم في أعباء الحياة اليومية قسرا، ويفرض عليها المكوث بالبيت –أو تضطر له- للاعتناء بالأم في حالة المرض أو الجدّة حيث يتمّ تطويق الابنة وتقويضها في تسطير حياتها وعدم احترام اتجاهاتها وميولاتها العلائقية، وهذا الموقف يعتبر عنف نفسي ممارس على المرأة في مرحلة الصبا، يُضغط عليها، فتُضبط ضمن علاقات التفاعل الأسرية، وتُكبح من حرية ترتيب حياتها، فتستعدّ إلاّ لإرضاء المصالح العامة قبل المصالح الخاصة، وهذه الذهنية هي من النمط التقليدي للأسرة حيث الفرد يكون موجود إلا لخدمة الجماعة،[4] وكما يشير بوتفنوشنت مسبّقا أنّ "نظام القيم الأخلاقية العائلية تترجم في إجبارية المساعدة العائلية والمآزة لأعضاء العائلة بصفة جبرية وبضرورة ملحّة مستعجلة إلى حدّ التضحية"،[5] هذه التضحية تؤدي إلى فقد الفرد مستقبله بعدما كرّس حياته لأجل الجماعة الأسرية؛ وعليه تشعر معظمهن أنهن حُرمن من إثبات ذواتهن ولم يواصلن دراستهن، وجدن أنفسهنّ في محيط ضيّق مملوء بالمسؤوليات، تسهر على

[1]. Zerdoumi Nefissa., O.p. Cité, P.187

[2] . سناء حسنين الخولي (2011)، مرجع سبق ذكره، ص.238

[3]. Evelyne Josse, O.p. Cité, P.10

[4]. Voir : Medhar Slimane, O.p. Cité, P.38

[5] . Mostefa Boutefnouchet, O.p. Cité, P.p.237-238.

تلبية جميع رغبات أفرد الأسرة، وتتطبع بذلك لأن تكون تابعة للرجل وتحت خدمته وخدمة أفراد أسرته، إلى أن يحين وقت تزويجها.

وعليه توضّح سناء الخولي أنّ التنشئة الاجتماعية للفتاة تؤكّد التبعية، بحيث تُربى المرأة وتُكيف عقليا خلال الطفولة والبلوغ على أن تُظهر دائما الخضوع والطاعة وفقا لتعريف دور الأنثى التقليدي، وهكذا فإن التنشئة الاجتماعية القائمة على التبعية عند المرأة تعوق تحقيق الذات،[1] ودورها الاجتماعي وعلاقتها بالمجال المنزلي يُوجّه لها مكانتها الهرمية بالجماعة الأسرية وبالجنس الآخر والتي "تضمن لها مركزها كأنثى بالغة وجديرة بالذِّكر".[2]

ج. مسؤوليات ومميزات أنثوية تكسب المرأة مكانتها التقليدية: تتطبّع لأن تكون خاضعة للرّجل

تحكي المبحوثات:

"الشيئ الذي غبنَني في الصغر، كانوا مثلا الأولاد يكسروا فُنجان، لا يُضرب الذيّ كسره "لاّ"، تَضربني أمي أنا، علاش؟ زعما ما عسّيتيهْش" (المبحوثة رقم 6)

"الأم كانت تضربني.. كانت تقرص وتضرب بالنعل، ولكن على جال الأخ الأصغر؛ وغاضتني، كي نهار لّي ضربتني بصفعة على جال خاي أنا كان خاطيني.. يمدوا الحق غير ليه رغم أنّه يكون هو على خطأ دايما.. كان يحقرني ولا تقول له شيئا.. كانت الأم تعملوا خاطروا وخاطر كامل اخواتي.. انا تقولي انت بينت يليق تاكل كلشي." (المبحوثة رقم 7)

من خلال تصريح المبحوثات، وما استخلصناه من نتائج حول النمط التربوي للإبنة المعنَّفة في علاقتها بالأم، توصلنا إلى أنّ التنشئة الاجتماعية الأسرية للمرأة تعزّز النزعة الذكورية والرجولة والتي "هي تعبير.. للهيمنة الذكورية،[3] التي تترسّخ اجتماعيا من خلال صفات ومميّزات أنثوية، وهذه الأخيرة تقوم الأسرة ببنائها في غمار العلاقات الأسرية، حيث يتبنّى أفراد العائلة معتقدات وتصوّرات ومعايير، يتعرّفون من خلالها على هويتهم الجندرية في علاقتهم بالآخر المختلف عنهم؛ والأم تُعدّ أهم عضو في البناء الأسري تعمل على إعادة انتاج العلاقة التراتبية بين الجنسين، والتي تعتبر أهم قاعدة للنظام الاجتماعي الثقافي التقليدي، و"هذا النظام الاجتماعي يخلق –كما أورد المختصين في العنف القائم على التحيز الجنسي- ما يسمى بـ"النظام العدواني"،[4] يَعي ضِمنه ومن خلاله كل من الذكر والأنثى منذ طفولتهما بمكانتهما ضمن المؤسسة الأسرية.

لقد أثبتت الدراسات أنّ الرّجل يكتسب النزعة الذكورية في تنشئته الأسرية يكوّن صورة رمزية حول الذات لمفهوم القوّة والسّلطة، والسيادة، والسموّ، فـ"يعي بتفوّق جنسه منذ بزوغه"[5] إلاّ أنه لا يستهان بكيفية تطبيع المرأة لأن تكون مختلفة عن الرجل، وتتموضع في علاقة هرمية به، حيث الأسرة تقوم بتنشئة الابنة تنشئة تقليدية، تعي منذ طفولتها بتفوّق الرّجل عنها في علاقتها بإخوتها وكل رجال العائلة، تعمل الأم على تربية كلا الجنسين على معتقدات اجتماعية مبنية على التمييز الجنسي أين تتلقى الابنة مختلف مظاهر العنف لتُخضع لمتطلبات المجتمع، تدفع ثمن أخطاء إخوتها، وتتحمّل إغاظتهم لها بحكم أنّه الذّكر وهي الفتاة التي تستجيب لمتطلباتهم وتتحمّل غلاظتهم، وعليه فإنّ المرأة تكتسب منذ صباها مميّزات تحدّد لها مكانتها الهرمية الأسرية في علاقتها بالرّجل. تعي المرأة في سن مبكّرة بمكانتها الاجتماعية الأسرية بأنّها "خلقت من أجل الرجل، ومن أجل إيفاء احتياجاته أولا،[6] تدرك أنّ علاقتها به هي علاقة خضوع واستسلام، حيث تتطبّع على مفهوم "الصبر" لضغوطات العلاقات التراتبية بين الجيلين وبين الجنسين، فـ"تتميّز بالطاعة، الاحترام، الاستقامة. مجبرة على

---

[1] . سناء حسنين الخولي (2011)، مرجع سبق ذكره، ص.264

[2] . سناء حسنين الخولي (2011)، نفس المرجع، ص.238

[3]. Welzer-Lang D., Virilité et virilisme dans les quartiers populaires en France, O.p. Cité, P.2

[4]. Revue de l'union nationale des associations familiale, Réalités: violences conjugales, C.p.P.30

[5]. Zerdoumi Nefissa., O.p. Cité, P.253

[6] . مايكب نبيل، سيكولوجية الأسرة: الرجل-المرأة-تربية الابناء، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 2014. ص.29

التحلي بالسلبية، تتميّز بالانسحاب من المواجهة، الرزانة والهدوء، وعدم الشكوى، والخدمة اللامتناهية للرجل وللطفل الذكر،[1] بصَمت، وهذا الأخيرة تشير خلود السباعي على انه يعتبر من بين الصفات المحبّذة عند المرأة اجتماعيا فيعتبر جمالا تُحافظ به على استدامة مختلف العلاقات، وكلّ المميزات الأنثوية ما هي إلاّ صفات تثبت الطاعة والإمتثال،[2] تجعل منها امرأة منسحبة غير مواجهة للمواقف دائما خاضعة ومنصاعة ضمن المنظومة الأسرية تابعة لهيمنة الزوج، يتوجّب عليها على حسب Pierre Bréchon أن تعطي صورة لحياة سلسة، هادئة"،[3] لا تستدعي شنّ الصّخب بالاحتجاج، ليس لها الحق في التعبير عن آرائها واتجاهاتها وعمّا يختلجها من مواقف تثير استياءها، فتدرك مكانتها ودورها في المجال الأسري، والذّكر يدرك في علاقته بأخواته منذ صباه أنّه سيّد المنزل، مختلف عن الجنس الآخر، غير متساوٍ معه.

يوضّح مايكب نبيل أنّه، في سياق هذه المواقف التي تكون فيها المرأة تحت ضغط التربية المحكمة بالتحيّز الجنسي في خط الذّكر، ونظرة المجتمع للرجل عموما أنه الأعلى، هنا يتعاظم إحساسه برجولته وذكورته، وتنامي أنانيته، فيشع أنه أهم في نظر نفسه من المرأة. من هنا ينشأ الصراع بين الرجل والمرأة بحكم خلفيته المتسلطة. يحاول أن يفرض سيطرته، وسطوته، وكبرياءه، وقهره اتجاه المرأة"،[4] وما عليها هي إلاّ أن ترضخ للأمر الواقع، وبتعبير آخر نشير أنّ التنشئة المحافظة المقنّنة بمعتقدات ورموز مستمدّة من معنى الرجولة والهيمنة الذكورية تولّد تصوّر بديهي للعنف الزوجي، بصفة أنّ الرّجل الذي يضرب زوجته يتميّز بالرّجولة القُحّة والمطلوبة اجتماعيا، الأمر الذي *سيولد حالة مواتية عند الرجل ليمارس بحقها الضغوط وتتقبل أخطائه*[5] كما تحمّلت سابقا أخطاء إخوتها الذكور في مرحلة الطفولة والصبا.

فلكي يحافظ المجتمع على مكانة الرجل، تُحاك مميزات وصفات خاصّة بالمرأة مختلفة عن معنى الرجولة، أو بتعبير آخر، "يُعرقِل المجتمع بناء شخصية إيجابية للمرأة، للمحافظة على سلطة الرّجل. فإنّ البناء الاجتماعي للعلاقات الاجتماعية بين الجنسين تُشوِّه حاليا حرية المرأة والشعور بالثقة في نفسها، والمكانة التي تحتلها المرأة ضمن هذه التراتبية ستنخفض قيمتها وتصبح صورة اجتماعية مشتركة تسمح بممارسة العنف ضد النساء من طرف الرجال"[6]

وعليه، العائلة تفرض بتعسّف ثقافة الأواصر وما يتضمّنها من التباين الجنوسي، والتمايز في الأدوار الخاصة بكل من الرجل والمرأة، وتفوّق جنس على جنس آخر، و"تبقى العائلة هي المؤسسة المنتجة لمعايير الإلزام"[7] يتوجب على أفراد المجتمع الخضوع والإمتثال لها ليضمن الاستقرار الأسري والاجتماعي عامّة، وهذا ما يولي إلى ممارسة العنف على أفراد العائلة الواحدة بغرض ضبط سلوكياتهم بما يناسب النظام الاجتماعي العام؛ وضمن نفس المضمون تشير سيمون دي بوفوار في مرجعها الجنس الآخر أننا لا نولد نساء ولكن نصبح كذلك، وبعبارة أخرى يعيد الأستاذ فسيان حسين المقولة مبرزا أنّه لا نولد رجال ولكن نصبح كذلك[8]

---

[1] . Revue critique de littérature, L'impact de la violence conjugale sur les enfants, C.p., P.6; voir aussi : شارب مطاير دليلة، رسالة دكتوراه سبق ذكرها، ص.55.

[2]. خلود السباعي، مرجع سبق ذكره؛ أنظر كذلك: زردومي نفيسة، نفس المرجع السابق.

[3]. Pierre Bréchon, O.p. Cité, P.37

[4]. مايكب نبيل، مرجع سبق ذكره، ص.29.

[5]. فوزية بلعجال، العنف الأسري ضد المرأة في المجتمع الجزائري، المجلة المغربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، سبق ذكرها، ص.96.

[6]. Revue de l'union nationale des associations familiale, Réalités : violences conjugales, C.p., P.29

[7]. (Jen-claude Kaufmann, le cœur à l'ouvrge, Paris, Ed., Nathan-université, 1997, P.52.)؛ نقلا عن: شارب دليلة، رسالة دكتوراه سبق ذكرها، ص39.

[8]. Fsian Hocine, Qu'est ce qu'un homme ? Qu'est ce qu'une femme? A propos d'une représentation sexuée en constante évolution, revue Insanyat : Varia n°71, janvier-mars 2016 ; Pascal duret, les jeunes et l'identite masculine, puf, 1[ere] edition, 1999.

2.2. العلاقة أم/ابنة علاقة معنَّفة بامتياز: امرأة رافضة للثقافة الأبوية

كل ما تبذله الأم من جهد لتنشئة ابنتها وتربيتها -كما رأينا سالفا- تتوصّل بوعي أو بدون وعي إلى تعنيفها؛ من جهة تركّز على ابنتها في تلقينها المواصفات المطلوبة اجتماعيا في المرأة، فتكون محبّبة عند نساء العائلة ككل، تَجلب الرّضا لاختيارها كزوجة وكنّة مستقبلية لأسرة الزوج، باعتبارها المراة المناسبة الممتثلة ضمن علاقة هرمية بين الجيلين وبين الجنسين؛ ومن جهة أخرى تعمل الأم على تأكيد مكانة الابنة ودورها الاجتماعي في أعمال المنزلية والطبخ وتثبت نجاعتها في القيام بهذه الأعمال بدون تهاون، حيث تمرّ بفترة تدريبية قاسية مع الأم، يستوجب عليها استوفاء جميع مهامها المنزلية والسهر على متطلباتهم تتحمّل مسؤوليات عائلية وهي لا تزال صبيّة تطمح لأن تخبو للتفوّق الدراسي والمهني.

إنّ كل المعايير التي يتوجب على الابنة الالتزام بها ضدّ إراتها الشخصية تدفعها إلى بناء علاقة عاطفية غير سوية تتخلّعا العدائية المُضمرة المملوءة بمشاعر الغيظ عند لكل منهما؛ حيث تحكي المبحوثات:

"الأم كانت عنيفة، عنيفة جدّا حتّى أنني لا أتحدّث معها إلاّ نادرا، لا أتذكر الأشياء اللطيفة منها إلاّ نادرا مقارنة مع أبي.. أنا لم أكن أحب العمل المنزلي.. مع لي دخلت نخدم صغيرة، مانعاونهاش بزاااف في شغل الدار، فإذن تهدر فيّ: ماتعاونيش، سامحة فيّ، نقضي بّحدي.. والعائلة كلها تحاسبني.. مرّة ضربتني بسقلة لا تُنسى قدّامهم قع.. ما حبّيتش ندخل للكوزينة نعاون زوجة خالي" (المبحوثة رقم 14)

"حرموني من القراي.. ماعنديش أم من الطفولة ماعنديش الزهر معاها مايبغونيش.. أنا ندس في قلبي.. كنت نخاف نجيب المشاكل.. مع كل واحد.. تربيت هكذا.. هاهوذا اختي تعاير "مّا" وطيّح لها الكلام ماتخليلهاش.. يدابزو غير على القضيان" (مبحوثة رقم 8)

وتخبرنا السيّدة فاء[1] وهي تبكي: "الأم لا أشعر بها.. ما كانتش توقف معي كان مادابيها نقعد في الدار معها.. الأمومة ما لقيتهاش فيها.. اخواتاتي أصغر منّي مالقاوش مشكل، وبويا كان واقف معهم.. الأب هو الحماية.. ولكن قاوَمت.."

إنّ من تصريح المبحوثات، يتبيّن لنا أن العلاقة بين الأم وابنتها هي علاقة صراع بين ما هو تقليدي وعصري، وهذه العلاقة كما أكّد بوتفنوشت تخلق بين أم/ابنة نوع من اللامبالاة والتبرّم،[2] فإنّ ظاهرة تمدرس البنات، وما يعقبها من ظاهرة الادماج المهني -والذي غالبا ما يكون في سنّ مبكرّة لا تقل عن سن التاسعة عشر (19) فما فوق- ستبني تصوّر جديد للنظام السوسيوثقافي الاجتماعي حيث تتغيّر نظرة النساء الشابّات في علاقتهنّ بالمجال الخاص، يتهيّأ لهنّ الخلاص من أعباء الحياة المنزلية، ووضع قطيعة مع المهام النسوية، فهذه "الظاهرة ستبعد المرأة عن التأثر بالأم، تتوجه إلى اقتراح نظرة جديدة للقيم في عالم ثقافي جديد، وفي هذه الحالة العائلة عليها أن ترسخ في ذهنية الفتاة دورها الاجتماعي المخصص لها، حيث تتخوف من خطورة تفجير القيم الاجتماعية العائلية،[3] وهنا يبرز دور الأم في علاقتها بابنتها المختلفة عنها، والتي تريد الاضطلاع نحو حياة عصرية أين تكون لها مكانة مختلفة عن المعايير المحتومة عليها في مكانتها التقليدية ضمن المجال الخاص، ترفض استوفاء دورها ضمن الأسرة الأصلية، الأمر الذي يأخذ إلى علاقة صراع بين امرأتين مختلفتين في الاتجاهات والمعتقدات تدفع إلى تجلّي العنف بينهما فـ"إنّ العلاقة بين الأم والإبنة حاليا تجري بشروط معقدة، تتخللها صراعات؛ وغالبا يعبّر عنها بعنف،[4] حيث "الأم تكبح حرية ابنتها، تدفعها إلى التخلي عن استقلالها فيتشكّل لها وجود سلبي،[5] والابنة تعبّر عن استيائها كذلك بفعل العنف

---

[1]. من مواليد 1980، عاملة بالقطاع العام؛ متزوجة لها طفلين؛ البنت: 15سنة، الابن: 12سنة، الأصل الأسري: بجاية، قاطنة بالعاصمة؛ أسرة نووية.

[2]. voir : Boutefnouchet Mostefa, O.p. Cité, P.66

[3]. Sellak bounoua, C.p.

[4] . Kaufmann (1992), O.p. Cité, P.35

[5] . سيمون دي بوفوار (2008)، مرجع سبق ذكره، ص.ص.67-68

ورفضها الخضوع لتوجيهات الأمّ وتمتنع عن إرضاء الجماعة الأسرية، وهذا الامتناع يعدّ تجاوز منها يستدعي الجزاء والعقاب بهدف الرضوخ للأوامر، أين تندفع الأم بعدوانية ضدّ ابنتها مُستاءة منها ساخطة عليها، حيث "الأم لا ترى في ابنتها فردا من الفئة المختارة المميزة، بل تبحث من خلالها عن صورتها؛ لذلك يأخذ الصراع بين الأم وابنتها شكلا حادا، تحاول أن تفرض الأم على ابنتها نفس مصيرها[1] إلى أن تقوم علاقة ثورية بينهما كل منهما تَفرض اتجاهاتها، فالابنة تحرص على خوض أسلوب حياة مختلف عن أمّها بعدما تلاحظ أنّ يوميات أمها روتينية، بليذة تعيش في محيط ضيّق يبعث الاختناق، فترفضه وتحاول الهروب منه لا تريد تحمل أعباء ومسؤوليات المنزل، *فتأبى الفتاة الصغيرة أن تشبه أمّها*[2] وبالتالي تعجز الأم على توجيهها بما يناسب معتقدات الأواصر. يشير J.C.Kaufmann ضمن نفس السياق مؤكّدا بوجود علاقة صراع بين الأم وابنتها، على أنها علاقة ثورية لا مفرّ منها، يستحيل منع الممارسات العدوانية بينهما في علاقة تأثير وتأثر، أين الأم تندفع نحو تعنيف ابنتها، وتقديم انتقادات عنيفة لها؛ وهذه الأخيرة يصرّح Kaufmann على أنها في الحقيقة هي بعيدة كل البعد عن طبيعة العلاقات العاطفية، وإنما هي انتقادات مرتبطة بأعمال المنزل والمترجمة في رفض تقديم الخدمات والقيام بالأعمال المنزلية ولو كانت بسيطة. إنّ رفض وانتقاد أي نوع من التربية الخاصة بالفضاء الداخلي فهي قبل كل شيئ انتقادات موجهة للذات، فعاّلة في تفسير مستقبلها الخاص معلنةً بالمعارضة لبعض الممارسات والأشغال المنزلية. ولهذا يعتبر Kaufmann أنها علاقة بديهية في مرحلة الثورات ضدّ الأم من حيث الانتقادات الموجّهة للتدابير المنزلية عند بعضهن من النساء الشابات؛ وينوّه أنّ العلاقة الثائِرة بين الأم والبنت مضمونها يركّز على نمط تربوي تكتسب من خلاله المرأة الشابة تصوّر خاص بالأعمال المنزلية، والذي يَبقى تحت التصرّف، حيث أنّ كيفية تنظيم المنزل وترتيبه يمرّ أساسا من طرف الأم[3] ضمن علاقة تراتبية يحكمها علاقة آمر ومأمور، والتي غالبا ما تكون علاقة متسلّطة تخلق توترات بين المرأتين حول العمل المنزلي، تشعر الابنة أن الأم تركز على المجال الخاص أكثر من النجاح في المجال العام، إلى حد أنها قد تتوصل إلى أن تُحرم من النجاح الدراسي والمهني -كما رأينا سابقا-، وعلى هذا الأساس تثور الابنة ضدّ الأم، تحاول اثبات ذاتها لتكون امرأة ناجحة في الفضاء العام، "وتنتهي الأم بقبول انكسارها طوعا أو كُرها؛ ولما كانت الأم حبيسة الحياة الجديّة فإنها تحسد ابنتها على كل المشاعر والتسليات التي تنتشلها من ملل الحياة المنزلية. وتسود بينها وبين ابنتها الشابة صداقة معذبة. إلا أن الأم تبقى إلى الأبد خائبة الظن شاعرة بالحرمان في حين تعتقد البنت غالبا أن اللعنة تلاحقها.[4] بحكم قداسة مكانة الأم الدينية والاجتماعية.

> تحكي السيّدة فاء[5]: خدمت نقابية (syndicaliste) في الدار مع الأسرة تاعي باه خدمتها في الوسط المهني.. دافعت على راسي باه نوصل ونخرج للدنيا وحتى حد ما يوقف في وجهي.. قعدت نفرض الدراسة على والديّ حتّى لّي وصلت للنهائي"

وهكذا "المرأة توصّلت إلى مستوى من الإندماج في المجتمع العام، أكثر فأكثر إيجابية، وأكثر أداة وظيفية في مختلف القطاعات والمجالات الإجتماعية في الحياة"[6] إلاّ بعد مجابهات ومناهضات؛ ولهذا بعضهنّ لم تتوصّلن إلى أعلى مرتبة ولم تحظى بهذه الفرصة أين المعتقدات الأسرية لا تزال تحمل طابع ايديولوجي تقليدي لمكانة المرأة ضمن المجال الخاص، فهَمُّ الوالدين هو زواج البنت، ومن الأفضل في سنّ مكّرة لضمان خصوبتها، أين تستقبل الفتاة عنف معنوي تكون تحت الضّغط الاجتماعي، يفرض عليها الزواج فتحرم من إثبات ذاتها في الحياة العامة، الدراسية والمهنية، حيث

---

[1]. سيمون دي بوفوار، (2008)، نفس المرجع السابق، ص.185.
[2]. أنظر: سيمون دي بوفوار (2008)، نفس المرجع، ص.ص.74-75
[3]. Lemarchant Clotilde, belles-filles : avec les beaux-parents, trouver la bonne distance, P.U.R, 1999. P.P.33-73
[4]. سيمون دي بوفوار (2008)، مرجع سبق ذكره، ص.185.
[5]. من مواليد 1980، عاملة بالقطاع العام؛ متزوجة لها طفلين؛ الأصل الأسري: بجاية، قاطنة بالعاصمة، أسرة نووية
[6]. Boutefnouchet M., O.p. Cité, P.252.

تكون "دائما ضد شخص أو شيئ ما"[1] يجعلها محصورة في عالم مقولب بعايير إلزامية تضبطها في مجال يعجزها على التطلّع إلى حياة مستقلة، فتريد المرأة بذلك على حدّ تعبير الأستاذة شارب دليلة "كسر أنماط السلوك الجاهزة المحيطة بها، كأنماط تمليها ثقافة المجتمع المنتمية إليه، وما تفرضه هذه الثقافة من قوالب تلزم بها كل من المؤنث والمذكر"[2]

III. الحياة الزواجية في ظل التغيرات الاجتماعية

1. مرفولوجية الأسرة بين السكن التقليدي والحديث

من المعروف والمعترف به عبر قرون ماضية أنّ الفتاة عند الزواج تترك بيت الوالد وتذهب إلى البيت الزوجي والعيش مع أهل الزوج في سكن أبوي، وغالبا وفي الوقت الراهن الزوجان يكوّنان أسرة نووية مباشرةً بعد الزواج حيث "دراسات عديدة أثبتت أنّ من التغيرات الحديثة الذي طرأت على البنية الأسرية الجزائرية تتمثل في الرغبة المتزايدة في بناء أسرة نووية وقدّرت بـ69% من مجمل الأُسر الجزائرية.[3] لكن من المجدي بنا أن نبحث ونستقصي عن سرّ هذه التحوّلات المرفولوجية للأسرة في مجتمع متغيّر فـ"الزواج الحديث لا يمكن فهمه إلا على ضوء الماضي المتصل بالحاضر.[4]

إنّ العائلة بالمعنى الانثروبولوجي في الفترة الكولنيالية كانت تكوينها البنيوي أبوي ذات نمط موسّع ومُمتمد إلى أن باتت تتوجه نحو الأفول حيث بدأ يتبدّى تدريجيا النمط النووي أو الزوجي، والأسرة الأبوية لم تبقى في شكلها الأصلي. حسب الإمكانيات المادية لأعضاء الأسرة برزت أشكال مختلفة من الأسر إلى حد ظهور الأسرة المركّبة التي تضمّ عدّة أُسر نووية في نفس السكن كوّنةً وحدة مشتركة، فهم من جهة مستقلين ومجاورين للوالدين في إقامة موّحدة؛ ولكن يجب أن نسطّر أنه "طوال فترة الستينيات إلى غاية الثمانينيات كان الأبناء مجبرين بعد الزواج لمتابعة العيش مع الوالدين لعدم توفر السكنات الاجتماعية، وهذا ما يؤدي إلى التركيز على الأسرة الممتدة؛[5] ومع التحولات الاجتماعية التي وَجّهت إلى بروز ظاهرة الفردانية حينما اندمج الفرد ضمن العمل المأجور جعل منه فردا مستقلا ماديا عن الجماعة الأسرية، على غرار التسهيلات السكنية وما يتبعها من التيسير المادّي التي دعّمتها الدولة الجزائرية لأفراد المجتمع بدون تمييز جنسي،[6] وعليه أصبح السكن حقّ من حقوق أي فرد راشد قانونيا وله ظروف مهنية رسمية تؤهّله لامتلاك سكن مستقل وبناء أسرة بتصوّر حديث للعلاقة الزوجية، حيث أصبح كل فرد -رجل وامرأة- يطمح إلى تكوين رابط زوجي بعيدا عن الأسرة الممتدة، ووِجهة النظر هذه يفسرّها عدّي الهواري مؤكّدا أنها برزت ببروز الشخصية الفردية التي تبحث على تأكيد ذاتها، وخلق سبيل للتعبير عن المشاعر الخاصة والدفاع على المصالح الشخصية،[7] وعلى إثر ذلك غالبا ما يُشترط على الرّجل المتقدّم إلى الزواج و/أو على أهله في مرحلة الإيجاب

---

[1]. سيمون دي بوفوار (2008)، مرجع سبق ذكره، ص.217

[2]. شارب دليلة، رسالة دكتوراه سبق ذكرها، ص.190

[3]. Cahier du Crasc, sous la direction de Badra Moutassem-Mimouni, Famille, éducation et changement sociale, N° 27, 2013. P.7

[4] . سيمون دي بوفوار (2008)، مرجع سبق ذكره، ص.121

[5]. Voir : Lahouari Addi, O.p. Cité, P.p.26-41

[6]. قرر الصندوق الوطني للتوفير والاحتياط تمويل الشباب لتأجير الشقق الجاهزة بالإضافة إلى تمديد آجال تسديد القروض إلى 40 سنة كاملة بدل 30 عاما. فضلا عن إعفاء الشباب من دفع المساهمة الشخصية التي كانت تفرض عليهم والتي تقدر بـ 20 بالمائة حيث سيمول من الآن فصاعدا الصندوق عملية شراء السكنات بنسبة 100 بالمائة لترفع بذلك آخر العراقيل التي كانت تقف أمام الشباب الراغبين في الحصول على السكنات الجاهزة. كما كشف الرئيس المدير العام للصندوق الوطني للتوفير والاحتياط... أن البنك قرر تمكين الشباب الذين يرغبون في إيجار شقق جاهزة من خواص قصد السكن من الحصول على قروض خاصة بهذه العملية لمدة عامين... وهي المرة الأولى منذ الاستقلال التي يلجأ فيها الصندوق الوطني للتوفير والاحتياط إلى إصدار هذا المنتوج الموجه أساسا إلى الفئات الواسعة من الشباب قصد تمكينهم من الحصول على سكنات بواسطة قروض مسهلة...). ع. محمد ؛ نُشر في النهار الجديد يوم 09-02-2008

[7]. Lahouari Addi, C.p., P.67

والقبول لقيام الزواج "السكن المستقل" واعيين النساء وأهل الزوجة بصعوبة الظروف المعيشية للحياة المشتركة مع عائلة الزوج.

فتخبرنا السيّدة نون[1]: "والديّ قبلوا الزواج كي عرفوا بلّي الرّاجل داير AADL ودوك يعطوه الدّار... وأنا قلت له نسكّنوا وحّدنا الوقت لّي يعطوك الدّار... في الأوّل قالي واه، من بعد قالي نسكنوا مع دارنا، والديه قالوا لَه... ما بغيتش."

يشير عدي الهواري أنّ "الأسر التي لا تشترط السكن المستقل وتقبل أن تزوج بناتها مع أسرة الزوج، الزواج في هذه الحالة سيكون يانصيب،[2] في مجتمع اختلطت فيه المعتقدات بين ما هو تقليدي وحديث والذي يؤهّل إلى علاقات تفاعلية مضطربة غير سويّة بين أعضاء العائلة المشتركة في السّكن –كما سنرى في نفس المحور لهذا الفصل، والذي سنركّز عليه في إطار نمط العلاقات في الفصل اللاحق-

وأهمّ ما في موضوعنا، وما تبيّن لنا في إطار محور الدراسة، أنّ الثنائي قبل الزواج رغم أنهما يملكان سكنا مُنفرا جاهزا، ولكن رغم ذلك من المفروض ان نسطّر أنّ انفراد الزوجان في سكن مستقل ليس بالأمر الهيّن مع أسرة لا تزال تحمل في طياتها معتقدات اجتماعية تقليدية، أين يتوجّب على الزوجان في بداية الحياة الزوجية العيش لفترة مع العائلة وهذا لأنّ **الزوجين عليهما أن يتطبعا على نمط الحياة القديم قبل الحياة الفردية،** مُفسّرا سليمان مظهار ذلك، حيث الزوجة عليها أن تشارك في السير الحسن للحياة اليومية مع أعضاء العائلة تحت مراقبة الحماة، وكأن الزوجة في حياتها لم تقم بالأعمال المنزلية؛[3] ومع ذلك يمكن أن يُخدع الزوجان وخاصة الزوجة وأهلها حيث يُصرّ والديّ الزوج وخاصّة الأم/الحماة على إبقاء الزوجين تحت كنفهما لمدّة أطول، والذي يؤهّل إلى بروز علاقات صراع بين الجيلين وبين الجنسين –كما سنوضّح في الفصل الثالث-حيث المعتقدات الحديثة التي تمّ بناؤها في مجتمع متغيّر بالنسبة للثنائي لا يتناسب مع معتقدات الجيل القديم.

ضمن نفس المضمون تشير فاطمة المرنيسي، من خلال مقارنة بسيطة بين وضع المجال العام والتغيرات التي طرأت عليه، ووضع العائلة التي لا تزال متمسكة بمعتقداتها، حيث توضّح أنّه في فترة الإستعمار الفرنسي "كانت الحريات الوطنية الذكورية تناصر تحرير المرأة.. ولكن لم تكن تقبل حينها بأن يقيم الأزواج في بيوت منفصلة،[4] ولحدّ اليوم لا تزال مُعارضة لهذا الأمر حتى ولو أن الإستقلالية السكنية أصبحت سارية المفعول، وهذا لأنّ النظام الهرمي الأسري لا يزال قائم أين الفرد يبقى خاضعا للعرف العائلي، وخاصّة بالنسبة للمرأة التي يتوجّب عليها الخضوع لقيود المعتقدات العائلية التي تريد أن تحافظ على استقرار النظام الاجتماعي العائلي المعترف به عبر أجيال، حيث تُحتجزة في إطار ثقافي تقليدي يعمل على الدوام من الحدّ من حريّتها.

وعليه يفسّر سليمان مظهار أنّ "الزواج هو من الأعراف الاجتماعية من الدرجة الأولى. من أساسيات الزواج أنه ينتزع كل ما يعبّر عن الفردية، يمنع الإستقلالية الذاتية حيث تتجلّى تعقيدات الحياة الاجتماعية"،[5] مما يسمح لنا القول أنّ بروز الأسرة النووية غير مرتبطة فقط بالتقدّم الاجتماعي والتطوّر السياسي والاقتصادي، فنشأتها مرتبطة بتوجّه الفرد نحو الهروب من نمط التفاعل العائلي الذي يتميّز بعلاقات صراع تولّدت من خلال تضارب الذهنيات بين ما هو تقليدي وعصري، أين الزوجة تكون تحت الضغوطات في وضعها ككنّة، حيث "العديد من الفرضيات تقدّمت لفهم ظاهرة العنف في علاقات التفاعل، وجدت أنّ **العنف يتولد مع التقدّم الاجتماعي والضغوطات المفروضة**

---

[1]. من مواليد 1995، متزوجة ولها طفلة، من وهران. نمط السكن: أسرة نووية. الزوج من مواليد 1983.

[2]. Lahouari Addi, C.p., P.p.89-90.

[3]. Medhar Slimane, O.p. Cité, P.55

[4]. فاطمة المرنيسي، تر: فاطمة الزهراء أزرويل، نساء على أجنحة الحلم، المركز العربي الثقافي، نشر الفنك، ط1، 1998.ص85-86

[5]. Medhar Slimane, O.p. Cité, P.52

على الفرد... وما ينجم عنها من عدم المساواة، وهذا ما أكّده Karl Marx، Georges Sorel، Jean-Jacques Rousseau.[1]

2. المرأة بين التقليد والحداثة: بين الانصياع والمواجهة

يشير بوتفنوشنت أنّ من أهم النتائج التي تجلّت في عقب التغيرات الاجتماعية، ما برز في نمط العلاقات الداخلية الأسرية بين نساء العائلة، أين تتواجد ذهنيات مختلفة بين نساء تقليديات ونساء عصريات تؤدي إلى الخلافات بينهنّ؛ يمكن أن يقع الخلاف بين الأم وابنتها -كما رأينا سابقا-؛ أو بين أُختين، إحداهما توصلت إلى مستوى دراسي أسمى والأخرى لا؛ وإحداهما تعرّفت على المجال المهني والأخرى لا؛ أو بين بنات العمّ، وبين الزوجة وأخت الزّوج، وفي كلّ حالة يوجد نمط مختلف في التربية والإرتقاء،[2] أين الضغوطات الأسرية تكون في محكّ العنف، لا مفرّ منها موجودة بمضامين مختلفة باختلاف المرفولوجية السكنية وبنية العلاقات الاجتماعية أين تجد المرأة نفسها تحت نظام علائقي نسوي تراتبي، فإمّا الخضوع أو المواجهة.

1.2. المرأة عليها الانصياع لمعتقدات الجماعة: تحرم من إثبات الذات المستقلة

تحكي المبحوثات باستياء:

"أنا كنت نخدم وقعدوني في الدار... مزيرين بزاف" (المبحوثة رقم 30)

"باه نروح للعمل تاعي حتّى نجفف الدار الكلّ.. دايما ندير الـ retard ولما أعود للدار نعاود نوقف في الكوزينا، وweek end قاع النهار وأنا راني فيها.. يبغونا غير تحتهم.. ولكن راني نردّ الهدرة، ونرفض بعض الأمور.. قالت لي خرجي من الخدمة شويّ بكري باه تعاوني سلايفاتك... قلت لها بغيتيني يحاوزوني من الخدمة !؟" (المبحوثة رقم 2)

تبعا لتصريحات المبحوثات، وما تبيّن لنا في نتائج راستنا أنّه، رغم التعديل للقوانين الأسري فيما يخصّ المادة 39 من قانون 84 التي تضبط علاقة الزوجة بأسرة زوجها وطاعتهم -المذكور سابقا- والتي من المفروض أنه تم إلغاؤها لضبط العلاقات الأسرية للحد من العنف ضدّ الزوجة في مكانتها ككنّة، إلاّ أنّ القانون العرفي لا يزال يحمل انطباعات تقليدية حول مكانة المراة العائلية، ولا تزال تُحرم من أداء دورها العصري في المجال المهني، حيث "الثقافة الأبوية تسيطر فيها صورة المرأة الماكثة في البيت، وأولوية العائلة.."،[3] واستوفاء ما عليها من واجبات مفروضة عليها في علاقتها بأسرة الزوج عامّة وأم الزوج خاصّة، وهذه الأخيرة تريد على الدوام أن تَضع الكنة تحت المراقبة بصفة مُلزمة وتلازمية، سواء في سكن أبوي يضمّ جيلين متعاقبين أو في سكن مستقل أين ينفرد الزوجان ببعضهما، حيث الحماة تستعمل استراتيجيات خاصّة تقتحم بها البيت الزوجي، لِتُدخل الزوجة في علاقة ثلاثية مع أسرة الزوج عامّة؛ وقد يسهل عليها الأمر في تأكيد دور كنّتها إذا كان الزوجان يعيشان بجانبها، حيث توكل لها بعض الواجبات المنزلية المحتومة عليها، لا يمكنها التواني عن آدائها، فتشعر الزوجة بالاختناق والضيق في نظام مغمور بالأوامر يُبعدها عن أداء دورها كزوجة وامرأة عصرية –عاملة- تبحث على ربح الوقت لقضاء متطلّباتها الشخصية، حيث تسهر على خدمة الجماعة الأسرية إلى حد أن يُمنع عليها اثبات ذاتها ضمن المجال العام، يُطلب منها التخلي عن عملها و/أو دراستها، فما هو مطلوب ومُنتظر منها أن تلعب دورها على أكمل وجه في علاقتها بالحماة التي هي الطرف المحتذى به وله الشرعية في إصدار الأوامر، تُطالب زوجة الابن بالطّاعة إلى حدّ الخضوع والإذعان، إلى أن تفقد الكنة شخصيتها ويضيع كيانها في علاقتها الزوجية تُحاول قتل طموحاتها، حيث 52% -من مجتمع البحث- من النساء حُرمن من إثبات ذاتهنّ ضمن الفضاء العام

[1] . Moatti Daniel. La communication par la violence. In: Communication et langages, n°123, 1er trimestre 2000. P.4

[2] . voir : Boutefnouchet Mostefa, O.p. Cité, P.248

[3] . شارب دليلة، رسالة دكتوراه سبق ذكرها، ص.232.

من أسرة الزوج (راجع الجدول رقم 19، التمثيل البياني رقم1، ص.59)، تطمح هذه الأخيرة في حرمان الزوجة من إثبات ذاتها لكي تكون دائما مقيّدة في دورها ككنة ولا تخرج عن هذا الدور، و"الأسرة التي لا تتقبل عمل المرأة ولا تتجاوب مع التغيرات الاجتماعية تُعتبر أسرة جامدة متمسّكة بالثقافة التقليدية"،[1] على حسب Kellerhals

إنّ الأسرة المتمسّكة بنمط البنية الأسرية التقليدية تخضع لميكانزمات مُضمرة تثير بها رغبة الزوجة للمكوث بالبيت ضدّ إرادتها، وبالتالي تكبح مشيئتها في البحث عن المساواة في العلاقة الزوجية، فتعزّز التصوّر الأنثوي، تقوّي العلاقة التراتبية الزوجية بهدف تقوية علاقة الزوجة بـأسرة الزوج؛ وعليه يوضّح Kaufmann أنّ الأسرة دائما تجد طرق واستراتيجيات تمنع الوعي بفخّ العلاقات، يتمّ تجاهل اللامساواة على أنها بديهية لا يعاد التساؤل فيها، ولهذا منهنّ من النساء لا تواجهن معتقدات الأسرة التقليدية رغم أنهن واعيات بوضعهنّ ومكانتهنّ التراتبية في الحياة الزواجية، هنّ نساء محكوم عليهنّ أن تتقبلن ذواتهن؛ مفسّرا ذلك كوفمان، أنّ المرأة قبل أن تجابه أي وضع ضدّ التصورات التقليدية ستتعارك مع نفسها أوّلا فتبحث عن التوفيق بين وضعها كأنثى وحاضرها، أو اختيار التصوّر لحياة أخرى؛ والتقبّل يعني منع الصراع الداخلي العنيف ضدّ النفس فتقبّل الواقع.[2]

إنّ الواقع الاجتماعي غالبا ما يكون ضدّ إرادة المرأة، فيتجاوزها، حيث لا تتمكن من مواجهته للتغيير، ولكن من الممكن أن يكون هذا التقبّل للواقع مُضبط أين تَضع الكنّة حدّا لتجاوزات الحماة في تَسْنين القوانين التي من الممكن أن تدفعها لخسارة عملها الـمُربح؛ ومن جهة أخرى قد تتوصّل الحماة لتقبّل واقع التغيرات الاجتماعية التي سمحت للمرأة بإعطاء هوية فردية خاصة، مختلفة عن المعتقدات الثقافية التقلدية، ولكن ستعمل دوما على الحدّ من حريّة الكنّة حيث تكون تحت المراقبة المستمرة لضمان استقرار النظام العائلي.

إنّ الدراسة الميدانية أثبتت لنا أنّ الحماة من الممكن أن تكون امرأة –عصرية إذا صحّ التعبير- مُتقاعدة عن العمل أو عاملة، ولكن لها تصوّر تقليدي لمكانة الزوجة ضمن أسرة الزوج تفرض عليها بعض الواجبات وتطوّقها في أعمال المنزل ضدّ إرادتها، وتبحث على أن تَحْجبها عن العالم الخارجي، تمنعها من التنفيس عن الذات والترفيه، إلى حدّ أن تُحرم من تخطّي باب المنزل للقيام بنزهات خاصّة إلاّ إذا خرجت للعمل ورغم ذلك تكون تحت المراقبة.

تحكي لنا المبحوثة رقم 7: " على جال الخدمة هذه كل مرة تمعنيلي باش نبطّل.. pourtant حتى هي كانت خدّامة.. وتمعنيلي على المصروف.. مثلا كي نطوّل بعد ساعات العمل تحاسبني تقولي وين كنتي؟ !.. وفي عطلة آخر الأسبوع نجبد القش للغسيل ونقضي.. تقولي القضيان ماشي في week-end."

وتخبرنا المبحوثة رقم 14: "كي زوجت ختّنتي كانت عادة خدّامة.. بصّح يحسبولي وقتي.. نخرج، لوكان نتأخر بـ5 دقائق تقولي –حماتي- فاين (أين) كنت؟.. تقولي كي تخرج قولّي، حتى قلت لها علاش باش تمدلي l'avis favorable.. خاص نخرج بـ pointage وندخل للدار بـ pointage- عندي pointage في كل وقت في الإدارة وفي الدّار.. منعتني من الحمام، من الخروج، خاصها غير تحتها.. قالت لي أنا خاصني كي نخرج نصيب الجازي"

ترسم لنا فاطمة المرنيسي صورا لوضع المرأة ضمن العائلة التقليدية في مرجعها الحامل لعنوان "نساء على أجنحة الحلم"، فتشير كيف أنّ نساء العائلة مُحتجزات في أربعة أسوار لا يحقّ لهن عبورها،[3] فوجودها مرتبط بالأعمال الشاقة تقوم بمساعدة الحماة، تضبطها ضمن نظام الجماعة، وبصفة جبرية، قاهرة، تعسّفية، في أشغال المنزل؛ من خلال هذا التصور التقليدي لحياة المرأة المتزوجة، الحياة المهنية لا تُعبّر عن إثبات للذات، والتحرّر من قيود العبودية للجماعة الأسرية، والتخلّص من سطوة التقاليد، فـ"*العمل المهني يكون مقبول إلاّ في إطار شرعي*، لا يتجاوز المعايير

---

[1]. Voir : Kellerhals Jean, Widmer Eric, Levy René, mesure et démesure du couple: cohésion, crise de résilience dans la vie des couples, payot § rivages, Paris. 2004. P.118-119

[2]. Kaufmann (1992), O.p. Cité, P.217

[3] . فاطمة المرنيسي، مرجع سبق ذكره، ص85-86

الاجتماعية، أو بمعنى أخر، المرأة تخرج من المجال الخاص لدافع العمل أو الدراسة فقط، أو لظروف قاهرة[1] تستدعي المشاركة في الإعالة الأسرية بجانب الزوج والمشاركة في مصاريف المنزل العائلي، ومع ذلك "الإعالة النسوية ليست لها نفس القيمة الإجتماعية كما هي للرجل، نظرا لبقاء المرأة في وضع واقعي ورمزي كمساعدة مُعيل... والإعالة تبقى مفهوما ذكوريا... وتبقى النساء الأجيرات في مكانة مساعدة المعيل ويبقى عملهن المأجور مشروطا بالبرهنة على عدم ترك العمل الأساسي لهنّ، وهو العمل المنزلي"،[2] ولا يحقّ لها إبداء المعارضة وإبراز العناد، فما هو مطلوب منها الخضوع والانصياع للحماة، والسهر على خدمة الجماعة، حيث أمّ الزوج تريد دوما تأكيد تبعيتها لها، وبهذا المعتقد، منهنّ من النساء من حُرمن حتّى لزيارة أسرتها الأصلية –كما سنرى في الفصل الثالث والذي نشير فيه مكانة الكنة في علاقتها بالجماعة الأسرية سواءا العاملة أو الماكثة بالبيت.

2.2. المراة مواجهة لسطوة التقاليد

تحكي المبحوثات بتبرُّم:

"واجهتهم كلّهم.. وقلت لحماتي كيما أنا نْتبّعكم ونعمل لكم خاطركم، حتى أنا عندي خاطري وعندي شخصيتي.. تهانيت.. لم أستطع ان اتملك أعصابي كان من اللازم مواجهتها.. ظروف صعبة.. حسّيت راسي ماعنديش شخصية، غير نتبّع.. نعمل غير كيمّا هم يحبوا.. صبت راسي نخدم في الدّار أكثر ملّي نخدم برّا، بالاك المدير لو كان يشوفك عيّانة يقولك أخرج... وهم ماعندهم رحمة، نكون نموت ونوقف في الكوزينة !، وبالوقت!" (المبحوثة رقم 14)

"ماكونوش حابيني نخدم –أسرة الزوج-.. كانت ختـَنْتي (الحماة) تحكم ومتأثرة بيه –ابنها- وهو لاز لمّاه.. أنا ماحبيش قالت لي إيوا خاصك تختار، خدمتك أو دارك وراجلك، بالمعنى أو وليّ فحالك لداركم، C'était ça ! ولكن j'ai tené، وقعدت نخدم قلت لهم غير خدمتي ما نسمحش فيها" (المبحوثة رقم 4)

"عندما كنت عروسة -عام ونصف- حدث لي مشاكل مع احبابوا ما بغاونيش، وأخذوا مني نظرة انّني تع زْنَقْ، زعمة خدامة. حتّى أنهم أرادوا إعادة تزويجه بامرأة أخرى.. ولكن انا مادّيتهاش فيهم.. خرجت من عندهم. كريت حوش." (المبحوثة رقم 1)

إنّ السيرورة الاجتماعية لبروز الهوية الفردية لدى المرأة أعطت لها اتجاه شخصي في علاقتها بالجماعة، فشخصيتها الحالية تدفعها لرفض نمط حياة تعجز عن الاندماج ضمنه تأبى لأن تكون خاضعة لعلاقات القوّة اللامتكافئة، فارضة اتجاهاتها المخالفة لمعايير الجماعة ومعتقداتها الثقافية التقليدية، رافضة كل تصوّر بديهي أين تُواجه الأوضاع التي تفوق طاقتها وتتجاوز إرادتها على حسب درجة وعيها ونمط شخصيتها وما تملكه من مصادر ذرائعية –مادية أو عقارية- كوّنتها باحتكاكها مع المحيط الخارجي، وهنا تبرز قوّة المرأة العصرية في مجتمع منح لها القدرة في إثبات الذات المستقلة عن الزوج وأسرته؛ مثبتا Lemarchant أنّ "الكنّة التي تملك شهادات يمكنها أن تحقّق رأسمالها الخاص بها يسمح بمعارضة أسرة الزوج، أو على الأقل علاقتها بالزوج.. فهذه المرأة غالبا ما تكون عاملة، تُحقّق مكانة خاصّة وتطالب بحقوقها والاعتراف بقيمتها"[3]

هذا الرّفض سيستدعي إلى علاقات صراع معنَّفة تولي إلى العداوة والعدائية بين الكنة والحماة، والتي تنمو تدريجيا في الحياة الزواجية مرتبطة بالأوضاع والأدوار والمكانات الاجتماعية المعترف بها اجتماعيا، يكون للحماة مكانة مقدّسة رمزية في مكانتها كأم الزوج، تتطلّب الاحترام والطاعة لها، وهذه الأخيرة ما هي إلاّ تعبيرا عن الخضوع للثقافة الأبوية؛ ولكن في الوقت الراهن كل طرف منهما تحمل هوية مختلفة عن الأخرى، فالحماة لا تتوافق مع التصوّر الحالي للمرأة العصرية الواعية بذاتها أنها أصبحت امرأة أخرى غير مجبرة باحترام قيم وعادات تقليدية لا تزال راسخة في ذهنيات أفراد العائلة، وظروف حياتها تختلف عن المرأة الماكثة بالبيت؛ وهذه من أهم الأسباب التي تؤدّي بالزوجة إلى اللجوئ إلى رفض سلطة الحماة من بعيد أو من قريب، خاصّة أنّ نمط العلاقات بين أعضاء

---

1. Lahouari Addi, O.p. Cité ; voir aussi : Boutefnouchet M., O.p. Cité, P.p.246-247

2 . شارب دليلة، رسالة دكتوراه سبق ذكرها، ص.229

3. Lemarchant Clotilde, Belle filles : avec les beaux parents trouver la bonne distance, collection : le sens social, presse universitaire de Renne. 1999. P.143

العائلة تكبح طموحاتها الدراسية و/أو المهنية، تُعجزها عن التوفيق بين عملها المنزلي وعملها المهني، مُطالبة دائما باستوفاء دورها ككنة كأولوية أسرية وشخصية ليس لها مجال للتنفيس، تعاني من تعدّد خدماتها بين المجال العام والخاص، حيث تعجز عن الانماج ضمن الأسرة التقليدية التي تحمل نظام صارم تجعل الفرد مسجون بين معايير لا يمكنه تجاوزها، فيُفرض على الفرد الاندماج ضمن الجماعة وتقبل نظمها وقوانيها الاجتماعية طواعية أو بصفة جبرية.

يفسّر لنا عدي الهواري ضمن نفس السياق أنّ "الاندماج الاجتماعي له شروط، حيث النظرة للآخر تتجه نحو غياب الحرية والإستقلالية، أين الفرد يندمج جسدا وروحا ضمن الجماعة ويكوّن معهم العقل الجمعي. فيجب إعادة التساؤل في حرية الفرد في علاقته بالجماعة. كل مجتمع إلاّ ويشكل بناء سلمي للهيمنة والتبعية، مشرع بنظام معياري للقيم، ومن خلالها الأفراد يكوّنوا وحدة متمسّكة. هذه المعايير يمكن أن تكون مضغوطة في فترة من التاريخ بعد التغيرات في العقليات والمجتمع... ولكن بصفة عامة المعايير الاجتماعية المعاد انتاجها لا تعتبر ضاغطة بما أنها مرتبطة بتصورات خاصة بالعالم والمجتمع، حيث تعتبر بديهية، ومنه الفاعلين الاجتماعيين يحددون هويتهم؛ فإنّ **المعايير الاجتماعية تعتبر ضاغطة إلا في حالة عدم اعتراف الفرد بها، ويعتبرها مجردة من كل معنى**. فإذا الفرد تقبل معايير الجماعة إراديا سيندمج بسهولة ولا يشعر بالضغط، وإذا كان تقبل لا إرادي فالضغط يطوّقه، ويجعله في موقف المواجهة والمجابهة، مُبرزا عدوانيته ضدّ مجتمع مفعم بالقوانين العرفية والمعايير التقليدية المحتومة، فهذه الأخيرة تُعتبر بالنسبة له مأزق يتوجّب عليه الخروج منها بكل الوسائل، حيث يحاول التحرّر من وطأة التقاليد، ووطأة العلاقات التفاعلية الأسرية التي تفرض عليه خدمة الجماعة بالتخلي عن رغباته وطموحاته الشخصية، فإذا لم يتمكّن من تحقيق ما يطمح به فهذا يعني أنه يشعر بعدم الحرية. إنّ الفرد يشعر أنه حُرّا إلاّ إذا نظر الآخرون له بهذه النظرة –ولا يمنعه أحد من اتخاذ تصرف معيّن- فالفرد من مجتمع لآخر يمكنه أن يكون حُرّا، أو مقيّدا أو مجرّدا.[1]

وقد وجّه Konrad Lorenz، في أعماله إلى فهم ظاهرة العنف من خلال علاقات التفاعل وطبيعة الانسان العدوانية، فقدّم استنتاجات دقيقة حول العدوان العنيف بصفته نمط اتصال في النظام الاجتماعي، يسمح للأفراد المهيمنين ممارسة سلطتهم على المهيمن عليهم. وفي بعض الأحيان هؤلاء الأفراد المهيمن عليهم يتمردون لتغيير الوضع والتغلب على سطوة الهيمنة،[2] وهؤلاء الأفراد هنّ نساء لم تتقبّلن واقعهنّ الزواجي الذي يكبح تطوير معالم شخصيتهن، يجدن أنفسهنّ مقيّدات بين مجالين لا يمكهنّ التوفيق بينهما تحت ظغوطات اجتماعية، حيث تحاولن بكل الوسائل أن تفرضن ذاتهن الفردية بردود أفعال مناوئة نحو الجماعة الأسرية، قد تلجأن إلى حدّ سلوكات عدوانية تفرض بها رأيها وتتثبّت بعملها، الأمر الذي يدفع إلى توترات أسرية محتدمة من الممكن أن تقود إلى ممارسة العنف منبعه ينشب بين نساء العائلة المختلفات في طريقة التفكير، فعندما المعتقدات والأفكار تختلف تصدر الأحكام ويتمّ رفض الآخر، فإنّ "كل إنسان وله أفكار خاصة مرتبطة بطبيعته، من خلالها يقيّم ما هو جيد و ما هو سيّئ: الفرد يعترف ويُؤمن بما يجب أن يكون من خلال نظرته الأخلاقية وبحكم المعايير والقوانين العرفية التي نشا عليها،[3] وبناءا على هذا الأساس يتمّ استدراج إهانات للمرأة العصرية باعتبارها غير ملتزمة بالقيم العائلية التقليدية أين تُرفض كفرد تابع للجماعة من الممكن أن يتمّ اتخاذ ضدّها قرار الطلاق.

أ. ميدان العمل مجال للتنفيس وتخطي المِحن: نساء مختلفات ومتميزات.

إنّ التغيرات الاجتماعية ساعدت المرأة على التحكّم في المحيط الخارجي، واكتسبت امتيازات اجتماعية ومادية تمكّنها من تذليل الصعوبات وتجاوز المِحن، تستطيع من خلالها تَسْيير شؤونها وعدم

---

[1]. Voir : Lahouari Addi, O.P. Cité, P.117

[2]. Moatti Daniel. O.p. Cité.

[3]. Voir : Lahouari Addi, O.P. Cité, P.117

طلب يد العون من أسرة الزوج، بعدما عجزت عن الاندماج في الوسط العائلي، لا تشعر بانتمائها مع الجماعة، في مرحلة تخللت العلاقات الأسرية عنف معنوي والذي يتجلّى باللامبالاة وعدم الإكتراث بالآخر في علاقة تأثير وتأثّر، أُهدرت بذلك العلاقات التضامنية أين الشحنات تركت أثرا في نفسية الحماة الصادرة للأحكام والقرارات والتي غيرت اتجاهات "الكنة" نحوها والعكس لا ينفي ذلك.

تحكي المبحوثة رقم 14 في علاقتها بالحماة: "ماكانش تحب تقبطلي الدراري.. ولكن تفتشّ على النفيط.. وكي تكون كاش وليمة نوقف à cheval.. حتى انا ولّيت ماعلاباليش بيها تكون مريضة أو بصحتها... وعلى الدراري حطّيتهم في la crèche مارانيش عطّالة، خدّامة وتاكله على راسي.. وحتى كي كنت نسكن معهم مزيّة صبت خدّمتي.. وكنت نقرا.. قالت لي: مانعرفش الوقت لّي تدخل فيه وتخرج فيه.. كان خاصها تَحْبسني.. ماعطيتلهاش l'emploi du temp."

من تصريح المبحوثة يتبيّن لنا أنّ المجال المهني و/أو الدراسي ليس مجرّد تحقيق للذات فقط وإنما مجال للتنفيس والتنفّس من الوضع الساحق الذي تعيشه في حياتها الزواجية، فالعمل بالنسبة لها دعم مادي ونفسي في نفس الوقت، وهو بمثابة مجال تتّخذه الزوجة للخروج من قيود العلاقات الأسرية التقليدية، خلافا عن الراتب الشهري الذي يعتبر من أهمّ العوامل التي تدعو إلى تنمية روح الفردية؛ ويبقى إثبات ذاتها لا يكون إلاّ تهرّبا من *حياة يملأها الجمود والرتابة ضمن المجال الخاص، أين الوقت يذهب هباء في الطبخ والأكل والنوم والتكاسل*،[1] ويعتقها من التبعية المادية والمعنوية الصارمة للزوج وأسرته.

وكما تشير F.Benatia أنّ، العمل المأجور بالنسبة للمرأة يعتبر إثبات للذات، وهو بالمقابل مؤشّر لولادة شخصية حديثة، تدخل في علاقات مغايرة مع الرّجل وجميع أفراد العائلة، وتأخذ المرأة إلى إعادة النظر في وجودها والمشاكل التي تتعرّض لها والتي يتوجّب عليها تجاوزها، فالعمل "يحرّر المرأة"، مقارنة مع المرأة الماكثة بالبيت إذ يوجد إغتراب للمرأة التي لا تعمل.[2]

ويؤكّد بوتفنوشنت بتعبير آخر أنّ "المرأة العصرية هي غير مغتربة، فلها وجود مشترك بين الخاص والعام، وجودها مرتبط بمهام منزلية وعامّة (سوق، عمل)، تعتبر سيّدة في المجال النسوي المنزلي بامتياز، مع امتلاكها سلطة ماديّة، ومكانتها المثالية كزوجة، وأم... أمّا المرأة التقليدية لها وجود حيادي ومقصيّة، يتوجّب عليها إندماج عائلي جسدي وروحي، ولها دور الإنتاج البشري، فتكون سيّدة ضمن المجال الأنثوي المنزلي بامتياز، ليس لها سلطة مادّية، وتصبح لها مكانة مهمّة ومثالية خاصّة بعد أن تصبح أمّا"؛[3] ومن أهمّ الامتيازات لدى هؤلاء من النساء اللواتي استبطنّ المعتقدات التقليدية على حسب lemarchant والماكثات بالبيت في علاقتهن الزواجية تولين أهمية أكثر للقرابة كشبكة اجتماعية... ولديهن قابلية كبيرة في علاقاتهن بأسرة الزوج، إذ يمكنهنّ الاندماج بسهولة في العائلة؛ أمّا النساء العاملات تخلقن مسافة كبيرة في علاقتها بأسرة الزوج... ويشعرن بخيبة أمل نوعا ما كبيرة في علاقتها بوالدي الزوج مقارنة مع الأخريات"[4] فتكون مقصية لا تجلب الرّضا. هذا الأمر الذي يخلّف تفاوت في المعاملات من حيث التفضيل والتمييز بين كنات العائلة من طرف أهل الزوج، أين أنماط الحياة الزواجية تختلف من كنة إلى أخرى تؤدّي الى نشوب الخلاف والنزاع، و"يتّضح هذا الصراع أكثر باختلاف مكان التنشئة الاجتماعية.. أو اختلاف كل منهنّ من حيث درجة التعليم والثقافة العامة... تؤدي الى تضارب القيم والمعايير والمفاهيم[5] بين كنات العائلة أين تتولد اصطدامات بينهن، ومن أهمّ ما يسدعي الصراع بينهنّ فيما يخصّ نمط توزيع المهام والمسؤوليات للأعمال المنزلية بين الماكثة بالبيت والعاملة التي تقضي معظم ساعاتها في المحيط العام لها مجال للتنفيس

[1] . أنظر: سيمون دي بوفوار (2008)، مرجع ذكر مسبقا، ص. 141

[2]. F. BENATIA, le travail féminin en Algérie, SNED 1970, P.p.40 -61, par : Boutefnouchet M., O.p. Cité, P.p.244-245

[3]. Boutefnouchet M., O.p. Cité, P. 250.

[4]. Lemarchant Clotilde, O.p. Cité, P.196

[5]. عبد الخالق محمد عفيفي، مرجع سبق ذكره، ص.ص.275

عن أعباء الحياة المنزلية، حيث تجد عملها حجة للتحرّر من قيد حماتها، نوعا ما، لأنّ الاندماج ضمن المجال العام لا يمنعها من نكران دورها ككّنة في عمل المنزل.

هذا الاختلاف بين نساء العائلة من الممكن أن يأخذ شكل العدوانية ونشوب العنف في كلا الاتجاهين بمظاهره المختلفة وبردود أفعال معاكسة تجد الزوجات أنفسهنّ في مأزق أصعب منه، مواجهات لعنف أقوى وأشد بين الجماعة النسوية أن تتأجّج علاقات الصراع من خلال التفكير البيزنطي والذي "يحمل صورة متناقضة بين أطراف العلاقات المتفاعلة، يجهل الكل أين تكمن بوادر العنف، فيغيب التوافق حول الأسباب التي تؤدي إلى ممارسة العنف.[1]

- **العلاقة بين كنّات العائلة: نساء متحررات ونساء تحت الضغط**

تحكي المبحوثة رقم 6:

"السلايفات شواوني.. وحدة قاعدة في الدار.. والأخرى خدامة.. يغيروا منّي على صحتي.. كي الختنة (الحماة) تشكرني أو لوستي (أخت الزوج).. أنا قايمة بها وبالدار.. غير انا الكثرية واقفة.. الخطرة **ختنتي ماكانش في الدار**.. وأنا كنت نتوحم بولدي الأول، وقوايمي يوجعوني. ناض راجلي يطيّب.. سلفتي شافتني.. قالتها لختّنتي (الحماة)، كي جات للدار الخَتْنَه (الحماة).. قالت لي واحد الكلام ذبحني."

من تصريح المبحوثة نشير أنّ الكنة تكون تحت المراقبة والملاحظة من نفس جنسها فيما يخصّ الأعمال المنزلية، وكيفية تنظيم يومياتها سواء ضمن نظام تراتبي بين الجيلين، أو بين نفس الجيل من النساء اللواتي تحاولن تأييد الحماة وجلب رضاها، وهي من بين الإستراتيجيات التي تضمن مكانة قيّمة في علاقة الكنة بالحماة تعطي لها تصوّر بأنها زوجة الابن التابعة لنظام وقوانين الأسرة وليست بالمرأة المخلّة لتقاليديها، بإيغار قلب الحماة للكنات الأخريات، حيث يقع الشقاق في غور العلاقات الأسرية وغمارها بين نساء العائلة، فمنهنّ من "يقمن بدور الحارسات بين جدران المنزل تسهرن للمحافظة على القيم التقليدية، وتحاولن دائما تأمين الهيمنة وتأكيد التبعية للرّجل، مُستندة على مرجع القوانين الأسرية التقليدية؛[2] الأمر الذي يستدعي إصدار الأحكام وتقديم ملاحظات مخلّة بالقيمة الانسانية وألفاظ نابية أين توسم بعظهنّ غالبا بـ"عديمات التربية"، حيث تخبرنا المبحوثة رقم 14: "**وصلت أنا ماشي مربية... ختّنتي قالتها لي**"، بحكم أنّها لم توجَّه في تنشئتها الأولى على القيم الاجتماعية المطلوبة في الحياة الزواجية التراتبية، ولم تحترم مكانتها التي من المفروض أن تتطبع عليها كامرأة تقليدية مستوفية لأدوارها داخل المجال الخاص على أكمل وجه.

وتتعقّد العلاقات أكثر إذا كانت العائلة تضمّ عدة أسر نووية تعيش تحت سقف واحد مؤكّدا عدي الهواري ذلك حيث يوضّح أنّ هذا النمط يمكن أن نتصور فيه علاقات الصراع والتوترات المُغذية بالغيرة بين نساء العائلة وتضارب العقليات بينهن، فمنهن من تريد إثبات شخصيتهن، مع وجود الأحقاد والعداوة بين أعضاء العائلة، حيث العائلة الممتدة تمر بتدفق مستمر من الصراعات والتوترات[3] خاصّة بين نساء العائلة، والتي تتضمن عدّة كنّات مختلفات في المعتقدات الثقافية أين تتضارب الذهنيات، خاصة في نمط الحياة المشتركة ضمن سكن يلمّ نساء تقليديات وأخريات عصريات عاملات هويتهنّ تختلف عن المرأة التقليدية، رغم أنّ حتى اللواتي منهن ماكثات بالبيت تكون واعيات بعلاقاتهن التراتبية بالحماة الغير مقبولة، فإنّ **الكنات التابعات للحماة هنّ المتأثرات برمزية العلاقات التي تؤهّلهن إلى الانصياع، والخضوع، وعدم طلب التغيير**، خلافا عن النساء اللواتي وعت بوضعها وحاولت التغيير بعدما أن رمزية العلاقات التقليدية سقطت، ونتجت تصورات خاصة لرمزية العلاقة الزوجية، على غرار رمزية الشخصية الفردية. الأمر الذي يولّد تطاحنات وتوترات معقّدة، كلّ منهنّ تريد تجنّب دورها في مكتنتها ككنّة حيث يقع الشقاق في تشابك على الأعمال المنزلية أين يتجلّى التقسيم الغير متكافئ لهذه الأخيرة بين نساء العائلة ككلّ، فلايستهان بمكانة أخوات الزوج اللواتي تعتبرن أنفسهنّ غير مجبورات على الدخول في علاقة متناوبة مع الكنّات للقيام

---

[1] . Voir : Gilles Rondeau, O.p. cité, P.10
[2] . Zerdoumi Nefissa., O.p. Cité; voir aussi : Lemarchant Clotilde, O.p. Cité.
[3]. Lahouari Addi, O.p. Cité, P.61

بالأعمال المنزلية، فهنّ سيّدات المنزل في نفس مستوى الأم/الحماة. هكذا يعتبر العمل المنزل المجال الأساسي المولّد للصراعات، حيث 33,72% من التوترات قائمة على ذلك *والناتج غالبا من السكن المشترك الذي يضمّ أجيال متعاقبة*.[1] (انظر الجدول رقم 8)

تحكي لنا المبحوثات:

"زوجة أخوه –ماشي خدّامة- وساكنة بّحدها، وعملت بلاصتها في وسط أحبابوا خفخف، كانت قايمة بيهم.. وتقريبا تأتي كل يوم.. ومن جيهتي كانت منقوزة، لا تتكلم معي كثيرا.. حتى عرفت بلّي راه باقي خاطرها لّي ما كُنتش مدخلة راسي في شي صوالح.. وزعما أنا ما يقولوا لي والوا غير هي واقفة وقايمة، حاسبة زعما أنا مايهدروش معاي. والله ضحكتني: انا كنت فارضة نفسي وحاسبتهم ودّابزت معاهم، وكي نحب ما نعملش ديك الصالحة مانعملهاش، باش يريحوا على كتافي.. ما قبلتش. بنتها ما تعمل والوا. غير أنا، في داك الأول صبت راسي واقفة وهم يتفرجوا في المسلسلات. حتى لّي دّابزنا.. قلت لختنتي بناتكم عرّت البنات وتعيبوا في بنات الناس، علاخاطر قالت لي يدّيك مقصوصين، على ما نظل نرفد ونحط تقولي ماشي شاطرة.. ولكن حتّى هي –الكنة- كانت مْناكريّة تعملّي شي صوالح تخلّيك تتخبّط وماتنجمش تهدر معاها.. مثلا: تقول لي نعملوا القاطّو في يوم محدّد.. إيا نعيّط لها تقولي بْدا دوك نجي؛ انا بدأت فيه وأكملته وهي ماجية حتّى للمغرب ! وتقول كان عندي صوالح ! donc ماعاودتش تفاهمت معها.. وهم كانوا يحبوها أكثر منّي" (المبحوثة رقم 14)

" كانت المتعاونة.. ولأت سلفتي –قاعدة في الدار- عدوانية وتعطي الكلام وأنا ما كنتش نردّ عليها ومانعاندهاش. كانت تعاير، وكانت تزيّر عليّ في الكوزينا.. حتّى لّي دّابزنا على الشقى.. حاسبة بلّي –على سلفتي- زعما ختنتي واخوات جابدين لعندي، خاصّة أنني من العائلة.. وانا ما كنتش كامل دّايتها فيهم، وهي مْداك صغيرة زعما لم تقدر لهم، وأنا كنت فاهمة.. أنا خليت لهم الكوزينا قاع" (المبحوثة رقم5)

"كانت مشاكل مشتركة في نفس السكن، خاصة بين الأخوات والكنة (زوجة الأخ الأكبر).. كانت زوجتي خدّامة، وهي قاعدة في الدار ماكانوش متفاهمين.. مرات يتشّادوا.. تقطّع لها شعرها" (المبحوث رقم1)

من خلال هذه التصريحات يتبيّن أنّ المرأة التي تنصاع، قابلة ظروف حياتها، لا تتجرّأ على مجابهتها مُستبطنة علاقتها التراتبية بأسرة الزوج عامّة، ولأنها لا تملك أي سلطة تضعها في موقف حاسم تجابه به وتواجه الوضع لتطلب التغيير سترضى بنصيبها في الزواج، على عكس النساء منهنّ من تجابه وتتقاعس عن أدوارها في علاقتها بأسرة الزّوج بناءا على الرأسمال الثّقافي والاجتماعي وقدراتها الشخصية ودرجة وعيها في مواجهة الوضع –كما راينا سابقا-، حيث من مضمون تصريح المبحوثة –رقم 4 المذكور أعلاه- تشير أنها كانت **"فاهمة"** وهذا يعني أنها كانت واعية بمكانة الكنة، فكلما بلغ الفرد قدرا وافرا من الوعي كلّما تميّز بالكياسة في فهم سلوكيات أفراد الجماعة أين يتّخذ موقف اتجاه الحياة الجماعية الأسرية، ويوجّه سلوكه الانفعالي بعد قياس نمط المعاملات ودرجة العنف الموجّه له،[2] وعليه فكنّات العائلة تواجه الأمر وتتحايل وتتخاتل عن نساء العائلة ككل –كنّات و/أو أخوات- إلى أن تُعامل بالمثل في علاقاتها بالكنات الأخريات فتحاول بعضهنّ النكوص عن دورها ككنة إذ تتولد التوترات بين كنات العائلة، رغم أنّ الهدف الأساسي للكنة المتفجّرة والمتمردة مراميها تكون منصبّة اتّجاه الحماة وأخوات الزوج ترفض وضعها ككنّة لا تتقبل أن يكون لها دور الكنة الخاضة والممتثلة مقارنة مع الكنة –أو الكنات- الأخريات، من الممكن أن تأخذ هذه الظروف علاقات عدوانية المُعبرة عن الغضب، والإستياء، فيتجلّى مختلف أشكال العنف بين نساء العائلة، منها: لامبالاة، مكر، خداع، محاسبات، إهانات، شدّ الشعر، وما هي إلاّ تعبير عن فرض الذّات المقاومة لظروف غير مقبولة، كما ورد في مختلف المقابلات الواردة معنا مسبقا، وكما تضيف المبحوثة رقم 4 في حديثها إذ تحكي لنا:

"الطياب كل واحد لّي يريد حاجة يديرها.. ولكن بالنسبة للغسيل تع الماعين والتخمال.. قالوا (أخوات الزوج) أحنا مانخسلوش الماعين زعما أنا نغسلهم.. إيا أنا قلت لهم ولكن نعملوا tour de rôle، حبوا أنا نعاون

[1]. Kouaouci A. Famille – Femme et contraception : contribution à une sociologie de la famille algérienne, CENEAP, FNUAP, Alger, 1992. P.178

[2]. Voir : MEDHAR Slimane, O.p. Cité ; مصطفى حجازي، "الإنسان المهدور"، مرجع سبق ذكره.

سلفتي، إيا حا نهار كنت الفوق سلفتي **قعدت تزكي** زعما غير هي ريها تغسل الماعين، مع لّي قاعدة في الدّار، جات ختّنتي تزكي عليّ ريك مخلية سلفتك وحدها. حبّوا أنا وسلفتي نغسلوا الماعين.. قلت لها بناتك علاه قْلعتيهم.. لمّا زَيْروني **بقيت نزكي**. **أنا كي touchiwni ما نعرفش نهدر نزعف** حتى أنا فرضت نفسي، فُقت لهم. المطبخ خليتهولهم"

وعليه من كل ما سبق نشير أنّ المرأة لا تتقبل نمط الحياة الزواجية التي تجد نفسها سجينة فيها، تقوم بمواجهة مشاكل الحياة الزواجية أين لا وجود لمعنى "العلاقة الزوجية" فالزوج هو تابع لأسرته ودائما يولي الولاء للأم ولكل أعضاء العائلة، حيث قد تتجرّأ نساء العائلة أن تفرض سطوتها من خلال سطوة الزوج عليها إلى حد ممارسات عدوانية واللجوء إلى العنف الجسدي -كما سنوضحه بالتفصيل في الفصل الرابع- بغرض توجيهها إلى دورها التقليدي؛ ولكن رغم ذلك تجد المرأة نفسها دائما مقاومة للمعتقدات التقليدية التي تمنعها من العمل أين الزّوج يكون في موقف معارضة ضدّ المرأة العاملة.

3. الرؤية العصرية للمرأة في نمط العلاقة الزوجية: عمل المرأة بين التأييد والمعارضة.

إنّ الفترة الانتقالية التي مرت بها الجزائر كانت سريعة التطورات والتحولات، وبما أنّ المجال الخاص يعدّ بنية اجتماعية ضمن البناء الاجتماعي العام فأي تغيّر يطرأ على أي مجال من المجالات الاجتماعية العامة تؤثّر بالضرورة على المجال الأسري، حيث يوجد علاقة محكمة بين المجالين أين تقتحم بعض المعتقدات الحديثة أفراد الجماعات الأسرية، فمن الأسر من حاولت مواكبة التغيرات العامّة ومنها من عارضت بعض المعتقدات التي اعتبرتها أنها مخالفة لايديولوجيتها، خاصّة من المواضيع التي تتخلّل العلاقة بين الجنسين فتهتمّ بنجاح المرأة ضمن المجال المهني بموازاتها أمام الرّجل، فأشكال متعدّدة من العنف مصدرها الأساسي تصورات ثقافية تقليدية أين الجنس الذكوري يحاول دائما أن تكون المرأة مختلفة عن جنسه.

1.3. رجل لا يتقبل فكرة عمل المرأة

تبعا للتنشئة الاجتماعية الأسرية يكتسب أفراد الجماعة النظام الثقافي السائد منذ أجيال، أين يُلقِّن الوالدين مبادئ الثقافية الأبوية للأبناء -كما رأينا سابقا- من الممكن أن تأخذ إلى حد الاستبطان خاصّة من حيث العلاقة الهرمية بين الجنسين، وفكرة المرأة الماكثة بالبيت.

فقد أشار Pierre Bréchon أنّ "عمل المرأة يُعتبر في الذهنية التقليدية من الحلول السيّئة... هذا لأنّ المرأة الماكثة بالبيت تؤمّن الخصوصيات والضروريات للأسرة، وتقوم بتربية الأبناء تربية حسنة"،[1] وكما يسطّر De Bonald أنّ الذهنية التقليدية لمكانة المرأة ووضعها الاجتماعي مرتبط بالمجال الخاص معبّرا بذلك أنّ "المرأة ملك العائلة وليس للمجتمع عامّة... وطبيعتها موجّهة للعناية الأسرية وليس للمهن العامّة... ولا بدّ أن نجدها إلاّ في الجانب الأمومي[2] وملتزمة بالنظام الهرمي بين الجنسين، فيشير De Singly ضمن نفس السياق موضّحا أنّ الحدود بين الزوجين في الثقافة الأبوية قائمة على الاختلاف الجنسي، وهذا الاختلاف يحدّ من حرية المرأة ويهدّد سعادتها الشخصية، فيُمنع عليها التفوق مهنيا لتؤكّد مكانتها كفرد تابع للزوج، حيث تبعية المرأة للزوج تقلّ كلما اندمجت في المجال المهني، وكلما كان لها رأسمال دراسي أقل أو يساوي الزوج.[3]

[1] . Pierre Bréchon, O.p. Cité, P.42

[2] . Pierre Bréchon, C.p., P.38

[3] . De singly François, Sociologie de la famille contemporaine, Nathan, 1993. P.P.104-106

إنّ هذه المعتقدات التقليدية والتي نوّه إليها المتخصّصين في دراسة المجتمع والعلاقات الأسرية، اتخذها فئة من الرجال من البديهيات الاجتماعية التي تستوجب الضبط. فيخبرنا المبحوث رقم 5:

"قليل الرّاجل لّي يحب المرا autoritaire.. انا مانحبش المرا لّي تخدم، ومانحبهاش تدّخل في أموري.. أنا من أصدر القرارات. هي تحاول تقنعني وتضغط وأنا ردود أفعالي تكون نيشان ونكون صريح قال "لاّ".. تحاول تَفرض نفسها وأنا لا أترك لها فرصة.. و**طاعة الزوجة لزوجها هي ليست واجب ولكن فرض**.. المرا خاص تعرف بلي الراجل راجل وكل واحد عنده حدوده وواجباته.. كاين الراجل الذي يُظلم من طرف المرأة.. انسان ماشي خدام والمرا تخدم عليه غدوا يجي يهدر المرا تبلّعلوا فمه يحب أو يكره.. وأنا في فترة كنت عاطل عن العمل.. هي كانت خدّامة وقعدتها في الدّار.. المرأة كي شوف الرّجل قليل التشدّد وعاطيها l'autorité تضغط عليه"

إنّ من خلال هذا الحديث يتبيّن لنا أنّ، الزوج لايتقبّل من الزوجة الإسفار عن وجودها ضمن الجال العام بصورة قوية أو يمنعها منعا باتا عن العمل، تخوّفا من الدخول في علاقة مصطدمة مع الزوجة من ناحية السلطة واتخاذ القرار، متجّنبا أي نوع من العنف الذي قد يوجّه ضدّ الزوجة أين يشعر أنّ مكانته ستضعضع، ولذلك يستعين مسبقا باستراتيجيات ثقافية، إذ يُؤكّد التراتبية الزوجية الهرمية باسم الدين وما ينصّه النص المقدّس، يستبعد بذلك أي عنف أو ظلم قد ينتج من طرف زوجته، فيعمل على كبح إرادتها وفرض سلطته وسطوته عليها، مُتخوّفا من المساواة الجنسية، حيث يتوجّس على مصيره في علاقته بالزوجة، ممّا يجعله يتثبّت بالمعتقدات التقليدية لمكانة المرأة، أين يُخضِع الزوجة تحت نمط عنف رمزي هادئ بحكم المكانة التي وهبتها لها الثقافة الأبوية.

يوضّح عدي الهواري في مفس سياق المضمون أنّ، الرجل يضبط تبعية الزوجة له، لتكون تحت إمرته وطوعه، يجرّدها من بعض الامتيازات الاجتماعية لكي لا تهتزّ التراتبية الزوجية، فهو "يرفض العمل للزوجة تخوفا من أن تكسب سلطة مادية عليه، على غرار النظرة السيئة للمجتمع نحو المرأة حيث لا يريدها التكلم مع الغير، ليس من باب الغيرة وإنما لحاجة فردية خاصة وهي قيمته وسمعته كرجل في العائلة والمجتمع عامة،[1] تمنعه من قبول عمل الزوجة، حتى ولو كانت ظروفه المادية مزرية، فالعيش في الفقر ولا الإفتقار من معايير الرجولة؛ وعلى إثر هذه المعتقدات التقليدية تجد المرأة نفسها في وضعية كاسحة، طموحاتها مكبوحة، في حياة بائسة، تشعر من خلالها بالإهانة، مُعبّرة المبحوثات:

"النهار لي قالي قعدي في الدار، رفدت صوالي وأخرجت.. حسيت بالإهانةّ.. ونخاف باه نترك العمل تاعي" (المبحوثة رقم 12)

"المرا "مَحْقورَة"... الراجل ماعندهش زعما تخرجي تخدمي.. مع الأول مابغاش نخدم.. حتى قالو له علاش دروك لا أنت لا هي.. ماريهاش ماشية تفوتك.. تعاونك.. كي تشوفها كاسية اولادها وتعاونك في المصروف، تفرح.. ولا لاّ.!" (المبحوثة رقم 9)

إنّ مفهوم **"الحُقرة"** الُمستنطق من طرف المبحوثة، هو مفهوم سوسيولوجي دال على وضع معنَّف ضدّ المرأة في مجتمع متغيّر يُترجم في هذه الحالة التمييز الجنسي، باعتبار أنّ المرأة تحتجز في إطار ضيّق لا يمكنها تجاوزه على خلاف الرّجل المتحرّر ضمن المجال العام، بالرّغم من أنّ عمل المرأة مستهدف للإعالة الأسرية، إلاّ أنّ الرجل يمنعها من العمل رافضا أي طموح يقودها إلى النجاح والتفوق ضمن المجال العام، أين تثبت استقلالها المادي، فهذا مرفوض البثّة من طرف الرّجل الذي يملك معتقدات تقليدية من الممكن أن يتوصّل إلى إثارة العدوانية لفرض قراراته.

توضّح ضمن نفس السياق Evelyne Josse أنّ "من بين العوامل التي تسمح بممارسة العنف ضد المرأة من طرف الزوج: عندما تكون مستقلة، أو تبحث عن الإستقلالية، (دراسة، تكوين مهني، عمل خارج المنزل...) فالنساء المثقفات والمتحصلات على مستوى تعليمي عالٍ، يمكن أن يتعرّضن

[1] . Lahouari Addi, O.p. Cité, P.132

لاستقبال العنف من طرف الزوج، لأنها تصبح أكثر استقلالية، وتقاوم المعايير والنظم الأبوية. ولكي يعاد ضبطها، بعض الرجال يلجؤون إلى ممارسة العنف؛[1] ويضيف Mayer أنّ الرجال الذين يميلون إلى ممارسة العنف ضد زوجاتهم يمكنهم أن يعزلوهنّ عن المجتمع حيث يكثّفون تبعيتهن لهم،[2] فتصبح المرأة أسيرة ضمن المجال الخاص مكلّفة بمهام حدّدتها المنمطات الثقافية.

ولكن العنف متواصل لا يمكن الحدّ منه، حيث الـمُكوث بالبيت لا يُجدي نفعا إذ "يتيح العمل المنزلي في الواقع للمرأة فرصة الهروب الدائم عن ذاتها. أو كما يقول "شاردون": "إنها تبلغ حالة من الفراغ الذهني تقضي عليها... لو عملت المرأة على تنظيم عدة مهام معا لبقي لها لحظات طويلة من السلبية والفراغ. هذه اللحظات تفسح المجال أمام الضجر،[3] والشعور بالنقص إذا ماقارَنت نفسها بنساء العائلة الناجحات مهنيا، خاصّة إذا كانت ذات مستوى تعليمي عالي ومنعها الزوج من إثبات ذاتها، وهذه الحالة من الممل والرتابة والنقص تعود عليها بممارسات عدوانية ضدّ الزوج. فيحكي المبحوث رقم 2:

"في فترة ماقبل أن تلد البنت.. دائما تعيطلي وتقولي فاين ريك؟!.. وتهبلني وتعايرني.. أنا قع النهار برّا حتى العاشرة ليلا.. هي تشعر بالفراغ والروتين، مرات تضّايق.. ما بغيتلهاش الخدمة.. ومن بعد على جال التربية هي تراجعت عن الفكرة "

إنّ من مفهوم **"التّضايق"** نستنتج مفهوم التبرّم والإستياء وعدم الرضا من مجال ضيّق مفروض عليها، ساخطة من الوضع الذي تعيشه الزوجة في الوحدة والشعور بالفراغ، ليس لها عمل يشغلها حيث "بقيت الحرية بالنسبة الى النساء سلبية ومجردة[4] محتجزة في البديهيات المقنّنة اجتماعيا والتي تضبط مكانة ودور المرأة في المجال المنزلي، يجعلها في مكانة الجنس الآخر، و**الرجل الذي يعزّز هذا التصوّر "يَلقى استعدادا عميقا من جانبها يساعده في همته**. ويحاول أن تبقى المرأة في المكان الذي خصصه لها المجتمع، وهكذا لا تطلب المرأة صفة الشخص الذي يؤكد ذاته، لانها محرومة من الوسائل الملموسة، ولأنها تشعر أنّ العلاقة الضرورية التي تربطها بالرجل دون أن تعتبرها علاقة متبادلة؛ ولأنها تقنع غالبا بدورها كـ"جنس آخر".. ولا شك من أن الكثيرين من الرجال يتمنون ذلك وكلهم لم يُلقِ السلاح بعد".[5]

2.3. رجل يُدعِّم إثبات الذاتية الفردية للمرأة: نجاح مهني أو دراسي خاضع لشروط

تخبرنا المبحوثات:

"كمّلت قرايتي عندي ماستر 2014.. كان معاوني، كان عندي نهار في الأسبوع باش نقرا –في مستغانم- كان مسكين يروح معاي في الصباح ويستناني حتى العشية كي نكمل.. هو لي عاوني باه نقرا.. حتى الباكالوريا ديتها في داري.. كان عندي 2 بنات.. قعد نعاود حتى ديته في 2007." (المبحوثة رقم 12)

"معاه –الزوج- قريت. أنا لي بويا ما خلانيش نقرا ولكن قريت بعد الزواج، هو –الزوج- شجعني ودّيت الباكالوريا والليسانس تاعي، كملت DEA droit des affaire.. درت كلّش، عاوني قريت حتى الاعلام الآلي.. وتعلّمت macramé.. درت بزاف صوالح غير من تزوجت.. طحت في واحد، ناس ملاح" (المبحوثة رقم 15)

---

[1]. Evelyne Josse, O.p. Cité, P.12
[2]. Schar Moser Marianne, O.p. Cité, P.28
[3]. سيمون دي بوفوار (2008)، مرجع سبق ذكره، ص.ص.143-145
[4]. سيمون دي بوفوار (2008)، نفس المرجع، ص.57
[5]. سيمون دي بوفوار (2008)، مرجع سبق ذكره، ص.11

من خلال هذه التصريحات، يتّضح أنّه في الوقت الراهن الرجل يُعتبر هو المدعّم الأساسي للمرأة في إثبات ذاتها، قد يكون الأب –كما رأينا مسبقا- ويمكن أن يكون الزوج هو من منح الترخيص ووافق على خروم المرأة للعمل و/أو التعلّم، مع تقديم تشجيعات لها للاندماج ضمن المجال العام، يقوم بتغيير مسار المرأة خارج الفضاء المنزلي، حيث يعيد بناء التصورات الاجتماعية لوضع المرأة الـمُواكبة لمستجدات الحياة الاجتماعية؛ ولكن مهما ما قدّمه الزوج لها من تشجيعات وتسهيلات لإثبات كفائتها ضمن المجال العام، ورغم ما توصّلت له من استقلالية بمساعدة الزوج، إلاّ أنّ نجاحها واستقلاليتها هذه تكون دوما مَشْروطة.

1.2.3. زوجة عليها المحافظة على التراتبية الجنوسية

إنّ من شروط الدعم الزوجي للمرأة للنجاح المهني و/أو الدراسي، المحافظة على التراتبية الزوجية حيث أنّ الزوج يتقبل عمل المرأة وتفوقها خارج المجال العائلي، إلاّ أنّه لا يتقبّل بتاتا تعاليها عليه أو إبراز أي نوع من التفوّق؛ فكما انّ المرأة تحاول تجاوز دونيتها وتواجه ثقافة الأواصر لإثبات ذاتها، الرجل بالمقابل مطوّق بمعايير توجه سلوكه يعمل دائما على المحافظة عليها لكي لا يتعرّض للدونية باعتباره الفرد الذي له السيادة وهو الذي يمتلك قمّة الهرم في أي مجال من المجالات الاجتماعية، مهنية أو دراسية، وإذا ما تجاوزت السلم الهرمي فهذا يعني أنها وجّهت عنفا معنويا ضدّه الذي سيقابل بنفس العنف، وقد يكون أشدّ إذا ما حاولت المساس بالمكانة السلطوية –كما سنرى لاحقا ضمن نفس الفصل-

يُؤكّد Schar Moser ضمن نفس سياق الموضوع أنّ "النساء هن أكثر عرضة للعنف الزوجي، خاصة إذا مكانتهن المهنية متفوقة على أزواجهنّ، حيث تتكوّن علاقة غير متجانسة في المستوى الدراسي والمهني،[1] ويتكثّف العنف ضدّ المرأة إذا تكوّنت علاقة جنوسية غير متجانسة متجاوزة لمعايير الأنوثة والذكورة؛ وعليه فنمط العلاقة الأولى يمكن أن تكون محلّ قبول ولكن لها حدود لا تتجاوز نمط العلاقة الثانية المخالفة للمنمّطات، أين تتولّد علاقة تباهي وتفاخر وتعالي على سيادة الرّجل، لا يتقبّل أن يكون محل استصغار أو إذلال، وهذا مبدأ الهيمنة الذكورية والتي "تتضمن مبدأ من خلاله يعتبر الرجال أنفسهم أعظم وأسمى من النساء، وفي إطار الرغبة في الهيمنة عليه أن يملك السلطة المادية والرمزية التي تحدّ من سلوكيات النساء وفكرهنّ.. وإنّ النظريات المتخصّصة في الهيمنة الذكورية يعتبرون أنّ هذا المبدأ وارد في كل المجتمعات سواء تقليدية أو عصرية.[2] يشير المبحوثون:

> "من ناحية المستوى الدراسي لا مايحش بمشكلة بلي أنا إطار وهو لاّ.. عمري ولاّ حسبت راسي عليه أو بييّنت له انا قارية عليه.. هو يشاورني في شي صوالح.. يقولي بالاك تعرف خير مني.. **ولكن مايتقبلش رأيي بسهولة**" (المبحوثة رقم 10)

> "هي قارية عليّ.. عمري ما حسّيت انها خير منّي.. **والحاجة التي أريدها أقوم بها لا يهمني رأيها**" (المبحوث رقم 2)

> "هو عاوني باش قريت وكمّلت قرايتس وراني عادة نقرا.. ولكن لما أقدم رأيي، يقولي **عندك تحسب قريت 2كلمات زيادة جّي تبيّن لي في راسك**" (المبحوثة رقم 14)

إنّ من التصريح الأخير يتبيّن لنا وجود تحذيرات موجّهة للزوجة إذا ما أرادت تجاوز العلاقة التراتبية الزواجية لتفوّق الرجل عن المرأة، فكلّما حافظت الزوجات على التواضع وإخفاء اللاتجانس الدراسي أو المهني أو حتى المادي بحكم سموّ منصب عملها، كلّما حافظت على الإستقرار الزوجي، فإنّ من جل التصريحات تبيّن لنا أنّ الرجل من الممكن أن يتقبّل –إراديا أو لاإراديا- سموّها ولكن لا يقبل تغيير المكانات بهذا السموّ، من الممكن أن تتعرّض لإهانات لفظية تنقصها من قيمتها كفرد له القدرة على التفكير والنجاح والتفوّق أين الزوج يذكّرها على الدوام بمكانتها التراتبية حيث تشعر

[1]. Schar Moser Marianne, O.p. Cité, P.23-24

[2]. Tostain Manuel, Pour en finir avec la domination masculine? Regard critique sur les études psychosociales des relations entre sexes, Bulletin de psychologie 2016/5 (Numéro 545), p. 346

بالدونية والنقص في شخصيتها؛ لا يحبّذ أي تصور يُثبت أنها أعلى منه فبالنسبة له هي الجنس الآخر الأدنى منه ولا بدّ أن تكون إلا في هذا المستوى.

تحكي المبحوثات:

"دائما يريد أن يصتصغرني. كل خطرة يلفظ بعض الأشياء نحس راسي انا والوا. وفيما بعد عرفت بلّي ما يحبش نكون خير منّه. وانا عمري ما بينت له بلّي أنا خير منّك: يقولي مثلا: آآآآآسم (مااااذا) ريك تخدم؟، هذيك خدمة !.. زعما نحب نعاونو في حاجة ونوصل للحل، ماترشقلوش.. ركّبلي النقص في بزاف صوالح يحب دايما يبان خير منّي يرجعني ما نفهمش ورغم أني أكون على صواب... كذلك يحب يخليني نحس دايما أنا الصغيرة في عينوا حتى نزعف.. نحس تع بصّح ما نفهمش -وتضحك- والله. كي نحاسبوا على حاجة يعتبرني حمقة وأنا راني نزيد فيها" (المبحوثة رقم 14)

"يرجعني زيرو "0" يقولي تيّ والوا" (المبحوثة رقم16)؛

"أشعر بالنقص يقلّل من قيمتي.. نظرتي لذاتي سيئة أكرهها.. يحب يكون دايما فور عليّ وليس أقل منّي، رغم انّي معاوناته. بأفكاره الخاصّة يريد أن يكون أسمى منّي ليس في مسالة الدراهم، ولكن، عندما لا يعرف شيئ يلفّ ويدور ولا يستمع لنصائحي" (المبحوثة رقم 1)

"يقول لي مثلا أنا خير منك وأنتِ عقليتك ليست حسنة.. ويحبّ أن يظهر لي أنّني دايما تحته.. الأمور لي فيّ يبغي يكسرهم لي... ويحبّ أن يظهر لي أنّني دايما تحته، وهو مستوى أعلي منّي.. يقولي خدّمتك ماكان والوا.. رغم أن المنصب تاعي اعلى من منصبه" (المبحوثة رقم 18)

نشير أنّ غياب التجانس الاجتماعي والمادي لا يخلق عنف بدرجة قويّة إلاّ إذا صرّحت الزوجة بهذا اللاتكافئ الجنسي والذي يؤهّلها إلى استقبال العنف من طرف الزوج، حيث ما تبيّن لنا في الدراسة الميدانية أنّ 19,23% من الزوجات صرّحن أنّ الزوج لا يتقبّل أن تكون أحسن منه في كل الظروف والمواقف ويمنع أي تجاوز للعلاقة التراتبية الجنسية يحاول دائما وضع الحدود لتجنّب أي تصوّر يعطي له مكانة دونية في علاقته بالزوجة ولو بأقل فعل أو كلام نابع منها (أنظر الجدول رقم 12)؛ وما تبين أنّ 25,81% إلى 22,58% من النساء اللواتي صرّحن على هذا التفوّق واللاتجانس الزوجي أثاروا حنق أزواجهنّ من جرّاء أشكال التعالي والتكبّر النابع منهنّ، بوعي أو بدون وعي (أنظر الجدول رقم 15) إلى حدّ استعراض إهانة موجّهة للزوج أين تُعرِّض نفسها للخطر إذا ما تَرجم اتجاهاتها -المباشرة أو الغير مباشرة- كقذف في شخصه كرجل له اعتبارات اجتماعية، حيث إنّ النجاح المهني للرجل يعدّ المجال الأساسي بالنسبة له، والألوي قبل أي مجال آخر، وإذا لم ينجح فيه، أو أنه بصفة عامة لم يتوصّل لطموحاته ضمن المجال العام سيشعر بالنقص أمام تفوّق الزوجة عليه مهنيا ودراسيا بحيث يكون الوقع حاسم وأقوى باعتبار أنّه المجال الذي لم يخصص لها اجتماعيا وقد أثبتت فيه امكانياتها بإرادته هو؛ وعليه قد تتعرّض للتهديد بفصلها عن العمل إذا ما انصاعت للضوابط الاجتماعية المقبولة التي تؤكّد العلاقة الهرمية بين الزوجين، أو من الممكن أن تتعرّض للعنف الجسدي، وكل يواجه الموقف على حسب شخصيته. فيخبرنا المبحوثون:

"تْعايرني بالفشل تاعي.. خدّام ولكن المدخول ضئيل، بغيت نوصل بعيد ولكن دايما أتراجع، ماعندي مانقول لها.. جيب الهدرة في الصواب.. أنا الفشل تاعي هو لي يخلينين نتعصّب.. ونضربها" (المبحوث رقم 1)

"نْعاير مول الدّار، لا أعايره مباشرة ولكن يفهم الرّسالة: لم ينجح في المجتمع "ماشي قافز ما يعرفش، نحاسبه، كما انه لم ينجح في دراسته، نعاير الدراري ببوهم نقول لهم حبيتوا تخرجوا ماشي قارين كي بوكم، يشعر بالاهانة، نحس بلي يتنقز، تغيضه... هو ساكت بزاف؛ ولكن كي جّي الهدرة يقولي القاريين مايديروا والوا أو قرايتك ما فادتناش " (المبحوثة رقم 5)

وعليه عمل المرأة لا يحرّرها من التبعية ومن المعتقدات الاجتماعية العامة، على غرار أنّ بعضهن من النساء يتحجّجن على أن الزوج لا يقبل خروج الزوجة من المنزل إلاّ بهدف مِهني، بحكم ما هو مشرَّع لها اجتماعيا، حيث لا يسمح لها الذهاب بمفردها إلى أي مكان، عدا العمل، إلاّ إذا اصطحبت أحد أفراد العائلة. يقوم بذلك الزوج بتأكيد تبعيتها دائما على أساس معتقدات ثقافية أبوية.

2.2.3. المرأة لا تتخطى عتبة المنزل إلاّ بشروط وبصفة مُضبطة

إنّ دراستنا قد أثبتت لنا أنّ المرأة لا يُقبل خروجها من منزلها إلاّ بشروط اضطرارية مرتبطة غالبا بذهابها للعمل، وإلاّ يمنع عليها تخطّي عتبة المنزل لألاّ تفقد كلّ هويتها الجنوسية بعدما أن فقدت جزءا منها عندما سُرّح لها الاندماج ضمن محيط أوسع مِـمّا كُتب لها في أجيال مضت، وعليه يحاول الزوج ضبطها ضمن المجال العام، يأبى لها الخروج بمفردها، يستوجب عليها رفقة أحد أفراد العائلة ومن الأحسن أن يكون رجل أو صبيّ بحكم النظام الأبوي الذي يستدعي تبعية المرأة للرّجل كيفما كان، أباً، أو أخا، أو زوجا، أو حمى، أو ابنها الذي يصبح حاميها في فترة متقدمة من السنّ، فهويتها الاجتماعية تبقى مرتبطة بالآخر غير مستقلة بذاتها، وخاضعة لنظام اجتماعي يضبط سلوكياتها ضمن المجال العام. هذا ما تبيّن في مضمون تصريحات المبحوثات:

"زعمة كي نخرج غير باه نخدم. لو كان نبغي نروح عند خواتاتي يقولي لا ما تروحيش ويوقفلي زعما راكي تخرجي تخدمي خلاص.. ولكن لا خلاص صايي ما يتحكمش فيّ" (المبحوثة رقم1)

"على اللبسة نْضربت.. زعما la veste قصيرة.. كان يقدم ملاحظات حتى ضربني كي مادّيتهاش فيه.. وشعري يبان كي نعمل foulart ما عجباتوش هذه.. باش نقولك يغير عليّ لاّ impossible هذه ماشي غيرة.. شوف أسم؟.. بصّح هو يلبس ويتْفَحشش.. عادا كان حا الوقت يقولي عبّي الولد معاك حتى فُقت له retart زعما كي نروح للخدمة ماعليش ولكن كي نروح منّ أو من يليق نكون زعما مع ولدي، بصّح نهار لّي قالي عبّي اختي معاك كنت عاد عروسة إيوااا آجي تسمع ما خلّيتلوش مع لّي أنا خفّا نتنارفة كي حاجة ماتعجبنيش، قلت له تعملها عسّاسة عليّ! قول لها توصّلني للخدمة وجّيبني كل يوم!.. كان بّاه يعبيني ويجيبني كل يوم ونهار لي رفضت شنفوا عليّ" (المبحوثة رقم 14)

"هو يشري القشّ ليه! وأنا مايبغيش نشري القش، أنا كي هو يخصوا حاجة نقول له شري لعمرك، ولكن هو ما يبغيش، اشتريت في المرّة الأخيرة لباس للعمل ما عَجبَه الحال، حتى قلت له: بنت على حقيقتك أنت تغير منّي.. تبغيني غيل مبهدلة. مزيّة جيت بدراهمي. سمّا لو كان أنت تعطيني تقتلني" (المبحوثة رقم 2)

حاجة تاع والوا ينوض يزكي.. مثلا البارحة قالي فوق الجلابة زيد حاجة، قلت له مانلبش.. عليها ناض الزكا ونضنا ندابزو.." (المبحوثة رقم 16)

إنّ هذه التصريحات تثبت لنا النظام الأبوي الذي يضط المرأة من حيث العلاقات والمجالات والجسد، فيوضّح عدي الهواري أنّ "من بين الأعراف والتقاليد المرأة لا يتوجب عليها الخروج بمفردها وإلا توسم بأنها "سايبة" مشكوك في شرفها ليس لديها من يحكمها من رجال العائلة –أب أخ أو زوج- ففي المجال العام لا تعتبر كإنسان أو فرد إجتماعي حيث النظرة الموجهة لها مختزلة كجنس وكجسد، شيئ غير مضبط اجتماعيا في العائلة فإذن هي إمرأة حرّة (متمردة ضد السلطة المركزية)، بحكم أنّ المرأة تعتبر "فِتْنة" تثير الرغبة الجنسية وهذا ممنوع خارج الزواج ولهذا عليها أن تكون داخل المنزل. خاصة أن العديد من أرباب العائلة يبحثون عن رغبتهم خارج المجال الزوجي، متعتبرين الزوجة كأم للأبناء وليس كشريكة ضمن العلاقات الجنسية.[1]

على إثر هذه المعتقدات، معظم النساء تشتكين من رد فعل الزوج إذا خرجت متبرّجة، رغم أنّ معضمهنّ متحجبات، وهذا من بين شروط تقبّل خروج المرأة للعمل، أين يوجّه لها الزوج انتقادات لفظية بصفة عدوانية، كإنذار أو يستدعي به الأمر إلى ممارسة عنف جسدي لو تجاوزت المعايير المحدّدة من طرفه لضبط جسدها الذي يعدّ "مطارا لنُطفه، ومصنعا لنسله"،[2] وعليه فهي ملكُه كشيئ مادي، فـ"التقاليد تمنع المرأة أن تنزع خمارها، تخرج وحدها في الشارع، تكون ملفتة لأنظار الغرباء من الرجال أو تتكلم معهم.[3]

---

1. Lahouari Addi, O.p. Cité, P.p.148-149

2. زيان محمد، مفهوم الرجولة ونزعة العنف ضد المرأة في الجزائر، المجلة المغربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، سبق ذكرها، ص.157

3. Zerdoumi Nefissa., O.p. Cité, P.263

ويشير عدي الهواري ضمن نفس المضمون موضّحا أكثر أنّ، من المعتقدات التقليدية لنظام العلاقات بين الجنسين "المرأة التي تتعرض لعنف جنسي ولفظي تُتّهم أنها هي من عرضت نفسها للإساءة من طرف الرجال، وأنها خانت هدوئ العائلة، فهي من أقحمت نفسها في مجال الرجال، وجازفت بنفسها؛ أمّا الرجل ضمن هذه التصورات التقليدية لا يشعر بأنه انحرف أخلاقيا إذا أساء للمرأة. الرجال هم في الشارع جل النهار لأنهم يعتبرون أن المجال الأسري ليس مجالهم الخاص وإنما هو خاص بالنساء.[1]

وعليه فإنّ المجال الخاص هو المجال الذي يبقى مخصص للمرأة ومسؤولة عنه رغم كل التحولات التي أهلتها إلى الخروج من المنزل، والتوصل إلى أعلى المناصب المهنية، التي منحتها قمّة هرمية ضمن المحيط العام، ولكن تبقى مكانتها تراتبية في علاقتها بالزوج ضمن نظام لا يزال يحتفظ بالرواسب الثقافية لوضع المرأة في الفضاء المنزلي.

3.3. المرأة مُضبطة في مجتمع متغيّر بحكم مفهوم الرجولة

إنّ العلاقة الجنوسية التراتبية هي علاقة مبنية اجتماعيا، هكذا أثبتت الدراسات الأنثروبولوجية والاجتماعية، بحكم المعتقدات والمعايير المقولبة في نظام ثقافي متوارث عبر أجيال معترف بها اجتماعيا، فتكون أقوى من كل فرد من أفراد المجتمع تستوجب الخضوع لها، من الممكن أن تأخذ صفة الجبرية "عبر ما يسمى **بالعرف والقانون، والأخلاق** وهي ممارسات منظمة وثابتة.. يشترك فيها الجماعة وتوجه تصرفات الفرد.. مفروضة على كل عضو من أعضاء المجتمع، ولا ترمز للفعل فحسب بل الواجب فعله كقاعدة علينا الامتثال لها،[2] وينوّه "برجس" و"لوك" أن الأسرة كنظام اجتماعي، يكون سلوك أفرادها خاضعا للعرف والقانون والرأي العام.. مما يحدد الضبط الاجتماعي،[3] وعليه فأي تجاوز لها تأخذ مضمون الجزاء والعقاب من الطرف الفرد الذي له الشرعية في ممارسة السلطة.
ونشير أنّ هذه القوانين والأعراف كما تضبط المرأة تضبط الرّجل كذلك في نظام صارم، خاضع للمعتقدات الاجتماعية العامة، حيث الزوج يستوجب عليه الحفاظ على مكانته الهرمية الزواجية من خلال ضبط الزوجة في نظامها التراتبي الجنوسي، وإذا ما وقع العكس فقد يتعرّض لعنف أسري واجتماعي حيث أنّ "المجتمع يؤمن بسمو الذكر عن الأنثى،[4] فيكون الرجل بذلك تحت عنف رمزي محض، مقيّد باحترام معايير الرجولة والتمسّك بمعتقداتها وهذا يعني إعطاء صورة إيجابية لذاته في نظر الآخرين له.

يميل Adler إلى اعتبار الرجولة رد فعل ضدّ الأنوثة، وتنديدا بها... أول واجب لدى الرجل أن لا يكون امرأة"،[5] وهذا يعني ألاّ يكون في أسفل الهرم، لهذا يحرص ألاّ يفقد مكانته في قمّته فيقوم بالمستحيل لكي لا يهدر رجولته، إلى أن تتكوّن له عقدة تطوّقه تسمّى "الزوجة" التي لابدّ أن يؤكّد في علاقته الزواجية مكانته كرجل ورب بيت في أسرته النووية حيث "يستكمل شخصه كزوج وكوالد" -على حدّ تعبير سيمون ديبوفوار- [6] فيثبت انتمائه الذّكوري، يتميّز بكل قيم الرجولة، يمارس هيمنته ويقوم بتسيير شؤون الأسرة تحت إمرته، يولي الخوف والرهّبة؛ و"الذي لا يتقن ممارسة هذه الهيمنة وتوجيه الأوامر ليس برجل[7] أين سيتعرّض للعنف من طرف الزوجة –كما سنرى ضمن نفس الفصل في مختلف المواجهات التي تقوم بالإعلان عن عدم رضاها بالزوج، أين ستتعرّض لعنف أقوى وأشذ وقعا.

---

[1]. Lahouari Addi, O.p. Cité, P.150

[2]. Emil Durkeim, Introduction général à la sociologie de la famille, 1888.

[3] . حسين عبد الحميد رشوان، الأسرة والمجتمع: دراسة في علم اجتماع الأسرة، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2003. ص.154.

[4] . Evelyne Josse, O.p. Cité, P.14

[5] . Stoller Robert, Masculin ou féminin, Paris, PUF, 1989, PP310-311.

[6] . سيمون دي بوفوار (2008)، مرجع سبق ذكره، ص.122.

[7] . Zerdoumi Nefissa., O.p. Cité, P.163

وعليه من الممكن أن يوجّه سلوك معنِّف ضدّ الزوجة في مرحلة يشعر أنّ رجولته مهدّدة، فـ"الرجل يصل به الإذعان للنظام الاجتماعي إلى كل أشكال العنف والعدوانية بل حتى القتل، من أجل شرف ذكورته المنصهر وشرف النظام الاجتماعي التابع له،[1] وتشير سيمون دي بوفوار أنّه "لا أحد متغطرس اتجاه النساء، أكثر عدوانية أو مُحتقِر، مثل الرّجل القلق على رجولته"،[2] وقمّة الشعور بهذه الأخيرة تؤدّي به إلى انكار وجود المرأة كفرد له قيمة تكون ضحية عنف زوجي أو بالأحرى ضحيّة معتقدات ثقافية مترسّخة منذ أجيال مضت، وهذا ما أثبته كل من Spence وBuckner حيث أنّ "النتيجة التي توصلا إليها.. مفادها أن الرجال ذوي الذكورة المرتفعة لديهم اتجاهات سلبية حيال النسوية، وحيال كل ما هو غير تقليدي يجمع بين الجنسين، ويرفضون استطرادا، أن يعتبروا ذواتهم نسويين،[3] ويكون الوقع حاسم وجازف للمرأة إذا ما بلغت الزوجة مكانة سلطوية ضمن الحياة الأسرية –كما سنرى لاحقا في معظم المواقف التي تريد الزوجة أن تثبت إرادتها ضدّ إرادة الزوج-

إنّ هذه المعتقدات الاجتماعية للرجولة تصبح مسيطرة على أنفاس الرّجل يعمل جاهدا لألاّ يفقدها إلى حدّ أنّه لا يمكنه التأوّه والشكوى لظروف حياة يعتبرها صعبة وقاسية، و لا يمكنه التعبير عن "مدى الضّغط الذي يتعرّض له من أجل إثبات ذكورته"،[4] وهذا لأنّ الفحولة تتطلّب المجابهة والمواجهة وعدم الارتجال أمام عقبات الحياة الاجتماعية، على غرار ذلك يتوجب عليه أن يضمن نجاحه ضمن المجال العام، ويثبت تفوقه المهني، فيكون هذا المجال هو بمثابة إثباته لرجولته وهو المجامل الأوّلي له، الأمر الذي يجعله مقصى إلى حد بعيد من العلاقات الوجدانية الأسرية مع الأبناء والزوجة. تخبرنا عزّة شرارة بيوض في هذا الصّدد أنّ معشر الرّجال يشعرون بالنقص فيقولون: "نحن الرجال لدينا نقص في داخلنا، لا أحد يكلمنا ونحن لا نكلم أنفسنا، ولا يمكن أن نتكلم مع بعضنا، لا نخرج ما في داخلنا. لا أحد سألنا مرّة لماذا نبكي؟ ما هو إحساسك وكيف عليك أن تحسّ به. لا أحد لفت انتباهك إلى ضرورة التحدث مع زوجتك وكيف تربي ابنتك؟ الدور للمرأة وللأم... نحمّلها المسؤولية ونغيّبها عن الرجل،[5] حيث يخدع في علاقات التفاعل الأسرية، يكون همّه الوحيد أن يؤكّد شخصه خارج المجال الأسري، ويقوم باستوفاء دوره كرجل معيل يوفّر ظروف معيشية حسنة لأفراد أسرته، لا يتوجّب التقاعس عن آداء هذا الدور، حيث المنمّطات تستدعي الرّجل في إثبات كفاءته وجدارته في توفير متطلبات الأسرة ضمن المجال العام –كما سنرى ضمن نفس الفصل وفي الفصول اللاحقة- أين يتعرّض لمختلف أشكال العنف من طرف الزوجة، وأسرة الزوجة عامّة.

وعليه رغم كل الضغوطات الملقاة على المرأة لاحترام النظام الاجتماعي العائلي "فلا تقل وطأة الإذعان التي يتعرض لها الرجل عما تتعرض له المرأة. ويعتبر الإذعان آلية من آليات النظام الاجتماعي الضروري لتسيير العلاقة الجنوسية، وإذا كان يختلف حسب الجنس فهذا لا يعني أن ذكور المجتمع سالمون منه، فالهيمنة تخضع المهيمن والمهيمن عليه، تطال الذكر كما تطال الأنثى لتصقل جزء من الأنوثة و ا لذكورة،[6] والذي يؤدّي كلاهما إلى استقبال العنف الزوجي في علاقة تأثير وتأثّر، فمنه من يحاول تغيير الأوضاع والمكانات والأدوار، ومنه من يقاوم ويسيطر لضمان اسقرار النظام الاجتماعي القديم، وكل علاقة متضاربة المعتقدات مأخوذة من مفهوم الرجولة والأنوثة التي هي في طور التلاشي.

---

1 . شارب مطاير دليلة، رسالة دكتوراه سبق ذكرها، ص.52.

2. Vue le 03/03/2020 à 10 :44 sur le site : https://citation-celebre.leparisien.fr/auteur/simone-de-beauvoir

3. عزة شرار بيوض، الرجولة وتغير أحوال النساء،: دراسة ميدانية، المركز الثقافي العربي: بيروت-لبنان، ط1، 2007. ص.203.

4 . شارب دليلة، رسالة دكتوراه سبق ذكرها، ص.221.

5 . عزة شرار بيوض، نفس المرجع السابق، ص.18.

6 . شارب دليلة، رسالة دكتوراه سبق ذكرها، ص.52.

IV. بروز سلطة المرأة ببروز شخصيتها المستقلة

يوضّح De singly أنّ "المؤسسة الزواجية، تلعب دور مركزي في إنتاج الاختلاف بين الزوجين بناءا على الاختلاف الوارد شرعيا في إدارة الموارد الاجتماعية والثقافية بين الرجال والنساء،[1] والرفض لهذه الشرعية الاجتماعية تولي إلى الاعتقاد بالمناهضة وكسر الهرمية الزواجية بهدف الوصول إلى نفس سلطة الزوج، وهذا ليس بالأمر الهيّن في مجتمع لا تزال فيه الرواسب الثقافية لنظام الأواصر سارية المفعول، حيث المرأة المستقلة ماديا، والتي صقلت شخصية صلدة بعد الاندماج إلى المجال العام، والتي بلغت درجة من الوعي الذاتي، ستحاول إثارة العنف الزوجي للاستحواذ على السلطة بعدما حاولت المشاركة في اتخاذ القرارات الزوجية، الأمر الذي يثير ممارسات عدوانية نابعة من طرف كلا الجانبين أين الزوجة تريد الوصول إلى قمّة الهرمية في العلاقة الزواجية، خلافا عن محاولات العتاب والحساب على التقسيم الجنسي للعمل الذي تعتبره المرأة أنه تقسيم غير عادل بعدما أن أصبحت مساندة للزوج في دور الإعالة الأسرية، حيث ترى أنّه من الضروري أن تتّخذ مكانة أسرية قيّمة، وأن تكون لها سلطة متقاربة مع الزوج إذا لم نقل متساوية معه؛ وعليه ينوّه Yahyaoui A. أنّ "العنف والعدوانية... هما عنصرين مهمّين في الحياة النفسية لكل فرد، حيث العنف يكون حاضر عند الرغبة في السّلطة والسيطرة على الآخر وما يتبعها من الشعور باللذة المرتبط بهذه الرغبة في الضّغط والهيمنة[2] واتخاذ القرارات، وعندما نتكلّم على هذه الأخيرة في المنظومة الزواجية فإننا في صدد التحدّث عن من يمتلك السلطة المركزية، والتي تمثّل القوّة، وتشير في هذا الصّدد "سافيليوس روتشيلد Sofilios Rothschigd أن القوة في الوحدة الزواجية يمكن قياسها إذا استطعنا أن نجمع حصيلة اتخاذ القرارات، ونمط تقسيم العمل السائد، وأنماط إدارة التوتر والصراع"[3]

1. امرأة ترفض التراتبية الزواجية: تريد صدارة الهرمية بمختلف الطرق

1.1. المرأة تطمح في الإستحواذ على السلطة بعدوانية

يوضّح Mouchtouris أنّ العلاقة بين الزوجين في روما هي علاقة تراتبية محضة حيث ربّ العائلة هو من يملك كلّ القوّة والسلطة الكليّة على أسرته، والزوجة تابعة له بصفة مطلقة. هذه التراتبية تعطي للرّجل مكانة عظيمة ضمن الجماعة العائلية... والعائلة في المجتمع الروماني كانت في نفس الوقت قاعدة أخلاقية وملكيات خاصّة على المدى الطويل؛ والقانون لم يكن له دخل في العائلة، فبدأ يتغلغل شيئا فشيئا لحماية المرأة من هيمنة الزوج المفرطة، ويحدّ بصفة كبيرة من العواقب الوخيمة التي قد تتوصّل لها المرأة جرّاء المكانة التراتبية المخصّصة لها ضمن الأسرة في علاقتها بالزوج... فبعدما أن أسفرت المرأة عن وجودها ضمن المجال العام كان لا بدّ من إعادة النظر لهذا النظام القديم"[4] والبحث عن تكوين علاقة تكاملية في الوحدة الزوجية، وهذا ما سعت إليه الدولة الجزائرية لتحقيق الاستقرار الزوجي، فإنّ العلاقة التكاملية بين الزوجين من أساسياتها وجود حوار وتواصل ***يهدف إلى التشاور في تسيير شؤون الأسرة*** وهي من بين النقاط الأساسية المحدّدة في المادة 36 من قانون 02-05 –المذكور سالفا- والتي تضبط العلاقة بين الزوجين.

ولكن العرف الاجتماعي العائلي أسمى ويتجاوز المعتقدات والاتجاهات الفردية، حيث التشاور لايمكن أن يأخذ مجراه إلاّ في عقب الحوار المبني على فرض الآراء بشكل عنيف بين الزوجين يستهدف التوصّل إلى قرار نهائي، فكل طرف إلاّ ويحاول فرض رأيه والتجاوب مع قراره الذي يعتبره النهائي، وعلى الأغلب قرار الزوّج هو القرار النهائي والأخير، بحكم مكانته الاجتماعية التي تشرّع له الحق في إصدار القرارات والأوامر. قد "أكّدت دراسات... أنّ العنف يتجلى بوتيرة ضعيفة بين الزوجين اللذان يتخذان قرارات مشتركة، مقارنة مع الزوجين أين المرأة تشارك في القرارات الأسرية ولكن

---

[1] . De singly François (1993), P.106
[2]. Yahyaoui Abdessalem et coll., O.p. Cité, P.9
[3] . سناء حسنين الخولي (2011)، مرجع سبق ذكره، ص. 168.
[4] . Mouchtouris Antigone, la femme, la famille et leurs conflit, l'Harmattan, France : Paris, 1998.p9.

الكلمة الأخيرة تعود فقط للزوج.[1] هذا الموقف التي لم تعد تتقبله المرأة في علاقتها بالزوج، والذي ثبت في تصريح المبحوثين:

"**المرا تفرض نفسها**، سامطة تقعد تكعرر، تلكّك في ديك الحاجة حتى طلّعلك الغاز.. تنارفيني" (المبحوث رقم 4)؛

"أنا مسيطرة عليه والحاجة لي نبغيها يليق نديرها. أنا نسيطر.. والاثنين نريد فرض القرار ولكن أنا الأكثرية.. أنا نميل في بعض الأحيان إلى العدوانية أوالغضب السريع بزّاف لو كان ما يديرش على رايي. نبغي رايي يفوت.. وهو هذه لي تنارفيه." (المبحوثة رقم 25)؛

"هو يفرض نفسه وبزاف، وأنا أفرض رأيي، في حاجة تخرجنا.. يقول لي ماقدّيتلكش" (المبحوثة رقم18)؛

"أنا فرضت روحي.. أنا من اتخذ القرارات.. لا ما يسيطروش عليّ –تضحك- لاااا .. أنا أسيطر، أنا la patrone، أنا كلّش.. في الأول باش تعيش مع واحد في دار وحدة ويكون رأي واحد بصعوبة.. نَوصلوا للزّكا أنا نحب نفرض رأيي.. فرضت نفسي. الحوار دايما يكمل بالشجار –تضحك- نهدروا نهدروا في التالي ندابزوا ونتفركتوا.. ودايما يكمل الحوار بالرأي تاعي" (المبحوثة رقم 12)

إنّ الزوجة في الوقت الراهن تُعارض مبدأ سلطة الزّوج، تريد أن يكون لها مكانة في اتخاذ القرارات النهائية، فتبحث عن السلطة والهيمنة ضمن العلاقة الزوجية، خاصّة إذا كانت قد بلغت مستوى من الرّقي في الفضاء العام، فـ"يرى كثير من علماء الاجتماع أن إقبال المرأة على طلب العلم وتحررها الاجتماعي والاقتصادي، يولد لديها شعورا قويا بالتمرد على سلطة الرجل التقليدية،[2] مؤكّدة سناء الخولي أنّ اهتمام المرأة بالتعليم وارتفاع مستوياته والتحاق المرأة بالعمل يفتح أبواب الرغبة في التتنافس مع الرجل على قدم المساواة، وكلما زادت إمكانية المرأة زادت قوتها، فالزوجة المتعلمة الحاصلة على درجة جامعية والتي تشغل مركزا مهنيا مرموقا لا يمكن أن تتبع أوامر زوجها الذي لا يساويها في الدرجة العلمية أو زوجها العاطل عن العمل"،[3] وهذا ما يولّد علاقات صراع بين الزوجين، فإنّ بروز الشخصية المستقلة للمرأة سبب من الأسباب المثيرة للعنف، تريد إثبات ذاتها كفاعل اجتماعي يحدث التغيير في علاقات التفاعل العائلية، مناوئة لمعتقدات الجماعة الأسرية، وباحثة في ذلك عن ممارسة السلطة لفرض وجودها كفرد غير تابع للآخر، تضطلع لرفض تسلّط الرجل وهيمنته حيث تعي أنّ رجولته ما هي إلاّ رموز ثقافية حيكت من طرف المجتمع، وهي امرأة لها مكانتها وكرامتها ولا يميّز بينهما إلاّ *التكوين البيولوجي الذي أهلّ إلى التّمايز في الأدوار الاجتماعية بين الجنسين ووجّه أحقيّة صدارة الرّجل على المرأة في سياق تاريخي، أين أصبح هو الرّجل الذي يملك السلطة المادية وله الحق في ممارسة هيمنته على أفراد أسرته،*[4] والتي تدخل في إطار ثقافي يترسّخ عبر أجيال إلى أن **يصبح "التكوين الاجتماعي الثقافي لقوّة الرجل أذى يُلحق به"**،[5] يجعله في الوقت الراهن مقاوم لعدوانية المرأة التي تتشكّل لديها ما يسمّى بـ"عقدة الذكورة" وهذا على حسب خلود السباعي أنّ كل المميزات التي منحتها ثقافة المجتمع للرّجل والتي تولّد لدى المرأة الرغبة في أن تكون ما ليست عليه في الحقيقة أي أن تكون رجلا وهذا الأمر صعب التحقيق"،[6] فأن تكون رجلا هذا يعني أن تحتل رأس الهرمية والذي هو غير مقبول اجتماعيا، يؤدي إلى اضطربات أسرية تولّد العنف في علاقة ردود أفعال زوجية، أين المرأة تحاول أن تنتزع سلطة الزوج منه والإستحواذ عليها بكل الوسائل، إلى حدّ اللجوء إلى ممارسات عدوانية ضدّ الزوج؛ وهذا الأخير كرد فعل يعمل على ضبطها بحكم أنه السيّد وهو من يجوز له إصدار الأوامر واتخاذ القرارات النهائية.

---

1 . Schar Moser Marianne, O.p. Cité, P.p.23-24

2. زينب ابراهيم العزبي، علم الاجتماع العائلي، جامعة بنها، كلية الآداب، قسم علم الاجتماع، د.ت. ص79

3. سناء حسنين الخولي (2011)، مرجع سبق ذكره، ص. 170

4. Fsian Hocine, Qu'est ce qu'un homme ? Qu'est ce qu'une femme?, revue Insanyat, C.p.; voir aussi : Pascal duret, les jeunes et l'identite masculine, puf, 1ere edition, 1999.

5. عزة شرار بيوض، مرجع سبق ذكره، ص.54

6 . خلود السباعي، مرجع سبق ذكره.

في نفس السياق يفسّر Schar Moser عدوانية المرأة ضدّ الزوج تبعا لدراسات بعض الخبراء على أنّهم أشاروا ولعدّة مرات أنّ "العنف مرتبط بالرغبة في الهيمنة"[1] وهو من بين الاصطدامات الأساسية التي تثير الخلافات والتوترات بين الزوجين، بحكم مبدأ التغيير الذي تُناضل لأجله المرأة، ومبدأ مقاومة التغيير الذي يتنافى مع معتقدات الزوج، وهنا تتضارب المبادئ بين الجنسين تؤدّي إلى شجارات محتدمة تُنبّئ بهجومات معنِّفة للزّوج، مطالِبة بشرعية ممارسة السلطة واللجوء إلى المساواة مع الزوج، رغم أنّ الهجوم يُخفي وراءه نيّة كسر المعايير والحواجز التي تؤكّد تبيعتها ومكانتها السلبية ضمن المجال الخاص وبالضبط ضمن العلاقة الزواجية.

على هذا الأساس وما يسمح لنا التعبير عنه أنّ "العنف الزوجي الممارس من طرف الرّجل غير حتمي فهو قابل للتغيير،[2] فقد أكّد العديد من علماء الاجتماع أمثال Strauss، وYllo، على أن العنف اتجاه الزوجة هي متواترة ضمن الأسرة أين الرّجل يمارس دور المهيمِن، ولكن كذلك لا يمكن تجاهل على أنّ في بعض الأسر يوجد المرأة التي تحاول الهيمنة واتخاذ القرارات"[3] ولها قابلية ممارسة العنف الزوجي، ويكون ساري المفعول بتزايد الصراع الذي يبلغ ذروته مع الرغبة المتزايد للمرأة في المساواة مع الرجل، وهذه الرغبة كما أشار إليها Pierre Bréchon أنها تتزايد أكثر فأكثر في الوقات الحالي.[4]

2.1. المرأة تتوصّل إلى السلطة بممارسة عنف رمزي ضدّ الزوج

تعبّر المبحوثة رقم 04 في حديثها:

> "أنا أسيطر وأهيمن.. لدي حبّ السيطرة.. ليس بمعنى كلّش في يديّ: bon راجلي il a sa part de responsabilité.. يمكن أن أقول الرجل هو مَلِك المجتمع.. يُحب يَتْصَرْدَكْ على المرا.. الراجل تْبانلوا أنا هو الراجل وأنا هو المسؤول.. وهذوا الراجل يعاني معهم.. ولكن القرارات أتخذها أنا، en générale c'est moi qui domine.. أنا نحب نكون مسيطرة ومهيمنه، **وهذه السيطرة أنا أخذتها هو ما مدهاليش**.. ولكن نْشاور راجلي وإلا يشعر بالعزلة، ريك شايفة الرجل الجزائري ريك فاهمتني.. مانطيّحش بيه.. مرات il refuse ولكن يولي لكلامي"

إنّ تصريح المبحوثة يوضّح جليا العلاقة التراتبية الزواجية التقليدية لمكانة الزوج القيّمة في المجتمع، والتي تولي إلى الشعور بالنرجسية الذكورية، ومع هؤلاء الرّجال يصعب على المرأة انتشال السلطة والارتقاء إلى المساواة بين الجنسين بفعل العدوانية، فتستعمل المرأة طريقة المكر والخداع مضمونها يتّصف بعنف هادئ تبعا لمعتقداته الثقافية أين "تسمح المرأة لزوجها بأن يسير في طريق الوهم والغرور، حيث يتوهّم الزوج بأنه صاحب السلطة العليا، وأنه السيد وله حقّ التصرف في كل الأمور"[5]

لقد أثبتت الوقائع التاريخية أنّ المرأة محبّة للسلطة، تنتهج مسالك مختلفة لتخبوا إليها حيث "نقل التاريخ على لسان زوجة "شورس" -وهو رجل عظيم كان يعيش في مدينة "باشا" خلال القرن الرابع عشر- أن ما تريده المرأة فعلا هو السيطرة على الرجل. ولقد عَثَرت المرأة على أكثر من سبيل سرّي ومهّدت أكثر من طريق للوصول الى هدفها بالمكر والذكاء والمهارة، وذلك من أجل تحقيق الهدف، وهو السيطرة على الرجل"[6]

---

[1]. Schar Moser Marianne, O.p. Cité, P.42

[2]. Voir : revue de l'union nationale des associations familiale, Réalités: violences conjugales, C.p., P.60

[3] . May clarkson, la violence familiale: une approche systemique, service des etudes et analyses, quebec, novembre 1994. P.30

[4]. Pierre Bréchon, O.p. cité, P.44

[5] . دكتور سبوك، ترجمة منير عامر، حديث إلى الأمهات: مشاكل الآباء في تربية الأبناء، الطبعة العربية، بيروت، 1998. ص.196

[6] . دكتور سبوك، نفس المرجع، ص.196

إنّ هذه الرغبة في السيطرة تدفع المرأة في البحث عنها والتوصل لها، ومن النساء اللواتي تردن الولوج إلى هذه المكانة هنّ نساء يهدفن إلى الهرب من سطوة التقاليد العائلية ضدّهنّ، وسطوة نرجسية الرّجل كفرد له كيان بقيمته وعظمته الاجتماعية، تريد أن تثبت جدارتها في المجال الخاص أين تُعلن على قدراتها في أن تكون فردا معتمدا عليه، وله الكفاءة في مشاركة الزوج سلطته، رافضةً معاناة التبعية له، وهؤلاء النساء اللواتي تتوصّلن إلى مرادهنّ في الإستحواذ على السلطة هنّ نساء قادرات على إكتفاء ذاتهن بصفة مستقلة عنّ الزوج، ويتميّزن بالحِنكة في مراوغة الرّجل واعيات بمقام الزوج الاجتماعي وقوّة مميزاتهنّ الأنثوية المحبّذة اجتماعيا، وكلّ هذه الصفات ما هي إلاّ وسائل تستمدّ منها سلطة جزئية للتوصل إلى الهيمنة، وهذه الأخيرة لا تشعر بها إلاّ إذا أحرزت على مكانة قيّمة في الأسرة بمشاركتها في اتخاذ القرارت مع الزوج، أو من الأحسن بلوغ اتخاذ القرارات بصفة فردية، ويبقى اللجوء إلى استشارة الزوج تتخّذه الزوجة بحكم الرمزيات الاجتماعية التي تضمن للزوج مكانته السلطوية، فيكون الحوار في هذه الحالة شكلي أين تتحدّد "درجة التأثير على الآخر بوحدات قياسية مرتبطة بدرجة القوة والنفوذ، والتي تحدّد هوية الشخص الذي تتركز بيده السلطة.. ويبدو أن آلية صنع القرارات داخل الأسرة وترتيب القوة وتوازنها قضية معقدة بعض الشيئ، فهناك من الأدبيات ما فسرت، بناء القوة وتوزيعها في الأسرة استنادا إلى مدى السيطرة على الموارد المتاحة لدى الأسرة، والسلع المعمرة فيها، واعتبرت أن الشخص الأكثر تحكما وسيطرة على هذه الموارد أو السلع، يصبح الجانب الأكثر تأثيرا ونفوذا في تحديد قرارات الأسرة، وأنماط هذه القرارات.[1]

وعليه فإنّ ميكانزمات الإستحواذ على السلطة متعدّدة بتعدّد مظاهر وأشكال العنف الوارد من طرف المرأة ضمن علاقات الصراع، فـ"بعض الباحثين وضّحوا أنّ مفهوم العنف الزوجي متميّز عن مفهوم الصراع الزوجي.. الصراع هو أن يكون الزوجين في وضع استجابات متبادلة في الحوار زيادة على الأفعال العدوانية، فحركية العنف الزوجي تبلغ ذروتها عند المعارضة، إبتداءا من إنشاء علاقة قوى غير متكافئة فيما يخص مواقف الهيمنة والمراقبة على القرين، وهذا الأخير يعمل على التنازل.. إلى حد أنه يتخلى تدريجيا عن مجاله السلوكي والفكري خاصّة.. والعنف الزوجي محدّد على أنه علاقة هيمنة ممارسة بفضاضة وخشونة جسدية أو ذهنية هدفها فرض إرادته على الآخر، فيسيطر عليه... إلى غاية استسلامه وإخضاعه"،[2] وهذه الطريقة التي لجأن إليها الزوجات إلى حدّ تجاوز معايير الأنوثة المطلوبة في المجتمع، ليتقبّل الزوج سلطتها وهيمنتها ويجاريها في آرائها، باحثة عن المساواة الجنوسية، وهذا من المطالب المبالغ فيها أين ستُواجَه بالعنف من طرف الزوج.

2. الرجل لا يتقبل تحدّي الزوجة في مجتمع يرفض سلطة المرأة

إنّ ما تبيّن في الدراسة الميدانية أنّ ما يثير حنق الزوج قد يؤدي إلى ممارسة العنف اتجاة زوجته، رغبتها في تملّكها للسلطة الأسرية والتي قد برزت بنسبة 27,88% (انظر الجدول رقم 12)، وكما ثُبت في تصريحات المبحوثين:

"تحب تسيطر، وبزااف autoritaire وتحب تفرض رأيها.. حتى نقول ربّما تتبدّل ولكن لا هي هكذاك... هي nerveuse، forte de caractère، جريئة مواجهة. هذا كلّه أنا مدّيته لها، أنا مدّيت لها السلطة.. بدأ أبوها وكمّلت أنا.. نشوف النسا يدابزوهم رجالهم يسكتوا ويخافوا وهي لاّ لسانها طويل ومواجهة وما تسمحش في حقها.. هي عنيفة بزّاااف.. بّاها يقول لها خلاص ريك تحت العصمة ديالوا هو يحكم ولكن هذه الفكرة هي ماتتقبلهاش، ماتسالش.. نوصل باش ما نضربهاش نهرّس حاجة.. **<u>وأنا باش نخليها تتحكم فيّ لاّ.. لازم نوضع لها حدّ</u>**" (المبحوث رقم 45)

"الزوجة تصرخ كثيرا، لم تشبه أمّها.. حتى مّاها تقول لها علاش ما شْبهنيش؟!. هي كانت attaché للأب كثيرا، عكس أختها.. تحب تكون dominante، ولكن المرأة تْسيطر هذا خطأ... أنا مْخليها تسيطر في بعض الأمور.. كاين لي راه حاسب هو راه مسيطر ولكن أنا في يديّ كل شيئ.. الصحّ راه عندي أنا.. هي تحب

[1] . منير كرادشة، مرجع سبق ذكره، ص.ص.13-14

[2]. Severac Nadège, Les enfants exposés à la violence conjugale : Recherches et pratiques, ONED, France, 2012. P.32

تسيطر، تفتّش عليها نخلّيها ونْطفي الضَّوّ.. يعني **أنا مديتْها لها**.. **ولكن ليس بمعنى أنهم يسيطروا عليّ"** (المبحوث رقم 4)

إنّ من حديث المبحوثين يتّضح أنّ المرأة الجريئة استمدّت جسارتها في فترة التنشئة الاجتماعية أين الرّجل -قد يكون الأب أو الزوج- له الأثر البالغ في تحفيز المرأة -كما رأينا مسبّقا- على إثبات ذاتها وتكوين شخصية مضطلعة إلى الهيمنة الزوجية، ولكن لا يمكنها أن تتوصّل إلى حدّ تغيير المكانات فهذا يُعتبر اهتزاز للنظام الأسري الشّرعي، فإذا تتمادى في سيطرتها وربّما في تسلّطها ستضع الزوج في موقف حرِج ضمن مجتمع لا يزال يتقيّض بالمعتقدات التراتبية بين الجنسين ويؤمن بسطوة الرجل على المرأة، وهذه العلاقة تعتبر من البديهيات والتي تضمن الإستقرار الأسري. لكن في الوقت الآني هذا الإستقرار لم تشعر به المرأة، ترى نفسها مُضطهدة في مكانة دونية حيث تندفع إلى مُناهضة النظام العام لتضمن مكانة قيّمة ضمن العلاقة الزواجية، و"الواقع أن الرجال والنساء كلاهما غير راضين عن بعضهم بعضا في يومنا هذا. إن المجتمع الذي وضع تشريعاته وقيمه يَعتبر المرأة أقل من الرجل؛ ولا تستطيع المرأة إلغاء هذا النص إلا بتحطيم تفوق الرجل، لذلك تحاول أن تسيطر عليه وأن تناقضه وأن تنكر حقيقته وقيمه... **وإن كل اضطهاد يخلق حالة نزاع. والكائن الذي تنتزع منه صفة الجوهر لتلصق به صفة التبعية... لا بدّ أن يحاول استرجاع سيادته[1] بفعل العنف.**

يحكي المبحوثون:

"السيطرة، لاّ. ولّيت مانعرفلهاش.. ماعنديش السيطرة.. هي كلّش في الدار.. وأنا مانحبش لي يسيطر عليّ.. تبغي تسيطر عليّ في أمور أنا أرفضها، **نوصل نضربها تخشن راسها**" (المبحوث رقم 1).

"الزوجة تحب تسيطر وتفرض روحا... مرات نسمح نخليها تعمل رايها غير باش نهني بالي وخلاص.. ولكن ما نَجمتش تَــقْــبطني، **نوصل نضربها**.. لا تسمع الكلام وتتدخل في أمور.. وتصرخ وتعاتبني.. **تبغي تكون "مْعلمَة"**.. تريد أن تُسيّر كما تسيّر أنت؛ وهذه مُعاملة لا أقبلها..لاّ .. **ماتنجمش تكون في نفس المستوى معي، لاّ**.." (المبحوث رقم 2)

إنّ المرأة تريد أن تخبو لمكانة **"المْعَلّمة"** -كما صرّح المبحوث الأخير- وهذا يعني سيّدة تترأس أفراد الأسرة بما فيها الزوج حيث تفوق علاقة التساوي، وهذه المكانة ليست للمرأة وإنما للرجل في الأسرة الجزائرية التقليدية؛ وما تبيّن عند جلّ المبحوثين أنّ بلوغ المرأة مركز السلطة الأسرية لا يعني أنّها تجاوزت التفوّق الرّجولي، حيث هيمنتها تبقى محدودة في أمور الأسرة والتسيير لشؤون المنزل لا تتوصل إلى السيطرة على الزوج والتحكّم في تصرفاته، ولا يمكنها أن تتوصل إلى نفس مستواه فتتجرّأ على تجاوز حدودها، حيث الزوج قد يتقبّل سلطة المرأة ولكن ليس إلى حدّ التغطرس عليه وتطويق استقلاليته الفردية إلى أن يصبح موضوع مسيَّر من طرف الزوجة، وعليه فأي تجاوز نابع منها ستعرّض نفسها للخطر أين الزوج يردّ على الموقف بالعدائية والعدوانية فيمارس العنف ضدّها والتي برزت بنسبة 19,23% (أنظر الجدول رقم 12).

إنّ مُناهضة المرأة للمعتقدات الجنوسية تعتبر انحراف اجتماعي، ولهذا يُطلب منها إعادة النظر في اتجاهاتها وسلوكياتها المخالفة للعرف العائلي، ولا يجدر بها تغيير المكانات، رافضا الزوج سلطتها، وكلما تزايد طلب المرأة على الهيمنة وبلوغ مركز المساواة مع الرّجل كلما شعر الزوج بأنّ مكانته تهتزّ والخطر يدّق أبوابه، الأمر الذي يدفعه إلى اللجوء للحدّ من سلطتها قبل أن تتوجّه إلى التسلّط والطموح في السموّ الزوجي، من الممكن أن يتوصّل إلى حتمية ممارسة العنف اللفظي ضدّ تعسّفها، وإذا تحدّته لبلوغ هدفها فستتعرّض للضّرب من باب التأديب لتخضع إلى العلاقة التراتبية حيث لا يريد أن يفقد السلطة التي تحصل عليها على مرّ الزمن.

فإنّ المرأة تصنّف في الأسرة الجزائرية بالجنس الآخر الذي يتوجّب عليها الالتزام بالمعايير الاجتماعية، والخضوع للهرمية الزواجية المبلورة في نظام سوسيوثقافي مرسّخ عبر أجيال، والذي

[1] . سيمون دي بوفوار (2008)، مرجع سبق ذكره، ص.5؛ أنظر كذلك: May Clarkson، مرجع سبق ذكره، ص.28.

يَفرض كذلك على الرّجل من جهة أخرى إثبات رجولته اتجاه الزوجة مهما كان وضعها وسنّها ومهما اختلفت المواقف أين يخضع لمعايير الرجولة –كما رأينا سابقا- فيؤكّد بالتالي انتمائه للفئة الذكورية بعدما يؤكّد علاقته الهرمية بالزوجة، حيث أنّ الرّجل يكون مراقب من طرف نفس جنسه، وعليه فالرجل دفاعا عن مكانته في الوسط الذكوري المنمّط و"دفاعا عن رجولته وما تحمله من قيم ومعايير اجتماعية فإنه سيهاجم مطالبا بالطاعة كواجب منها.[1]

صرّحت الجمعية العامة للأم المتّحدة أنّ الرجل يستخدم العنف ضد المرأة عندما يلاحظ أنها تتحدى ذكورته، فيعتبر العنف ضدّ المرأة هو بمثابة آلية للمحافظة على سلطة الرجل"،[2] كما أثبتت دراسات علمية متعدّدة التخصّصات أنّ "التدرج السلمي بين الجنسين يسمح لبعض الرجال أن يستعينوا بالعنف ليحافظوا على مكانتهم السلطوية اتجاه النساء"،[3] ويحافضوا بالتالي على رجولتهم، "فمن الرجولة المحافظة على قيمة السلطة أي على الكيان"،[4] ولا يمكنه تفويض السلطة والهيمنة الكلّية للمرأة باعتبارها جنس مختلف عنه في الكيان والوجود، حتى ولو كانت تكبره سنّا حيث التفوّق ليس في السن وإنما في التصوّر للهوية الجندرية، كما أنّ **نظم القيم الأخلاقية لاتستدعي إحترام الآخر تبعا للفارق السنّي وإنّما الاحترام تقديرا للهوية الذكورية**، حيث يشير المبحوثون:

"ما يبغيش كي نطلع فوقه.. رغم أنه صغير عليّ نحس بديك الرجولة تاعه" (المبحوثة رقم 17)

"هي أكبر مني.. تبغي تفرض سلطتها ولكن ما تَنْجمش أنا عقليتي شوييييييا، ما نبغيش تفرض سلطتها علي" (المبحوث رقم 11)

"عمري ما حسيت بلي كبيرة عليّ.. وتقول لها لي.. بغات تلعبها عليّ مْعلمة وما قدّتش.. وهذه لّي ريها مْحمقتها.. **تنارفيني نوصل نعايرها.. نوصل نضربها**.. وعندها النيف باش يهوّد **غير بالسّيف** بالايام تقعد منايفاتني لا ماكلة لا شراب.. نْبات بلا عشا.. أقول لها ماكانش العشا، تقول لي أنا تعشيت هاهيّ ذيك la cocote وروح صبّ بّحدك" (المبحوث رقم 2)

إنّ الحالة الأخيرة تبيّن أنّ الزوجة لم تلتزم بالخضوع والطاعة، وهذا كما توضّح Severac Nadege نابع من علاقة التساوي في القوى بين الجنسين والتي تخلق توترات وما يتبعها من ممارسات عدوانية في علاقة تبادلية، حيث "العنف والعدوانية يأخذ مكانه ضمن علاقة متساوية... كل طرف من أطراف العلاقة الزوجية يعلن عن نفس المركز أو المكانة للقوّة والسلطة... والتوصّل إلى عدوانية متبادلة.. والعنف يكون ثنائي الاتجاه، متبادل.. والفاعلين واعيين في علاقات العنف والهجوم العدواني أنّ الهوية محافظ عليها وكل طرف يعترف بوجود الآخر. فتشخيص الموقف يكون إيجابي.. كل طرف واعي بوجود فظاظة ومعارضات مشينة، ويحضر القلق والرغبة في البحث عن مسلك أو مخرج للموقف"،[5] من الممكن أن تأخذ هذه المسالك إلى تبريرات في تصريحات بيزنطية أين كل طرف يتمسّك باتجاهاته وأفكاره ومعتقداته بين ما هو تقليدي وعصري، و"للمناهضة سنكرّر نفس الأخطاء، ونجيب على العنف بالعنف المضاد، يتهيّأ لنا أننا سنقضي عليه، ولكنه سيعود وسيتجلّى بأكثر شدّة... وفي هذه الحالة أسباب العنف ستبقى نفسها كيفما كان نمط الصراع"[6] فممارسة العنف لوضع الحد للعنف سيبقي الوضع على نفسه قد لا يتوصل الزوجان إلى حل المشاكل حيث يدخلان في علاقة عنف خطيّة أين تتضاعف وتتكاثف الممارسات العنيفة يتعثّر الزوجان على فضّ الخلافات وتهدئة التوتّرات فتُبنى علاقة زوجية مضطربة.

---

1. شارب دليلة، رسالة دكتوراه سبق ذكرها، ص56.
2. الجمعية العامة للأمم المتحدة، دراسة متعمقة بشأن جميع أشكال العنف ضد المرأة: تقرير الأمين العام، الدورة 61، 6 جويلية 2006. ص38.
3. Revue de l'union nationale des associations familiale, Réalités: violences conjugales, C.p., P.29
4. شارب دليلة، رسالة دكتوراه سبق ذكرها، ص45.
5. Severac Nadège, O.p. Cité, P.32
6. Hassani Ali, typologie des violences sociales en Algerie, C.p.

1.2. نمط العلاقة الزوجية المتوازنة في مجتمع مزدوج المعتقدات

إنّ العلاقة الزواجية هي علاقة صراع على السلطة، كل من الزوجين يَرفُض سلطة الآخر، وفي نفس الوقت يفرِض سلطته على الآخر، فكما يشير Welzer-Lang، إذا أُعلن عن وجود العنف الزوجي وارتباطه بعناصر أخرى، لابدّ أن نوضّح عملية انعكاس السلطة ضمن العلاقة الزوجية، حيث لا يمكن أن نتجاهل أنّ العنف الأسري هو في بادئ الأمر ومن المهمّ، وسيلة لتأكيد سلطة طرف عن الآخر،[1] تحت مبدأ علاقة القوى "فإن أي علاقة سلطة، تتكون من طرفين، أحدهما منتصر والآخر مهزوم.[2]

ومن خلال منطلق مفهوم السيطرة تشير سناء الخولي إلى العلاقة بين الزوجين أين كل طرف يبحث عن التوصل إلى مكان المهيمِن و"من الذي سوف يستسلم؟ عوض البحث عن "كيف نستطيع أن نعمل معا على أحسن ما يكون؟ حيث يصبح الزواج نضالا للقوة باعتبار أن الزوجة تريد أن تخبوا إلى سلطة الزوج، أو أنّ شخصية الزوجة تحتاج إلى أن ُيسيطَر عليها، فيحاولان الزوجان أن يجدا طريقهما الخاص والملائم لهما بصفة شخصية أكثر من حرصهما على نجاح الزواج.[3]

إنّ العلاقة الزوجية الناجحة على الأرجح لا يتوصّل لها الزوجان إلاّ بعد فترة زواجية قد تطول أو تقصر، أين تنشأ علاقة سيستيمية زوجية متكافئة وتكاملية، في مرحلة يعي فيها الزوجان بوجوب بناء علاقة تفاهم بمدأ التفهّم للآخر والذي يستدعي إلى تنازل كل طرف على جزئ من الأرضيات التي تسمح للآخر بممارسة الهيمنة ضمنها، ويضحّي بأخرى تخصّه في مواقف معيّنة لبعث التوازن الزوجي السيستيمي، إذ يحكي المبحوث رقم 45:

> "العلاقة مع الزوجة أصبحت جيّدا جدّا ولكن بعد مدّة.. عيّاتني.. تحب تفرض نفسها، autoritaire، dominante.. ولكن أشياء أخرى ماولاّتش دخّل راسها فيها، ما تحبش.. **وتقولي أنا سمحت لك فيها** على خاطر عرفتني حتّى أنا dominant ومْخليتني.. **ومرّات نساعف،** حتى أنا مزيّة جا قلبي كبير.. وهكذاك نحب **نعمل لها قيمة ونشاورها**، وشفت عندها الرّاي، وغير متطلّبة وتحب المصلحة تاعي وتع أولادها"

إنّ من حديث المبحوث تبيّن لنا أنّ الزوّجة قد تنازلت على مجالات ليست خاصّة بها، والتي كانت تجابه أن تقحم نفسها فيها، وتتدخّل في تسييرها بمشاركة الزوج، بعدما أدركت أنّه مجال مُنهِك ومُهلِك، يولّد صراعات زوجية تفوق إرادتها أمام إرادة الزوج المهيمِن؛ وهذا الأخير حاول أن "يُساير" الزوجة وهذا يعني أنّه حاول التضحية ببعض مجالاته الخاصة من حين إلى آخر لكي لا تشعر بالتهيش الزوجي، وعليه تُبنى علاقة زوجية متوازنة تحت مبدأ "الاحترام المتبادل" الذي "يؤدي بالتأكيد إلى احترام القوانين أكثر من احترام التبعية؛ وهذه القوانين مرتبطة بالثقافة التقليدية التي تولي إلى احترام مكانة كل زوج باختلاف هويته الجندرية، ولكن لا يمكن التغاضي عن فكرة **"الابتكار"** لهذه القوانين والتي لا يمكن تغييرها إلا من خلال النقاش والإقناع المتبادل بين أعضاء الجماعة؛ وهذا عكس الاحترام الذي يكون **"أُحاديا"** والذي يجمع بين العاطفة والخوف إذ أنه علاقة المهيمِن والمهيمن عليه،[4] والذي عملت الزوج جاهدا على إقصائه بفتح مجال للتفاوض الزوجي، وطالما نحن في تفاوض هذا يعني أنّنا مدركين لحدودنا في علاقتنا بالآخر، فمهما كانت الأوضاع والظروف واختلاف المواقف تبقى المرأة هي الجنس الآخر للرجل، والتي لا بدّ أن تختلف عنه لكي تعلّق العدوانية والممارسات العنيفة.

إنّ العلالقة الزوجية بالمعتقد الحالي الذي تريد أن تخبوا له المرأة في علاقتها بالزوج ليس بالأمر السهل، فكما يوضّح الدكتور سبوك: المرأة استطاعت خلال القرون الماضية أن تثبت قدرتها

---

[1]. Welzer-lang Daniel, les hommes battus, empan, 2009/1, N°73. P.86

[2] . جون سكوت، تر: محمد عثمان، معجم علم الاجتماع سبق ذكره، ص.245

[3] . سناء حسنين الخولي (2011)، مرجع سبق ذكره، ص.225

[4]. أنظر: هشام شرابي، النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي، نقله إلى العربية محمود شريح، مركز دراسات الوحدة العربية: بيروت، لبنان، ط1، 1992، ط2: 1993. ص.62.

وكفاءتها في بعض المجالات، وحاولت أن تطرق أبواب ضمير الرجل ليمنحها المساواة ويذيب حوافز العبودية والقيود. لكن طبعا بلا فائدة. ظل عدد كبير من النساء ينتظر عدول الرّجل عن مكانته وسلطته، بينما كانت النساء المقاتلات بالذكاء يحاولن كل يوم الوصول إلى هذا اليوم الخالد"،[1] ولكن، تبعا لدراسة سابقة لشريف حلومة فقد نوّهت أنّ، "الرجل يبقى المسؤول الرئيسي عن القرارات والأموال، أما التسيير اليومي الخاص بالحياة اليومية والعائلية فهو دائما من مهام المرأة، مبقيا على العلاقة الجنوسية في صورة السلطة العليا... فمهما كانت سلطة المرأة في البيت فهي لا ترقى إلى سلطة الرجل... مما يبقي على التباين الواضح في العلاقة بالسلطة"؛[2] وعليه فإنّ جلّ المقاوامات والنضالات التي خاضتها المرأة لاحتلال المكانة المركزية في الأسرة، "لم تكن قط إلا نضالات رمزية؛ **ولم تَظفر إلا بما أراد الرجل التنازل عنه**. لم تأخذ شيئا أبدا بل تسلمت ما أُعطي إليها. لا تستطيع المرأة حتى في الحلم إزالة الذكور"،[3] والتوصّل إلى المساواة مهما أنها بلغت صدارة السلطة واتخاذ القرارت، وإذا حاولت تجاوز الهرمية فسيقف لها الرجل بالمرصاد، رافضا تحدّي المرأة له، ومنافسته في المكانة الاجتماعية الأسرية التي أعترف بها منذ أجيال مضت، واستبطنت في أواصله؛ ولهذا توجّهت "الحركة النسوية في السنوات السبعينيات إلى ابتكار مفاهيم جديدة ومهمّة، بعيدا عن المساواة، وإنما البحث عن التوافق الزوجي لحياة أكثر دينامية، التي تولي الاحترام بعيدا عن التعصّب، والانتقاد، والمنمّطات التي اكتسبها الفرد في تنشئته، والتي يعتبرها كمرجع يستند عليه في العلاقة الزوجية، غير قابلة للتغيير".[4]

3. الأدوار الاجتماعية التقليدية للزوجين: بين التثبيت والمقاومة

رواد النظرية البنائية الوظيفية من أبرزهم T.Pasons ينوّهون أن استقرار الأسرة باستقرار النظام الوظيفي التقليدي لها، حيث الأدوار الاجتماعية للجنسين تخضع للتقسيم الصارم، كل زوج إلاّ ويستوفي ما له وما عليه من مسؤوليات ويتحمل ثقل الحياة الزوجية بصفة تكاملية.

هذا النظام الوظيفي الخاضع للمنمطات التقليدية لا يستحق الدخول في مجالات تفاوضية، ولا يستدعي الجدال بين التغيير والمقاومة من حيث التكوين البنيوي التراتبي للأدوار والمكانات، والتي كانت في زمن مقبولة وثابتة من طرف أعضائها مندرجة في إطار البديهيات لا تستوجب التعليق ولا إعادة التساؤل، حيث بكل اختصار تجيب المبحوثات عن نمط الأدوار الزوجية في المنزل:

"هو القفة وأنا الدار!" (المبحوثة رقم 31)؛

"العلاقة مع الزوج كانت جيّدة.. كنت قاعدة في الدار، كان قايم بيّ.. هو انسان مليح يدخل للدار في الوقت ويجمّع معانا ومع اولاده. يصرف علينا.. الراجل غير مات من هنا أنا دخلت من هنا نخدم.. وماقديش للخدمة، لو كان أولادي يلقاوا خديمة نولّي للدّار" (المبحوثة رقم 20)

إنّ من خلال هذه التصريحات يتوضّح لنا أنّ المرأة التقليدية تجد المنزل مأواها ومكانها الطبيعي، وإذا خرجت للعمل إلاّ إضطرارا لظروف الحياة المادية القاسية التي تعيشها بعد وفاة الزوج –أو الطلاق-، وهذا ما يستدعي إلى الإرهاق والتعب بتعددت وظائفها، فـ"المرأة في المجتمع البسيط... تُرضي نفسها برعاية الطفل ورعاية الزوج؛ ولا نجد أحدا مرهقا بهذه الصورة إلاّ المرأة التي تعيش

[1]. دكتور سبوك، مرجع سبق ذكره، ص.196
[2]. حلومة شريف، تمثل العمل، وصورة الذات عند عاملات مصنع الالكترونيك، ملخص أطروحة الدكتوراه في علم النفس الاجتماعي، جامعة وهران، السنة الجامعية 1999/2000، ص225، عن: شارب دليلة، رسالة دكتوراه سبق ذكرها، ص.234
[3]. سيمون دي بوفوار، تر: لجنة من أساتذة الجامعة، الجنس الآخر، دار أسامة: دمشق، 1997. ص.10
[4]. Kaufmann (1992), O.p. Cité, P.136

في مدينة كبيرة من مدن الحضارة الحديثة؛ وأيضا لا يُرهق الرجل، حيث تقسيم العمل واضح تماما لا يوجد تداخل في الوظائف الأسرية كالذي يوجد في المدن الكبرى".[1]

إنّ الأدوار الاجتماعية التقليدية بين الزوجين في الوقت الآني تدخل في نطاق البحث عن التغيير سواءا للمرأة أو للرجل، أين كل طرف يبحث عن مساندة أو مساعدة فيما يخصّ أدواره الخاصة حيث تتجلى علاقات صراع بين مؤيّد ومعارض لقيام علاقة تكاملية متداخلة بين الطرّفين المخالفة للمعتقدات التقليدية، على غرار ما تطمح له المرأة في الدخول إلى أرضية الرّجل أين تبحث على ممارسة السلطة –كما رأينا مسبقا-

وتختلف نمط العلاقات الزوجية باختلاف نمط شخصية المرأة واختلاف أهدافها بين امرأة عصرية تريد الإستحواذ على السلطة وامرأة تقليدية –ماكثة بالبيت- تبحث عن تأكيد ذاتها في المجال الأسري تريد مشاركة الزوج في سلطته لتشعر بتقدير الذات، ولا تكون محل المرأة المستقبلة للعنف الزوجي بحكم مكانتها التراتبية التي أعادت التساؤل فيها رافضة العلاقة التقليدية التي تربطها بالزوج، فبذلك نقول أنّ **المرأة العصرية ليست فقط المرأة العاملة والتي بلغت درجات عليا من الدراسة واتخذت مناصب مهنية عليا، وإنما هي المرأة التي أعادت النظر في مكانتها ضمن الفضاء المنزلي فأرادت بذلك التغيير وطلب مكانة قيّمة في المجال الخاص.**

إنّ كل صراع ينشب في غور وغمار العلاقات الأسرية أو العائلية عامّة والذي يستدعي شنّ العنف ضد المرأة مرتبط بوعيها بذاتها في نظام طوّقها على التقدم إلى الأمام وتغيير نمط شخصيتها أين تبرز عدائيتها ضدّ الجماعة، ترفض المعايير التي تضبطها وتقيّدها وتوثق طموحاتها أو تجعل منها شخصية مهدورة لها وجود سلبي تابعة للآخر، وهذه التبعية خاضعة لنمط التقسيم الجنسي الصارم ضمن الفضاء المنزلي بحكم أنّ "الأعمال المنزلية لها إكراه مزدوج وتولّد العصبية حتى بالنسبة للمرأة الماكثة بالبيت فعلى حسب Parsons أنّ هذه العصبية مرتبطة بنمط تقسيم الأدوار الاجتماعية لكلا الجنسين، فكلما كان تقسيم الأدوار بين الجنسين صارما، كلما ضعف الشعور بالرضا في الحياة الزواجية. المرأة التي لا تقوم إلا بدورها التعبيري في الأسرة، تكون تابعة اقتصاديا للزوج، ويمكن من الخطورة أن تكوِّن صورة غير قيّمة للذّات، حيث اللامساواة في الأعمال المنزلية تولّد خطورة اللامساواة في التفاعل الزوجي"،[2] وهذه الأخيرة أصبحت أكثر وضوحا مع اللامساواة في التقسيم الجنسي للعمل الغير متكافئ ومايحمله من مسؤوليات أسرية على جانب واحد.

تعدّ الأدوار الاجتماعية لكل من الذكر والأنثى من التصنيفات التقليدية التي تولّد العنف الزوجي في مجتمع تغيّرت فيه أنماط حياة المرأة بتعدّد أدوارها بين المجال المهني والمنزلي، وما يحمله هذا الأخير من مسؤوليات لمختلف الأدوار في مكانتها كزوجة وأم، على غرار أعمال المنزل التي تصبح من الأشغال الشاقة لا تجلب المسرّة وإنما الإستياء وعدم الرضا من مجال لا يزال لصيقا بيها، رغم أنها أصبحت تقوم بدور المعيل بجانب الزوج؛ وعليه، وتبعا لهذه المنمّطات، فكل من الجنسين يوجهان الأحكام والانتقادات على أساس إنتمائهما الجندري، والذي يحدد مهام كل منهما في المجال الأسري، يولي إلى التقسيم الجنسي الصارم في الادوار أين ينشب صراع زوجي قابل إلى اللجوء لممارسات عدوانية في مرحلة يفرِض فيها كل طرف على الآخر التكامل في الوظائف البنيوية الأسرية بمدأ المساندة الزوجية في تداخل المهام.

---

[1]. دكتور سبوك، مرجع سبق ذكره، ص.ص.59-60

[2]. Pierre Bréchon, O.p. Cité, P.48

1.3. معاناة المرأة العصرية في تعدد أدوارها الاجتماعية: امرأة مُستلبة ماديا ومعنويا

أ. امرأة تقاسي ثِقل الحياة الأسرية

عدّل القانون الأسري بالأمر 02-05 –المذكور سالفا- في قسم حقوق وواجبات الزوجين، ليضمن توثيق العلاقة الزوجية وهذا بضمان حياة مشتركة بينهما، والحفاظ على الإستقرار الأسري من خلال بعث روح التعاون بين الجنسين ومجابهة ثقل الحياة اليومية ومتاعبها بصفة مشتركة، خاصّة بعدما مالت العلاقات التكاملية الوظيفية التقليدية إلى الفتور، واتخذت منعرجا آخر بدخول المرأة لميدان العمل والتي أصبحت مرهقة مُتوترة بتداخل مهامها الأسرية، فتشيرسيمون دي بوفوار أنّ **المرأة كلما أصبحت أكثر تحررا كلما أصبحت تحمل ثقل أكبر**[1] من المسؤوليات الأسرية في مرحلة تراجع فيها الزوج عن دوره في تحمل أعباء الحياة اليومية مع الشريكة، والتي أصبحت ملقاة على كاهل المرأة، أين برزت علاقة غير متكافئة بين الجنسين من حيث الواجبات والمسؤوليات الأسرية رغم أنّ مسؤوليات الزوج اتجاه الأسرة ملزمة عليه ومفروضة عليه، عرفيا وشرعيا وقانونيا.

فتشير المبحوثات في تصريحنّ:

"الأم تراني حزينة.. أقول لها غير المشاكل تع الخدمة.. تقول لي: أحنا الرجال كانوا يجيبونا القفة وأحنا نقابلوا طيابنا وقضيانا وْليداتْنا.. أنتم راكم لْكلشي للأقْفف وللقضيان، راكم قاتلين ريسانكم. أنا حتى le bricolage تع الدار أنا نعملوا راجلي خاطيه هذه الصوالح.. والله نعملها.. حتى كي زعما الحاجة توصل لحدها ومانقدش إيا تمّ ينوض يجيب حا menuisier.. أووو.." (المبحوثة رقم 4)

"راكي رافدتله اولاده ومْبَلعتْله باب داره، هذا يعني عندما يدخل الدار يَلقى الحماية: كلش واجد، ماكلة واجدة، اولادك نقيّين وكاليين، هو غيل يصلي وقاته ويأكل ويروح يتفرج، حتى المسواق أنا نديره.. والأولاد نتبعهم أنا، ونخرجهم أنا، ونديهم أنا كي يمرضوا أنا نفوت عليهم، لحدّ الآن.. هو لا يهتمّ.. وراجلي لا يُصلح شيئ في الدّار، والوا... والوا هنيني نهنيك مايخممّش ومايفكرّش.. وصحتك طيح والخدمة يستفادوا منها آخرين.. مايحسوش بالمرا، نْدير له لي ندير ما يستعرفش بيّ" (المبحوثة رقم 1)

"أنا راني مني راجل ومني مرا.. نوض نزكي عاود نستغفر.. نزعف ما تعجبنيش الحالة.. كي نقوله دير ديك الحاجة يطول باه يدير هالي حتى يكرهني.. مايسقّمْش، مايصمْرش، مايينتَرش.. يغلغل.. كيفاه ماتزكِيش.. يكرهلي حياتي.. نتغلغل، نَقعد نَقْرش" (المبحوثة رقم 17)

من حديث المبحوثات نرى أنّ المرأة بعد ما أن غاصت في غور العلاقات الاجتماعية العامة وجدت نفسها في صراع مع الذات بين تعدّد أدوارها كعاملة مهنية، وما ينتظرها من الأعمال المنزلية المرتبطة بتنظيف المنزل وتجهيز الأكل، وغسل الأواني، وجلّ مسؤولياتها الأسرية التي يتوجّب عليها استكمالها لاستوفاء الانتضارات المتوقعة منها من طرف أعضاء الأسرة الواحدة، إلى أن تظطرب حياتها اليومية بين العمل والمنزل، تتضاعف معاناتها حيث تُكابد حياة يومية شاقة بصفة منفردة، الأمر الذي يولّد العصبية والقلق للمرأة، مفسرّا M.Haicault أنّ التوترات الكامنة المكدّسة تعبّر عن الجهد الذي تبذله المرأة للتوفيق بين مجالات مختلفة ومتزامنة، بين العمل المأجور والعمل المنزلي، والتي تثقل كاهلها ذهنيا فتكابد "ثقـــــل الحمولـــــة الــــــذهنية" « charge mentale »[2]

وكما يوجّه الدكتور سبوك أن هذا النمط من العيش تكون فيه المرأة محاصرة طوال النهار في سجن إسمه "الوحدة": الصباح في العمل، بعد الظهر في المنزل لتنفيذ مطالب البيت... وقد تسأل المرأة نفسها أو تسأل السماء، لماذا تم خلقي على هذه الصورة التي تبدو كصورة لآلة تدور كل يوم في مواعيد محددة، ووظائف محددة، ومسؤوليات لا تنتهي،[3] على غرار مسؤولياتها –المفروضة عليها- في وضعها ككنة لأسرة الزوج مُلزمة بقضاء بعض الواجبات المحتومة عليها سواءا أكانت ضمن

---

[1].Vue le 25 /02/2020 sur le site : https://dicocitations.lemonde.fr/blog/une-femme-libre-est-exactement-le-contraire-dune-femme-legere/

[2] . Lemarchant Clotilde, O.p. Cité, P.114

[3]. دكتور سبوك، مرجع سبق ذكره، ص.ص. 59-60

سكن أبوي أو مستقل –كما رأسنا مسبقا- وعليه "المرأة العاملة تستثمر أقّل من الرجل في حياتها المهنية، حيث هي مكلّفة بمهام أسرية"[1] تفوق طاقتها، الأمر الذي يؤدّي بها إلى الدخول في هالة من التوترات الداخلية حيث لا تملك وقتا خاصا بها، ولا تستغل بالمقابل دخلها الشهري لما تقدمه من مساندات مادية أسرية بجانب الزّوج، فيكون عملها عائد بالمنفعة الجماعية وليست الفردية. في هذه الظروف "المرأة **لا تملك الحياة الاجتماعية**، بحكم أنّها لا ترفه عن نفسها، فتُصاب بالملل التام"،[2] وتفقد أعصابها، تبدأ بمقارنة نفسها بالزوج الذي تعتبره حسب تصورها يملك الحرية في تنظيم أوقاته اليومية، غير مقيّد بأعباء ضمن المجال الخاص بجانبها، فمسؤولياته غالبا تتوقف في ميدان العمل والمشاركة في المصادر الاقتصادية، التي بدورها تكون مشاركة محدودة في حالات متكررة، إلى أن تجد الزوجة نفسها "تتحمل ثلاث أرباع المسؤولية أمام الرجل الذي يقدم ربع الحياة الأسرية".[3]

إنّ هذه الظروف تؤدّي إلى نشوب صراع زوجي محتدم، مع الزوجة الواعية بذاتها التي لها القدرة والكفاءة على المواجهة تتميّز بشخصية قويّة، تعتبر الزوج مسترجلا عليها بأي أدنى مجهود، فتريد بالتالي تأكيد وجوده الأسري كرب أسرة متحمل مسؤولياته؛ إذ تحكي المبحوثة رقم 18 باستياء عن ظروف علاقتها بالزوج:

"أنا ندير المارشي أنا نصرف وندخل للدار ندير العشا ونخمل.. أنا كلشي نديره، والأشياء التي تتطلّب الإصلاح حتى أنا نْقول له، لا يقوم بالشيئ وحده، هو لو كان يْصيب لا يقوم بشيئ، والوا والوا.. مرات يدير كي نقول له، ومرات بعصبية يدير الصالحة وبالزّعاف، حتى يدير مشاكل في الدار باش يدير ديك الحاجة، يقول لي راكي تزكّي راكي تشغلِّي، ولكن نقول له على صوالحنا ماشي قاعدة ونزكي باطل.. نحاسبه، **ونبغي نقوله أنا قافزة عليك ونخاف**" (المبحوثة رقم 18)

تشير Lan Bannon أن مستوى العنف ضد النساء اللواتي يعملن قد ارتفع، حيث هناك ارتباط بين المرأة العاملة واسهامها اقتصاديا بدخلها الشهري... وبين معدل العنف الذي يمارس ضدها، وهي تشير إلى أن الرجل لا يزال يعتمد على اديولوجية النوع الاجتماعي، لتدعيم وضعه الضعيف في المنزل رغم أنه لا يستوفي واجباته ومسؤولياته الأسرية. هذا ما يخلق معاناة للنساء.. فبعض النساء يكنّ في موقف صعب ويواجهن قسوة من أزواجهن على الرغم من إسهامها اقتصاديا في المنزل[4] لا يُلاحظ معاناتها، وهي رغم جسارتها في مواجهة الوضع والدخول في علاقات حساب زوجية إلاّ أنّها تتخوّف من توجيه ملاحظات ماكرة له –كما أشارت المبحوثة أعلاه- واعية بما ستخلقه من مشاكل أخرى، مدركة أنها سوف تنحرف عن موضوع التقسيم الغير متكافئ للمسؤوليات الأسرية، لِتنعرج إلى عامل أكثر خطورة أين ستقوم بقَضم كرامة الزوج ومكانته الهرمية تعتبره أنّه لا يتّبع المعايير التي تخدم رجولته في دوره كرب أسرة يستحقّ التقدير والإحترام.

وفي هذه الظروف للحياة اليومية الشاقّة للمرأة، يُستعاض الاحساس بالمعاناة في تعدد الأدوار إلى مقاساة ومكابدة تشنّجات لتقاسمها حياة مشتركة مع زوج غير مُهتم بما تعانيه الزوجة من مسؤوليات، وغير مبالي باستوفائها لدور الإعالة خلافا عنه، -في حالات-، حيث يستعيض حياة التَّعب بالحياة الرَّغدة بعيدا عن تحمل المسؤوليات الأسرية في أقل فرصة تسنح له، إذ يتحرّر من وطأة الدور الموجب عليه استوفاؤه، تسمح له بتوسيع معالمة وطموحاتها في المجال العام، بعدما كل الشروط المنزلية تتوفّر لديه، وهذا يعني أن"***تحرر المرأة تولي إلى فتح مجال لتحرّر الرّجل أيضا***".[5]

---

[1] . De singly François, Sociologie de la famille contemporaine, Nathan, 1993.P.P.107-108

[2]. دكتور سبوك، نفس المرجع السابق، ص.60.

[3]. فوزية بلعجال، العنف الأسري ضد المرأة في المجتمع الجزائري، المجلة المغربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، سبق ذكرها، ص.96.

[4]. (Lan Bannon & maria C. corried, the other half og gender, Washington, 2006. P.233)، نقلا عن: منال محمد عباس، العنف الأسري: رؤية سوسيولوجية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2011. ص.165.

[5]. عزة شرار بيوض، مرجع سبق ذكره، ص.62.

ب. امرأة تعاني أعباء الحياة الاقتصادية في علاقتها بالزوج: امرأة مغتربة ماديا

تحكي المبحوثات:

"الذي يتزوج وحدة خدامة يتّكل عليها بزاف. في الدار وبرّا كلشي، وهو مايدير والوا –تضحك- مرات من قوّة لّي تقعدي تهدري دير ديك، دير ديك تمّرضي.. فإذن من الأحسن نوض ندير أنا الحاجة ومانقعدش نهدر بزاف.. أنا وحد الوقت كنت نرفد قفتي ونروح نصرف نجيب دي ودي، خدمي وربي، وزيدي ديري المارشي، وشغل الدّار.. ولكن ما بقيتش نصرف، **كي أنا ندير كلّش هو شنّا يبقاله؟!** فإذن هو يصرف ولّي يجبه نطيبه.. ولكن المسؤولية علي أنا أكثر، دروك les coursses تع الدراري قريب 3ملاين أنا ندبّر راسي، بلى قرايتهم، لبستهم، وبزاف صوالح أنا متحملة مصاريفها، **هو غير القفّة**.. أنا طايح الدّرك عليّ.. وفي الدراري مايعاونش ملّي كانوا صغار خاطيه شغل الدار والتربية.. **عنده زعمة عادي**" (المبحوثة رقم 12)

"أنا قاعدة في الدّار ولكن نقوم بأعمال حرفية أجني منها ربحا.. أصبح الرّاجل يتّكل عليّ.. وأنا déjà متحملة كلّشي نعبي الدراري ونجيب وهو عايش حياته.. وحتى المصروف ما ولاّش يحوّس يعرف من أين راني نجيب، الطّابلة منوعّة، والدراري لابسين.. أنا نصرف ونسوّق.. ماعلابالوش" (المبحوثة رقم 13)

"ما يقرش بلي راني شادّة الدار وحدي.. **يحاسبني على الدّورو**.. وما يستعرفش بيّ.. ومعظم الوقت الآخر لا يشفق عليك، عارف بلي كنت نْتومر وعارف بلي نقضي **ولكن مايبينش**" (المبحوثة رقم 1)

على الأرجح – من حديث المبحوثات- نلاحظ أنّ الرجل قد أعاد التساؤل في دوره الاجتماعي بعد أن أسفرت المرأة عن وجودها خارج المنزل، وجد أنه من المفترض أن تتحمل الزوجة أعباء الحياة المادية معه، ولكن في نفس الوقت ينكص عن أكبر المسؤوليات المالية، وغالبا ما يتحفّظ إلاّ بدور الانفاق في جلب القوت هذا ما إذا تخلى عن دوره متّكلا على عائدها المالي، أين تكون الزوجة تحت فعل الضغط، مغتربة من المصادر الذرائعية المادية.

من الممكن أن يتّخذ الرّجل أساليب مختلفة في علاقته بالزوجة أين تكون تحت الضغط في احتواء المسؤوليات المالية بجانب زوجها، فقد يتجرّأ الزوج على سلبها بصفة مباشرة عائدها الشهري بحكم أنه الزوج وصاحب السلطة وله تعود دور الإعالة الأسرية والتحكم في الموارد الاقتصادية، أو على عكس من ذلك يستلب الزوجة دخلها المالي بصفة غير مباشرة، فيحتكره بفعل المكر، لا يحاول الاندماج ضمن الوحدة الزوجية، مُتناسيا أنّ الدور الأكبر في تقديم المصادر المادية للأسرة وتحمّل دور الانفاق من مهامه، متحفّظا بعائده الشهري –جّله أو نصفه- لا تتجرّأ الزوجة على محاسبته بحكم أنه الرّجل والذي يملك السلطة الاقتصادية، ففي كلتا الحالتين الزوج يخفي وراءه تخوفات انتزاع السلطة، يحاول دائما أن يُخضعها ضمن علاقة تراتبية، ويكون وجودها مرتبط بوجوده، تابعة له، جاهزة لخدمته واشباع احتياجاته الفسيولوجية والجنسية، ومتحمّلة أعباء الحياة المعيشية بقدر أكبر، مُخلاً بمكانتها كفرد مسؤول في الأسرة، غير مقدّر لمجهوداتها، حيث تكون مغتربة ومستَلَبة ماديا ومعنويا، بدون عرفان ولا تقدير لما تقدّمه من تضحيات في سبيل استقرار النظام الأسري. تخبرنا المبحوثات:

"هو ما يخدمش قاعد، غير أنا رافدة.. وأنا نصرف.. **وما يقرش**" (المبحوثة رقم 17)

"تعرف ما يليقلهم غير النساء لي يديهم مقصوصين.. نَسعترف بهذا النساء الراجل كلشي يجيبهولها.. حتى في المصروف تع الدار عليه وهو يليق يكسيها.. هذي هيّ.. المرا كي تصرف هو يرتخى.. وأنا راجلي هذه لّي جنّنّي فيه.. **وماعلابالوش بيك**" (المبحوثة رقم 4)

إنّ من كل المجهودات التي تقدّمها المرأة لاستوفاء مهامها الأسرية والانتظارات المتوقعة منها، على غرار دعمها المالي بجانب الزوج، لا تنتظر من شريكها إلاّ نوع من الإعتراف بما تقدمه من تضحيات تُترجم مجهوداتها المستثمرة في خدمة جميع أفراد الأسرة، وضمان الاستقرار الجماعي المادي والمعنوي. لكن، ما توضّح جليا في دراستنا الميدانية، الزوج لا يبرز لها علوّها ويؤكّد لها حظورها القوي ضمن الأسرة، خاصّة من الناحية المالية مُدركا أن الإعالة الأسرية هي بمثابة دوره الأساسي المفروضة عليه عرفيا، حيث لو يعترف بمجهوداتها ستقلّ قيمته، وهذا مالا يرضاه؛ وإذا ما

حاولت الزوجة الدوخول في علاقة حسابات ورهانات فقد تفتح مجال صراع دوري يؤدّي إلى ممارسات عدوانية في فعل ورد فعل معاكس، أين كلا الزوجين يتعرّضا للعنف الزوجي المتبادل، حيث المعاتبات التي تقدمها الزوجة للزوج في تذكيره بمهامه الأسرية يستقبلها الزوج باتجاه سلبي كتذليل لقيمته كرجل، فيردّ عليها بفعل معاكس عدواني مُحتقر لمجهوداتها القيمية علنًا، مُبتذلا لعائدها الشهري، إلى أن يدخلا إلى مجال عنيف مستبعدة الحلول؛ وغالبا، وفي كل الأحوال، "الإستخدام الغير موفق للأموال يؤدّي إلى مشاكل بين الزوجين،[1] وهذا ما تبيّن في دراستنا حيث 39,53% من الصراعات العنيفة نابعة من الظروف المادية التي يعيشها الزوجان (أنظر الجدول رقم8)؛ حيث تحكي المبحوثات:

"كانت ظروفنا المالية صعبة: la crèche للدراري، والمصروف تع الدار والكرا، وزيد وصلنا الدراري ماكانش عنهم ما يلبسوه والله غير "بّا" كان مرّة مرة يشري للدراري يعاونّا بلِّي كان.. رووووح هو –الزوج- جاتوا حا البركة ماشي يقولي أسم راه خاص لآاااا، يمشي يسجّل باش يروح للعمرة، قلت له: أحنا راحنا محتاجين وتينا تتمتّع بدراهمك.. وأنا راني نصرف معاه.. وdéjà أنا راني منّي راجل منّي مرا: المراشي والتعب تع الدار والتربية.. دراهمي ما نستغلهمش !.. بقات في خاطري! تبالي اناني... **حاسبته**، وقلت له راني رافدة الدار وانت تخمّم في راسك، حتى المصروف راني معاونتك.. وهو كاس ما يرفدوش من الأرض.. **قالي دراهمك ما عندي ما نعمل بيهم، انا قادر على شقاي**.. حتى خبّيت عليه دراهمي، ما عجبوش الحال.. إوا وصلنا للطلاق" (المبحوثة رقم 14)

"المجال المادّي: فيها توترات غير أنا.. حتى القرارات راني انا نقرر في كلش.. سامح. يبغي غير صوالحه: راح شرا Télé écran plazma وأحنا مزيرين، ماعلابالهش.. ولدي باه مانخسرش دراهم تع la crèche تشدهولي "مّا".. وهو يخسّر من جيه" (المبحوثة رقم 18)

بناءا على ما ورد في هذه التصريحات، وما تضمّنه خاصة حديث المبحوثة الأخيرة، نشير أنّ المورد المالي هو العامل الفاصل بين الجنسين باعتباره الدعامة الأساسية الذي يولي إلى امتلاك السلطة، حيث يكون الفرد له الشرعية في اتخاذ القرارات، وعليه لا "تعتمد السلطة على الصفات والمزايا الشخصية بقدر إعتمادها على امتلاك الفرد للمنصب أو الموارد الرسمية،[2] سواء للمرأة أو للرّجل، وكلما كان لاحد الطرفين قدرة كبيرة من المسؤوليات الأسرية وتحمّل أعبائها خاصة المادية منها كلّما امتلك مكانة سلطوية ضمن الأسرة.

ج. امرأة تستمد سلطتها بتعدد أدوارها

تخبرنا المبحوثة رقم 4:

"كلشي طايح عليّ على بيها je suis dominante، هو ما علابالوش.. يتكل عليّ.. في المصروف وكل شيئ.. حتى الدّار أنا بنيتها ووقفت عليها."

إنّ من تصريح المبحوثة، وما تبيّن لنا في جل الدراسة في معظم الحالات، أنّ المرأة توصّلت إلى مكانة هرمية قيّمة بمثابراتها ومعاناتها اليومية في خضمّ الأعباء والمسؤوليات الأسرية والتي جعلت منها فردا يملك السلطة والكفاءة في اتخاذ القرارات، في مرحلة يوكل الزوج للزوجة كل ما يتضمّنة من مهام أسرية مادية أو معنوية، متّكلا على قدراتها الشخصية وكفاءتها في إدارة شؤون المنزل إلى أن تغيب العلاقة التكاملية التقليدية أين تكون الزوجة المسيّرة والمديرة الأساسية في إدارة شؤون المنزل.

تشير في نفس سياق المضمون عزة شرارة بيوض بالربط بين متغيّرتي السلطة والإتكالية الزوجية، أنّه "كلما ازدادت سلطة الرجل، ازدادت اتكالية المرأة على الرجل"[3] في المجتمع التقليدي، والعكس لا ينفي ذالك حيث نعيد العبارة، **كلما ازدادت سلطة الزوجة ازدادت اتكالية الرجل على المرأة**، في

[1] . Voir : Kellerhals Jean, O.p. Cité, P.122

[2] . جون سكوت، مرجع سبق ذكره، ص.245

[3] . عزة شرار بيوض، مرجع سبق ذكره، ص.286

المجتمع الآني، وتزداد درجة السلطة كلما تفاقمت المسؤوليات على أحد الطرفين، خاصّة الماديّة منها، فتُصبح الفرد المهيمِن والمسيطِر ضمن الأسرة، في مرحلة لن يتوصّل الزوج إلى استكمال الانتظارات المتوقّعة منه كرب أسرة، ويبقى دور الإعالة ماهي إلاّ مساندة بسيطة أمام ما تقدّمه هي من خدمات مادية، فإسهاماتها تصبح بأكبر قدر مقارنه بالزوج، موضّحا عدي الهواري أنّ "البناء العائلي الذي يتمركز على المرأة الحاملة للميزانية المادية للعائلة تكون الطرف الذي يوجه وينظم ويتخذ القرارات الأسرية. تحاول بذلك إسعاد كل أعضاء الأسرة ورعاية متطلّباتهم. وأي قرار لا يتخذ من دونها ولو صغيرا كان.[1]

ضمن هذا الوضع الحالي للمرأة الزّوج يكون غير واعي بقدر وعي الزوجة أنه، لمّا تقوم المرأة بدور الرجل الوسيلي، على غرار ما تتحمّله من مسؤوليات للعبئ الأكبر في المجال الخاص، تبرز اللامساواة في العلاقة الزواجية أكثر فأكثر، أين تكوّن المرأة لها مكانة سلطوية لما حازت به من نفوذ مادية ومعنوية أصبحت بذلك الفرد الذي يعود له القرار؛ في ظل هذه العلاقة اللامتكافئة أين الزوج يفقد مكانته الهرمية يتجلّى العنف النفسي ضدّ الزوج بالامبالاة الزوجة بعدما تسقط في نظرها رمزيته الاجتماعية –كما سنرى لاحقا ضمن نفس المحور- ففي حقيقة الواقع لا تزال المعتقدات التقليدية للمكانات والأدوار الاجتماعية الجنوسية راسخة، حيث لا يتوجّب على الزوج أن يكون تابع للزوجة كيفما كان وضعه الماديّ، وبالمقابل لا يستوجب على الزوجة أن تضاهي الزوج مهما ما توصّلت له من ارتقاء، فـ"ما تطمح له المرأة في مشاركة الزوج السلطة الأسرية واتخاذ القرارات، وما تريد أن تخبوا إليه من مساواة لا يتحقق مع وجود توزيع الأدوار التقليدية الصرامة ضمن الفضاء المنزلي التي أكّدتها المنمطات الاجتماعية المتحيّزة لأحد الجنسين،[2] حيث أنها تُعجز االمرأة عن بناء علاقة تكاملية سيستمية بالزوج، لهذا تريد الزوجة أن تُدخله في مهامها الخاصّة للأعمال المنزلية فتبني علاقة زوجية متساوية أين سيتعرّض كلا الزوجين إلى التعنيف المتبادل؛ فمهما تعدّدت مسؤولياتها يبقى دورها الاجتماعي ضمن المجال الخاص لصيق بها والتي تؤكّد علاقتها التراتبية بالرّجل، فمهام المرأة المنزلية لها طابع متدني أمام مكانة الزوج الاجتماعية ودوره كعائل.

2.3. امرأة تطمح في بناء علاقة متكافئة المسؤوليات مع الزوج: تتوجه لتغيير نمط الأدوار التقليدية

أ. رجال متمسّكون بالموقف التقليدي لدور المرأة في المجال المنزلي

يعبّر المبحوث رقم 1 في حديثه حول دوره في الأسرة وعلاقته بالزوجة:

> "المرأة الجزائرية تتعب كثيرا.. قالها لي لبناني قالي أنتم لو كان تروح المرا تعكم تروحوا فيها، أحنا نتاقسموا معاها حياتنا.. **أنا ما ندير والوا هي كلّش**.. تعرف **أنا مقصّر شويّ معها ومع بناتي**.. الراجل العدواني ماكان والوا ويلعبها..!!. المرا هي تخدم وتقرا وتقري أولادها.. تعاوني في المصروف.. أنا خدام عند الدولة شهريّتي لا تكفيني."

وتخبرنا المبحوثات:

> "تقسيم الأدوار بين الجنسين غير أنا، كاس مايرفدهش.. أنا كلش، صايبها طايبة.. خطرات تغيضني.. نقولها له.. يقولي ها أنا الراجل ونتيّ المرا.. قالي هاباغية ترجعيني مرا، أنت المرا.. قلت له حتى أنا راني راجل نشري برا وراني في الدار.. يقولي لا.. المرا تع الدار" (المبحوثة رقم 15)

> "يقول لي: منّك كلّش. مرات يعاوني في الحق، ومرات لو كان نموت" (المبحوثة رقم 17)

ما تبيّن في دراستنا ومن خلال ما استنطقناه من تصريحات المبحوثين، غياب التباين في الأدوار الاجتماعية بين الجنسين المصنّفة على أساس التقسيم الجنسي للمهام والمسؤوليات الأسرية والتي تستدعي بناء علاقة تكاملية متوازنة بين الجنسين، حيث دور المرأة في المجال الخاص الممحور

[1]. Voir :Lahouari Addi, O.p. Cité, P.58

[2] . Voir : revue de l'union nationale des associations familiale, Réalités: violences conjugales, C.p., P.29

بالأعمال المنزلية وتربية الأبناء تزال محلّ تقييد وتوكيد إجتماعي والتي "**تبقى خاصّة كمعلم أساسي للهوية الأنثوية[1] بحكم البديهيات الاجتماعية، رغم تحمّلها مسؤولية الإعالة الأسرية بمحاداة الزوج**، أين برز التقسيم الجنسي الغير متكافئ للعمل، مع المحافظة على المكانات في الهرمية الأسرية، أين الزوج يحتل المكانة السلطوية.

على هذا الأساس في الوقت الراهن، تَبرز معاناة المرأة المزدوجة بين تعدّد أدوارها الاجتماعية، شاعرة بالضغط ترى أنّها مضطهدة تقاسي في علاقتها الغير متكاملة والغير متكافئة بالزوج، من جرّاء تفادي الزوج لتقديم المساعدة في أشغال المنزل وتربية الأبناء، وبناءا على هذه المعتقدات الفكرية التقليدة الصارمة للزوج حول موضوع التقسيم الجنسي للعمل، وجدت نفسها تحت ظروف قاسية لعمل مرهق تشعر انها مجبورة على القيام به، وهي أشغال منزلية تزيدها ضِرارا، فتتحمّل أعباء المسؤوليات الأسرية بقدر أكبر من الزوج، تشعر بالتعب، ولهذا تلجأ إلى إعادة بناء النظام في توزيع الأدوار بعدما*تشعر أنها مخدوعة ضمن علاقتها التفاعلية بالزوج*،[2] فتعمد على مواجهة الزوج محاولة دمجه ضمن أدوراها الأسرية، طالبة منه المساعدة، حيث تطرح مشكلتها التي بدأت تتعبها وتبحث عن حلول لها في علاقة تفاوضية مع القرين، وإذى أبى عن ذلك فقد تندفع إلى شنّ شجارات مع الزوج تلجأ إلى ممارسات عدوانية معبّرة عن معاناتها مُثيرة لعلاقة زوجية عدائية، من الممكن أن تؤدّي إلى دورة عنفية، والتي تجلّت بنسبة 23,81% (أنظر الجدول رقم 13).

يحكي المبحوث رقم 12، عن علاقته بالزوجة المثيرة للانفعالات:

"أصبحت إمرأة عصبية.. كاين شي صوالح تعلّمتهم بعد الزواج ومشاكل المرأة التي تعمل، ربي خلقها باه ما تخدمش... زوجتي تعمل، وتقرأ.. والطفلة لا تستطيع التكفل بها تماما على أكمل وجه.. هي تْبَعكك دايما.. دايما تقول لي ماراكش تعاوني، هذه تحرحر عليها والتبعكيك والهدرة الزايدة تتعبني الأكثر معها، وكي ما نقيمهاش تزيد... وأنا نضرب كي نتنارفة نضرب... رغم أنّي نعاونها كي نقد... ندير أنا المارشي.. وأنا ما ننجمش ندير أكثر ممّا هو لازم. فإذن ألعب دوري.. زعما نعاونها"

إنّ ما تبين لنا من حديث المبحوث أن المرأة تثير علاقات جدال ضاغطة على الزوج بفعل العنف ليندمج جسدا وروحا ضمن الأشغال المنزلية وتربية الأبناء، وخاصّة أنّ هذا الدور الأخير يعتبر الدور الأساسي الذي يتطلّب منها الرّعاية والاهتمام المباشر، والوضع الذي يجعل منها امرأة مقيّدة من حريّتها أين تتزايد المسؤوليات عليها بعد ولادة الأطفال، حيث المولود الجديد يُحدث اضطرابات في حياتها الخاصة كامرأة لها مسؤوليات خارج المجال الخاص، فتشير Bawin-Legros، في مرجعها "الأسرة، الزواج، الطلاق" إلى مفهوم "اللاإستقرار الزوجي" المرتبط بأهمّ شيئ وارد في الحياة الزوجية صعوبات في التأقلم مع النظام الجديد بعد ولادة الأبناء، حيث دخول المرأة لسوق العمل يولّد خللا في العلاقة الزوجية يكون دورها التنشئوي هو كل اهتماماتها،[3] ويؤكّدا Ferdinand Oeter حقيقة واقعية الحياة العائلية المتوتّرة سببها يعود إلى استنزاف قوى المرأة في الأعمال المنزلية والصعوبات التي تتلقاها في تربية الأطفال، وعلى إثر ذلك لا تحتاج الزوجة لاكثر من تصادم بسيط لكي تتعكر علاقتها مع الزوج؛ والفُرَص لحدوث مثل هذا التصادم متوفرة في الحياة الزوجية بكثرة... وفي مثل هذه الحالات لا يمكن الحيلولة دون حدوث الاصطدامات.[4]

وهذه الاصطدامات يكون سببها الأول التوجه إلى خفض التوترات الناجمة عن الضغوطات اليومية، والثاني بناءا على غيضها على الزوج الغير مبالي بمعاناتها، يأبى على مساعدتها، فتدخل معه في صراع متوتّر يولي إلى نشوب شجارات عنيفة لكلا الطرفين في علاقة ردود أفعال متعاكسة، أين يعجز الزوجان على إيجاد حلول للخلاف القائم بينهما، بعدما أن توجّهت إلى "*إعادة بناء المواقف*

[1] . Kaufmann (1992), O.p. Cité, P.208
[2] . Voir : Kaufmann (1992), C.p., P.p.203-205
[3]. B. Bawin-Legros, O.p. Cité, P.29
[4]. أوسفالد كوليه، تر: رونيحة أمين، زوجتك هذا الكائن المجهول، دار القلم، بيروت، لبنان، ط2، 1982. ص.304.

الزوجية اتجاه الموضوع، وفي نفس الوقت إعادة بناء انتظاراته وتوقّعاته اتجاهها بحكم أنها تعجز عن استوفاء جميع أدوارها ضمن المجال الخاص وفي علاقتها به"؛[1] ونشير أنّه في الوقت الراهن المواقف تختلف باختلاف نمط شخصية الزوج واختلاف اتجاهاته وعليه "العنف الموجه ضد المرأة داخل الأسرة... يتّسم بدرجات متفاوتة من التمييز والاضطهاد والقهر والعدوانية، الناجمين عن علاقات القوة غير المتكافئة في إطار نظام تقسيم العمل بين المرأة والرجل في المجتمع والأسرة على السواء، نتيجة لسيطرة النظام الأبوي بآلياته الاقتصادية والاجتماعية والثقافية"،[2] فإنّ التقسيم الجنسي للعمل أصبح من المواضيع الأساسية التي تثير إشكال للزوجة ويخلق صراع زوجي، قد يكون هدّام أو بنّاء، على أساس المواقف التي قد تتعرضّ لها الزوجة عند إثارة الموضوع الذي يقع عليه الجدال فتحاول إعادة بنائها على حسب اتجاهاتها الخاصّة.

في إطار هذا الجدل بعضهم من الأزواج يتمسّكون باتجاهاتهم، يرفضون رفضا قطعيا مُساعدة الزوجة في أمور المنزل، مُتجاهلا ظروف الزوجة، أو غير منتبه للمسؤوليات الملقاة على عاتقها، وإذا قام بأي مساعدة عن قناعة فما هي إلاّ مبادرة "***كنوع من التفضيل والمجاملة*** حيث ***يقوم الزوج بالتنازل عن جزئ من ذكورته وبطريقته الخاصة"*** [3] وليس لحدّ الاندفاع للدخول والغوص ضمن مجال يعتبره خاص بالعالم النسوي، على أنّ الرّجل يتوجّب عليه التحفّظ على مكانته الهرمية بتولّي رئاسة المصادر المادية والاقتصادية، بدون اقحام نفسه في المهام المخصّصة للزوجة، وعليه يؤكّد التقسيم الصارم للأدوار الجنسية في صالحه حيث "تقليديا من العيب على الرجال أن يقوموا بالأعمال المنزلية"[4] المخصّصة للفئة الغير مالكة للسيادة والسلطة؛ وعليه، يشير مايكب نبيل أنّ الاختلاف بين المرأة والرجل هو الاختلاف في الأدوار وليس في الأهمية والقيمة الانسانية"،[5] وهذا الاختلاف هو الذي يحدّد العلاقة الهرمية بين الجنسين، فعلى حسب الأنثروبولوجيون أنّ "التقسيم الجنسي للعمل لا يترجم فقط العلاقة التكاملية للمهام التي تتميّز *بمدأ التقسيم*، ولكن أيضا علاقة سلطة الرجال على النساء التي تتميّز *بمبدأ التراتبية"*،[6] فإنّ التقسيم الجنسي للمسؤوليات والمهام والفضاءات ما هو إلاّ تقسيم في المكانات والأوضاع بين الجنسين والتي أعطت تصوّر منشطر بين المجالات القيّمة التي تعود للرّجل، والمجالات المتدنّية التي تعود للمرأة، وكأن الأشغال المنزلية من الأعمال الغير قيّمة التي لايمكن للرجل أن يقوم بها.

وعليه يشير Kaufmann أنّ "النظام القديم للأدوار الأسرية لا تزال حيّة وقائمة إلاّ جزء منه أصبح مفقود،[7] حيث يحتفظ الزوج بسلطة خاصة، يخاف المجازفة في أشغال المنزل، فلا يقوم بأكثر مما يرغب به، وبدون إجهاد نفسه، حيث تنشأ علاقة زوجية جدلية بين ما هو تقليدي وعصري؛ وهذه الطريقة في الكثير من الحالات تعتبر كافية لألاّ تهزّ السلطة الشرعية ويتحوّل النظام الأسري إلى قطب راديكالي نحو مساواة أصلية.

ب. رجال مواكبون للمستجدات الاجتماعية: رجل مندمج في الدور التقليدي للمرأة

يحكي المبحوث رقم 3:

---

[1] . Voir : Kaufmann (1992), O.p. Cité, P.p.203-205

[2]. سالم الساري، خضر زكرياء، مشكلات اجتماعية راهنة، العولمة.. وإنتاج مشكلات جديدة، ط1، دمشق: الأهالي، 2004. ص.151-152. نقلا عن: حنان قرقوتي، مرجع سبق ذكره، ص. 14.

[3]. شارب دليلة، دكتورا سبق ذكرها، ص.185؛ أنظر: دكتور سبوك، مرجع سبق ذكره، ص.ص.56-57.

[4]. حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية: متاهات الإنسان بين الحلم والواقع، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2006. ص.118.

[5] . مايكب نبيل، مرجع سبق ذكره، ص.24.

[6] . Kergoat Danièle, Division sexuelle du travail et rapports sociaux de sexe, source : dictionnaire critique du féminisme, paris, P.U.F, 2004. P.35-36

[7] . Kaufmann (1992), O.p. Cité, P.p.203-206

قالت لي –الزوجة- أنت ريِّض الخدمة وقابل الدراري.. حبّست. كريت حانوت عند الدار وخدمت coiffeur. نخدم بعد العصر حتى للّيل، ومقابل اولادي: ربيت بناتي نعمل لهم الحليب ونرقدهم، كلّش، من لي كان في عمر الكبيرة 4 أشهر حتى لي دخلوا للاثنين يقراوا، والثالث كذلك.. ولكن من بعد بدأت تطلع –هي- في العمل، وأنا بدأت نْبَان لها صغير في نظرها، مجرّد حفّاف "coiffeur".. تقولي ماعطيتني والوا.. قلت لها: اعطيتك الهناء، كنت تعمل لي تحب، خلّيتها تطلع: عملت الدّار، دّار دارها. وعندها لوطوتها؛ تعها هي عملتها. ولكن نَدمت لو كان حتى أنا خمّمت واعملت الدار على اسمي، وحتى أنا حاولت باش نطلع، وندمت ندمت لم أحسّن وضعي، ولكن علاش أنا عايش باليوم، أنا لي نْصَورُو في النهار نصرف بيه ونعبيه لوليداتي، لم أفكّر فيما يأتي بعد ذلك، نسوق ونروح للدار، عمري ما نويت حاجة اخرى، كنت عايش عيشة طبيعية.. كنت نحب الموسيقى سمحت فيها.. مّا وأخوايا ما ستغليتهمش.. نوالفوا الأسرة الجديدة ونلتهاوا بيها.. ولكن تخلات عليّ –الزوجة- طردتني.. أنا لو كان الدار على اسمي كنت نطردها؟!.. قالت لي كنت نعمل لكم الدار.. قلت لها عملتها الرّاسك ماشي لينا".

من حديث المبحوث، أوّل ما لفت انتباهنا وما تمّ استنطاقه بين أسطره أنّ "الحماس الذكوري الذي غالبا ما يكون محافِظ على فاعلية وعلى الترتيب الجنسي المُؤسَّس إجتماعيا، يفسّر أنّ الرجل يكون مَحميّ في النظام التقليدي القديم،[1] والمبحوث فقد الحماية من العنف الزوجي بعدما سمح للزوجة الارتقاء المهني والاضطلاع نحو النجاح، وقدّم لها كل الامكانيات التي تسنح لها بالتحرّر، وذلك من خلال تبادل الأدوار في مجتمع متغيّر بكل صدر رحب ومتفتّح، ولكن للأسف قُوبِل بالإهانة المعنوية المحضة.

إنّ كل ما صرّح به المبحوث عن المواقف التي توصّل لها من إذلال من طرف الزوجة، يُثبت لنا أنّ العمل المنزلي هو الذي يؤكّد المكانة الاجتماعية للفرد سواءا رجل أو امرأة، وهي مكانة متدنيّة مفقود قيمتها تُعرّض الفرد للعنف الزوجي، والمصادر الاقتصادية والتفوق ضمن المجال العام هو الذي يولي إلى السلطة والتسلّط؛ ولكن الاختلاف وارد بين الجنسين من حيث الهدف في النجاح المهني، حيث يبقى دور الإعالة الأسرية وما يضطلع إليه الزوج من تفوّق مادّي لا يمكن أن ينفي مبدأ المسؤولية الملقاة على عاتقه المكتوبة عليه منذ أجيال سابقة في توفير ظروف اجتماعية واقتصادية رغدة كربّ أسرة، حيث يستوفي بدوره كزوج ووالد أين يكون أفراد العائلة تحت رعايته.

إنّ المرأة بعد كل ما تبذله من مجهود في إثارة تغير توزيع الأدوار وطلب المساعدة من الزوج فهي تتوجّه للجوء إلى محاولة بناء علاقة متكافئة المسؤوليات مع الزوج، هذا يعني أنها تبحث عن بناء علاقة زوجية متساوية لا تتضمّن الهرمية، حيث المرأة تريد أن تنظّم يومياتها بصفة متكافة مع الزوج كحل لها لتخبوا إلى النجاح المهني إثباتا لذاتها؛ ويوضّح Mouchtouris ضمن نفس السياق أنّ أسباب التوترات على مستوى تقسيم العمل مرتبطة بوجه الخصوص بطموح المرأة المزدوج بين ما هو تقليدي وعصري، فمن جهة هي امرأة تخبوا لتنجح في دورها كربّة بيت واستوفاء مسؤولياتها الأسرية فتكوِّن علاقة زوجية رغدة بوجود أبناء؛ ومن جهة أخرى تعتبر أنّ الفرد المرتبط بالأسرة هو فرد تابع غير مستقل مقيّد بأعباء منزلية لا تسمح لها بالتقدم بحريّة، وعليه تصبح فاعل اجتماعي يقلب الموازين على مستوى الأدوار الاجتماعية الأنثوية والذكورية، وهذا ما يؤثّر على الحياة الزوجية، تنتج تغيرات عميقة ضمن علاقة رجل/إمرأة، مؤكّدا Mouchtouris أنّ كل ما هو وارد من تطاحنات مع غياب الحوار بين الزوجين أمام غياب التواصل والتبادل الزوجي لها علاقة برغبات المرأة في محاولة التوفيق بين عالمين: عام وخاص"،[2] وكما صرّحت سيمون ديبوفوار أنّ المرأة حاليا تريد أن تعيش في وقت واحد حياة الرجل وحياة المرأة، وبذلك تتعدد مشاغلها وتتضاعف متاعبها وجهودها"[3] فتصبح انسانة قلقة ومتوترة حيث تطالب الزوج أن يعيش بنفس أسلوب حياتها ليكون رجلا وامرأة في آن واحد، إلاّ أنّها تتحفّظ بالتوصر التقليدي لمعنى الرجولة وما يقابلها من مسؤوليات يستوجب على الرّجل استكمالها في دور الأعالة، رغم أن هذه المرأة نفسها باتت عصرية متحرّرة

[1] . Kaufmann (1992), O.p. Cité, P.P.203-205

[2]. Mouchtouris Antigone, O.p. Cité, p.145

[3] . سيمون دي بوفوار (2008)، مرجع سبق ذكره، ص.ص.234-235

ومواكبة لمستجدات الحياة الاجتماعية بفضل الرّجل وتشجيعه لها، على غرار كلّ التضحيات التي قام بها من أجل الاندماج ضمن العلاقة الزوجية بحسن نيّة تخدم المصلحة العامّة: تخلى عن أحلامه في عالم الفنّ، غرق في مسؤولياته الأسرية كزوج في سبيل أسرته وأبنائه لإحداث استقرار أسري مزدوج بكل تواضع للمرأة، أعاد بناء نرجسيته بحكم التغيرات التي سنحت للمرأة الاندماج ضن المجال العام؛ إلاّ أنّ هذا التواضع وهذه التضحيات كانت لغير صالحه حيث تخلى عن قيمته كرجل، بدون وعي، في الوقت الراهن التي لا تزال المعتقدات النسوية تحمل في طياتها صفات الرجل الذي يمتلك الدعامة المادية، وله السلطة في التسيير الاقتصادي.

ولهذا يمكننا القول، التغيير لن يكون أبدا على مستوى التصرفات والأدوار الاجتماعية الاعتيادية التي تطبع عليها أفراد المجتمع، وإنما **التغيرات تكون على المستوى الذهني وما يتضمّنه من معتقدات تقليدية التي تعمل على الفصل بين الجنسين**، وإلاّ فالوضيعات والأدوار والمكانات والفضاءات الاجتماعية ستبقى قيد التقاليد رغم أنها متبدّية إجتماعيا أنها في طور التغيير، حيث يقع كلا الجنسين في فخ العلاقات التفاعلية الأسرية. فالتداخل في الأدوار لا تعتبر جزءا من تكوينهم والتي لم ينشأ عليها كلا الجنسين في المجتمع الواحد ولم يتم استبطانها.

وعليه تنوه سناء حسنين الخولي أنّه، مازال الكثيرون من الرجال يقاومون فكرة المشاركة في الأعمال المنزلية وخاصة تلك التي تقلل من رجولتهم أو مكانتهم في الأسرة كما يعتقدون.. ونجاح الرجل كزوج أو فشله يكون عن طريق الزوجة وما تحمله من اتجاهات وتوقعات من دور الرجل كزوج،[1] بعدما تقوم بتقييم الزوج بناءا على معتقدات ثقافية متحوّلة وتقويمه بمدى تمسكه للمعتقدات الثقافية التقليدية، فنجاح الرجل كزوج، بالنسبة للزوجة، يتمثل بمدى تخليه عن الخلفيات الثقافية السائدة في المجتمع، فيقوم بإرضاء زوجته؛ ولكن جلب رضا الزوجة بصفة عمياء قد تُعرّض الزوج في خطر أين تنقلب الموازين رأسا على عقب، بتغيير الأدوار الاجتماعية لكل من الرجل والمرأة، والتي تسمح بتغيير المكانات، فإذا لم تتخذ المرأة مكانتها كما هو متوقع اجتمايا فهو سيفقد قيمته ويتعرّض للإهانات على المستوى الأسري والاجتماعي، فإنّ الخفض الحاد من التصور لمكانة الزوج والتمثلات الاجتماعية للأدوار التقليدية بين الجنسين تولّد سلطة الزوجة؛ ويكون لهذه الأخيرة أثر بالغ بنجاح المرأة المهني واندماجها التام ضمن المجال العام، حيث ينتج التفاوت الاجتماعي والثقافي والمادي بين الزوجين، والذي من الممكن أن يؤدّي إلى تغيُّر مضمون العلاقة الزواجية التقليدية بتحوّل الأدوار والأوضاع أين يشعر الزوج بانحطاط القيمة الذاتية، تؤدي إلى صراعات وممارسة العنف في علاقة تأثير وتأثّر.

وعليه، يبقى موضوع الرجولة هو الخط الفاصل في قيام العنف الزوجي –كما رأينا مسبقا- حيث أنّ، من جهة، المرأة يُضغط عليها لأجل تعزيز هذا المفهوم، ومن جهة أخرى، الرجل يُقدح في شخصه إذا يُهدر هذا المفهوم.

3.3. معاناة الزوج في تأكيد دوره التقليدي: ظروف مادية تؤدّي إلى نشوب عنف زوجي

يقول محمد من مواليد 1949 حيث وضّح باختصار معاناة الأزواج حاليا مقارنة بالماضي: "قديما كانت المرا والرّاجل يتعاونوا على الزّمان يغلبوه، ولكن الآن المرا والزمان يتعاونوا على الرّاجل يطيوح"

إنّ ما هو وارد ضمن قول المبحوث أنّ العلاقات الأسرية كانت تحتوي على علاقة متوازنة تكاملية من خلال تقسيم الأدوار بين الجنسين، وغالبا ما تكون المرأة عاملة حرفية تقوم بمساعدة الزوج ماديا لتجاوز صعوبات الحياة المزرية، والتي على الأرجح كانت تتميّز بالبساطة، والبداهة في تراتبية العلاقة الزواجية. وهذا ما تبيّن لنا من حديث المبحوث رقم7:

---

[1] . سناء حسنين الخولي (2011)، مرجع سبق ذكره، ص.83.

"في المصروف كي تحتاج نمدلها.. وهي كانت تخدم الخياطة broderie ،crochet، المجبود، كانت تعاون راسها.. وكانت تعاوني شحال من الخطرة دراهمها كانوا يخرجوني من الأزمة.. حتى صياغتها باعتها كامل، مابقالها والوا، حديدة في يديها ماعندهاش في الحق من هذه الناحية الحمد الله ماخباتش عليّ"

ولكن هذا النط من الحياة قد تعرّض للتهديد مع التغيرات الاجتماعية والاقتصادية التي تسمح ببلوغ الحياة المعيشية الرفيهة والرغدة، والتي أدّت إلى زيادة المتطلبات الأسرية، جعلت الرّجل يشعر بالضغوطات لاستوفاء دوره في توفير كل ما تخبوا إليه الزوجة مادّيا وأفراد الأسرة ككلّ، حيث ظروفه المعيشية المالية لا تلبّي جميع مصاريف البيت، الأمر الذي استدعى إلى الارهاق العصبي للزوج فـ"إن سيادة الرجال تجعلهم مقيدين فلأنهم وحدهم يربحون المال ترهقهم الزوجة بمطالبها... فالمرأة تثقل كاهل الرجل[1] أين يدفعها إلى الخروج للعمل لتسانده في ظروف الحياة المعيشية، أو على الأقل تضمن احتياجاتها الخاصّة وتخفّف عنه أعباء المصاريف اليومية وتتجاوز معه المحن المادية، ولكن هذا ليس بالأمر المرغوب فيه عند كلّ النساء. هذا ما أشارت إليه المبحوثة رقم 25:

" نقول له لوكان غير ما تزوجتش معاك ندمت لي تزوجت ولي خدمت ونقوله لو كان آخر، كان قعدني في الدار وأنت خدّمتني. يشعر بالاهانة... نعايره مرات نقوله لوكان أنت تقولي قعدي في الدار.. وانا ندمت لي دخلت نخدم.. باه نعاونه في الكرية والمصروف .. بْغاني ندخل نخدم.. العمل المنزلي أنا ندير كلش، ولكن ما تغبنيش هذه"

إنّ المبحوثة شعرت بإجبارية العمل بفعل الضغط لتقدّم للزوج المساعدة المادّية؛ وبما أنّها تقوم بدورها البيتي على أكمل وجه بدون تأوُّه، وتعتبرها أنّها من مسؤولياتها المنزلية الخاصّة والملقاة على عاتقها، ترى أنّ الزوج كان عليه فعل نفس الشيئ، فهو قد زاد عبأها على عبئ، وعليه "مختلف العامِلات تعتبر أنّ خروجهن للعمل هو من سوء حضّهن في الحياة[2] مع زوج تعتبره اتكالي على حسب تصوّرها، فتتجرّأ لِمَلامتِه وإعطائه كلام قاسٍ، باعتبار أن المهام الأولية للإعالة هو الرجل وليس المرأة.

إنّ هذه القساوة التي تبرز غالبا في عنف لفظي ضدّ الزوج، ومنها ما توجّه في عنف معنوي أيضا، خاضعة تبعا لمختلف التصورات التي تراود الزوجات في علاقتهنّ بأزواجهنّ: فبعضهنّ من النساء تترجم مساعدات الزّوج المالية له على أنها مندرجة ضمن علاقة انتهازية به، تعتبره مقتحم ودخّيل ضمن موارد لا تخصّه، فتقوم بالسيطرة على مصادرها المادية، ترفض أيّ مبادءة في مساندته ماليّاً تخوّفًا من أن تسقط في فخ العلاقة الزواجية وتصبح امرأة مُغتربة في مصادرها المالية الخاصّة بها، فستندفع بعضهنّ بحسب درجة وعيها ونمط شخصيتها إلى التحفّظ بكل ما تملكه من موارد اقتصادية وماديّة، فتَمتنع من مساعدته، وإذا ما قامت بها فمن باب المبادرة الطيّبة، فارضةً عليه استوفاء دوره المعيل بصفة فردية؛ وما تملكه من رأسمال ثقافي ومالي يعتبر مجال خاص بها لاثبات ذاتها والذي يكون حاميها في ظروف قاهرة، حيث يحكي المبحوثون:

"دراهمها ما نشوفهمش ومانعرفش فاين تعملهم، تزيد تَنْتر منّي، هي غير أنا نجيب.. أنا نشري القش تع الولد أنا نمشي السوق.. بقيت نزّكر فيها، **ما بقيتش نْدخّل راسي في القضيان**: كنت نعاونها، أقضي عليها، نغسل الأواني، أنضف الموقد، نعاونها في الولد: نبدلّوا les couches، نوكلوا" (المبحوث رقم 4)

"هي أبوها يعطيها أو يعاونها بمبلغ 15000دج حوالي كل ثلاث شهور، ولا تريد مساعدتي ولو بمبلغ بسيط فأنا شهريتي لا تكفيني، ولكن يوما احتجت حوالي مليون وقلت لها تسلفني، تفاهمنا وقالت لي ماشي مشكل، وعندما حان الوقت تجاهلت الاتفاق ما عْطاتني دورو.. وهي متطلّبة.. في الأعياد تحب لبسة تع النهار الأول وتاع النهار الثاني، ليها ولبنتها !، أقول لها: أنا لو كان نبيع خزنتك نجيب لوطوا التالية.. أو نحط في حا الدار.. أنا فيّ الدّين.. normalement لاّ.. في بعض الأحيان الراجل يجد بعض الأشياء تأثر فيه.. **بزاف**

---

[1] . سيمون دي بوفوار (2008)، مرجع سبق ذكره، ص.ص.162-163

[2] . حلومة شريف، تمثّل العمل، وصورة الذات عند عاملات مصنع الالكترونيك، ملخص أطروحة الدكتوراه في علم النفس الاجتماعي، جامعة وهران، السنة الجامعية 1999/2000، ص51. نقلا عن: شارب دليلة، رسالة دكتوراه سبق ذكرها، ص.234

تُقَتْلني.. ولّيت نخبي الدراهم، لا أظهر لها لكي لا تتطلبّ أكثر ولا أُوَدِّي بنفسي إلى المشاكل معها" (المبحوث رقم 2)

حديث المبحوث الأخير يولي إلى وجود تجنّب الوقوع في المحاسبات والرهانات لكلا الزوجين، في علاقة تبادلية؛ ففيما يخصّ الزوج فإنّ تفاديه له للتماس أيّ تقديم مالي للزوجة، هذا يعني تفاديه لمشاركة المرأة في السلطة، حيث من جهة يحمي مكانته الهرمية –كما وضحنا سابقا- يحاول أن يكون هذا المجال سرّي وخاص به، لا يمكن للمرأة التدخّل فيه طالما هو الذي يستوفي المصادر الفسيولوجية وغيرها من الضروروريات والاحتياجات الأسرية، ومن جهة أخرى فإنّه يحمي جَيْبه من النفود من جرّاء متطلبات المرأة اليومية؛ وأمّا المرأة فتحمي نفسها من التبعية والتسلّط الزوجي بحكم السلطة التي منحها المجتمع له. وعليه فإنّ الرأسمال المادي هو المجال الأساسي الذي يحتمي من خلاله كل طرف من أطراف العلاقة الزوجية من الممكن أن يؤدّي إلى اضطراب الوحدة الزوجية حيث يغمرها التلاعبات الماكرة المترجمة في فقد الثقة بين فردين لهما هوية جندرية مختلفة عن الآخر، وكل منهما إلاّ ويكون الجنس الآخر الذي يستدعي الحذر منه تخوّفا من أي عنف وارد يمكن أن يستقبله أحد الطرفين من قرينه، فيمنع عليه تجاوز الأرضية المالية بعنف، غالبا ما يكون مُضمر يبرز بصفة هادئة، فتشير المبحوثات:

" من اليوم الأول خلصتي ما يخربش فيها.. ما يتكلش عليها. مراااااات كي يحتاج مانخبيش عليه.. **وأنا زعما من الأول ما مادتهالوش في يدّه**.. أنا باش نعطي له شهريتي يصرف بيها لاّ jamais.. ودراهمه ما يحطهمش قدامي مانعرفش شاراه يخلص، عمروا ما بيَّن لي" (المبحوثة رقم 16)

"مرّات نحس يحب يستغلني في الجانب المالي.. **يحب يَنْـترّ منّي،** هو في الحق قايم، نعاونوا في المصروف وكي نحب حاجة يْلبّـيهالي.. ولكن ما نحبش كي نخرجوا يقول لي شحال ريك رافدة معاك. أنا نعرف دبّر راسك. راني نمدّ لك تقريبا كامل خلصتي، **لّي نخلّيه تحتي ماكان ما دخلك فيه، من المفروض قلت له أنت تزيدلي،** déjà **قلت له مارانيش نعرف شحال موراك وشحال قدّامك،** بصّح انت ريك تحب تستغلني غير بالسّكات" (المبحوثة رقم 14)

"في الجانب مادّي ما كُنّاش متفاهمين، دايما يدخّل روحه، يقولي **ويحوّس: خْلُصتي أو ماخلصتيش؟.. كان يفرض عليّ.. أعطيني مليون سلفيلي..** واحد راه يسالي نعطيه.. **ما كنتش نحس راسي غاية.. أصبحت كي يقولي اعطيني نتنارفة مانبغيش..** هو دار الدّين يدبر راسه.. هو يتحمل العواقب.. كيما أنا كي ندير الدّين أنا نتحمل مسؤوليتي أنا مانروحش لعنده نقوله اعطيني نخلص الدين.. مين جات في هذه قلت له انا نخلص الكرية وأنت تصرف حطيت النقاط على الحروف" (المبحوثة رقم 10)

إنّ ما ثُبت لنا في الدراسة الميدانية أنّ، تصور المرأة في دعمها المادي هو قائم في نطاق الحدود، "فعلى الرغم من التغيرات الاجتماعية العديدة، مازال متوقعا من الذكر أن يكون العائل الأول لأسرته. وكثيرا ما نرى الزوجات يطلبن الطلاق من منطلق أن الأزواج عاجزون عن إعالتهن[1] وعلى استوفاء ما تخبوا إليه من احتياجات، حيث يتعرّض لضغوطات نفسية تفوق إرادته وامكانيته المادية، تقوم الزوجات بلَوم أزواجهنّ بصفة معنِّفة مُهينة لذاتهم؛ فرغم كل ما توصلت له المرأة من سموّ دراسي ومهني ومادّي، ورغم محاولاتها لتخبوا إلى نفس المستوى الاجتماعي للرجل إلاّ أنها تختزل تصورها له ضمن معتقدات تقليدية موجّهة له أحكام يومية، منتقدة شخصيّته التي لا تتطابق مع متطلّبات الرّجولة، فالمعيار الأساسي لهذه الأخيرة مرتبط بدور الإعالة.

وعليه لكي يتفادى أي نوع من الإهانات التي تمسّ شخصه كرجل يستوجب عليه البحث عن عمل إضافي لتوفير متطلبات الأسرة وتأكيد دوره في الانفاق المادّي، حتى ولو كان عمل متدنّي مُتعب وزهيد الأجر، هذا إذا ما اضطرّ غالبا لتعقيد شبكة استلاف الأموال لكي لا تتعقّد ظروف الحياة المعيشية فيؤمّن المصادر المادية للعائلة، وبالضرورة ***يؤمّن القيمة الرجولية لهذه الإعالة***.[2] فيحكي المبحوثون:

[1] . سناء حسنين الخولي (2011)، مرجع سبق ذكره، ص.ص.80-81

[2] . شارب دليلة، رسالة دكتوره سبق ذكرها، ص.52.

"امور لم أتقبلها.. **وبدات تتدهور علاقتنا للأسوء.. تفرض عليّ أمور فوق طاقتي المالية،** وما تحسنش عوني.. **نوصل نسّلف دراهم باش نرضيها**.. وإذا لم أوفر لها ما تطلبه، لا تعطيني أي اهتمام، وماتَعرفني إذا أكلت أو لا.. مشات لْدَارهُم ونَايْـفتْـــني، لم تتحمّل المعيشة معي واعتبرت أنها في الميزيرية.. **أنا سائق، إضافة أنا كورتي تع اللواطة، ونزيد مرّات نخدم عند mécanicien**" (المبحوث رقم 2)

"ما نكذبش عليك وصلت بغيت نطلّق، **خرجت غضبانة** كان عندي 2 بنات.. نقول أنا علاش راني قاعدة معاه ماراه دايرْلي والوا: ما عندي حتى حاجة معاه، يخدم مايبانش عليه. المرأة تبغي تلبس وتخرج وتاكل، واولادها نقيّن، تبغي ديرles cours لأولادها.. الرّجل الأصح لي قايم مرته مْخلّص كْريْته وضوّه وماه، مَرته في الأعراس تشْوفيها لابسة وقايمة، ودارها دار.. **والراجل يليق يقفز، عايبه في جيبه.. الراجل الخدمة لّي كاينة يخدمها**" (المبحوثة رقم9)

إنّ الزوجات وما أشارت إليه في معظم تصريحاتهنّ، تسقط رمزية أزواجهنّ لهنّ في نظرهنّ إذا فقدوا قوّامة الانفاق والتي تتوجّب أن تكون بقدر أكبر من إنفاق الزوجة؛ وكل ما بدر منها من تعنيف زوجي فقد يولي إلى ردود أفعال عدوانية وعنيفة ضدّها، غالبا ما تتدرج في إطار العنف الجسدي، وكل يواجه الموقف على حسب نمط شخصيته، حيث يخبرنا المبحوثون:

"هي تخلص أحسن منّي.. كاريين. تحاسبني، زعما سيادك عملوا الدّار.. وأنا محرّم عليها 2 صوالح ما خاصنيش يكونوا بيننا: تحاسبني على دارنا، والمقارنة مع الآخرين: **سْيادك عملوا وسيادك فعلوا وتركوا وأنت زعممممما !،** وأنا كذلك ما نقولهالهاش.. وحد النهار على كلمة "سْيادك"، كنّا قاعدين، حتى بدأت تهدر الهدرة الزايدة لي ما نبغيهاش.. !، تعرفّي !؟: شدّيتها من الكَتفين وطيّحتها على الأرض، وعْفَسْت عليها، وضربتها برجلي رْكلتها... وهي تقول لي: مَالك راك في عقلك بالنّيتك !؟. وأنا وووووواه كنت بنّيْتي، نضرب قْتَلْتَها تَعّرفي" (المبحوث رقم 12)

هذا العنف والعدوانية الزوجية والتي تجلّت في الميدان من مضمون البعد المادّي، تُثبت أنّ هذا الأخير هو البعد الأساسي الذي يستدعي نشوب العنف الأسري والذي تجلّى في الدراسة الميدانية بنسبة 39,53% (انظر الجدول رقم 8)، مؤكّدا May Clarkson أنّ "المسألة المادية تعتبر كمنبع أساسي لبروز التوتّر"،[1] وضمن نفس الموضوع تشير Bawin-Legros أنّ الظروف الماديّة للحياة الأسرية تعتبر من العوامل التي تولّد "اللاستقرار الزوجي"[2] أين يشعر أفراد العائلة بالعوز والحرمان الاقتصادي من جرّاء ظروف الحالة المادية المزرية وهذا ما يفرز الشعور بعدم الرضا فتتولد صراعات محتدمة ضمن العلاقة الزوجية يُتهّم فيها الزوج أنه هو المسؤول عن سوء الحياة المعيشية المادية الغير مقبولة حيث تُثبت معاناته في علاقته بالزوجة وأفراد العائلة ككلّ، وتستفحل الظروف العنيفة في علاقة فعل ورد فعل بين الزوجين إذا كان الزوج عاطل عن العمل.

أ. وضع الزوج المنعزل في دوره كعائل

إنّ معظم الدراسات تؤكّد أنّ البطالة تولّد ظروف مادّية مزرية تبعث الشعور بالإستياء من حياة معيشية قاسية أين كل فرد من أفراد الأسرة يعيشون حياة كاسحة يعجزون على التوصل إلى رغباتهم الماديّة، فتعتبر العامل الحاسم التي تثير العدائية اتجاه من يعتبرونه أنّه المسؤول الوحيد على هذه الظروف الغير مُرضية، ويكون الزّوج صوب الاتهامات يتعرّض للتثريب والتعنيف باعتبار أن دور الاعالة من مهامّه –كما راينا سابقا- وهو من يعمل على تلبية المتطلبات والاحتياجات الأسرية، الأمر الذي يستدعي فقد تقدير الرّجل لذاته، فيشعر بنقص في رجولته، حيث تؤكّد Komarovsky ضمن نفس المضمون أن قدرة الرجل وحقه في مباشرة دوره كزوج قد تتوقف على نجاحه في القيام بدوه كعائل للأسرة، ويؤدي الفشل الذي يتعرض له إلى أن يفقد احترامه لنفسه واحترام أعضاء الأسرة له... فإن الفشل الاقتصادي للرجل يؤدي إلى تدهور قيمته في نظر الأسرة وبالتالي تقل سلطته... فالبطالة تؤدي إلى عدم الاحترام الضمني للزوج أو زيادة العدوان الموجه نحوه... انكار وجوده،

1. May clarkson, O.p. Cité, P.29
2. B. Bawin-legros, O.p. Cité, p.29

وإغفال خدماته اليومية وتوجيه النقد الجارح له أمام الاطفال.. وعدم المبالات بالنسبة لرغباته.[1] يشير المبحوث رقم 1:

"تْعايرني بالفشل تاعي.. خدّام ولكن المدخول ضئيل، **بغيت نوصل بعيد ولكن دايما أتراجع**، ماعندي مانقول لها.. جيب الهدرة في الصواب.. أنا الفشل تاعي هو لي يخليني نتعصّب.. ونضربها"

إنّ عدم تقدير الذات في علاقة الزوج بالزوجته، والشعور بالنّقص وارد من جرّاء إثبات المرأة لمكانة زوجية هرمية بتفوّقها المادي ومدى امتلاكها لرأسمال اجتماعي في غور العلاقات المهنية ضمن المجال العام يسمح لها بالتحكم في حياتها الخاصة بجدارة، أين يشعر الزوج بالخجل من نفسه، وهذا الشعور إذا كان له أثر بالغ في نفسيته قد يلجأ إلى العنف وتفريغ توتراته على الزوجة، فـ"الهوية الذكورية تركّز أساسا على قيمة العمل. البطالة يمكن أن تضعضع مكانة الرجال في قلب الأسرة، خاصة الذين لم يتحصلوا على رأسمال دراسي. فدوره الأساسي يتمثّل في تموين المصادر المادية،[2] فـ"إذا لم تكن للزوج عدد من المصادر يفوق المصادر المتاحة للزوجة لكي يبرر شرعية اكتسابه المكانة فإن احتمال استخدامه للقوة ضد الزوجة غير بعيدا أين يلجأ للعنف نتيجة شعوره بالإحباط والعجز وعدم قدرته على القيام بالأدوار المتوقعة منه اتجاه أسرته[3]، وعليه الرجل لا يُضهر ضعفه من الناحية المادية، ولكن يؤكّد ذاته من الناحية المهيمِنة، فقد يأخذ لها أموالها عنوة بفعل الضغط، أو قد يُنكر عرفان مساعدتها له ماديا –كما رأينا مسبّقا- ويزداد شعوره بالاهانة كلما منعت المرأة عنه مالها، مُثبتة له أنها الطرف الأمثل وبدونها لا يستطيع استوفاء دوره، حيث تنبع ردود أفعال زوجية عنيفة متناوبة؛ وعليه وبناءا على التصورات التقليدية لأدوار المرأة والرجل يقع النزاع وتبرز المشاجرات بين التقليدي والحداثة من حيث الأدوار الاجتماعية الجندرية أين أعضاء الأسرة الواحدة يعجزون عن استوفاء الضروريات الخاصة لحياة هانئة.

تحكي المبحوثة رقم11:

"طفرت فيّ لا والدين لا دراهم لا صحة.. والوا.. **نقوله مادرت لي والوا**. يستعرف... أنا ندير كلش، نقوله مادرت عقايب مادرت دار والوا.. **هو غير مكسّل**.. ما يخدمش كراعه مقطوع؛ **ماخدمش كي كان بكراعه يخدم دروك !.. نقوله بعتلي رزقي صوالحي كلش** ما خليتلي والوا ذهبي باعوا كنت صغيرة يقولي اعطيني راني مستحق نعطيه كنت صغيرة مانعرفش.. أنا ويّاه ندابزوا.. **أنا نبرد فيه الزعاف وهو تاني يزكي يبرد فيّ الزعاف**.. إيا بنتي تقوله حسن لها عاونها مغبونة ماكانش لي يجيبنا ناكلوا... بغيت نخدم في الديار ولكن مين مريضة بكراعي يحرثوا علي، راني نخدم عند Privé"

وما تبين لنا ميدانيا، أنّ هذا العجز المادي يمكن أن يكون نتاج لعجز فسيولوجي بداعي المرض يولي إلى البطالة، رغم أنّ هذ العجز الأخير -في الحالة الأخيرة التي مرت معنا- لا يمكن أن يكون حُجّة للنكوص عن تحمّل المسؤوليات الأسرية، أين في زمن وفي ظروف ماضيةكان للرجل كلّ القوة، يملك الصحّة الجسدية ليتحمّل مسؤولياته الأسرية ولكنه تخلى عن استوفائها في مرحلة استند فيها على الزوجة بفرض سلطته، فالزوج تدفعه مكانته السلطوية إلى السيطرة والتّسلّط على الزوجة لفرض وجوده ضمن العلاقة الزواجية، يسلبها مالها وجهدها، وقوّة عملها، فيقوم بتعنيفها لاستكمال معايير الرّجولة بفعل الهيمنة وإعطاء صورة لذاته في نظر الآخرين بجيبه المملوئ بممتلكات الغير؛ وفي اليوم الذي يفقد صحّته البدنية والجسدية، سيفقد جبروته وسطوته التي تؤهّله إلى ممارسة الهيمنة الذكورية، منتظرا من المرأة التضحيات لإعالته وإعانته ماديا ومعنويا، حيث بات رجل مهزوم ومهزول أثّر عليه الوهن و"أصبح غير ذي فائدة على الاطلاق بفقد عمله لسبب كبر سنه، لكن المرأة تحافظ على الأقل على ميزة إدارة البيت، وهي ضرورية لزوجها في وقت لم يعد يقدم لها أية خدمة، وحينئذ تستمد المرأة من حريّتها نوعا من الكبرياء فتنتظر لأول مرة بعينيها لا

---

[1] . محمود حسن، مرجع سبق ذكره، ص.ص.69-71

[2] . De singly François (1993), O.p. Cité, P.115

[3] . منير كرادشة، مرجع سبق ذكره، ص.57

بعيني رجل أحلامها، فتكتشف أنها كانت طوال حياتها مخدوعة،[1] فتنهدر شخصية الزوج أمام الزوجة والتي تكون لها السلطة في فضّ العلاقة الزواجية، يكون تحت رعايتها وإمرتها فيزيده الوضع تأزّما. تعبّر المبحوثة رقم 17:

"كنت عارفة بلي الخدمة عيانة عنده.. مرات نكره نقول نقطّع ليفري ومرات نستغفر.. تبَّردي: تقول علاه أنا راني قاتلة في روحي، نخدم عليه، وقايماته... لو كان غير يدخل يخدم نريح"

ضمن نفس سياق الموضوع تشير Komarovsky أنّ البطالة تؤدي إلى تحرر الزوجة جزئيا أو كليا من سلطة الزوج الرسمية. وفي بعض الاحيان تتحول العلاقة إلى نقيض تماما وتتغير سيطرة الزوج إلى خضوع كامل؛[2] وعليه فإنّ كل التصنيفات الجنوسية من حيث المكانات والأدوارا وتقسيم الفضاءات وغيرها من المميزات التي تحدّد معنى الذكورة والأنوثة والتي حيكت عبر التاريخ من طرف ثقافة الأواصر هي قابلة للتغيير، ولكن ليست من الضرورة أن تكون مقبولة اجتماعيا، حيث المعايير التي تضبط العلاقات الجنوسية مترّسخة في الأذهان ولا يكون التغيير إلاّ بتغيير الذهنيات التقليدية -كما رأينا سابقا- فالرّجل من الممكن أن يكون له دعم في إرساء مسار مغاير للمرأة مخالف لما هو تقليدي، إلاّ أنّ المرأة لا تزال تحمل في طياتها توقعات وانتظارات مرتبطة بالدور التقليدي للرّجل، بحكم معتقداتها أنّ "الرجل خُلق للعمل، وينبغي له أن يناضل وينتج ويبدع ويسمو بنفسه نحو كلية الوجود،[3] وهذا يبقى العامل الحاسم الذي يؤدّي إلى تعريض الرّجل للعنف إذا لم يستوفي بدوره كعائل على أكمل وجه ويتوصّل لاستكمال انتضاراته المتقوعة منه من طرف الزوجة أين سيفقد قيمته في علاقته بالزوجة، وعليه سبقى المجال المهني من المجالات التي تثبت توفوّق الرجل اجتماعيا وماديا فإذا ما حاول التأقلم مع التغيرات وسمح بتغيير الأدوار والمكانات وغيرها من المعايير التي تحدّد التصنيفات الجنوسية الاجتماعية فلا يمكن أن يضمن الزوج مكانته الاجتماعية العامة وقد يتعرّض لنفس الضغوطات، وعليه فإنّ "**العمل بالنسبة للرجال *مجال التفوق الذكوري في السجل الأبوي*...** وما على الرّجل إلاّ أن يثبت رجولته من خلال العمل أساسا[4] حتى ولو كان في فترة تقاعد، مشيرة المبحوثة رقم 4 في حديثها: "راجلي كذلك خرج تقاعد، ولكن راه يفتّش على عمل ينشغل به نفسه، **الدار ما شي مليحة للراجل**" فـ"العمل والمال الذي يجنيه الفرد من الخارج هو خاص بالرجل وله معنى للرجولة،[5] الأمر الذي يؤدّي بالرّجل إلى الاندماج التام للمجال المهني وإرساء روح المسؤولية المنزلية للزوجة.

- **مسألة التفوّق المادي مرتبط بمسألة التفوق المهني للرّجل:**

تشير المبحوثة رقم 14: "زوجي همه الوحيد أن ينجح في عمله... يظل يخدم ويكنتر غير باش يبان في ميدان العمل، أنا نخدم غير بالسيف، ونقرا غير بالسّيف... حتى نموت بالغيرة منّه.. هو غير يخدم وأنا علي الدار والمارشي والتربية"

وتحكي المبحوثة رقم 4: "زوجي مدير بنك ونجح ولكن همه الوحيد العمل وأنا كنت رافدة الدّار، حتى البنيان انا بنيت وقابلته حجرة بحجرة.. راجلي عاوني ولكن كان في وهران وأنا كنت في تلمسان.. عاوني ليس بدرجة كبيرة.. أنا كنت نخدم beaucoup plus عليه.. القراي ماكمّلتش.. والخدمة كذلك كنت كل مرّة نخدم ونعاود نتوقّف.. أنا كي زوجت راجلي كان في البويرة قعدت معاه كذلك سنتين في الدار، وكي مشيت لغيليزان صبت خدمة تماك خدمت.. ولكن بعد ولادة الطفل.. رفدت des mois de congé"

لقد عبّر المبحوثات عن إحتناقهنّ اتجاه الزوج المندمج تماما ضمن المجال العام، تشعر بالغيرة منه إذ تعتبره ذكر غير مقيّد بضغوطات اجتماعية، متحرّر من واجباته الأسرية، وهي لا تزال مقيّدة بأدوار مستوجبة عليها ومفروضة عليها اجتماعيا مع استوفاء دور الأمومة، وعليه تجد

---

1. سيمون دي بوفوار (2008)، مرجع سبق ذكره، ص.213
2. محمود حسن، مرجع سبق ذكره، ص.ص.69-71
3. سيمون دي بوفوار (2008)، نفس المرجع السابق، ص.136
4. شارب دليلة، رسالة دكتوراه سبق ذكرها، ص.ص. 264- 227
5. Lahouari Addi, O.p. Cité, P.134

الزوجة نفسها في مسؤوليات متعدّدة ومتتالية تطوّقها على الغوص في غور العلاقات الاجتماعية تشعر بإعاقة حيث يستنفذ وقتها الأغلب في مسؤولياتها الأسرية زيادة على تحمل مسؤوليات الزوج –كما رأينا سالفا- ولا تستطيع أن تتوصل لما تطمح إليه من نجاح مهني و/أو دراسي مما يزيد توتّرها وقلقها، فمهما أنّها توصّلت إلى قدم التفوق بمحاداة الرّجل ضمن المجال العام إلاّ أنّها لا تزال الضروريات الأسرية تَستبعدها من المحيط الاجتماعي مقارنة مع الرّجل حيث ***يبقى تحرّرها ما هو إلاّ ظاهري*** كما أوردت سيمون ديبوفوار أمام ***الرّجل المستقل والغير مكبّل الأغلال إلاّ ظاهريا*** كذلك، فكلا الزوجين يتحملان وطأة الزواج بصفة مشتركة، وإذا قلنا إن الرجال يضطهدون النساء ثارَ الزوج غاضبا لأنه يحس بنفسه مضطهدا هو كذلك في الواقع؛ إن المجتمع الذي شيده الذكور في مصلحتهم قد حدد وضع المرأة بصورة صارت في الوقت الحالي مصدر عذاب الطرفين.[1]
يخبرنا المبحوثون مؤكّدين معاناتهم المهنية وظروفهم الأسرية:

> "نخدم بزّاف حتى بعد أوقات العمل.. مرّات في الليل نروح للعمل لما يكون مشكل.. وهي ما تحبش، تقعد تتقرش وطيّح لي morale. **نقول لها ماريكش حاسّة بيّ**.. بالسيف عليّ: أولا مهنتي كمسؤول تتطلب ذلك، وإلاّ أضيّع المنصب تّاعي، عانيت باش نوصل ونتفوّق" (المبحوث رقم 45)
> "أنا نجحت مهنيا، ولحد الآن راني في نجاح مستمر... أقوم بالمستحيل لأنجح" (يخبرنا رقم 7)

"قد تبيّن من الدراسات العديدة التي أجريت حول مكانة الرجال أن الرجولة تكون أساسا ثمرة العمل، ويدخل في ذلك الأجر الذي يحصل عليه، والهيبة التي تكون لوظيفته والمكانة التي تمنحها له في المجتمع المحلي، بالإضافة إلى الأشياء المادية التي يكون في إمكانه شراءها والحياة المناسبة التي تستطيع أن يوفرها لأسرته،[2] وعليه فإنّ الرّجل يتوجّب عليه الاتجاه نحو التفوق المهني مهما كلّفة الأمر حيث كلّما ارتقى مهنيا سيرتقي ماديا ومعنويا، فعذاب الزّوج بفقد مهنته له وقع حاسم يؤثّر عليه نفسيا واجتماعيا أكثر بكثير من عذاب المرأة، ولكي لا يتعرّض لهذا الشّعور سيقوم بتفويض مهامه الأسرية إلى الزوجة، أين يؤكّد رجولته في المجال المحدّد له اجتماعيا، وعلى الأجدر سيكون ذلك باندماج قوي ضمن المجال العام، وهذا ماقد يؤدّي إلى نشوب صراع بين الزوجين أين الزوجة لا تطيق مسؤولياتها المزدوجة إذ لا نقل الثلاثية منها بصفتها موظّفة في سوق العمل، وربة بيت ومعيلة تتحمل أعباء المستلزمات المادية والفسيولوجية ضمن المجال الخاص، إلى أن تفقد التقدير لمعاناة الآخر.

يؤكّد Chantal Nicole-Grancourt في نفس سياق الموضوع أنّ الرّجل هو عكس المرأة يجنّد أسرته ليضمن نجاحه المهني، وهذا ما يولّد السخط وما ينشب عنه من صّخب وضوضاء، أين تحتج النساء وتثور على الوضع بوجود قيود أسرية والمتمثلة عامة في توزيع المهام العائلية بين الزوجين،[3] هذا على غرار من الرّجال الذين لديهم مسؤوليات اتجاه العائلة أين يكون مجال مشترك بين أسرتين في دوره كابن وكأب وزوج يكون طرف وسط يتوجّه إلى مواجهة عنف نفسي بفعل الضغوطات ضمن علاقات التفاعل الأسرية –كما سنرى في الفصل الرابع- فـ"بعد الارتباط الزوجي، مباشرة، الرجل يتّخذ مكانة العائل الأساسي[4] في الأسرة النووية، وأما في السكن الأبوي فيساعد الوالد في نصيب مالي يُثبت من خلاله أنّ زوجته وأبنائه من مسؤوليته تحت رعاية الأب الذي يتّخذ مكانة سلطوية مادية في النظام الأبوي. وغالبا الكل ينتظر منه استوفاء دوره المادي الأسري، فيظطر للعمل أكثر والقيام بواجبات تفوق طاقته. يحكي لنا المبحوث رقم 45:

> "في السنوات الأولى للزواج، كنت نخدم ليل ونهار.. مراتي كانت قاعدة بدون عمل، وكنت انتظر مولود.. وكنت عايش في دارنا خاص تمدّ المصروف.. فإذن لمدة ثلاث سنوات تقريبا نخدم بعد ساعات العمل حتى منتصف الليل أو الواحدة ليلا عند واحد عنده محل تجاري.. كنت مضطر.. المسؤولية كن أو لا تكن!"

---

1. سيمون دي بوفوار (2008)، مرجع سبق ذكره، ص.162.
2. سناء حسنين الخولي (2011)، مرجع سبق ذكره، ص.97
3. Kaufmann Jean-claude (1992), O.p. Cité, P.136
4. Welzer-Lang D., Virilité et virilisme dans les quartiers populaires en France, C.p., P.8

إنّ ما أورده المبحوث في حديثه يوضّح جليا معايير الخضوع للواجبات الاجتماعية العائلية المرتبطة بمكانته الرجولية، فـ"كُن أو لا تكُن" هذا يعني أن تكون رجلا أو لا تَكن، فـ"لا يليق للرجل أن يعمل سُويْعات ويعود للبيت... مطلوب منه أن يتصرّف في كلّ الأوقات المتاحة (الرسمية والغير رسمية)، من أجل إعالة أسرته،[1] فيتّصف بقيم الرجولة، حيث هذه الأخيرة تمثل "سمعة الرجل وشرفه... شرف العائلة... يحاول أن يكون على أهمية هذا الإسم، ليستحق شرف حمله،[2] حيث يكون في وضع ضاغط ومضغوط عليه.

يوضّح Pascal Molinier أنّ هذه الضغوطات ***تثقل كاهل الرجولة***، *سواءا تعلق الأمر بالمدة المحددة للمسار المهني، أو بتسجيل التواجد كإسم معلوم* مهما كلّفة الأمر، ويبقى... مطالبا بالظهور في المواقع أو الفضاءات التي تغلب عليها صبغة ذكورية.[3] مما يمكنه أن نقول أن الرجل يعاني مثلما تعاني المرأة أين كل طرف إلاّ وله التزامات وواجبات اتجاه العائلة ككل، وعبئ الرجل أكبر في الالتزام بالمحافظة على معايير الفحولة ويكون ذلك إلاّ بالنجاح المهني، ويعتبر "**البعد الجوهري للرّجال** والذي يظل بعدا هاما في التشكيل الإجتماعي لبناء هويتهم الذكورية"،[4] ويبقى دور المرأة في المجال العام دور ثانوي أين تقوم بمساعدة الزوج فقط، وهذا بناءا على تصوّرها التقليدي لمعنى هذه الذكورة والتي لا تزال راسخة في الذهنيات النسوية حيث في أي وقت وفي أي لحظة يمكن ان تطالب بالمساواة وفي نفس الوقت تطالب بضرورة تحمّله مسؤولياته كمعيل بحكم ان هذه الإعالة المادية ليست من مسؤولياتها فترفض مساعدته –كما وضحنا سالفا- فالزوج لما تغيب سلطته تغيب قيمته أين تتجنّد الزوجة لممارسة العنف ضدّ الزوج "فالعنف ضد الرجال موجود كذلك ويتطلّب العناية"[5] والبحث فيه، والتنظير له بعد التغيرات الاجتماعية وارتقاء وضع المرأة في المجتمع، حيث قيمة الزوج مرتبطة بمتغير السطة المادية التي تسمح له باتخاذ مركز المهيمِن، كما ينوّه Welzer-Lang أنّ الرجل العظيم، والذي له مكانة قيّمة هو الرجل الذي له عائد مادي... وله السلطة... وبتضاعف هذه الامتيازات تتضاعف مكانته التراتبية في عالم الرجال فتتعزّز رجولته"[6]

يرى الكثيرون أنه قد ظهرت وجهات نظر عديدة تؤكّد أن الرجل المعاصر أصبحت لديه مشاكل عديدة تتعلق بتعريف المركز، وتحديد الوضع وخاصة عندما تحدث تغيرات اجتماعية تؤدي إلى اضطرابات في الأدوار التقليدية وفي التوقعات المتصلة بها، وهذا ما يؤدي بالتالي إلى ظهور تعريفات جديدة تتلاءم مع الظروف المتغيرة،[7] ويبقى النجاح أو الفشل في العلاقة الزوجية مرتبط بتوقعات وانتظارات الدور لكل طرف منهما، موضّحا De Singly أنّ "دوام العلاقة الزوجية لا تكون لها قيمة إلاّ إذا القرين يواصل استوفاء أدواره وإحراز رضا الآخر بجلب السعادة المتوقعة للأسرة[8] أين تتحدّد مكانة المرأة المثالية والرجل المثالي على أساس المستجدات الاجتماعية العامّة، والتي تختلف معطياتها على حسب اختلاف نمط العلاقة بين الزوجين ونمط شخصية كل امرأة في الوقت الحالي رغم أنّ معظمهنّ يطمحن في علاقة زوجية تكاملية في مجتمع لا يزال مقيّد بمعتقدات ثقافية تقليدية لمعنى الذكورة والأنوثة.

V. الهوية الجندرية في أزمة

إنّ كل ما يثير حنق المرأة والرجل في ظل التغيرات الاجتماعية العامة مرتبطة بالدور وتوقعات الدور ومدى قدرة الفرد على استوفاء كل ما هو منتظر منه في المكانة التي يحتلها ضمن

---

1. أنظر شارب دليلة، رسالة دكتوراه سبق ذكرها، ص.ص.265-269
2. الفيلسوفة المغربية نادية تازي، "حوارات ومقالات". عن: زيان محمد، مفهوم الرجولة ونزعة العنف ضد المرأة في الجزائر، المجلة المغربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، سبق ذكرها، ص.146
3. شارب دليلة، رسالة دكتوراه سبق ذكرها، ص.281
4. شارب دليلة، نفس الرسالة، 281
5. Revue de l’union nationale des associations familiale, Réalités: violences conjugales, C.p., P.33
6. Welzer-Lang D., Virilité et virilisme dans les quartiers populaires en France, C.p., P. 9
7. سناء حسنين الخولي (2011)، مرجع سبق ذكره، ص.97
8. De singly François (1993), O.p. Cité, P.111

البنية الأسرية، والتي تثير بالتالي علاقة مضطربة بين الزوجين أين يصبحان كلاهما مضطهدان، حيث كلاهما يبحثان عن توجيه الآخر بما يناسب معتقداته ومبادئه الخاصة بفعل الضغط وفرض الفروض والتي كوّنها في مجتمع متغير –كما رأينا سالفا في نطاق هذا الفصل- حيث يعمل كل زوج على الحدّ من نسبة حرية الآخر؛ ولكن كل توجيه وإلاّ ما يدخل في نطاق الأوامر والتي قد تكون مقبولة من طرف، ومرفوضة من طرف آخر، يأبى كل منهما الخضوع لمعتقدات الآخر، وبحكم العلاقة الهرمية البديهية بين الجنسين، يدخل الزوجات في علاقة صراع أين النظم والقيم الثقافة الاجتماعية السائدة تكون محل خلاف واختلاف تثير المشاكل والتوترات، والتي قد تستدعي في آخر المطاف ممارسة السلوكات العدوانية في علاقة فعل ورد فعل أين كل زوج يمارس العنف نحو قرينه، وهنا تختلف أشكال العنف باختلاف مظاهره وشدّته، وباختلاف الانتماء الجندري لكل زوج، أين تصبح الهوية الذكورية والهوية الأنثوية في أزمة، حيث التصورات الاجتماعية لمعنى الذكورة والأنوثة لا تزال راسخة في ذهنيات أفراد المجتمع الواحد.

يعتبر Fabio Lorenzi-Cioldi أنه لا يوجد إلاّ الهويات الاجتماعية (الشخصية والجماعية) والتي تُعبّر بصفة مختلفة باختلاف الجماعات الاجتماعية التي ننتمي إليها، حيث أن الهوية الفردية تتحدّد إلاّ من خلال المجتمع، لا يوجد معارضة بين الهوية الفردية والهوية الاجتماعية، ولكن رغم أنّهما هويّتان متباينتان إلاّ أنه يتوجّب النظر إليهما في آن واحد؛ ويستطرد Lorenzi-Cioldi ضمن نفس السياق على أنّ منطق الهويات تراتبي ويعتمد على الهرمية الاجتماعية[1] ولا يمكن فهم العلاقة الزواجية إلاّ من خلال مضمون هذه الهرمية المستوحاة من الهوية الجنسية لكل زوج.

1. علاقة زواجية تستدعي إعادة النظر في الهويات التقليدية

إنّ العنف الزوجي الوارد في الوقت الآني يعتبر عنيف تبادلي بين الزوجين عقب التغيرات الاجتماعية العامة أين تجلّت فيها مناهضات ومقاومات بين من يريد تغيير نمط العلاقة الزواجية التقليدية، وبين المتمسّك بنظم القيم التي تضبط هذه العلاقة، وعليه الشقاق الزوجي يتزايد ويتوضّح جليا إذا حاول كل طرف المساس بالهوّية الجنوسية للقرين، أين سيثبت تغيير النظام البنيوي للأسرة؛ وكما يؤكّد ضمن نفس المضمون Kellerhals باختصار وبكل وضوح أنّ "من العوامل الأوليّة التي تولّد صعوبات في التوافق الزوجي مرتبطة بالبعد الثقافي والذي يحيل التفاهم بين الزوجين في: قضيّة المساواة والواقع الذي يعترف باللامساواة؛ التطلّع نحو الفردانية وخاصية الاندماج الزوجي، التوجّه نحو التغيير أو اللجوء إلى الاستمرارية. أما العامل الثاني فهو مرتبط بمسألة معيار التبادل، أو مبدأ الإنصاف ضمن العلاقات الزوجية أو الأسرية في كل الموارد، سواء المتعلقة بالمال أو الوقت، العواطف، والجهد العضلي... ومبدأ العطاء مهمّ والخالي من المحاسبة... والعامل الثالث يتمثّل في غياب المعايير التي تضمن التوازن العلائقي؛ غموض الأهداف التي توجّه بصفة حتمية اختيار الأدوار، الروتين، والحدود؛[2] فتختلف كل هذه التوجهات باختلاف درجة تقبل التغيرات الاجتماعية العامة ومدى حدود تلقيها وتطبيقها أين يجابه كلا الجنسين للتوصل إلى إحراز علاقة زوجية سيستيمية متكاملة تجلب الرّضا لكلّ منهما، فيتوافقان على نظامٍ معيّن؛ ومن بين المبحوثين الذين آشاروا إلى نوعية العلاقة الجيّدة -في الجدول رقم 5- والتي تمثّل 29% من جل المبحوثين -كما يتوضّح في التمثيل البياني أسفلا- صرّحوا بأنّ هذه العلاقة لم يتوفّق لها الزوجان إلاّ بعد فترة من الزواج والتي قدّرت مابين 10 سنوات إلى 15 سنة على حسب تصريح المبحوثين، وبَعد معاناة في البحث عن التوافق الزوجي:

"باش والفت ديك العقلية تعها غير بالسيف، تنجم تقول بعد 15 سنة باش قلت خلاص هي كيما هاك.. وأنا غير منقوز منها، حتى لي تقبلت عقليتها والفتها.. هي trop nerveuse، ولكن نعاود نشد روحي، وتقبلتها،

[1]. Tostain Manuel, C.p., p. 347
[2] . Kellerhals Jean, O.p. Cité, P.p.109-113

علاش ماشي المرا لي تشدّ الحقد أو تحوّس ضرّك أو بتحب تغّبنك.. حتى هي عانات باش والفتني ماشي من جيهتي ريك عارفة تضارب الأفكار" (المبحوث رقم7)

"صبت مشاكل باش نتعوّد خاصة مع الزوج... تلقيت صعوبات باش يفهمني ونفهمه حتى لي تعودت عليه.. بعد عشرة شنوات هكذاك" (المبحوثة رقم 12)

"باش العلاقة ولات جيّدة تنجم تقول 12 سنة.. هو باش تقبلني وتقبّل عقليتي بشحاااال" (المبحوثة رقم 14)

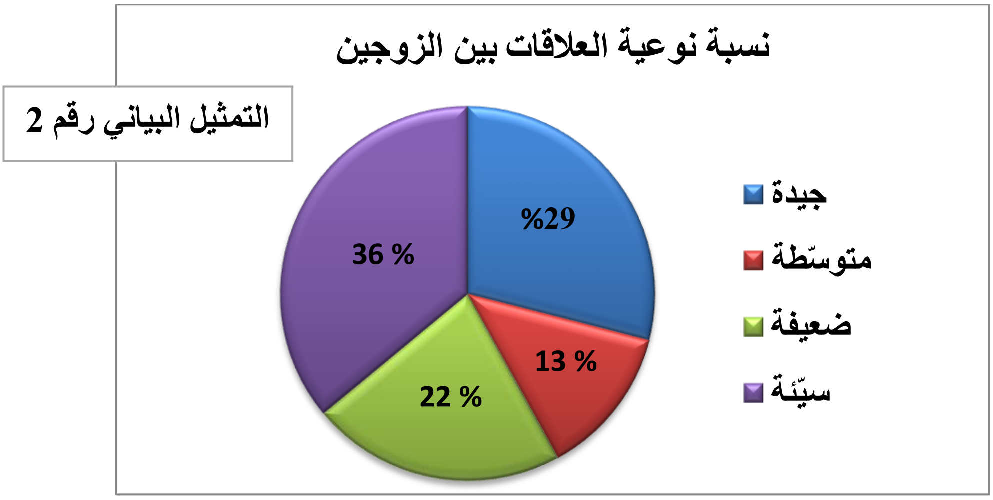

إنّ العلاقة الزوجية في مدّة يتخللها اضطرابات مستمرة إلى أن تستقرّ، ولكن هذا الإستقرار لا يعني التكافؤ والتوافق المطلق وإنّما توافق ضمني لخفض حياة الصّخب، موضّحة سناء الخولي أنّ هذه الحالة "يكون على الشريك أن يحترم وضع الآخر ويسلم به دون الموافقة عليه أو التوافق معه، ويطلق على هذا النمط "**الموافقة على عدم الاتفاق**"... لا يحدث في جميع مراحل الزواج، بل إنه يحدث في مرحلة متأخرة منه... ويصبح الخضوع للأمر الواقع أمرا لا مفر منه"،[1] حيث نمط العلاقة تبقى غير مقبولة ولا تستدعي الشعور بالرّضا، والرّضوخ للأمر الواقع يعني إمّا الرّضوخ للبديهيات ضمن علاقة قوى بين الجنسين، أو تقبّل التغيير بدون الرّضا عنه، ولكن كيفما كان نمط هذا التوافق فهو يثير نوع من الهدوئ العلائقي، أين العلاقة الزوجية المضطربة على الأرجح يعاد بناؤها بعلاقة جيّدة ضمنيا ومظهريا على الأقل، وإلاّ فقد تسوء العلاقة بينهما أكثر ويحتدم الصراع إلى حدّ الانفصال والطلاق أين تغيب كل الشروط التي تستدعي إلى بناء علاقة منسجمة فتسقط رمزية العلاقة الزوجية وما يتضمنها من رمزيات تثبت الهويته الجندرية للقرين ومعاييرها المُعترف بها اجتماعيا –سواءا للمرأة أو للرجل-

1.1. الأنوثة في أزمة: امرأة رافضة معايير الرجولة التقليدية

تحكي المبحوثات:

"الحماة وأهل الزوج والزوج كلهم مسيطرين عليّ.. من شدة أنني تلقيت العنف حتى أن البكاء لا يعني لي شيئا. مارانيش نبكي كيما كنت، كنت نبكي في السنة الأولى من الزواج حتى سنة ونصف، وبعدها ما يخرجوليش الدموع نبكي ولكن نادرا جدا" (المبحوثة رقم 2)

"ما نبكيش facilement، وهو كي كنت نبكي في بدايات الزواج، يزعف ويزكّي **ويقولي بالزّعاف: علاش ريك تبكي؟ !، ماراني عاملك والو**.. يحبّسلي الدمعة في النصّ، وdéjà البكى بدأ تدريجيا يقلّ وحتى الدموع ما يخرجوش غير بالسّيف" (المبحوثة رقم 14)

من تصريحات المبحوثات يتبيّن أنّ النساء باتت وأصبحت تحمل بعض المميّزات التي هي على الأرجح مميّزات الرّجولة، فهناك من النساء من تعتبر أنّ الدموع لم تعد لها مقامة في حياتها من شدة الضغط الذي تعرضت له في تنشئتها المتأخرة عقب حياتها الزواجية في علاقتها بالزوج –وأهله

[1]. سناء حسنين الخولي (2011)، مرجع سبق ذكره، ص. 189

عامّة- وهنا يظهر الاختلاف بين الجنسين، فالرجل يُضبط من ذرف الدموع من الطفولة كمعيار أساسي للرجولة والقوامة الذكورية، ولكنّ المرأة من شدة القهر عن وضعها وظروفها الأسرية الصاخبة عُرِّضت أنوثتها للتحوّل بفعل التعنيف، إلى أن جَفّت دموعها بعدما أهدرتها في مرحلة أصبحت فيها إمرأة صلدة بإرادتها وليس رضوخا لمعايير اجتماعية تُكبِت رغبتها في البكاء، حيث "أصبحت الأنوثة لا تكفي لتعريف المرأة"[1] بعدما صقلت شخصية مجابهة لكل من يناقض معتقداتها، خاصّة في علاقتها بالزوج الذي لم يجلب لها الرّضا النفسي أين تعرّض للتعنيف.

تخبرنا المبحوثات:

" ولّيت نخمم بزاف وليت نسوفري.. **الراجل ماجاش كيما لي كنت باغية**.. كي نزكي ونعايره... هو يتعصّب، ما يبغيش، ما يبغيش، يزعف يخرج ويخليني، يروح للجامع أو internet." (المبحوثة رقم 18)

"فهو غالبا ما نحس بلي أنا راني قاهراتَه، خطرات يشفني.. أنا نفضفض.. هو تع سياسة **وأنا !!!.. بغيت يقفاز**" (المبحوثة رقم9)

"نولي تقريبا مفترسة، كي نزعف على راجلي**.. يْنارفيني حبّيت غير يفهمني.. نعااايرو**.. يقول لي كلام قاسي.. مثلا خطرة قالي أنت فيك سبع (7) أرواح.. وتينا الجنون يخافوا منّك" (المبحوثة رقم 14)

"يقول لي كلام يغيضني.. خطرة قالي أنت وحش.. **نْدافع على راسي ونعطيه الكلام** مانخليلهش.. لا أجلس معه، **أعطي لنفسي عنوان لديّ رأيي**، ليس لأجلك نقعد ونحب الحاجة بالسيف، **هكذا يعرف بلي عندي أفكاري الخاصّة**" (مبحوثة رقم1)

إنّ الأنوثة المتميّزة بالضعف والرزانة والهدوء، أصبحت لها صفات تثير مواقف العنف ضدّ الزوج حيث تغيّرت طبيعة سلوكياتها إلى العدوانية الحيوانية كما ورد في تصريحات المبحوثات من مفاهيم تصوّر لنا مضمون المرأة الأنثوية بجسد حيوان وحشي مفترس خامِد له رأس انسان « le sphinx »[2] تفقد بالتالي الزوجة معايير أنوثتها في التصرفات السلوكية والكلامية في مواقف يتعرّض فيها القرين لسوء المعاملة، حيث يستقبل عنف لفظي والذي برز بنسبة 19,05% أين تصارحه باتجاهاتها نحوه بطريقة كلام معنِّفة (أنظر الجدول رقم 23)، تريد بذلك إثبات ذاتها ضمن علاقتها التفاعلية بالزوج، وإعطاء لنفسها مكانة إيجابية منتقدة هويتها التقليدية في علاقتها بالزوج، والتي على الأرجح ما هي إلاّ مواقف نَفي لهوية الزوج التقليدية في نفس الوقت، أين تكون في **"وضعية الإكراه المزدوج"**، وهذه الوضعية على حسب بورديو خاصّة بالنساء الطامحات في بلوغ السلطة حيث: إذا ما تصرّفن مثل الرجال فإنهن يعرضن أنفسهن لخسارة الصفات الملزمة "للأنوثة".. وإذا ما تصرفن تصرّف النساء، فإنهن يضهرن عاجزات وغير متكيّفات مع الوضع،[3] فما عليهنّ إلى إعادة بناء هويتهن بمعايير جديدة، تحاول في نفس الظرف إعادة بناء شخصية الزوج بما يناسب معتقداتها. ستتطاول عليه، وترفض سطوته الذكورية بعدما تعي و"تكتشف أن الذي أمامها ليس قائدا أو سيدا بل رجلا ولا ترى أي مبرر لقبول العبودية، وأحيانا تخضع ظاهريا إلا أنها تدخل غالبا في خصام.. إنها تناضل ضده لتدافع على استقلالها وتحارب بقية العالم لتحارب الوضع الذي ينذرها للتبعية. إن هذا اللعب المزدوج صعب، مما يفسر حالة القلق والتوتر العصبي للنساء طيلة حياتهن[4] والذي يثير عدوانيتها وهذه الأخيرة ماهي إلا من علامات الضعف الذي تشعر به أمام الرجل وكأنها تريد بعث صداها له وتتغلب عليه، وتقوم بإيصال فكرة **خرق السموّ الذكوري وكسر النرجسية الرجولية**.

بناءا على هذه الشخصية الأنثوية الحديثة الطلعة تصبح الهوية الأنثوية في أزمة اجتماعية أين تتأزّم الهوية الذكورية حيث يصبح وضع الزوج محل تساؤلات في مجتمع أصبحت فيه المرأة تمتلك من الجرأة والجسارة ما يساعدها على كسر كل الحواجز التي تعيق خطواتها في التقدّم والتغيير

---

1. سيمون دي بوفوار (2008)، مرجع سبق ذكره، ص.9
2. مفهوم مأخوذ من: (Stéphane Mallarmé, les Dieux antiques ; Œdipe, Edit.J. Rotschild, 1880. p.p. 180-187)
3. بيار بورديو، الهيمنة الذكورية، تر: سليمان قعفراني، مراجعة ماهر تريمش، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحددة العربية، بيروت، أبريل 2009. ص.ص.105-106
4. سيمون دي بوفوار (2008)، مرجع سبق ذكره، ص.185

والارتقاء الاجتماعي، وأمّا الرّجل بات حاليا يواجه معضلات اجتماعية فيما يتعلّق "***بمفهوم الرجل الحقيقي***" موضّحة سناء الخولي أنه، بعدما كان هذا المفهوم واضحا وصريحا بما يتضمنه من خصائص الرجولة التقليدية فقد أصبح اليوم مفهوم الرجل الحقيقي غامضا إلى حد كبير، وأصبح على الرجل أن يواجه في نفس الوقت متطلبات الرجولة التقليدية والمعاصرة معا.. -فعلى سبيل سياق الحديث للحصر- بالرغم من أن المناخ الاجتماعي أصبح يُحتم أن يتعاون الرجال مع النساء على قدم المساواة، إلاّ أن التقاليد في نفس الوقت تحتم عليه في أوقات معينة وخاصّة أوقات الأزمات أن يتحمل وحده المسؤولية؛ هذا بالاضافة إلى أنه يجب ألا يسمح للمرأة تحت أي ظرف بأن تسيطر أو تتفوق عليه، وهكذا،[1] إلى أن يفقد المسار الذي يتوجّب التوجه نحوه ليكون الرجل المثالي الذي يتسكمل الانتصارات المتوقعة منه من طرف الزوجة ومن جميع أفراد العائلة والمجتمع عامّة.

2.1. رجل متأزّم لانحلال معايير الأنوثة التقليدية

تشير عزة شرارة بيوض أنّ "الذكورة التقليدية لم تعد معيارا، فيما الجديدة غير واضحة المعالم... وتحتاج الذكورة الجديدة إلى مهارات لا يملكها الذكور، فينتج عن ذلك احباط واختلاط لديهم... يتعرّض الرجال إذن لضغوط داخلية وخارجية. وفي خضم معاركه يختبرون حنينا للماضي، وقلقا حيال المستقبل[2] في علاقتهم الزواجية؛ ونعيد نحن التعبير حيث نشير أنّ الأنوثة التقليدية في مسار فقد معيارها، فيما الجديدة يتأسّف عليها الأزواج ويشعرون بالحيرة وبالاحباط، باحثين عن معايير أنثوية ملموسة تبرّر وتخفي سلوكيات زوجاتهم المعنِّفة والتي تحدّد أنوثتها ليتمّ تقبّلها؛ وفي خضمّ التطاحنات الزوجية يولي الزوج حنينا للماضي وقلقا حيال هويّته الذكورية، أمام المرأة التي ترفض حاليّا الرّجولة التقليدية أين يتعرّض لمختلف مواقف التعنيف النفسية واللفظية وحتى الجسدية منها والتي تُغيّر من طبيعة سلوكيات الزوجة الفعلية وحتى الكلامية، وهذه الأخيرة قدّرت بأكبر نسبة تمثّل 42,86% من مختلف مظاهر العنف وأشكاله، البارزة في الجدول رقم 23 والموضّحة في التمثيل البياني أسفله، والتي تُثّبت كثافة ما يتعرّض له الأزواج من عنف زوجي مقارنة مع ما تستقبله الزوجات من عنف من طرف الزوج، أين يفقد الأزواج السيطرة ضمن علاقات التفاعل المعنَّفة، حيث يخبرنا المبحوثون:

"والله لاّ تهانيتت حسيت بلي ندمت على هذا الزواج.. إهانة كبرى تعرضت لها، وصلت بْكِيت.. لا أبكي قدامها.. ولكن وصلت بالصوالح لّي عملتهم لي بكّاتني.. تكرار الأسباب .. لم أقدر أن أفعل شيئ معها" (المبحوث رقم 2)

"الزوجة عدوانية فوق ما يلزم.. حاجة ما تعجبهاش نشدّ في راسي، مرات نخرج ونخليها.. وصلت ما نجّمتلهاش" (المبحوث رقم45)

"ضربتني عطاتني بسقلة.. سوفريت معها" (المبحوث رقم 3)

"ضربته بسألة.. حاالنهار.. خرج وخلاّني" (المبحوثة رقم 14)

"قايسته مرّة بقوطيل.. جا يضربني قايسته.. نَلْطخ عليه أبواب المنزل.. نعايره.. مانجمّش للعناد تاعي" (مبحوثة رقم 18)

"هدّدته شحال من مرّة نرفد اولادي ونروح.. ما نستحقّهش" (المبحوثة رقم 1)

---

1. سناء حسنين الخولي (2011)، مرجع سبق ذكره، ص.ص.98-99
2. عزة شرار بيوض، مرجع سبق ذكره، ص.62

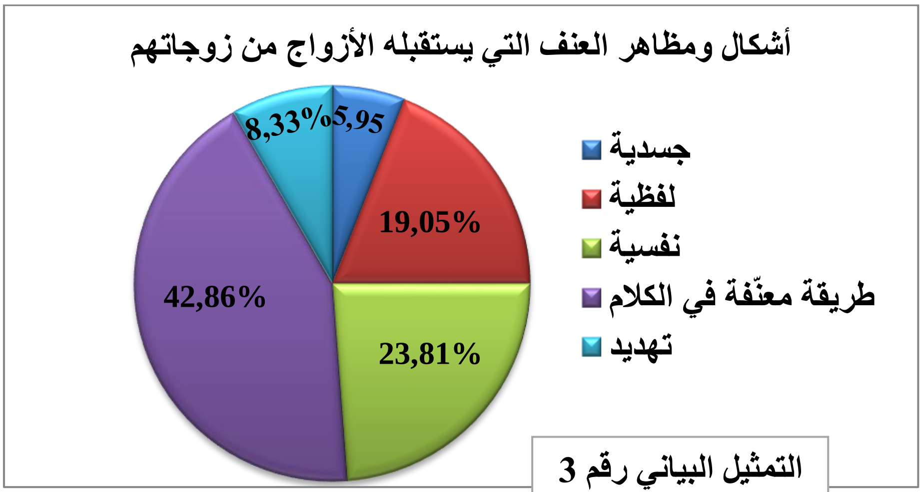

التمثيل البياني رقم 3

لقد ثُبت لنا في دراستنا الميدانية ان الأزواج يستقبلون العنف النفسي بنسبة 23,81%، واللفظي بنسبة 19,05%، ويتعرّض للتهديدات بنسبة 8,33%، على غرار العنف الجسدي الممارس في حالات مختلفة ولأسباب تختلف باختلاف المواقف وتجلّى بنسبة 5,95%، ورغم أنّها نسبة ضئلة إلاّ أنّه لا يستهان بوجودها (راجع الجدول رقم 23)، رغم أنها تمثّل فئة خاصّة من الرّجال مُصرّحا Welzer-Lang أنّ الرجال المتعرّضين للضرب هم رجال مهيمَن عليهم في المجال الأسري، وهم رجال غير معنِّفين؛ وأنّ معظم الرجال الذين يصرحون أنّهم استقبلوا العنف من طرف زوجاتهم، ليسوا رجال متعرّضين للضرب؛ والعديد من الرجال الممارسين للعنف يجدون أنفسهم مماثلين للضحية،[1] محتنقين من تصرفات الزوجة (السلوكية والكلامية) المعنِّفة الغير مطلوبة؛ والجدول رقم 12 يوضح جليا تأسف الأزواج على طباع زوجاتهم والتي برزت بنسبة 23,08%، وهذا يعني أنهم رجال يشتكون من زوجاتهم، والتي تبرّر وجوب ردود أفعال مناوئة ضدّها بتعنيفها، معتبرين أن الرقة ضعيفة جدّا في صفاتها الأنثوية، معارضة له في أمور عديدة متجاوزة حدودها في نمط التفاعل العلائقي الذي يخلّ بالاحترام والتقدير لمكانته الاجتماعية والذاتية، لا تتميّز بالأنوثة التقليدية.

ينوّه أوسفالد كوليه في نفس سياق المضمون أنّ "الصورة المثالية للمرأة كما يريدها الرجل هي تقريبا كالآتي: امرأة شديدة الأنوثة وعاطفة الأمومة، سهلة الرضا... تخضع لجميع رغباته دون اعتراض، مستعدة دائما لطلب الرجل، ربة بين ماهرة، رقيقة وحبيبة ومضحية، أُم ورفيقة، خدومة للرجل"،[2] وإذا انعدمت جميع هذه الشروط فلا يمكن أن يكون مجال للتوافق الزوجي، معبّرا المبحوثون بكلّ حنق وغيظ وتأسّف في علاقتهم بزوجاتهم:

"ماكانش قع هاذوا المواصفات، ماعرفتشهاش مين جات !.. ماقديش نقعد معها.. تبغي تسيطر.. ما قدّتلهاش هبلتني ومرضتني.. نضربها" (المبحوث رقم 9)

"والله ماعندهاش هذه المواصفات.. ومارانيش حاب نقعد معها.. وأنا على العصبية تاعي هي فاقتني مانجمت لهاش.. أنا لا أضربها لا.. وْمَاشي مْزيّرها وما نحمّرش فيها" (المبحوث رقم 4)

"الأنوثة مااا لقيتهاش فيها كيما كنت باغي.. غير حبيبة ولا رفيقة، ما توصلش للعاطفة تع الأم.. خدومة للرجل: نوعا ما، غير مضحيّة.. الرقة ماعندهاش.. تْعاند، كيما نعايرها تردلي.. تبغي تسيطر.. بغيت نطلّق شحال من مرّة" (المبحوث رقم 2)

إنّ المرأة حاليا أصبحت فردا لا يثير الرضا ضمن العلاقة الزوجية بعدما فقدت جزء من أنوثتها المرغوب فيها، تثير التعنيف في مختلف المجالات التي يتضارب فيها الزوجان الاتجاهات، أين يعتبرها الزوج متميّزة بمواصفات ليست من طبيعتها، فهي خاصّة بالفئة الرجولية، حيث يخبرنا المبحوثون:

[1] . Welzer-Lang Daniel, les hommes battus, C.p., P.85

[2] . أوسفالد كوليه، مرجع سبق ذكره، ص.121.

"**زوجتي عندها الرجولة**، ومارانيش حاب نقعد معها.. وأنا على العصبية تاعي هي فاقتني مانجمت لهاش.. أنا لا أضربها لا.. وْمَاشي مْزيّرها وما نحمّرش فيها.. ومراتي ما تعطيكش نقطة ضعفها، ماتْبيَّـٰلكش.. مستعصية، متمردة، بغضية، عندنا المتعايرة، وهي championne في هذه." (المبحوث رقم 4)

"الأنوثة ماعانداهش، عاطفية كالأم: لا.. رقيقة: لا ماعاندهاش الرّقة؛ حبيبة: لا ماكانش، **هذه الجوانب التي لا تملكها زوجتي أثرت فيّ**. الحقيقة فيها كلّش: سهلة الرضا؛ تخضع لجميع رغباتي دون اعتراض؛ ربة بيت ماهرة، مضحية، رفيقة، خدومة للرجل." (المبحوث رقم 1)

"**الأنوثة ماعندهاش نقول لها راجل راه واقف قدّامي ويزكّي**.. لاتخضع لجميع رغباتي يوجد اعتراض، كي ما تبغيش دّير حاجة ماتعملهاش، ولكن رفيقة ومضحيّة، عاطفية كالأم: نعم، حنينة ولكن ليست رقيقة.. elle ne besse pas les mains, elle est toujours à la hauteur.. ما تبيّنش ضعفها.. تنسى راسها بلّي مْرا." (المبحوث رقم 45)

يقولي نبغيك لو كان جيت féminine تباله راجل راه مقابله يقولي نبغيك مرا.. هذه لي راهي غابناته يقولي: صحا ما تنجميش جيبيهالي غير بالشوية باللطافة.. نقبلك." (المبحوثة رقم 25)

من تصريح المبحوثين يتّضح أنّ الزوجة أصبحت مصدر قلق بالنسبة للزوج بحكم أنّها "***الزوجة المسترجلة***" المحبّة للسلطة والهيمنة، مما يؤدي إلى سوء العلاقات بينهما،[1] في غور وغمار علاقات الاصطدام التي أثارت الجدل في إعادة بناء المواقف الغير مرغوب فيها، وغالبا ما تكون الزوجة هي الطرف المنتقد للبناء التنظيمي الأسري والتي تؤهّل إلى نشوب عنف متبادل، فـ"إذا ما تعارض تعريف الصورة النموذجية مع سلوك النساء الواقعيات -والتي هي بحدّ ذاتها أشكال مختلفة- فهن المخطئات... أما الرجال فيبقون حالِمين أمام التهلهل الغريب لفكرة الأنوثة؛[2] والمرأة المثالية عموما هي المرأة الخاضعة لسلطته، ومهما انّه قد يتقبل أن تملك الزوجة رأسمال خاص بها، لها دخل مستقل عنه، ولكن لا يتقبل أن تتوصّل لمركز السلطة –كما سبق لنا وأن أشرنا في معظم محاور الفصل- يريدها أن تتخّذ معايير أنثوية مقبولة، فحاليا الزوج كوّن تصوّر وسط حول هوية المرأة معبّرا أوسفالد كوليه: "نحن لا نريد نساء بليدات ولا نساء متفوقات الذكاء، لا نريد نساء كسالى ولا نساء نابهات، لا نريد نساء "متحررات" ولا نساء يتقيدن بالموقد والطبخ، لا نريد نساء مستبدات ولا نساء مستسلمات. لا نريد نساء ميالات للشجار ولا نساء مائعات. فنحن الرجال نريد نساء ذات شخصية.. لها مواضع قوة ومواضع ضعف"[3] حيث يمكن التحكّم في سلوكياتها، أين تجلب الرّضا الزواجي.

ضمن نفس السياق تشير عزة شرارة بيوض من "نتائج بعض الدراسات أن الرضا الزواجي يمكن التنبؤ به، وبشكل حصري بدرجة "أنوثة الشريك": فالرجال ليكونون أكثر سعادة إذا تزوجوا من نساء ذوات أنوثة عالية... بالمقارنة مع الرجال الذين تزوجوا من نساء ذوات أنوثة منخفضة"،[4] حيث تتولّد لديهم مشاعر الغيظ ضدّ الزوجة المُتزمّتة والتي يستحيل بذلك التجاوب معها، وفي ظل هذه الظروف، ينوّه أوسفالد كوليه أنّ "كيان المرأة وتصرفاتها في مجتمعنا يجب أن يكون حسب رغبة الرجل وتصوراته، والويل للمرأة التي لا تستطيع أن تكون كذلك لأنها ستكون موضع انتقاد[5] يتوجّب ضبطها للخضوع للمتطلبات الأنوثة المعترف بها اجتماعيا.

أ. امرأة تُضبط للخضوع إلى معايير الأنوثة

يحكي المبحوث رقم 2:

---

1. أنظر: عبد الخالق محمد عفيفي، مرجع سبق ذكره، ص.273.
2. سيمون دي بوفوار (2008)، مرجع سبق ذكره، ص.53.
3. أوسفالد كوليه، نفس المرجع السابق، ص. 309
4. عزة شرار بيوض، مرجع سبق ذكره، ص.171.
5. أوسفالد كوليه، نفس المرجع السابق، ص.121.

"بالسيف عليها تخضع لكل رغباتي.. هذه لّي ما خاصهاش.. **وبالسيف عليها الحاجة التي أريدها أقوم بها لا يهمني رأيها.. أنا عاطيها حدّ.. ولكن تحب تخرج منوا بزّاف..** حتى نوصلوا ندابزوا بزاف.. تركب راسها.. أنا لا أترك لها الحرية.. حتى نوض نضربها.. ما صبتش كي نعمل معها".

على حسب نتائج الدراسة حول موضوع العنف الزوجي وجدنا أنّ الأزواج في بعض الحالات يعملون جاهدين على ضبط سلوكيات زوجاتهم العنيفة بكل الوسائل وبجميع الطّرق بالاستعانة إلى مختلف مظاهر وأشكال العنف، إذا ما أرادوا التسليم لواقع يختلف عمّا اكتسبوه من منمطات وتصورات أنثوية تحيل القبول، حيث يشير Waltzer-Lang في دراسات له أنّ من الرجال المعنِّفين، يفسرون أنّ عدوانيتهم ما هي إلاّ استجابة لعنف لفضي، أو نفسي، أو اجتماعي من طرف الزوجة... وتعنّفهم ما هو إلاّ رد فعل للزوجة، وبما أنه الرجل، والأقوى من المرأة، دائما آخر كلمة وآخر رفسة تكون من جهته.[1]

لقد باتت الزوجات تحمل مشكلة اجتماعية لدى فئة من الرّجال، فحاليا "قد خلص الباحثون العياديون إلى النتيجة التالية: "إن مشكلة الرجال هي النساء" وذلك لأن الذكورة تُعرّف، غالبا، بالعلاقة مع النساء، وبالاختلاف عنهم. فالذكور في طفولتهم كما في رشدهم، يعتمدون على النساء؛ وهو مايغذي احساسهم بالهشاشة حيال "تهديد" واع أو لاواعٍ... فيتعين على الرجال أن يتصارعوا، لا مع سطوة النساء فحسب، إنما أيضا مع صفات ونزوات تعتَمل في دواخلهم. هذه الصفات هي، وفق تصوراتهم، خاصّة بالمرأة. فالمرأة تمثّل رمزيا كل ما هو غير مقبول، محتقر، منبوذ ومرفوض في شخصيتهم. ومن أجل تثبيت تفوقهم عليها –أي، من أجل تحقيق رجولتهم- فإنهم محتاجون لأن يُخضعوا المرأة[2] التي لها هيئة مخالفة لأنوثتها، فإذا ما فضّلوا الانسحاب والتفكير في قرار الانفصال، فيتّجه بعضهم إلى النفور والابتعاد يعاملونها بجفاء ولامبالاة، وغالبا ما يتجّه الأزواج نحو ممارسة العنف الجسدي، فما برز في الدراسة الميدانية أنّ الزوجة تتلقى عنف نفسي من طرف الزوج في بنسبة 36,78%، والعنف الجسدي بنسبة 22,99% (راجع الجدول رقم 23)، وكل زوج وله طريقته في مواجهة مختلف المواقف التي تشير غيظه من الزوجة، يرى أنّه يتوجّب عليه إعطاء حدّ لها بمثابة "الطّفل الذي إذا تمادي في حركاته فلابد أن يوضع له حدا، وهو ينتظر ذاك الحد ويتساءل إلى أي حد يمكنني أن أتمادي،[3] فكلّما تغاضى الطرف الحامل لشرعية ممارسة السلطة وتقديم المعايير المحدّدة اجتماعيا، كلّما شعر الطرف التابع بإمكانية زيادة الوتيرة والتقدّم إلى مرحلة الثوران وإثبات الذات أكثر فأكثر، أمّا إذا ما وُضع الحدّ فذلك أنّه ينتظر العقاب المرجوا، وعليه العنف الممارس ضدّ المرأة يعتبر عقاب بغرض التأديب لتلتزم بالمنمّطات المعترف بها اجتماعيا، وتحترم العلاقة الهرمية بينها وبين الزوج، وعليه، وعلى حسب Pitarelli Emilion أنّ العقاب التأديبي لا تكون له الشرعية إذا كان فعل مبني على مضمون "الأنّ" إنّما بالتوجّه إلى مضمون فعل يُجيب على السؤال "لكي"،[4] تخضع للقوانين العرفية التقليدية، وتحرتم العلاقة التقليدية التي تربطها بزوجها وبالتالي تصبح موسومة بـ"ضحيّة عنف زوجي"، وعل الأرجع كلاهما ضحيّة "عنف زوجي جنوسي"، وكما عبّرت عليه سيمون ديبوفوار أنّ "كلاهما ضحايا النوع من الناحية البيولوجية.[5]

تخبرنا المبحوثات:

"كي ندابز معاه نخاف منّه... نقول بالاك دوك يدقني أو يدير فيّ حاجة... في الحق عمره ما ضربني ولكن غير يزكي بقوّة، الحسّ بزاف.. ما يهرس ماوالوا ولكن يتغلغل ويقعد يكمي... **وليت أنا نقّص الهدرة**" (المبحوثة رقم 17)

[1] . Welzer-Lang Daniel, les hommes battus, O.p. Cité, P.85

[2]. عزة شرار بيوض، مرجع سبق ذكره، ص.ص.38-39

[3]. أنظر: دكتور سبوك، مرجع سبق ذكره، ص.27

[4]. Pitarelli Emilio, vous avez dit « sanction éducative ? », congrès CSPS, Haute école spécialisé, suisse, 2 septembre 2011

[5]. سيمون دي بوفوار (2008)، مرجع سبق ذكره، ص.162

"تعرف نوض نزكّي، وأتعصب.. راجلي يعطيني ملاحظات يقولي باقيلك غير الضرب ماضربتناش.. مرات يخرج ويولّي.. تعرف نْتكاكة.. ومرات ينوض يزكّي تعرف نخاف منّه، كل مرّة نقول خلاص بالاك يروح ويخليني، تعرف خطرات نقول مزيّة وقف لي في وجهي ووقّفني عند راسي، كنت ماشية نطلع بزااف عليه ومن تمّ بدأت نشوف فيه صغيييير بزاف، ماحسّيتش راسي غاية، قلت دوك نولي نحتقره.. حتى ولاّيشفني.. فإذن حاولت نتراجع شويّ، المرا عمرها ما تنجم تكون كيما الراجل.. وأنا من شدّة أنني صعبة وأفرض نفسي مع كل العائلة، ولاّوا حاسبين أنا نحكم.. وهنا قلت في نفسي دوك يبقاوا يشوفوه والوا.. وانا مانقبلش باش راجلي يبان في ديك الصورة، حتى بقيت نعطي صورة له بأنه صعب! –وتضحك-" (المبحوثة رقم14)

من مضمون التصريح الأخير يتبيّن أنّ الزوجة يتوجّب ضبطها للخضوع إلى معايير الأنوثة في مجتمع يفرض مكانات وأوضاع وأدوار لكل من الرجل والمرأة، ولا يمكن تجاوز القيم والمعايير التي حددها، وإذا توصّل أعضاء العائلة لمعرفة نمط العلاقة بين الزوجين أنها تتجاوز علاقة زواجية فإنّ من يتعرّض للقضم هو الزّوج بحدّ ذاته، أين يوسوم بالمثل الشعبي المتداول "هذاك مَغْلوب مَرْتَه"، وكأنه الرّجل الذي لم يستطيع وضع الحدّ للزوجة؛ وهذا في غير صالحهما حيث تتولد الشجارات المخلّة بقيمة كل منهما أين كل طرف يُقدح في هويته الجندرية ويتعرّضا للإهانة ونقص القيمة الذاتية وفقد الإحساس بالكرامة كقيمة اجتماعية إنسانية، و"الخلاصة أنه لا يمكن أن تحدث تغيرات في عالم الأنوثة دون أن تصاحبها تغيرات مماثلة في عالم الرجولة. وعلى كل حال نستطيع أن نقول أنّ العالمين يمران في مرحلة تحول، ولم تتبلور حتى الآن نتيجة ما يواجهانه من التغيرات... الأمر الذي ستظل معه المسألة المتعلقة بمكانة الرجال موضوعا حيويا يستدعي المناقشة والاهتمام.[1]

ب. أزمة الرجولة: وضع الرّجل محل تساؤلات في مجتمع متغر

ما تبيّن لما في الدراسة الميدانية أن مهما ما تتعرّضت له الزوجة من مواقف عنف من طرف الزوج والتي تجعلها خاضعة لسلطته، ومهما أنّها تبرز عدوانيتها في رفض ومواجهة سلطة الزوج التي تجلّت بنسبة 47,54% (أنظر الجدول رقم 10)، فلقد تعدّدت بالمقابل المواقف التي تجلّت فيها مواجهات الزوج للزّوجة والتي قُدّرت بنسبة 92% كما هو موضّح في التمثيل البياني التالي الممثل للجدول رقم 11:

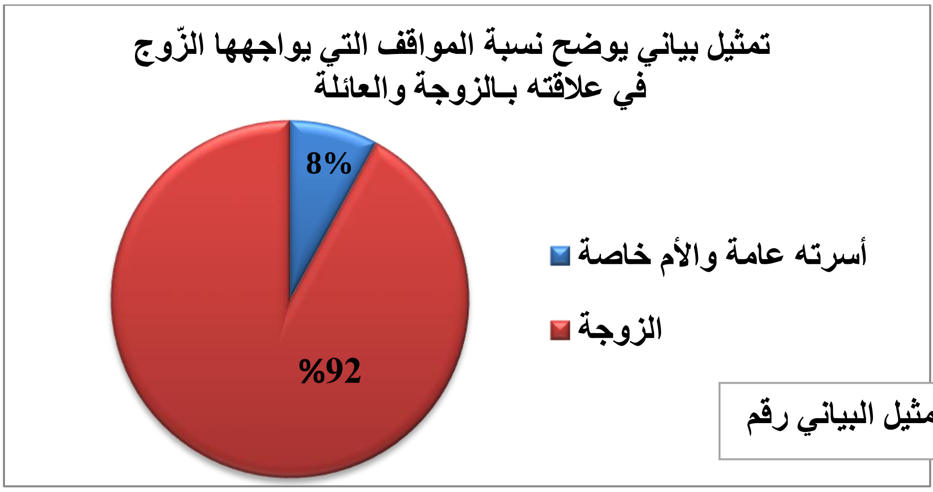

التمثيل البياني رقم

إنّ ما هو موضّح أعلاه، يُثبت لنا أنّ الزوج يتعرّض للعنف الزوجي لعوامل وأسباب مختلفة باختلاف المواقف والظروف الاجتماعية والاقتصادية التي أثبتت مكانة المرأة ومنحتها الجسارة والثقة بالنفس على مواجهة كل من يعكّر صفو حياتها الزواجية في عالم متغيّر، إلى أن انحرفت عن معايير هويتها الأنثوية المطلوبة اجتماعيا؛ فإنّ الرجل اليوم بات يعاني تشنّجات وتجشّمات من جرّاء المكانة الاجتماعية التي توصلت لها المرأة حاليا، اقتحمت مجالات لم تكن في عهد مضى مخصّصة للنساء، ولم تكن مدوّنة في سجلّ الأواصر، حيث الفرد الذي من المفروض أن يكون نقيضه بات وأصبح

---

[1]. سناء حسنين الخولي (2011)، مرجع سبق ذكره، ص.ص.98-99

ينافسه ليكون على قدم المساواة معه، الأمر الذي يؤثّر في نفسيته حيث يعيش أزمة الرجولة على المستوى الفردي، والتي تسمح بتأجج دافعية اللجوء إلى العنف حيث يضطرون إلى هجومات دفاعية عن رجولتهم، ويقوم بمقاومة ومناهضة الزوجة التي تعمد على تجاوز معايير هويتها الأنثوية –كما وضّحنا سابقا-

من الممكن أن تتوصّل أزمة الذكورة من المستوى النفسي إلى أزمة اجتماعية في الوقت الذي ستستفحل الشكاوى ضد الزوجات المعنِّفات لأزواجهن، فيصبح الرجال في وضعية مضطهَدة أين تتغيّر المكانات والأدوار، حيث تنقلب الموازين في مرحلة تفرض فيها الزوجة نمط علاقة زواجية بما تناسبت معتقداتها بفعل العنف، غير مبالية بالزوج كفرد له رمزية اجتماعية قيّمة، حيث تصبح الهوية الجندرية في أزمة.

تخبرنا المبحوثة رقم 12:

"إذا كان **الراجل "عيّان"** وأنا ندير كلشي.. وأنا أتحمل مسؤولية أولادي قاع كيما راهم.. من بعد تقول أنا شّاندير بيه.. أنا لا أشعر أنني أفقده"، حيث كوّنت شخصية صلدة مستقله عنه متحمّلة متاعب الحياة الاجتماعية موفّقة بين مهامها المهنية والأسرية، ناجحة كفرد يتميّز بالنجاعة والجسارة، واهم ما في ذلك ناجحة في مكانتها ودورها كأم.

يفسّر لنا De singly كيف انحدرت هيمنة وسيادة الرّجل حاليا؛ متناقضا مع فكرة parsons التي تركّز على التقسيم الجنسي للعمل في إطار التخصّص الوظيفي الذي يستدعي الإستقرار، فهذا النّمط الذي يشير إلى الصيغة التالية: "قمّة الرأس للرجل، ولبّ الفؤاد للمرأة"، قد تغيّر واختلفت المراكز، حيث أصبح الصيغة كالآتي: "للزوجين قمّة الرأس، وللمرأة الذراعين والقلب"؛ فالرّجل فقد سيادته، وهذا لأنّ المقتضيات الحديثة تعارضت مع العلاقة التقليدية، بالبحث عن العواطف، وطلب الاستماع والحوار، والتي تساعد على بناء هوية شخصية بعدما يتمّ الاحتجاج والإعلان على نوع من المساواة بين الزوجين.[1]

وضمن نفس المضمون يوضّح "لانسكي" أكثر أنّ أزمة الذّكورة والتي اعتبرها أنها أزمة تمسّ هوية الرّجل قد تجلّت حاليا باندفاع النساء نحو امتيازات اجتماعية غيّرت مسارها ومنحت لها مكانة أسرية قابلة لتحدّي الرّجل، والتوصّل لنفس المستوى الدراسي والمهني والاجتماعي، حيث قلبت موازين العلاقات الزواحية، فتعدّدت الفوارق والامتيازات بين الرجال والنساء، وعليه يعطي "لانسكي" تفسير لأزمة الذكورة أو الرّجولة *باندِحار الذكور" أمام الإناث؛ بعدما كان في توهّم الذكور، أنّ هويتهم غير قابلة للإهتزاز*؛ وأهمّ ما أهلّ إلى تضعضع مكانة الرّجل، ضعف دوره كمعيل للأسرة؛ وقوّة الشعور بالثقة المتزايدة للنساء حاليا والتي تراجعت لدى الرجال، إضافة إلى أهمّ دور يتعذّر عليه التحكّم فيه والذي هو تحت سلطة الزوجة، ويتمثّل في التحكّم في الدور الانجابي، بفعل الحبوب المانعة للحمل،[2] فيخبرنا المبحوثون:

"كيما الدراري عندنا واحد قلت لها نشدّ روحي ونزيدوا.. وهي لا تقطع الحبوب لمنع الحمل باغية ترفد" (المبحوث رقم 9)

"هو يظل يحضيني إذا راني نشرب حبوب منع الحمل أو لا.. أنا déjà راني نشرب دواء ممنوع في فترة الحمل.. ولكن كي حبّيت نقطعها قطعتها بلى ما نقولو.. ولكن ربّي ما كتّبش" (المبحوثة رقم 7)

إنّ المرأة باتت لها سلطة متفوّقة على الرّجل ضمن المجال الخاص، لم يستطع بذلك الرجل التحكّم في زمام الأمور، فبات يعيش ظروف أصعب من التي كانت تعاني منها الزوجات مسبّقا في علاقتهنّ بأزواجهنّ، خاصّة وأنّ المجتمع حاليا منحها الصدارة والقوامة الاجتماعية والمادية، والتي منحتها الثقة بالنفس والقدرة على مواجهة ومجابة ظروف أسرية تستند إليها كمصادر ذرائعية تمنحها الجرأة

[1] . De singly François (1993), O.p. Cité, P.p.102-103

[2] . أنظر: عزة شرار بيوض، مرجع سبق ذكره، ص30.

للتحكّم في فترة إنهاء العلاقة الزواجية، واتخاذ قرار التطليق، حيث فكرة الطلاق لم تعد تحت سلطة الرّجل وإنّما باتت بقيد المرأة، على غرار بعض من الامتيازات القانونية التي تخدم صالح المرأة لحمايتها من وحشية الحياة بعد مرحلة الطلاق، تستند إليها الزوجة سلاحا لتطوّق الزوج في موضوع اتخاذ قرار الانفصال، أو ليتراجع عنه أين يعجز على توفير المستلزمات المادية في النفقة وما يواليها من توفير سكن مريح للزوجة والأبناء بعد الانفصال سواءا بالطلاق أو التطليق أو الخلع، وهذا الأخيرة يمسّ قيمته كرجل، فله الأثر البالغ في بثّ أزمة عند الزوج. فيُعبّر المبحوثون:

"كان فيّ les ners ولكن ولّيت أبحث غير je calme le jeux، ومّا تقولي لمتى تقعد هكذا، وتساعف.. دوك دوك دوك حتى تكون طفّرت.. دروك كيفاش تتعامل لا أدري.. **باش نطلّق ماشي ساهلة.. ولو يتم الطلاق هي تأخذ الدار والنفقة ونقعد حاصل**.. خطرات نقول نروح عند le psycologue بش يوريلي une méthode، مارانيش alaise في زواجي.. **وصَلت بْلّعَت عليّ بـيبَانْ البيُوت وتقولي هاذي داري. والدار ليست على إسمها هي على اسمي**.. ورَقدَت وخْلاتني في الكوزينا..حُرت!" (المبحوث رقم 4)

"خاها كان يقول لي زيّر سنانك من جيهتها أختي ونعرفها.. كان يشوفني محقور.. أنا كنت نَطّرَّد.. وصلت نْبات في viranda، جات في الليل على 4 تع الصباح نوضتني، قلت لها أنا صايي je vai quité cet lieu.. وطَرْدَتني من الدار، سوفريت.. خاي كان يقولي مع هذي دوك تصيب راسك في دار العجزة." (المبحوث رقم 3)

في ظل هذه الظروف بات الزوج يعاني متأزّم بوضع الرّجل حاليا يشعر أنه يفقد امتيازاته الاجتماعية في الوقت الحالي، ومن هذا المنظور "يرى Wahitehead بأن أزمة الذكورة هي أزمة وهمية،[1] لفئة الرجال الذين لايزالون يدافعون على ذكورتهم بعد "انهيار بعض من قوائمها.. والفخ الذي يجد الرجل المعاصر نفسه فيه يتمثّل بكونه غير مهيّأ لخسارة امتيازات مكانته وأدواره التي منحه إياها تماهيه مع الذكورة الأبوية. وهو لا يملك في الوقت نفسه، الدافعية لتبني الأدوار الجديدة التي نجمت عن شراكته الجديدة مع النساء،[2] ولا يمكنه التأوّه والشكوى إذا تعرّض للعنف الزوجي بحكم عزّة الرّجولة، فمن العيب اجتماعيا أن يُبرز ضعفه أمام الزوجة بصفتها الجنس الآخر، والتي لا يجب أن تكون بمستواه أو تفوقه اجتماعيا أين قد يتعرّض للتأنيب من طرف أعضاء الجماعة الأسرية، مستاءا وحائرا لعجزه في الوصول إلى حلول يتّخذها ضدّ الوضع الذي يعتبره مزري في علاقته الزواجية، باحثا عن شخص ذو ثقة يقدّم له أدنى فكرة للتوصل إلى علاقة موفّقة مع الزوجة.

فإنّ العنف ضدّ الرجل موجود بصفة مُضمرة ولكن غير مُعلن عنه، بمقابل العنف ضدّ المرأة الذي يعتبر من البداهة ولا يتوجّب إعادة التساؤل فيه، حتى ولو أنّ البعض من النساء يخجلن من تقديم تصوّر لعلاقة زوجية معنّفة، إلاّ أنّ الزوج ضحية العنف الزوجي له وقع أكبر لما له من تصور اجتماعي يوحي بالسموّ لمكانته الاجتماعية، ولهذا حتى ولو أن التربية التقليدية لكل من الرجل والمرأة تسمح للفئة الذكورية بممارسة العنف ضد النساء، ولكن Annie Guilberteau، تعطي نظرة أخرى موضّحة أنّه "لا يمكن أن نقول أو نفكّر أنّ النساء هنّ أقل عدوانية من الرجال. كل من الرجال والنساء هم عدوانيين، وهذا لأنّه بكل بساطة، العدوانية ملازمة ضمن المجال الانساني. ضمن أي نظام اجتماعي نلاحظ أنّ العدوانية يمكن أن تكون وسيلة معتمد عليها"،[3] يمكن أن تستعين بها الزوجة لتغيير المنمطات التقليدية. فلا يمكن في الوقت الراهن نكران بوجود أزمة الرجولة اجتماعيا، حيث الزوج بات في الواقع مستقبلا للعنف وممارس عليه، وإذا تصدى للموقف فقد تلجأ الزوجة بفعل المكر تحت عنف رمزي محض يمنع في حالات مسّ الزوجة بضرر عدواني، أين تستنجد برجال أسرتها الأصلية ليأخذوا من الزوج حقّها في تعنيفها، حيث يصرح المبحوثون:

---

1. عزة شرار بيوض، مرجع سبق ذكره، ص.47
2. عزة شرار بيوض، نفس المرجع، ص.31
3. Revue de l'union nationale des associations familiale, Réalités: violences conjugales, C.p., P.29

"وصلت قبطتها مشعر.. وهي إذا بغات تموت تحاول تضرب.. **حا النهار حاولت ترفع يديها عليّ**.. هاي هاي شا صرا، ربي سترها.. الجوارين دخلوا يسلكوا.. بغيت نقتلها.. **باها قالي ضربتها** .. قلت له ولكن هي علاّت يديها عليّ.. تبغي تفرض روحا" (المبحوث رقم 2)

"**تعرضت للإهانة معها ومع أسرتها**؛ تعاير هي تعاير.. **وخوتها يتهدّوا علي**، يا إما يعيطولي، يا إما يْجوا يتفاهموا علي.. كي **ضربتها** مثلا. **ركبتلي les ners**، مانقعدش معاها" (المبحوث رقم 9)

لقد باتت قضية الزوج المعنَّف قضية عالمية لم يكن وارد كظاهرة اجتماعية، فعلى حسب Marie-Elizabeth Handman أنّ العنف حاليا يمارس في بعض الدول من طرف الزوجان بطرق مختلفة ونسب متفاوتة، وانفلت هذا النوع من العنف منذ زمن طويل، لأنّه كان من اللازم أن تقوم تنشئة الفتيات على تقبّل السموّ الذكوري، وعلى الرّجل العمل على الدوام في تخليد البديهية التي تحفظ التراتبية بين المرأة والرجل،[1] فلطالما اعتبر الزوج ضمن العلاقة الزواجية أنّه المسؤول الأوّل عن نشوب العنف بجبروته وتسلّطه الأسري، ولكن وفي الوقت الحالي المأساة متبادلة والرجل كذلك يتعرّض للعنف ضمن الحياة الزواجية، ولهذا "يدعو (Kane, 2005)، إلى حماية الرجال من التمييز اللاحق بهم في الإعلام، الذي دأب على تقديمهم في صورة مشوهة كشركاء وكآباء... فيما يطالب (Darrul, 2005)، بضرورة التنبه إلى كيد النساء المتمثل بسعيهن، مثلا، لاستمالة الآخرين، القضاة والقوة الأمنية، خاصّة، بأساليبهن الماكرة، للحصول على مكاسب مادية ومعنوية في مجال النفقة والحضانة وغيرها من جرّاء تجريم الرجال"[2]

كما أنّ "المركز الاعلامي لحقوق الأسرة CIDF بفرنسا، الذي نشأ في سنة 1972 وطوّر معالمه في عام 1979 فأصبح مركز إعلامي خاص بمعالجة الامور النسوية والأسرية لسنين، بات بعد مدة من الزمن يستقبل الرجال، ويهتم بمشاكل الرجال وعلاقاتهم بزوجاتهم، مشيرا Mouchtouris، أنّ هؤلاء الرجال يلجأون إلى المركز بغرض البحث عن إرشادات تساعدهم في معرفة ما يدور في ذهن زوجاتهم. وبدأ الطلب لفئة الرجال في تزايد مستمر.. حيث يصبح رجل ضائع. ولهذا اهتم بمعالجة المشاكل المطروحة بالنسبة للرجال أمام النساء."[3]

و"في المغرب بدأ بعض الرجال المغاربة يخرجون عن صمتهم ليعلنوا مطالبتهم بالحماية القانونية من عنف زوجاتهم، في الوقت نفسه، الذي تنكب فيه المؤسسات المختصة على وضع قوانين جديدة تحمي النساء المغربيات من عنف الرجال؛ أما في ألمانيا تأسس في مدينة برلين أول ملجأ لإيواء الرجال.[4]

وأهمّ ما في الموضوع أنّ في عمق العنف الزوجي لم تتضعضع مكانة الرّجل ضمن علاقة جنوسية زوجية فقط، وإنّما قد هزّت مكانته كأب في علاقته بالأبناء أين أصبحت الزوجة في مكانتها كأم هي الطرف المحتذى به، وهي التي تملك الشرعية في اتخاذ القرارات الأسرية أين تجذب الأبناء تحت كنفها خاصّة الذكور منهم، بعد أن تصبح إمرأة عجوز تستمدّ قوّتها منهم فتعتبرهم سندها وقوامها، فتُفقد الرّجل سلطته بمقابل دفئ الحياة العاطفية الأسرية –كما سنرى في الفصول اللاحقة- وعليه "وفي الأسرة الحضرية أصبح الأب يتميز بالضعف والإحساس بالنقص... وأصبحت الأم أكثر عدوانا وسيطرة، بعدما تحولت إلى الشخص الأقوى فهي تتمتع بالاكتفاء الذاتي وتتسم بالسيطرة والعدوان وتقبض في يديها على مصير الأسرة.[5]

---

[1] . Kergoat Danièle, O.p. Cité, P.250

[2]. عزة شرار بيوض، نفس المرجع السابق، ص.ص.211-212

[3] . Mouchtouris Antigone, O.p. Cité, P.p.64-65.

[4] . حنان قرقوتي، مرجع سبق ذكره، ص. 125

[5]. محمود حسن، مرجع سبق ذكره، ص.101

خاتمة الفصل

ما توصلنا له في خضمّ هذا الفصل لمجمل النتائج التي قمنا بتحليلها، والتي أثبتت أنّ النظام الاجتماعي التقليدي لا يزال منغرس في ذهنيات أفراد المجتمع رغم ما تبدّى ظاهريا من تغيرات عامّة على المستوى الاجتماعي والاقتصادي، أين أستطاعت المرأة بلوغ نوع من الرقي والسموّ الدراسي والمهني واضطلعت إلى بناء مكانة قيّمة في علاقتها بالعائلة وخاصة بالزوج؛ ولكن رغم كلّ ذلك فإنّ مكانتها تبقى تراتبية بالجنس الآخر حيث *العلاقة بين النساء والرجال لا تزال مرسّاة ضمن الثقافة الأبوية*[1] والتي تؤمن بها العائلة الجزائرية، فتقوم بضبط أفرادها إذ تخضعهم للمنمطات رغبة منهم أو إكراها لهم تبعا للهوية الجندرية لكل من الجنسين، فالمجالات والأدوار والمكانات لا تزال منقسمة تبعا للأولويات في التصوّر الذهني حسب الجنس، لا يمكن أن نتحدّث عن التغيّر الأُسري طالما التصورات والتمثلات الجنوسية لا تزال مرّساة في المعتقدات الاجتماعية والتي تضمن الاستقرار للنظام البنيوي الأسري، وعليه فأي تغيير اجتماعي واقتصادي يتخلّل المجال الأسري من الممكن أن يولي إلى نشوب الضغينة والعدائية فالممارسات العدوانية وتجلّي العنف من مختلف مظاهره بين الزوجين، فتصبح العلاقة بينهما علاقة واهية قابلة للانفصال؛ وتتأزم نمط حياتهما أكثر كلما تشدّدت العلاقات الأسرية في غور الحياة الزواجية أين تتدخل الحماة ونساء العائلة المالكات للسلطة، تعملن على ضبط العلاقة الزواجية تبعا للنظام الثقافي المعترف به اجتماعيا، يكون الزوج/الابن تحت سيطرتهن في مجتمع يزعمون أنه أبوي، والذي يتطلّب إعادة التساؤل فيه، فلا يمكن التغاضي عن دور النساء وراء خشبة المسرح، هكذا يشير بوتفنوشنت لمّا شكّك في موضوع المجتمع الجزائري على أنّه مجتمع رجولي في فترة مضت، ويدفعنا لتقريب المجهور السوسيولوجي أكثر فندخل في غور العلاقات الأسرية ونبحث عن حقيقة هذا الواقع فنهتم بثقل الوجود النسوي ضمن البناء الأسري،[2] وهذا ما ستنطّرق إليه بالتفصيل في الفصل اللاحق.

[1]. Schar Moser Marianne, O.p. Cité, P.42
[2]. Voir : Boutefnouchet M., O.p. Cité, P.69

الفصل الثالث

الزوجان والعلاقات الأسرية المعنَّفة

I. العنف والحياة الأسرية
1. نوعية العلاقات ضمن المجال الأسري مقارنة بالمجال العام
2. المرأة والحياة الزواجية

II. واقع الأسرة النووية في علاقتها بالعائلة
1. حياة زوجية مضطربة
2. الزوج وظروف علاقته الزواجية
3. مكانة الأسرة النووية في حياة الفرد

تمهيد

إنّ الزوجان في علاقتهما بالعائلة تابعين لنظام اجتماعي أسري لا يمكنهما تجاوزه، فلابدّ لهما أن يلتزما بالمعايير والنظم القيمية الاجتماعية العامة، وهذا لضمان الاستقرار العام للبناء العائلي، وإذا ما حاول أحد الزوجان تجاوزها فقد يُضبط اجتماعيا بفعل العنف أين كل طرف من أطراف العلاقة الزوجية يكون تحت الضّغط، خاصّة بالنسبة للزوجة، بحكم أنها تدخل إلى انتماء اجتماعي

يختلف عن ايديولوجيتها الأصلية التي نشأت وتطبعت عليها، حيث يتوجّب عليها الانضباط لنظم قيمية اجتماعية جديدة، فتضمن انتماء جمعي جديد ليتمّ تقبلها كفرد من أفراد جماعة أسرة الزوج، وتصبح من أعضاء العائلة فتشكل معهم وحدة اجتماعية؛ ولا يستهان على مكانة الزوج الذي يدخل في علاقات صراع متشابكة في غور العلاقات الأسرية أين يتعرّض بدوره للعنف العائلي إذا ما إلتزم باستوفاء الانتظارات المتوقعة منه بعد الزواج من طرف أعضاء العائلة ككلّ؛ وعليه وفي خضمّ العلاقات الأسرية العنيفة يكون الزوجان طرفان وسط بين عائلتين -تعتبر أحدها أسرة نسب للطرف الآخر- حيث تتكثّف النزاعات والشحنات ضمن المجال الخاص، تكون الممارسات العنيفة ضرورية لإثبات الذات الفردية، وإعادة الاعتبار للتقدير الفردي والجماعي.

I. العنف والحياة الأسرية

1. نوعية العلاقات ضمن المجال الأسري مقارنة بالمجال العام

بعدما قمنا بتفريغ المعلومات والمعطيات الميدانية المستوحاة من الواقع أثناء اللقاءات مع المبحوثين في جداول تكرارية، استطعنا استنباط مختلف مظاهر العنف والممارسات العنيفة والعدوانية في غور وغمار العلاقات الأسرية، والتي تتجلّى تبعا لعوامل وأسباب تكون المحرّك الأساسي لنشوب علاقات صراع محتدمة مشحونة بمواقف العدائية بين أعضاء العائلة؛ فلقد تبيّن لنا في الدراسة الميدانية تبعا للمعطيات الرقمية التكرارية أنّ المجال الخاص مُفعم بمواقف العنف، حيث صرّح المبحوثون أنّهم توصّلوا إلى أوجّ غيضهم لما تلقوه من إهانات وابتذال في المعاملات كانت أساسا ضمن علاقاتهم الأسرية مقارنة مع المجال العام، حيث يوضّح لنا الجدول التكراري رقم1، أنّ نوعية العلاقات خارج المجال الخاص تُعدّ جيّدة بدرجة قويّة لكلا الجنسين قُدّرت بنسبة 62% والتي تثبت لنا درجة اندماج أفرد المجتمع إلى المجال العام، حيث نستنبط أنّ كلّ من النساء والرجال يتميّزون بحسن المخالطة ضمن المجتمع، حسب ما تبيّن في التمثيل البياني التالي:

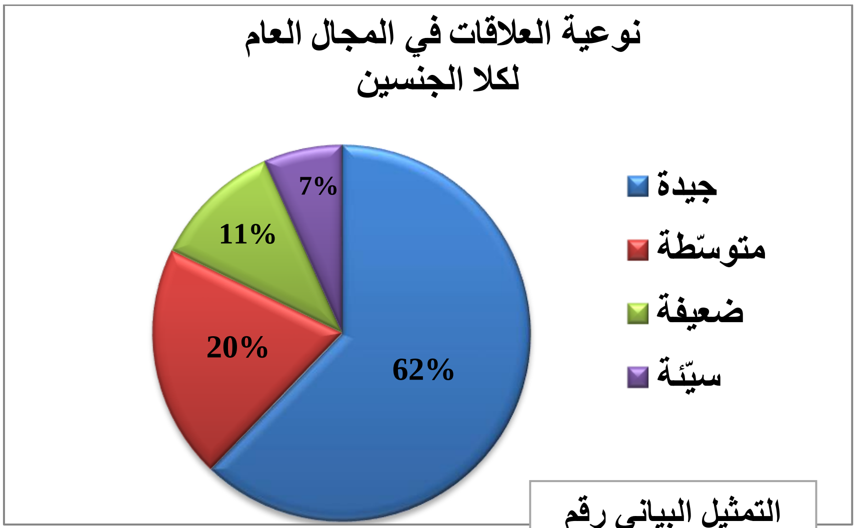

التمثيل البياني رقم

وإذا ما قارنّا نوعية العلاقات الاجتماعية بين الجدول رقم1، والجداول التكرارية -رقم 2،3،4- التي تبيّن لنا نوعية العلاقات الأسرية –والموضحّة في التمثيلات البيانية أسفله- نلاحظ أنّ الفرد له علاقة ضعيفة مع العائلة، حيث نوعية العلاقة "الجيّدة" مع الأسرة الأصلية لا تتجاوز 38%، وفي جلّ العلاقات الأسرية سواءا في علاقة الفرد مع الوالدين والإخوة والأخوات، أو في علاقته بأسرة النسب، جودة العلاقات تبقى ضعيفة مقارنة بالمجال العام الذي تجاوزت فيه جودة العلاقات 50%، حيث ثُبت لنا أن العنف يبرز بدرجة مستفحلة ضمن المجال الخاص.

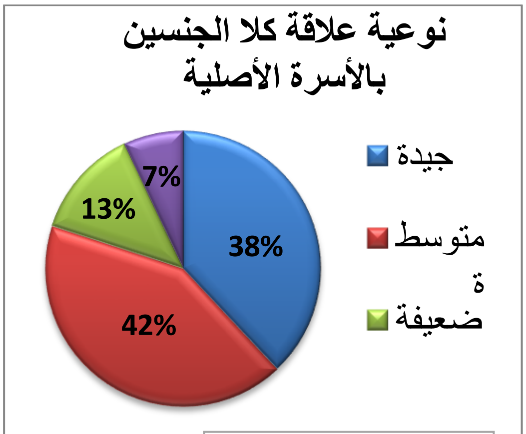

التمثيل البياني رقم

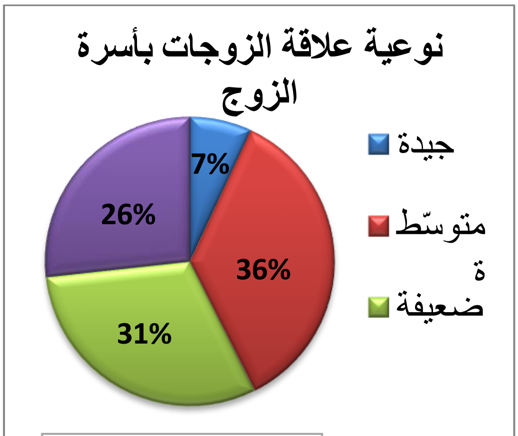

التمثيل البياني رقم

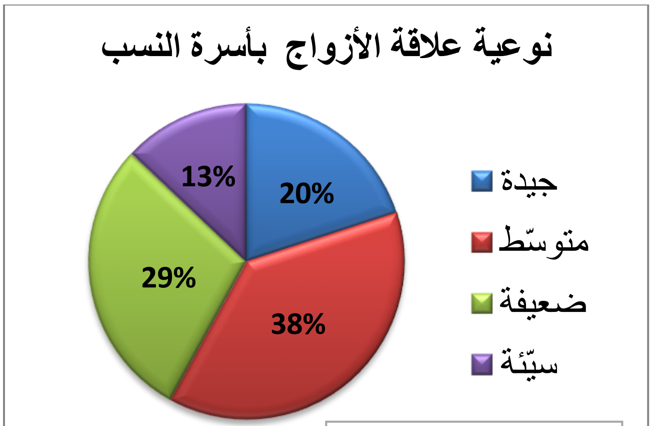

التمثيل البياني رقم 8

يؤكّد May Clarkson ضمن نفس السياق في مرجعه "العنف الأسري" أنّ العنف يمارس بشدّة ضمن العائلة وبصفة مطلقة مقارنة بالمجالات الاجتماعية الأخرى، ويفسّر ذلك على أساس الانطباعات التي يوجّهونها أفراد المجتمع حول ذواتهم للآخر أين لابدّ أن نَصُون صورتنا ونحافظ على مكانتنا في أعيننا وأعين الآخرين لنا،[1] والتي غالبا ما تكون مقبولة اجتماعيا؛ وعليه، وبناءا على نتائج دراستنا الميدانية تبيّن لنا أنّ الفرد قد يُخدع في رمزية العلاقات الأسرية وما تتضمّنها من تمثلات بنّاءة حول جودة العلاقات الأسرية أين سيتعرّض للعنف أو يكون ممارس له في علاقة تأثير وتأثّر تمسّ بالضرورة شخصه، بما فيها الروابط القرابية الأصيلة؛ ونشير أنّ معاناة الفرد وقساوة الحياة الأسرية تكون لها صدى في مرحلة ما بعد الزواج، كما يوضح لنا الشكل البياني التالي الممثل للجدول رقم 6:

[1]. May Clarkson, O.p. Cité, P.38

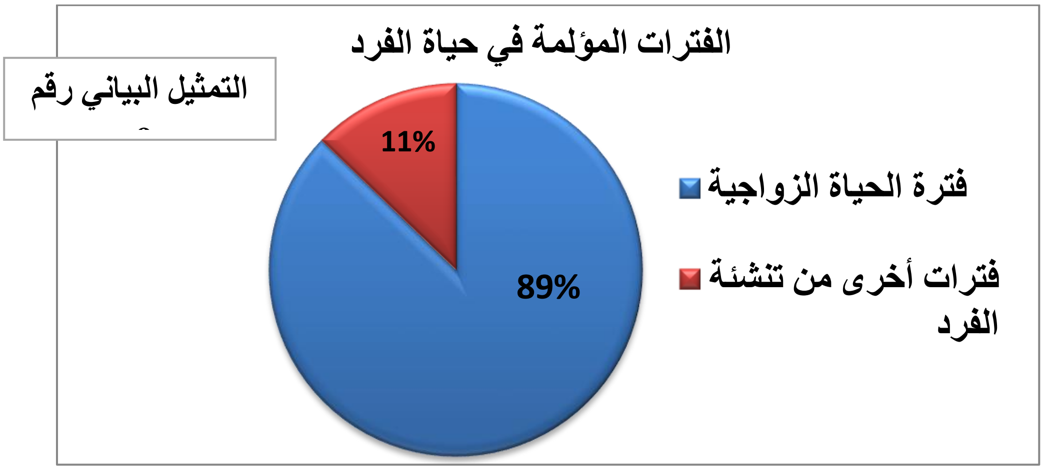

اعتبر المبحوثون هذه المرحلة على أنّها من المراحل المؤلمة والأكثر صعوبة وبنسبة تقدّر بـ89% -والموضّحة في التمثيل البياني الوارد أعلاه- أين الفرد تتعدّد أدواره وأوضاعه، فبعدما كان إبن لعائلة بات زوج وأب وأخ وإبن ونسيب (أو كنّة)، حيث يدخل في علاقات متشابكة تخلق توترات وشحنات أسرية، يصعب تحديد أوّلها وآخرها، تؤثر بالضرورة على العلاقة الزوجية، وعليه لا يمكن دراسة العلاقة بين الزوجين بصفة حيادة عن العلاقات الأسرية، ومعرفة نمط المشاكل التي تحيق بهما وتخلق ممارسة العنف، وذلك تبعا للأدوار المنوطة للثنائي بعد الزواج في علاقتهما بالعائلة ككلّ.

ولكن أهمّ ما ثُبت لنا في موضوع الزوجان والعلاقات الأسرية، رغم أنّ الحياة الزواجية لكلّ من الرجل والمرأة تعتبر قاسية إلاّ أنّ معاناة الزوجات تعدّ أكبر وأكثر كثافة والتي بلغت نسبة 94% مقارنة مع معاناة الرّجال التي قدّرت بنسبة 79% (راجع الجدول رقم 6) والمتوضّح جليا في التمثيل البياني التالي:

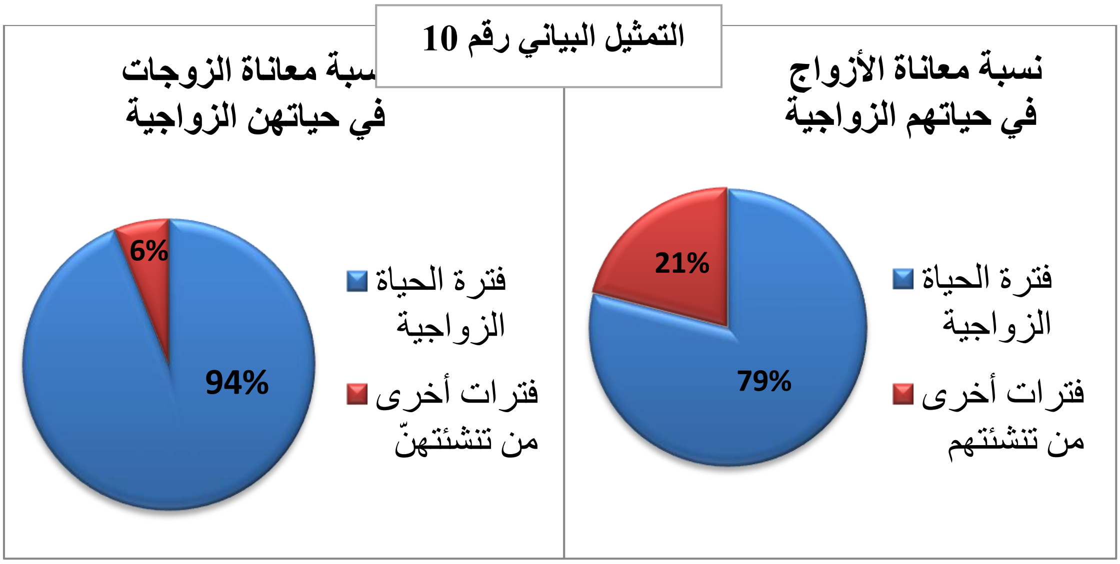

ولو قمنا بمقارنة هذه النسب بالجداول التكرارية رقم3 ورقم4، والتي تبرز لنا نمط علاقة المرأة بأسرة الزوج وعلاقة الرجل بأسرة النسب، كما هو مبيّن في التمثيلات البيانية رقم 7 ورقم 8 –أعلاه، ص.127-، يتبيّن لنا أنّ العلاقات الأسرية التي يعمّ فيها الصراعات تتضح في علاقة المرأة بأسرة الزّوج، إذّ أنّ جودة العلاقة تقدّر بـ 7% فقط، مقارنة بجودة علاقة الرّجل بأسرة النسب والتي تجلّت بـ 20%؛ فنجد أنّ المرأة تعيش ظروف حالكة بنسبة أكبر مع أهل الزوج، إذ أنّ نوعية هذه العلاقة تعتبر ضعيفة بـ31% ومتوسّطة بـ24%؛ أما بالنسبة للزوج علاقته بأسرة الزوجة متوسّطة بنسبة 38%، وسيّئة بـ 13%. مما يدعونا للاستنتاج أنّ الزوج له نوعية علائقية مرغوب فيها نوعا ما مع

أسرة النسب، أمّا المرأة فيتأكد لنا أن معاناتها تكون أقوى وأصعب حيث ظروف الحياة الزواجية وقساوتها تختلف بين الرجل والمرأة في شبكة العلاقات العائلية وذلك باختلاف هوية كل من الجنسين الجندرية واختلاف انتمائهم الأسري وتفاوت التجانس الاجتماعي والثقافي والمادي بين أسرتي النسب.

2. المرأة والحياة الزواجية: واقع الحياة المشتركة

إنّ الحياة الزواجية يكون لها صدى قويّ من خلال علاقة الزوجين بالعائلة تحت سقف واحد، فكما نعلم وكما جرت العادة أنّ الفتاة بعد الزواج تغادر بيت الأب لتذهب إلى بيت زوجها مع أسرته، وهذا النّمط من العيش المرغوب فيه –لحدّ الآن- في الأسرة الجزائرية رغم أنّ شباب اليوم يطمح في الانفرادية السّكنية؛ وتختلف الظروف باختلاف القدرات المادية للزوج، من الممكن أن تجد الزوجة نفسها مجبرة للعيش في أسرة ممتدة، ومنهم من الأزواج من تكون لدهم نيّة العيش المؤقّت مع الوالدين لفترة قد تطول أو تقصر إلى أن يحين الوقت وينفصلا الزوجين في سكن مستقل. يخبرنا المبحوثون:

"عشت معهم لفترة لمدة 12 سنة وبعدها سكنّا لوحدنا" (المبحوثة رقم 5)

"سكنا في دارهم 7 سنوات... ومن بعد خرجنا... ظروفنا المالية لم تسمح" (المبحوثة رقم 14)

"سكنت سنة مع العائلة ومن تم خرجنا؛ من الأول كنّا عاملين نسكن معهم فترة ونخرجوا" (المبحوثة رقم 25)

"سكنت مع العائلة لمدة ثلاث أشهر، غير باش تتعرف على العادات تعنا وتتعود على العائلة" (المبحوث رقم 7)

إنّ من الحالات الواردة معنا -في جلّ هذه الدراسة- وجدنا أنّ الزوجات كان يتوجّب عليهنّ المرور للعيش المشترك مع عائلة الزوج، وهذا لتتطبّع على نمط حياة الأسرة الجديدة، فمضمون معنى "التعوّد" -والذي أشار إليه المبحوث الأخير- يعني أنّ الزوجة ستدخل في تنشئة اجتماعية متأخّرة ضمن أسرة تُعدّ غريبة عنها ومختلفة عن أسرتها الأصلية، تجهل معاييرها وقيمها وعاداتها وتقاليدها وايديولوجيتها الخاصّة، أين تجد تضارب في الذهنيات، فـ:"العادات والأفكار والعَقليات ليست كيف كيف، أنتِ تكوني عَايشة في أسرة عقليتها شكل، ومن بعد تروحي لأسرة أخرى وتلقي شكل آخر" -موضّحة المبحوثة رقم2-؛ ولكن رغم ذلك فإنّ "الزوجة لابدّ لها أن تمرّ بفترة تربّصية بعد الزواج في الأسرة الممتدّة، تتعلّم حياة المرأة المتزوّجة، وقليل من الأزواج استطاعوا الفرار من هذا التربّص الفعلي"[1]، حيث عليها أن تتأقلم مع نمط عيشهم، وتحاول الإندماج ضمن الجماعة بتقبّل نظمها ومعاييرها الاجتماعية، وهذا ما هو مطلوب بدرجة قويّة، مفاده ضمان القبول الأسري؛ وعليه من النساء من يشعرن بالضّغط، يصعب عليهنّ الاندماج وتقبّل نمط الحياة المشتركة والتي من الممكن أنّ تضمّ عدّة أسر نووية تحت سقف واحد، فتصبح الحياة الزواجية بالنسبة لها حياة مُعقّدة لم تكن متوقّعة في فترة مضمت، في مرحلة الصبى، أين تصوّرت حياة زوجية مبنية بتفكير ميثولوجي والذي يجعلها تصطدم بواقع الحياة الزواجية، بعدما تكتشفت أنها مخدوعة اجتماعيا، على حسب ما ورد في تصريحات المبحوثات:

"أنا كانت تبالي الحياة زهرية بعد الزواج، لم تكن في الحسبان أنّي سأرى كل هذه المشاكل.. وصلت انقهرت وبكيت" (المبحوثة رقم8)

"حسيت بعد الزواج وكأنّي مخدوعة." (المبحوثة رقم 7)

"خُدعت، وخدعوني كلّهم" (المبحوثة رقم 6)

إنّ هذا الشعور بالخداع تكتشفه الزوجات بعد مدّة من الزواج، بعد أن تجدن أنفسهنّ ضمن علاقة تفاعلية ثلاثية وليست زوجية، أين تعيش غياهب الحياة المشتركة المغمورة بالمشاكل حيث "يُشترط

[1]. Voir : Kouaouci Ali, O.p. cité.

عليها التماسك والالتحام بالجماعة العائلية، تتجلى بهيئة حسنة ومقبولة، تؤكّد وجودها كفرد من أفراد نساء العائلة"،[1] ويتوجّب عليها بوجه الخصوص أن "تُظهر طاعتها لأسرة الزوج وأكثر للحماة".[2] معبّرة المبحوثات:

"لم أتوقّع أبدا حياة قاسية.. ونَنْغبَن مع أحبابوا" (المبحوثة رقم 14)

"الزواج لقيت فيه مشاكل كبار.. خاصة الأسرة لي طحت فيها يبغوا يتحكموا، وعجوزتي رافدة كلّش هي لي تحكم وليها القرار. مّاه كلّش" (المبحوثة رقم 2)

وتضيف السيّدة "إكس"[3] –في الدراسة الاستطلاعية- : "من الأسبوع الأول، ومن الشهر الأول المشاكل: العجوز جيه وأخواته جيه."

تؤكّد Maryse Jaspard ضمن نفس السياق أنّ الزوجة الشّابة ضمن السكن الذي يضمّ الزوجان وأسرة الزوج تتحوّل إلى وضعية قابلة لاستقبال الهجوم الأسري، من طرف الزوج ومن طرف جميع أعضاء الأسرة[4] فتكون تحت الضغط، وهذا لتكتسب أدوارها في وضعها ككنّة للعائلة وتجلب رضا أسرة الزوج بمبدأ الطاعة والخضوع ضدّ إرادتها، خاصّة للحماة، فتكون تحت المراقبة المستمرّة والمتشدّدة حيث "النظام الاجتماعي التقليدي لا يشجّع أن تكون الزوجة تحت رعاية وحمايـــــة أُم الزوج وإنما تحت المراقبة والمشاركة لهذه الأخيرة"،[5] أين يُفرض عليها الامتثال لضوابط العائلة إلى حد أنها تفقد شخصيتها، حيث تحكي المبحوثات:

"حسّيت أنني فقدت شخصيتي وصلت معهم ما نعرف والوا. غير نتبّع. نعمل غير كيمّا هم يحبوا. خاصهم كلّشي يفوت على حساب رايهم.. وصلت قالت لي ختّنتي (حماتي).. خاصني نقولك أوقف، توقف، نقولك أقعد، تقعد" (المبحوثة رقم 14)

"أنا وصولوا يقولولي آجي نجي مشي نمشي" (المبحوثة رقم 7)

"يمحولك الشخصية تاعك.. تلقي روحك تحتهم" (المبحوثة رقم 2)

"بقيت كيما ندير ما ترضى. غير كي الخاتم في صبعها" (السيدة إكس –في دراسة استطلاعية-).

إنّ من خلال سيرورة محو شخصية الكنّة من طرف أسرة الزوج، هذا يعني أنّ الجماعة تهدف إلى أن تكون الزوجة تحت تصرّفهم، وتتبنى ايديولوجية مغايرة عن التي نشأت عليها، فتريد بذلك أن تتخلى الزوجة عن الاتجاهات والمبادئ والقيم التي تطبعت عليها في علاقتها بأسرتها الاصلية؛ فالأسرة هنا تطلب الخضوع والاندماج جسدا وروحا بصفة حتمية، وتحاول بذلك تأكيد التدرّج السلمي العلائقي للحياة الزواجية، بتأكيد الانصياع لجميع أفراد العائلة، أين تشعر الكنّة بـ"الحُقْرَه" ضمن علاقات التفاعل الأسرية بعد الزواج في مواقف مختلفة. تخبرنا المبحوثات بتأسّف:

"بانتلي حُقْرَه. بالا ك مين شافوني عاقلة" (المبحوثة رقم 10)

"حسيت بلّي راني محقورة" (المبحوثة رقم 14)

"والله غير تحس بالحُقرَه الحقرة بلبزّاف." (المبحوثة رقم 24)

إنّ المطصلح السوسيولوجي "الحُقرة Hogra" يوضّحه علي حساني أنّه: لغة جزائرية محضة... يعبّر على تجاوز أو الإفراط في سوء المعاملة، أو أكثر من ذلك هي أذيّة للآخر كيفما كانت... والعنف الذي يعبّر عن عدم الاحترام للآخر، هي "حُقره". وهذه الأخيرة يشعر بها الفرد المهمّش، غير مبالي به مستبعد عن الجماعة... لا يمكنه التعبير عن آرائه، فيفرضون عليه نمط حياة معيّنة... فهي كلمة تعبّر عن الذّات، مفعمة بالانفعالات الوجدانية، تعبّر عن المعاملة السيّة، والخزي... تتجلّى ضمن

---

[1]. Boutefnouchet Mostefa, O.p. Cité, P.235

[2]. Lacoste-Dujardin Camille, O.P. Cité, P.p. 10-65

[3]. من مواليد 1979، من وهران، الأصل الأسري (بجاية)، مهنتها ومهنة الزوج: لهما محل خياطة، عدد الأبناء 2.

[4]. Revue de l’union nationale des associations familiale, Réalités: violences conjugales, C.p., P.17

[5]. Medhar Slimane, O.p. Cité, P.54

علاقة قوّة غير متوازنة،[1] والتي تكون ضمن حياة مشتركة في نفس السكن أين الطرف الضعيف يكون تحت الهيمنة الجماعية؛ وكما تؤكّد فاطمة المرنيسي من خلال سرد سيرة ذاتية لحياتها، وتصرّح بلسان أمّها التي نوّهت أنّ العيش في مجموعة كبيرة، تتضمّن إلاّ غاية واحدة ووحيدة غرضها إتعاس الناس، أين تشعر الزوجة في مكانتها ككنّة العائلة بالاختناق،[2] وعلى هذا الأساس وبناءا من تصريحات المبحوثات، وعلى حسب النتائج الميدانية التي بين أيدينا، نشير أنّ السكن الذي يجمع الزوجة بنساء العائلة للزوج يخلّف صعوبات في التفاعل والتأقلم[3] حيث 33,72% من الخلافات والصراعات كانت مرتبطة بهذا المجال (أنظر الجدول رقم 8).

1.2. علاقة الكنّة بالحماة: هي علاقة خضوع

إنّ المرأة في علاقتها بأسرة الزوج هي علاقة خضوع وانصياع قد تتوصل إلى حدّ الإذعان، تكون تابعة لهم، والحماة هي الطرف المحتذى به والذي يملك شرعية ممارسة السلطة، وتبيّن ذلك بـ نسبة 55,10% (أنظر الجدول رقم 9 الموضّح في التمثيل البياني أسفله)، وهي نسبة فائقة ضمن المجال الأسري مقارنة مع الزوّج الذي له سلطة في المرتبة الثانية بعد الحماة مباشرة بنسبة تقدّر بـ24,49%، يكون خاضع للأم، طائعا لها، تابعا لقراراتها الأسرية، أين الزوجة تكون تحت هيمنة الزوج والحماة؛[4] ضمن علاقة تراتبية يكون فيها الزوج طرف وسيط بين الأم في مكانتها كحماة والزوجة في وضعها ككنّة.

التمثيل البياني رقم

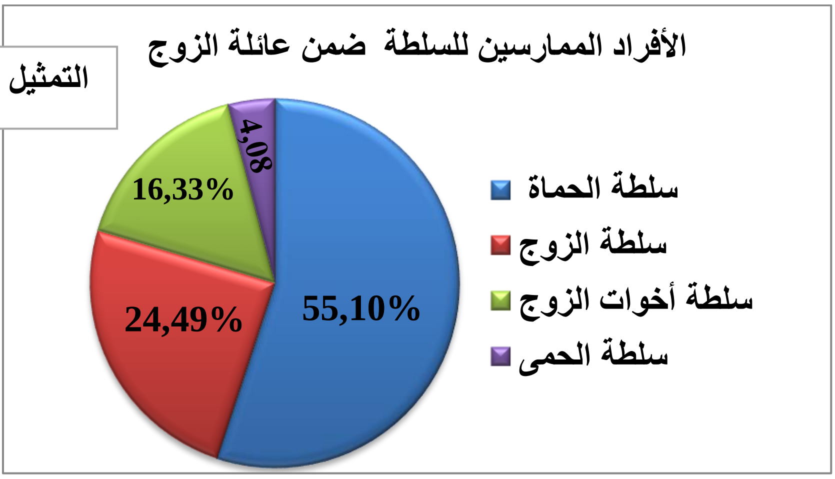

تحكي لنا المبحوثات:

"هي تحكم.. كما تقول له يدير.. إذا قالت له طلق يطلق.. ماتبغينيش. هي لي قالت له طلقها في الثلاثة تع الطلاقات.. وطلقني " (المبحوثة رقم 8)

"مّاه تحكم.. لّي تقوله مّاه يفوت، وهو يدور عليّ، متأثّر بالأم بزّاااف" (المبحثة رقم 10)

"اولادها يرعشوا من مّاهم، يخافوا منها.. وراجلي كذلك، يعمل كيما تقول مّاه.. هي طلق وهي تزوج الاولاد" (المبحوثة رقم 7)

"تابع ليهم يسمع لهم غير ليهم.. وأمه خاصة" (المبحوثة رقم 29)

"يميل للأم كثيييرا" (المبحوثة رقم 16)؛

---

[1]. Hassani Ali, Typologie des violences sociales en Algérie, C.p.

[2]. فاطمة المرنيسي، مرجع سبق ذكره، ص86

[3]. Voir : Camileri Carmel, jeunesse, famille et développement, essai sur le changement socio culturel dans un pays de tiers monde (tunisie), centre de recherche scientifique, France, 1973. P.122 ; Voir aussi : Kouaouci Ali, O.p. cité, P.178

[4]. Voir : Mostefa Boutefnouchet, O.p. Cité, P.224.

أمّا الحمى فهو الحلقة الضعيفة، ليس له حُكم ولا يملك سلطة قويّة على الأبناء وعلى كل أعضاء العائل والتي قدّرت بنسبة 4,08% فقط من جل المبحوثين رجالا ونساءا، حيث تخبرنا المبحوثات:

"شيخي، ليس له سلطة" (المبحوثة رقم 7)

"الخْتَن (الحمى) تضعه على الجرح يبرا. كي كان الراجل غابنّي يقول لي أنا بّاك، أنا شيخك، أنا خوك وأنا صديقك. زوجك اعتبريه كأنّه لا يوجد.. والخَتنة مادّيريش عليها" (المبحوثة رقم 6)

"شيخي ما عنده صلاح، وحماتي راهي شادّة التقاليد" (المبحوثة رقم 2)

"ختني، ليس له دور" (المبحوثة رقم 4)

وأما فيما يخص تصريحات حول الحماة تُعبّر المبحوثات:

"عجوزتي جدارمي." (المبحوثة رقم 6)

"مّاه، هي التي توجّهنا، أنا وراجلي تمشّينا على حسابها كنّا مْتَبّعينها هي" (المبحوثة رقم 5)

"عجوزتي قاعدة وتراقب وتحكم من بعيد" (المبحوثة رقم 4)

"عجوزتي تحكم.. وتتحكم." (المبحوثة رقم 30)

"عجوزتي ماجية متسلطة... هي تحكم" (المبحوثة رقم 10)

"عجوزتي رافدة كلّش وهي لي تحكم.. هي صاحبة السّلطة، وتحاسبك على كلّش: على القضيان وعلى دراهمك، وحتى على دارنا" (المبحوثة رقم 2)

ويؤكّد المبحوث رقم 11: "مّا كانت تبغي تَحكُم"

من جلّ التصريحات يتكرّر مفهوم الحُكم للحماة؛ وإنّ الشخص الذي يَحكُم هو الشخص الذي يتولى إدارة الشؤون وتيسسرها، وتطبيق القوانين، وهو الذي يأمر ويفرِض؛ والذي يتحكَّم ويستبدّ، ويتعنَّت، فيتصرّف وِفق مشيئته،[1] وهذا يعني أنّ الحماة تتميّز بشخصية آمرة وناهية، هي من تُوجِّه وهي من لها السلطة في جميع الأمور المنزلية، تحاول فرض آرائها واتجاهاتها على كنات العائلة، باعتبارها السيّدة والمسؤولة عن ضمان استقرار الأسرة بحِفَظ القيم التقليدية، وضبط النظام العام للعائلة بما فيه النظام العلائقي التراتبي بين الزوجين وجميع أعضاء العائلة، فتكون هي *الحارسة والحاضنة للقيم الأبوية* على حد تعبير عدي الهواري؛[2] وعليه تُلزم الحماة على الكنات الانصياع لها بمضمون الإلتزام بالنظم القيمية للجماعة، فَوق إرادتهن بفعل الضغط، حيث يُفرض عليهن الاندماج بتكوين العقل الجمعي مع الجماعة الأسرية تحت قيادتها بصفة فردية.

يوضّح سليمان مظهار أنّ السلطة الفردية لها وظائف تتجلى في المجالات التي لا تحتوي على منصب المسؤولية الفردية، يُعاملون كل من يخضع لهم كإقطاعيين حيث يؤكدون تبعيتهم،[3] ولا يتوجّب رفض هذه التبعية كيفما كانت الظروف؛ وإنّ العلاقة كنّة/حماة تدخل في هذا النطاق، فهي العلاقة الأوّلية التي لا بدّ على الزوجة أن تأخذها بعين الاعتبار فتعمل على التقرّب من أمّ الزوج والأخذ برضاها، فتؤكّد مكانتها ككنّة لتضمن النجاح في حياتها الزواجية، مؤكّدا lemarchant أنّ هذه العلاقة كنّة/حماة يستوجب أن تكون قوية ومتينة مقارنة مع الزوج والزوجة"[4] ولهذا يتوجّب على الزوجة بذل مجهودات ذؤوبة ضدّ إرادتها الشخصية لتنصاع لها تحت ضغوطات نفسية، قلقة من أيّ قرار يُتّخذ ضدّها حيث تكون علاقتها الزواجية مهدّدة بالخطر. مُعبّرة المبحوثات بذلك:

"نْخاف لو كان لا أستمع لأمه، أفقد زوجي.. خاصّة بعدما طلقتني ومن بعد هي رجعتني" (المبحوثة رقم 7)

---

[1] . مرشد الطلاب، قاموس مدرسي: عربي، عربي، المرشد للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008.

[2]. Lahouari Addi, O.p. cité, P.82

[3]. Medhar Slimane, O.p. Cité, P.258

[4]. Lemarchant Clotilde, O.p. Cité, P.p.119-136

"أشعر بالخوف. نخاف معهم ومنهم. ونخاف لو كان نخرج، نولّي لدار بويا" (المبحوثة رقم 2)

"وصلت نخاف منها، لما تَأتي لتتكلّم معي، قلبي يرجف، والفشلة تقبطني.. وصلت تبّعتها ونعمل لها لّي يرضيها" (المبحوثة رقم14)

"كنت نخاف مانبغيش نهدر ونفرض رايي" (المبحوثة رقم 6)

"أنا ما نبغيش نخسّر معهم، أخاف، لي يقولولي ديره نديره" (المبحوثة 26)

يوضّح le marchant أكثر مؤكّدا أنّ العروس إذا لم تتوفّق في كسب قلب الحماة ورضاها فهذا يعني أنّها أخفقت في دورها ككنّة وبالتالي في زواجها،[1] هذا إذا ما صُدر قرار الطلاق، فقد تتعرّض الزوجة في مكانتها ككنّة للعنف الأسري من مختلف مظاهره وأشكاله لتُحقّق الجماعة الأسرية انصياع الزوجة للحماة والجماعة الأسرية عامّة؛ -كما سنرى في نفس المحور- وهذا ماسيضاعف تخوّفها أكثر، فتمتنع عن بعث المشاكل الأسرية، تعمل جاهدا لألاّ تُبرز أي سلوك يخالف عائلة الزوج، وبالتالي منع أي شكل من أشكال العنف التي قد سيوجّه ضدّها إذا ما أثبتت الخضوع والولاء للحماة.

وعليه فإنّ الزوجة تعيش يوميات صعبة وقاسية، لفترة من الممكن أن تَطول لتتوصّل إلى المكانة المستحقّة والمرغوبة فيها من طرف الحماة، فتضمن حياة زواجية سعيدة، فعلى حد تعبير lemarchant التوصل إلى الزواج السعيد ليس بالأمر الهيّن، يعتبر تجربة قاسية، وله ثمن"،[2] مرتبط بـ"الاعتراف المشروط"[3] فالمرأة قد تنجح في زواجها إلاّ بعد أن تُحرز على مكانة قيّمة ضمن العائلة، بعما أن تقوم بمجهود للاندماج وتأكيد مكانتها ككنّة، فيتم الاعتراف بها كفرد يتوجب التقدير. يحكي لنا المبحوثون:

"أمي لم تعترف بها إلاّ بعد 14 سنة تع زواج.. أصبحوا يحبوها.. رفدت العقلية تع دارنا، وحتّى هم تقبلوها" (المبحوث رقم 45)

"أمي تبغيها، وتحتارمها.. توقف معهم" (المبحوث رقم 1)

"الأم تبغيها بزاف.. هي اندمجت بسرعة والعائلة تقبلتها بسرعة" (المبحوث رقم 7)

1.1.2. الانصياع للحماة مفروض على الكنّة من طرف جميع أعضاء العائلة

إنّ فعل إمتثال الكنة للحماة هو ليس واجب كفعل أخلاقي بل فعل مفروض على الزوجة ضمن القوانين العرفية الاجتماعية، وعليه لو نبع أي تجاوز من الزوجة لعلاقتها التراتبية بالحماة فسيعمل كل أعضاء العائلة على ضبطها وتطويقها لتأكيد مكانتها ككنة، وتثبيتها في أدوارها الاجتماعية المنوطة لها -بعد الزواج- بفعل الضغط، تُحاصر من كل الجوانب من طرف أعضاء العائلة ككل.

أ. سلطة أخوات الزوج في الحياة الزواجية

الجدول رقم 9 -الممثل في الشكل البياني رقم 11، ص.134- يشير إلى وجود سلطة الأخوات بنسبة 16,33%، والجدول رقم 10 يوضّح كيف أنّ الزوجة تَرفُض سلطتهنّ عليها بـ19,67%، وهذا ما يشير أنّ سلطة الأخوات لا تأتي إلاّ بعد الأم بصفة سيستيمية، ولا تمارسن سلطتهنّ على الكنّة إلاّ في حالات وفي مواقف تستدعي التدخّل، أين تثير غيظ كنّات العائلة، على حسب ما ورد في البعض من الحالات التابعة لدراستنا.

إنّ أخوات الزوج تتدخلن في العلاقة أم/كنّة لتأييد الأم -من بعيد أو من قريب- إذا ما نشب أي خلاف بينهما، أو إذا شعرت بأي تهاون من زوجة الأخ فتقِفن بجانب الحماة لتضغط على الزوجة: **"عجوزتي واقفة.. ومن بعد أخته تحرّش في عجوزتي"** (على حد تعبير السيّدة إكس).[4] أو في حالة ما إذا تراجعت

[1]. Voir : Lemarchant Clotilde, O.p cité, P.17

[2]. Voir : Lemarchant Clotilde, O.p cité, P.p. 138-139

[3]. أنظر: مصطفى حجازي: المرأة والتحرر من الاعتراف المشروط، مجلة باحثات، النساء في الخطاب العربي المعاصر، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، العدد:9، 2003-2004.

[4]. مبحوثة من مواليد 1979، من وهران، مهنتها ومهنة الزوج: لهما محل خياطة، عدد الأبناء 2، الأصل الأسري: بجاية.

الأم نسبيا وحدّدت نوع من الحرية للكنات بعد فترة من المسار الزواجي، فتعملن على إعادة تذكير الضوابط العائلية، حيث تخبرنا المبحوثة رقم 13 في مكانتها كأُخت للزوج: **"أنا ماما تَعرف الكنات مْقلشتهُم حتى أقول لها، ليس هكذا زيّرهم"**؛ وتضيف المبحوثة رقم 24:**"خوته قع متزوجين.. وينّقزوا في أُمهم يقولوا لها: ما تخليهاش دير ديك وديك. يْدَخلوا روحهم في القضيان، وحتى في صوالحك الخاصين. مثلا ماتخليهاش تروح لدارهم بزاف، وماتخليهاش تخرج. زيريها"**؛ وقد تُصبِحن الأخوات سيّدات المنزل بعد فقد الأم صحّتها، إذ يعبر عدي الهواري ضمن نفس الموقف موضحًا أنّ "الأم تنكص عن أداء دورها كحماة بعدما تتراجع صحتها للوراء"[1] وهنا يَخْلفها الأخوات، فتفرض النظام الأبوي، ويوجِّهن الزوجة لخدمة الأم والسهر على رعايتها ورعاية الأسرة. هذا ما أوردته المبحوثة رقم 29 في حديثها إذ تحكي لنا وهي مستاءة: **"الأخوات كلهم متزوجات ولكن من البعيد يحَّكموا. الأم ما عندها حتى هدرة.. ومّاه مريضة.. وأنا نقابل.. تعرف زوجوه باش يجيب المرا لي تقابل أمّهم، إيا ما نجمتش.. وأَخْواتَاتوا يحكموا، في الحق تكون غاية، وكي يْجيوا يْكوردیوها. وتتبدّل عليّ"**؛ وتضيف المبحوثة رقم 26: **"اخواتاه قع متزوجين غير وحدة مطلقة معانا في الدار وهم قع يحكموا، لي معانا هي الأكثر، والأخرين غير من البعيد.. أمهم مريضة"**

من خلال تصريح المبحوثات يتبيّن أن الكنّة تعيش ضغوطات يومية من طرف نساء العائلة ككلّ، وفي معظم الحالات تبين لنا أن الزوجة في غور علاقات التفاعل الأسرية النسوية تتعرض لمختلف مظاهر العنف من طرف أسرة الزوج عامّة كما تشير لنا النتائج البارزة في الشكل التالي الممثل للجدول رقم 22.

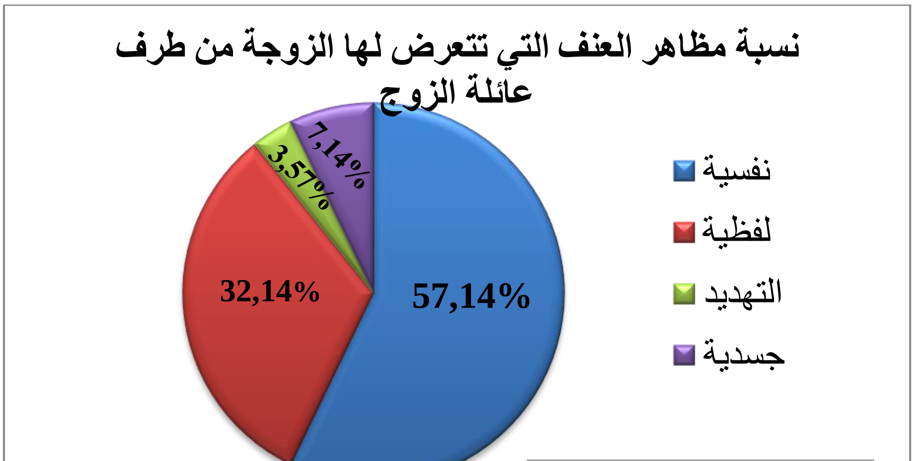

التمثيل البياني رقم 12

يوضّح لنا هذا التمثيل البياني الأخير أنّ الكنة تتعرض لعنف نفسي بنسبة 57,14%، وقد تتجرّأ نساء العائلة إلى ممارسات عدوانية أين تتعرض الكنة للعنف الجسدي والذي برز بنسبة 7,14% أين تطلب منها الخضوع للنظام العائلي بالقوّة، زيادة على العنف اللفظي والذي برز بنسبة 32,14%؛ مع العلم أن مختلف الأفعال العنيفة لمظاهر العنف وما يتضمّنها من مختلف الأشكال يمكن أن تتعدّد وتتكرّر في الحالة الواحدة، تكون الكنة تحت السيطرة والتسلّط النسوي لتفرض الانصياع وبالتالي الاندماج الجمعي، وهذا ما سيؤثّر على البعد السيكولوجي للزوجة، موضحّا Daniel Welzer Lang أنّ "كل فعل يحاول التوصّل إلى الاندماج النفسي والعقلي للآخر، يعتبر من مظاهر العنف النفسي"[2]، حيث تجد الزوجات نفسها في علاقات متشابكة مضغوط عليها مغمورة بالمشاكل، إلى حدّ التأوّه بعد مدّة من الزمن:

"ما عشت ماشفت الخير ملّي تزوجت، غير المشاكل، ماشفت والوا سكنت مع الحوانة، وصبرت.. كنت عايشة عيشة تع غْبينة مع مّه وخوته." (المبحوثة رقم 11).

---

[1]. Voir : Lahouari Addi, O.p. Cité.
[2]. Bouzid Baa Saliha, C.p., P.9

"قلبي طاب كل واحد عامل حقّوا.. مرات حتّى أخته تحب تتدخّل" (المبحوثة رقم 14)

"كان عندي مشكل مع أخته تبغي تدابز وتعايرني، تعرفي شا فوّت عندهم !، فوّت فوّت.. وحماتي تأتي في صفّ بناتها" (المبحوثة رقم 22)

"نضربت من عند الختنة. وأخته كذلك وضلت ضربتني: كنت عيّانة وهي –أخته- قاعدة.. راجلي قال لها نوض عاونها.. هذيك لّي قال لها نوض خَمّل معها تقول ضربها بخدمي.. إيا قالت لي إيبييه أنتِ ما دَّخلش راسك.. إيا أنا جيت عنتها وقلت لها ما تهدرش معاي كيما هكذا.. إيا تضربني بسألة وتقبطني من الشعر وطيّحني في الأرض.. وراجلي ما قال والوا والوا، قاعد يتفرّج.. وختنتي كذلك.. ولو كان راجلي يجي يهدر ما جيش مّاه معاه" (المبحوثة رقم 27)

إنّ من خلال تصريحات جلّ المبحوثات، وما توضّحه المبحوثة الأخيرة للموقف الذي تعرّضت له للضّرب ضمن مجال التفاعل العلائقي النسوي، يثبت لنا أنّ "العلاقات تحمل نوع من الضبط المحكم حيث أولوية العلاقات العاطفية تنحاز نحو البنت أكثرها نحو الكنّة، فالعلاقة بين الأم وابنتها تكون أقوى مقارنة بين الحماة والكنّة"،[1] الأمر الذي يجعل من الأم تابعة لأقوال وأفعال بناتها ضدّ الزوجة، بعدما تعملن على تأييد اتجاهات الأم في مكانتها كحماة، وبالمقابل الزوج لا يتوجب عليه التدخل في النظام النسوي، فهو مُلزم بتدعيم النظام العلائقي الهرمي بين زوجته ونساء العائلة ككلّ، فيفرض عليها الخضوع لأسرته الأصلية، وما على الكنّة سوى الانصياع لأوامر الجماعة.

ب. سلطة الزوج في ضبط انصياع الزوجة لأسرته الأصلية

من أهمّ الاستراتيجيات التي تتّبعها أسرة الزوج عامّة والحماة خاصّة في اخضاع الكنّات، إيغار قلب الزوج على زوجته، تعملن على بثّ انطباعات حول الزوجة مُوجَّهة للزوج، بحكم أنها حاولت الانحراف عن معايير الجماعة الأسرية، وبالتالي تقمن بتحريضه لغرض تأديبها على الانضباط بحكم أنّه الرّجل وهو من يملك السلطة وله الشرعية في التسلّط على زوجته، يَفرض عليها الاندماج عنوة للجماعة وإخضاعها لها إلى حد الاذعان.

أمّا إذا حاولت الزوجة التصدّي للوضع والإستنجاد بالزوج لكي يعيد الاعتبار لها ضمن علاقتها بالأم وإخوته فهذا غير وارد في النظام الأبوي "لا يتوجّب على الزوج إعطاء أهمية لأقوال الزوجة، ولا يمكنه أن يتدخّل في العلاقات التفاعلية بين نساء العائلة "[2] فالزوج عليه أن يُبرز وفائه وإخلاصه لأسرته الأصلية، ويثبت دوره في وضعه كإبن للعائلة قبل كل شيئ، وهذا ما يشير أنّ الزوج ليس له سلطة أمام احتجاجات الأم على الزوجة، ولا يمكنه التصدّي لها بحكم قداسة الأم ورمزيتها الاجتماعية، فما عليه إلاّ تقبّل ما هو وارد من شكاوي ضدّ زوجته؛ وعليه تدخل هذه الأخيرة في علاقة تراتبية بعد الزواج تكون تحت تصرّف أعضاء العائلة ككلّ؛ وإذا ما قاومت واستعصت وتمرّدت فقد تتعرّض للعنف الزوجي، وهذه من العوامل التي تولّد التطاحنات بين الزوجين.

إنّ الجدول رقم 12 يوضح أنّ 10,58% من الأزواج يرفضون أي تصرفات سلوكية أو فعلية صادرة من الزوجة ضدّ أسرته، مُواجهة لهم، وفارضة اتجاهاتها عليهم، وبالمقابل 11,54% منهم يوجّهون غيضهم ضدّ زوجاتهم إذا رفضت الخضوع للجماعة الأسرية؛ وأمّا الجدول رقم 13 فيوضّح مدى تصدّي بعضهنّ من النساء للزوج الذي يفرض عليها علاقتها بأسرته عنوة، وبفعل الضّغط، وتمثّل 14,29%. هذا ما يُبيّن لنا أن الزوجة هي تحت سلطة ذكورية في علاقتها بالزوج وسلطة نسوية في علاقتها بالحماة سيّدة المنزل، والأخوات نوّاب السيادة؛ والجدول رقم 10 يؤكّد لنا ذلك حيث: سلطة الزوج تجلت بـ 47,54%، منها 24,49 % يمارسها ضدّ الزوجة لغرض ضبطها للنظام الأسري العام وتقييدها في علاقتها بأسرته أين تكون تحت سلطة الحماة بالدّرجة الأولى –كما وضّحنا سالفا- (راجع الجدول رقم9، التمثيل البياني رقم 11، ص.131)، "لا يتوجّب عليه أن يُبرز أي مشاعر خاصة نحو زوجته إذا دخلت في علاقة مُنافسة مع الأم، فتعمَد على مواجهتها، حيث من

[1]. Voir : le marchant, O.p cité, P.p. 119-136
[2] . Mostefa Boutefnouchet, O.p. Cité. P60

المجدي به أن يُثبت للأم علاقته السلطوية بالزوجة... فإذا تجاوزت الزوجة الهرمية النسوية فهذا يعني أنّ صورته الرجولية معرّضة للتشوّه... بهذه الطريقة الرجل يحاول دائما إثبات رجولته أمام الأم، ولهذا الرجل يجد سرور وغبطة عندما الزوجة تخافه،[1] وعليه قد يتجرّأ لممارسة العنف الجسدي ضدّها. تحكي المبحوثات:

"وصل يضربني قدامهم، خاصة كي كنت عروسة.. لو كان غير نقول كلمة صغيرة، مانديرش أو ماشي أنا لي درت أو فعلت ينوض يضربني.. ضربني خطرة حتى حْرَدني وجرَّالي الدّم في راسي –تشير بيديها على الجبهة قريبة من العين-" (المبحوثة رقم 24)

"حبّوا يفرضوا عليّ أشياء.. وصلت تهانيت لمرات عديدة. نضربت من عند راجلي لكثير من الأسباب وخاصة على الأسرة تاعوا.. يحبوا نكونوا غير تحتهم وغير نتبعوا.. على خاطرهم نوليوا ننضربوا" (المبحوثة رقم 4)

"ضربني على جال دارهم... دقدقني" (المبحوثة رقم 14)

"وصلت للضّرب، انضربت، عندما أناقش معهم ويكونوا غالطين، كاين لي مايبغوش كي تحاسبهم وتْبيّن لهم أنّهم غالطين، كي تْرُدِّي على روحك تولي ماشي مليحة، وهو يقول لي ماترديش وأنا نرد لا أسكت، يحصّل فيّ بلي أنا كنت غالطة، وأنا لا أستحقّ الضرب ولا أتساهل معهم، عندما يكون عندي الحقّ خلاص.. وهو ما يجيش معاي" (المبحوثة رقم 2)

"حتى راجلي وضربني على جالهم" (المبحوثة رقم 27)

"يقولوا له زعفنا منها أو حاجة ما عجبتهم فيّ يحرشوه وينوض يضربني.. إيا تعرفي ما نجي من أو من" (المبحوثة رقم 26)

ويؤكّد المبحوث رقم 5: "دروك، أميّ مريضة هذه أوّلا. ثانيا: هي كانت الكأس لو كان فيها غير شويّ omo، ترجعه لك وتقول لك أغسلوا، وهكذا كانت تعمل لمراتي. على صوالح تع والوا تضغط عليها. أنا لا أستطيع أن أقول لها على هذه الشدّة في التّدقيق ماطّبقهاش غير على العروسة -كانت حتّى أختي في الدّار هجّالة- لا أستصيع أن أضغط على الأم وتقول لها نحّي عليك هذه العقلية، لا. لازم تضغط على المرأة باش تْبَّع هذه العقلية. لخفض التوترات.. بالسّيف عليها تتجاوب".

إنّ من مفهوم "**بالسّيف**" الوارد في التصريح الأخير مضمونا يعني يتوجّب على الزوجة أن تتجاوب مع نساء العائلة بصفة جبرية بفعل الضغط وبكل الأساليب، حتى إلى حدّ اللجوء إلى ممارسات عدوانية ضدّها، وعليه في هذه المواقف "لا يمكن للزوجة تحدّي الحماة لأنها تخاف من غضب الزوج... فالزوجة التي لا تحترم الأم يمكنها أن تصل إلى حدّ الطلاق"[2] حيث:

"مرّة دافعت على راسي، ردّيت الكلام على مّاه.. ضربني.. وخَالُه قالوا هذه المرا يليق الطلّقها.. المرا لّي تسخاط على مّاك هذه ما يليقش تقعد." (المبحوثة رقم 27)

"نهار لّي تصدِّت لخَتَّنْتي (الحماة)... جاء أخوه وقال له: أجي، أجي تشوف مراتك أسم (ماذا) ريها عاملة... طلّقها علينا" (المبحوثة رقم 14)

من هنا نشير أن الزوجة مفروض عليها تقبّل العلاقة الهرمية بنساء العائلة، فيؤكّد عدي الهواري ضمن نفس السياق أنّه "لو نتوقف على الصراع الذي يتخلل العائلة. هي غالبا توترات وصراعات نابعة بين النساء ومن سلطة النساء في المجال المنزلي.. فالنمط الشائع هو العلاقة بين الأم والبنات ضد الكنة وهذا لأنّهن تخفن إذا ما تحاول الزوجة التأثير على الزوج وتفرض نفسها ضمن الجماعة العائلية. والطلاق على الأغلب نابع من التوترات بين الحماة والكنة.. والطلاق الذي يعتبر في الجزائر أنه قطع العلاقة بين الرجل والمرأة.. على الأرجح وفي الغالب من عوامله هو صراع بين امرأتين،[3] وعليه فإذا لم تستطع الكنة تقبّل نظام العلاقات التراتبية بالجماعة الأسرية ستضع نفسها في معضلات أسرية، إلى حدّ أنها "تشعر بالاضطهاد والضلم من طرف الحماة وأخوات

[1] . Lahouari Addi, O.p. Cité, P.p.65-66
[2] . Lahouari Addi, O.p. Cité, P.69
[3]. Lahouari Addi, O.P. Cité, P.108

الزوج، مُجبرة على ملازمة المنزل وتداول الأيام الشبيهة ببعضها، المتميزة بالتوترات بين أفراد العائلة"[1] أين تجد الزوجة نفسها وحيدة في مواقف لا تتجرّأ على مواجهتها، موضّحة المبحوثة رقم 27: "**أنا ما ننجمتش ندافع على راسي شْكون يجي معاي؟ !**"، فحّتى الأسرة الأصلية تَحفّظا من أي رد فعل معاكس في اتخاذ قرار الطلاق تضغط على الابنة لتقبل الوضع بطريقة سحرية تضبطها في علاقتها الهرمية لحياتها الزواجية، بحكم أنّ طبيعة العلاقات العائلية الممتدة لها قوّة ثقافية أبوية والتي تفرض على الزوجة الانصياع للحماة ولأسرة الزوج عامّة، ولذلك العلاقة بين الكنة والحماة هي علاقة صراع وعدم تفاهم دائمة.[2]

ج. سلطة أسرة الزوجة الأصلية في فرض الانصياع

إنّ الخضوع للحماة ولأسرة الزوج مُدعّم اجتماعيا، حيث:"**يْليق لّي تْصيبوا تقبل بيه.. وقلت لبنتي قْبَط دارك أنا ماجّينيش كل يوم**"، هكذا تقول فاطمة من مواليد 1965 لابنتها المقبلة على الزواج تبلغ من العمر 24 سنة –في دراسة استطلاعية- تحدّد لها الوصايا التي تجعلها زوجة وكنّة ناجحة؛ وتحكي لنا السيدة إكس[3]: "**أنا حتّى يمّا وبابا نهار لّي جيت ماشية عروسة قالولي وفهموني بلّي راكي ماشية لدار وناس واحدوخرين (آخرين) ومْحتّمين عليك obligé تَعشريهم**".

وتؤكّد لنا المبحوثات في نفس المضمون، حيث تحكي:

"والدي قالوا لي والوا ما توليش صبر وخلاص" (المبحوثة رقم 11)

"والدي قالوا لي شوف واسكت، وتبّع.. نهار لّي ما نجمتش، بّا قال لي تقعد في دارك وتصبر.. ومّا كذلك تقولي غير أصبر. صبر تْنال" (المبحوثة رقم 14)

"مّا لمّا نعيد لها.. تقولي صبر.. ماتولّيش" (المبحوثة رقم 2)

إنّ من خلال حديث المبحوثات يتبيّن لنا أنّ الوالدين يستعملون مفاهيم خاصّة تؤكد توجيه الإمتثال لمعايير وقيم غير مألوفة عند ابنتهم، ولابدّ عليها أن تكتسبها إراديا أو لا إراديا لتضمن الاندماج الأسري من خلال الاندفاع نحو "التقبّل" للحياة الزواجية وبصفة جبرية لحُسن المخالطة الأسرية، وتقبّل الواقع بفعل "الصبر"، وهذا الأخير ما هو إلاّ علامة من علامات الإذعان، والإستسلام لنمط العلاقات التراتبية للحياة الزواجية، حيث من خلاله سوف تَنال -في فترة قد تطول أو تقصر- تقبُّل الحماة لها وللجماعة ككلّ. أمّا إذا لم تصبر على الوضع فهنا ستقدُم الأم على ضبط ابنتها في الحياة الزواجية باستراتيجيات مختلفة، من الممكن أن تنساق نحو تعنيفها. تحكي لنا المبحوثة رقم 14:

"دايما تردّد لي وتقول لي –الأم- دعوة الأم ولاّ **دعوة الشرّ** تع الختنة، وتقول لي الأم: يالّي تولد وتربّي خاف من عقوبت ربّي.. وصلت الأم باش نقبل حياتي **ضربتني بصفعة**، لما واجهتهم.. صفعة لا أنساها طول حياتي و**قدّامهم**. هذه لّي غبنتني"

من خلال هذا التصريح يتبيّن لنا أنّ الأم تعود على البنت بردود أفعال عنيفة رمزية هادئة أو معلن عنها بدافع إعادة توجيهها في الاتجاه الذي يخدم المصلحة العامة. يمكنها أن تُوجّه الإبنة بعنف رمزي بطريقة سحرية، تضمن خنوع ابنتها للحماة الباعثة –على حسب رأيها- في توجيه اللعنة لكل كنّة تخالف نظم القيم العائلية، تحت عبارة: "دعوة الشّر"، غرضها زرع التخويف، كميكانزمات ترهيبية غيبية، وبما أن الفرد يخاف من الغيب وكل ماهو غيبي يتوجّب عليه الخضوع، يتوجّس من توجيه ردود أفعال تعود عليه بالضرر من الأرواح الشرّيرة التي تلتقط لَعنة كبير العائلة وما يحمله من قداسة اجتماعية.

---

[1]. Lahouari Addi, O.P. Cité, P.66
[2]. Voir : Lahouari Addi, O.P. Cité, P.p.65-66
[3]. مبحوثة من مواليد 1979، من وهران، الأصل الأسري (بجاية)، مهنتها ومهنة الزوج: لهما محل خياطة، عدد الأبناء 2.

وعليه فإنّ من أهم الاستراتيجيات التي تتّبعها الأم لإخضاع ابنتها لأم الزوج مرتبطة بالأخلاق الدينية، فتحاول أن تجلب رضا الله تعالى بالانقياد نحو جلب رضا الحماة، بحكم أنّها الشخص الذي يتوجّب الخضوع لأوامره قبل أي شخص آخر؛ وهكذا بالمقابل "تحافظ على صورة خالصة لأسرتها بعدما أن تضمن إحترامها وولاءها للحماة وللجماعة عامّة بدون أيّ دنس،[1] وتحرز على رضا جميع أفراد العائلة بما فيها أسرتها الأصلية.

وأمّا إذا ما لاحظت الأم أي عجز من الابنة على احترام أوامر الحماة وجلب رضاها ففي هذه الحالة الزوجة الشابة من الممكن أن تتعرض إلى التعنيف الجسدي من طرف أمّها -إذا تطلبّ الأمر بحضور الجميع كما ورد في الحالة التي أدرجناها أعلاه- وهذا لتضمن هذه الأخيرة نجاحها هي كأمّ في تربية ابنتها، فتثبت للجميع أنها لا تزال حاضرة لتؤكّد تنشئة الابنة التقليدية حتى في سن متأخرة بعد الزواج، فلا تزال الأم المؤيِّدة لنظم القيم الزواجية التقليدية، ولا تزال محترِمة للعلاقات الهرمية للحياة الزواجية؛ وما على الحماة إذن إلاّ أن تتولى بأمرها ضبط الخضوع لزوجة الابن بعدما أن فتحت لها الأم باب تعنيف ابنتها في دورها ككنّة، وعليه فتكون هذه الأخيرة منقادة بعنف بنيوي يؤكّد الخضوع لنظام ومعايير محدّدة اجتماعيا، حيث "يُعتبر العبئ المفروض عليها في المجتمع كخدمة مقدمة للزوج[2] ولأسرته، ولا تحاول إثارة المشاكل بتوجيه اتجاهاتها وفرض مبادئها على الجماعة بقوّة شخصيتها المواجهة لظروف تثير استيائها، فيمكنها "توجيه قوّة الشخصية هذه لعمليّة الاندماج، فتعمل على إخضاع نفسها لخدمة الزوج والافتخار برجولته، وتقبل علاقتها بأسرة الزوج، وتحرص على أن تَلد لهم أبناء يحملون اسم العائلة[3] لضمان مكانة قيّمة في الوسط الأسري.

2.2. مكانة المرأة في حياتها الزواجية

1. الزوجة هي فرد غريب عن العائلة

تشير المبحوثات في حديثها:

"من نهار لي لقيتهم ماربحوش بيّ" (المبحوثة رقم 8)

"مخلاونيش ندخل في وسطهم.. عندهم كي الأسرار وماتنجميش تدخلي في وسطهم.. دايما لما نصقصيهم على حاجة ما يحكوليش مالهم، ما يقولوليش.. ماعرفتش !، وما يعطونيش حاجة مقنعة، مُبهمة ما تنجميش تفهميها" (المبحوثة رقم 17)

"في العاصمة قعد 7سنوات معهم عشت الذّل والهمّ، هم مع الأول خطبوني قالت له شفتها وعجبتني وتبان عاقلة، ومن بعد بْقاوا يقيسولي في الهدرة؛ **دروك سْلايفاتي هم قع نْسا خُوته**: وحدة بنت عمته والأخرى بنت خاله، **وأنا البرانية في وسطهم**؛ يعايروني ويقولولي انْتيَّ ماتسويش.. وعجوزتي حتى هي بقات تقولي برانية انْتِ عليَّ، تعنّق في بنت ختها الأخرى وأنا تقولي انتيّ ماشي تعنا" (المبحوثة رقم 19)

يشير كوفمان أنّ المشاعر العاطفية لمن يحيطون بنا هي ببساطة الامتداد للبناء الايجابي للذات الملتحمة، حيث العالم القريب يصبح مألوف ويكوّن جزئ من ذاتنا داخل التفاعل اليومي للأشخاص القريبين منا، والأدوات المشتركة تُبيّن واقع الذات التي تتجاوز حدودها وتندمج ضمن حدود الآخر؛[4] ولكن -ما تبين من خلال تصريحات المبحوثات المذكورة أعلاه- علاقة الكنّة بأسرة الزوج هي دائما علاقة مغتربة لا يُسمح لها بتجاوز حدودها الأرضية والتدخّل في اللوازم الخاصّة بالعائلة، وهنا تشعر الزوجة أنها مستبعدة من مجال ليس ملكها ضمن السكن الأبوي، فتُعامل ***كفرد دخيل وغريب عن العائلة لا يتم تقبلها بسهولة في بداية الحياة الزواجية،***[5] ولا يتمّ الترحيب بها

[1]. Mostefa Boutefnouchet, O.p. Cité, P.71

[2]. سيمون دي بوفوار، ترجمة: ندى حداد، الجنس الآخر، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2008. ص.122

[3]. Voir : Lahouari Addi, O.p. Cité, P.69

[4]. Kaufmann J.-C. (1993), O.p. Cité, P.47

[5]. Voir : Mostefa Boutefnouchet, O.p. Cité, 1980. P.66

للوهلة الأولى كفرد من أفراد العائلة، فهي تُعدّ فرد أجنبيّ عن الجماعة لا يتوجّب عليه التدخّل في الأمور العائلية.

وعلى هذا الأساس تتعامل الجماعة الأسرية مع الزوجة بلامبالاة وبدون أدنى اعتبار، تُحرم من العلاقات الوجدانية العائلية، حيث 66,67% من جل المبحوثات تعانين هذا النمط من الحرمان -كما يتبيّن في الجدول رقم 21- وهذا الاخير يعتبر من أحد أشكال العنف النفسي والذي يمثل 57,14%، زيادة على العنف اللفظي الذي يوجّه للكنّة في إطار هذا المضمون (راجع الجدول رقم 22، التمثيل البياني رقم 12، ص.135).

يوضّح May Clarkson ضمن نفس سياق الموضوع مفسّرا أنّ "العنف الموجّه ضمن المجال الأسري غالبا ما يكون أقلّ شدّة مقارنة مع العنف الممارس اتجاه الغرباء"،[1] وهذه النزعة ضدّ الغرباء على حسب Zerdoumi Nefissa يكوّنها الفرد في نظره في مرحلة مبّكرة من حياته يكتسب فيها روح الجماعة والتي تسنِد له الحدود وسلوكاته الاجتماعية، فيكوّن لديه تصنيف تصوّري تحتل فيه "العائلة" المرتبة الأولى، وبعد ذلك يأتي "الغرباء"،[2] وهؤلاء يُعبَّر عليهم في المجتمع المحلّي بـ"البرّانيّين"، والكنّة تعتبر فرد "برّاني" عن الجماعة الأسرية للزوّج.

تتكلّم Zerdoumi N. على مفهوم "البراوِية"، فتفسّر أنّ هؤلاء يلعبون في الأذهان... دور الدخّيلين والمتطفلين الذين يتوجب احتقارهم، مخاذعتهم، تجاهلهم، وفي بعض الأحيان تحمّلهم، يوجهون لهم كل مشاعر العداء،[3] وهذا ما تعيشه الكنة في علاقتها بأسرة الزوج، تُوجَّه لها بعض الانتقادات إلى حدّ النفور منها، ويكون الوقع أشدّ ضدّها إذا لا تربطها بهم علاقات قرابة أو أنها لا تنتمي إلى نفس الفئة الإثنية.

في نفس الصّدد يشير Freud "في عام 1919، في مقال له يحمل العنوان المترجم باللغة اللاتينية «l'inquiétante étrangeté» وتُرجم كذلك بـ «Familier intime» والتي تقارب الترجمة باللغة العربية بـ«أفراد العائلة الواحدة» وهم الأفراد التابعين لنفس الجماعة الأسرية، وكل فرد يعتبر جزئ منها، تجمعهم أسرار. أمّا بالنسبة لكلمة "غريب" «étrangeté» فتعني ما هو غير مألوف لنا... لهذا نخاف من الآخر الغريب عنّا والمختلف عنّا، بطريقة غير عقلانية... وإذا لم يكن الغريب ذلك "السيّئ" كما كنا نعتقد، فهو يُماثلنا... ولرفضه سيقوم بكل الامكانيات لتجاهل هذا التماثل"،[4] وعليه كلما أُعتبر الفرد غريب عن الجماعة كلّما تعرّض للإهانات.

وبهذا التصوّر يمكننا أن نفسّر علاقة الزوجة بأسرة الزوج والتي تكون في نفس الوقت غريبة عن أفراد الجماعة وتُعدّ مماثلة لهم وغير مختلفة عنهم، حيث من جهة، في بداية حياتها الزواجية لا تُعتبر ذلك الفرد الذي يكوّن العقل الجمعي مع الأسرة، ومن جهة أخرى لا يمكن نكران انتمائها العائلي للجماعة؛ وعليه تقوم الحماة بصفة مستمرّة بالبحث عن الثغرات التي يتوجّب ملؤها في شخصية الكنّة إلى أن تندمج ضمن الذهنية الجمعية وتكون الرابط الجماعي، فهي إذن نظيرتها ولكن تتجاهل هذا التماثل حيث تعتبرها غريبة عن الجماعة فتمارس عليها العنف باستراتيجياتها الخاصة، إذ يتمّ رفضها أو الحط من قدرها وشأنها في أعين الزوج وأعين الآخرين، تعمل على وزن سلوكياتها، وتدوين أخطائها والتعليق عليها.. إلخ. وبهذه الطريقة تقوم بتعنيفها نفسيا باستنزاف التوجيهات والتعليمات والأوامر عليها، على غرار الضغوطات التي تكتسحها والتي تستنفذ قواها في أشغال المنزل، وعليه فـ"عند وصولها تعتبر شخص غير مرغوب فيه، يوجهون لها نظرة دونية، إلى أن تبرز همّتها وكفاءتها كخادمة بيت بامتياز، ماهرة في الطبخ، في الخياطة، وكل الأعمال المنزلية" [5]

---

[1]. May Clarkson, O.p. Cité, P.39
[2]. Voir : ZERDOUMI Nefissa., O.p. Cité, P.40
[3]. Zerdoumi Nefissa., O.p. Cité, P.42
[4]. Yahyaoui Abdessalem et coll., O.p. Cité, P.64
[5] . Mostefa Boutefnouchet, O.p. Cité, P.66

2. مكانة المرأة مرتبطة بأدوارها الاجتماعية

بعد الزواج المرأة تتبنّى أدوار متعدّدة يتوجّب عليها استوفائها بأكمل صورة في مكانتها ككنة وزوجة وأم للأبناء، وباستوفاء أدوارها تتوصل إلى استكمال الانتظارات المتوقعة منها من طرف جميع أعضاء العائلة، أين ستتبنّى مكانة تراتبية في أسفل السلّم العائلي.

1.2 دور الزوجة في الأشغال المنزلية

أ. دور يثبّتها في مكانة دونية

يحكي المبحوث رقم 11 إذ يوضّح نيّة أمّه في مكانتها كحماة، والتي لها تصوّر خاص بالكنة التقليدية:

"يبغوا يزوجوا الولد ماشي باه جيبله مرا لا. باه جيب خدامة تعاونها في شغل الدار تقضي. ولكن أنا الهدف تاعي باه نتزوج باغي نكوّن أنا عائلة ماشي باه نجيبلك مرا تقضيلك.. مين هاكة ها نجيبلك femme de ménage تقضيلك وتنقيلك وخلاص.. وأنا "مّا" المستوى تعها تع زعما زوجة الإبن نجيبها للدار تقضي لي وتسكت.. وتعايرها كي ما تقضيلهاش كيما تبغي. بهذه العقلية زعما هي بنآدم ومرتي ماشي بنآدم.. أنا هذه ما نبغيهاش لمرتي"

إنّ هذا التصريح يوضّح لنا ويؤكّد الهدف من مضمون الزواج عند العائلة الجزائرية، وخاصّة بالنسبة للنساء اللواتي تحملن رواسب تقليدية لمكانة الكنة ودورها الاجتماعي للحياة الزواجية، والمرتبط أساسا بالأشغال المنزلية، وكما نوّه Camilleri ضمن نفس سياق المضمون بما جاء به "طاهر الحدّاد" والذي أعلن أن سوق الزواج يُعتبر مجال تجاري عند بعض الأسر التي هي بحاجة لامرأة تهتم بالعمل المنزلي، حيث يعملون على اختيار زوجة للابن لتسهر على رعاية العائلة".[1]

تحكي المبحوثات، والتي تُثبت لنا حاجة الأسر من الزواج، معبّرة باستياء عن وضعهنّ، مؤكّدة لنا معاناتها في مكانتها ككنّة، وما يتوجّب عليها القيام به من مهام منزلية تحت إمرة وتوجيه الحماة التي: "تحكم في القُضان" على حد تعبير المبحوثة رقم 30.

"غير العرايسات واقفين.. انظلوا غير في ménage ما يكملش. أنا déjà نبغي شغل الدار ولكن ما شي هاكذاك. يَسْتَرِيْحُوا على ظهرك." (المبحوثة رقم 30)

"أقول لراجلي، مُك راهي مْهنيَة بينا. راحنا عاطيين لها صحَّتنا.. دايرتنّا كل وحدة والمهام تعها.. أنا في نهاية الأسبوع نتعب أكثر منهم، مين خدّامة دايرتلي أنا الكوزينا كلّ النهار وعْليهم التسياق. وأنا التَّسْياق كل يوم وقَبل الذهاب للعمل، بلى العشا لّي نوجّدها كل يوم" (المبحوثة رقم 2)

"مانقومش بصوالحي غير نقضي.. وفي شي صوالح مانلقاش حريتي: مثلا عجوزتي راهي في المطبخ هي السيّدة. تقولي ديري وديري، ولكن كيما تبغي هي. ومثلا الطياب في رمضان ممنوع نطيب وندير الحريرة هي تعطيني تع نقّي الخضرة، ونقشر الباطاطا، ونغسل الماعين.. الكُورفي يفوتوا عليّ أنا؛ تقولي بـ les ménage: خرجيييي من الكوزينااااا أنا ندير كلّش؛ إيا هيّ طيب طيب طيب، ومن بعد يفوت عليّ قاع ners. مالقيش روحي" (المبحوثة رقم 10)

من خلال جل التصريحات التي وردت معنا في الدراسة الميدانية نشير أنّه، بحكم المكانة الهرمية التي تربط الزوجة بأم الزوج ضمن علاقة خضوع وانصياع، يُفرض عليها بعض الواجبات المحتومة والمفروضة عليها، والتي *تجعلها في مكانة جامدة وحياة رتيبة ومملّة.*[2] إنّ من أهم المهام الموجبة على الزوجة مرتبط بالأشغال المنزية والتي تعتبرها أعمال شاقة تتجاوز إرادتها وطاقتها، على غرار ما هو منتظر منها في مجال الطّبخ، رغم أنّ هذا الأخير وعلى أغلب العموم لا يمكنها تأكيد دورها فيه إلاّ بعد فترة من الزواج، وهذا لأنّ "الحماة تشكّ في قدرات الكنة، واعية باختلاف الإنتماء... والصراع مرتبط غالبا بالمطبخ"،[3] ولكن كل ما يتضمّن من أشغال فيما يخصّ الكنس،

---

[1]. Camilleri Carmel, O.p. Cité, P.64

[2] . أنظر: سيمون دي بوفوار (2008)، الجنس الآخر، ص.ص.143-122

[3]. Lemaechant Clotilde, O.p. Cité, P.129

والتنظيف، وغسل الأواني، وترتيب المنزل، هي من مهام الكنّة بصفتها أعمال متدنّية خاصّة بالخادِمات، *فالحماة "لها كنّة"، هذا يعني "جارية في المنزل" والحماة هي سيّدة المنزل لها مرتبة رفيعة ومريحة...* وفي الفترة التي تقوم الكنة بأشغال المنزل تقوم الحماة بجولات خاصة بها.[1]

فتخبرنا المبحوثات تصوّرهنّ لوضعهّن هذا، والذي يفقدها التقدير للذات أين "تسهر على خدمة الحماة وكل أعضاء العائلة، لتؤمّن السير الوظيفي الحسن للجماعة،[2] تشعر أنّها أَمَة مُهانة في علاقاتها بالجماعة، مُعبرة:

"ختّنتي (الحماة).. تقول لي أنا كي نخرج خاصني الجازي نخليه من موراي. الجازي هو أنا العبدة لّي خصها تخدمها ليل ونهار.. تقول لي من المفروض كي يجي لُوسك (أخ الزوج) في الليل تْنوض تحُطْ له العشا. تعرف عنداش كان يدخل؟ ! حتّى لمنتصف الليل.. ونزيدك أنا نَنفط الكوزينة ونْحُك الحيطان وهي وبنتها يتفرجوا المسلسل، ومرّة مرّة جّي تتفقدني. تعرف ! حطّت لي الماء القاطع في الإناء ولم تُخبرني، ولما حطّيت يديّ حرقني، تعرف زكّيت بكل جُهدي.. قالت لي يْليق تقضي بيه.. الغلّ يبان في عينيها." (المبحوثة رقم 14)

"أنا ختّنتي تروح تسافر.. وأنا نقابل الدّار.. وقبل ما تعود أقضي كل المنزل.. أنا مكانتي ككنّة على جال صوالحهم ! ماعنديش بلاصة في وسطهم" (المبحوثة رقم 7)

"مَّه عندها عقلية: المرأة تَخْدم وتْبَلَّعْ.. حتى نحس أنّي مقهورة. سامحة في حقّي.. مثلا البارحة: عجوزتي أمرت سلايفاتي صبحا يْقَطعوا الأشجار في الحديقة، وأنا وسلفتي كنّا صايمين، المساء بعد المغرب، بعد ما فطرنا مباشرة قالت لنا: روحوا نقّوا الحديقة. كان البرد والليل. كيفاه البرد داخلني وتزيد لي، فيّ arthrose. ما بغيناش في ذاك القيس، ولكن من الغد نقّينا الحديقة. قع ما علابالهاش بيك، ويليق غير تخدميهم مريضة أو بصحتك.. خدّامين قايمين بالعجوز. ما لقيت صحّة معهم.. وما يقرّوش ويزيدوا يسمعوك الكلام" (المبحوثة رقم 2)

"نوض بكري باش نْقِيم، وكل يوم كيف كيف.. والضياف على غفلية. أنا نقابل الدّاخل والخارج: لّي يموت عندنا ولّي يفرح عندنا، ولّي يمرض عندنا. خالتُه مرضت جات قعدت ثلاث (3) أشهر. الفطور والعشا عليّ، ونقابلوها بيها بيناتها وراجلها وولدها ولّي يجيوا يرقبوا عليها.. زعفت وما نجمتش نبيّن.. والمعاونة باش ما نقولش ماكانش، نقول قليلة بزّاف.. كنت بونيشة" (المبحوثة رقم 27)

"القضيان كلش أنا. رافدة مَه.. كلّش عليّ.. الكنة مهانة." (المبحوثة رقم 24)

يعتبر الإمام الغزالي أنّ الزواج الإسلامي ليس بعيد أن يكون بالنسبة للمرأة نوع من العبودية لأنها مجبرة بطاعة الزوج بدون حدود،[3] محاولة كذلك الخضوع لمتطلّبات أسرته، مستوفية جميع واجباتها على أكمل وجه لا تقوم إلاّ بإرضاء الجماعة، حيث "لا تقيّم الزوجة إلا على أساس كل الأعمال والمهارات التي دُرّبت عليه، بما في ذلك الخضوع والصبر، وكل ما هو مشترط في العلاقات الاجتماعية الملتصقة بصورة المرأة ودورها،[4] أين تحاسب عن آدائها لوظائفها ككنة بدون رفق، إلى حدّ أن تُعامل بسلوكيات عدوانية سادية، تُوجه بأوامر للقيام ببعض المهام فتكون تحت السيطرة بطريقة مجحفة لا تستحقّ الولاء، ولا نوع من العرفان لما تقوم به من خدمات؛ ولا يمكنها أن تضاهي بنات العائلة فعليها أن تكون كنّة، وهذا يعني أن تكون عاملة منفّذة مُهيمن عليها تحت مسؤولية الحماة، وعلى حسب Kergoat Danièle "المهيمَن عَليه يُمارس عليهِ مراقبة صارمة وثابتة، له حقوق محدودة، ويثبّتونه في مكانة تنتزع منه كل سلطة تعاقدية. فتطبّق عليه سلطة تعسّفية ومجحفة.. تفرض ضغوطا عليه، فيكون في علاقة خضوع وعبودية؛[5] وفي هذه الحالة فإنّ الكنة لا يجب عليها التواني والتهاون

---

1. Lacoste-Dujardin Camille, O.p. Cité, P.57
2. Voir : Mostefa Boutefnouchet, O.p. Cité, P71
3. الغزالي (1953)؛ نقلا عن: Lacoste-Dujardin، نفس المرجع سالف الذكر، ص.101.
4. شارب دليلة، رسالة دكتوراه سبق لما ذكرها، ص.57
5. Kergoat Danièle, Division sexuelle du travail et rapports sociaux de sexe, source : dictionnaire critique du féminisme, paris, P.U.F, 2004. P.44-45

عن آدائها لدورها الاجتماعي المنوط لها بعد الزواج والمحصور في أشغال المنزل، والتي ستحصرها في محيط ضيّق أين تكون تحت السيطرة المستمرة.

ب. دور يطوّقها في علاقة أسرية محدودة

إنّ الكنّة ليتسنّى لها فرصة خدمة أعضاء العائلة واستوفاء دورها في المهام المكلفة لها من حيث الأشغال المنزلية، تحاول الأسرة فرض سيطرتها لتطوّقها في علاقة اجتماعية أسرية محدودة مرتبطة بأسرة الزوج، حيث يتمّ تعليق علاقاتها الاجتماعية، فتُقيّد في مجال ضيّق مفعم بالضوابط أين تُحرم من بعض الرغبات الفردية التي تعطيها نوع من الحرية في توجيه سلوكياتها، الأمر الذي يولّد لها الشعور بالاختناق.

من أهم الاستراتيجيات التي تتّخذها أسرة الزوج لتأكيد دور الزوجة في مكانتها ككنّة، إجبارها على المكوث بالبيت، والتخلّى عن عملها أو تتراجع عن فكرة العمل، فتُحرم من إثبات استقلاليتها المادية - كما سبق وأن رأينا في الفصل الثاني- وهذا الحرمان *يُعدّ شكل من أشكال العنف الموجّه ضدّ النساء في الوقت الحالي*،[1] حيث بقيت المعتقدات التقليدية تؤكّد المجال المنزلي كمجال خاص بالمرأة ومن طبيعتها أن تقدّم خدماتها الأسرية في مكانتها كزوجة وكنة وأم للأبناء. فتخبرنا المبحوثات:

"انا كنت موظفة لاباس بيّ في الولاية تع وهران، ونهار لي تزوجت قالي ما نقبلش المرا لي تخدم، ولكن من بعد عرفت بلي حبابوا مابغاونيش نَخدم ونقعد في الدار.. هو الأم تّاعه مرضت بمرض السكر وكان خاصهم لي تقابلها بعدما البنات تزوجوا، فإذن **قعدوني في الدار** وقابلتها حتى لّي ماتت.. **شَفْت الويل**" (المبحوثة رقم 24)

"**رْفدت عام بدون عمل بغيت نهبل**.. حرمونا من صوالح بغينا نديروهم لم نستطع.. كلّش طايح عليّ. نخدموهم قع. شّا ريها باغية أكثر !؟.. راجلي يقول لي ما تروحيش تخدمي راه باغي نخدم والديه ونسكت هذه الخدمة راحنا صايبينها نحن؟ هم راهم يستنفعوا بها.. **وهي تْكورديه باه يْبطلني الخدمة**.. ما علابالهاش تقول والدينا ولدونا باه نخدموهم.. **وزيد ما نخروجوا ما نحوسوا وما نروحوا عند والديا**. قع ما نخرجتش" (البحوثة رقم 2)

"**قعدت 3 سنوات في الدار** كي تزوجت، وااااي ! آه يمّا ! **بغيت نَهبل**، ما ندخل ما نخرج حتى دارنا بالشهرين بالثلاث أشهر ما نروحش، يسّكنوا غير مَن في الدّورا" (لمبحوثة رقم 16)

على حسب ما ورد في حديث المبحوثات، نشير أنّ المرأة بمكوثها بالبيت ترى بعينها العذاب الأليم، لا تجد مجال للراحة النفسية، حيث المجال المنزلي الذي يعتبر من المجالات التي يشعر فيها الفرد بالأمان يصبح مجال للضيق والضجر الباعث للتبرّم والإستياء، تُحرم حتّى من تخطي باب المنزل حتّى بمدأ الترفيه عن نفسها أو الذهاب لزيارة أهلها، فهمّ الحماة الوحيد إبقاء الكنّة محصورة في خدمة العائلة فقط. مؤكّدة المبحوثات:

"دارنا ومانروحلهاش... مقابلينهم غير هم" (المبحوثة رقم 2)

"كنت أذهب إلى أسرتي في آخر الأسبوع لأرى والديّ وكانت الحماة وإخوته تَزعف لهذا الأمر. كان يضربهم الزّراق" (المبحوثة رقم25)

"كانت تمنع علي حتى الخروج من المنزل إلا في الأيام التي أذهب فيها إلى العمل، وتحسب لي وقت الدخول الى المنزل وإلا تتهمني بأني راني صَايبة la liberté.. ولّيت نخاف حتى نقول حبيّت نروح لدارنا.. وصلت حبّت تمنع عليّ حتّى الحمام.. ونزيدك هم يخرجوا يحوسوا وانا نوجّد العشاء ونحطها ونرفدها ونغسل الماعن" (المبحوثة رقم 14)

كانوا معروضين ذاهبين يسّهروا. ختنتي.. خلاّتني أغسل أواني العشاء ونقابل أولاد لوستي كامل بخمسة. فإذن بقوا معي عشّيتهم وحمّمت لهم بالواحد بالواحد.. انا نهار لّي مشيت لفرح ولد عمّي سودتهولي.. كامل ما نخرجش.. تحسب كنت في السّيلون" (المبحوثة رقم 6)

[1] . Voir : revue de l'union nationale des associations familiale, Réalités: violences conjugales, C.p. P.29

إنّ ما يتوضّح لنا أنّ تأكيد دور المرأة ضمن المجال الخاص يعني أنّ الجماعة الأسرية تريد أن تتملّكها جسدا وروحا، بحكم أنها امرأة أصبحت مِلك للعائلة بعدما أن حَملت اسمها بعد الزواج، وعليه تصبح شيئ مُمتلك مُسيَّر بالأوامر والضوابط من طرف الجماعة التي تنكر حرية الفرد خاصّة بالنسبة للمرأة، تكون خاضعة للقوانين الداخلية للعائلة ومفعمة بالممنوعات التي تجعلها سجينة في إطار محدود تعجز عن تجاوزه، يجعلها في وضعية كاسحة غير مُرضية، مُعبّرة المبحوثات:

"ممنوع عليّ.. نقعد براحتي والوا.. حتى نحب نحط راسي نريّح ما ننجمش.. ممنوع نخرج بلى التسريح تاعهم" (المبحوثة رقم 14)؛ "ممنوع تقعدي مع راجلك..." (المبحوثة رقم 10) "ممنوع تبلعي باب البيت عليك..." (المبحوثة رقم 29)؛ "غير أنا في الدار واقفة ونخدهم في كلّش... ما يليقش تتكلّم" (المبحوثة رقم 26)

إنّ من خلال البعض من هذه التصريحات، نلاحظ أن الزوجة كما هي مضبطة خارج الفضاء المنزلي، هي كذلك مقيّدة داخله في حدود علائقية مبنية على التقسيم الجنسي، أين يُمنع عليها تأكيد دورها كزوجة في عقر النهار، حيث يتمّ استبعاد الاديولوجية الزوجية وبناء علاقة ثانوية بالزوج، فالنظام الأسري التقليدي لا يعترف بـ"السعادة الزوجية"، وهذه الاخير تبنى بطريقة أخرى أين يمكن للزوجة الاندماج ضمن النظام[1] العائلي العام وتأكيد دورها ككنّة في أشغال المنزل وتوطيد علاقتها بالحماة. الأمر الذي يجعل بالزوجة الانسياق إلى أدوار وعلاقات منمّطة محدودة في المجال الخاص، وعلى إثر ذلك تغوص في حياة مُستنفذة القوى، كل وقتها تمنحه للحماة لتجلب الرّضا والقبول العائلي، إلى أن تفقد علاقتها بالزوج. تضيف المبحوثات في حديثها:

"كنت كي الهايشة نخدم ونهمبر.. ليس لدي الوقت باش نقعد وحدي.. حتى باش نشوف التلفاز.. حتى بيتي الخاص ليس لي الوقت لأدخله **راجلي صابني لاهية في الدار القضيان والغسيل من 7 صباحا حتى لليل غير في الكوزينا مقابلتهم**. ووجدني لاهية في صوالح آخرين مالاهياش بيه. راح خلاص، يظل غير برّا." (المبحوثة رقم 6)

"الاتصال مع راجلي قع ما بقاش.. العلاقة مع راجلي أصبحت تتدهور أكثر فأكثر.. نلقاه غير في الليل نبغي نتكلم معاه، خلاص هو يقولي راني عيان ويرقد" (المبحوثة رقم 10)

"حتى 12 تع الليل.. وأنا غير رْفد وحُطّ، راجلي نشوفو غير من الليل لليل" (المبحوثة رقم 14)

من خلال تصريحات المبحوثات يتبيّن لنا أنّ العائلة الجزائرية هي عائلة أبوية في الصميم حيث "الزوجة هي تحت هيمنة الزوج وعائلته وهي من تقوم بكل الأعمال المنزلية طوال النهار، تجلس مع حماتها زمنا في المساء، وتذهب إلى مخضعها متأخرة ليلا، فالزوج لا تراه إلا ليلا عند النوم،[2] والذي يسمح لنا قوله على حد تعبير Lacoste-Dujardin أنّ كل من الرجل والمرأة متزوّجين إلاّ في عقب الظلام، وعليه الزوجة تكون تحت هيمنة ذكورية تنطوي تحت *هيمنة أنثوية أكثر صلابة ألا وهي الحماة*[3] تربط الكنة بمسؤوليات تفوق إراتها اتجاء أعضاء العائلة ككلّ.

وعليه من المجدي بنا الإشارة إلى أنّ اندماج وانصياع الزوجة لأمّ الزوج والعائلة ككلّ له درجات، فكلّما كان الاندماج قويّ والخضوع أقوى للحماة إلى حدّ الاذعان، كلّما فقدت الزوجة علاقتها بالزوج،[4] حيث الحماة بطلب الامتثال للزوجة لها ستعمل على توليد علاقة هشّة بين الزوجين تؤول إلى الجمود والرّتابة، حيث تُبنى حياة زواجية بحتّة بمضمون ثلاثي تحت نظام صارم؛ فنقول أنّ المرأة التي تكون كنّة قبل كل شيئ لا تكون مستعدّة لبناء علاقة زوجية، وكما يشير كذلك Lacoste-Dujardin أنّ المرأة التي تكون أم قبل كلّ شيئ لا تكون مستعدّة لبناء علاقة رِفقة مع الزوج، فكل وقتها تخصصه في علاقتها مع ابنائها،[5] وعليه فدورها الأساسي ومسؤولياتها الأوّلية والأولوية تكون مرتبطة بأعضاء العائلة، أين تكون مُغتربة في علاقتها بالزوج لا يجمع بينها وبينه الاجتذاب الزوجي

1. Camileri Carmel, O.p. Cité, P.p.27-26
2. Fsian Hocine, Thèse Doctorat d'état, C.p., P.268
3. Lacoste-Dujardin Camille, O.p. Cité, P.p.82-83
4. Voir : Mostefa Boutefnouchet, O.p. Cité, P235.
5. Lacoste-Dujardin Camille, C.p., P.p.311-310

إلا على أساس الانجاب، وهذا الأخير يعتبر الدور الأساسي والطبيعي المُنتظر من الزوجة استوفاؤه، فالزواج لا يقوم بأساس بناء علاقة زوجية وإنما يهدف إلى إنشاء علاقة زواجية محضة، وكما ينوّه "Lacombe" في تعريفه للزواج، أنّ الزواج ما هو إلاّ رغبة مزدوجة أن تملك أنثى وأن تملك خادمة بيت"[1]

2.2. دور المرأة في الانجاب وتربية الأبناء

لا يمكن لأي فرد من أفراد العائلة أن يتصور علاقة زواجية بدون أطفال، فعلى حسب L.Roussel وآخرون *الزواج بدون أطفال لا واقع له ولا محتوى، للعديد من الرجال والنساء*"؛[2] ويؤكّد معظم المفكرون أنّ ولادة الأطفال هو وقع مهمّ لأعضاء الأسرة، و*يعتبر الطفل العنصر المركزي للجماعة الأسرية* على حد تعبير De Singly وP.Ariès؛[3] ولهذا يصبح موضوع العُقم من المواضيع التي يشغل فكر وتفكير أفرد الجماعة، ويؤثّر على العلاقة الزوجية فيُثير الانفعالات الموجّهة بالضرورة ضدّ الزوجة.

تحكي المبحوثات:

"الحمل المتأخر هو لّي غبني.. أنا المشكل الأساسي، c'était les enfant، أنا قعدت 7 سنوات pour avoir mon fils، عندي غير واحد.. وصلت تْعايرت لّي ماولدتش.. j'ai été harceler.. ختّنتي (حماتي) وصلت دخلت راسها حتى في les relations sexuelle، قالت لي إيوا أنا ولدي ماعندوا والو شوف تينا حاالطبيب قدقد"(المبحوثة رقم 4)

"أنا قعدت 8 أشهر باش رفدت.. من بعد بدأت (أخت الحماة- تقول لها: فلانة ريها بالحمل، وفلانة رفدت في نهارها.. في الحق أمّها تَوْلد غير هي ما ناعرفت؟ !.. بدأت لما تأتي عندنا تتنصّت عليّ.. وكل ما يدور بيني وبينه –الزوج- أجده عند حماتي" (المبحوثة رقم 6)

"من ناحية الأبناء كاين نقص وفراغ.. كانوا يعيطولي العاقرة.. كنت ننقهر، نسكت ونخليهم.. ختّتني فُقت بيها تتصنت مور الباب" (المبحوثة رقم 27)

"على الولادة حتى هو ذهب للطبيب وهم كذلك كانوا عارفين كانت ختنتي التي توجّه.. ولكن أنّا حسّيت بالإهانة أكثر مع أسرة الزوج على جال الرّفود أثرت عليّ كثيرا.. وهنا كان عندي مشاكل على الولادة، بقات ختّنتي تزيّر عليّ، تعطيني المعاني: روح عند الأم تعبّيك عند لّي يمسدوا." (المبحوثة رقم 5)

ويضيف المبحوث رقم 13: "أنا مريض بفقر المني وهذه حاجة تع ربي وما ننجمش نعمل والوا، والدار في الأول كانوا حاسبين منها، هُبْلوها ولكن من بعد كي عرفوا مني شويّ رتبوا، وهكذاك ما راهمش مأمنين.. حبّوا باش نطلّقها"

إنّ المبحوثات في حديثهنّ يشرن إلى استيائهن من أسرة الزوج على الاهانات التي تتلقاها حول موضوع العقم وتأخر الولادة، ولكن هذا الإستياء يخفي وراءه تبرّم لنساء العائلة ككل، حيث أنّهن ينتظرن بفارغ الصبر حَمل الزوجة بعد الزواج مباشرة، وإذ ما وقع أي عُطل في عملية الحمل ستتجرّأن أن تتدخّلن في العلاقات الحميمية بين الزوجين، فتتجسّسن وتتحسّسن لتتأكدن من استوفاء الدور الجنساني، وتقوم بمراقبة وترقّب خصوبة الزوجة باستمرار، الأمر الذي يُضايق الزوجة ويثير غيضها.

يوضّح سليمان مظهار أنّ "الزواج من الطقوس الشعائرية التي تفتح مرحلة من مراحل حياة الفرد يكون السبيل لقيام واجب الدور الجنساني والذي يهدف إلى الإنجاب، ومن خلاله تستمر الحياة الجماعية. ولهذا، النشاط الجنسي هو مراقب اجتماعيا من طرف الأسرة، وإذا لم تحمل الزوجة بعد فترة من الزواج، الأم ستشعر بالقلق وتثور لأنها لم تصبح جدّة بعد.. وهذا غير مقبول،[4] فإذا ما تأكدت

---

[1]. Martin segalin, sociologie de la famille,6ème Ed : Armand colin,2008. P.18
[2]. Lemarchant Clotilde, O.p. Cité, P.77
[3]. Lemarchant Clotilde, C.p., P.77
[4]. Slimane MEDHAR, O.p. Cité, P.56

الأسرة من العُقم فتتعرض الزوجة إلى إهانات، وكلام قاسي أين تُقذف وتُقضم في ذاتها، فتنحطّ قيمتها، فالزوجة لا يُعترف بها ضمن الجماعة الاجتماعية الأسرية في مكانتها كزوجة وإنّما كأم للأبناء التي تلدهم لعائلة الزوج،[1] وأمّا "المرأة العاقر ليس لها أية قيمة"[2]، على حدّ تعبير سيمون ديبوفوار؛ وتكون هي المتّهمة الأولى بتأخّر الانجاب أو عدمه، مما يستدعي، في معظم الحالات، باتخاذ *قرار الطلاق ضدّها* –كما ورد في حديث المبحوث رقم 13 أعلاه- *أين كلا الطرفان يكونان تحت ضغط كل من يحيطون بهم حيث يصبح الإنجاب مشكل عائلي، ومسألة تفوق الفرد.*[3]

إنّ المرأة في الثقافة الأبوية عليها أن تكون امرأة وَلودة للعائلة فتثبت دورها في عملية الانجاب، بحكم دورها البيولوجي المرتبط بجسد يؤهّلها للحمل والولادة، حيث يُنظر إلى المرأة "أنها رحم ومَبيض"،[4] وإذا لم تَحمل، هذا يعني أنّ هذا الجسد هو بمثابة جسم معطوب عن إنتاج الأطفال، فتوسم بـ"المرأة العاقر"، وهي وصمة مخلّة لذاتها تشعرها بنقص في كيانها تثير عدائيتها ضدّ كل من يوجّه لها ملاحظات أوتوجيهات طبيّة، يعملون على تذكيرها باستمرار بدورها الأساسي الذي من خلاله تصبح أمّا، فتكون تحت ضغط اجتماعي ونفسي، تتعرّض لإرهاق عصبي، قد تتوصّل إلى استقبال إهانات تؤثّر عليها نفسيا بصفة عميقة أكثر فأكثر، وكل امرأة إلاّ وتواجه الموضوع على حسب نمط شخصيتها، فمن تنسحب وتنطوي على الذات، ومن تولّد علاقة ضعيفة مع أهل الزوج، تأبى عن الاختلاط بهم إلى حدّ قطع الصلة، ومن تواجه بردود أفعال مناوئة ضدّ الفاعل الاجتماعي الذي صرّح بالعُقم. تحكي لنا الزوجات:

> "أخته قالت له au moins هذي جبتها تولدنّا مّا هذي ولد واحد وحبست.. وهكذا بشحال باش جابتو.. كي وصّلها لي.. قلت صحّاااا.. كاين الله صَاحب الحق. هذي بقات في خاطري.. صايي، أنا شمّعتهم بالشّمع لْكْحَل" (زوجة المبحوث رقم 4)

> "ما نروحش قعْ.. كيما نروح يجبدولي على الولادة" (المبحوثة رقم 15)

وعليه -وتبعا لكل ما سبق في تحليلنا لعلاقة الكنة بأسرة الزوج- نشير أنّ كل ما تقوم به الزوجة لخدمة الجماعة لا يفوق حدّة في الأهمية من عملية الانجاب، والتي بفضلها *يتعاظم نسل أسرة الزوج من بنات وبنين،*[5] ومن الأفضل ذكورا ويكونون بصحّة جيّدة، وإلاّ ستتعرّض لنفس الضغوطات، بحكم أنّ الأبناء الهزيلين القوى لا يكون لهم أي مكانة، ولا أي دور في البُنية الوظيفية الأسرية التنظيمية، حيث يحكي المبحوث رقم 5 والذي يخبرنا على وضع الزوجة في علاقتها بأسرته في هذه الحالة:

> "الولد زّاد معوق.. وعلى جال الابن تعرضنا للإهانة من طرف الوالدين. كان مشكل عندنا في هذه الناحية حتى البنت الصغرى من فصيلة Trisomie، فإذن الزوجة لاموها كثيرا وأنا تأثرت من هذه الناحية.. كانوا يهدروا لها: آه بلعمي في الأول جبتنّا واحد معوق. بلفظ يعلم بيه ربّي، إرادي كان أو لا إرادي لا أعلم !"

وعلى غرار ذلك بما أنّ الزوجة تعتبر صانعة للجنس البشري لعائلة الزوج، والذي سيحمل اسمها في النظام السوسيو ثقافي، ستكون مغتربة عن أبنائها، فعلاقتها بِهم بعد الولادة مرتبط بتنشئتهم؛ وما هي إلاّ خدمة مقدّمة لأسرة الزوج، حيث تعمل على تربيتهم تربية حسنة بما يناسب معتقدات الجماعة وقيمها الاجتماعية والثقافية، فالتربية تكون *مبنية على مبدأ التربية الأخلاقية التي تعمل على تطبيع الفرد اجتماعيا للتكيّف* مع البيئة التي ينتمي لها، والتي تعتبر محيطه الأوّلي يعمل على احترام ثقافتها،[6] ولو تم عكس ذلك تتهم الزوجة بالتهاون والإخفاق في تربية الأبناء وفق المعايير المطلوبة للتربية. وعلى هذا الأساس نقول أنّ الابناء ليسوا ملك للزوجة بل ملك للعائلة، فهي لم تلد الابناء لها وإنما لأسرة الزوج، ولا يتوجّب لها إتخاذ أي تعاطف حميمي اتجاه الأولاد تخوّفا من أي حيازة نحو

---

[1]. Lahouari Addi, O.p. Cité, P.15

[2]. سيمون دي بوفوار (2008)، مرجع سبق ذكره، ص.42

[3]. Slimane MEDHAR, La violence sociale en Algérie, Thala éditions, Alger,1997. P.56

[4]. سيمون دي بوفوار (2008)، نفس المرجع السابق، ص.15

[5]. انظر: شارب دليلة، رسالة دكتوره سبق ذكرها، ص.50.

[6]. أنظر: جميل حمداوي، ميادين علم الاجتماع، الجزء الأوّل، الألوكة للنشر والتوزيع، ط1، 2015. ص.ص.113-114.

الصلات القرابية الأمومية، فالأبناء لابدّ أن يكون لهم اتجاه عاطفي أكبر شدّة بأسرة الزوج بهدف تأكيد النسب الأبوي.

تخبرنا المبحوثات:

"أنا عندي أخت مربية عايشة عند عمتي.. بويا مدها لعمتي، مّا غايضتها لحد الآن –تقولي- لوكان غير طلّقت... تقْرات من عمتي ومدّابزة معاها شحال من العام، حاقدة عليها، زعما تفاهمت مع بويا باش تدي البنت من مور ظهرها.." (المبحوثة رقم 17)

"اولادي إذا طاحوا آش خبر. ماقابلتيهمش؛ وإذا ما سلموش على جّدتهم كي تكون غايبة آش أخبر. كيما ربيّتهم ما سلكت" (المبحوثة رقم 6)

"أنا ولدت بنت وحدة مدّها بوها لأخته. نتغبن عليها لحدّ الآن، نحس بالفراغ تعها.. وكأنه ماعنديش البنت.. أخذتها عمّتها كان لها سبع أيام، لم أتحمّل –ربّي أعطاني بنت وحدة حرموني منها- لكن ماذا أفعل وماذا أقول؟ !، ما بغيتش ودّابزت مع راجلي ولكن قال لي أعطيت الكلمة لأختي.. أراها وتأتي عندنا ولا تعرف أنني أمّها.. ومع أولادي كيمّا درنا ما سْلكنا... عندما تسمعني –عجوزتي- أقول لابني آحبيبيي، ماتبغيش تقولي راكي مقلشَته" (المبحوثة رقم 2)

وفي هذه الظروف فإنّ الزوجة في نمط الحياة العائلية الممتدة والتي تضمّ أجيال، كما تُغترب من الرّجل الزوج ستُغترب من الرّجل الإبن، الأمر الذي يدفعها إلى الانسياق نحو التمسّك بأبنائها الذكور في مرحلة الرّشد تريد استعادتهم عندما تُصبح امرأة عجوز لها سلطة عائلية أين تُعيد انتاج النظام الأبوي، ***و"تنسى أنها كانت كنّة في فترة مضت*** حيث تعيد علاقة كنة/حماة فتسلب زوجة إبنها من زوجها"،[1] مما تتولد علاقة متنافسة ومتصارعة بين امرأتين على نفس الرّجل الذي يكون مجال مشترك بينهما.

3.2. الرجل مجال مشترك بين امرأتين: احتكار الحماة للعلاقة الزوجية

إنّ العلاقات الأسرية تتخللها مشاكل ونزاعات نابعة أساسا من الصراع على المجال المشترك، فهذا الأخير "يعد من أهم الجوانب التي تولد الشقاق بين أعضاء الجماعة، حيث كل فرد إلاّ ويطمح لأن يخبوا إلى امتلاك مقاطعة وانتزاع الحيازة لمجال معيّن من الآخر"[2] الأمر الذي يولّد إرهاق عصبي للمنافس الضعيف، والزوجة تعتبر هذا المنافس الأخير أمام نساء العائلة المنافسات القويات لها على نفس المجال الذي يشترِكن فيه؛ ويؤكّد Lemarchant إذ يفسر لنا أنّ، كنّات العائلة تشعر بـ"ثقل ذهني وعصبي" من جرّاء التوترات التي تتخلّل العلاقات التفاعلية العائلية والتي أساسها نابعة من الشقاق على "الأرضيات" أو "المجالات" المشتركة، واختراق هذه الأرضيات تعتبر المشكل الرئيسي لإعاقة التواصل بين أعضاء العائلة؛ والكنات تشعرن بالإستياء من أسرة الزوج، لبعض التصرّفات، تترجمها كتجاوز وتدخّل في مجالات تعتبرها خاصّة بها وبالعلاقة الزوجية، وهذه المجالات المتصارع عليها يمكن أن تكون مجالات تقليدية نسائية، فيما يخص تنظيم العمل المنزلي.. ولكن الشّقاق يكون قاعدة أساسية لنشوب الصّراع من أجل تملّك المجالات التي تعتبر مهمّة : الأبناء (الأحفاد) والزوج (الإبن)؛[3] وهذا الأخير يعتبر من أهمّ المجالات التي تتصراع عليه نساء العائلة، والصراع يبلغ ذروته بين الحماة والكنّة، أين كل طرف منهما تَعتبر أنه مجال خاص بها ولا يحق للأخرى أن تتدخل فيه، حيث كل منهما تريد الإستحواذ عليه فتحاولان تملّكه باعتباره مجال معنوي ومادّي.

يوضّح عدّي الهواري أنّ "التحديات القائمة بين الحماة والكنة تتجلى فيما يمثله هذا الرجل، حيث يُعدّ المخرج والسبيل نحو: الاستقلالية، إثبات الذات، ومنبع لتخفيف الضغوط اليومية في المجتمع، أين المرأة عليها أن تفتح الطريق نحو السمّو والرفعة ضمن العائلة... فيكون تنافس عليه لجلب المسرة

[1]. Voir : ADDI Lahouari, O.p. Cité.
[2] . Voir : Jacques Goldberg, O.p. cité.
[3]. Lemarchant Clotilde, O.p. Cité, P.p.117-118

الشخصية والبحث عن الفوائد المادية أساسها العلاقات الودية وعدائية إزاء الآخر؛ والجانب الاقتصادي الحضري.. يحوّل المرأة –أم أو زوجة- أكثر تبعية للرجل –ابن أو زوج-[1]؛ ويستطرد عدي الهواري في تفسير هذه الوضعية أنّ الزوج/الابن يكون موجّه ببراعة من طرف المرأتين، بصفة مختلفة: بالعاطفة والحنان؛ الانجاب، والعلاقات الجنسية"[2]، مؤكّدا Kaufmann في نفس السياق ويخصّ بالذكر علاقة الزوجة بزوجها مشيرا أنّها تتجّه إلى التركيز على كلمات سارة "ماكرة"[3] تحاول أن تجذب الزوج نحوها وتسعد به بصفة فردية بعيدا عن الأم/الحماة؛ ولكن هذه الأخيرة لما لها من سلطة على الابن تكون هي الطرف الرابح، حيث يكون تحت عنف رمزي محض.

1. احتكار الحماة للعلاقة الزوجية: احتكار معنوي.

1.1. عنف مُضمر يطوّق الزوجة في بناء علاقة زوجية محضة

إنّ الأم لها سلطة قويّة تدعّمها في تأكيد وتثبيت مكانة الزوج في وضعه كإبن، أين يعيش عنف مُضمر في علاقته بالأم التي لها رمزية مقدّسة اجتماعيا ودينيا، والتي تستوجب الطّاعة والخنوع لها، على غرار الرابط السيكولوجي الذي يقوّي علاقة أم/إبن منذ فترة الطفولة، وعليه قوة العلاقة التي تربط الابن بأمّه تتدخّل فيها عوامل اجتماعية، سيكولوجية، ودينية تطوّق الزوج في علاقته بالأم وتُبعده عن علاقته بالزوجة، حيث تُستلب الزوجة من علاقتها بالزوج.

أ. العوامل الاجتماعية

رأينا سابقا أنّ الزوجة تعيش ظروف اجتماعية أسرية تطوّقها عن آداء واجباتها الزوجية، مما يؤدّي إلى تطوّر علاقة هشّة وضعيفة بالزوج، لا تتعدى علاقة جنسية هدفها إنجاب الأطفال، وكل ما تعيشة في علاقتها بالحماة، هذه الأخيرة هي بذاتها ضحية علاقة كنة/حماة سابقة، موضحا Lemarchant أن الأم "كانت بدورها هي *ضحيّة موقف* غير محتمل".[4] يحكي المبحوثون:

> "وصلت "مّاه" أعطاتني شروط. قالت ليّ خاصني كيماّ نقولك تعمل.. مثل ما كنت أنا مع خْتانِي (أسرة الزوج) تكون حتّى تينا" (المبحوثة رقم 14)

> "ختنتي (الحماة) كانت ختنتها عاملتها أكثر منّي.. قالت لي كانت مزيرتها" (المبحوثة رقم 7)

> "عَلى زوجتي أتتأقلم مع أمّي.. بالسّيف عليها تتجاوب.. والأم عاشت هذه الظروف، وعلى حسب ما تقول وتحكي لنا كان كاين صراع.. كانت تتجاوب بالحكمة والرزانة" (المبحوث رقم 5)

إنّ كل الظروف القاسية التي عاشتها الحماة قد واجهتها بفعل الصبر في زمن مضى، وهذا من باب "الحكمة والرّزانة" –والتي أوردها المبحوث الأخير في حديثه- فهذا الصبر لم يكن مرتبط فقط لتحمّل ومكابدة معاناتها، وإنّما اتخذته كذلك من باب الانتظار آملة بحياة هانئة بجانب "أولادها بعد أن يصبحوا رجالا تفتخر بهم وسط العائلة... فهم من سيغيّرون مكانتها الاجتماعية في علاقتها بأسرة الزوج، ومن خلالهم تستدرك ما فاتها من خنق وحرمان في علاقتها بزوجها في مرحلة شبابها عندما كانت كنّة[5] أين واجهت لأجلهم المِحن، وعانت الأمرين لتحافظ على مكانتها كأم لأبنائها، وعليه يصبح "أولادها رجال حياتها" على حد تعبير Lacoste-Dujardin، فالمرأة المغاربية تصبح امرأة ليس من خلال العيش مع الرّجل، ولكن من خلال ولادة الابن "الذكر"،[6] والذي تنتظر منه الاخلاص والوفاء لها؛ وعليه تعمل على إعادة انتاج علاقة حماة/كنة وكأنها تريد الانتقام من مرحلة حياتها

---

1. Lahouari Addi, C.p, P.62
2. Lahouari Addi, C.p. Cité, P.62
3. Voir : Kaufmann Jean-claude (1992) O.p. Cité.
4. Lemarchant Clotilde, O.p. Cité, P.150
5. Addi Lahouari, O.p. Cité, P.p.62-63
6. Lacoste-Dujardin, O.p. Cité, P.186

الزواجية التي مضت، تدخل في صراع مع زوجة الابن لاستعادة ابنها الذي كانت مغتربه عنه ومحرومة منه، وفي نفس الوقت "تريد كسبه خاصّة بعد زواجه أين تصبح امرأة صلدة، فهو من يعوّضها فَقد الزوج الذي كانت كذلك مغتربة عنه ومسلوبة منه، ضمن العائلة التقليدية مُعتبِرة أن الابن ملكها لأنها أثبتت مكانتها ضمن حياتها الزواجية إلاّ بوجوده، حيث تحمّلت الصعاب لفترة طويلة.[1]

إنّ الأم تتوجّس من زواج الإبن، وهذا التوجّس نابع من تخوّفها من فقد الابن، خلال مسار حياته الزواجية، ولهذا ستحاول الحماة جذب الزوجة في دورها ككنّة محاولة بناء علاقة هشّة بين الزوجين حيث تدخل طرف وسط بينهما، و"تحاول دائما منع الرجل/الابن أن يصير الرجل/الزوج"[2] بطريقة سحرية وباستراتيجيات خفيّة، تمنع بذلك أي "اجتذاب زوجي"[3]

تحكي لنا المبحوثات:

"هي –الحماة- تسيطر عليه لوكان يضرها راسها غير شوي تعيّط له جابداته ليها غير هو.. لو كان غير وجع تع والوا تنوضه على 2تع الصباح، يقعد معاها، عندها coloche تعيّط له بيها، تقول له رواح شوفلي cachet، أنا ملي دخلت عندهم عروسة لو كان صاب قع ما تزوجش.. **نحس بلي تغير تبعدني عليه**.. **دير صوالح تحيّرني**: مين جات البنت تقول له جيبها تقعد معاي -والبنت ظلّ معاها في الدار هم مقابلينها- ويكون الليل بعد العشاء.. إيا دروك كي البنت تبقى معها حتى هو يبقى وأنا نقد في البيت وحدي. كي نجي طالعة لبيتي تكون 10 تع الليل تقولي جيبيها جيبيها.. نديهالها automatiquement حتى هو يقعد. نحس بلي تعملهالي بلعاني. إيا نقعد حتى 12 تع الليل نسنى فيه حتى نرقد خلاص..هي أنانية" (المبحوثة رقم 16)

"تنجم تقول تدخل بيني وبين زوجي في كلش غير العلاقة الحميمية بيننا التي لم تستطع التدخل فيها، غير حشمت، مادابيها حتى هذيك ماكانش.. وهذه الأيام: تفتح علي بيتي وتقوي T'fou عليك كي دايرة وتغلق الباب، **وراجلي كان في البيت سمعها** وما قال لها والو، السبّة علاش على خاطر **باغية نعاون سلفتي** في الكوزينة الحط تع العشاء **ولكن أنا دوري قمت به** ورحت انخمل بيتي." (المبحوثة رقم 2)

في عُمق الحديث يتوضّح جليا نظام الثقافة الأبوية التي تمنع أي علاقة زوجية واردة في عقر النهار، وتصريح المبحوثة الأخيرة يثبت لنا ذلك لما تلقّته من إهانات سلوكية مخلّة للاحترام من طرف الحماة، سببها الأساسي أنها لم تتقبّل وجود الزوجة في مضجعها، إذ أن البيت الزوجي تعني علاقة زوجية وبالتالي تحاول منع الكنة لتدخل في دورها كزوجة وبناء علاقة وطيدة بالزوج.

ولكن من أهمّ الاستراتيجيات التي تتّبعها الأم في علاقتها بالابن ليكون تابع لها، وخاضع لعلاقة تراتبية بها، مرتبطة بما تتركه الأم في تصورات الابن في مرحلة الطفولة لصورة مثالية ومقدّسة من خلال التضحيات التي واجهتها في حياتها ليصير رجلا، وهي استراتيجية تستعملها الأم لكي لا يدخل في علاقة عاطفية مع امرأة أخرى من غيرها؛ ومنه "الرجل يتكوّن في تنشئته على أساس أنّ له دَيْن عليه أن يُردّ للأم"؛[4] في هذه الحالة يكون دائما تحت تصرّفها، ولا يخالف أوامرها، ولا يتجاوز مكانتها كأم؛ أمّا "العلاقة بالزوجة هي علاقة قصيرة الأجل ليست دائمة فعلاقته الزوجية كما لها بداية يمكن أن تصبح لها نهاية، فهي علاقة هشّة واهية يمكنها أن تنقطع؛ أما الأم لا تُعوّض ولا يستطيع الإتيان بأخرى. وعليه الرجل يبقى دائما ابن للأم".[5]

بناءا على ذلك، الزوجة، على حسب عدّي الهواري "لا تنتظر شيئا من الزوج فالرجال هم للأم وليس لهنّ. مستثمرة من أبنائها الذكور منتظرة منهم بعدما أن يكبرو أن يعيد لها شبابها بجسد مُسن"،[6] وتطمح لأن يأخذوا أعباء المسؤوليات الأسرية، فمن خلالهم تسلب السلطة من زوجها، أين

---

[1]. Fsian Hocine, Thèse Doctorat d'état, C.p., P.p. 301-306
[2]. Lacoste-Dujardin Camille, O.p. Cité, P.180
[3]. Voir : Lacoste-Dujardin Camille, C.p., P.p.55-56 ; P.16
[4]. Addi Lahouari, C.p., P.p. 70-72 ; voir aussi : Fsian Hocine, Thèse Doctorat d'état, C.p., P.303 ;
سيمون دي بوفوار (2008)، مرجع سبق ذكره، ص.183
[5]. Fsian Hocine, Thèse Doctorat d'état, C.p., P.436
[6]. Addi Lahouari, C.p., P.6

"تكون هي صاحبة النفوذ المادية بعد أن يصبحوا أبنائها رجالا، وهنا تحقق الأم فعاليتها وتتغير مكانتها في علاقتها بزوجها مُبرزة غيضها نحوه، بعد أن ابنائها استمدوا سلطتهم ضمن العائلة. فالرابط إبن-أم يقتلع الأب في اتخاذ القرارات الخاصة بشؤون المنزل"،[1] لا يعد له مكانة قويّة أمام مكانة الأم/الحماة حيث سلطته تجلّت بـ 4,08% وهي نسبة ضئيلة جدّا مقارنة بالأم (راجع الجدول رقم9، التمثيل البياني رقم 11، ص.131). وتصبح الأم/الحماة هي من لها السلطة ضمن الحياة الزواجية؛ وعليه ستتشبّث بأبنائها الذكور وتريد تملّكهم إلى مرحلة متأخرة من العمر، ويقوموا بدورهم بمبادلتها نفس الشعور لما يربطهم بها من علاقة سيكولوجية محضة، وما عانته كذلك في فترة الحمل والرضاعة حيث يعجزون عن تصوّر حياتهم بدون الأم.

ب. العوامل السيكولوجية

إنّ الرّجل تربطه صلة وطيدة بالأم، بصفتها المرأة التي حملته وأرضعته، فأطعمته من ثديها، على غرار البعد السيكولوجي الذي تؤدّيه الأم بامتياز في دورها التعبيري ضمن الحياة الأسرية، يترعرع منذ طفولته على حنانها ورعايتها حيث تنشأ بينهما عواطف جيّاشة، وعليه يصف Lacoste-Dujardin العلاقة الثنائية أم-إبن راشد ومتزوج يمكن أن يشبه علاقة زوجية، مدعمة بالعطف والحب، فيصبح مع الوقت الرجل الابن قبل كلّ شيئ، وتدخل العلاقة زوج/وَزوجة في دورة مفرغة، بحكم جودة وكثافة مشاعر الأمومة في مرحلة الطفولة والتي تستمر وتتطوّر مع الرجل الشاب إلى غاية مرحلة متأخرة من العمر بعد الزواج،[2] فإنّ الأم بعد زواج ابنها تأبى أن تتراجع عن دورها التنشئوي، تريد توطيد علاقتها به بعد الزواج، حيث أنّ "الأم كعاشقة.. لا ترى أمامها رجلا أو بطلا، بل كائنا صغيرا"[3] بحاجة دائمة إليها، تقوم بإرساء تعليماتها وتواصل تذليله حتى بعد الزواج، فتعمل على تطويقه في مكانته كابن "تمنع الرّجل/الابن أن يصير رجلا راشدا مسؤولا عن سلوكياته، ومنفصل في قراراته عنها، وقائما بواجباته الأسرية في وضعه كزوج وأب لأسرة".[4]

تخبرنا المبحوثات:

"عجوزتي ما تحبش تشوف اولادها مغبونين. مثلا سمعاته يزقي، شّا دارت؟ ! : "ماله، ماله يزكي علاه، راكم غابنينوا، علاه دايرين له كيما هاك.. هو ما تحاسبهش." (المبحوثة رقم 2)

"كان يعيدلها كلّش يخبرها كلّش بلي كاين بلّي ماكانش.. أنا مانعرفش شّا كاين" (المبحوثة رقم 8)

مؤكّدا المبحوث رقم 4: "الأم نعيد لها كلّش، وتنصحني بأشياء.. حتى في علاقتي الزوجية.. تقول لي ماعلابالكش بيها خليها تزعف على راسها، وتنايف على راسها ماطلّعْلهاش الشّان"

إنّ هذه التصريحات تبيّن بوجود علاقة صلدة بين الأم وابنها، والتي تسمح بالحماة إلى الدخول في غور العلاقة الزوجية بطريقة سلسة، تعمل على جذب ابنها في صفّها ومحاولة ابعاده عن زوجتة، مانعةً وإيّاه بالبحث عن رضا زوجته؛ وعليه "من شدّة تقرّب الإبن من أمّه تتولّد علاقة صداقة قويّة بينهما، موضّحا De Singly، أنّ طبيعة هذه العلاقة تحدث إضطراب في المؤسسة الزواجية وتضعف الرابط الزوجي.[5]

ويضيف سليمان مظهار إذ يشير مدى تأثير كثافة العلاقة الوجدانية بالأم على الرابطة الزوجية، فيوضّح أنّ "من خلال تأمين الأم لابنها العواطف وإغذاقه بالطمأنينة، لا تجعله يسعد جنسيا مع

[1]. Addi Lahouari, C.p., P.p.57-59

[2] .Lacoste-Dujardin, O.p. Cité, P.p.90-91 ; voir aussi : Zerdoumi Nefissa., O.p. Cité, P.p.143-186

[3]. سيمون دي بوفوار (2008)، مرجع سبق ذكره، ص.183؛ انظر كذلك: Zerdoumi Nefissa، نفس المرجع السابق، ص.41.

[4]. Fsian Hocine, Thèse Doctorat d'état, C.p., P.p. 301-302

[5] . Voir : Lemarchant Clotilde, O.p. cité, P.13

الزوجة... فيكون نوع من المحافظة على الفصل ما بين العواطف والعلاقات الجنسية. ويعجز بذلك عن التوفيق بين الأم والزوجة".[1]

وعليه فإنّ الرّجل يكون مسيّر تحت عنف رمزي، محروم من علاقة زوجية حميمية أين عليه كتم رغباته الخصوصية بالقرين، والايديولوجية الثقافية تدعّم تعليق بناء العلاقة الزوجية، حيث الحب الأول والأخير للأم وليس للزوجة، وتبقى هي المرأة شريكة الحياة، فهو "الرّجل الذي قامت هي بصنعه في أحشائها، والذي يصبح لها دوما، لا يمكنه أبدا تطليقها.. كيانه كلّه تابع لها، ومُجبر على حبّه لها، ويبقى دائما مولعا بها حتى ولو فقدت نظارتها وجاذبيتها الأنثوية".[2]

ج. عوامل السوسيوثقافية

إنّ العائلة تضبط علاقاتها التفاعلية الزوجية من خلال منظومة القيم المستمدّة من نطاق سوسيوثقافي بحث، حيث العائلة تشيّد علاقة الزوج بأمّه وتُبطل أي تبادل عاطفي ووجداني بين الزوجين، فالعلاقة الزوجية غير معترف بها في نطاق العلاقات الأسرية؛ وتعتبر "العلاقة أم/إبن هي العلاقة الأساسية والتي يجب أن تكون بصورة جيّدة في العائلة"،[3] بحكم رمزية الأم المقدّسة اجتماعيا ودينيا؛ فما على الرّجل إلاّ إثبات الولاء والوفاء للأم ولأسرته الأصلية عامّة، والوازع الديني له الأثر البالغ في إثبات مكانة الأم وتأكيد قداستها اجتماعيا، فتنضبط علاقات البنوة من خلال ما تنصّة الأحاديث النبوية، والآيات القرآنية المقدّسة، التي تدعو للاحترام والطاعة للوالدين، والخضوع لهما إلاّ فيما يغضب الإله، وطاعة الوالدين من طاعة الله سبحانة وتعالى لقوله تعالى: "وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً"(الإسراء:23).

وما ورد في قول رسولنا ﷺ: "الجنّة تحت أقدام الأمهات"، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال:"جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي؟، قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أبوك" متفق عليه.

وبحكم هذا النظام السوسيوثقافي الذي يحمل إجبارية الخضوع للأم، فقد تتولّد بالضرورة علاقة وطيدة للابن بالأم، وتزيد قوّة أكثر فأكثر بعد الزواج قائما خللا في الرابط الزوجي حيث يكون الابن/الزوج خاضعا لها فـ: **"الوالدين حاجة كبيرة.. والأم لا يمكن أن أخذلها"** معبّرا المبحوث رقم 5. وعلى هذا الأساس فإنّ الأم تستمدّ سلطتها في علاقتها التنافسية بزوجة الابن، بما تملكه من نفوذ عرفية ودينية تجعلها الفرد المحتذى به الذي له الشرعية في إصدار الأوامر.

وبذلك فإنّ "الدين لا يُعتبر شريعة إسلامية أكثر ما هو أداة للتعامل لممارسة السلطة والمراقبة الاجتماعية للسلوك في التفاعل بين الأفراد. كل فرد يدافع عن مصالحه الشخصية عن طريق ما قاله الله والرسول، فلا تقتني الأسرة من القرآن سوى العبر التي تخدم الجماعة وتُخضع الفرد لها"،[4] وعلى إثر ذلك، الرابط الزواجي الذي في حقيقة الأمر يتّضح شكلا على أنه علاقة زوجية بين الزوج والزوجة، فهو في الواقع مضمونا محدّد بين الزوجين والأم –الحماة-، أين تدخل هذه الأخيرة طرف وسط بين الزوجين تقوم باحتكارها للرابط الزوجي إذ تُبطئ إنشاءه، فـ"الزواج لا يمنع الابن من أمّه"[5]

وبالتالي وعلى أساس مضمون هذه العوامل، فإن الزوجة تحرم من بناء علاقة زوجية بالزوج، وتحرم من التبادل المعنوي والوجداني به، والذي تجلّى بنسبة 37,14% تبعا للجدول رقم

---

1. Voir : Medhar Slimane, O.p. Cité, P.205 ; voir aussi : Fsian Hocine, Thèse Doctorat d'état, C.p., P.297
2. Maranda Pierre, O.p. Cité, P.92
3. Mostefa Boutefnouchet, O.p. Cité, P.61
4. Addi Lahouari, O.p. Cité, P.16
5. Lacoste-Dujardin Camille, O.p. Cité, P.156

20، مما يؤدّي بالزوجة إلى استقبال عنف نفسي يُترجم في اللامبالاة وعدم الاهتمام بها في مكانتها كزوجة، وهذه من بين الأسباب التي تعمل على خلق بعد المسافة بين الزوجين والذي يثير حِنق معظمهنّ من الزوجات، والتي مثّلت 33,33% (أنظر الجدول رقم 13)، أين يختلجهن الفراغ الدّاخلي، لا تشعرن بمعنى للرابط الزوجي، حيث:

"زعما باش تقولي زوجك couple والوا يكذبوا عليك من اليوم الأول لم اشعر أبدا بهذا الشعور.. الزوج كدي ماكانش.. شريك حياة تنجم تقول تلقاه ويلقاء ولكن ماشي حتى لتمّ.. هو يسمع لهم غير ليهم –لأسرته-". (المبحوثة رقم 24)

إنّ الحماة بحبّها لتملّك الابن ستتجرّأ لأن تتّخذ العدوانية والعدائية فتقوم بتعنيف كنّتها، على غرار العنف الرمزي الذي يربطها بها، إلاّ أنّها تحاول أن تدخل في علاقة تنافسية عنيفة مع الزوجة إذا ما أرادت الإستحواذ عليه واحتكاره،[1] حيث في الوقت الذي تريد استرجاعه تجد امرأة أخرى تريد أن تأخذه منها إلى حد الشعور بالغيرة، وتكون هذه الغير في مرحلة بالغة الشدّة من طرفين على نفس الذكر من المرأة التي تشعر أنّها المستولية على قلب الزوج/الابن والتي تجلّت بنسبة 30,16% (أنظر الجدول رقم 16)؛ ولكن حبّ التملك وما يوليه من حب الاحتكار للابن/الزّوج يخفي وراءه بعد مادّي محض، حيث الحماة تريد الإستحواذ على الابن معنويا وكذلك ماديّا بأنانية؛ ومن هذا المنطلق نفسّر الصراعات القائمة بين الكنة والحماة.

2. احتكار الحماة للعلاقة الزوجية: احتكار مادّي.

السيدة أَلِف من مواليد 1984، تحكي لنا –في دراسة استطلاعية- عن حرمانها المعنوي والمادي في علاقتها بالزّوج المُحتكر من طرف الحماة:

"دخلت نخدم وتقولي –الحماة- الخدمة شّاراهي دايرتلك ومَادّتلك؟ !. قلت لها في قَلبي **الخدمة أعطَتني بْلاصة ورَزق نْسْتَنفع بيه. أنتِ شّاراكي دايرتلي ومادتلي؟. مَدّتلي ولد وتْــدّيهه الوقت لي تبغي حتى في وقت الضيق لي مَحتاجتَه**. راجلي مشا لسبانيا.. قلت لمّه تهديه وتردّه للخير. والله ماجات معاي.. تعرفي لْقاتها فرصة ليها باه تْــفَرَّقني عليه، وأنا عاونتها باه يقعد لها ليها. غْلطت ما كنتش فايقة.. كنت عاقلة بزاف معها وما لقيت والوا.. وراجلي يسمع لمّه وخوته ما يسمعليش لي."

إنّ المبحوثة أعطت تصريح واضح، للفارق الكبير بين المرأة العاملة والمرأة المتزوجة الماكثة بالبيت الذي يجمعها مع أم الزوج، مُثبتة لنا أنّ مكانة المرأة في الحالة الأولى تكون لها قيمة في المحيط العام أين تتلقى الاحترام والتقدير، إضافة إلى ما وهب لها ميدان العمل من عائد مالي تستنفع به لضمان توفير ضروريات الحياة الاجتماية، فالعمل قد ينفعها، خلافا عن علاقتها بالحماة فهي لم تستقبل منها إلاّ ما يضرّها، و"الضّرر يحمل مضمون الشّدّة والضّيق وسوء الحال، وهو ضدّ النفع"[2]؛ والكنّة -على حسب ما أوردته في تصريحها أنّها- لم تنتفع في علاقتها بالحماة معنويا أو ماديا، وأخذت منها زوجها الذي يُعتبر بالنسبة لها فائدة معنوية ومادّية.

إنّ الحماة تريد أن تكون هي المالكة والمتملّكة للابن/الزوج بصفة أنانية، وكما أوردت سيمون دي بوفوار أنّ "بهجة الأمومة الممتلكة المستحوذة.. تأخذ الأمومة شكلا آخر حينما يكبر الطفل... تأخذ فرديته بالظهور شيئا فشيئا... وتصبح علاقة الأم بالطفل متزايدة التعقيد، فهو صورتها، ولكن في الوقت نفسه شخص مستقل قد يعصاها... هو ثروة وكنز من جهة، وعبئ وطاغية من جهة أخرى"،[3] وهذا الشعور يزداد بعد الزواج حيث تتوجّس إذ تسلبها الزوجة منه، وعليه تبحث عن احتكار العلاقة الزوجية وهذا الاحتكار مضمونا لا يعني إلاّ احتكار الرّجل الذي هو بمثابة دعم مادي أسري لجماعتين، بحكم انتمائه الأسري وتضاعف مسؤولياته بين وضعه كإبن وزوج وأب، فيكون

[1]. Voir : Mostefa boutefnouchet, O.p. Cité, P.225.

[2] . فؤاد افرام البستاني، منجد الطلاب، دار المشرق، بيروت: لبنان، ط22، 1975.

[3] . سيمون دي بوفوار (2008)، مرجع سبق ذكره، ص.ص.181-182

قاسم مشترك بين امراتين متصارعتين على نفس المجال حيث تكون الظروف المادية هي العامل المولدة للصراع والتي تجلّت بنسبة 39,53% (أنظر الجدول رقم 8).

تحكي المبحوثة رقم 19 عن علاقتها بالزوج الذي استلب منها عُنوة، إلى أن طُلّقت فأصبح ملك للأم بصفة خاصّة:

"تزوجت شّا نقولك عشت la belle vie معاه نقدرها بعامين. ولكن ما نقولك عين ما نقولك حسد.. **قعدوله على الطلاق**.. خربولي داري. **كان يحوّس بيّ يشريلي يديني وين ما نبغي مقلشني في الحق**، كي نورح لدارنا مكان يخلي ما يشريلي ندي معاي، وكي نولّي يجي يديني تعرفي من السيارة نقعد ندخل في الصوالح **وأنا نقسّم مع عجوزتي؛ ولكن حتى أنا كنت نيّة شافت الخير يدخل عليّ**. عجوزتي تعرفي تقولي هذا الذهب لي راكي دايراته مين؟ ! ولدي شراهولك. نقولها الحاجة: أنا خدّامة وحتى أنا شريت لعمري.. إيا تقولي لا لا ولدي ولدي هذاك دارهولك.. واحنا عادتنا في العرس نبرحوا بالذهب" (المبحوثة رقم 19)

"عندما تراه وتراني: اشتري لي ديك الحاجة، واشتري لي ديك الصالحة، وتطلب غير الحاجة الغالية: اللحم، والذهب والفضة.. وأنا 500 دج تبالي مليون.. عندها طبايع ما تَحْسَنش العون" (المبحوثة رقم 18)

إنّ الحماة –تبعا لحديث المبحوثة الأخيرة- تريد أن تشعر أن لها إبن يقوم بواجبه نحوها، ويردّ لها ما قدّمته له في صغره من عرفان وتضحيات، وذلك من خلال "ما يهبه لها من مال، وهذا الأخير لا يشترط أن يرتبط بالحاجة بل برمزية العلاقة للأم... تعبيرا عن حبه لها، يعوض لها ما رفض الزوج أن يهبه إياها... وليبيّن لها استقلاليته المادية عن الزوجة، وأنه لا تربطه علاقة وثيقة بها، لا يستمع لها... يُثبت رجولته مقابل عدم الاكتراث واللامبالاة للزوجة... فيقدّم لها مالاً ليُثبت تعلّقه بها؛[1] وعليه تُحرم الزوجة من أي دعم مادي كيفما كان شكله (نقود، ضروريات خاصّة) من الزوج.

تحكي المبحوثات:

"راني نشد في سناني لي **بطلّت خدمتي** قعدوني في الدار وقابلت أمّه حتى لّي ماتت.. **هم أمهم تبغي الدراهم تحتها وهو يمدلها ليها ويقولي ماعنديش**.. وهو دراهمه ما نشوفهمش، يمدهم لمّاه" (المبحوثة رقم 24)

"نقول له أعطيني الدراهم باش نمشي للطبيب يقول لي ماعنديش.. وفي المرّة الأخيرة كان يلزمني أشعّة طبيّة قال لي ماعنديش، وفي نفس اليوم تعيّط له **أخته، كان خاصها تشتري** –لا أدري ماذا؟- **قال لها دوك أنا نشري لك. تعرف بقاااات في خاطري**. حتّى قعدت عملت يدّي على خدّي.. ما صبت ما نقول !، وما عرفت ما نَعمل !؟.. هو متهلّي غير في دارهم، ومّاه." (المبحوثة رقم 13)

"فُقت لها بلّي كي نشري أو نلبس.. ما تحُبش.. زعما ولدها راه متهلّي فيّ تَنسى بلّي أنا خدّامة. تحبني غير مبهدلة.. خاصها يتهلا فيها غير هيّ.. **اولادها يضلوا يكمسولها ويشريوا لها** وماحامداش ربّي.. **وهي منقوزة من راجلي شويّ زعما ما يتهلاش فيها كيما الآخرون**.. ولكن حا الوقت ما كانش عندو. لأولاده وما وصلش" (المبحوثة رقم 14)

إنّ من جل حديث المبحوثات يتّضح ظروف المرأة التي تُحرم من إثبات ذاتها ضمن المجال العام، تجد نفسها في حالة كاسحة وضيعة، تابعة للآخر؛ أين تتعرّض للعنف النفسي، تنتظر إعانة مادية أو إعالة مالية، إحسانا لها من طرف الزوج الغير مستوفي لدوره الأسري، والغير متحمل مسؤولياته الأسرية بإنصاف، فهو رجل مُحتَكر من طرف الأم، حيث الدخل المالي له هو أولى للأم وهي الأجدر بمال ابنها. مؤكّدة المبحوثة رقم 8:

"**كان الخلصة يدسها عند ماه**. أنا مانعرفش شّا كاين. أنا دراهمه ما نشوفهمش كي دايرين وكي نقوله يقولي قع مادخليش روحك في حياتي. ما يعرفانا لا كلينا أو ما كليناش"

وبناءا على ذلك تعيش الزوجة حرمان مادّي في علاقتها الزوجية، ومنهنّ 45,16% عانون هذا الشكل من العنف (أنظر الجدول رقم 20)؛ على غرار الحرمان المادي الذي تعاني منه في علاقتها بأسرة الزوج عامّة، والذي يقارب نسبة 33,33% من جل المبحوثات (أنظر الجدول رقم 21)، في

---

[1]. Addi Lahouari, O.p. Cité, P.p.62-63

حالة أنّ العائد المالي للزوج لا يستكمل الغرض المعيشي فتكون أكثر عُرضة لقساوة الحياة المادية المزرية؛ الأمر الذي يستدعي إلى استقبال مختلف أشكال العنف المعنوي واللفظي من جراء المستوى المعيشي المتدنّي للحياة الزوجية، وتزداد كثافة العنف ضدّها إذا كانت تنتمي إلى أسرة متوسطة أو متدنية الحال أين تتحدّد الفروق الاجتماعية والمادية بين أسرتي النسب.

4.2. الفروق الاجتماعية والمادية الأسرية تؤثّر على مكانة المرأة

ما توضّح في عمق استقصائنا عن العوامل المؤدّية إلى ممارسة العنف الأسري، وجود تفاوت اجتماعي بين أسرتي النسب، والذي يقوّم من حيث التبادين المادي بين العائلتين أو من حيث الانتماء الحضري الاجتماعي، فتُصنّف بعض الجماعات بالأسر العريقة وتوسم الأخرى بالجماعات المتدنية المستوى، حيث تحدّد الفوارق الاجتماعية وتشب العنصرية أين يُقيّم الفرد من حيث انتمائه الأسري، يتعرض للعنف بصفة غير مباشرة فيُقدح في شخصه وهويته الجماعية.

يتكلّم Lemarchant حول الفارق الإجتماعي وينوّه أنّ التفاوت الاجتماعي يعتبر من العوامل المنتجة للضغوطات الأسرية لما يخلقه من صعوبات، خاصّة فيما يخصّ موضوع الاندماج... وعندما يتفاقم هذا التفاوت، تتولّد التعليقات والانتقادات... فالمكانة الإجتماعية تبقى مسألة حسّاسة في إطار العلاقات القرابية"[1]

1. التفاوت الإجتماعي ومكانة المرأة العائلية

إنّ التباين في المستوى الإجتماعي بين أسرتي النسب يثير ممارسة العنف ضدّ الزوجة غالبا ما يكون موجه بصفة غير مباشرة، لا يمكن استعابه للوهلة الأولى من طرف الكنّة، إلاّ بعد أن تعي بمكانتها الاجتماعية المختلفة عن أسرة الزوج في عمليات المقارنة بين كنات العائلة فيما يخص الاختلاف في أسلوب المعاملات المتفاوتة، تجد أنّها تُعامل بطريقة غير مقبولة مسيئة لشخصها، فتكتشف أنّها سلوكيات عنيفة ممارسة ضدّها مرتبطة بهوية انتمائها الجماعية الغير مرغوب فيها؛ ومن جل الحالات هناك 51,61% ورد فيها هذا النوع من العنف -كما يتبيّن في الشكل البياني الموضّح أدناه والممثّل للجدول رقم 15- والذي يعتبر شكل من أشكال العنف المعنوي الموجه لكل فرد ينتمي إلى أسرة متدنية المستوى الاجتماعي.

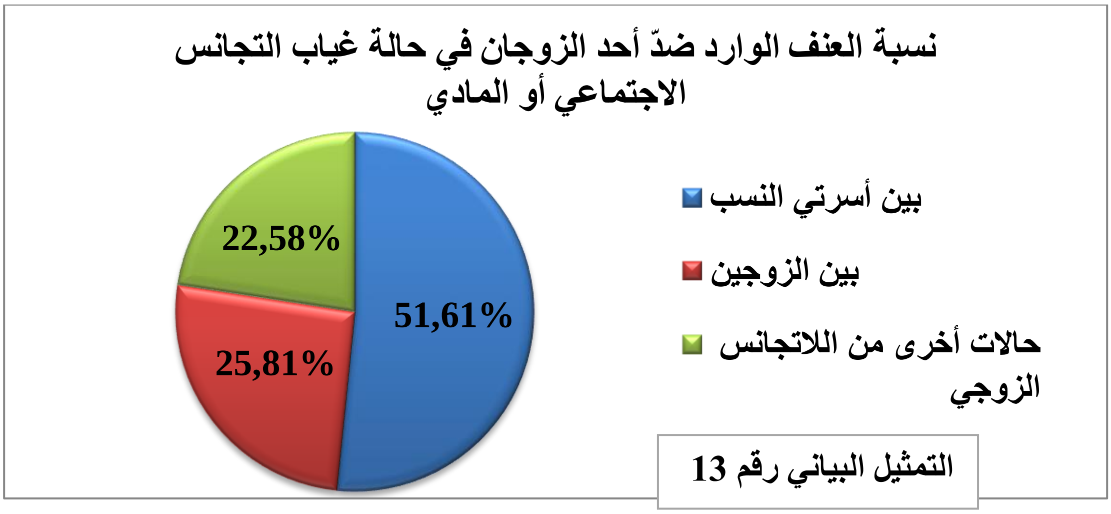

التمثيل البياني رقم 13

إنّ غياب التجانس الاجتماعي بين أسرتي النسب يولّد بالضرورة التمييز والتفضيل العلائقي بين كنات العائلة، والذي يولي إلى بروز الغيرة بينهنّ والتي وردت بنسبة 17,46% (أنظر الجدول رقم 16) أين يحدث التركيز على كنّة دون الأخرى التي تنتمي إلى أسرة عريقة، أو يتمّ التقرب من كنة

---

[1] . Lemaechant, O.p. Cité, P.p. 125-127

وتقبّلها خلافا عن الكنة الأخرى تبعا لدرجة اندماجها ضمن الجماعة –كما رأينا مسبّقا في الفصل الثاني-.

يشير المبحوث رقم 1 في هذا الشّأن:

"العائلة تاعي ماشي مقدرينها –**الزوجة- مادايرينهاش في مرتبة عالية**. يعني امرأة وخلاص. **ماشي ديك العائلة لي تفتخر بيها**.. مقدرينها نوعا ما ولكن مرتبتها منخفضة.. **زوجة الأخ متحضرة**.. ماتسواش **ويبغوها، على جال العايلة.. مْخنزرين دراهم.. وهي –الزوجة- تحس بهذا** شّي. تقولي عليها"

إنّ من خلال هذا التصريح يؤكّد أنّ تقدير الفرد والاعتراف به مرتبط بتقدير الجماعة الأسرية الأصلية المنتمية لها، وكما نوّه هشام شرابي أنّ "الأسر الثرية وصاحبة النفوذ هي الوحيدة المعترف بها والقابلة للإحترام،[1] وهذا الاعتراف نابع من رموز اجتماعية وتصوّرات قيمية معيارية تمّت إحاكتها من طرف المجتمع، من خلالها يتمّ تقويم الآخر وتقييمه، فإمّا أن تُعلي من سمعة الفرد أو تُسقطها في نظر الآخرين، حيث الفرد الذي له انتماء اجتماعي راقي يصبح صاحب سلطة أين *تنشأ علاقات غير متكافئة القوى والتي تؤدي الى نشوب العنف ضد الضعيف*،[2] حيث:

"كاين مفاهيم.. يحّسبوا على جال العايلة شحال تسوا، ولّي بوها يحكم تدخل في الراس.. الانسان علاش يكون عرضة للضرب وللإهانات؟ عندما لا يجد من يحميه.. المُهان لي ماشي مكبرينه في راسهم.. أحنا عندنا أشياء نؤمن بها ولكن لا نقولها.. كلّش في الراس كلّش: **الأم تبغي المرا، ولكن مادّيرش عليها وما تسمعْلهاش**.. كاين وحد الشّي لّي يخليها تنفر منها.. **وأنا علاقتي مع الزوجة عادية، ولكن لم أتقبّلها... نظل نْعايرها**.. الزوجة في الحقيقة تفهم خير مني. عاقلة. راتبة. قارية. وتفهمني وتعرف وين تحط كلامها وفاهمة. تعرف تقنع وتهدر. تغلبني في أمور عندها نظرة مليحة. تواجه... ولكن **ماشي المرأة لي كنت باغي**.. أنا مرتي **ليست متحضرة.. ماشي المرأة التي تفتخر بها**.. مثلا خويا زوجته من عائلة عريقة مْكَبرين بها ومْكبرينه حتّى هو"(المبحوث رقم 1)

إنّ أكثر ما أثار انتباهنا في عمق الدراسة ضمن نفس سياق الموضوع، أنّ احتقار الكنّة بانتمائها الأسري تؤدّي بالضرورة إلى احتقار الزوج (إبن العائلة) بدون وعي، أين تختلف المعاملات بين زوجات الإخوة، فكلّما كان الزوج مرتبط بزوجة لها انتماء أسري عريق، كلّما أرست الأسرة نظرة مرموقة لابن العائلة، بحكم أنّه ناسب أسرة تستحقّ التقدير والاحترام، ويُعدّ شرف عائلي لأسرة الزوج، وعليه من الممكن أن نشير أنّ الرّجل يكتسب هوية تصوّرية اجتماعية زوجية مرتبطة بهوية انتماء الزوجة. الأمر الذي يؤدّي إلى عنف زوجي أين الزوج يقلّل الاحترام والتقدير للزوجة، بحكم أنها ليست المرأة التي تضعه في مكانة رفيعة في نظر الآخرين له، رغم ما تتصف به من مميّزات إيجابية تولي إلى الولاء-والتي حدّدها المبحوث أعلاه بالتفصيل- إلاّ أنّ هويتها الجماعية هي التي تؤكّد مكانتها الفردية الاجتماعية؛ ورغم ما تتوصّل له من رضا الحماة وحبّها إلاّ أنّ بعض التصوّرات الاجتماعية والرمزيات المادّية الأسرية تمنعها في إثبات وجودها وتعيقها للتوّصل إلى مقامة عالية في حياتها الزواجية.

إنّ كل المحاولات التي تقوم بها الزوجة للاندماج ضمن الجماعة الأسرية وإحراز حياة زواجية تملؤها الغِبطة، فلن يكون ذلك بسهولة، فإنّ الدخول إلى جماعة أسرية من مستوى عالي ليس بالأمر الهيّن، يتطلب طول البال لكي تتوصّل إلى مكانة معترف بها، وتبذل قصارى جهدها للتوصل للاندماج وترتقي لمستواهم، وعلى حسب Lemarchant أنّ هذا الارتقاء ستدفع لأجه ثمن غالي إذ عليها أن تمرّ بامتحان الدخول... خاصّة أنّ الحماة إلى حين أن تندمج الكنة ضمن العائلة ستساهم بشدّة وعلى مسار طويل من العراك والخصومة... ولا يمكنها أن تتراجع لتذكيرها دومًا بأصلها ومستوى

[1]. Lahouari Addi, O.p. Cité, P.184

[2] . فوزية بلعجال، العنف الأسري ضد المرأة. المجلة المغربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، سبق ذكرها، ص87.

أسرتها... فتُعتبر الحماة الفاحصة والمحافظة على مستواها النبيل"[1]، والزوجة التي تريد الاندماج ما عليها إلا أن تقوم بكل جهدها للتوصّل إلى المستوى المطلوب من المعاملة الحسنة.

ومن بين الاستراتيجيات التي تستعملها الكنة للتوفّق في زواجها في هذه الحالة، تحاول أن تتطبّع على نمط حياة أسرة الزوج وأسلوب معيشتهم، ولكن هذا لا يكفي حيث تطمع لأن تتوصّل إلى المستوى الاجتماعي المطلوب بالإرتقاء الى المستوى المادي الذي يرفع من شأنها، والذي يعطيها مكانة اجتماعية تولي للاحترام الاجتماعي، الأمر الذي قد يأخذ إلى عنف زوجي في علاقة تأثير وتأثّر، تندفع الزوجة إلى الضغط على الزوج لتحقيق المتطلّبات المادية المرغوبة، والأمور تتعقّد كلّما قلّت قدرة الزوج المعيشية.

2. التفاوت الاجتماعي والظروف المادية للمرأة: الارتقاء الاجتماعي للمرأة مرتبطة بالارقاء المادي

وضّحنا مسبقا كيف أنّ النساء محرومات من الجانب المادي في علاقتهن بأسرة الزوج واللواتي مثّلن 33,33% (راجع الجدول رقم 21)، ولكن أهم ما في الموضوع أنّ البعد المادي غالبا ما يدخل في إطار البعد الرمزي لبناء العلاقات الأسرية. فتحكي المبحوثات:

"ما صبت كي نعمل، صبت راسي غير تحتها –الحماة- وتحت طوعها...راني انتبّعهم، **وأقدّم لهم أشياء غالية**.. ولكن **لامحمود، لا مشكور**.. فلحدّ الآن لم تعترف بي، مهما ما قدمته لها وما أقدمه لحد الآن.. نظل نقضي لها، أقدم لها هدايا.. أسلّفها أموالا وماتردّهومليش، وقلت ماعليش.. غير تقرّ.. وهي على ماظلّ تروح لدُبي، والترك ما تخلّي حتى بلاصة والله ما تتفكرنيش بحاجة.. والخطرة التالية بكّاتني: رُحت لعندها أعطاتني قش بالي قالت لي حبيت نصدقو. حسّيت راسيييي ما عندي حتى قيمة" (المبحوثة رقم 7)

"**على لّي نعملهولهم**، وعلى ما نقدمه لهم. **ماتقوليش حتى يعطيك الصّحة**.. ما كسبت من عندهم والوا **ما تسخرش عليّ حتى قرعة ريحة**. فرقت وسكنت بّحدي. معيلقة ماعنديش تع خنتنتي بعدا ونفتخر بيها ونقول هذه مّاه أعطاتهاني" (المبحوثة رقم14).

إنّ البعد المادي له رمزية قويّة قد يكون نقد، أو هبة ملموسة تترجم في بعدها المعنوي تولّد الشعور بالرضا في علاقات التفاعل الاجتماعية. يوضّح Lemarchant أنّ الهدايا وكل ما هو مادي يُمنح للفرد هو فعل له مضمون، يحمل ثقل من المعاني... فتقديم هدية لأحد، يعني أنّ الفرد يرغب في عطف الآخر"[2]، وهذا يختلف من حيث المكانات والأدوار ضمن علاقات التفاعل الاجتماعية، فكلّ ما تقدمة الزوجة لأم الزوج أو للأسرة عامّة ما هو إلاّ تعبير عن الرغبة في تقبّلها كفرد من أفراد العائلة، ترمي إلى طلب الحماية والرأفة ضمن جماعة تعدّ غريبة عنها؛ أمّا ما تقدمه الحماة لكنّتها من كل ما هو مادّي يفسّر إعتراف بوجودها في نظر الجماعة المنتمية لها؛ ولهذا "الغياب النهائي لمثل هذا التبادل يوحي إلى سلبية العلاقة وإنكار الآخر، وهذا ما يستدعي خيبة الأمل، حيث تشعر الزوجة أنها غير مرغوب فيها، وكل ما تبذله من جهد وما تقدّمة لأسرة الزوجة يبقى بدون صدى وبدون منفعة ولا يؤدي إلى نتيجة إيجابية"[3]، تشعر بالابتذال العلائقي والاحتقار وهي لا تزال ممتثلة وخانهة للجماعة طامحة بالاعتراف بها، فـ"العطاء يعني تأمين التلقي، يدلّ على فكرة القرض، وهذه من النتائج التي توصل إليها M.Mauss حول قانون العطاء واللاعطاء"[4]، إذ أنّ كل علاقة إلا وتتخللها مرامي يريد الفرد التوصل لها ولو عن طريق التملّق، حيث العلاقات لا تدعو للشفافية؛ وكما يدوّن Bornons-nous أنّ كبح ميكانزم العطاء والإستحقاق يعقّد مسألة جلب الرضا والتوافق على الحدود الزوجية والأدوار الأسرية،[5] ومسألة الإستحقاق تتدخّل في هوية الانتماء الأسري للفرد أين التفاوت

---

[1] . Lemaechant, O.p. Cité, P.p. 128-129
[2]. Lemarchant Clotilde, O.p. Cité, P.43
[3]. Lemarchant Clotilde, O.p. Cité, P.43
[4]. Lemarchant Clotilde, O.p. cité, P.66
[5]. Kellerhals Jean, O.p. Cité, P.113

الاجتماعي والمادي بين أستري النسب له الأثر البالغ في ممارسة العنف ضدّ من ينتسب لأدنى مستوى اجتماعي، وهذا ما يعيق التبادل الوجداني. فتخبرنا المبحوثة رقم 14:

"لّي عندو يزيدولوا، ولّي ما عندوش يستخسرو فيه شرويطة.. تعرف سلفتي نهار لّي خطبوها ما خلاّوا ما عباولها، وبعد الزواج كي تروح لعندها ضيفة تعبّيلها الصالحة بهمّتها.. وأنا جابت لي الغريبية في الشْكّارة تع congélateur، ومحروقة كامل.. مانجمَتش حتّى تقول حشومة نشوف أسم (ماذا) نعبّي معاي حاجة أخرى.. تعرف بقات في خاطري."

ضمن هذه العلاقات التبادلية المادية وما تتضمنه من عمليات التبادل المعنوية، تكون الزوجة غالبا في حالة مزرية، ظروفها الماديّة والمالية عامّة لا تسمح لها بالارتقاء للمتسوى المطلوب من العائلة، حيث تعجز عن بناء علاقات أسرية موفّقة، فغالبا ما تكون ظروف الزوج المادية متناقضة مع انتمائه الأسري العريق والتي تحدّد مكانة الزوجة ضمن الجماعة، حيث **الزوجة تكون هويتها مرتبطة بمدخول الزوج المالي،** موضحا Lemarchant أنّ حجم الصراعات الأسرية يتوقف على عامل درجة تبعية الزوجة لزوجها،[1] فكلما قل دخله كلما كانت لها صعوبة في التوصل إلى مستوى أرقى، وكما عبّرت سيمون دي بوفوار "المرأة لا تسمو بنفسها إلى الجماعة إلا من خلال زوجها"،[2] الذي يضمن لها كل مستلزمات الحياة الاجتماعية؛ ولكن في حالات أخرى يعجز الزوج عن استوافاء احتياجات الزوجة الخاصّة والتي تعتبرها من الضروريات التي من خلالها تندمج ضمن العلاقات الأسرية الرسمية (مناسبات احتفالية، ولادة..)، فإمّا أن تواجه المجتمع، أو تنسحب عن الرسميات الاجتماعية أين تشعر بالنّقص؛ إذ يخبرنا المبحوثون:

"قلّت الشّي، واللبسة ما كانش.. **وهي ماتروحش للعرضات**.. لأنها ترى واحدين لابسين غايا.. وهي لاّ.. والآن الصراع راه كاين، لي لابسين يشوفوا في رواحهم" (المبحوث رقم 1)

"كنت أشعر بالنقص -في فترة- من الفقر.. وأسرته عندهم حاجا ماشي مليحة، يبحثون على شّوفات أنا تبالي هم يحسّوا بالنقص يحبوا يكونوا مثل الأغنياء.. **أنا نهار العرس لم أتبرّز**، ومابغيتش نخرج في سهرة الليل.. **ماخرّجتش حاجة كبيرة**" (المبحوثة رقم5)

"العائلة.. يفتشوا غير باش يبينوا راسهم، **ولي تلبسوا أو لي تحطوا يعيبوا لك عليه**.. بزّاف، نقول لهم أنا بنت مسكين ومرات مسكين ومانسال حتى على واحد، ونلبس لي يعجبني ونحط لي نقد عليه، حتى واحد ماراه يدخلي في جيبي.. تحسب راجلي عندوا وخبّا عليّ" (المبحوثة رقم 14)

إنّ المجتمع هو بالذات معنِّف بصفة مُضمرة، يفرض أمور تتجاوز الفرد "إلى أن تعيش الزوجة على أعصابها، فتصاب بداء في الجهاز العصبي من جراء التصنيف الطبقي حيث "تعيش الكنّة نوع من "الأعصاب الطبقية"[3] أين تشعر بعدم تقدير الذات، تستاء من مستواها المتدني، فتندفع نحور الانسحاب عن العلاقات الاجتماعية تخوفا من الإهانات التي من الممكن أن تتلقاها بصفة مباشرة مُصرَّح عنها، أو غير مباشرة مُترجمة من نظرات مُعبرة عن القساوة، أين تشعر بالعوز المادي؛ وعليه فإنّ "الفقر يؤدي إلى التفقير الاجتماعي"،[4] وله دور في تصنيف الجماعات الأسرية من البسيطة والمتوسطة الحال إلى الأسر المعوزّة، والفرد المنتمي إليها يدخل كذلك في إطار هذا التصنيف، يكون له مكانة اجتماعية دونية أين يتعرّض للعنف، وكما يشير Galtung مؤكّدا أنّ الظروف المادية العويصة من العوامل التي تسمح في تجلّي العنف، أين الفرد يشعر بالحرمان من الضروريات المادية حيث أنّ "الفقر يُعتبر من العوامل البنيوية لنشوب العنف"[5]

تحكي لنا المبحوثات مستاءات عن وضعهن المادي في علاقتهن بأسرة الزوج:

---

[1]. Lemarchant Clotilde, O.p. cité, P.p.161-162

[2]. سيمون دي بوفوار (2008)، مرجع سبق ذكره، ص.124.

[3]. Lemaechant Clotilde, O.p. cité, P.129

[4]. محمد الحسني، سوسيولوجية الفقر والهشاشة، جامعة ابن زهر، كلية الآداب والعلوم الانسانية، دت.

[5]. Voir : May Clarkson, O.p. Cité, P.10

"ما يعرفوك لا عندك أو ماعنكش.. تعرف لو كان يْشوفوك لابسة المقطّع والله ما تشّفهم، ووصلت لها.. راجلي مدخولو قليل وانا كنت قاعدة في دّار.. مافيهمش الأمان، يسمحوا فيك" (المبحوثة رقم 14)

"أنا قاعدة في الدار.. كسرة ما لقيتهاش باه نوكّل أولادي.. لما دخل راجلي للحبس راحوا وخلاوني ما فقدوني ماوالوا." (المبحوثة رقم 26)

"الفقر يتعّب.. هو سبابي وسباب عنائي. **خلاني نحس بلي راني دون المستوى مع أحبابه** خاصة في الأعياد.. شفت الويل. حرموني من الماكلة، ياكلوا قدامي وأنا نشوف، الراجل ما يشريليش القش باه نلبس حتى العيد نخرج بوالوا.. تعرفي قع لابسين ومزينين وأنا بقشي القديم حتى نحشم نحسهم يشوفوا فيّ باحتقار وأنا وحدانية خاصة الأهل تاعي في وهران وأنا في مستغانم تعرفي وحدي ما نلقاش لي يعاوني" (المبحوثة رقم 24)

تشير التصريحات الواردة معنا، أنّ الزوجة ستكون امرأة تابعة للجماعة كلّما قلّ مستوى المادّي للزوج، خاصّة إذا كانت ماكثة بالبيت لا تملك رأسمال مادّي مستقل عن الزوج والجماعة، وليس لها رأسمال اجتماعي تلقى من خلاله أي نوع من الدعم المالي، أين ستتعرض للقهر، تكون مجبرة أن تكون حليمة ووديعة في علاقتها التفاعلية مع أعضاء العائلة، موضّحا lemarchant في هذه المسألة أنّ هذا الجانب مرتبط بالزواج الراقي وإحراز الزواج السعيد الذي يجبر المرأة الصبر وتقبل الواقع والتوجّه نحو الخضوع والانصياع رغم ما تواجهه من إهانات، والزوج لا يعطيها الحقّ،[1] إلى أن تتوصّل إلى أن تشعر بالتوجّس، تخاف من مستقبلها الغير مضمون، فإنّ "تبعية الكنة المادية والمالية لوالديّ الزوج تولّد علاقة قوّة تعدّ خسارة لها فتضرّها"[2]

وفي ظل هذه الرمزيات الاجتماعية والمادية الغير منصفة تندفع الزوجة لمواجهة ظروف ماديّة، ومُقاوِمة لوضع اجتماعي غير مرغوب فيه بعد فترة من الزواج، بقوة شخصيتها، تحاول جاهدا أن تصل إلى المستوى المطلوب، بحكمة ورزانة بدون استجداء ولا احتقار للذات، وبدون الدخول في صراع زوجي ولا عائلي، تندفع إلى إثبات الذات والارتقاء لإحراز الزواج السعيد والتوصّل إلى نفس المستوى العائلي أو القريب منه، أين تتلقى المتاعب وتقوم بتذليل الصعوبات **"مثل العصاميّ تماما"**[3] الذي يعمل بصفة ذؤوبة لجني المال، حيث يكون لها رأسمالها الخاص بيها والذي يعطي لها نوع من الرقّي والحفاظ على مكانتها كامرأة تقدّر ذاتها وتحمي نفسها من عواقب الزواج البائس؛ فتحكي لنا المبحوثات:

"قلت له نروح نخدم القاطوا على روحي ما خلانيش حتى لي **أصريت وفرضت نفسي** وقلت له ما نقعدش هاكة، **تكلت على روحي**. حتى القاطوا ما كنتش نعرف وتعلمت. نصقصي فلانة حمبوك كي ندير لهذا وكي ندير لذاك. وتعلمت غير بشويّ. بدأت بالمسمّن.. بعد 7 سنوات.. وصلت نطب طب في الديار والناس يحنوا فيّ، وصلت ندور في المستشفيات ونبيع المسمّن ونتمشى في الطريق ونقول شكون لّي بغى يشري لمسمّن.. حتى لي وحدة تعرفني بدأت جيبلي الزبائن، وبدأت بشوي نخدم بالهاتف.. والحمد الله.. تعرفي أنا بنتي قرات وراهي في الماستر بـ300 دج في الشهر وكبرتها وقريتها وصلت للجامعة وأولادي تانيك.. فإذن الثقة بالنفس عندي بزاف وأصبحت أكثر" (المبحوثة رقم 24)

"كنت قاعدة في الدار.. كان ضدّ باه نخدم ولكن بعد لّي خرج من الحبس وعرف بلّي سمحوا فيّ غاضته.. فإذن كي قلت له يليق نخدم ما قاليش.. بقست نخدم على روحي ونعاونه ونعاون في راسي" (المبحوثة رقم 26)

ثُبت لنا من خلال الدراسة الميدانية لمعاناة الزوجة أنّ البعد المادي هو أهمّ ما يميّز التفاوت الاجتماعي، يخلق نظام طبقي تراتبي بين جماعتين أو بين فردين ويولي إلى تحديد مكانة الفرد ضمن الجماعة؛ والحرمان من الاحتياجات المادية تولّد متاعب ومشاكل تؤدي إلى الصراع الأسري. وعليه فإنّ البعد المادي يعتبر من أبرز المجالات المولدة للصراع والواردة بنسبة 39,53% (راجع الجدول

---

1 . Lemarchant Clotilde, O.p. cité, P.p.161-162

2 . Lemarchant Clotilde, O.p. cité. P.67

3 . Voir : Lemarchant Clotilde, P.132

رقم 8)، وعلى إثر ذلك إذا ما حاولت المرأة إثبات ذاتها خارج المجال الأسري والتوصل إلى أن يكون لها دخل مالي مستقل عن الزوج وأسرته، فقد تكون في وضعية كاسحة تعجزها عن توفير متطلبات الحياة الاجتماعية الضرورية.

وبناءا على كل الظروف التي عاشتها الزوجة في حياتها الزواجية، ستواجه أسرة الزوج والزوج، معيدة التساؤل في كل المواقف الأسرية التي تعتبرها غير مؤهّلة لتحملها، رافضة للمعايير والقوانين المحتومة عليها من طرف الحماة، معترضة لكل هيمنة عائلية حيث ترفُض رمزية العلاقة الأسرية بعد الزواج.

5.2. دور المرأة في إثبات ذاتها كمواجهة للوضع: إمرأة خائبة الأمل في علاقتها بالجماعة الأسرية

أشرنا –سابقا- أن الكنة يعترف بها إلاّ إذا أثبتت وجودها ضمن العائلة في استوفاء المهام المنزلية وتمديد السلالة النسلية، ووضحنا ضمن هذا المضمون، أنّ كل هذه الأدوار تعتبر اعتراف مشروط لنجاح الزواج؛ ولكن هذا النجاح لا يولي إلى مكانة جديرة بالاحترام والتبادل والتآزر بالضرورة، وإنما نجاحها مرتبط بالخنوع دون أنين، إلى حد أنها لا تستقبل دعم معنوي ولا مادّي عرفانا لما تقدّمه من مجهودات.

إنّ في عقب هذه العلاقات الغير متكافئة التبادل تتولّد ضعف الروابط الأسرية، أين الكنّة تنكص عن آدائها لمهامها وتتقاعس عن الخضوع لأوامر الحماة، بعدما قامت بالمستحيل لكسب رضاها بكل الوسائل، تجد أنها لن تجلب أبدا رضا الحماة رغم ما تقدّمه من فضل، وكأنها تعطي دون أن تأخذ -من الحماة- ولو بقدر بسيط من التبادل العاطفي يؤكّد مكانتها كفرد من أفراد العائلة، ويشعرها بالانتماء ضمن الجماعة مثل بنات العائلة، ولكن لايمكن أن تكون الكنة بمثابة بنت للحماة رغم أنّها ***حاولت كسب محبتها وعاملتها سيّان الأمّ رغم أنها ليست الأم.***[1] معبرة المبحوثات:

"عجوزتي نقول لها يمّا.. كنت نرفدها ونقيلها.. ولكن لقيت روحي كنّة وخلاص، تبغي غير روحا أنانية" (المبحثة رقم 18)

"حبّيت نشوف فيها حنان الأم.. ولكن هي ماشي أمّي، وعمرها ماتكون.. تبقى بنتها عزيزة عليها" (المبحوثة رقم 14)

إنّ مضمون هذه العلاقة بين الزوجة وأسرة الزوج اللامتساوية والتي لا تتميّز بالانصاف، تُترجم على أساس لامبالات وعدم إهتمام، وحرمان، وأكثر من ذلك عدوانية،[2] أين تغيب علاقات التفاعل الأسرية ليست فقط الوجدانية والمادية وإنّما كذلك بغياب علاقات التعاون المتبادلة أين تكون الكنّة بحاجة ماسّة للجماعة في حالة المرض أو في حالة أي عناء جسدي حيث:

"تعَّرفي حتى كي نولد ما يرفدونيش. والله في نهاري غير نخرج من المستشفى نوض من هنا. قع ما نرقدتش. مّه ما تبغيش. تقولي نوضي تقضي. والله غير تحس بالحقرة الحقرة بلبزاف." (المبحوثة رقم 24)

"كي نمرض والديّ يقابلوني.. اللحم كي يخنز يولّي لمّاليه"(المبحوثة رقم 13)

"ماعلابالهمش لو كان نكون عايّة نوقف بالسيف ما عندي كي ندير ما نقولش لاّ غير باه يرضاوا" (المبحوثة رقم 26)

يشير عدي الهواري أنّ "النجاح أو الإخفاق بعد الزواج يرتكز على درجة التبادل العاطفي بين الحماة والكنّة وليس بين زوجين من جنسين مختلفين"،[3] فإنّ البعد المعنوي في علاقات التفاعل له رمزية قويّة أين يشعر الفرد بتقدير الذات والاحترام، يترجم في التبادل المتكافئ بين أعضاء الجماعة العائلية أين تتموضع التوقعات والإنتظارات المرتبطة بالأدوار والمكانات، تخلق علاقات

[1]. Voir : Lemarchant Clotilde, O.p. cité, P.17
[2]. Voir : Kellerhals Jean, O.p. Cité, P.113
[3]. Addi Lahouari, O.p. Cité, P.82

موقّقة، ما سمّاه "هومانز" بـ"قانون الاتفاق"، أما العلاقات الغير متكافئة فتولّد "قانون اللامساواة" تؤدي إلى الصراع[1] في علاقات فعل وردود أفعال معاكسة، تختلف باختلاف المواقف ونمط شخصية كل زوجة، فمنهنّ نساء واعيات تتميّزن بشخصية قويّة تتجرأن على مواجهة الوضع وتغيير استراتيجيات المعاملة، إمّا بالمثل، أو تكون لها الجسارة إلى طلب التغيير بالانفصال عن أسرة الزوج ضمن سكن مستقل، وهو من الأمور الغير سهلة الوصول إليها -كما سنوضّحة لاحقا ضمن نفس المحور-، ومنهنّ من تعبّر عن استيائها للوضع تُردن إعادة اعتبارها وإثبات ذاتها بسلوك معنِّف مضاد أين تواجه الحماة وأسرة الزوج عامّة، وتتصدّى لكلّ فعل يعيبها ولكل مواقف الخزي والاذلال التي تعيشها، رافضة أي مظهر من مظاهر العنف الموجّه ضدّها ضمن السكن الأبوي المقيّد تحت نظام تراتبي صارم بين الجيلين وبين الجنسين، والذي يتضمّن ***عنف رمزي محض تكون فيه مجبورة على إرضاء وإسعاد الكلّ بمعاناة***.[2]

على حسب سليمان مظهار أنّ هذه المعاناة يوضع لها حدّ بعدما يشعر الفرد مع الوقت بضغط اجتماعي، يعي أنه لا يتواجد إلا لأجل الجماعة التي ينخدع فيها ويكون في وضع سلبي معها، فيقلق على حياته المستقبلية، ولهذا يحاول تصدّي المواقف الاجتماعية المخيّبة للأمل، فيجابه لتغييرها.[3] وعلى هذا الأساس تضطرّ الزوجة لشنّ صراع أسري بممارسات عدوانية، مؤكّدا سبوك أنّ الأم الشابة قد تتوجّه إلى أن تثور في وجه حماتها -وأسرة الزوج عامّة- وذلك لأنّ معظم البشر الذين تفترسهم الضغوط يشعرون بعدم القدرة على رفع هذه الضغوط مرة واحدة. هذا الاحساس يرهقهم ولا يعرفون كيف يسيطرون على أنفسهم عندما يواجهون استفزازا شديدا، وعندئذ ينفجرون عارما؛[4] ويضيف سليمان مظهار أنّه إذا بحث الفرد على تغيير نمط حياته لا يمكنه ضبط دوافعه العدوانية بحكم المشاكل التي يتعرّض لها والقساوة الممارسة ضدّه والتي لا يتمكن من إستبعادها إلاّ عن طريق العنف،[5] وعليه ستتعرّض الحماة والزوج إلى العنف من طرف الزوجة ضمن مواجهات معاكسة لا تنكص عن تهدئة نار الغضب الذي يحيق بها أين زاد الحقد في أنفسها.

1. مواجهة الكنة للحماة: أم الزوج تتعرض لعنف معاكس

تبيّن لنا في الدراسة الميدانية أنّ الزوجات تقوم بواجهة أمّ الزوج، وتُلهب الصراع الأسري ويمثّلن نسبة 29,51% (أنظر الجدول رقم 10) أين تفرضن نمط معاملة الحماة لها، مطالبات بالاحترام المتبادل بعد فترة زمنية من حياة زواجية تعتبرها قاسية، حيث "العلاقة بين الكنات وأسرة الزوج، في بداية الحياة الزواجية، تكون غير متكافئة، بتطويق زوجة الإبن وإحباطها، وعادة تابعة لهم ماديا. وهذه العلاقة الغير متوازنة تبدأ تتلاشى وتختفي، وتأخذ الإتجاه المعاكس".[6]

تخبرنا السيّدة سين[7] -في الدراسة الاستطلاعية- : "على ما نظلّ واقفة، ومع التّالي تقولي نْتينا زيرو "0".. **من تمّ ورّيتْلها أسم هذي أنا زيرو**، بقيت كيما تقولي –الحماة- اعمل كاش حاجة نقول لها مانعرفش.. ماعلاباليش بيها، هي ما تحسنش العون".

وتضيف المبحوثات:

" بعد سنة ونصف تقريبا من الزواج ما بقيتش نعمل عليهم لّي في راسي نعمّلوا.. **ختّتني في الآخر ما قدّتليش**.. قَفْلت عليّ بزّاف حتّى لّي **طّرطقت في وجهها**، قبطتها مع الحيط وقلت لها ياتخليني براحتي يا ما

---

[1]. أنظر: محمد نبيل جامع، سبق ذكره، ص.188

[2]. Medhar Slimane, O.p. Cité, P.10

[3]. Medhar Slimane, O.p. Cité, P.p. 42-44

[4]. دكتور سبوك، مرجع سبق ذكره، ص.ص.35-36

[5]. Medhar Slimane, O.p. Cité, P.p.10

[6]. Lemarchant Clotilde, O.p. Cité, P.90

[7]. من مواليد 1992، عاملة بالقطاع الخاص، لها إبن يبلغ من العمر ثلاث سنوات. الزوج له متجر خاص، نمط الأسرة: ممتدة، الاقامة: تلمسان.

ريكش ماشية تسلك معاي. نورّيلك انا شكون. وعمل في بالك انا مابقيش كيما لي كنت. **هبلتني**." (المبحوثة رقم 14)

"أنا ما نبغيش الذل، حسّيت بالذل حبوا يقلعوا لي شخصيتي. ولكن لم يستطيعوا.. وصلت لديك الفترة **ولكن نفْضْتْ روحي**، بعد 7 سنوات **وليت نردّ ونهدر**، **ونجاوب ونرد على روحي**.. **أنا مازلت تحْتْهُم ومازالت نجبد ونتبّعهم**، **غير وليت نهدر**، في السبع سنوات الأولى كنت عاد صغيرة عاد نحشم. ولكن من بعد خلاص..! عجوزتي كي بديت ندافع على روحي، حاسبة بلي ما كنّاش نفهموا شّا راهم يديروا كي يعايروا فينا، بصّح كي يعرفونا فاهمين يدّربوا الحسابات.. ولّينا بهايم معاه.. وراجلي ما يجيش معاي.. **أنا نردّ الكلام على عجوزتي**... وتعرفي؟! **نْغزي فيها ما نسكتْلهاش**." (المبحوثة رقم 2)

ويحكي المبحوث رقم 5 عن علاقة زوجته بالأم فيصرّح: "هي –**الزوجة**- **مع الأم عدوانية** وبزاااف هي **عنيفة في الكلام معها**.. وصلت **أهانت الأم**.. ووصلت **سخطت عليها** في وجّها.. حتى قالوا لي مراتك قبيحة.. حتى واحد ما جا معها.. **هي ترد الهدرة**"

إنّ من حديث المبحوثات نلاحظ أنّ الزوجات تختلف قدراتهنّ على التحمّل للعلاقة السلطوية التي تجمعها بالحماة، والتي قد تطول أو تقصر، إلى أن تقدّر الوقت التي يستوجب عليها وضع الحدّ للعنف الممارس نحوها. يشير علي حساني أن الفرد في مختلف المواقف العنيفة يجد نفسه مُجبر على أن يحدّ من الصراع ويواجه الأمر ولا يتخوّف، ولكن بطريقة يحسن بها إدارة الصراع، إذ يقوم بتفجير الصراع وبعدها تهدئته، حيث يُخرج الفرد كل ما في جُعبته من آلام، أين يتم التواصل بهدف الحدّ من وضعيته الكاسحة،[1] وعليه الصراع والجشارات العائلية البنّاءة تسمح بالتقّرب من الآخر ورفع الحاجز الذي يعيق التواصل العلائقي الأسري.

ولكن الجماعة الأسرية للزوج لا تتقبّل أي تأوّه يثير اضطرابات البنية الأسرية، حيث هذه الأخيرة هي اجتماعية محضة وتضمن استقرارها بضمان مكانة كل فرد ودره المنوط له بعد الزّواج، وأي مبادرة من الزوجة توحي، ولو بقدر قليل، على التواني لأوامر أم الزوج ستتعرّض لإهانات لا مفرّ منها، يُحكم عليها بأنّها قلّلت الأدب للطرف الأكبر المحتذى به ضمن المجال الأسري والذي يتوجّب التقدير والاحترام، وعليه تُترجم سلوكياتها المعنِّفة كيفما كانت شكلها، ومهما كانت ضعيفة العدوانية، على أنّها سلوكيات مخلّة للنظام الأسري، وعليه لا تجد من يقف في صفّها بحكم الرمزيات الاجتماعية الأسرية التي لم تضع لها أي اعتبار، فيُحكم عليها أنّها امرأة غير مهذّبة، حيث: "**بداوا يكّرهوني أكثر.. وقالوا للزوج مراتك ماشي مربيّة**"، فلم تلقى تربية موافقة للمتطلبات الاجتماعية.

إنّ المرأة "**المْتربية** **Metrabya**" هذا يعني أنّها امرأة مستقيمة، تلقت تنشئة حسنة، و"الحياء" من صفات حسن التربية، والفتاة المحتشمة هي الفتاة التي لها "روح فطنة، ومطأطئة الرّأس"؛[2] فأمّا الروح الفطنة فتعني امتلاك قدرا من الوعي الكافي لمكانتها ككنة ومُدركة كل ما هو منتظر منها من طرف أسرة الزوج؛ ومُطأطئة الرأس فهذا يعني أن تكون خاضعة لأوامر الحماة. إذا ما تميّزت الكنّة بهذه الصفات فقد تُعرّض نفسها للمخاطرة، موضّحا سليمان مظهار أنّه "لا وجود لمجابهات، ومواجهات بدون مخاطر ومجازفات للعواقب.[3]

إنّ ردود الافعال التي توجّهها الزوجة ضدّ الحماة لا يعني أنّها ستتوصّل إلى اثبات مكانة محترمة، ولكن ستجازف بنفسها بعد المواجهة لتدخل إلى علاقات عنيفة أكثر قوة مع الجماعة الأسرية عامّة، لا أحد يقف في صفّها ولا أحد يأبه لشكاويها، إلى أن يزداد حنقها فتنصرف نحو الإستنجاد بالعنف الوارد في العدوانية بعد التكديس للعدائية التي أصبحت تكنّها للحماة؛ تحاول فرض شخصيتها أين الضغط يولد الانفجار، خاصّة إذا كان مُمارس من طرف كل أعضاء الجماعة والتي تعمل على ضبطها في علاقاتها الهرمية العائلية –كما رأينا سالفا- **فإن العنف مرتبط بالغضب**، وهذا الأخير "هو حالة نفسية تظهر على الانسان عند عدم اشباع رغبة خاصة، أو اضطراره للقيام بعمل لا يتفق مع

---

[1]. Hassani Ali, Des mots pour comprendre le conflit et la violence, O.P. Cité.
[2]. Zerdoumi Nefissa., O.P. Cité, P.p.245-246
[3]. Medhar Slimane, O.p. Cité, P.p.42-44

رغباته وميوله،[1] وعليه فإنّ "المرحلة التي تواجه فيها الكنة أسرة الزوج تكون الأحقاد قد ملأت قلبها، وتشعر بضغينة تفقدها صوابها، ولا تتملّك أعصابها ولا تتصرّف بحكمة"؛[2] ويبقى الإختلاف متباين من امرأة إلى أخرى في كيفية المواجهة وبدراجات متفاوتة بينهنّ، والتي تولي إلى ردود أفعال معاكسة ضدّها في علاقة بيزنطينية، كل منهما يصدر أحكاما ضدّ الآخر، وتكون فيها الزوجات هي الحلقة الأضعف أين ستتعرّضن بعضهنّ للعنف من طرف الزوج واللواتي يمثّلن 10,58% (أنظر الجدول رقم 12)، الأمر الذي يدفع إلى علاقة زوجية عنيفة أين ستقوم الزوجة بمواجهته ضاغطة عليه ليقوم برد إعتبارها ضمن الجماعة.

2. مواجهة الزوجة لزوجها: زوج تحت الضغط متعرّض للعنف

كما وضّحنا سابقا أنّ 14,29% من الأزواج يفرضون سلطتهم لتأكيد دور خنوع الزوجة للأم (راجع الجدول رقم 13)، وهذه النسبة هي جزئ من 47,54% التي تمثّل سلطة الزوج العامّة في غور الحياة الزواجية والتي ستَعمل الزوجة على مواجهتها أمام سلطة الحماة، حيث ينشب صراع زوجي (أنظر جدول رقم 10) أين الزوجات تثير ممارسات عنيفة ضدّ الزوج فتضغط عليه وتواجهه بطريقة معنِّفة في الكلام، وهي أعلى نسبة تجلّت في الدراسة الميدانية بنسبة 42,86% والتي تثبت مدى قدرة الزوجة على الاندفاع إلى مواجهة العلاقة التراتبية التي تربطها بالزوج، ومدى قدرتها على فرض إرادتها له ضدّ أسرته، وهذه الأخيرة تعتبر من العوامل التي تثير مختلف الأشكال لمظاهر العنف النفسي واللفظي ضدّ الزّوج بنسب متفاوتة وتمثل 23,81% و19,05% (راجع الجدول رقم 23، التمثيل البياني رقم 3، ص.116)، فيخبرنا المبحوث رقم 5:

> "مراتي.. تزكّي عليّ وعلى الأم، وتحاسبني: مراتي كي ترد الكلام على الأم بالنسبة لها تقول الحقيقة ولكن الحقيقة تجرح الآخر؛ أميّ كانت تتعامل معها بضغط لا ترد أن تمرّر الأشياء. في الحق متجاوزة الحدّ.. **الزوجة أرات أن تتحداني وتتحدى الأم وكل الأسرة باش تبين بأنها مضغوط عليها.. لا بدّ لها أن تتبقل"**

إنّ الزوجة في ظل كل ممارساتها العنيفة ضدّ زوجها تعتبر أن هناك أمور لا بدّ على الزوج أن يعيد ترجمتها وإعادة التساؤل فيها ضمن المحيط الذي يعيش فيه، فتحاول مواجهته وجذبه نحوها وإعادة بناء نمط العلاقات التراتبية العائلية، ضاغطة عليه بغرض وضع حدّ للأم المتسلّطة، بعدما تخفق هي في ردّ الاعتبار لذاتها في علاقتها بالحماة والأخوات وأسرته عامة، أين يكون للزوج موقف معارض لها ودوره ينحصر في إثبات وتوكيد مكانتها ككنّة. فتحكي المبحوثات:

> "كي مشيت لعندهم عروسة، رأيت أمور لم أقتنع بها، كيفاش الرجال قاعدين وأحنا نخدموا فيهم؟ !.. أنا بانت لي هذه إهانة.. وراجلي كذلك هو راقد وأنا نهمبر.. **أنا ماشي خدامة عند والديه.. قلت له أهدر معاهم** أنا **مارانيش نستحمل. ما حبْش**.. لمّيت دراهم، وشريت مّاعني باش نهار لّي نعملوا وحّدنا نصيب صوالحي" (المبحوثة رقم 14)

> "لو كان جّي تشوفي بعض الأشياء يظهرون له عادي، ولكن في الحقيقة لاّ.. **أكبر مشكل عندهم المرأة دّير كلّش**، الراجل لا يتعب نفسه، لا يقوم بأي عمل.. وصلنا أحنا حتى بنترنا وغرسنا، كلش، والرجال ماعليهم غيل القفة.. **يريحوا اولادهم على ظهور الناس.. زعما غير راني متحملة**.. حتى نبغي نشكيله.. نقول له روح عند مّك وقول لها مرتي ما ديرش ديك الصالحة وماتقوللهاش داك الكلام.. **ما يدّيهاش فيّ**. هو كذلك أنا نشقى ونهمبر **ما عانده صلاح"** (المبحوثة رقم 2)

إنّ الزوجات تريد أن ينساق الزوج نحوها بغرض أن تقوّي مكانتها وسط العائلة، فمنهن من تنجحن، ومنهن من تخفقن حيث أنّ: **"السَّعد يعلّيك والسعد يدلّيك"** -كما صرّحت المبحوثة رقم 6- وهذا المفهوم السوسيولوجي **"السّعد"** مراده التعبير عن الزوج، ويعني الحظّ في علاقتها به فهو الذي له الدّور الأساسي في الإعلاء بقيمة الزوجة أين يطلب الاحترام المتبادل بينها وبين أسرته *بإنصاف*

---

[1]. عبد الفتاح دويدار، في علم النفس الطبي والمرضي والاكلينيكي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2006، ص282.عن منال محمد عباس، العنف الأسري: رؤية سوسيولوجية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2011. ص.24

[2] . Voir : Lemarchant, O.p. Cité, P. 150

كرجل راشد،[1] حيث: **"بغيت يكون حقّاني.. قلت له –الزوج- نحاسبك عند ربي. أنا لم أقل أعصي والديك أو ظلمهم أنا حرام عليّ، وكما أنّي لا أحب على والدي كذلك لا أحب على والديك، طلبت أن يكون وسط"** متحفّظ بوفائه نحو الذات مع الزوجة والأم في نفس الوقت؛ والزوجات - بهذه الطريقة- تتوجّه إلى المسار الأكثر رمزية والذي يوجّه أعضاء العائلة المتصارعة إلى إعطاء كل ذي حق حقّه، والرفع من معنوياتهم بدون تمييز، وعليه تندفع الزوجة لمواجهة الزوج بصلادة وماهي إلاّ مواجهات تُترجم كاستنجاد زوجي مُعلن عنه بصفة معنّفة تطمح أنّ يمدّها الثقة بالنفس حيث تستمدّ القوة من عنده لتُرسي مكانة قيّمة ضمن الجماعة الأسرية بعدما أن تبني علاقة زوجية محكمة. تخبرنا المبحوثات:

"واجهت الزوج.. بعد 6 سنوات **قلت نجرب نهدر معاه ونحمّر فيه**.. ووقفت له كنت خايفة ولكن قلت يليق نجرّب قلت له: علاه تبغي ديرلي هاكة قدامهم؟. كان يضرب يكرّضني. بغيت نعرف شّا في راسه، قالي: أنا ما نبغيش نديرلك هاكة. إيا تمّ فهمت بلي هم يبغوا كي يديرلي هاكة. عرفت بلي يخاف منهم. إيا من تم زاد نقّص الضرب.. وبدأ شوي ما يديرش عليهم." (المبحوثة رقم 24)

"أنا رافدة القوة منّه. والمكانة تاعي من مكانته هو مع عائلته. **هو دايرلي قيمة والأم تاعه عارفة بلي يميل ليّ ومتعلق بيّ**.. ما تنجمش تخرب فيّ **عارفة لو كان تخرب في تغضّب ابنها منها**.. أنا كي نحب حاجة نهدر معاه هو وهو يخبرهم بلساني.. أنا ماعندي هدرة معاهم.. **نضغط عليه هو، ويتكلم باسمي**" (المبحوثة رقم 25)

ينوّه lemarchant ضمن نفس سياق المضمون أن حجم الصراعات الأسرية بين الكنة والحماة يتوقف على عامل درجة **"التماسك الزوجي"** أو **"الإلتحام الزوجي"** ويوضّحه lemarchant من خلال مفهوم الرابط الزوجي ومدى درجة تقرّب الزوجين من بعضهما معبّرا بذلك أنّه: "إذا ما شعرت المرأة بتفضيل الزوج لأسرته الأصلية بمعزل عنها أو ضدّها يعتبر أكبر عبئ نفسي تحمله على عاتقها. تفقد الأمان اتجاه أسرة الزوج. وشعورها بالوهن والضعف قد يولّد حقد قويّ لأسرة الزوج لا يمكن إخماده... والاختلاف في الآراء بين الزوجين لنمط الحياة الزواجية تولد الصراعات الزوجية، وهذا عكس ما إذا الزوجان تقاسما نفس النظرة النقدية لأسرته"؛ فإذا الزوج كان في صفها ستسهل عليها الأمور، وإلاّ ستجد نفسها مواجهة بمفردها الحماة وبطريقتها الخاصّة والتي تراها مناسبة. فتحكي المبحوثة رقم 2:

"حانهار قالت لي عجوزتي راحنا لامينك حتى قلتلها أنا راني برْجالي وبدارنا ما كنتش في الزنقة.. **وصلت حتى أخرجت من الدار**.. ما بغاتش تحشم على عرضها".

إنّ الزوجة إذا لم يصل صداها للحماة ولم يتمّ الاعتراف بها كفرد يستحق التقدير، ولم يكترث لها الزوج لما تعانيه في علاقاتها بأسرته، *تشعر أنّها بحاجة إلى كتفين تستند إليهم لمواجهة الوضع*،[2] فتتوصّل للجوئ إلى الإستنجاد بالأسرة الأصلية أين يكون الزوج أمام موقف معنَّف، "يعمل الأب و/أو أخوات الزوجة على ضبط حدود الزوّج، ويوجّهه الأب إلى إثبات رجولته بحكم الانصاف بين الأم والزوجة بصفتها أم للأبناء تتوجّب المعاملة الحسنة،[3] فيقوم أهل الزوجة بالتدّخل لإثبات الاحترام والتقدير للابنة، وتأكيد قوّتها الجماعية، حيث أنّ "قوّة الفرد تُثبت بالجماعة"؛[4] وعليه يوجَّه الزوج بتهديدات إذا ماحاول إهانة زوجته أو الاعتداء عليها لأي سبب من الأسباب لصالح أسرته الأصلية؛ وهذا ما ورد في الميدان بنسبة 30% وما يقابله من عنف نفسي بنسبة مماثلة (أنظر الجدول رقم 22)؛ فرغم أنّ "النظام الأبوي غير مفروض من أهل الزوجة ولكن يدعو للتفاوض مع الصهر مبرزين

---

[1] . أنظر: قرطي فائزة، الزوجان والعلاقات الأسرية، مذكرة لنيل شهادة ماجستير، تخصص علم الإجتماع العائلي، السنة الجامعية 2016/2015.

[2]. Voir : Welzer-Lang D., Virilité et virilisme dans les quartiers populaires en France, C.p.

[3] . Lahouari Addi, O.p. Cité

[4] . FSIAN Hocine, Thèse Doctorat d'état, C.p.

وإياه مسؤولياته كراشد ورجل صلب يحترم والديه ومن جهة مستقل عن الأم ليؤمّن دوره كزوج وأب لأطفال".[1] معبّرة المبحوثات:

"نهار لي ضربني ضلمني.. لاّ. لا نتقبل ذلك لسنا بحيوات. أخبرت الأب؛ وراني عاقلة **بّا جا قالهالوا يا تختار داركم يا بنتي**. le juste milieu ماعندكش تينا، et c'est vrai، إيا من تمّ.. ولاّت عليه بالندامة" (المبحوثة رقم 4)

"الراجل كي يشوف الأب يرفض الابنة يزيد لها ويدرك عليها ولهذا **أنا بويا ما مبيّنلهش، يقولوا داري راهي محلولة لبناتي**. وأنا tanque راني على الحياة مانقبلش الاهانة لبناتي، وكي أرجعت **بويا حاسب راجلي** وقال له أنا بناتي ما يتهانوش، وبنتي راه صاحّ لها في هذه الفيلا قع بيت واحد وراهي تخدم الدار بيها بأحبابها قع. قالت له عجوزتي أنا راني نعاون فيها!. قال لها: بالسيف عليك هذه دارك أنت، ولازم عليك. شّابغيتوا منها، ولي يمد يديها عليها أو يحاول يتعدى عليها أنا بيديّ نقّسمه ونقّتله" (المبحوثة رقم 2)

ويؤكّد المبحوث رقم 10 أين تعرّض للضغوطات من كرف أسرة الزوجة:

"أنا والدها يقول لي: شوف أه خويا أنا مديت لك مرا دبّر راسك كريلها ودبر راسك، فرضوا عليّ، ولكن عرفوا بلي الحالة تاعي ما تتقبلش باه نكريلها صبْروها.. وDéjà أنا ما ننجمش نسمح في دارنا"

إنّ من حديث المبحوث الأخير نرى أنّ آخر الحلول التي تندفع بها الزوجة وأهلها لفضّ الخلاف القائم بين الكنة ونساء العائلة مرتبط بفصل الأدوار والأوضاع ضمن سكن مستقل، حيث يُفرض على الزوج فصل السّكن، وهذا ما يُترجمه الزوج على أساس فصل العلاقة بأسرته الأصلية، وهي من الأمور الصعبة. ومن جهة أخرى فإنّ والدي الزوج *لا يتخلّون عن منظومة القيم الأبوية التي تضمن نمط العلاقات التراتبية ضمن البنية الأسرية والتي تجمع أضاء العائلة الواحدة، فالعلاقات العمودية تؤمّن استمرارية النظام الأبوي، أما العلاقات الأفقية كما وضّحت* Bawin-Legros *تسمح للأفراد بمغادرة أسرتهم والانفصال عنها بغرض بناء أسرة خاصة بهم*،[2] ولكن هذا ليس بالأمر الهيّن في العائلة التقليدية.

3. طلب الاستقلالية في سكن زوجي منفرد: العلاقة كنة/حماة تستوجب التباعد

تؤكّد المبحوثات على نمط حياتهنّ المشتركة بأسرة الزوج عامّة وبالحماة خاصّة، فتخبرنا عن ظروف أصبحت تُثقل حريّتها في مجال مغلق، وعت بعد مدّة أنّ *"العلاقة بين الكنة والحماة تتطلب بُعد المسافة، والحضور المتزامن بينها وبين أم الزوج ضمن نفس المكان سيولّد توترات"*،[3] وستكون أكثر تعقيدا:

"ماصبتش راحتي حتى بيتي مايليقش ندخلوا ولو كان نخرج خاص بالوقت وناكل بالوقت. **مع التالي كرهت** وما بقيتش نقعد معاهم في الطابلة وما بقيتش نخرج من بيتي.. تعرف **من المستحيل باش تقعد في ذاك الجو.. عييت نساعف، عييت نفرض نفسي، عييت نرد الهدرة**، اشتكيت لكل واحد. والوا ما باقي غير نخرجوا ونسكنوا بّحدنا" (المبحوثة رقم 14)

"عييت نرضيها ما حبّش ترضى عليّ والوا.. حتى خبّرت الأب تاعي قلت له ما ننجمش نزيد نعيش معاها. ما تنجمش. **خنّتني (الحماة) قبيحة بزّاااف.. ماقدّيتلهاش**" (المبحوثة رقم 7)

من جلّ الحالات التي وردت معنا في الدراسة الميدانية أثبتت أنّ الزوجات رغم كل الاستراتيجيات التي اتبعتها للحد من العنف الموجّه ضدّهن من طرف أسرة الزوج، وكل المقاومات العنيفة والبنّاءة التي اندفعت إليها لتعزيز مكانتها العائلية، إلاّ أنّ الأوضاع والمكانات والأدوار المرتبطة بها بقيت قائمة ضمن السكن المشترك الذي يجمع نساء العائلة، والنفوس قد انكّبت نحو العدائية في مجال الصراع القائم باستمرار بين الحماة والكنّة، والذي خلق جوّ متوتّر مشحون في علاقة تأثير وتأثّر تكون الكنّة هي الفرد الأكثر تضررا فيه. ضمن هذه الظروف المتشدّدة تأبى هذه

---

[1]. Lahouari Addi, O.p. Cité, P.p.67-68

[2]. Voir : B. Bawin-Legros, P.14

[3]. Lemarchant Clotilde, O.p. Cité, P.14

الأخيرة على مواصلة العيش تحت سقف واحد مع الحماة فتندفع إلى طلب الإنفراد في سكن مستقل مع الزوج والأبناء، طالما أنّ زوجها يرفض مواجهة ضغوطات أمّه في مكانتها كحماة.

إنّ الزوجة في مرحلة متقدّمة من العيش المشترك تفقد الشعور بالأمن وبالأمان لِمّا تتعرّض له من المعاملات السيّئة والقاسية في مجال من المفروض أن يكون حماية لها، و"فقد الأمان، يعد أحد الأسباب التي تولّد العداوة، كما ثُبت في ضوئ نتائج بحوث علم الاجتماع، وعلم النفس الاجتماعي، والطب النفسي"[1] أين تعيش تحت الضّغط دائما صامدة لا تجد حتى نوع من الخصوصية الفردية لها ولعلاقتها الزوجية، وكما يوضّح عدّي الهواري أنّ غياب الشعور بالخاصية الحميمة تعتبر مصدر الصراع والتي تترجم في غياب الراحة النفسية ضمن السكن الأبوي،[2] أين تكون الكنة مقيّدة تحت مراقبة الحماة طوال النهار، تحسب خطواتها وتوجّه لها ملاحظات ثاقبة قد تكون مسترسلة بألفاظ نابية. إلى أن تختنق الكنّة بعد أن تتجاوز الحماة أرضيّاتها فتتدخل في شؤون وأمور ليست من خصوصياتها حيث:

"تتجرّا حتى تدخل لبيتي وتفتشلي في قجوراتي وخزانيّ.. وكي تصيب حاجة ما عجبتهاش تحاسبني.. كل مرّة نصيبها خاربة في صوالحي الخاصين بيّ.. مثلا ننسى وين حطيت حاجة في بيتي حتى تقولي راكي دايرتهم في القجر الثاني.. أنا تعرف كي نولّي! ماعرفتش قاع علاش تخربلي.. ماجية موسوسة. **تعرف يليقلها تسكن وحدها**. مايليقلهاش تع تسكني معها. **ماقديتش أتأقلم**. وصلت تزدم عادي للبيت كي نكون أنا وياه.. وكي نكون معاه هو يقولي رواحي رواحي نقعدوا مع مّا دوك تزعف.. كي شغل الاتصال مع راجلي قعد غير ينقص" (المبحوثة رقم 10)

"**كرهت من بعد**: صوالحي ما نحطهمش في بيتي، يدخلوا من موراي ويفتشوا.. تقول لي كنت نجفّف وهي كانت جفف وتبقّش. وتحلّ الخزنة تتفقدّ قش ولدها، وتحاسبني على هذا السراول ما حدّدتوش راه معلّق !.. وصلت رَفدت مذكراتي كانوا تحت فرش السرير وقراتها.. ولّي ما نجمتلهاش الكثرية: انا خدّامة وراجلي كامل النهار حتى العاشرة مساءا خدّام، كي جي يقعد مع مّاه ما عنديش وقت نقعد فيه مع راجلي. وكي يجي آخر الأسبوع تقولي روح شوف داركم.. من بعد فُقت لها زعما في Week-end راجلي يكون قاعد" (المبحوثة رقم 7)

يشير سليمان مظهار كيف أن الفرد يكون تحت ضغط العنف الرمزي، أين يعيش توترات داخلية سيكولوجية، يشعر بعدم الراحة والهناء ضمن نظام لا يحق له فيه الانفراد في خصوصياته ولا ملكياته، فهو نظام ثقيل، غير يقيني، مشكوك فيه، يؤدّي إلى عواقب ثقيلة الحمل، لا أحد يشعر بالراحة فيه مع مرور الزّمن"،[3] يكون مقيّد في حدود علائقية لا يمكن تجاوزها تثير الاختناق لكل طرف من أطراف العلاقة الزوجية –كما رأينا مسبقا- حيث "نساء العائلة لا يمكنهنّ الاختلاط بأزواجهنّ، في العائلة التقليدية، تتمنى قضاء أوقات طيّبة مع الزوج وأبنائها بانفراد، ولا يمكنهن ذلك إلاّ بجلب رخصة الموافقة من العائلة أو من الحماة خاصّة بعد تبريرات متتالية.[4]

وعليه في خضمّ جل كل الظروف الباعثة للاحتناق يشير lemarchant أنّ "الأغلبية الساحقة من الأفراد يحبّذون الاستقلالية السكنية، وهذا لأن كل منهم يريد أن يخبوا إلى حياة خاصة ضمن مجال مثالي يشعرون فيه بنوع من الحرية، لا يجدون أنفسهم في أدوار متعدّدة، أمام الراحة التامّة في إختيار الهندام الخاص داخل المنزل خاصة بالنسبة للمرأة والذي يجعلها أكثر مرونة"،[5] والمرأة غالبا هي الفرد الذي يتفطّن بأسرها ضمن الحياة الزواجية الضيّقة الحدود. حيث تشير المبحوثات:

"ضيق الحيطان وضيق القلوب.. **والوا ما تتحركش بحرية كلّش بالميزان وكلش تحت العينين**: إذا شريت. وإذا لبست. وإذا هدرت. وإذا كليت.. ما كنتش نلبس بعدا حا اللبسة مفضوحة... لباس مستور، وتبدأ تقدم

---

[1] . حنان قرقوتي، مرجع سبق ذكره، ص.22.

[2]. Lahouari Addi, O.p. Cité, P.6

[3]. Medhar Slimane, O.p. Cité, P.p.40-41

[4] . أنظر: فاطمة المرنيسي، مرجع سبق ذكره، ص.98.

[5]. Lemarchant Clotilde, O.p. Cité, P.14

ختنتي ملاحظات: لباسك مزيّر شويّ. Le pule راه قصير شويّ.. حتى تعرف كبرت في غير وقت. **وزيد الهمّ باين في وجهي**" (المبحوثة رقم 14)

"لم أعش حياتي الزوجية.. عاملة خمار في الدار كل وقت.. **حتى شعري طاح، وقلبي طاب ووقتي ضاع**" (المبحوثة رقم 5)

وبناءا على ذلك فإنّ الزوجات تجدن أنفسهنّ في حياة زواجية مقيّدة من كل الجوانب في علاقتها بأسرة الزوج وخاصّة بالحماة ضمن نفس السكن مما يولي إلى الاندفاع نحو البحث عن إعادة بناء حياتها الزواجية بمضمون زوجي وليس ثلاثي، فتتحرّر من الضوابط التقليدية العائلية في سكن مستقل.

1.3. الاستقلالية السكنية قرار حتمي صادر من المرأة

أ. قرار نابع بإصرار الزوجة

تخبرنا المبحوثات:

"**اقترحت عليه** –الزوج- أن **نخرج في دار لحالنا**، هو لم يرد الخروج هو **باغي يقعد مع والديه**، أو ربّما **ليس قدّ المسؤولية**، هم نافعين أولادهم من كل الجوانب.. راه حاقرني، سامحة في صوالحي، ماستغليش حياتي، ما شابعاش راحتي.. **خرجت لدارنا، وبغيت وحدي، قال لي –الزوج- رّجعي ما تفركتيش الفاميليا. اقترحت عليه، راكم في دار وحدة على الأقل مطبخي وحدي ما بغاش.. قال لي أنا نقعد مع والدي مادام راهم على قيد الحياة**، قلت له ليه شارك داير لوالديك، أحنا راحنا قايمين بهم. والديك انت وانت تتحاسب عليهم، مّا احنا غيل مزيّة راحنا نديروها.. وهو ثانيك حتى الظروف الاقتصادية.. **بغيت نطلّق.. ولكن** أنا **خلاص شخصيتي تغيّرت لا يمكنني أن أكون تحت طوع الأب**، أنا راني مستقلة... مانجّمش نولّي لدارنا... إذا لا يرضيني شيئ لا أستطيع التطاول عليهم.. مقارنة مع الزوج أردّ عليه الكلام وأواجه حماتي.. ولكن والله **نهار لي يعطوني الدار** -دايرة AADL على اسمي- والله نخرج ونخلّيه راني حالفة، ولدي الكبير يكون في عمره انشاء الله 20 عام، هو ما عندي ماندير بيه.. **ماعلاباليش بيه**. (المبحوثة رقم 2)

تقول السيّدة سين[1] "ما نجمتش نعيش مع الخَتْنة (الحماة)، **قلت الرّاجلي نخرّجوا نعملوا وحّدنا، ما حبش، قالي انا نقعد مع "مّا"**، ما نسمحش في والديّ.. **رفدت فاليزتي وخرجت**، انا حبّيب نخرج ويليق تبعني.. والديّ قالوا لي صبر، وزيروني باش نولّي.. زعما ماعندي كي نعمل، وجاب السبّة بلّي زعما ماعندوش؛ ولكن حلفت، نلايم دراهم ونعمل le possible تاعي ونكري دار، وذاك الوقت ما يصيبيش سبّة.. هو لاصق في مّاه"

"**بغيت نفرق** في كوزينا وحدي غير في الدار.. **ما بغاش باغي يقعد مع مّه.. حتى فرقت بالسّلاح**، دّابزت معهم وخرجت للعيب.. صايي خلاص فرقت الكوزينا.. ماقدّيتش معهم.. بغى مّه يقعد هو مع مّه." (المبحوثة رقم16)

ما يتبيّن لنا من حديث المبحوثات ومن جل الحالات التي كانت تحت الدراسة، أنّ الاستقلالية السكنية ليست أمرا سهلا تستطيع المرأة التوصل إليه، فهو قرار صعب اتّخاذه لكلا الطرفان؛ ولكن ما يهمّ في الأمر أنّ الزوجة هي من تصدر الرغبة في اتخاذ بيت منفرد بها مع الزوج والأبناء، فتتّبع استراتيجيات مختلفة متتالية، كلما أخفقت الأولى توجّهت للخطوة التالية إلى أن تُطالب عُنوة بالاستقلالية السكنية والتي هي مضمونا تعني الاستقلالية الفردية في محيط يفصل أدوارها في مكانتها ككنّة ومكانتها كزوجة.

إنّ الزوجة في البداية تطلب من الزوج بناء أسرة نووية في سكن مستقل عن الجماعة، فتحبّذ لأن يُتّخذ قرار زوجي في هذا الموضوع، إلى أن تَسير نحو الإستجداء له ليلبّي رغبتها، طامحة في الانفرادية الأسرية، حتّى ولو ضمن نفس السّكن من خلال الفصل في "المطبخ" الذي يفصلها بالضرورة عن علاقتها بالحماة سيّدة المجال النسوي، والذي يعدّ مجال يجمع نساء العائلة في رُقعة مشتركة بينهنّ؛ ولكن كيفما كان نمط الاستقلالية الأسرية التي تريدها الزوجة يعدّ قرار صعب اتخاذه

[1] . من مواليد 1992؛ عاملة بالقطاع الخاص؛ لها إبن يبلغ من العمر ثلاث سنوات. الزوج له متجر خاص. نمط الأسرة: ممتدة؛ الاقامة تلمسان.

من طرف الرّجل، باعتباره قرار يستدعي استئصاله عن الجماعة، إذ أنّه "يشعر بالذنب إذا خرق التضامن العائلي"،[1] وطالما أنّ الزوج هو تابع للأم لا يمكنه اتخاذ أي قرار يفصله عنها، إلى أن تصدر الزوجة قرار حتمي لا رجعة فيه لبناء أسرة خاصّة بعيدا عن الحياة الجماعية، ويكون ذلك بفعل العدوانية والعنف، حيث الاستقلالية لا تأتي إلاّ بالحروب أين العنف يصبح ضروري في مواقف اجتماعية معيّنة تستوجب ردود أفعال مناوئة لتصدّي التبعية، وهنا يصبح العنف من المميزات الايجابية لحدوث التغيير، فمن جهة هو "حدث قاسٍ ومُثير، ومن جهة أخرى هو حركي تطوّري يشكّل استمرارية تبدأ من ضغينة وعداء للمحيط إلى تصرفات اجتماعية تنتج ضيقة وانزعاج، مرورا بمعارضات متعدّدة هدفها بناء الراحة والهناء. فيعتبر المؤسّس الأولي للحياة الاجتماعية"[2] وبالتالي المؤسّس الأولي للحياة الأسرية المستقلة.

وكما يوضّح فروم ضمن نفس السياق حول مفهوم الخضوع والمواجهة -من خلال النظرية السيكولوجية باقتباس مصطلحات فرويد- حيث يشير أنّه، يستوجب تنمية "أنا" قويّة للتمرّد على السلطة الغير رشيدة والاستقلال عن السلطة المسيطرة.. بحيث "الأنا" الضعيفة تنتمي إلى الطبقة المُسيطر عليها، فهي شخصية خاضعة للسلطات والقوى الأعلى،[3] وهنا الزوجة لا تستطع التوصل إلى ما تخبوا إليه إلاّ بالمواجهة باتخاذ مواقف التمرّد ضدّ النظام العام، وفَرض الاتجاهات الفردية الخاصّة على الزوج، فتكون الفاعل اجتماعي الذي يُحدث التغيير المرفولوجي للعائلة بتأكيد فرديتها بعد فترة من الزمن، خاصّة بعدما أن تستمدّ قوّتها من خلال اثبات ذاتها ضمن المجال العام أين صقلت شخصية مستقلة ماديا ومعنويا عن الزوج، حيث الوعي لا يفي بالغرض أمام مقوّمات الشخصية المعنوية منها والماديّة.

إنّ الزوجة تستعين بمدخولها المادّي أو ممتلكات عقارية تواجه به الزوج والعائلة عامّة، وهذا من الشروط الضرورية التي من خلالها تستمدّ الزوجة قوّتها أمام قوّة الشخصية التي تمتلكها في مجابهة كل من يعيقها عن اتخاذ قرار الاستقلالية، والتحرر من النظم التقليدية الأبوية الصارمة، مستغلّة كذلك دورها في مكانتها كأم للأبناء حيث الزوجة تصبح مكانتها أكثر صلابة بعدما تؤكّد دور الأمومة، فـ"بعدما تصبح الزّوجة أمّا، تشعر أنها أكثر قوّة لتفرض نفسها، وتصبح أقلّ تردّدا في تأكيد نفسها، فمن خلال دورها كأم تعي بقيمتها؛ وتدافع عن حقوقها أيضا"[4] خاصّة بعد أن يبلغوا الأبناء الذكور سنّ التمييز فتصبح امرأة أكثر صلادة غير مبالية بما قد يقرّره الزوج -وهذا ما تجلّي في تصريحات المبحوثات- في مضمون العبارة "**ماعلاباليش بيه**"، وهذا يعني أنّ الزوج وصل إلى مرحلة بداية استقبال العنف من طرف الزوجة وتعتبر من ***المراحل الأوّلية لتجلّي العنف الصغير ويتّضح باللامبالاة.***[5] أين أصحت امرأة مستقلّة في اتخاذ قراراتها متحمّلة مسؤولياتها بعيدا عن الزوّج المقيّد في علاقته بوالديه، حيث "قامت باختيار حياتها، وعليها أن تصنع حياة يومية تعتاد عليها والتي تعدّ كليّا غريبة عنها وتتجاوز ذاتها"[6] فتأبى عن استمرارية علاقتها الزواجية. تشير المبحوثة رقم 29:

> "والديّ جاوا معاي حتى الأم مرضت.. في الأول كانوا يقولولي غير اصبر، وكانت الأم غير أنا نغضب وهي ترجعني.. ولكن من بعد Papa واخواي وقفوا معايَ وMama شجعتني.. وصلت للتمرّد. وصلت للبُغض. وصلت. **حتى لي وصلت للخلع**.. من بعد لّي تعمّرت قبل الخلع بسنتسن.. كنت تحت لَحْكام"

من هذا التصريح الأخير يمكن أن نشير أنّ البحث عن الانفرادية الأسرية مع الزوج هي بالتالي تُعبّر عن ظاهرة الفردانية التي برزت عند الجنس الأنثوي وليس الذكوري، فالإقناع والإصرار

---

[1] . فاطمة المرنيسي، مرجع سبق ذكره، ص.86.

[2] . Medhar Slimane, O.p. Cité, P.8

[3] . علي عبد الرزاق جبلي، الاتجاهات الأساسية في نظرية علم الاجتماع، جامعة الاسكندرية، دار المعرفة، 2011.

[4] . Lemarchant Clotilde, O.p. Cité, P.90

[5]. Voir : Hassani Ali, Typologie des violences sociales en Algérie, C.p.

[6]. Lemarchant Clotilde, O.p. Cité, P.133

والتمرّد ضدّ الواقع الاجتماعي العام كان من طرف المرأة، والاستقلالية باتت مطالبة نسوية في مجتمع يزعمون أنه أبوي ذكوري.

ب. قرار صادر من الحماة/أم الزوج

غالبا عندما تريد الزوجة الاستقلالية في سكن يجمعها بالزوج والأبناء بصفة فردية تتوجّه بعد "تعاقب الصراعات بالذهاب إلى أهلها لفترة غير محدودة وتقوم بتحديد شروط للعودة أين يكون السكن المستقل موضوع تفاوضي بين أسرة الزوجة وأسرة الزوج، وقد تدفع هذه الصراعات في معظم الأحوال إلى الطلاق،[1] إذا ما رفض الزوج الانفراد في سكن مستقل مع الزوجة، وانقاد نحو قرارات الأم التي لا تقبل قطع الحبل السرّي بابنها. فمنهنّ من الزوجات من تتوفّقن ومنهنّ من تخفقن أمام الحماة التي لها سلطة قويّة في إصدار الأوامر واتخاذ القرارات أين توجّه مستقبل أبنائها. حيث تحكي المبحوثة رقم 10:

"هو **كان يقولي يامع مّا ياماكنش**.. حتى وصلنا وصلناااا.. **زعما قمّرت والله قمّرت غير courage رُحت غضبانة لدارنا**، أنا العلاقة الزوجية تاعي كانت في "تَشَتّت" عادة دروك راني نرقّع فيه.. الاتصال بيننا ماكانش كاين.. حتى العلاقات الجنسية كانت قليلة بزّاف.. **خُفت راجلي مايعيطليش خُفت.. j'ai risqué** وصايي.. وصل ما يعيطليش قاع، ولده ومايصقصيش عليه حتى أنا نعيّط له.. ونقوله ماراك تعيّط ما والوا.. **وهم ما حوسوا عليّ ماوالوا.. كي غضبت في دارنا قعدت 4أشهر مارشقتليش. وليت مقلقة**.. ولكن **ديك الدار مانوليش..** رغم أنه والدي كانوا واقفين معاي عطاوني القوة **لو كان ماشي والدي نتحطم**.. بالسيف علي نولي.. **وتم يانولي يا نطلّق**.. يا نتقبل ديك العيشة يا نطلّق. **وهو حتى مّاه سرحاته لو كان ماسرحاتهش ما يقبلش.. دروك راني ساكنة وحدي ماعرفت زْهر أو مكتوب !؟..** وهكذاك ساكنين وحدنا ويروح لعند مّه كل يوم ويشوف شاراه خاصها"

إنّ من تصريح المبحوثة يتبيّن أنّ الكنة بذهابها لبيت الوالد بصفتها "**غضبانة**" هذا يعني أنّها وصلت لأوجّ غضبها يملأها حقدا عميقا يولي إلى العدائية والنفور من نمط حياتها الزواجية الغير مقبولة، وهي مرحلة تتوقع فيها الزوجة من الزوج جلب رضاها مستبعدة أي قرار يستدعي الانفصال عنه، حيث تنتظر منه قرار فصلها عن الحماة واستبعادها من النظام التقليدي الصارم المنضبط تحت إمرتها؛ كما أنّها تتخوّف من موقف الوالدين من قرارها، إذا الأسرة الأصلية تفرض عليها العودة وإثبات دورها ككنة لا إراديا –كما رأينا مسبّقا- فتكون بين نارين هدفها الوحيد هو إعادة بناء علاقتها الزواجية مع الأبناء: من جهة لا تتقبل حياة معيشية مع أهلها بعدما صقلت شخصية مختلفة في تنشئة اجتماعية متأخرة متميّزة بالفردية، ومن جهة أخرى ذهبت كلاجئة لهم لا تريد كذلك مواصلة العيش مع أهل الزوج؛ وفي هذه الحالة ستقف على الجمر منتظرة نمط القرار الذي سوف يصدر ضدّها أو معها.

إنّ الكنّة بعد أن تخطوا هذه الخطوة لا يكون بوسعها إلاّ انتظار موافقة الحماة في إعادة بناء حياتها الزواجية، فهي من تقدّم التسريح للابن ليتواصل مع زوجته ويستقلّ في علاقته بها ضمن سكن مستقلّ، أو أنّها تقرّر التحفظّ بالرابطة الزواجية بضبط شروط جبرية للزوجة لتقبّل نظام الحياة الجماعية إراديا او لا إراديا؛ أو أنّها تتمسّك بالابن صادرة قرار الطلاق. فتخبرنا المبحوثة رقم 2:

"أنا راجلي نهار لي خرجت وبغيت وحدي قال لي رّجعي ما تفركتيش الفاميليا.. وهي ما عيطت ماصقصات عليّ"

إنّ الزوج في تصريحه للزوجة، يوجّه مضمون تخوفاته من تشتّت العائلة الأبوية، ومن جهة أخرى لا يريد الانفصال عن أسرته الصغيرة، وفقد الزوجة في مكانتها كأم للأبناء والتي تستدعي إلى تشتّت عائلة أخرى لو تنعتّنت في التمسّك بقرارها، حيث لا يمكن إرضائها، فرِضا الأم أسبق من أي امرأة أخرى إذا ما وافقت على الاستقلالية السكنية للابن. وفي كل الأحوال الحماة لا تبادر بأي مجهود لإرضاء الزوجة، لا تولي أي أهمية لموقفها حتى ولو بقيت في بيت الوالد مدّة طويلة، وهذا لأنّ "الأم

---

[1]. Lahouari Addi, O.p. Cité, P.67

تستاء من كنّتها ولا تغفر لها أبدا حينما تبحث أن تحتكر علاقتها بالزوّج/الإبن فتأخذه فجأة وتطالب به كمجال أولوي لها ومن حقّها"،[1] ولهذا الأمّهات لا تتقبلن بسهولة خروج ابنهنّ عليهنّ من السكن العائلي، حيث "من الصعب عليهنّ تحمّل فراق الإبن"،[2] وتحتقن من ابنها إذا ما اعتبرته أنه اختار زوجتة ناكرا علاقته بها، ولا تسامحه إلاّ بعد أن يثبت لها أنّه الابن الذي يبقى تحت طوعها حتّى عن بُعد، ويبرهن لها أنّ السكن المستقل مع الزوجة لا يفرّقه عن علاقته بأمّه؛ وعليه "الفرد بدون موافقة الجماعة لا يمكنه التقدّم في فعل أي شيئ. حيث أنّ التبعيّة تولّد العجز، وتعمل على تقوية النظام الاجتماعي التقليدي. وتزوّد الروابط الاجتماعية بالسلطة والقداسة. وتعطي الحدود... فتطوّق وتخنق كل شكل من أشكال الاستقلالية الفردية".[3] تؤكّد لنا المبحوثات:

"دبّر الزوج الكراء قالت له –أمّه- دعوة الشر عليك وتخرج.. **وخرجنا وكرينا**، ولكن **حتّى هي قررت**، هي خرّجتني من الدّار وقررت كراء شقة، **وهي اختارت المنزل**.. وهي طلقتني من قبل.. وهي رجعتني" (المبحوثة رقم 7)

"الدار لّي راني ساكنة فيها اشريتها أنا بدراهمي.. قلت لعجوزتي باه ما تحشمش كي تبغي جّي لعندي. خاصة أن الدّار لّي صبناها غير قدّام الدار.. **قالت لي أنا لّي اختاريتها وأنا لّي جبتك قدامي**.. خَلعتني!" (المبحوثة رقم 5)

وعليه، فإنّ ما يثبت لنا في معظم الحالات التي وردت معنا، في دراستنا الميدانية، النجاح الزواجي مضمون برضا الحماة/أم الزوج، فهي من لها السلطة في تقديم التسريح القاطع للزوج في مجاراة زوجته، وهي من تحول دون ذلك، وما على الزوج سوى الاختيار بين الأم والزوجة، فإما الاستقلالية ونشأة أسرة ننوية، أو التمسّك بالأم، وعليه في هذه المرحلة المتوترة والمضطربة التي تثبت فيها الزوجة إصرارها على الاستقلالية وإعادة بناء حياتها الزواجية بمضمون زوجي من الممكن أن يُتخذ قرار الطلاق ضدّ الزوجة من الأم –الحماة- وهو غالبا ما يكون قرارا صادر من الحماة وأسرة الزوج عامّة. وعليه تتخوّف الزوجات من فقد علاقتها الزواجية إذا ما حاولت التمرّد والاستعصاء، وتكون في وضع هشّ إذا لم تكن امرأة ولودة تعتبرها العائلة أنّها زوجة يمكن الاستغناء عنها، فالزوجة إذا أرادت طلب الاستقلالية بالنشوز، وأخذت متاعها، يمكنها ألاّ تضمن العودة إلى الكنف الزوجي.

وعليه فالاستقلالية السكنية ليست سهلت التحقيق مع الزّوج الذي *يتنازل عن كل خصوصياته الأكثر عمقا، العاطفية والجنسية على الأخصّ*، فيختار وضعه كإبن في علاقته بالأم، *باعتبارها الرابط الوحيد التي تضمن له الأمان والسلام. كلما تقرّب لها كلّما شعر بالاطمئنان؛ وكلما ابتعد عنها كلما شعر بأنّه مهدّد. ومحبّة شخص آخر يعدّ بالنسبة له خيانة لها، فهو ابن مُحتكر من طرف الأم*،[4] والتي ترفض أن تُعتِق الابن/الزوج وتسمح له بإعادة بناء حياته الزواجية، حيث الحماة هي التي لها السلطة في اتخاذ قرار انشاء علاقة زوجية ضمن سكن منفصل عن الوالدين، و"هي من تعارض استقلالية الزوجين في سكن منفرد،[5] فيكون في هذه الحالة: "**الزواج نوتيرية**" على حسب تعبير المبحوثة رقم 3؛ فإنّ الحظ الكبير من الزواج إذا كان الزوج له علاقة ضعيفة مع الأم فـ"كلّما كانت العلاقة ضعيفة بين الأم وابنها كلما تضاعف الرابط الزوجي، وكلّما كانت العلاقة وطيدة بينهما كلما كانت العلاقة هشة بين الزوجين.[6]

[1] . Lemarchant Clodilt, O.p. Cité, P.119

[2] . Lemarchant Clodilt, C.p., P.147

[3]. Medhar Slimane, O.p. Cité, P.37

[4]. Medhar Slimane, O.p. Cité, P.10 ; voir aussi : Lacoste-Dujardin, O.p. Cité, P.181.

[5]. Addi Lahouari, O.p. Cité, P.70

[6]. Lacoste-Dujardin, O.p. Cité, P.181 ; voir aussi : Lemarchant Clodilt, O.p. Cité.

2.3. الاستقلالية السكنية تتوقّق بقرار الرّجل الرّاشد

تبعا لما توصلنا له في دراستنا الميدانية نوضّح أنّه، من العوامل التي تقود إلى نجاح الزوج في حياته الزواجية مرتبطة بدرجة اندماج الزوجة في علاقتها بأسرته الأصلية، وبمدى قدرة الزوجة على بناء علاقة جيّدة مع أعضاء عائلته؛ ولكن الواقع الملموس أثبت أنّ من النساء اللواتي كوّنت علاقة جيّدة بأسرة الزوج يمثّلن 7% من العدد الإجمالي (راجع الجدول رقم 3 والتابع للتمثيل البياني رقم 7، ص.130)؛ وتبقى معظم الحالات مثيرة للاضطرابات في علاقات التفاعل الأسرية يكون فيها الزوج طرف وسط في مدّ وجزر بين الزوجة والأم مُحتار في كيفية التوفيق بينهما، فـ: **"تَعرف باش تكون في الوسط صعب. أنا وليت أكذب على الأم وأكذب على الزوجة لكي أُهني بالي، وأسمع لهذه، وأسمع لهذه. وكل وحدة ريها حاسبة راني نْجي معاها. فنربحهم للاثنين.. ولكن من المستحيل باش يقعدوا في دار وحدة خاصّة بعد ما الزوجة هانت الأم.. الأب قالي صابي غير رفد مراتك وروح.. فإذن قعدنا 8 سنوات في ردود الأفعال بين الزوجة وأهلي. خْصلت بين هم"** -على حد تصريح المبحوث رقم5-

إنّ الزوج في نمط الحياة المشتركة ضمن علاقة صراع نسوي والذي يتوصّل إلى صراع عائلي يكون فيه ***"الزوج اليائس البائس"***،[1] لا يعرف المخرج من هذا الوضع الذي يجعله في موقف صعب حيث أنّ الزوج كلما انحاز إلى طرف كلّما تعرّض للانتقادات والتثريب من طرف المرأة التي تعتبر أنّ الرجل الزوج/الابن قد ولّد بينها وبينه علاقة حيادية، أين سيتعرّض للعنف من طرف أعضاء العائلة ككلّ حيث يعجز في اتخاذ أي قرار للفصل بين جماعتين أسريتين كل منهما تتضمّن علاقات وأدوار وأوضاع يصعب عليه الإختيار بينهما، حيث بالضرورة يجد نفسه يقف بين نارين ليختار بين الزوجة والأم. فيحكي المبحوثون:

> "كنت مع العائلة 16 سنة تقريبا، دارنا فيها الداخل والخارج بزاف.. ومراتي ما كانش تحمل، حتى لي خرجنا، **في الاول ما كُنتش حاب**.. وزوجتي هي لّي مدّتلي courage، لو كان ما رفدتش فاليزتها وخرجت والله ما نتكاكة لبزاف صوالح.. **أنا قلت دار بّا نسمح فيها ونخرج ما تقبلتش**. هنا كبرت وتربيت.. **ومّا وحدها مع أختي**." (المبحوث رقم 13)

إنّ قرار الانفصال في سكن مستقل عن الجماعة الأسرية غالبا ما يكون قرار مُتّخذ من طرف الزوجة، ولكن –كما رأينا مسبقا- أنّه ليس سهل المنال مع سلطة الحماة التي تضبط الزوج في وضعه كابن للعائلة، ولكن وكما تبيّن في حالات أخرى، الفصل في مبدأ الانفرادية السكنية قد يكون احتمال وارد **كقرار صادر من *الزوج الراشد المنفصل في قراراته عن الأم*،[2] والواعي بمسؤولياته في وضعه كزوج وأب في علاقته بالأسرة النووية**، ولكن يبقى قرار يُعدّ بالضرورة عند الرجل صعب حتّى عند اتخاذه، مُؤكّدون المبحوثون بذالك:

> "سكنت مع الأهل لمدّة تقريبا 6 سنوات، قعدت حاير في الوسط. لقيت راسي في ضروف صعبة. **والله غير زعما صبرت**.. ولكن حقيقة هي تّْغبنت.. أنا باش نسمح في مراتي لاّ. تحملت مسؤوليتي وخرجا من الدار.. **أنا قرّرت وخرجت،** شفت بلّي صابي ما نجمتش –الزوجة- تعيش معهم.. قرّرت وقلت لها روح لداركم وأنا دوك ندبّر دار الكرية ونخّرجوا.. **ولكن ماشي ساهلة، ما تحسبهاش ساهلة.**" (المبحوث رقم 45)

> **"عواقب الزواج صعبة**.. كنت مع العائلة قعدت معاهم 3 سنوات وخرجت، المفاهمة ماكانش بين النسا كي. كنت ندخل من الخدمة نلقى المشاكل والهدرة بزاف **وكل واحد يشدك من جيه.. المرا كانت تشكي لي:** الضغط عليّ، مارانيش قادة، وتشوف بعينك. **كي دّير؟ ! .. تفهم راسك بلّي خاصك تخرج. هذا هو الحل الوحيد.. أنا حبيت وخرجت رفدتها وخرجت**.. مرّات كي يكونوا المشاكل بزاف كاين لي يسمح في الزوجة. ولكن أنا لاّ. هذي مادرتهاش. **الأم عزيزة عليّ.. ولكن باش نسمح في مرتي أم أولادي لاّ**. خير الأمور أوسطها. حافظت عليها وعلى أولادي. تعرف كل واحد وبلاصته الأخت تقعد أخت والأم أم والزوجة زوجة" (المبحوث رقم 6)

---

[1]. Voir : Maranda Pierre, O.p. Cité.

[2]. أنظر: فسيان حسين، رسالة دكتوراه سبق ذكرها، ص.ص.301-302؛ سناء حسنين الخولي (2011)، مرجع سبق ذكره.

إنّ معظمهم من الأزواج يعجزون على اتخاذ قرار الانفصال عن الوالدين يعيشون تحت عنف رمزي محض، وهذا الأخير "يمنع كل إرادة لطلب التغيير ويكبح سيرورة التطور؛[1] إلى أن يعي بعضهم بوجوب الانصاف بين الزوجة والأم في الفصل بين دور الأم في مكانتها كحكاة ودور الزوجة في مكانتها ككنّة للعائلة، بعد أن تتوصّل التوترات العائلية إلى أوجّ فعاليتها، ولكن هذا الوعي لا يكفي أمام الإرادة القوية في مجابهة المواقف العنيفة حيث أنّ الأزواج نادرا ما يقفون موقف معارضة لاتجاهات الأم والأسرة الأصلية عامة، والتي تجلّت بنسبة ضعيفة جدّا تقدّر بـ 8% (أنظر الجدول رقم 11، والموضح في التمثيل البياني رقم 4، ص.120) وهذا لأنّ المجتمع التقليدي يُطالب الزوج أن يقف موقف معارضة ضدّ الزوجة ويؤكّد علاقته التراتبية بها وإثبات وفائه لأسرته عامّة، وعليه فإنّ قرار الاستقلالية السكنية والانفراد بالعلاقة الزوجية يعدّ أمرا يصعب تحقيقه، فـ"الزوج الذي يُبرز أي تقرّب من الزوجة بصفة جليّة فإنه قد إرتكب خطأ فادح،[2] يولّد نزاعات وخلافات عائلية أكثر حدّة، وهذا ما تجلى في نتائج الدراسة الميدانية بنسبة 22,58% (أنظر الجدول رقم7) يكون الزوج هو الأكثر تضررا في مجال الصراع أين يستقبل نظرات غير مواتية ومعاملات سلبية من طرف عائلته والوالدين خاصّة.

ويؤكّد Lemarchant ضمن نفس سياق المضمون إذ يُنوّه أنّ "الزوج الذي يُعتبر متسامح مع الزوجة، يوضع في موقف صعب وحرج، مضغوط عليه، لا يتوقّف في مقاومة الصراعات ويعجز على ترسيخ نظرته الخاصّة.. فيصبح مُحبط"[3] تبعا للأحكام المسبّقة الموجّهة ضدّه، والصادرة من المحيط العائلي عامّة، والتي تُترجِم الانحياز الزوجي بعدم وفائه للأم حيث يوسم بالابن العاق، "بحجّة أنه غدر بالمرأة التي حملته وربّته وأطعمته،[4] الأمر الذي يستدعي إلى بناء علاقة مضطربة بأسرته الأصلية جودتها لا تتوصّل إلى 40% (أنظر جدول رقم 2) كما يتبيّن في التمثيل البياني التالي:

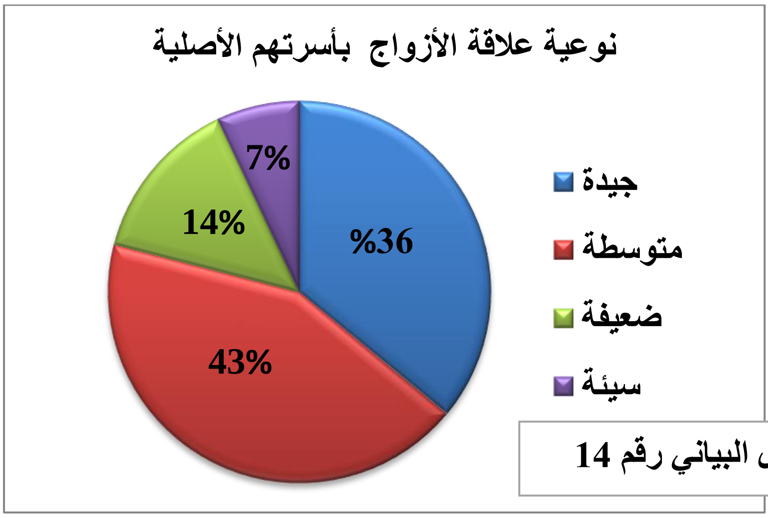

التمثيل البياني رقم 14

فيحكي لنا المبحوثون:

"**كانوا حبني نطلّق**. عمومي ما حبوش هذه الخرجة و**أعتبروني سمحت في مّا** ولكن ولّاوا ليَّ وقَتْشوا عليَّ. أما أخوالي لاّ هذه قريب سنة ملِّي خرجت كي يشوفوني في الاعياد او مناسبة يهدروا معاي من فوق القلب. **قالوا لي ماشي راجل..** ولكن والله كي خرجت صبت الهنا ندمت لي ماعملتهاش بكري" (المبحوث رقم 13)

"دروك هي مرتي أم أولادي وهم والديّ، لابدّ أن أحمي أسرتي الصغيرة ومن جهة لا أربح العيب مع والدي. كان الحل الخروج والاستقلالية، **وبهذا القرار رجعوني مرا، وصلت أنا ماشي راجل كي وقفت معاها.. زعما**

[1]. Medhar Slimane, O.p. Cité, P.260

[2] . Boutefnouchet M., O.p. Cité, P.60.

[3] . Lemarchant, O.p. Cité, P.p.149-150

[4] . Lahouari Addi, O.p. Cité, P.65

راهي تحكم فيك، يعتبروني متقرب لها.. وبعد لّي خرجت خليت العلاقة مع والدي نقيّة، وحاولت إصلاح الوضع.. الوالدين ما حبّوش نخرج، ممنوع كان بالنسبة لهم... **خرجت بلا مايسمعوا بيّ... حتى واجهتهم..** والحمد الله راحنا وحّدنا فُرقت الصُّدَع.. **لو كان عملت عليهم لو كان راني طلّقت**" (المبحوث رقم 45)

وعليه فإنّ قرار الاستقلالية السكنية تعتبر من الأمور الجدّ صعبة بالنسبة للرّجل في مجتمع يرفض الرابطة الزوجية، ويُطالب الرّجل بتأكيد رجولته في اتخاذ موقف حيادي أمام الزوجة، فـ"الرجل لا يعتبر ذكرا إلا في المجال الذي يمارس فيه سلطته نحو الزوجة وتكون له سلطة القرار أين التصورات الاجتماعية للمرأة تختلف بين وضعها كزوجة ووضعها كأم"،[1] ولكن رغم كل ذلك حاول بعضهم المحافظة على مكانتهم كأبناء وإخوة ويلعبون أدوارهم بصفة مستقلة عن السكن الأبوي، وفي نفس الوقت الانسياق إلى الحفاظ على الرابط الزوجي والبحث عن الإستحقاق في بناء علاقة زوجية، وكما "وضّحت دراسات اجتماعية أنّ الرابط الزوجي له الحقّ في التفرّد لعلاقة عاطفية وجنسية بينهما الاثنين، فالعلاقة الزوجية لها خصوصيات نظامية تعيد تأمين الهوية الزوجية، وبناء هذه العلاقة تسمح لتنظيم حياة منفصلة عن الوالدين أين تسمح بحق التصرّف دون الغير، حيث يتم التهرب من مشكل نابع من علاقة صراع أين يكون الفرد دائما تابع.[2]

ولكن السؤال المطروح في الوقت الآني، أين يكمن الإسقرار في الأسرة النووية بعدما ينفرد الزوجان في حياة مستقلة عن الوالدين؟

II. واقع الأسرة النووية في علاقتها بالعائلة

تبين لنا تبعا لدراستنا الميدانية أنّ، الأسرة النووية مرفولوجيا مرتبطة بنمط الاستقلالية السكنية الذي بات وأصبح من رغبة كل من يطمح في الانفرادية بعيدا عن التبعية للجماعة الأسرية، خاصّة بالنسبة للزوجات؛ والذي من الممكن أن يأخذ شكل أسرة مركبّة ضمن السكن الأبوي أو منفصل عنه؛ ولكن مضمونا فإنّ علاقة الزوجان بالعائلة تبقى علاقة ممتدة، فـ"مرفولوجية الأسرة الجزائرية متعدّدة الأشكال ولكن الفكر العائلي لا يزال محافظ عليه، مع احترام القيم التي تضمن النظام الأبوي... وفي كل الأحوال التصور الجمعي العائلي لا يزال حاضرا بصفة قوية لعوامل موضوعية أو ذاتية تتمثل في التضامن مع أعضاء الأسرة الأصلية... ولكن غالبا دوام هذه العلاقات تقف حائلا أمام الجماعة النووية للاستقلالية وتعيق تشكيل العلاقة الزوجية،[3] بعدما تعمل العائلة على ضبط العلاقات الممتدة من بعيد وباستراتيجيات مختلفة: فيكون *ولو يوم في الأسبوع يخصص لتقسيم الأدوار في علاقة الزوجين بالأسرة، وتكون عطلة آخر الأسبوع تستوفي بالغرض أين الزوج لابدّ أن يتموضع في علاقته بالأم كابن، والزوجة ككنّة*[4] حيث يبقى الزوجين تحت السيطرة وتحت المراقبة بصفة مستمرة حتّى ولو عن بُعد. فيخبرنا المبحوثون:

"كنّا كل جمعة نتلاقاوا نقعدوا كامل النهار.." (المبحوثة رقم 13)

"كل جمعة نفطروا في دارنا.. نظلوا تمّ" (المبحوث رقم 7)

"كل جمعة نروحوا لدارهم من الصباح حتى للعشية.. ونولّيوا للدار مور العشاء" (المبحوثة رقم 14)

وخلافا عن عطلة أخر الأسبوع إلاّ أنهّ لا يستهان بالأيام الأخرى التي يتفقّد فيها الزوج الوالدين في زيارات متتالية ويثبت وفائه لعائلته بعدما أن كوّن أسرة نووية بعيدا عن الجماعة الأسرية الأصلية، فهذا "الوفاء للعائلة يعني الوفاء للذات بالدرجة الأولى، حيث يمكن القول أن الوفاء للذات يعني

[1]. Fsian Hocine, Thèse Doctorat d'état, C.p. P.p.439-440

[2]. Centre d'Education à la famille et à l'Amour, Les clefs d'un couple qui dure : apprentissage de la vie à deux, CEFA asbl, mars 2008. P.2

[3] . Lahouari Addi, O.p. Cité, P.p.48-58

[4] . Voir : Lemarchant, O.p. Cité, P.119

الإخلاص لشيء يربطنا بها (تنشئتنا وعلاقتنا بالوالدين)؛[1] وهذا ما يُثبت الامتداد العائلي بين أسرتين منفصلتين في السكن، فيخبرنا المبحوثون:

"أنا كل يوم عند الأم، أنا متقرب جدا من الأم ونْبات عندها وقع" (المبحوث رقم 12)

"نروح لدارنا تقريبا كل يوم نفوت لعندهم" (المبحوث رقم 9)

" كل يوم يروح عند مّه.. " (المبحوثة رقم 10)

هذا التواصل الذي يستمر بين الزوج وأسرته لفترات طويلة سيسمح للوالدين بممارسة دورهما التنشئوي بابنهما والذي سيؤكّد تبعيته لهما، وفي هذه الحالة *سيتفاذ الزوج لأن يكون موضوع مسيّر من طرف الأسرة والأم خاصّة إلى حدّ أنه لا يلاحظ ما قد تخفيه هذه التبعية الأمومية*[2] والتي ستعيد بناء تبعية الكنة للحماة بصفة غير مباشرة، حيث يكون الابن/الزوج طرف وسط بين امراتين عند بُعد، يجد نفسه دائما في علاقة متشابكة بين أسرتين، والتوترات تبقى نفسها، بعدما تقوم الحماة باحتكار العلاقة الزوجية بتقرّب الابن، فتعمل على ضبط الزوجة في دورها ككنة تحت إمرة الزوج، مستعينة *"بوسائل هجومية سحرية. تعطي للزوجة في مكانتها ككنة شكل غير لائق في نظره*[3]؛ وتعمل كذلك على التدخّل في القرارات الزوجية حيث تكون هي من توجّه مستقبل العلاقة الزواجية بتوجيه الابن في حياته الخاصّة، موضّحة المبحوثات في تصريحهنّ:

"أنا من الأول ساكنة وحدي.. بّاه يدخّل في كلّش. وأنا مانحبش، ندّابزوا. باش يتفاهم معاي يليق يفوت على بّاه.. **يهدر باسم بّاه.. ويتمشّى بكلام مّاه.. هي تعمروا ويجي يسخاط عليّ.. كنت نْخاف منهم..** ما نحبش المشاكل.. من بعد صايي.. نعمل لها لّي نعمل ما تقرش.. العرايسات معلابالهاش بيهم." (المبحوثة رقم 13)

"**يعمرولوا راسوا** وكي يجي يدّابز معاي.. حا النهار من عندهم جا يضرب. ما دقدقنيش، ولكن ضربني وسألني.. كانت مرّة ومؤلمة بالنسبة لي" (المبحوثة رقم 4)

"ختّنتي تعيّطلي باش نقضي الدّار.. كيما تحتاجني تعيّط لي.. **وهو يزيد يضغط عليّ**، كل يوم على الاتصال بمّاه. ما ننجمش نقول لاّ.. **نْخاف**" (المبحوثة رقم 7)

"كنت فارقة وما نقضيش داري حتى نقضيلهم ليهم باه عادة نهوّد.. **كنت نخاف..** ما نلقى ما ندير لو كان نقول لها "لاّ" تنوضلي. **وهو يحرشوه فيّ**" (المبحوثة رقم 22)

في عقب هذه العلاقة الوطيدة التي تجمع الابن بالأم رغم بُعد المسافة، ستكون الزوجة محل استقبال العنف الزوجي، فمن خلال حديث المبحوثات لاحظنا أنّ مفهوم "الخوف" يتكرّر وهذا الأخير يُثبت وجود أفعال العنف ضدّها في علاقتها الهرمية بين الجنسين وبين نفس جنسها من نساء العائلة وخاصّة الحماة، حتى ولو أنها منفردة في سكن زوجي مستقل، أين تكون مضغوطة بالأوامر والتعليمات حيث: **"سكنا معهم ما في الخير، استقلينا ما في الخير، متتهنّاش"** على حد تعبير المبحوثة رقم 14؛ وعليه ما نريد الإشارة إليه أنّ العائلة لا تسمح للابن في الانفراد بدوره كزوج وأب للأسرة النووية ولا تتراجع عن تصوّر الزوجة في مكانتها ككنّة؛ وضمن هذه الظروف تتولّد علاقات عنيفة بين الزوجين في علاقة تأثير وتأثّر أين البعض من الزوجات تقاوم علاقتها التراتبية بأسرته باحثة عن قطع صلتها بالحماة بأسلوب آخر، حيث السكن المنفصل لم يضمن لها الإستقرار الشخصي والزوجي؛ الأمر الذي يؤدّي بالزوجة إلى الاندفاع نحو العدوانية وممارسة العنف ضدّ زوجها بفضاضة أين يصبح الزوج ضحية عنف زوجي بحث، حيث أنها تضغط عليه بنفس الأسلوب الذي تتبعه الأم/الحماة، ليُعفيها من دورها ككنّة فيحدّ من علاقتها بأسرته؛ وهي من العوامل التي تؤدّي إلى سوء العلاقة بين الزوجين.

[1]. Voir : Centre d'Education à la famille et à l'Amour, C.p., P.3

[2]. Medhar Slimane, O.p. Cité, P.p.198-200

[3]. Lacoste-Dujardin, O.p. Cité, P.160.

1. حياة زوجية مضطربة: الزوج يتخلل علاقة صراع نسوية عن بُعد

1.1. الزوجة ترفض علاقتها الهرمية بأسرة الزوج

يخبرنا المبحوث رقم 6: "بعدما خرجنا –في سكن مستقل- العلاقة بينها وبين الأسرة أصبحت حسنة، هي **تروح عندهم مرّات تشوفهم، وتعاونهم كي يستحقوا.. مرااااات**"

من تصريح المبحوث نلاحظ أنّ بعد المسافة التي قام ببنائها الزوجان في علاقتهما بالأسرة ضمن سكن مستقل، يوجد فيها تحفظ للعلاقات الأسرية في فترات متعاقبة أين تذهب الزوجة لزيارات عائلية، ومن الممكن جدّا أن تكون هذه الزيارات غرضها تقديم المساعدات والتي على الأرجح ما تكون نادرة من وقت إلى آخر، والتي عبّر عليها المبحوث بكلمة طويلة "مرّاااااات" ويعني بقدر المستطاع. هذا ما يُثبت أنّ الاستقلالية ليس معنى الحد من علاقة الكنة بأسرة الزوج، وإنما هي بناء مسافة متباعدة تخلق نوع من التجاوب مع الجماعة الأسرية بحرية نسبية، تضبط علاقة مقبولة بهم -إراديا أو لا إراديا- إلى أبعد حال ليس إلاّ، وتبقى العلاقة الجيّدة بأسرة الزوجة خاصّة إلاّ بفئة قليلة من النساء والتي تقدّر بـ 7% من العدد الاجمالي، والنسبة الغالبة تتبيّن في نوعية العلاقة المتوسّطة أو الضعيفة التي ثبتت بنسب متفاوتة بين 36% و31% (راجع الجدول رقم 3؛ التمثيل البياني رقم 7، ص.127). مؤكّدا رقم 45: "**تحوّلت علاقة الزوجة مع دارنا حسنة.. ولكن لا أقول علاقة جيّدة لأنها تبقى جابدة راسها لا تحب الذهاب عندهم.. نَعتبرها علاقة ضعيفة، ماتحبش تروح لعندهم كامل، في الحق تقوم بالواجب وأصبحوا يحبوها، ويحترموها ولكن !!..**" غالبا ما ترفض علاقتها بالحماة في دورها ككنّة، ومن الممكن أن تعبّر عن هذا الرّفض بفعل العنف، خاصّة إذا فُرض عليها استوفاء بعض الواجبات بفعل الضّغط فتنصياع في دورها ككنة لضمان استقرار البنية العائلية، إلى أن تعي أنّ هذا الثبات والتوازن العائلي مُنضبط بخنوعها للجماعة العائلية، فـ"تكون تحت خدمتهم ساهرة على راحتهم ولو أنها في سكن مستقل إلى حد الشعور بالتأوه وعدم الهناء بدون نهاية، أين تُبنى سعادة فئة بتعاسة فئة أخرى، في مجتمع كل شيئ فيه تحت السيطرة،[1] يطوّق حريّتها ويقيّدها في تنظيم حياتها اليومية بعيدا عن التوجيهات العائلية، حيث تجد نفسها دائما في تفقدات عائلية لا إرادية تحت الضّغط. يخبرنا المبحوثون:

> "كل يوم يعبيني لدارهم.. ويفرض عليّ نعاونهم مرات.. **حتى وقفت له قلت له أنا ما نروحش**. نقضي داري ومن بعد نقضي دار مّاك.. **هم على لّي نوقف معهم يحبّبوني.. ولكن بزّاااف**.. ونزيدك العيد الصغير فارقة ونوجّدوا لها القاطوا. الطواجين يدخلوا عليها.. حتى وصل دّابزت مع راجلي.. صابني وجّدت غير صحونة نعبيّهم.. زعف وتنارفة وقالي أسم هذا؟ !، قلت له بالزّعاف: أنا عملت العيد ليك ولأولادي.. زْعف وْقعد يْلطَخ.. سيّبت له القاطوا في الأرض وقلت عبّيه لمّاك" (المبحوثة رقم 13)

> "قلت له: غاااية.. أنتم ضاحكين لاعبين مجموعين وأنا نمشي لعنهم واقفة في الكوزينة.. زعما ماتتنهنّاش.. عملنا وحدنا وبقينا ندّابزوا على جال والديه.. كل مرّة يعبيني بلى سبّة، وزيد دايما مّا ريها مريضة، مّا ريها محتاجة لي يعاونها" (المبحوثة رقم 14)

وعليه فإنّ "الزوجة ترفض غالبا الأيام التي تذهب فيها عند أسرة الزوج لأنّها تجد نفسها دائما وحدها مع أمه وأخواته بدون الزوج، هذا ما يزعجها، على غرار ما ينتظرها من أعباء منزلية ضمن علاقات غير متكافئة في تنظيم تقسيم الأدوار النسوية المنزلية.. ولهذا ترفض الذهاب إلى أسرته،[2] وتأبى أن تكون تحت السيطرة العائلية فتريد أن تخلق بُعد المسافة بها شكلا ومضمونا، الأمر الذي يولّد مواجهات عنيفة ضدّ الزوج بهدف الضغط عليه للتخلّي عن مضمون الحياة الزواجية المبنية على النظام الجمعي، والتراجع عن إقحامها في واجبات تتجاوزها، إلى أن تتدهور العلاقة بينهما إلى الأسوء يعمّها العنف في علاقة تأثير وتأثّر، والتي تجلّت عامة بنسبة 36% (راجع الجدول رقم 5، التمثيل البياني رقم 2، ص.113). فيخبرنا المبحوثون:

[1]. Medhar Slimane, O.p. Cité, P.200

[2]. Medhar Slimane, C.p.,198-200

"أنا ما نبغيش قع نروح لعندهم، ومانعاونهمش.. وأنا الحاجة كي ماتعجبنيش نهدر ونوض على حقي، ولكن ماشي معاهم أنا هم خاطيني وخاطيهم. كي حاجة ما تعجبنيش نضغط عليه **هو لّي يْولي عليه الزعاف**.. نحس بلي راني ضاغطة عليه.. غير هو لي نعانده. معهم لا ما ننجمش." (المبحوثة رقم 25)

"تبعث ليّ مع ولدها باش ننفط لها الدّار.. وخاصها كل جمعة. ما تقبلّتش وزعفت وقلت له أنا مانزيدش نروح أصلا بالجمعة.. **كي ما نحبش نساعفوا ينوض كي الغول**" (المبحوثة رقم 13)

"ما تحبش تروح تعاونهم.. **مرات تعمل الواجب، مرّات تصَّعْنن**.. والله وصلت **الأم كان خاصها لي تعاونها** في الدار كان العرس تع خاي.. **زوجتني وَقفت وأعطاتني الكلام**.. الهدرة أكثر منها، لسانها طويل. قلت لها خلاص دوك نجيب لها femme de ménage وما نوصلش راسي **للهدرة والمتعايرة**" (المبحوث رقم 45)

إنّ حديث المبحوث الأخير يؤكّد وجود علاقة زوجية عنيفة بوادها مرسّاة من إلزام خدمة الزوجة للعائلة في تقديم واجبات من الممكن أن تُستعاض بعاملة صيانة مدفوعة الأجر، مما يُثبت أنّ الزوجة هي جارية للجماعة الأسرية بدون أتعاب، تُستدعى من بعيد لتقديم البعض من الخدمات كلّما تطلب الأمر ذلك، فتعمل على استوفاء أدوارها واستكمال الانتضارات المتوقّعة منها، "فمن غير الممكن أن تكون فرد من أفراد العائلة إذا لم تشارك في علاقات التفاعل، لا تقاسمهم انتقاداتهم، لا تعيش مشاكلهم، باسم التضامن والتآزر.. حيث تتلقى الزوجة من أسرة الزوج بصفة مستمرّة تلميحات، مضايقات، إزعاج مقلق، شكوك، صمت ثقيل، نظرات عدوانية، يجعلها في وضعية متوتّرة في حياتها الزواجية، حيث تتعرّض لإرهاق عصبي، وقلق دائم يُعجزها على إقامة علاقة طيّبة ومتناسقة مع الزوج[1] الذي يفرض عليها على الدّوام الانصياع والخضوع للأم، فيكون دائما معارضا لمواقف الزوجة، وفي كل حال من الأحوال وفي كل مواقف التي تستدعي لبناء علاقة كنة/حماة يكون الزوج موضوع معنّف من كلا المجالين عن بُعد، كلّ يصبّ عليه استيائه من الطرف الآخر، أين يدخل في صراع نسوي مُحتدم، حيث :

"**هي من جيه ودارنا يشكيوا لي منها من جيه**.. هي مع الأسرة تاعي على الدوام مضطربة.. علاش جات وماقضاتش، علاش ماتعاونّاش.. الخلافات كبار.. ما ولّيش نْحب نعبيها لدارنا.. **ومانسمع ما نشوف مَنْ، ما هي تشكيلي مَنْ.. غير نخرجوا منْ باش نولوا لدارنا الزوجة تقعد اخواتاتك ومّاك.. نضربها في ذاك الوقت. نعطيها على الفُم**" (المبحوث رقم 2)

"كمّا تروح لدارنا تحمّقني.. هبلتني قلت لها شحال ريك معمرتلي راسي بزّاف.. **ولكن عندها الحق شفت بعيني غير هيّ لّي توقف بينهم**.. ولكن ماعندي ما نعمل. نوّض المشاكل !، تصبر وخلاص وماراهيش ساكنة معهم.. كلّشي يفوت.. ما عرفتش! **والله النسا لي يدخل في وسطهم يحصل**.. وْقفت معاها وخْرجنا وكْرينا ولكن لقيت نفس المشكل معها.. وقعت محاسبة بيناتْنا على والديّ، أتعصّب وقلبي جا كبير وصلت تعايرني بدارنا وتقول لي: قلبي أصبح أكحل عليهم، بالزّكا، وكل خطرة تجبدلي عليهم وتْعاير، غير مّاك مّاك وتوصل تقولي ما نسمحلهاش وحقدت عليها حتى للموت. **واحد آخر يدقدقها ويخرج ما يولّيش**.. كامل هكذا ومانعملش عليها. كمّا تروح تقعد تكعرر: مّاك، أختك، زوجة أخوك.. إيّا قعد في دارك وخلاص.. **مين وصلنا للمعيار. وأنا دارنا غير كي يحتاجوني نروح لعندهم. باش أنا نقعد مهني**" (المبحوث رقم 45)

في ضلّ هذه التوترات بين المد والجزر يتعرّض الزوج لإرهاق عصبي ينتابه القلق على الدوام، فيتّخذ قرارات بناءا على اتجاهاته ونظرته الخاصّة للحياة الزواجية، غالبا ما يتوجّه نحو العدوانية وارتكاب عنف جسدي ضدّ الزوجة المُسيطرة عليه والتي خلقت جوّا مُفعم من التوترات بصراعات زوجية محتدمة وشجارات مخلّة لذاته في علاقة تأثير وتأثّر أين يُطعن في مواقف معيّنة بانتقادات وأحكام قاسية وجارحة يمسّ علاقته بالوالدين فيشعر بالاحباط حيث "مسألة الهوية تعتبر من المواضيع الأساسية التي تؤدي إلى الصراع الزوجي، وموضوع الوالدين هو موضوع حسّاس جارح، كلّما تعرّض الفرد لاصطدام ناقد من طرف القرين بنبذ والديه، في نفس الوقت هو تعبير عن نبذه هو بالذّات"،[2] الأمر الذي يستدعي إلى إصدار قرار الانفراد في علاقته بالأسرة الأصلية كإبن

---

[1]. Medhar Slimane, C.p., P.200

[2] . Lemarchant Clotilde, O.p. Cité, P.p. 157-158

بعيدا عن الزوجة في دورها ككنة أين يواصل زياراته للوالدين بصفة فردية حيث تبقى: **"هي عاطية لدارنا البُعد.. أنا لا أُحاسبها، ولكن أنا نروح ونعاون ويستحقوني لا تتدخّل فيّ.. هي لا تذهب عند مّا، لاّ، ولكن أنا نروح، والأغلبية وحدي.. وأنا راني خادعهم الكلّ.. فإذن كل وحدة تستحقني راني عندها أقوم بكل أدواري.. كي تستحقني "مّا" راني إبن، وكي تستحقني الزوجة راني زوج، وأختي راني أخ. وهم كذلك لمّا استحقّهم أجدهم"** وكان هذا حلاّ بالنسبة للمبحوث رقم 12، حيث فرّق بين الأدوار والأوضاع بصفة سحرية إذ أنّ الخذاع العلائقي الذي توجّه إليه المبحوث يعني الانصاف في المعاملة، وتوصّل إلى حل اعتبره مثالي يُلزم كل طرف في علاقات التبادل بأن يستوفي دوره في علاقته به بصفة فردية كزوج وإبن وأخ.

ولكن رغم كل المعارضات التي اتّخذتها الزوجة ضدّ أهل الزوج في الحالة التي تعجز عن الذهاب لخدمة العائلة، فلابدّ في حالات أخرى أن تبرهن وجودها وتُثبت نيّة علاقتها بالجماعة بحسن استضافتهم في المنزل الزوجي، وتعطي صورة لائقة لها في مكانتها ككنّة للعائلة، وهنا تختلف الظروف والمواقف التي تستدعي إلى نشوب العنف الزوجي.

2.1. زوجات تنكرن علاقتهنّ بأسرة الزوج

أ. زوجات ترفضن استضافة أهل الزوج

إنّ الزوجة بحكم أنها ترفض الذهاب عند أهل الزوج لاستبعاد مكانتها ودورها ككنّة، سيقوم الزوج بإعادة بناء علاقتها ككنّة باستضافة أسرته في المنزل الزوجي أين يتوجّب على الزوجة الترحيب بأهله بكل حفاوة وسرور؛ وغالبا ما تكون هذه الزيارات متعاقبة من طرف أسرة الزوج وخاصّة من الحماة بدون دعوة؛ أو أنه في حالات أخرى يتمّ الإستنجاد بالزوجة للتّعاضد مع أعضاء العائلة بغرض العناية بالأم في حالة مرض؛ وفي كلّ الأحوال عليها أن تُثبت وجودها واندماجها ضمن الجماعة بأسلوب آخر، حيث تقوم بحسن استقبالهم كما يستلزم الواجب؛ ولكن الزوجة تأبى وتُعارض وجود أسرة الزوج في المنزل الزوجي، وهذه المعارضة يُترجمها الزوج على أنها نُكران وتجاهل لانتمائه الجماعي. فتحكي المبحوثة رقم 18:

> "مَن نْهار لّي ما قبلتش مَّه باه جي لعندي نْقابلها، زْعف –الزوج- من تمّ حسيت بلّي زاد جبد روحه عليّ. هي جاتها AVC قعْدَتها. يقول لي رواحي نروحوا عند "مّا" ومن تمّ زعما كاش ما نقابل. حاسَبْتَه وقلت له: ما نروحش. مُّك أنت وأنت لي ماراكش تهود بزاف، هو ما يبغيش يروح وحده. إيّا **في العطلة كان غادي يجيبها لعندي أنا نقابلها، قلت له: لاّ.** أنا عندي مّا وأنت عندك مُّك وربي أوصى على الوالدين ما وصّاش على الحَميان، **دبّر راسك بيهم. هو قع ما يتعبش على مّه**.. وزيد لمّا تأتي لعندي عجوزتي يليق طيب ودير حاجة مليحة، وأنا خدّامة وما عندي مصروف ما عندي كي ندير لها، هي المصروف تع شهر تاكله لي في أسبوع، كي الجراد الذي يأتي ويرفد المحصول، عندما تأتي تعرفي هم أحبابه يأتوا كلّهم حتى حفايدها يلصقوهم.. ولكن خلاص فضّيت معهم؛ **قلت له بلّي ما نقبلهاش جّي لعندي مارانيش باغية**. وقلتها له وسمعت بها عائلته، قلتها حتى لأخواتاته وسلايفاتي.. **عجوزتي دعات عليّ**. هو أنغبن ونقهر، وقالي جاتك غاية كي مّا راهي زعفانة عليك ومنايفاتك.. إياّ أنا سكت وخليته.. **دبّر راسها. واه جاتني غاية ماعلاباليش بيها قرقجتني"؛**

ويضيف المبحوث رقم 45:

> "لما مَرْضت الأم، قلت لها –الزوجة- لو كان جّي لعندنا قالت لي ما نقبلهاش.. قسمتني على طراف. قال لي أنت والديك يْجيوا بيهم بأولادهم وزوجاتهم، بأحفايطهم، ونقعد حاصلة بالداخل والخارج.. أنا خدّامة. قلت لها لو كان تروح طيّب لها الفطور، أو العشا، حاسْبتني، قالت لي علاش ما تخرجش أنت من الخدمة تشري لها un plat وتعبّيهولها، دروك هذه مّاك ضحّي أنت على جالها انا علاش تغبنّي.. حتّى أنا بصوالحي".

إنّ ما تبيّن لنا من تصريح المبحوثين أنّ الزوجة تستنكر علاقتها بأسرة الزوج، يجد الزوج نفسه في موقف يصعب تقبّله بعدما الزوجة "تتخذ قرار نهائي تطالب ببعد المسافة مع أهله إلى حد قطع الصلة نهائيا.[1] حيث تؤكّد المبحوثة رقم14:

---

[1] . Voir : Lemarchant Clotilde, O.p. Cité, P.150

"يجيوا لعندي.. في العياد بالثلاث أيام غير أنا واقفة وهم مَلْمونين وفَرحانين، قلت له صابوا l'Hôtel باش يفَوْتوا vacance وأنا الخدّامة تعهم. بعدا في l'Hôtel كاين لّي يْطيب ولّي يْخمَّل ولّي يغسل الماعن، ولّي يبدّل الفرش.. وأنا راني منّي كلّشي.. وحتى هو قاعد مبرّع معهم وزيد حتى نساء أخواه قاعدين خيتك، يعاونوا زعما على حدّ طاقتهم.. **حتّى فضّيت معاهم**. عبّيت تقاعد: **عيّطت لختّنتي (الحماة) قلت لها يا نقعدوا كامل يانتعاونوا كامل**.. وزيد كامل هذا الشيئ قالي جّي ماما تريّح عندنا. كي مرضت. ما حبّيتش قلت له ما نقدنتش! باش ما نقولوش مانقبهاش جّي لعندي. إيا قلت له إذا: جات قابلها أنت ورفد وحطّ لداركم كي يجيوا يشوفوها، وبدا جّيب الماكلة واجدة، قلت له: دروك هذه مّاك ولاّ مّا أنا؟!. مافهمتش!"

إن استبعاد علاقة الزوجة بأسرة الزوج عُبّر عليها بمفهوم "التقاعد"، والذي يدلّ على أنّ الزوجة أخذت تقاعد من دورها ككنّة بإراتها وعنوة بفعل الضّغط على الزوج، ومن الممكن أن تواجه الزوجات كل أعضاء العائلة آخذة المسلك القصير في فرض اتجاهاتها، أين تتعرّض للنبذ الاجتماعي فيُرفض قطعيا باسم العرف العائلي بتقبلها كفرد من أفراد العائلة، حيث تستقبل العنف في علاقة تأثير وتأثر من أسرة الزوج والأم خاصّة، أين توجّه لها الحماة عنف لفظي ورمزي تسخط عليها بمبدأ المقدّس.

إنّ هذه القداسة تعتبرها الزوجات أنها موجهّة في غير محلّها، لا تعير لها اهتمام، بحكم أنّ الواجبات التي هي على الأرجح مستلزمة بآدائها في علاقتها بوالديّ الزوج من المفروض أن تكون مبادرات نابعة منها ليس إلاّ، والواجبات تبقى أفعال خاصّة بـ"الإبن" في علاقته بالوالين وهي المكانة الأصيلة والتي تؤكّد هوية الانتماء الأسري، فترى الكنّات أنّ كل طرف من أطراف العلاقة الزوجية إلاّ وله أم وأب مُعترف بهم شرعيّا، وأمّا اجتماعيا تبقى العلاقات مع أسرة الزوج/أو النسب ما هي إلاّ علاقات تربطها الأخلاق، وليست مفروضة على الزوجة/الزوج؛(*) ولكن العرف العائلي يعترف بالكنّة في خدمة أهل الزوج، ويبقى حُكم قداسة الزوج للوالدين مرتبط بالعلاقة الهرمية التي تجمعه بالزوجة أين يفرض عليها العناية بوالديه، وإذا كلّف الأمر تعمل على استضافتهما بالحسنى بغرض تفوير العناية التمريضية، ولكن هذه الأخيرة تعجز الكنّات على تصنيفها في مرحلة يغيب فيه الرّفق في علاقات التفاعل العائلية، أين تجد نفسها تحت ضغط عائلي معنوي ومادّي كيفما كان نمط الاستضافة.

يفسّر Lemarchant أنّ "حضور والدي الزوج الدائم في المنزل الزوجي، يولي شعور للزوجة بتملكهما للمجال الزوجي، مع الشعور بتجاهلهما لهويّتها كزوجة، فتحاول إعادة تأكيد مكانة الكلّ"[1] خاصّة إذا كانت الإستضافة متكرّرة وثقيلة بسماجة، وبدون أي مبرّر أين تريد الحماة تأكيد سلطتها بحكم علاقتها التي تربطها بابنها، حيث كل ماهو خاص بالزوج/الابن خاص كذلك للأم. على غرار الرمزيات الاجتماعية التي تتطلب حسن الإستقبال والضيافة والتي تعجز أغلب الزوجات الامتثال لها، زيادة على ما تتطلبّه هذه الأخيرة من بعد مادي كافي فـ"حالة المرأة الشابة العصرية، فَوْر تَلقّيها خبر زيارة حماتها، تشعر نفسها مجبورة في ترتيب المنزل، وتنضيفه، مع إضافة طبق أكل آخر في قائمة الطعام.. وهذا كلّه لتحمي نفسها من نظرة الآخر ولأحكامهم. فهذه المرأة تشعر وكأنها مجبورة لتقمص أدوار لا تعتبرها صحيحة إلى حد أنها تعتبر نفسها غير مستوفية لدورها وأنها ممثّلة غير قديرة، حيث عليها أن تضبط تصرفاتها وتغيّر من سلوكياتها الإعتيادية ضدّ رغبتها"،[2] وتتأزّم حالتها إذا الزوج قدّم انتقادات لها في كيفية استضافة أهله، حيث تخبرنا المبحوثات:

"كي يجيوا لعندنا يقعد يفتش أسم راني ماشية نطيب وكيفاش نعمل.. حتى زْعفت" (المبحوثة رقم 4)

---

*. ما ورد من فتاوى على هذا الموضوع: ليس في الشرع ما يدل على إلزام الزوجة أن تساعد أم الزوج، إلا في حدود المعروف، وقدر الطاقة؛ إحساناً لعشرة زوجها، وبرّاً بما يجب عليه بره.. استنادا لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ؛ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي. رواه الترمذي، وابن ماجة، وصححه الألباني في صحيح الجام، تاريخ النشر: 29-10-2008، نُظر يوم 03 أفريل 2020،27: 20، على الرابط: https://islamqa.info/ar/answers/120282/

[1] . Lemarchant Clotilde, O.p. cité, P.p. 149-150

[2]. Lemarchant Clotilde, C.p. P.14

"كي ماه جّي أنا نروح نشري ونسوق ودخل للدار نطيب ما نخلّي ما نحُط غير باش ترضى. وهو يقولي علاه ما درتيش وعلاه ما شريتيش.. حتى قلت له لو كان مشيت أنت بعدا سوقّت أو أعطيتني دراهم.. من بعد بدأت نقولوا ماعنديش. إذا جات لّي تصيبوا نحطهولها" (المبحوثة رقم 7)

إنّ الزوجة تعتقد أنّها ستكون محل انتقاد بصفة مستقلة عن الزوج، ولكن في واقع الأمر فإنّ "الإبن كذلك يتعرّض للّوم إذا ما قامت الزوجة بحسن استضافة أهله كما يجب، كما أنّه يكون تحت الاختبار والفحص بين مختلف الأبعاد للهوية الذكورية: في وضعه كزوج وكإبن، أين يتمّ فحص مدى ولائه للعلاقته بالزوجة؛ وهذا على حسب Lemarchant ما قد يؤثّر على سعادة العلاقة الزوجية المزعومة. فالزوجة في هذه الحالة تشعر بالضغط، مجبرة على تغطية كل الانتظارات المتوقّعة منها من طرف أسرة الزوج والزوج، وهذا ما يمكن أن يُحدث غيظ واستياء وعناء ومشقّة، فعدد كبير من الرجال أدركوا مدى المجازفة في لعب دور الجمهور، وعليه أن يلتزم بالصمت. ومن الممكن أن تكون المخاطرة الثانية تتجلى في تغيير الزوج لدوره حيث يترك خشبة المسرح والعلاقة الزوجية، ويفضّل الإتجاه نحو القاعة ليكون بجانب الأم كملاحظ"[1]

وعليه فرغم أنّ الزوجان انفردا في سكن مستقل إلاّ أن الظروف تبقى هي نفسها ولن يتوصّل الزوجان إلى الهناء، مشيرا سليمان مظهار أنّ "الهناء لا يوجد في مجتمع كهذا[2] يفرض التراتبيات الهرمية بين الجنسين وبين الجيلين والتي تعمد الزوجة على رفض أي دور يثبّتها في مكانتها ككنّة إلى غاية نكران علاقتها بأهل الزوج، وهذا ما يدفع إلى العراك النسوي يكون الزوج طرف وسط بينهنّ، أين تصدر الأحكام والانتقادات، ولو عن بُعد في سكن مستقل.

ب. زوجات تمتنعن عن التفاعل مع الحماة

وضّحنا في الفصل السابق أنّ القانون الأسري المعدّل والمتمّم قد عمل على حماية الكنة في علاقتها بأسرة الزوج بعدما كان القانون السابق يضبطها في مكانتها ككنة والذي وضعها في مكانة مضطهَدة في حياتها الزواجية، فعمل المشرّع على ضبط العلاقات الأسرية للحدّ من أي عنف وارد في المجال الأسري ضدّ الزوجة، وفي نفس الوقت كان أكثر تفطّنا لما قد ينجم من عنف ضدّ أهل الزوج، فعمل على ضبط سلوكيات الزوجة لتجنّب أي شكل من أشكال العنف التي قد تندفع إليها ضدّ والديّ الزوج، وذلك بحسن معاملتهما واحترامهما وزيارتهما بالحسنى، وهكذا يضمن القانون الأسري الحالي الإستقرار الاجتماعي العائلي. ولكن رغم كلّ ذلك يبقى القانون الوضعي بعيدا عن الواقع الملموس أين أسرة الزوج تستنكر علاقتها بالكنة كفرد من أفراد العائلة، كما رأينا سابقا- والعكس كذلك لا يمكن استبعاده أين الزوجات في حالات تنكرن علاقتهن بأهل الزوج رغم كل ما تقدّمه أمهات الأزواج لكنّاتهنّ في علاقات التبادل الوجدانية والماديّة.

تحكي أمّهات المبحوثين:

"أنا الخطأ ماجي من عندي.. كانت جّي لعندي العروسة نقول لها غير أقعد، أنا ندبّر راسي. كنت شويّ بصحتي. كي رقدت، غير الجي تقولي راه فيّ الدوخة، نفرشّلها ونوجدّلها الفطور **قلت زعمة كي بنتي**. أنا لي وصلت قلت لها جيب القش نغسلهولك، وكي نصيب حاجة مقطعة نرأعها لها. قلت ماعليش **بنت الناس ومّاها بعيدة عليها**، ما نغبنهاش باش تبادلني نفس المعاملة. **ولكن نبقى أنا خَتْنتها (حماتها)**.. والوا.. هي بدأت تغيّر المُنكر، وبدأت تتمنكر في القضيان كلش يطيح على البنات.. ولكن الواحد ما ينكرش الخير في الحق عندها les calité، ظل غير يمّا يمّا.. تعرضني لعندها ولكن ماشي حتى لتمّ غير كي تحبّ.. نبقى ختنتها ماشي مّاها" (أمّ المبحوث رقم 2)

"كي يجيبوا العرايسات لعندي نوجّد لهم الحاجة لي يحبوها ونحب نعاملهم كيما بناتي، ولكن ما يقرّوش.. وما عاجبهمش الحال، صابوا لّي يرحّب بيهم وماعرفولهاش، قليييل الختنة لّي تكبّر بعروستها. قليل بزّاف.. ما بقيش نسال عليهم عُفني" (أمّ المبحوث رقم4)

[1]. Lemarchant Clotilde, C.p. P.16

[2]. Medhar Slimane, C.p., P.214

إنّ الأخذ والعطاء ضمن علاقات التبادل صعبة المنال بين الكنة والحماة فرغم أنّ الحماة وجدت أنّه من واجبها ومن باب الأخلاق معاملة الكنّة مثل البنت، ولكن يصعب غالبا وفي بعض الحالات على زوجة الإبن معاملة الحماة مثل الأم، وهذا لأنّه على حسب Lemarchant من الصعب أن نملك أمّين، على عكس الحماة يمكنها أن تتقبّل كنّتها كإبنة لها فتبرز ولاء لها وتعترف بها كفرد من أفراد العائلة، باعتبار أنّ الفتاة العروس ضمن أسرة الزوج مثلها مثل الطفل الذي تتخذه الأسرة بالتبني، يتطبّع على معايير العائلة الجديدة ويكتسب عاداتها وتقاليدها، فيقبل معاييرها بموجب أهميّة البعد السيكولوجي الذي يساعد الطفل على الانحدار والتماهي للأم الاجتماعية، فيتقرّب منها عاطفيا حتى ولو أنّ عاطفة الفرد لا تميل إلاّ لأم واحدة، والبذخ العاطفي لا يُعترف به إلاّ عند الأم البيولوجية، ولكن الأم يمكنها أن تُؤثر قلبها لعدة أبناء سواء من صلبها أو بالتبني. فنصرّح على أنّ الحماة يمكنها أن تُعامل الكنة كابنتها رغم أنها ليست ابنتها، ومن الممكن أن تبادل الكنة في معاملتها للحماة كالأم، ولكن تبقى العلاقة بينهما ثانوية تتضمّن التشبيه بالمكانات والأدوار، فهي مسألة علاقات بنوة وأمومة وهويّة إنتماء، معبّرا Lemarchant أنّه رغم أن كل طرف يحاول كسب رضا الطرف الآخر تبقى العلاقة ضعيفة وغير قوية يمكن أن تتخلّلها التوترات، حيث العلاقة بين الكنة والحماة تبقى متوترة وغير متوازنة،[1] إذ يخبرنا المبحوث رقم 2:

"أنا من الأول سكنت وحدي.. الأم تفرض على الزوجة: زعما كي تروح لدارهم يليق تخبّرها وتعيّط لها في الهاتف؛ لما جّي لعندها تحب زعما تقضي مع البنات وتعاونهم. ومرتي ما تحبش. تبان لها ريها تحكم فيها.. وانا نقول لها مّا واخواتاتي ما تصييش كيفهم وماعندهم ما راهم عاملين لك ما فيها والوا تربح الملاحة معاهم.. تعرف الأم ظل تشري لها: غير تقول لها عُجبتني ديك الحاجة تقول لها عبيّها وأنا نخلصها لك.. لّي عملو هولها ماقرّت بيه.. **زعما قليل فاين تبيّن راسها"**

توضّح أكثر Sylvie Cadolle مؤكّدة ضمن نفس سياق الموضوع أنّ الأبناء يتمسكون بمبدأ الخصوصية الوجدانية؛ والحماة يمكن أن تبقى فرد ثانوي ويمكنها أن تتعرّض للنقد، إذ أن العلاقة بين الكنة والحماة، مع كلّ العزيمة القصوى والإرادة في خلق نوع من التواصل بينهما، تبقى من الصعوبة تغيير النصّ الذي يدعو إلى تغيير الأدوار،[2] وتبقى عائلة الزوج بالنسبة للزوجة ثانوية أمام الأسرة الأصلية، وهذا ما تبيّن لنا في الدراسة الميدانية والتي أثبتت أنّ نسبة جودة علاقة الزوجات بالأسرة الأصلية تمثّل 39% والتي تفوق نسبة جودتها مع أسرة الزوج التي لا تتعدّى 7% كما يتوضّح لنا في التمثيل البياني التالي رقم 15 -مقارنة مع التمثيل البياني رقم 7-:

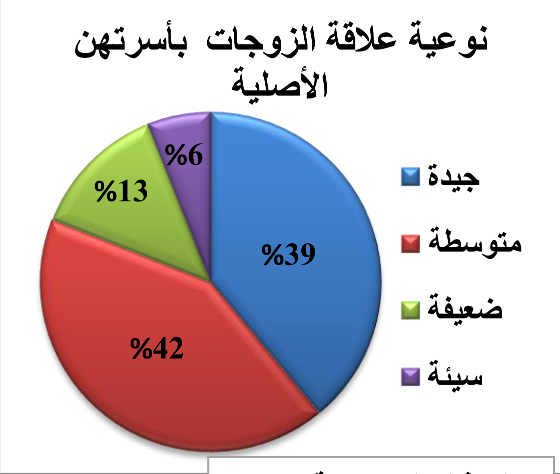

التمثيل البياني رقم 15

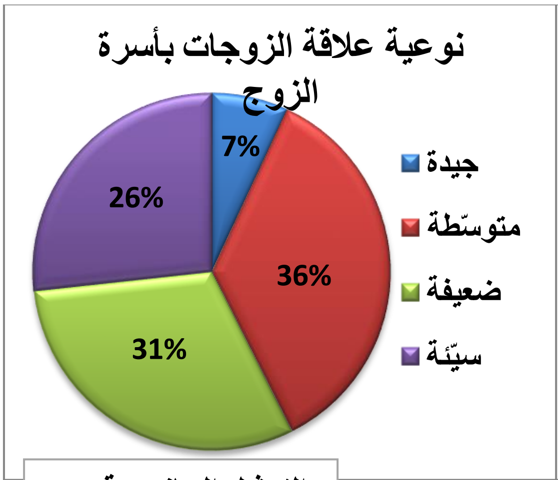

التمثيل البياني رقم 7

[1]. Voir : Lemarchant Clotilde, C.p. P.p.14-18

[2]. Lemarchant Clotilde, C.p. P.p.17-18

إنّ النِّسب التي وردت بين أيدينا والتي تتّضح في التمثيلات البيانية أعلاه –المناسبة للجداول التكرارية رقم 2 ورقم 3، توضّح لنا جليا مدى تقرب الزوجات من أسرتهنّ والتي تعبّر عن قوّة علاقتهنّ بالوالدين، فنستطرد في هذا السياق ما جاء به De singly في دباجة Lemarchant إذ يميّز بين الحب والعواطف، في العلاقة التي تربط الكنة بالحماة، موضّحا أنّ الزوجة على خشبة المسرح تُبرز حبّا كبيرا للأم مقارنة مع العاطفة التي تكنّها للحماة، ويبقى ***الحب الذي تكنّه للأم فريد من نوعه***.. والزوج يستدعي أن يفرض على الزوجة نوع من العاطفة الجيّاشة لأمّه بحكم أنّها تستحقّ نفس الحبّ الذي تكنّه لأمها. كما أنّ أم الزوجة تعتبر أنّ العواطف التي تُقدّما الإبنة لحماتها لا يمكنها أن تتضاعف،[1] بحكم انّها ابنتها ولا يمكن ان تكون لامرأة أخرى، فهي التي أنجبتها وهي من تستحقّ كلّ الحبّ فتبادلها الشعور بالأمومة. تخبرنا المبحوثة رقم 7:

"ماما كي تسمع بلّي مشيت نقضي لختّنتي (الحماة) تعرف تْتنارفة. تقولي: غاية أنا لّي مّاك مارانيش صايباتك كيما لي ريها هي صايباتك.. وحتى أنا مْحتمة عليَّ ما عندي مانعمل. في وجه راجلي."

وعليه تبقى العلاقات ضمن الحياة الزواجية محدودة ولا يمكن أن تتجاوز العواطف المطلوبة. وفي عمقها لا تطمح الزوجات إلاّ أن تعمل جاهدا على أن تبني علاقة ثانوية بأسرة الزوج كيفما كانت الظروف وفي كل حال من الأحوال طامحة في إنشاء علاقة زوجية محضة، فتستاء من كل المواقف التي يلعب فيها الزوج دور حيادي بها، حيث الصراع يبقى قائما على نفس المجال المشترك حتى ولو من بعيد في سكن مستقل، أين تتعدّد الاستراتيجيات والطّرق السحرية في جذب الإبن/الزوج إلى الجماعة الأصلية بحكم العلاقات الرمزية الاجتماعية التي تعطي له حقّ التفرّد به كعضو من أعضاء العائلة.

3.1. الزوجة تُطالب بالزوج كمجال خاص بها

تبيّن في الجدول رقم 18 مدى نسبة استياء الزوجات من الزوج الذي ترى فيه الشخص القريب منها ولكنّه في ذات الوقت بعيدا عنها، وتمثّلن 47,22% من جل المبحوثات؛ وفي أغلب الأحيان هذا الشعور ينتاب الزوجات نظرا للمواقف التي يتّخذها الزوج ضدّها مقابل أسرته الأصلية على غرار الزيارات المتكرّرة التي يقوم بها الزوج وبصفة مستمرّة للأم والتي تجعلها مُحتنقة، تُثقل تفكيرها، *فتعتبرها بمثابة عدم الوفاء لها،*[2] الأمر الذي يثير نشوب الغيرة على الزوج من أهله، تبعا لما ورد في حديث المبحوثين:

"زوجتي من هذه الناحية دايرة في راسها بلي –الأم والأخوات- نبغيهم عليها، وعلى هذه نوضوا ونوصلوا حتى نضربها" (المبحوث رقم 12)

"أنا نغيير عليه لّي لاصق في مّه" (المبحوثة رقم 16)

"تقول لّي –الزوجة- تعرف نغير عليك حتّى من مّاك وأختك.. على بالك تْحَيّر!" (المبحوث رقم 45)

إنّ هذا التقرّب القويّ للزوج بالوالدين والإخوة والأخوات لا يُبنى بصفة بديهية، فعلى غرار رمزية مكانة الأسرة الأصلية التي تؤكّد قوة علاقة الزوج بأهله، هناك استراتيجيات خفيّة تضمن بها الأم والأخوات البنات الإستحواذ على الزوج/الابن والأخ بطرق مُخاذعة في حالات تقوم دوما بالبحث عنه، والإستنجاد به لأسباب قوية أو لا، تخوّفا من أي تقرّب قوّي للزوجة دون الأم والأسرة عامّة، خاصّة إذا ما شكّكن بنيّة الزوجة في تملّك الزوج/إبن العائلة كمجال خاص بها، حيث: **"الّمّا يحتاجوه يعيطوا له. يقولوا له رواح شوف مّك.. تقول لي –عجوزتي- راكي جابداته من جيهت داركم، وراكي دايّاته علينا، وحارماته من دارهم.. هو ما يروحش لدارنا خطراااات.. إيّا دايما تعيّط له"** –تبعا لتصريح المبحوثة رقم 18- إلى أن يخلقوا متاعب بين الزوجين تؤدّي إلى خلافات محتدمة والتي تجلّت بنسبة 24,73% (أنظر

---

1. Voir : Lemarchant Clotilde, C.p. P.18

2. Voir : Lemarchant Clotilde, C.p. P.p.181-148

الجدول رقم 7) بعدما أن الزوجة تتعصّب من تقرّب الزوج القوي لأسرته فتتوجّه إلى الإستعانة بالعنف للاستحواذ على الزّوج /الأب للأبناء، مُحاولة جذبه إلى "الأنا الزوجية"[1] بكلّ الوسائل.

وعليه في ظل هذه الظروف سيدخل الزوج ضمن مجال صراع نسوي معنَّف يحاول إرضاء إحداهن بدون قضم الأخرى، ولكن السلطة الأقوى تبقى للأم والأخوات، والزوجة هي الحلقة الأضعف لا تملك بُعد رمزي قويّ، مما يدعوا بالزوجة لخلق جو عكر وغير لطيف مع الزوج، تدخل في صراع يومي معه تبحث عن إبعاده نهائيا من أسرته وخاصّة من الأم، وكما يقول christiane olivier "البقاء للزوجة يمر من خلال نزع خاصية القداسة للأم،[2] والبقاء لهذه الأخير يمرّ من خلال نزع خاصية دور الزوج في علاقته الوجدانية بالزوجة؛ وفي كل الأحوال وعلى حسب J. P. Roux فإنّ "المرأة التي تُلحق الأذى، تقوم بذلك رغما عنها، لأجل الرّجل"[3] الذي تريد تملّكه بصفة فردية وخاصّة، فيحكي المبحوثون:

"أنا محرّم عليها في الدّار.. المتحاسبة على خوتي. أنا أخواتاتي لمّا يعيطوا ليّ نروح، و**يستحقوني** بزّاف **رغم أنهم متزوجين، الله غالب خواتاتي ما عندي كي ندير. فعلا هم "يْمرقوها" بزّاف ويعيطوا لي كل وقت ومرات على حاجة ما تستاهلش**، ولكن خواتاتي ما ننجمش نرفض لهم طلب، وحتى هم خيرهم أسبق ما ننجمش نقول لهم "لا"، **إيّا مرتي تتنارفة وتقعد تهبّل فيّ**. يبان لها أنا نفضلهم عليها. فإذن على هذه مرّات نوضووا. **وأنا كي نتنارفة نضرب**.. آآآآه نوصل ندقدقها، لو كان ندخل للدار وتبقى في المتحاسبة" (المبحوث رقم 12)

"الخلافات كبار.. والتي أثرت بيناتْنا خاصّة: ماكانتش تحب كي نروح لدارنا في فترة.. دائما تعيّط لي: فَاين ريك (أين أنت)؟.. وتهبلني **وتعايرني بلي راني عند "مّا". الأم رفضت هذا الجانب.. ولّيت نضربها، والله غير نضربها نْدقدها"** (المبحوث رقم 2)

وتؤكّد المبحوثة رقم 25: "ما بغاتش نخرجوا –الحماة-.. ولكن كي خرجنا بقى يروح يشوفها كل خطرة. وكي يستحقوه يروح. وحتى اخواتاته يعيطوا له.. ولكن من بعد ما بقاش هو يبْغي، قال لهم: أنا بخدمتي وراكم تكثروا، بزّاف ما تعيطوليش على حاجة تع والوا.. **وحتى أنا في الحق جيناوني، كل مرة يعيطوا له، حتى قلت له بزاف راك بزاف تروح.. إيّا بقى ينقّص"**

إنّ موضوع زيارات الزوج لأهله غالبا ما يعتبر موضوع متناقض الاتجاهات بين الزوجين، كلّ طرف إلاّ وله ردود أفعال ضدّ الآخر مرتبطة بدرجة الاعتراف بهويّة الانتماء الزوجي، وما يقابلها بقوّة الشعور بالعصبية التي تربطه بالأسرة الأصلية، وفي عقب هذه المواقف المتجادلة يقع الشقاق بين الزوجين من الممكن أن يأخذ إلى عنف في علاقة تأثير وتأثّر: تتجّه الزوجة غالبا نحو تصرفات عنيفة وكلام متشدّد متبوع بألفاظ نابية، وهذا ما لا يتحمّله القرين وما يثير حنقه (راجع الجدول رقم 12)، فيُترجم سلوكياتها كنوع من التسلّط الذي سيعمل على مقاومته بمواجهات عدوانية، من الممكن أن تؤول إلى عنف جسدي ضدّ الزوجة، والتي من الممكن أن تقود إلى تطاحنات أكثر تطوّرا تؤدّي إلى اتخاذ قرار الطلاق. فيخبرنا المبحوث رقم 9:

"راحنا في الطلاق.. علاقة الزوجة بأسرتي سيئة، والأكثرية خواتاتي: **علاه تهدر معاهم، علاه تروح لداركم.** دارنا سبحان الله! أنتِ عندك داركم وأنا تانيك.. الجنة تحت أقدام الأمهات، وهي هنا لّي **ظل تحاسبني مّك، مّك**. علاه تروح وعلاه تقعد عندها. ما تتفاهمش معاهم **تغير منهم**. كنت نسكن معهم: المشاكل بينها وبينهم، كانت مقهورة مع الأسرة، فإذن خرَّجتها، والأم قالت لي أخرج ونتفاداوا المتاعب ولكن نفس الشيئ. **ظل تحاسبني عليهم. هي ما تبغيش تروح عندهم، وقلت ماعليش**. عيّاتني تعرفي، **نوض نضربها حتى أشعر بالذنب كي نوض نضربها**.. ولّيت نكره ندخل للدار تعرفي. **وتعاير! هي تعاير.. هاو كيما هي عندها دارهم تروح لعندهم أنا عندي دارنا سبحان الله"**

---

[1]. مفهوم مأخوذ من: De singly (2007)، ص.ص.90-91؛ Kaufmann J-C (1993)، مرجع سبق ذكره، ص.ص.70-72.

[2]. Lacoste-Dujardin Camille, O.p. Cité, P.148.

[3]. Linda Widad, Le Matricide Féminin, Le Journal des psychologues, 2009/3 n° 266. P.p.67-71

وتحكي لنا السيّدة ميم[1]: "كل يوم يروح لدارهم.. حتّى للمغرب يقعد عند مّه.. وأنا نقعد نْقارع فيه.. طلّقتَه.. رُحت غضبانة لدارنا خلّيته وحده.. ماعندي ما ندير بيه، بغى مّه يقعد دروك مع مّه"

وفي حالات أخرى ليتجنّب بعضهم من الأزواج أي خلاف أو توتّرات زوجية فيما يخصّ هذا النوع من الصراعات سيحاولون أن "يقومون بزيارات تفقدية يوميا للأم بدون علم الزوجة، فيلعب دور واحد فقط بصفة غير مباشرة: إبن أو زوج. لكي يهيمن في القلوب،[2] حيث يتفادى إثبات أي تقرّب لجماعة دون الأخرى، إذ يُخبرنا المبحوثون:

"دروك راني نكمل خدمتي عند الساعة الرابعة مساءا ونقول لها راني عادا خدام.. ندخل حتى 10 تع الليل.. باش نقضي صوالحي à laise، ونروح عند خاي، لدارنا.. ماتعرفش –الزوجة- لاّ فاين راني ولاّ من أين راني ماجي" (المبحوث رقم 2)

"مرّات مانقوللهاش راني في دارنا.. وهي أصبحت لا تثق بي عاملة نحكي كلش لمّا" (المبحوث رقم 4)

"كل يوم عند مّه.. des foix يخبّي عليّ كي يكون عندها، توصل لّي الهدرة كيما كان الحال.. ولكن لا أثق فيه ما نقولّهش أسراري الخاصة، هو متقرب من الأم بزّااف" (المبحوثة رقم 10)

وعليه وتبعا للنتائج التي توصلنا إليها تبيّن لنا أنّ، ظروف الحياة الزواجية المعنَّفة التي يمرّ بها الزوجان تُحيل دون بناء علاقة زوجية حتى ولو في سكن منفرد بهما، فـ"العائلة تتعامل بالأخلاق وتطلب التقاليد والأعراف" على حد تعبير Louis de bonald.[3] **والعامل الحاسم الذي يدفع للصراعات الزوجية هو الرابط الصّلد الذي يجمع الزوج بأسرة الانتماء**، والذي يعتبر من أحد العوامل التي تخلق ثغرات في العلاقة الزواجية يعمّها النفور؛ وبصفة خاصّة كلّما عمّت الأنانية ضمن علاقات التفاعل الأسرية كلّما نشب العنف، أين يكون الزوج طرف وسط بين أعضاء العائلة، كلّما انحاز إلى جماعة أسرية كلّما تأثّرت الجماعة الأخرى بضعف علاقتها به، كلّما تعرّض للعنف الزوجي والأسري عامّة فيكون تحت الضّغط.

أ. جودة العلاقة بأسرة النسب تُبنى اجتماعيا: جماعة تحبّذ تقرب الزوج لها

من الجذير بالذكر أن نشير إلى نمط علاقة الزوج بأسرة الزوجة، حيث: 20% من الأزواج تجمعهم علاقة جيّدة بأسرة النسب، وهي أعلى نسبة مقارنة بجودة علاقة الزوجة بأسرة الزوج؛ وأما سوء العلاقة بأسرة النسب مثّلت 13% من جل المبحوثين وهي نسبة ضعيفة مقارنة مع سوء علاقة الزوجة بأهل الزوج والتي بلغت 26% (راجع الجدول رقم3-4، التمثيل البياني رقم 7-8، ص.127)

بناءا على هذه النتائج، نوضّح أنّ جودة علاقة الزوج بأهل الزوجة أو ضعفها هذا لا يعني أنّها علاقة بلغت نوعيّة تُثبت قوة الصلة بينه وبين الجماعة، وإنّما هي صلة تحكمها ميكانزمات تضبط الزوج في "علاقة وقار واحترام مع تدخّل بعض المعاملات الرمزية الحسنة والطيّبة ضمن علاقة التفاعل التبادلية بين الزوج وأسرة النسب، ومن الممكن أن تكون علاقة وقار ولكنها باردة إلى حدّ الإهمال والهجران.[4] يخبرنا المبحوثون:

"هو من الأول غايَ مع دارنا.. هو عامل الوقر على راسوا" (المبحوثة رقم 4)

"علاقة الزوج بأسرتِي مليحة.. يوصلني عند الباب ويروح" (المبحوثة رقم 10)

"هو ما يروحش لدارنا خطراااات" (المبحوثة رقم 18).

"من ناحية أنا مع أسرتها حسنة: أنا مقادر روحي، هاو تروح تتكسل عنده أسبوع كيفاه! أنا محترم نفسي مانروحش عندهم حتى نَبْسال" (المبحوث رقم 6)

---

[1] . مبحوثة من مواليد 1985، أصلها الأسري من بجاية، قاطنة بوهران، أسرة نووية، طالبة جامعية، وعاملة بالقطاع العام.

[2] . Lemarchant Clotilde, C.p,. P.17

[3] . Martin segalin, O.p. Cité, P.9

[4] . Voir : Mostefa Boutefnouchet, C.p., P.54

إنّ علاقة الزوج بأسرة النسب تبقى علاقات وسطية وضعيفة، تبعا للنظام الاجتماعي العام الذي يضبط علاقات النسب، فالنظام الأبوي يستدعي على الزوج أن يبني علاقة حيادية مع أسرة الزوجة وتكون غالبا مفروضة من طرف أم الزوج، تقوم بضبط علاقته بأسرة الكنّة، تتوجّس لو ينساق ويتماهي للجماعة الأسرية ويوطّد علاقته بهم وبالتالي بالزوجة؛ وتتحسّر أكثر لو شكّكت في نيّة الزوجة إذا ما حاولت أن تأخذ الزوج ليعيش في سكن مشترك مع أسرتها، خاصّة بعد أن تطالب بالاستقلالية السكنية، موضّحا المبحوث رقم 11:

"حَسبت الأم راني ماشي نسكن في دار نسابي.. شّادارت !.. دارت في راسها زعما يدّيوني"

وتشير المبحوثات ضمن نفس الموضوع مثبتة موقف الحماة من علاقة الزوج/ بأسرة النسب:

"كي كان يروح معي لدارنا والديه ما يحبوش، شويّ يتنقزوا" (المبحوثة رقم 14)

"كانت مّاه ما تحبش كي يجي لعندنا.. حا النهار دارنا عرضونا.. ختّنتي تقولوا ما تروحش. إيّا ماجاش!" (المبحوثة رقم 7)

"ما كانش يحب يْجي معايَ لعند والديّ، غير كي يكون معروض. وهكذاك ماشي دايما، كنت نْدّابز معه على هذه. وبعد مدّة عرفت بلّي مّاه توصيه باش ما يجيش لدارنا، وإذا دخل ما يطوّلش، وما يقعدتش يتعشّى، وما يروحش يفطر. هو يْخدم غير قدّام دارنا.. في الحق يضلّوا يّكبروا بيه، في أعياد الميلاد يتفكروه ويعلوا له les cadeaux والغاليين، خوايا وpapa يْعاونوه كي نكونوا محتاجين يْسلفلو دراهم.. كنت نعتبر علاقته مع الأسرة تاعي جيّدة"(المبحوثة رقم 13)

إنّ من حديث المبحوثة الأخيرة نلاحظ أنّ الزوج يكون مجال صراع بين جماعتين: من جهة تعمل الأسرة الأصلية على تقييده في علاقات أسرية محدودة، ومن جهة أخرى تقوم أسرة الزوجة بتوطيد علاقتها بزوج إبنة العائلة، فـ"تُحاول جذب النسيب نحوها لعلاقة طيّبة، وبالتالي يوطد علاقته بالزوجة، من خلال علاقات التبادل والتآزر في ظروف الحياة الصعبة،[1] على غرار حسن الإستضافة والإسقبال الحار للنسيب، مؤكّدون المبحوثون في هذا السياق:

" تعرف أزواج أخواتاتي تكبّر بيهم –الأم- تعلّي بيهم أكثر منّا، أولاد كرشها" (المبحوث رقم 6)

"بيته أخذتها له أُخته: تزوّجت فيه، دخلت في بيتنا مع راجلها.. تعرف كي تعملوا –الحماة- تحسب ولدها" (المبحوثة رقم 10)

"نهار لّي خرجت من دارنا ما صبت غير نسيبي ومراتي واصحابي.." (المبحوث رقم 45)

"نهار لّي خرجنا، رغم أنّ ختنتي هي التي قرّرت.. لكن papa باع السيارة باش يعاونّا في كراء سكن" (المبحوثة رقم 7)

إنّ كل المعاملات الحسنة التي تُثبتها أسرة النسب لزوج إبنتهم ما هي إلاّ تصرّفات تهدف إلى بناء علاقة جيّدة بالنسيب ليقوم بالمحافظة على الزوجة/ابنة العائلة، تخوفا إذا لم تستطيع هذه الأخيرة إثبات دورها ككنّة في علاقتها بأسرته؛ وإذا ما حدث أيّ خلاف في الحياة الزواجية فتكون مستعدّة لمؤازرة الزوج في أصعب الظروف التي يتعرّض لها في فترة البحث عن الانفرادية السكنية، فهو أمر يضمن الراحة الزوجية والذي يضمن الهناء لابنة العائلة، مع تهيئة علاقات حسنة بالزوج لضمان تقربّه للجماعة قبل أي جماعة أسرية أخرى، أين تعيش الزوجة الانفرادية الزوجية بعيدا عن أي علاقة تؤكّد تراتبيتها بأم الزوج.

وعليه فإنّ نوعية العلاقات الأسرية وتفاوتها من حيث الضعف والقوّة تُؤكّد بوجود أو غياب علاقات التعاضد، حيث أنّنا نتقرّب من جماعة دون الأخرى بقلوبنا ولكن حتّى بعقولنا، فالشعور بالألفة سببها الرئيسي هو مرحلة "تحقيق الإحتياجات" في علاقات التبادل الاجتماعي سواءا

[1]. Voir : Boutefnouchet mostefa, O.p. Cité.

المادية أو المعنوية،[1] وعليه نقول أنّ جودة العلاقات الأسرية تُبنى **اجتماعيا ولا تأتي من فراغ تتخلّلها المصالح الخاصّة أو المشتركة بين شخصين أو بين جماعتين؛** ولكن أهمّ ما في الموضوع لا بدّ من التنويه له أنّ جودة علاقة الزوجين تثبت جودة علاقة الزوج بأسرة النسب، فطالما أن الزوج يوفّر الظروف الحسنة للزوجة/إبنة العائلة سيكون أكثر قبولا ضمن الجماعة والعكس لا ينفي ذلك.

2. الزوج وظروف علاقته الزواجية: كما تُخدع الزوجة يخدع الزوج

ما تمّ ملاحظته في الجدول التكراري رقم 2 -والذي يتوضّح في التمثيلات البيانية رقم 14، 15، ص.187،177- أنّ نوعية علاقة كلا الزوجين بأسرتهما الأصلية غير متباعدة النِّسب، كما أنّنا لاحظنا أنّ جودة العلاقة الزوجية مهما أنّها بلغت 29% (راجع الجدول رقم 5، الشكل رقم 2، ص.173) إلاّ أنّ جودة علاقة الزوجين بأسرتهما الأصلية توصّلت مابين 36% و39% موزعة حسب الجنس، مما يثبت لنا أنّ كل من الرجل والمرأة يميلان للوالدين والإخوة والأخوات بنسب متقاربة.

ما نريد الاشارة إليه ضمن هذا المضمون أنّ "الدخول في حياة الراشدين لا يولّد قطيعة للعلاقة أبناء/والدين، ولا إنكار علاقة البنوّة"،[2] فكما أن الزوج متقرب من الأم والوالدين، فإنّ الزوجة تميل لوالديها كذلك، حيث تبقى الأسرة الأصلية من الأولويات لكلا الزوجين، والأفضليات العلائقية تبقى محدّدة بصفة تراتبية؛ و"ضمن هذا السلم العلائقي تختلف نظرة الزوجان، كل طرف يحدّد أدواره ومكاناته بطريقة مختلفة عن الآخر، تؤدّي إلى نشوب علاقات صراع زوجية، وهذا لأنّ *هوية الانتماء* ***الزوجي ستحتل المرتبة الثانية بعد الأسرة الأصلية، وبالتالي تولّد خيبة الأمل لأحد الطرفين***[3] الذي يودّد علاقته بالقرين سواءا للمرأة أو للرجل، وهذا يعني أنّه كما تُخدع الزوجة في علاقتها بالزوج المرتبط بالأهل يُخدع كذلك الزوج في علاقته بالزوجة المتمسّكة بالرابط الجماعي الأصلي دون الزوجي.

يخبرنا السيّد سين[4] في الدراسة الاستطلاعية:

"هي –الزوجة- chaque week-end تروح لدارهم، وأنا نقعد وحدي.. دروك كل الأسبوع خدّامين، وكي تدخل للدّار غير في القضيان ومع البنات، وفي آخر الأسبوع تروح لدارهم.. أنا ما بقيتش نحمل، قلت لها هذا الأسبوع ما تروحش لداركم. ناضت تزكّي ووتستخاط فيّ، قالت لي: ماتحرمنيش من دارنا. في ديك العشية رفدت فاليزتها وقالت لي أنا نروح عند والديّ.. إوااا ناضت كبيرة بيناتنا، حبّت تتحدّاني.. وأنا ماحرمتهاش من دارهم حبّيت تقعد معاي في داك week-end.. عيطَت لبّاها وجَا يقابلني، قلت له إذا بنتك تخرج من دارها ماتوليش، وعْملت باش ماتولّيش.. ومشات معاه !؛ ومّاها عيطت ليّ وحاسبتني قالت لي حبّيت تحرمني من بنتي ومن حفايطي. والله غير حْصلت. من بعد شهرين ولاّت لدارها. والله الأم قالت لي بناتك جاوا في الوسط. إيا هكذاك وتروح كل 15 اليوم لدارهم. تْتْخَذْ مْعاهم"

إنّ من مضمون هذا التصريح يتوضّح أنّ الزوجة يتوجب عليها استوفاء أدوارها بصفة متوازنة بين دورها كزوجة وأم وإبنة لعائلة، فتقوم باستوفاء الانتظارات المتوقّعة منها كربة بيت في علاقتها بالزوج والأبناء، وفي آخر الأسبوع ستلعب دور الابنة في علاقتها بالأم وأسرتها الأصلية، وهذه الأخيرة تنتظر من الزوج تسريح الزوجة لتأكيد انتمائها العائلي قبل الزوجي، هذا ما يُثبت أنّ إنفراد الزوجان في سكن مستقل لا يعني بناء علاقة زوجية، فهذه الأخيرة تتطلّب مبدأ العطاء مقابل الإستحقاق ضمن علاقات التبادل كما يوضّح Kellerhals، وهذا الأمر غير سهل على الإطلاق لأنّ

---

[1] . أنظر: سناء حسنين الخولي، الأسرة والحياة العائلية، دار الميسرة، عمان: الأردن،2001. ص.155؛ سناء حسنين الخولي (2011)، مرجع سبق ذكره، ص.148

[2] . Lemarchant Clotilde, C.p., P.147

[3] . Voir : Lemarchant Clotilde, C.p., P.181

[4] . من مواليد 1976، متزوّج في سنة 2012 عامل بالقطاع العام، له ثلاث بنات الكبرى تبلغ من العمر 8 سنوات؛ الزوجة من مواليد 1979، عاملة بالقطاع العام. مكان الاقامة: أسرة نووية، الأصل الأسري: تلمسان.

كل طرف يتردّد في البحث عن التكيّف الزوجي أين يتوجّب على كل منهما فعل ما بوسعه لإسعاد الآخر وتوفير متطلباته، إلى حدّ التضحية، والسهر على العناية بمصالحه بدون أنانية. ولكن هذا كلّه يعقّد تفسير الأدوار في تثبيت الأولويات العائلية،[1] والتي تؤكّد التبعية بمدأ رمزي يحيل إلى إهدار العلاقة الزوجية وإعاقة التواصل الزوجي حيث أنّ "العلاقة الجيّدة والإيجابية مع الأسرة الأصلية يمكنها أن تكبح كل العلاقات الأخرى.. والعلاقة المتوازنة مع الزوج ستكون أكثر صعوبة بالنسبة لهؤلاء حيث العلاقة مع الوالدين الوطيدة جدّا تأخذ إلى استخفاف الباقي"[2] على حدّ تعبير Lemarchant.

في هذه الحالة الزوج يُترجم تقرب الزوجة لأسرتها كلامبالاة له بصفته زوج يستحقّ الإهتمام، ويكون له مكانة في حياتها الخاصّة، فيحاول ضبطها ضمن النحن الزوجية رغم أنّ الأزواج غالبا ما يتركون المجال مفتوح للزوجة في علاقتها بأسرتها الأصلية واعيين باختلاف الأدوار والمكانات الزواجية حيث لو قام بأي رد فعل معاكس ضدّ إرادتها في الحد من قوة العلاقة التي تربطها بالوالدين من الممكن جدّا أن يتعرّض للعنف بحكم أنه حاول حرمانها من أسرتها الأصلية؛ وعليه يتّضح تناقض الزوجة في تصوّرها لعلاقتها الزوجية غير مستوعبة لمفهوم الرابط الزوجي ومضمونه، فمن جهة تحاول تقوية الرابطة الزوجية بحرمان الزوج من أسرته والإستحواذ عليه بصفة أنانية –كما رأينا سالفا- ومن جهة أخرى تندفع إلى التقرّب أكثر من أسرتها الأصلية خالقة علاقة ثانوية بالزوج، وهذا ما قد أثار حنق 15,05% من الأزواج واستيائهم من علاقتهم الزوجية (أنظر الجدول رقم 7) بحكم أن الزوجة هي امرأة تابعة لأسرتها الأصلية لا تملك شخصية مستقلة عن الجماعة. يخبرنا المبحوثون:

"الزوجة متأثرة بأختها الكبيرة.. ودّير عليها، أنا ما نبغيش" (المبحوث رقم 1)

"يقولي راجلي تعملي بزاف على بوك ومّك.. تبع داركم اسم يقولوا لك" (المبحوثة رقم 7)

"كي نقولها مادّيريش وماتعمليش.. خوتها يْجوا: شاراك داير لها.. أنا مانبغيش تروح بلا ما تقولي، أو تلبس حاجة مانبغيهاش.. **تعّرفي تابعة لدارهم بزاف**. حتى بغاوا يمشيوني كيما يبغوا هم، وهي معهم. **يبغوا يتحكموا فيها. ويْرايُـــو عليها**" (المبحوث رقم9)

"العلاقة مع أسرة الزوجة نوعا ما حسنة. ولكن فيها الشك. هي متقربة للأم كثيرا وبدرجة كبيرة تأثر فيها. الأم تفرض عليها أشاء: تتجرأ لأن تتدخل حتى في الأمور الخاصة بيننا. وتوقع بيننا مشاكل كبيرة تغيضني.. أتمنى لو أنني عندي حرية التعبير مع الزوجة ماشي جابدة ليّ أصلا. تعمل على أمّها ترايي عليها.. ما تعملش عليّ، ما تسمعش الكلام.. تعمل غير لّي يقولها راسها ولي تقولهولها مّاها" (المبحوث رقم 2)

إنّ الارتباط الوثيق بالأسرة الأصلية يفسّره بوتفنوشت من خلال مفهوم "العايلة" باعتبارها تُمثّل قيمة أخلاقية وروحية كما أنها كلمة جادّة ورسميّة، ليست موضوع هيّن وتافه وإنما العايلة قيمة مقدّسة مدفوعة باستمرارية قيمها ومعاييرها وصلة القرابة التي تربطنا بها؛ ويبقى مفهوم "العصبية" لابن خلدون هو أحسن تعبير يحدّد مبدأ التماسك والالتحام والاستمرارية للجماعة العائلية"،[3] حيث تكون علاقة البنوّة وهوية الانتماء الأسري هي العلاقة الأساسية ضمن البناء الاجتماعي، وتبقى العلاقة بين الزوجين هي علاقة زواجية محضة تؤكّد دورهما كوالدين للأبناء من صلبهما، وهذا على حسب تفسير Bawin-Legros لأنّنا "قبل أن نكون "أنا"، نحن دائما أبناء وبنات فلان، نولد في أسرة، موسومين بإسم عائلي، والكلمات الأولى التي اكتسبناها، تحمل ثقل كبير في المعنى: أبي وأمّي"،[4] وهي علاقة مقدّسة تخلق تبعية الفرد للجماعة لا يفضّل من غيرها جماعة أخرى يرتبط بها، الأمر الذي يحول دون بناء حياة زواجية موفقّة خاصّة في علاقة الزوجة بأسرة الزوج وكذا في علاقتها بالزوج.

---

1 . Kellerhals jean, O.p. Cité, P.p.111-112

2 . Lemarchant Clotilde, C.p., P.236

3 . Mostefa boutefnouchet, O.p. Cité, P.p.38-39

4 . Voir : B. Bawin-Legros, O.p. Cité, P.14

وفي هذه الحالة تبقى "الأسرة الأصلية لكل من الزوجين، موضوع صراع مزمن وحاد بين الزوجان. وما يوجِّهه الوالدين من أحكام وانتقادات للقرين تعتبر جزء من الخلافات"،[1] والأسرة توجِّه هذه الانتقادات لابنتهم ضدّ الزوج، الأمر الذي يفسح المجال إلى نشوب عنف زوجي، بعدما أن تتحجَّر الزوجة على زوجها لا تجد فرصة للدفاع عنه، حيث تقع في فخ العنف الرمزي في علاقتها بالوالدين يتوجّب عليها إثبات ولائها لأسرتها الأصلية فتندفع بذلك لممارسة العنف ضدّه والذي يعود عليها بردود أفعال عنيفة مناوئة لسلوكياتها، أين يكون العنف اللفظي محل تطاحنات بين الزوجان والذي يولي إلى عنف جسدي ضدّ الزوجة (راجع الجدول رقم 23)، موضحة المبحوثة رقم 18:

" راجلي زعفوا عليه دارنا، إيا قعدوا يقولوا لي وينارفوني وقعدت نعمّر نعمر نعمّر.. عمرولي راسي.. ما قديتش ندافع عليه.. كي جيت لداري، دروك أنا جايّة زعفانة من دارنا، وقال لي كلام ماشي مليح على والديّ، نضتله، جبدلي دارنا، وقعدنا في المتعايرة.. **عايرني وعايرته وصرا مشكلة كبيرة**، عايرته بدارهم بمّه وبكلشي حتى ضربني.. ضرب مبرح حتى زرقلي عينيّ"

إنّ من الحديث يتبيّن أنّه "فقط الأفعال المهينة هي عنيفة تفتح المجال للّطم، التأديب، الدّفع"،[2] خاصّة إذا مسّت هوية الفرد الجماعية، وهذه الأخيرة، تحدث اضطرابات زوجية بكثافة يكون فيها الزوج عُرضة لاستقبال العنف من الزوجة المُبجّلة لـ"قانون الانتماء الأصلي"[3] حيث يكون وضعه أشدّ وقعا وتعقيدا في علاقته الزواجية وكذا علاقته بأسرة النسّب إذا الزوجة تنتمي إلى أسرة عريقة أعلى مستوى من أسرة الزوج، وظروف والدها المالية كانت أحسن من ظروف الزوج، حيث أنّ الزوجة في هذه الحالة لا تتقبّل حياتها المعيشية الأقل مستوى من مستوى الوالد.

وعليه كلّما تقربت الزوجة من الأسرة الأصلية وعظّمت مكانة الأب كلّما ضعفت علاقتها بالزوج، أين تقع الخلافات والتوترات وتتدهور العلاقة الزوجية، وكما تشير سيمون ديبوفوار أنّ ارتباط الفتاة بِـبَـيْت الوالد يدفع بها غالبا إلى عدم تحمل فكرة الخطوبة مع ذكر غريب عنها، وفتيات لا يقبلن الزواج إلاّ لأنه ضروري؛[4] ولهذا تبقى الزوجة متعلّقة بالأب وبأسرتها الأصلية إلى غاية فترة ما بعد الزواج.

1.2. التفاوت الاجتماعي الأسري: ظروف مادية ومعنوية قاهرة للزوج

يخبرنا المبحوثون:

"كلانا –الزوجين- من أسرة ثرية وكنا متفاهمين.. كنت كل ما أطلبه من الوالدين نصيبوا، ومع الرّاجل ثانيك.. أنا امرأة ثرية وطُحت مع زوج ثري وأسرته ثرية.. ككنّة كنت غاية." (المبحوثة رقم 28)

"هي من أسرة متوسطة الحال، مثلي.. في الحق ماشي متطلبة نخلي دْراهم فوق الطاولة ما ترفدش وكي تبغي تقولي نقول لها رفدي. وكي ما يكونش عندي الله غالب." (المبحوث رقم 6)

إنّ من حيدث المبحوثين يتبيّن أن التجانس الاجتماعي والمادي بين أسرتي النسب من العوامل التي تضمن التوازن العلائقي، أين الزوجة لا تشعر بالاختلاف بين انتمائها الأصلي والزواجي بوجود "تجانس الأذواق وأسلوب الحياة العائلية، ويعتبر هذا النمط من الزواج المتجانس ذو المسار المستقر على حد تعبير Lemarchant فعامّة يعتبر من المعايير التي تحرز التفاهم والوفاق بين الأقارب"،[5] فكلّما تجانست هويات الانتماء الأسري للزوجين كلّما عمّ نوع من الإستقرار العائلي.

وعليه فإنّ التفاوت الاجتماعي يعتبر من الأسباب التي تثير الممارسات العنيفة لكلا الزوجين حيث 51,61% من الأزواج والزوجات تعرّضوا للعنف إزاء هوية انتمائهم الأسري الأدنى مستوى

---

[1] . Lemarchant Clotilde, C.p., P.148

[2]. Gilles Rondeau, O.p. Cité, P.6

[3]. Voir : Lemarchant Clotilde, C.p., P.17

[4] . سيمون دي بوفوار سيمون دي بوفوار (2008)، مرجع سبق ذكره، ص.126

[5] . Lemarchant Clotilde, C.p., P. 142

من أسرة القرين (راجع الجدول رقم 15، التمثيل البياني رقم 13، ص.156)، فكما تعيش الزوجة ظروف قاهرة تؤثّر في معنوياتها ضمن حياتها الزواجية –كما رأينا مسبقا- إذا كانت تنتمي إلى أسرة متدنية المستوى الاجتماعي أو المادي، كذلك لا يمكن أن يهرب الزوج من الظغوطات الاجتماعية والمادية التي سيعيشها إذا يُناسب أسرة عريقة اجتماعيا ولها مستوى مادي يفوق مستواه المالي، حيث أنّ الانتماء الأسري الراقي للزوجة يخلّف ظروف مادية ومعنوية قاهرة للزوج، **وتكون هذه الزوجة *نوعا ما متشدّدة رغم أنها تابعة له ماديا وماكثة بالبيت. على عكس المرأة المُنتمية لأسرة ميسورة الحال***[1] تعمل على تأكيد الاندماج بتقبّل وتحمّل كل الضغوطات التي تحيق بها في علاقتها بأسرة الزوج والزوج ذو المستوى الذي يفوق مستواها العائلي باحثة عن الارتقاء الأسري من خلال زواجها -كما رأينا سابقا-، وهذا الأخير على حسب Lemarchant يمكن أن يخلّف ضعف علائقي بالنسبة للزوجة مع الأسرة الأصلية[2] بعدما أن تسعى بمجهودات مضنية لاكتساب نمط حياة جديد عليها. وخلافا عن ذلك وفي كل الأحوال المالية للزوج تقوم هذه الزوجة بالمستحيل لتتأقلم مع المستوى المعيشي له مُقدرة وضعه المادي. مُشيرا المبحوث رقم 10 في تصريحه:

"في ظروف المادية ما عنديش مشكل.. عمرها ما تقولي جيبلي. هذي هيّ الحاجة لّي مُفتخر بها. ونهار لي تزوجت الأيام الأولى ولّات تاكل معي الكارانتيكا. ما تتقلش عليّ. ولا تفرض عليّ أشياء لا أقدر لها"

أمّا بالنسبة للزّوجة التي لها انتماء عريق تعجز عن الاندماج العائلي وتقبّل علاقتها الزواجية فتجد صعوبات في التأقلم في نمط حياة مختلف عن حياتها التي تعوّدت عليها، فـ"يكون مسارها الزواجي قاسي مخيّب للأمل، أين الزوجة تتزوج من زوج ينتمي إلى أسرة أدنى مستوى من أسرتها الأصلية، وهذا النمط من الزواج يعتبر زواج تنازلي للمرأة"،[3] يكون فيه الزوج عُرضة للإهانات والقضم، يعيش تفاعل زوجي وعائلي ضعيف.

تحكي لنا المبحوثة رقم 4:

"**بما أنني مدلّلة في أسرتي**، مع أسرة الزوج كان عندي مشاكل معهم: تكون عايشة في داركم طبع وتروح في دار أخرى ليس من السهولة التكيف.. عقلية شويّ متغيره مقارنة لنا، **والديّ كانت عندهم عقلية مختلفة، كانوا نصارى في عقلهم، كبرت في محيط راقي**، تاكل في خاطرك، تحوّس في خاطرك، تقعد في خاطرك.. كي مشيت عند أختاني شيئ آخر، **هو من أسرة متوسطة موظّف عادي**. **فإذن أنا لقيت صعوبة في التكيّف، ربّما إذا كان العكس تتكيّف أكثر وتتقبلهم**.. البنت كي تكون على قدها وتمشي عند مْرْفهين لّي تطلب عليه يجيبهولها **ولكن تكون في داركم غايَ، مستريحة، وتروح إلى نظام آخر تصيبها غير تشبط**..!!!."

إنّ من تصريح المبحوثة يبيّن كيف أنّ التفاوت الاجتماعي والمادي يثير الانفعالات العنيفة، حيث من خلال مفهوم "تَشْبط" يتوضّح لنا أنّ الزوجة كانت الفرد الذي يشنّ العلاقات المعنَّفة من شدّة استيائها وعدم رضاها لارتباطها بزوج ينتمي إلى أسرة غير متجانسة ثقافيا وماديا بالمستوى التي تأصّلت عليه منذ طفولتها، فيكون "**الاختلاف في برنامج الحياة** أو **الاختلاف الثقافي** هو القاعدة الأساسية لبروز الانتقادات والأحكام... والشقاق يُعبّر عنه بوضوح"[4] أين يُبنى الزواج التعيس لكلا الزوجين فتتولّد علاقة زوجية واهية يكون الزوج الأكثر تضررا في هذا النمط من الزواج، خاصّة إذا التفاوت الاجتماعي بلغ ذروة قصوى أين تتوصّل الزوجة إلى إهانته وذمّ أسرته بالفقر، فيوسم بالدونية الاجتماعية والمادية لا تتقبّله كزوج لها، فهو لا يحمل الشروط المطلوبة التي تُصورها هي للرجل -الشّبيه بالأب- وفي هذا الموقف كل زوج إلاّ ويواجه بردود أفعال على حسب نمط شخصيته، على الأرجح وغالبا، ما يندفع إلى ممارسة العدوانية باللجوء إلى العنف الجسدي ضدّ الزوجة لردّ اعتباره لذاته الفاقدة للتقدير والاحترام لانتمائه العائلي، حيث يخبرنا المبحوث رقم 3:

---

[1]. Lemarchant Clotilde, O.p. cité, P.p.161-163

[2]. Voir : Lemarchant Clotilde, C.p., P.p. 128-141

[3]. Voir : Lemarchant Clotilde, C.p., P.p. 128-141

[4]. Lemarchant Clotilde, C.p., P.142

"نعقل ضربتها.. عايرتني بالفقر تعنا.. كانت تقولي طلابين. أنا من أسرة نوعا ما فقيرة.. تقولي أسم زوجتك أسم كنت تينا.. أعطيتها "بونيا" وخرجت من الدار، عاباوها المستشفى.. قلت لها أحنا ماشي طلابين.. أحنا فاميليا شريفة وعمري ما مدّيت يديّ.. وعمري ما واحد قالي أنت طلاب.. الحمد الله"

إنّ الزوج الميسور الحال لا يمكنه بناء علاقة زواجية مستقرة مع امرأة عظاميّة مُبجّلة لأسرتها الأصلية والمفتخرة بالوالدين، تملك النرجسية الإثنية لانتمائها الأسري؛ وبما أنّ المستوى الاجتماعي مرتبط عامّة بالمستوى المادّي فسيتعرّض لعنف أشدّ وقعا من أشكال العنف اللفظي في علاقته بالزوجة، أين تتضاعف متطلّباتها وتخبوا لأن يفوّر لها حياة معيشية من المستوى الرّفيع كالذي تعوّدت عليه، وإذا ما عجز عن ذلك فقد يُهدّد الزوج بالهجران. تخبرنا المبحوثة رقم 9:

"**كنت نبغي بويا** ومتعلقة بيه بزّاف **كان مقلشني**، بويا **بخير عليه**.. أنا **بويا فرّشلي الأرض والسّاس**. كان باغي يبنيلي سكنة. دّاته الموت. كي رحت لعندهم –أسرة الزوج- ما لقيش العيشة لي كان معيشهالي بويا.. **كيشغل الراجل ماشي كي بوك**، أنا **بويا كانت الحاجة لّي نطلب عليها جّيني**. **عند الراجل لاّ. نقولوا طيح ونوض خْدم وعمّر دارك**.. هو ماعلابالهش بغيت تأكل الملح بغيت تأكل.. **!؟**، الله يسهل عليك.. أنا لاّ مانتجمش.. كنت عايشة غاية مانكذبش عليك."

إنّ المرأة من مضمون محبتها للأب تشير إلى المستوى الراقي الذي كانت تعيش فيه تحت حمايته، وكل ما تكنّ لأبيها من مودة ما هو إلاّ تعبير عمّا كان يقدّمه لها؛ فكانت المدلّلة وهو الأب الذي يسعى إلى تحقيق متطلبات الأبناء والذي لن تجده عند الزوج ذو الإنتماء الأسري الأدنى مستوى ماديا واجتماعيا، الأمر الذي يدفع بها إلى ممارسة العنف ضدّ الزوج من مظاهره اللفظية والنفسية، أين يتعرّض للإهمال واللامبالاة، وفرض عليه توفير احتياجاتها المادّية مهما كلّفه الأمر فيجازف لتعيش الزوجة حياة الرفاهية والهناء إلى أن تستنزف قواه.

تؤكّد في نفس السياق "نوال حمدونة" أخصائية في الطب الشرعي، في تقرير لها حول العنف ضد الرجال في مركز الطب الشرعي لمستشفى ابن رشد أن، العنف ضد الرجل في الأغلب يمارس عليه من الجانب المادي لضغط نسائهن عليهم واكتفائهن ماديا.. خاصة في المناسبات الثقافية مثل الأعياد. معتبرة أنها ظاهرة جديدة في الوسط المغربي، لكنها تمارس في الحياة الواقعية بشكل أو بآخر،[1] في حالة تريد الزوجة ألاّ تفقد مكانتها الاجتماعية وتبقى دائما في مكانة سامية مفتخرة بنفسها، مُتباهية أمام أسرتها، مُثبتة لهم بصفة سرمدية أنها لا زالت من نفس المستوى التي ترعرعت عليه حيث:

"أنا ماعنديش.. في الأعياد تضغط عليّ. تحبّ غير القشّ الغالي. وفي العراس خاصها تعمل لأحبابها les cadeaux الغاليين. وتزعف لو كان نقول لها ماعنديش أو نعمل cadeau على حسابي.. هي تعاند: الأخريات وتقارن نفسها بهم، خالاتها مثلا.. **بزاف تقتلني**. وتْبَهْدلتني قدّام أحبابها: زعما مارانيش قايم بيها. **لم تتحمّل ظروف العيش معي** واعتبرت أنها في الميزيرية " (يخبرنا المبحوث رقم2)

"زوجتي تعرفي تْزوجتني طمعا: **نحن بخير علينا ولكن ماشي أنا، بويا**. **أنا مسكين** سائق طاكسي، **خدام على روحي.. وهي قاعدة في الدار بوها مقلشها. تبغي الدراهم**.. غير خاصني ديك وديك. **أنا مانتجمش**، أنا مسكين.. كي يكون عندي نمدلها، والله ما خاصها والوا.. **ما رضاتش بالعيشة تاعي.. علاقتي بها مقهور للغاية. وتعاير هي تعاير! وتزكّي"** (المبحوث رقم 9)

نلاحظ أنّه في حالات أخرى، الزوجة وعائلتها قد تُخطئ في تقدير التجانس الطبقي الاجتماعي والمادي، إذ أن الزوج غالبا ما يكون عصاميّ وغير مفتخر بوالديه، كوّن نفسه بنفسه، رغم أنه ينحدر من أسرة عريقة ومكتفية من الناحية الاقتصادية، فظروفه الخاصة المالية لا تسعه لتوفير احتياجات أسرته الصغيرة. وعليه هوية الزوجة تكون مرتبطة بالزوج وظروف حياته المعيشية، والتي تعتبرها حياة كاسحة محرومة من توفير متطلباتها المادية، وهذا الشعور بالحرمان المادي يعتبر من العوامل الاقتصادية، والتي تثير الممارسات العنيفة بين الزوجين، وتُعتبر العامل المحرّك لنشوب الصراع

[1] . حنان قرقوتي، مرجع سبق ذكره، ص.87

بنسبة 39,53% (راجع الجدول رقم 8)، وقد تؤدّي إلى عواقب وخيمة من الممكن أن تستدعي إلى الطلاق، موضّحا Mouchtouris أن من بين أسباب الطلاق ضعف البعد المادي الذي يؤثّر على الحياة الخاصّة ويجعل الحياة الزوجية صعبة، أين يحتدّ الصراع بين الزوجين[1] في علاقة فعل وردود أفعال مناوئة، يدفع بالزوجة إلى اتخاذ إتّجاه متشدّد نحو الزوج ومواجهته بقسوة، تهدده بالانفصال والتخلي عنه. حيث تخبرنا المبحوثة رقم 9

"**ما نجمتش لديك العيشة.. بغيت نطلّق** قالوا لي راجلك ماعندهش عيش على قدّه.. كانت تغيضني عمري."

وعليه الزوج البائس هو الزوج الذي تزوج من إمرأة ذو أسرة عريقة لا يتحمّل تلبية كل متطلباتها. وكلّما تباينت المستويات وقلّ التجانس الاجتماعي بين جماعتين أو بين فردين كلّما تأثّرت علاقات التفاعل الاجتماعية الأسرية أو الزوجية، حيث ينوّه بورديو أنّه "بغياب التجانس الإجتماعي، التكيّف والتأقلم ضمن الجماعة يكون بأكبر جهد"[2] بالنسبة للزوجة، ويصعب عليها التأقلم مع ظروف حياة الزوج الاجتماعية وخاصة المادية أين يكون بدوره زوج محل استقبال العنف الزوجي ومن الممكن أن يكون في موقف استقبال عنف من طرف أسرة الزوجة بحكم أنّه عاجز على توفير الحياة المعيشية الملائمة لابنة العائلة.

أ. سلطة أسرة الزوجة: تفرض توفير ظروف زواجية تليق بابنة العائلة

إنّ سلطة أسرة الزوجة على الزوج تجلت بنسبة 7,69% (أنظر الجدول رقم 12)، وهي نسبة رغم أنها ضعيفة إلاّ أنّنا لا يمكن التغاضي عليها في بعض المواقف والظروف التي يتدخّل فيها أهل الزوجة ضمن العلاقة الزواجية المستقلة عن السكن الأبوي، أين يتعرّض الزوج لمختلف أشكال العنف من الجماعة الأسرية والتي تجلّت بنسة متفاوتة من الممكن أن تتكرّر في نفس الموقف (راجع الجدول رقم 22) والتي تستدعي بالضرورة إلى التعنيف في ردود أفعال مناوئة عقب الشجارات والصراعات أين تتبلور علاقة سيّئة بأسرة الزوجة والتي تجلّت بنسبة 13% (راجع الجدول رقم 4، التمثيل البياني رقم8، ص.127). تخبرنا المبحوثة رقم 7:

"لا يوجد علاقة بين الزوج وأسرتي. من نهار لي صرا الدّباز.. من نهار لي جاوا أخواي لدارهم وتحاماوا عليه.. وهو عاير بّا وأخوايا. في الأول كان يوصّلني لدارنا على الأقل يطلع يسلّم عليهم ولكن من بعد انقطعت العلاقة."

غالبا من المعايير الاجتماعية الأساسية التي تضبط الرجل في علاقته الزواجية، التحلّي بالهيمنة الذكورية والمرتبطة بمدى قدرته على فرض التبعية للزوجة، وكذا تأكيد دوره في توفير الاحتياجات المادية للأسرة، إلاّ أنّ أسرة الزوجة تفرض سلطتها على الزوج في غالب الأحيان للفصل في أمر الهيمنة الذكورية والضغط عليه لتحسين الظروف المعيشية للزوجة بما يفوق إرادته الشخصية وظروف حياته المعيشية البسيطة، وهذه الأخيرة من العوامل التي توجّه الإستياء وعدم الرّضا في العلاقة الزواجية. فيحكي المبحوث رقم 9:

"**أنا عايش على حسابي..** كي نقولها ماعنديش.. يْعَـيّـطلي بوها: راك غابن بنتي.. **تْهانيت مع أسرتها ومعها هي كذلك، هي تعاير.. وخوتها يتهدوا علي،** إمّا يعيطولي، يا إما يْجوا يتفاهموا عليّ: تحكم فيها، غابنها. هاومانحكمش في مَرتي؟!.. **خاصّة لمّا وصلت ضربتها:** هاكيفه! هي **تعايرلي دارنا ونسكت !.. وهم خاصهم نقوم بيها.** هي الصغرى **ومقلشة بلبزّاف بزاف حتى كْلْخت فيها.. لي تبغيه يليق يكون بين يديها،** أنا كنت مع والديّ نَنضرب. كنت نجيب عرقي بيديّ رغم أن الأب بخير عليه. كي درت طاكسي بعرقي.. بويا عاوني في الحق ولكن قلت **أنا مسكين**"

إنّ من تصريح المبحوث يتبيّن أنّ الزوج موجّه بسلطة أسرية جماعية للزوجة، يطمحون لفرض تبعيته للجماعة وكسر العلاقة الزواجية التقليدية، وبما أنّ الزوج تابع لنظام سوسيوثقافي اجتماعي عام، يرى أنّ الزوجة وأسرتها عامّة تخالف المبادئ التقليدية المرساة عبر التاريخ

[1]. Voir : Mouchtouris Antigone, O.p. Cité, P.73
[2]. Lemarchant Clotilde, C.p. P.142

الاجتماعي التي تثبت الهيمنة الذكورية، والتي تؤكّد تبعية الزوجة للزوج اجتماعيا وماديا، وعليه العنف الأسري يكون متواصل في مجتمع كهذا إذا لم يحصل توافق زوجي وأسري في إثبات هذه التبعية أو تعليقها.

وفي خضمّ هذا الصراع أسرة الزوجة تتمسّك باتجاهاتها ترفض أي علاقة هرمية تجعلها تابعة للزوج ولأسرته عامّة، بحكم أنّ التراتبية الأسرية لا تفرضها الذكورة وإنّها تفرضها الهرمية الاجتماعية التي ***تفرض احترام وخضوع الطبقة الأدنى مستوى إلى الطبقة الصاحب النفوذ الماديّة***،[1] والرجولة لا تؤكّد في دور السيطرة وإنّا "الرجل يثبت رجولته عندما يقوم بدوره كعائل بامتياز"[2] وإلاّ يطعن في كرامته من طرف الزوجة وأسرتها حيث "يتعرّض للتهديد والوعيد.. يُتّهم بعدم المسؤولية نحو أسرته الصغيرة"،[3] فيُضغط عليه لتوفير حياة معيشية رفيهة إذا ما نقول رفيعة لابنة العائلة؛ ويزيد الوضع تأزّما بالنسبة للزوج، في هذه الظروف، إذا كان رجلا بطّالا حيث "لا يستهان من وطأة البطالة على قيمة الرجولة.. فلا ننفي احتمالات الصراع الذي قد ينتجه هذا الوضع"،[4] رغم ما يخفيه التفاوت الاجتماعي والمادي بين أسرتي النسب والتي تضع الزوج في موقف حرج مع الزوجة وأسرتها الأصلية؛ مُثبتا المبحوث رقم 5 في حديثه:

"بّاها قال لي: بنتي ما تقعدش تاكل الباطاطا. أخواها قالوا لي ماشي راجل. لقيت مشاكل مع نسيبي، بّاها كان يقول أشياء رجّعني أنا والوا، ويزيد يحرّضها، هذا الباطاطا فاين تكفيكم، هذه ماشي سكنة دبّرها لك.. الأب تعها كان انسان متباهي بالمكانة والمركز تاعوا قدّام لنساب.. كي كرينا بّاها مارشقتلوش قال هذه ماشي دار لقيتها لابنته؛ وأنا هذاك لي قدرت عليه"

إنّ المبحوث يوضّح جليا المكانة الاجتماعية التي تحيل إلى علاقة تراتبية بين الزوج والنسيب –أب الزوجة- أين يتمّ تصغيره في أعين الزوجة والتقليل من قيمته الذاتية، وبعث للابنة تصوّر التفاخر بالأب كرجل مثالي لها، فيطالبها بالتخلي عنه والتمسك بانتمائها الاجماعي الأصلي، ورفض ظروفه المعيشية التي اعتبرها أب الزوجة ظروف مخلّة لابنة رجل له مركز اجتماعي راقي، مما يؤدّي إلى خلق علاقة واهية بين الزوجين لتماهي الزوجة إلى الجماعة الأسرية الأصلية.

إنّ أسرة الزوجة بفعل ضبط الزوج في علاقته الزواجية، والضغط عليه بأفعال معنِّفة في تحديد مسؤولياته وأولوياته اتجاه ابنتهم، تتولّد علاقة سيّئة بين الزوج وأسرة النسب والتي قد تؤثّر بالضرورة على الرابطة الزواجية، وتنشأ علاقة واهية بين الزوجين فيدخلان في دورة عنف متبادلة يصعب الهروب منها، والتي قد تنتهي باتخاذ قرار التطليق.

تحكي السيّدة "جيم" عن ابنها[5] وعلى موقف الزوجة في ظروف مسار حياته الزواجية:

"ولدي طلقته المرا، عملت الخلع، خَلعته ليه وخلعتنا لينا.. جا وقال لنا: أجيوا اخواها وبّاها جاوا هدّادين عليّ. مشات غضبانة.. ما عرفناش أسم (ماذا) عادَت لوالديها.. حتى قالوا على الطلاق.. ماكنّاش عارفين أسم كان بيناتهم حتّى قال لنا كان عايش في الغبينة معاها.. أنا ولدي كان بدراهموا، ونهار لّي طاحت بيه ماجاتهاش هي بّاها ومّاها مْفشّينها.. وزيد غير هايمة عند والديها، تسمح فيه بالأيام مرّة عند أختها في العاصمة، ومرّة عند خاها. وزيد وزيد.. **قال لي: كانت تظل تحاسبني ماريكش قايم بيّ.** هي كانت تحب les voyages وتحب تخرج، وتحب تلبس، وتحب غير الحاجة المليحة.. أنا وصلت قلت لها حاول شويّ على راجلك وعَّملوا حاجة بدراهمكم. قالت لي: أنا نحب نعيش. إوا تنّترك وتعيش على راسها".

توضّح المبحوثة في حديثها أنّ علاقة الزوج بأسرة النسب قد ساءت بعدما أن أفشت الزوجة نمط حياتها بالزوج الغير مرغوب فيها، والتي أصبحت أكثر تدهورا بعدما عمّ الصراع وتزايدت

---

[1]. Voir : Lahouari Addi, O.p. Cité, P.184

[2]. Voir : Welzer-Lang D., Virilité et virilisme dans les quartiers populaires en France, O.p. Cité

[3]. Lahouari Addi, O.p. Cité, P.p.67-68

[4] . شارب مطاير دليلة، رسالة دكتوراه سبق ذكرها، ص37

[5] . من مواليد 1954، وابنها من مواليد 1980، عامل بالقطاع الخاص، مطلّق، الأصل الأسري: تلمسان، مكان الاقامة: وهران –أسرة نووية-

المشاكل الزوجية النابعة أساسا من المستوى الماديّ الذي أصبح يعاني منه الزوج، ولا يثير الشعور بالرّضا للزوجة، الأمر الذي فتح المجال إلى العدوانية والاندفاع إلى ممارسة العنف ضدّ الزوج في اليوم الذي تعلن فيه الزوجة المواجهة، تقوم بحياكة تصوّرات سلبية حول الزوج لأسرتها تولي إلى إصدار أحكام مسبّقة ضدّه، فتطالب المساعدة من رجال أسرتها، حيث المشكل لم يصبح زوجي وإنما عائلي "كل أسرة إلاّ وتبحث عن شرفها وإعادة الاعتبار لقيمتها الجماعية بعدما أن تعرض الفرد المنتمي لها إلى الابتذال والتعنيف، خاصّة إذا كان نمط الزواج خارجي، فالزواج الداخي على حسب ما أشار عدي الهواري من حيث العلاقات يُعد أقوى وأمتن، وغالبا إذا وقع أي خلاف فالأمر يعد رابط أسري وشرف عائلي موحد قد يحول دون وقوع الطلاق.[1]

وعليه نشير أنّ العلاقة الزواجية تحصرها ظروف أسرية اجتماعية وماديّة تتجاوزها، فتطوّقها، حيث تمنعها من بناء علاقة زوجية متوافقة يعمّها الإستقرار، سواءا ضمن حياة مستقلة عن العائلة أو ضمن سكن أبوي، فكل طرف من أطراف العلاقة الزوجية إلاّ ويتعرّض لمختلف أشكال ومظاهر العنف من طرف القرين أو من طرف أعضاء العائلة.

2.2. حياة زواجية مضطربة للزوج: ظروف تمنع إنشاء الرابط الزوجي

الحياة المشتركة للزوجين مع أسرة الزوجة ليست مفروضة في الواقع على الزوج، ولكن ظروف ماديّة واجتماعية قاهرة تستدعي الاحتماء في المنزل الأبوي التابع لأسرة الزوجة، خاصّة بعد الرغبة في الحياة المستقلة عن أسرة الزوج.

غالبا بعد الانفصال المحتوم عن الحياة المشتركة بين الكنة والحماة، تكون الحالة المالية للزوجية لا تسمح لبناء أسرة نووية، فيضطر النسيب للسكن مع أسرة الزوجة تحت سقف واحد، لاستبعاد العلاقة العنيفة الواردة بين الزوجة وأسرته، وإقامة الحدّ للعنف الأسري.

ولكن تبعا لما توصلنا له في الدراسة الميدانية، وبناءا على مجتمع البحث الذي كان بين أيدينا، وجدنا أنّ العنف ضمن الحياة الزواجية لا يمكن أن يوضع له حدّا طالما الحياة المشتركة تستمر وتدوم بشروط، تستدعي التبعية للجماعة، وعدم تجاوز النظام العائلي العام، الأمر الذي يطوّق الفرد تحت ضغوطات اجتماعية أسرية تمليها عليه القيم العامة للجماعة، ويفرض عليه نمط خاص للعيش من حيث تقسيم الأدوار والمكانات ضمن علاقات تراتبية بين الجيلين، فيبقى بذلك السكن المشترك من العوامل التي تثير الخلافات والصراعات الأسرية سواءا للزوج أو للزوجة، إذ يخبرنا المبحوث رقم3:

> "هم بخير عليهم شويّ، وكان عندهم un petit garage isolé، سكنا فيه لفترة.. أصلحته، عملناه بيت، ومطبخ، وقعدنا تمّ. **كنت مغبون... كنت كيما العروسة في دار الختان** (أسرة الزوج)"

إنّ الزوج في حياته الزواجية ضمن السكن الأبوي لأسرة الزوجة يعاني ظروف أسرية قاسية، حيث كما يُطلب الخضوع من الزوجة من طرف أسرة الزوج ضمن نفس السكن، يُطلب من زوج الابنة تقبل معايير العائلة واحترام قوانينها، فيتماشى بطوع الجماعة ويكون تحت سيطرتهم.

فيشير المبحوث رقم 5:

> "سكنت معهم لفترة ليست طويلة، بّاها لم يقبلني معه، طرّدني، لم يتقبل مني بعض الأشياء، مثلا ما ندخلش للدّار بكري، نقعد مقصّر مع صحابي. ولكن ماكنتش نْشرب أو..!!.. العلاقة مع أبوها كانت مضطربة.. كان يتنقز مني، انا شويّ بَعكّاك في الأكل. وفي العمل لم أقبض مال لمدة.. ما كنتش نصرف. وباش نكري الخلصة قليلة"

إنّ من خلال تصريح المبحوث يتبيّن من ناحية البنية التنظيمية الأسرية أنّ الأزواج في علاقتهم بأسرة الزوجة عليهما استوفاء دورهم على أكمل وجه، وتحمّل الأعباء المالية بجانب ربّ العائلة، وإثبات الاندماج من خلال تآزره في الحياة اليومية المشتركة مع الجماعة، فيعدّ البعد المالي من أهم الادوار التي يتوجب على الزوج استوفائه بحكم دوره التقليدي المسطّر له عبر أجيال مضمت،

[1] . Voir : Lahouari Addi, Cité O.P. P.101-98

وإثبات مكانته كرجل مسؤول تحت ملاحظة الجماعة الأسرية؛ وعلى غرار ذلك من واجبات الزوج أن يندمج ضمن الجماعة بتقبّل معاييرها وقوانينها ولا يميل عنها، وإلاّ فيصنّف من بين المنحرفين عن النظام الأسري، وهذا له وقع حاسم في غور العلاقات الأسرية حيث يختلف عن المفهوم العامي للانحراف الذي يوحي إلى اتباع الآفات الاجتماعية، فـ"إن السلوك الانحرافي للأفراد يعتبر خروجا عن أحد معايير الجماعة،[1] وتجاوز لقوانينها ونظامها والتي تُترجم بعدم تقبّل الحياة الجماعية والحط من احترام ربّ العائلة.

يخبرنا المبحوث رقم 45:

"كانت العلاقة مع نسبي نعتبرها جيّدة، ولكن اعتبرها متوسّطة.. وصلت نطرّد من دارهم.. بّاها ماقالهالش ولكن لّي عملوا يثبت أنه طرّدني.. كنت نشري كلّ خير ومراتي طيّب.. هو ما جاتوش.. إيا ما ولاش ياكل الحاجة لي نجيبها.. حتى بعد 5 أيام هكذاك ما بقاش يتعشّى.. ويروح يرقد.. **زعما ماشي جّي لعندي وتعمل رايك.. أنا تمّ قلت لها رفد قشّك ونروحوا**. من تم ما نحبش نروح معاها أونقعد في دارهم بزاف.. نروح سويعة، أو ليلة، ونولّي" (المبحوث رقم 45)

وعليه فإنّ العلاقة بين الزوج وأسرة النسب تتطلّب "بعد المسافة" *مثلها* مثل "علاقة الكنة بحماتها"،[2] لتصبح علاقة سيستيمية نوعا ما متوازنة، وإلاّ تتدهور العلاقة للأسوء، حيث يبقى زوج الابنة فردا غريب عن الأسرة سيّان وضع الزوجة في علاقتها بأهل الزوج. الأمر الذي يستدعي فصل علاقة النسيب بأب الزوجة في سكن مستقل بعيدا عن الحياة المشتركة، وإذا ما عجز على تكوين أسرة نووية بحكم الظروف المادية الكاسحة يتوجّب عليه مغادرة البيت الأبوي أين سينفصل جسديا في علاقته بالزوجة ولو بصفة مؤقتّة؛ وفي ظل الصراع الأسري بين الأب وزوج الابنة تجد الزوجة نفسها طرف وسط بين الزوج وأسرتها الأصلية. مُوضّحة لنا المبحوثة رقم 14:

"كنت في دارنا، مانصيب راسي نلبي المتطلبات تع راجلي، مانجي للأب، كل واحد ونمط عيشه، حتى ما بقيتش نحب نروح معه، نروح وحدي.. **صبت كيما راني في دارهم راني في دارنا**، حسيت كيما هو بيني وبين أمه، **أنا بيناتهم كامل بين راجلي وبين بّا ومّا**"

إنّ من حديث المبحوثة يتوضّح جليا أنّ الحياة المشتركة للزوجان وأسرتهما الأصلية تخلق للابن/الزوج والابنة/الزوجة ظروف متوتّرة ومتواترة في علاقة مد وجزر بين الأسرة الأصلية والعلاقة الزواجية، والتي تتطلّب الفصل في الأدوار والأوضاع بين علاقة الأبوة والبنوة، والعلاقة الزوجية، حيث "الزوجان سيدخلان في لعبة هوية الانتماء المتعدّدة وعليهم التنسيق بين مختلف الأدوار، ففي نفس الوقت هم أبناء وأزواج.[3]

ولكن في غور العلاقات الأسرية تبقى العلاقة بالوالدين هي العلاقة المقدّسة والتي تستدعي بناء علاقة ثانوية بالزوج، لا يسمح للزوجين ببناء علاقة زوجية بعيدا عن الحياة الجماعية المشتركة، فإنّ المعتقدات التقليدية للنظام الأبوي لا تتضمّن مضمون الزوجين مهما كان نمط الحياة الزواجية، حيث لا يحق لكل طرف من أطراف العلاقة الزوجية الانفراد بقرينه، فكما تُغترب الزوجة من علاقتها بالزوج لِما لها من أولويات عائلية في دورها ككنّة، يُطوّق الزوج في بناء علاقة زوجية بالزوجة بحكم أنّ المرأة هي ملك جماعي عائلي وليس زوجي، وبما أنّها في بيت الأسرة تحت حماية الأب فيتوجّب عليها الخضوع لإملاءات رجال العائلة وتابعة للجماعة، وهذا ما يطوّق الزوجة كذلك في علاقتها بالزوج، حيث **تبقى العلاقة الزوجية هي علاقة طوباوية في مجتمع ملتزم بالعقل الجمعي،** لا يوجد فيها مكان للفردية الزوجية.

تحكي المبحوثات:

---

[1] . معن خليل العمر، علم الاجتماع الانحراف، دار الشروق، ط1، 2009. عن مريوة حفيظة، العنف ضدّ النساء في المجتمع الجزائري وآثاره السلبية، المجلة المغربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، سبق ذكرها، ص75.

[2]. Lemarchant clotilde, C.p., P.p.119-136

[3] . Lemarchant clotilde, C.p., P.147

"نهار لي قعدت في دارنا بيلاش يْصيب سكنة، كي يجي يشوفني يقعدوا معنا حتى نبقّيه على خير، ماننجم نهدر مع راجلي مانقعد معاه. والله ماننجم نخرج معه، وإذا نهدر معه في الهاتف يقّعدوا قدامي مّا وبّا. زعما ماكانش خصوصيات والوا.. كْرهت.. 3 أشهر وهو بعيد عليّ.. أنا نحب نكون مع راجلي.. ويزيدوا يْغصوني يقولوا لي دوك يسمح فيك" (المبحوثة رقم 14)

"قعدت كي غضبت في دارنا 6 أشهر.. في الحق كبروا بيَّ.. ولكن كي كان يجي –الزوج- لعندنا نعطيه ياكل، ومرات يجي يبات معاي week end، نحشم.. **تعيا تعيا نسيب نسيب**.. كنت نكذب على والدي نقول لهم راني ماشية نبات عند ولد عمتوا عرضونا.. وأنا كنت نخرج معاه نقصر برا، نتعشاوا، **وما نقولش لوالدي كنت غير أنا وياه. راجلي ونكذب عليهم!**" (المبحوثة رقم27).

إنّ العلاقات العائلية تشكل كتلة بين أفرادها، موضّحا G.Simmel أنّها "علاقات محدودة وضيّقة للحياة المشتركة، المدعّمة بالتضامن الاجتماعي والاقتصادي، والتي تولّد نوع من العنف الممارس على الأفراد، ويؤدّي بصفة خاصّة خلافات واصطدامات، وتوتّرات ومخالفات؛ يمكن أن نتوصّل لأن نقول أن الصراع العائلي هو شكل من أشكال الصراع الفريد من نوعه أين الجماعة تفوق الفرد، والنظام الذي نعيشه أسبق من وجوده عن الفرد،[1] والنظام الجماعي الأولوي هو النظام الأسري لعلاقات البنوّة والأبوّة، والذي يحول دون بناء علاقة زوجية موفّقة. فيوضّح المبحوثون في حديثهم:

"كي نروحوا لتلمسان، مّاها فاين مّا نروحوا لاصقة فينا، لاصقة في بنتها، زعما في دارنا عَيب نقعد معاها ونخرج معاها، ومع دارهم والوا.. لو كان نخرج مع مراتي نتعشّاوا في الليل ونولّيوا للدار قاعدة معنا حتى لـ12 تع الليل، وإذا كنت معروض أنا وياها تروح معنا، وتزيد: بطينا صايي خلينا نروحوا !، وخاصها هي تروح واحنا نروحوا معاها، بقيت نتنارفة" (المبحوث رقم 45)

"وصلت ماعنديش الحق نتلاقى بمراتي.. قعدت الزوجة في دارهم.. ماقدّيش نكري.. كنت نروح نشوفها ونشوف الدراري يقعدوا كاامل معانا.. نتكلم معها في الهاتف.. نخرج معها.. وصلوا يعايرونا بـ les amoureux، ولكن هذه مراتي !، راني نتمشى مع مراتي في الطريق.. سبحان الله ! مَرتي" (المبحوث رقم5).

إنّ من حديث المبحوثين والمبحوثات يتبيّن لنا أن ضعف العلاقات الزوجية تنشأ من فخ العلاقات الأسرية الرمزية حيث العلاقة الزواجية المبنية على ضعف الروابط الوجدانية منسوجة اجتماعيا، أين لا وجود للنحن الزوجية فإنّ العلاقة المعترف بها اجتماعيا تتمثّل في النحن العائلية، حيث يتوجّب على الزوجين الخضوع للنظام الاجتماعي العام الذي يحكم العلاقة تحت سيطرة الجماعة؛ فـ"الفرد لا يعيش من خلال أو لأجل نفسه ولكن من خلال ولأجل جماعته،[2] التي من الممكن أن تقود إلى اتخاذ قرار الطلاق ضدّ الزوج أو الزوج، فكما ينوّه مصطفى بوتفنوشت، "والديّ الزوج وعامّة أمّ الزوج تلعب دور الحامي الذي يقدّم نصائح إزّاء الزوجة فتتوصّل إلى إحداث إضطراب نفسي بين الزوجين، تؤدّي بالزوج إلى طلب الطلاق"،[3] ونفس الشيئ تقوم به عائلة الزوجة وتنساق إلى نفس الهدف، حيث يُثبت المبحوثون:

"كانوا حابين يطلقوها.. وهي تمسكت بيّ" (المبحوث رقم 5)

"الأم حانهار دّابزت أنا مع راجلي قالت لي عفّك منه طلقيه.. وقالت لي: طلقيه عادي، دار بوك راهي كاينة، مابغيش قلت من المفروض لا ماتقوليش هاكّة" (المبحوثة رقم 18)

"..ويزيدوا يعمرولي راسي غير سيبوا عليك.. وحتى هو دوك يقيسك بمرا أخرى.. وأنا ماناكل وما نشرب.. نكون مع راجلي أحسن. خاص l'autre moitier واحد يكون معاك " (المبحوثة رقم 27).

مما يتأكّد لنا أنّ الأسرة تلعب دورا هاما في الفصل بين الزوجين، بتشجين قلب كل طرف اتجاه قرينه، وإيغاره ضدّه لاختيار الحياة العائلية الأصلية بمثابة قداسة اجتماعية، ولهذا تقف أسرة الزوجة موقف حيادي مع النسيب وتتجاهل موقف الزوجة/الابنة في علاقتها بالزوج، وما تريد أن تصبوا إليه في

---

[1] . Lemarchant clotilde, Cité O.p., P.113
[2] . Zerdoumi Nefissa., O.p. Cité, P.43
[3] . Mostefa Boutefnouchet, O.p. Cité, P.200.

علاقتها الزواجية. إنّ الزوجة ما تطمح إليه بعد أن تغادر حياتها الأسرية مع الوالدين، بناء علاقة زوجية متكاملة، ولهذا بعضهنّ تحاولن بلوغ هذا الهدف بكلّ وسيلة، وأي قرار صادر من الأسرة الأصلية يخالف هدفها تعتبره مدمّر لحياتها الأسرية، وبتمسّكها بزوجها تندفع إلى تحمّل مسؤولياتها بصفة منفردة ومحاولة بناء علاقة زوجية موفّقة بعيدا عن تدخّل أسرتها الأصلية حيث النجاح الزواجي من أهمّ ما تخبوا إليه الزوجة في علاقتها بالزّوج وبالأبناء، وهذا النجاح يعني أنها نجحت في دورها كزوجة وأم للأطفال.

وعليه نشير أنّ جودة العلاقة التي تربط الزوجان بالأسرة الأصلية والتي تجلّت بنسبة 38% من بين جل العدد الاجمالي لمجتمع البحث تثير التشكيك وإعادة التساؤل في البحث عن مدى تقرّب الزوجان للوالدين والإخوة والأخوات، فتبقى نسبة ضعيفة مقابل متوسّط العلاقة بهم والتي تقدّر بـ42% (راجع الجدول رقم 2، التمثيل البياني رقم 6، ص.127) هذا ما يعني أنّ العلاقة الجيّدة التي تربط الزوجان بأسرتهما الأصلية لا تمثل بالضرورة علاقة صلدة وقوّية، وإنّما عمقها له مضمون رمزي وهو أقوى من البعد السيكولوجي الذي يضمن مشاعر الوفاء للعائلة، حيث لا يستهان بمكانة الأسرة النووية والعلاقة الزواجية عند معظم المبحوثين والمبحوثات، فما لاحظناه أنه يوجد علاقة متطاردة ومتناقضة بين رمزية العلاقات الأسرية الأصلية وضرورة بناء علاقة زوجية أصيلة.

3. مكانة الأسرة النووية في حياة الفرد: العلاقة الزوجية تنشأ بضغط من الزوجة

رأينا سابقا كيف أنّ الأزواج والزوجات يستاؤون من تقرّب القرين من الأسرة الأصلية، والجدول رقم 7 يوضّح لنا ذلك بنسب متفاوتة بين 15,05% من الأزواج و24,73% من الزوجات الذين يؤكّدون غيضهم في هذه المسألة. والأكثر ما يستدعي للنقاش والتحليل ما يربط هذه النتائج بالجدول رقم 18 والذي يؤكّد مدى رغبة الزوجان في التقرّب من الأسرة النووية، حيث يتوضّح أنّ، 26,09% من الرجال يصرّحون بأنّ الأم هي الشخص القريب منهم، وبالمقابل يصرّحن 27,50% من مجمل المبحوثات أنّ الأم دائما هي الأقرب إليهن؛ ولو نلاحظ بدقّة نجد أن الأزواج يصرحون تقرّبهم بالزوجة بنسبة تفوق علاقتهم بالأم تقدّر بـ34,78%، خلافا عن الزوجات اللواتي تشعرن أن أزواجهن هم الأشخاص القريبين منهنّ ولكن تشعرن ببعد المسافة الزوجية بنسبة 47,22%. هذا ما يوضّح لنا جليّا أن فئة من الأزواج مجبرين عليهم بناء علاقة ثانوية بالزوجة رغم أنهم يحبّذون العلاقة الزوجية، ويفضّلون علاقتهم بالأسرة النووية بصفة متناقضة وطردية، وهذا ما ورد في التصريحات التالية:

"الأسرة مهمّة.. ليست الأسرة الأصلية أنا كرهت منها، الزوجية هي المهمة بالنسبة لي.. هي الأساس.. أسم (ماذا) هجال كل واحد في طريق!؟.. والحب: لا. لا أؤمن به.. الحب موجود مع الأسرة الأصلية." (المبحوث رقم 4)

"الأسرة هي كلّش.. لي ماعندهش أسرة ماعنده والوا.. بعد الوالدين الزوجة والأبناء" (المبحوث رقم 1)

"من دون الأسرة كيفاه نديروا.. ماننجموش نعيشوا وحدنا.. دروك كيفاه نعاود نتزوج..! ماعرفتش والله!. القلوب قصاحت آختي والله.. الأم: الجنة تحت أقدام الأمهات، وهي هنا لّي كانت ظل تحاسبني مّك، مّك" (المبحوث رقم 9)

إنّ أغلبهم من الأزواج يؤكّدون جليا أهمية الأسرة النووية وأساس العلاقة بالزوجة، ولكن رغم ذلك يتبيّن من جل التصريحات أنهم يعجزون على بناء علاقة وطيدة طيّبة بالزوجة، فالأم هي المرأة المحتذى بها وهي الأولى في حب ابنها لها، مجبر على التقرب منها؛ ولهذا توضّح فاطمة المرنيسي أنّ الرجال يغادرون الأسرة الممتدة تحت ضغط الزوجات إثر رفضهن للحياة المشتركة، ولكن هذا لا يعني أن الرجال يكرهون العيش في حياة أسرية ضيّقة -مع الزوجة والأبناء- بل على العكس تؤكّد فاطمة المرنيسي أنّ، الرجال يحبّذون حياة مشتركة مع نسائهم إلاّ أن مكانة الأم ورمزية العلاقة

بالأسرة الممتدة تعجزهم عن تلبية رغبة زوجاتهم.[1] هذا ما يُثبت وجود عنف رمزي يستدعي كبح العواطف اتجاه حياته الأسرية الصغيرة، فـ"الهيمنة الرمزية كانت لها باستمرار وظيفة تخفي الانقلابات النفسية الوجدانية للأفراد وتخنق الرغبات الشخصية"[2] أين تضعف العلاقات الزوجية الحميمية وبالتالي الشعور بالحرمان العاطفي لكلا الزوجان.

ينوّه سليمان مظهار في نفس سياق المضمون أنّه، رمزيا، العنف نابع من التركيبة الاجتماعية وفي كلّ الأوقات ومراحل حياة الفرد، والحرمان مستمر مع سيرورة الحياة الاجتماعية. رغم كل ما يسعد به الفرد ضمن الجماعة من أمان واستقرار.. إلاّ أنه محروم من كل خصوصياته.. فالرغبات الفردية ممنوعة، والعلاقات الجنسية مراقبة، والعواطف منفصلة عن الجنسانية: فالزوج يحبّ الأم، وتربطه بالزوجة إلاّ علاقات جنسية. وتقلباته النفسية الوجدانية مضمرة، كلّ شيئ فار منه، لا يمكنه تخطيط أي شيئ، وهو في نفس الوقت مشغول البال، قلق ومهموم، لا يشعر بالراحة. ويتوصل إلى الشعور بالاختناق المستمر من طرف الشبكات العلائقية والميكانزمات النفسية الاجتماعية والثقافية،[3] ولكن لا يمكنه التراجع وإثبات فرديّته؛ والزوجات في نمط الحياة هذه تستاء وتتنكّد على الزوج، فتشعر بالتهميش الزوجي، وتختنقن من حياة زوجية مثيرة للإستياء وعدم الرّضا، وتعتبرن أنّ قوة علاقة الزوج بالأم هي معضلة يصعب حلّها، الأمر الذي يدفعها إلى التوجّه ببناء علاقة زوجية بفعل الضغط. مصرّحات المبحوثات أنّه:

"العلاقة مع الزوج جيدة. ولكن كانت سيّئة.. بالقرار تاعي ولاّت جيّدة.. كانت غير تزيد تدهور.. حتّى لّي عملنا وحّدنا.. وأنا نروح لدارنا : كي راكم غاية نحكي مع مّا شوي.. نرفد ولدي ونروح لداري.. ندير كيما نبغي" (المبحوثة رقم 10)

"العلاقة مع الزوج جيدة. مانقولش جيدة من نهار الأول، بعد مدّة il faut combatre. إيوا المشاكل les pics، وهو كذلك.. pour sauvais ma vie de couple j'ai combatue.. ولكن هو يسمع للهدرة كثيرا من الأم ومنهم كامل.. العلاقة مع راجلك مايليقش واحد يدخل فيها حتى أختك elle n'a pas le droit. بالاك تعطيك des conseilles ولكن ماشي باش دُخّل راسها فيك.. وأنا نعيد غير للأخت الأم عمري ما عمّرتلها قلبها بالمشاكل تاعي jamais" (المبحوثة رقم4).

"الأسرة مهمة جدا.. أنا أعتبر نجاحي باستقرار أفراد أسرتي.. لا أجد نفسي بدون الزوج والأولاد.. قمت بالمستحيل لكي أحمي زواجي.. الأسرة مهمة خاصة بعد ولادة الأبناء" (المبحوثة رقم14)

بحكم القيود التي تربط الزوج بالأم، فإنّ الزوجة هي من تنقاد إلى فكّ هذا الوثاق وذلك بالبحث عن بناء رابط زوجي، تطمح في أن تظفر بالزّوج كشريك لها في الحياة بفعل الضغط وممارسة العنف ضدّ الزوج وكل أعضاء العائلة بضرورة بناء أسرة مستقرّة ومتوازنة، أو على الأقلّ حماية العلاقة الزواجية، تخوّفا من فقد الزوج باعتباره: **"ـالزوج- هو السّقف تع الدّار"** هكذا تشير المبحوثة رقم 22، حيث توضّح لنا أن الزوج هو الحماية وهو السّند، وظروفها الاجتماعية والمادية مرتبط به. وعليه **فالعلاقة العنيفة لا تعبّر فقط عن الحقد والكراهية، وإنّما لها دور في تأكيد العلاقات الاجتماعية** وخاصّة الزوجية منها أين يصبح العنف ضروري في ضبط الروابط والصلات الأسرية.

وعليه تبقى الأسرة الصغيرة من أوّليات العلاقات الاجتماعية، مما يثبت أن الزوجان ينخدعان في غور العلاقات العائلية التي تؤكّد مكانتهما ودورهما كأبناء قبل أي دور من الأدوار الأسرية، والتي تحدّد أولوية العلاقة بالأسرة الأصلية، فيجدون أنفسهم يعيدون بناء علاقات الأبوة والبنوة حتى في فترة ما بعد الزواج، خاصّة بالنسبة للزوج؛ ولهذا فالاندماج ضمن "الأنا الزوجية" يكون بوتيرة ضعيفة، وعلى حسب Kaufmann لا يتحقّق إلاّ "في المرحلة الثالثة بعد تكوين الثنائي أين الوقت الرغد أو الرفيه يصبح أكثر وضوحا واستقرارا في المراحل القادمة، بعدما كل طرف يشعر بالوفاق مع نفسه ومع الزوج بعيدا عن الحياة المشتركة مع العائلة، وبناء هوية زوجية يشعر كل واحد

---

[1] . فاطمة المرنيسي، مرجع سبق ذكره، ص.87

[2] . Slimane MEDHAR, Cité O.p., P.p.34-35

[3] . Slimane MEDHAR, Cité O.p., .P.39

منهم أنه الآخر، إذ كل زوج يتعلّق بقرينه.. حيث تصبح الرابطة الزوجية من الأولويات العلائقية قبل الأسرة الأصلية؛ ولكن هيهات في مجتمع لا يزال يقدّس النحن العائلية، وإذا تحقّق ذلك فسيكون إلاّ بعد مسار طويل ومراحل قاسية[1] مليئة بالصّخب والعنف والتي تأكّدت في الدراسة الميدانية بنسبة لا تتعدّى 29% أين تحقّق الإستقرار الزوجي بتحقيق **العلاقة الجيّدة، المزعومة**، بقيد الزوجات (راجع الجدول رقم 5، التمثيل البياني رقم 2، ص.113)، فـ"على حسب Jessic Bernard أنّ العلاقة الزوجية التي تُبنى بفعل ضغط الزوجة لا تكون إلاّ مؤشّرا *على الاستسلام وليس السعادة*، وكما يرى جارين Gurin، أنّ الزوجان يتوهّمان علاقة جيدّة بعد مرور الوقت حيث مشاعر عدم التلاؤم والمشاكل الأخرى تتناقص بتقدم السن ليس إلاّ"،[2] فيتم تقبّل كل منهما الآخر بتقبّل نمط العلاقات الأسرية بعد الزواج؛ وهذا التقبّل يدعوا بالضرورة الزوجة للانقياد بوعي أو بدون وعي إلى تغيير مشاعرها بالزوج متجاهلة علاقتها الزوجية، موطّدة علاقتها بالأبناء خاصة الذكور منهم.

1.3. علاقة الزوجة بالابناء: علاقة صلدة أمام هشاشة العلاقة بالزوج/الأب

تشير المبحوثات بنسبة 27,50% أنّ الأشخاص القريبين لهنّ هم الأبناء، وهم الأفراد الذين تعتبرهم أسرتها وكلّ حياتها (راجع الجدول رقم 18)، وهذه العلاقة ليست بفعل الصّدفة وإنّما هي علاقة مبنية اجتماعيا، تبعا لظروف اجتماعية أكثر منها سيكولوجية، فإنّ قوة العلاقة التي تربط الأبناء بالأم ليس لها معنى يوحي بالحب والعطاء فقط وإنما مضمونها يوحي بعلاقة متماسكة بُنيت وأُنشئت لاعتبارات شخصية أين الابناء يقعان في فخ العلاقات الرمزية الأسرية، فـ"إن الطفل.. بفضله تكتمل المرأة شخصها فإنها تصبح كذلك بفضل الأمومة؛ فالطفل هو بهجة حياتها ومبرر وجودها وبفضله تصبح مؤسسة الزواج ذات مغزى وتبلغ هدفها".[3] معبّرة المبحوثات:

"**الحنان: نعطيه لأولادي**.. وصبته في أولادي؛ في الزوج des fois ماشييي بزاف.. الأولاد تحسي بلي هاذوا تاوعك مايغَشُوكش تينا تاعهم وهم تاوعاك.. **صايي مابقاتش عاطفة مع الزوج**؛ كي كنا صغار بلاك ولكن دروك.. !!، مع الوقت تكره. الزواج يعني d'avoir les enfants.. زعما المرحلة لّي من بعد راني نركز عليهم.. وهو لوكان ما يقربليش أنا ما نقرّبلهش.. ويقولي على أولادي غير هم غير هم يحس بلي قريبة لاولادي بزاف.. دايما يقولها لي. لازّين له ولكن أنا نبغيهم أكثر منه هو" (المبحوثة رقم 12)

"علاقتي بالزوج مَتْقبلتها رغم كل شيئ، خلاص ما عندي ما ندير هذاك مكتوبي.. ما ننجمش نولي لدارنا.. **بنتي نديرها بين عينيّ دايما**.. هو عنده مّه هي كلشي" (المبحوثة رقم 16)؛

"الحب مع الزوج، لاّ.. **عندي أولادي**، وعلاقة الدّم أولى من الزوج" (المبحوثة رقم 24)

"الأسرة ما بقاش.. **أولادي هم كلش**" (المبحوثة رقم 22)

"ماعنديش أسرة.. **أولادي هم الأسرة**.. هو الذي تلقاه يتحكموا فيه ويسيروا فيه ماشي راجل.. أنا راجلي ودناني.. الراجل هو لّي يأخذ القرارات وحده" (المبحوثة رقم 8)

وعليه فإنّ الأسرة النووية بعيدا عن العلاقة الزوجية تصبح هي العلاقة الأولوية للزوجة مع ابقاء علاقتها بالوالدين علاقة وجدانية تحت نظم القيم الأخلاقية، وتبقى علاقتها الزوجية ميؤوس منها.

مؤكّدة المبحوثات:

"الأسرة المهمة هي الأسرة مع الزوج، الأخرى خلاص عدّت ماشي هي لي دوم، فاتت.. دروك ولدي هو كلّش في حياتي.. من بعد الوالدين.. الراجل مرات نحس نكّرهه" (المبحوثة رقم 18)

"مرات الراجل تحس تكرهه هو متأثر بزّاف بأمّه.. ولكن بعد الوالدين أقرب الناس إليّ الزوج.. ولكن ولدي قريب ليّ ولدي راه طْوَل منّي وكبير بسلامتوا ويجي ويتحكّك عليّ ويقولي ماما نحبّك.. يعنّقني" (المبحوثة رقم 4)

---

[1] . Voir : De Singly François (2007), O.p. Cité, P.p.90-91 ; Kaufmann J-C. (1993), O.p. Cité, P.p.70-72

[2] . أنظر: سناء حسنين الخولي (2011)، مرجع سبق ذكره، ص. 194

[3] . سيمون دي بوفوار (2008)، مرجع سبق ذكره، ص.162

إنّ في ظل قوة العلاقة أمومة/بنوّة سوف يفقد الزوج علاقته الوجدانية بالزوجة ومنهم 22,86% من أثبتوا الحرمان المعنوي في علاقتهم الزوجية (راجع الجدول رقم 20) الذي يأخذ إلى بناء علاقة زواجية مرتبطة بعقد مدني فقط بعيدا عن أي تجاوب جنسي حميمي، بعد أن تخلق الزوجات بُعد المسافة بينهن وبين أزواجهنّ بإراتهن يجد فيها الزوج نفسه على المدى البعيد وحيدا في علاقات التبادل الوجدانية الأسرية العامّة أين الأبناء يولون أهمية لعلاقتهم بالأم قبل الأب، فالزوجة –بوعي أو بدون وعي- عملت على خلق صلة ضعيفة بينهم وبين الزوج في وضعه كأب، خاصّة وأنّ الوالد له دور بعيد عن المنزل على غرار البعد السوسيو ثقافي الذي يثبت الولاء للأم والذي تستغله الزوجة لبناء علاقة صلدة بالأبناء خاصة الذكور منهم، والذين تعتبرهم من أهم العلاقات الأسرية صلةً فتكون بذلك "العلاقة أب/أبناء تحت سلطة الأم".[1]

وبناءا على ذلك من الممكن أن نشير بأن الزوج يُخدع بقوّة في غور النظام الاجتماعي والسوسيوثقافي العام، فالولاء والوفاء الذي عمل على تقديمه إلاّ للأم بحكم قداستها الرسمية شرعا واجتماعيا، فإنّه *في أي لحظة ممكنة سيفقد علاقته بالأم بعد الوفاة، ويصبح بالتالي بدون امرأة في علاقة ثلاثية*،[2] وما يجعله أكثر تأزّما عندما ينظر من حوله فيجد أنّ المرأة في مكانتها كأم محاطة بأبنائها، منحازين لها، وخاضعين لها، تحت سلطتها متجاهلين سلطة الأب. حيث يخبرنا المبحوثون:

"الأبناء كلمّا كبروا كلما تقربوا لها.. لقيت روحي وحدي" (المبحوث رقم 7)

"يحاسبني يقول لي ماراكيش لاهية بيّ.. راني نْحس روحي وحدي، وهو يغار.. لديّ علاقة قوية مع أبنائي" (المبحوثة رقم 12)

"هو يبغيني مايحبش يخسّر معاي.. أنا نبغي والديّ وأولادي ومن بعد يجي الزوج .. يقولي راكي لاهية غير مع الأولاد فقط أنا راكي سامحة فيّ.. عندي الأولوية أولادي ماشي هو.. ومانقعدش معاه هو بزاف ما نبغيش. نتهرب منه ولكن بطريقتي.. نجيبله سبّة.. وبغى يروح وين مّا بغى ماعلاباليش" (المبحوثة رقم 25)

ومنه في هذا النظام الأسري العلائقي والذي يضبط علاقات الأمومة والبنوّة سيُعاد انتاج علاقة كنة/حماة عبر أجيال متعاقبة، مُحاولة الأم/الحماة بذلك تملّك الأبناء، وفي هذه الحالة "العلاقة الزواجية بعد فترة طويلة من الزمن، يصبح التعوّد على العيش معا هو الذي يعطي الرغبة في التمسك بالقرين في مجتمع كهذا، أين الزوجين لا يشكلان أبدا رابط زوجي، فعاطفيا الأزواج مرتبطين بقوّة وثيقة بأمهاتهم.[3]

وعليه ومن كل ما سبق يتبيّن لنا أنّ العلاقة الزوجية مرتبطة بنسبة تقرّب الزوجان بأسرتهما الأصلية؛ فبعدما تصطدم العلاقات ويجد كل طرف أن الأسرة الأصلية هي من الأولويات العلائقية للقرين، "سيقوم أحدهما بالتنازل عن الرغبات التي تؤهّل إلى الوثاق الزوجي، فيتقبّل الآخر بطريقة عقلانية، وهذا النوع من الروابط يعطي له "رافان" مزج بين مفهومين "الخيار بالشعور"، فالخيار هو الجانب العقلاني مع محاولة رداء الايديولوجية الغرامية... ويجري ذلك مع متغيرة ممكنة وهي الاستسلام للأحداث وترك الأمور تحدث وحدها،[4] وتبقى العلاقة بينهما هي علاقة أب وأم لأطفال وليس كرفقاء أو شركاء.[5]

خلاصة الفصل

في ختام هذا الفصل نستخلص أنّ العنف الوارد ضدّ الزوجين في حياتهما الزواجية، بوادره نابعة من بُعد سوسيوثقافي يعمل على ضبط كل زوج في علاقة زواجية محضة، فيمنع إنشاء الرابط

---

[1]. عمار عبد الحق، مكان الأب داخل الأسرة الجزائرية: دراسة مقارنة، مذكرة ماجستير قسم علم النفس وعلوم التربية، جامعة وهران، 2011/ 2012، ص.54.

[2]. Medhar Slimane, O.p. Cité.

[3]. Medhar Slimane, C.p., P.80

[4]. كوفمان ج.ك.، تر: بسمة بدران، علم الاجتماع الثنائي، ط1، المؤسسة الجامعية، مصر،2001. ص.42.

[5]. Lacoste-Dujardin, C.p., P.184

الزوجي، أين يتوجّب على كل طرف من أطراف العلاقة الزوجية استوفاء أدواره في علاقته بالعائلة وإثبات ولائه لها، فيكون موجّه بعنف رمزي يضمن بناء علاقة ثانوية بالقرين؛ وهذا الأخير يكون محل تعنيف عائلي، الكل يريد الإستحواذ عليه بمثابة ملكية زوجية أو عائلية، ويكون الزوج/الابن هو الطرف الذي يقع غالبا عليه الشقاق باعتباره حيازة مادية ومعنوية للزوجة والأم، يجد نفسه بين المد والجزر في علاقات أسرية صاخبة، الكل يكون فيها تحت الضغط؛ وهذا الأخير يكون متباين على حسب المكانات التي يحتلها الفرد ضمن الجماعة، وما يملكه من نفوذ اجتماعية وماديّة والتي تحدّد التباين والتمييز في المعاملات بين الجماعات والأفراد أين يتعرّض الزوجين للإهانة الأسرية والزوجية.

ولكن في خضمّ هذه العلاقات الأسرية المعنَّفة اندفعنا نحو تقريب المجهر السوسيولوجي في دراسة معمّقة لواقع الرابطة الزواجية عقب الحياة الزواجية المعنّفة، والبحث عن أثر التعنيف الأسري على الأسرة النووية أين يكون الأبناء ضحية العنف الأسري.

الفصل الرابع

العنف في غور العلاقة الزواجية وأثره على المحيط الأسري

I. نمط العلاقة بين الزوجين: علاقة معنَّفة بامتياز
II. أثر العنف الزوجي على المحيط الأسري

تمهيد

غالبا ما تكون العلاقة بين الزوجين هي علاقة معقّدة تولي إلى ممارسة العنف في علاقة ردود أفعال متبادلة لعوامل وأسباب مرتبطة بمعتقدات ثقافية تقليدية، وأخرى حديثة، تطّوق الزوجان وتحول دون إنشاء علاقة توافق بينهما، على غرار كل المشاكل التي يتعرّض لها الزوجان في حياتهما الزواجية –التي توضّحت لنا في نتائج دراستنا- وما تتضمّنه من توترات وصراعات عنيفة تمنع

الفردية الشخصية والانفرادية الزوجية في غور العلاقات العائلية المفعمة بالرمزيات السوسيوثقافية، والتي تهمّش الضروريات الوجدانية بين الزوجين.

ولكن جوهر موضوع بحثنا في هذا الفصل يثير فضولنا إلى تقريب المجهر السوسيولوجي أكثر وفتح مجال البحث عن العوامل التي تؤدّي إلى العنف على مستوى الأسرة النووية، فنتعرّف على نمط العلاقة الزوجية عقب الحياة الزواجية بعيدا عن علاقتهما بالعائلة، إذ نقترب من ظروف حياتهما الخاصّة ونكتشف مدى تقرّب الزوجان من بعضهما وتوفّقهما في بناء علاقة زوجية محكمة، ومدى تباعدهما في عمق نمط الحياة الاجتماعية وظروفها القاسية والتي قد تثير مواقف العنف؛ كما وجّهنا الإهتمام في درجة تأثير العنف الزوجي على نمط العلاقات ضمن الأسرة النووية ومدى تأثيره على نمط أجزاء البنية الأسرية المكونة لها.

I. نمط العلاقة بين الزوجين: علاقة معنَّفة بامتياز

على غرار مكانة كل زوج في علاقته بأسرة القرين، وما ينبع عنها من مشاكل عائلية، فإنّ العلاقة بين الزوجين تتخلّلها ظروف اجتماعية أكثر شدّة يعجز الطرفان عن تجاوزها، مُعبّرة المبحوثة رقم 14: **"قلت له –الزوج- راحنا ندابزو غير على جال داركم.. ولكن! أمور أخرى دخلت بيننا لم تكن في الحسبان.. باش ولّات العلاقة مع الزوج جيّدة عانييت!"**

إنّ العلاقة الزوجية تبقى محلّ شجارات وصراعات يمكن أن تأخذ إلى التعنيف، فهناك اعتبارات بُنيوية خاصّة بالزوجين تستدعي قيام علاقة متكاملة، ومتوافقة بينهما، في فترة تقنين معايير زوجية وبناء نظام سيستيمي علائقي من حيث الأدوار والمكانات، فالعلاقة الزواجية لا تتكون من فراغ إذ يحكمها نظام مقنّن *بمنمّطات* اجتماعية و*ترتيبات* تدخل في نطاق علاقة تفـــــــــاوضية.(*)

1. علاقة زوجية ضعيفة بضعف التفاعل الزوجي

إنّ العلاقة بين الزوجين هي علاقة جنوسية تحدّد دور ومكانة كل زوج ضمن علاقات التفاعل الزوجية *المترجمة إلى فن التعامل، والتبادل، والتآزر، والتي تبني الهوية الشخصية في علاقة كل منهما بالآخر، فتضمن الإستقرار الزوجي*؛[1] ويحدّد أكثر Levistrauss العلاقة الزوجية على أنّها علاقة تبادل... لممتلكات مادية، قيم اجتماعية، وبامتياز حقوق وواجبات،[2] يلتزم بها كل زوج حيث يستوفي دوره ويستكمل الانتظارات المتوقعة منه في علاقته بالقرين.

وما استقيناه في دراستنا للعنف الزوجي وجود ضعف في نمط علاقات التفاعل التبادلية بين الزوجين، والتي تعيق عملية التواصل الزوجي في مجتمع يقوم على الفصل بين النساء والرجال من حيث توزيع الأدوار والمكانات والأوضاع والفضاءات، فمن جهة يجتمعان شكلا تحت مبدأ أسري، ومن جهة أخرى لا يلتقيان مضمونا، أين تتحدّد بينهما الاختلافات في الاتجاهات والمبادئ والأولويات التفاعلية على غرار التباين في نمط التنشئة الأسرية لكل منهما؛ وبفعل هذا الفصل والاختلافات التي تميّز كل من الجنسين يكون "مكتوب على النساء والرجال أن يعيشوا أشقاء، إذ أنه يحفر بينهما هوة سحيقة لا يفهم الرجال النساء"،[3] والعكس لا ينفي ذلك، حيث يعجز كل منهما على بناء نوع من الانسجام في علاقة التبادل وقيام علاقة متكافئة متكاملة تفتح مجال للتجاوب، والذي يضمن علاقة متوازنة بين الجنسين بعيدا عن عملية الاضطهاد.

---

*. المنمطات: هي إعادة إنتاج الفعل السابق عن الوجود والراسخ في التمثلات والممارسات وفي بنية الفعل ومتميزة بنوع من الدوام، أمّا الترتيبات: هو ما ينتج عن عملية التفاعل من وضعيات مختلفة جزئيا أو كليا عن الفعل النمطي، وقد تكون مرحلية لإمكانية التراجع عنه. شارب مطاير دليلة، رسالة دكتوراه سبق ذكرها، ص14.

[1]. Voir : De Singly François, (2007). Cité O.p. P.p.90-91 ; Kaufmann J-C., (1993), Cité O.p. P.p.70-72

[2]. Mouchtouris Antigone, la femme, la famille et leurs conflit, l'Harmattan, France : Paris, 1998.pp. 17-18.

[3]. فاطمة المرنيسي، تر: فاطمة الزهراء أزرويل، نساء على أجنحة الحلم، المركز العربي الثقافي، نشر الفنك، ط1، 1998.ص254.

1.1. ضعف التفاعل الزوجي بضعف التقسيم الجنسي للمسؤوليات

رأينا مسبقا أنّ، التقسيم الجنسي للعمل هو عمل متكافئ طالما هو تقليدي، تكون الزوجة ماكثة بالبيت، تقوم بدورها التربوي أو التنشئوي وجل ما يتضمن الفضاء الخاص من مهام المنزلية خاصة بالمرأة، والزوج دور خارج المجال الخاص يستوفي بدوره كعائل للأسرة، فيكون نوع من التكامل بين الزوجين من حيث تقسيم العمل والذي هو في حقيقة الأمر ***"يعتبر تعاضد أكثر منه تقسيم للعمل"***.[1]

ولكن هذا النمط من العلاقة لا يمكنه أن يستمرّ حيث المجتمع لا يُعرف في استقراره وإنما في حركيته، ***"يكون الصراع فيه هو مبدأ للتغيير"***[2] على حسب Dahrendorf؛ وينوّه Kellerhals أنّ من أهمّ التغيّرات والتحولات التي تتخلّل العلاقة بين الزوجين وتمسّ الاستقرار الأسري حدوث اضطرابات في نمط توزيع الأدوار، والمهام، والمسؤوليات بين الزوجين، والذي يفتح المجال إلى صراع زوجي،[3] فالزواج الذي من المفروض أنّه يحقّق الانسجام التنظيمي في الأدوار الأسرية بات في الوقت الآني محلّ تطاحنات بين الجنسين، الذي تأخذ فيه المرأة القسط الأكبر من المسؤوليات. يخبرنا المبحوث رقم 12:

"هي عندها مسؤوليات أكبر مني خاصة بعد ولادة الابنة.. **وأنا ما نتجمش نمدّ أكثر.. وعلى هذه ظّل تبعكك،** والهدرة الزيادة.. ماراكش تعاون، **وأنا نعاونها على حساب ما نقدّ** "

إنّ المتخصّصين في علم الاجتماع والعائلة، يؤكّدون أنّ من بين أهم الأسباب التي تضغط على نظام العمل في المنزل بالنسبة للنساء مرتبطة في الفترة بعد ولادة الأبناء والتي تؤثّر بالضرورة على نمط العلاقة الزوجية فتخلق توترات، و**هذا ما يتطلب إعادة بناء نظام العلاقة بين الزوجين بمفهوم أسري وليس زوجي فقط،** حيث كل طرف أصبح له مسؤوليات إضافية في وضعهما كأب وأم، وعليه يتطلّب الأمر إعادة تموضع الزوجان من حيث المكانات والأدوار؛[4] ولكن رغم كل ذلك يبقى الدور الأساسي دائما تابعا للزوجة في وضعها كأم وهي من تتحمل أكبر المسؤوليات ضمن المجال الخاص على غرار دورها كزوجة، -هذا إذا لم تكون لديها واجبات ككنة في علاقتها بأسرة الزوج- أين تشعر بضغوطات، وهذا مايثير القلق والتوتّر في الحياة اليومية والذي يقود إلى ممارسات عدوانية، تكون "محل ردود أفعال سلبية ناجمة لما تعانيه من ثقل يومي متدفّق بأعباء تصل إلى حدّ المِنخر، تفقد القدرة على مواصلة العمل، وكلها تؤثّر على الجانب العصبي وتولّد الشعور بالغضب.[5]

ويؤكّد Welzer-Lang أنّ هذا البناء التّنظيمي الغير متوازن داخل المنزل بين الزوجين يُمكن أن يثير العنف على إثر الضغوطات التي تقتحم حياة المرأة فجأة،[6] أين تعجز على بناء علاقات سيستيمية تكاملية في المجال التفاوضي بحكم أنّ الزوج لا يزال متمسّك بالنظام الجامد التقليدي الذي يحدّد الهويات الاجتماعية للمسؤوليات الذكورية والأنثوية، رغم أن المرأة –في أغلب الأسر- أصبحت لها مبادرة محضة في تحمل أعباء الزوج، وبقيت في نفس الوقت أشغال المنزل مكلّفة على عاتقها لم تستطع التحرر منها -كما رأينا في الفصل الثاني- الأمر الذي يولّد علاقة مضطربة بين الزوجين من حيث تقسيم المسؤوليات الأسرية، والذي يكبح بالضرورة عملية التعاضُد الزوجي، أين يكون طرف مُضطهِد والآخر مضطهَد عليه، وتكون المرأة هي الفرد المنقِذ والذي يضمن جو سلس باستوفاء جميع الانتظارات الأسرية، و"عندما تصل الأمور إلى حدود إزهاق الطرف الآخر فلابد من التسليم بأننا

---

[1] . محمد مصطفى الشعبيني، علم الاجتماع: دراسات في علم الاجتماع، دار النهضة العربية، القاهرة، 1974. ص.51.
[2] . صالح خليل الصقور، أثار التفكك الأسري على النظام الاجتماعي العام، دار زهران للنشر، الأردن، 2013. ص.11
[3] . Voir : Kellerhals Jean, O.p. Cité, P.122
[4]. Voir : Kaufmann Jean-claude, (1992), Cité O.p., P.53.; Diane Drory, L'enfant et la séparation parentale, Ministère de la Communauté française, Bruxelles, Juin 2009. P.9
[5] . Voir : Kellerhals Jean, C.p., P.p.125-127
[6] . Welzer-Lang Daniel, les hommes battus, Empan, 2009/1 (n°73). P.87

أمام معضلة كبيرة ومعادلة صعبة في السلوك البشري والذي يؤثّر سلبيا على التوافق الزوجي"[1] حيث تغيب الحياة الزوجية المشتركة.

إنّ هذا التفاعل الزوجي اللاسيستيمي والغير متكامل من حيث تقسيم العمل وتوزيع المسؤوليات يعتبر من أهم الأسباب التي تخلق صراع زوجي والذي برز بقوّة في الدراسة الميدانية، إذ أنّ الجدول رقم 13 يوضّح أنّ 23,81% من جل المبحوثات يعانين من اللامساواة في توزيع المهام ضمن العلاقة الزواجية، وأكثر من ذلك **هو من أكثر العوامل التي تعيق التواصل والاتصال الزوجي**، فتُبنى بذلك علاقة متباعدة بين الجنسين وهذا أكبر ما يثير حنق الزوجات بقوّة وتستدعي الإستياء في علاقتها الزواجية، حيث 33,33% **من التوترات التي تؤثّر على المرأة سببها الشعور بالتباعد الزوجي** (راجع الجدول رقم 13) والذي يؤدّي بالضرورة إلى نشوب العنف في علاقة فِعل وردّ فعد معاكس بين الزوجي، وعليه فالعنف مستمر ومتواصل بمواقف مرتبطة فيما بينها، والكل يترجمها على حسب مبادئه، واتجاهاته، ومعتقداته الخاصة، تثير الخلاف مع الطرف الآخر؛ فما نريد الإشارة له، في أغلب مواقف العنف الزوجي مضمونا يوجد عوامل اجتماعية أخرى غير بارزة أدّت على مدى سيرورة الحياة الاجتماعية إلى مرحلة ضعف التواصل الزوجي، وما يسبقه من ضعف علاقات التآزر في مواجهة مشقات الحياة الاجتماعية أين يغيب التقسيم الجنسي المتكامل بين الزوجين. بتعبير آخر، التقسيم اللامتكافئ للمسؤوليات الأسرية، خاضع لعوامل مُضمرة مبنية اجتماعيا، والذي يقود إلى علاقة زواجية واهية مع تراكم مواقف التعنيف الزوجي.

1.1.1. العوامل التي تولّد التقسيم اللامتكافئ للمسؤوليات الأسرية

أ. عوامل مرتبط بانحياز الزوج للأسرة الأصلية

إنّ الرجل المطلوب عند الزوجة هو الرّجل المتقرّب منها ويتحمل مسؤولياته الأسرية، وهذا ما صرّحت به المبحوثة رقم 25، والتي وجدت الشخص المنضبط في علاقته بها، فهو إبن لعائلة في حدود وزوج وأب يلعب دوره على أكمل وجه وبإنصاف، فتَعتبر الزوجة أنّ علاقتها بالزوج هي علاقة ذو نوعيه جيّدة مُوضّحة في تصريحها:

"في العمل المنزلي أنا ندير كلش.. غير القراي تع الدراري هو يقريهم ويقعد معهم، والمسواق عليه.. هو دارهم مهبلينه وتاكلين عليه.. روح شريلي، روح جيبلي.. حتى زعف وأنا نقوله ماعليه، **ولكن لمّا يْكَثْروا نعطي له ملاحظة**."

إنّ من الواضح أنّ العلاقة الزوجية المتوازنة هي التي تضمن علاقة سيستيمية متكاملة تخضع لنظام التعاضد الزوجي، تكون الزوجة فيها قادرة على التوفيق بين مسؤولياتها المنزلية والمهنية – إذا كانت عاملة؛ فالجدير بالذكر في نفس سياق الحديث أنّ المرأة أصبحت معيلة بجانب الزوج حتى ولو أنها ماكثة بالبيت، تحاول القيام بعمل منزلي تجني منه ربحا، يعطي لها نوع من الدينامية في علاقاتها التفاعلية الزوجية- بجانب الزوج المستوفي لجميع مسؤولياته الأسرية؛ ولكن في حالة ما إذا اضطرب هذا التنظيم البنيوي الأسري فسيؤثّر سلبيا على التقسيم الجنسي للمسؤوليات الأسرية أين الزوج يركّز على دوره في وضعه كإبن تاركا هوة في وضعه كزوج ووالد ضمن الأسرة النووية؛ وهذا ما يثير غيظ الزوجة حيث تترجم شدّة انحيازه للأسرة الأصلية على أنها لا مبالاة لها، ولأبنائه، وهدر لواجباته اتجاهها، أمام الواجبات والمسؤوليات التي يتوجّب عليها استوفائها في غيابه بفعل الضّغط، مستكملة جميع الانتظارات المتوقّعة منها. يشير المبحوثون:

"كان يعاونهم في البنيان تع الدار.. كل يوم تمّ عندهم، وأنا نشري ونسوق ونطيب ونقري الدراري ونبكّر ونروح نخدم.. وهو من خدمته يروح عندهم مباشرة. قال لك يقابل masson !. ولكن.. كل يوم كل يوم!. حاسبته ونَضْنْنا دّابزنا؛ قالي والدي ونوقف معهم. ولكن باش ريك واقف معهم ريك من جهة سامح فينا. خاصهم يعرفوا بلّي راني أنا نخدم بلاصتك في الدار باش بّاك ومّاك صابوك libre، وهم ماعلابالهمش

---

[1] . شكري عبد الحميد حماد، القتل للخلافات الزوجية، المؤتمر العلمي الدولي السنوي الخامس لكلية الشريعة، حالات القتل في المجتمع: الأسباب والعلاج من منظور اسلامي اجتماعي وقانوني، جامعة النجاح الوطنية، فلسطي، 2015. ص.84

المهم ولدهم راه معهم.. ماعجبوش الحال. إيّا تعرف ما نشريش وما نروحش للسّوق. كان عندهم، عيّطت له وصَمَّت عليه، قلت له: خاص ديك الصالحة وديك الصالحة، قال لي قول زعما للولد، قلت له راه يحفظ - بالاك خاصوا الدراري يبطلوا قرايتهم باش يقابل والديه- إياّ قالي راني ماجي!" (المبحوثة رقم 14)

"الله غالب هذوا خواتاتي وخِيرهم سابق.. ماعندي ماندير.. وهي تشعر أنني مُهتم بهم أكثر من اللزوم.. وهي تشعر بالضغط أكثر منّي" (المبحوث رقم 12)

والضغوطات التي تعيشها الزوجة من جرّاء تعدّد أدوارها ومسؤولياتها ضمن علاقات التفاعل الأسرية ***تجعلها امرأة مشاكسة مُزعجة ومتفجّرة في علاقتها بالزوج الذي تريد أن يبادلها الحياة المشتركة،***[1] بعدما تجد نفسها تلبي احتياجات الأسرة النووية بمفردها إلى أن تعجز عن تلبية كل الرغبات الجماعية، ورغباتها الخاصة تحول دون التوصل لها؛ ولإثارة التوازن ترى أنّ المواجاهات والمقاومات أصبحت ضرورية ضدّ الزوج ليُضبط في ترتيب مسؤولياته حسب الأولويات بإنصاف.

إنّ التواني عن تقديم يد العون في العلاقة الزوجية أمام كثافة المساعادات التي يقدّمها الزوج لأسرته الأصلية بصفة أولوية، من الممكن أن تولّد معضلة زواجية كل منهما يكون تحت الضغط بصفة مباشرة أو غير مباشرة؛ فإنّ الزوج الذي يكون تابع لجماعة دون الأخرى ومنحاز لعلاقة يعتبرها أكثر قداسة من الأخرى، يكون موجّه بعنف رمزي يجعله يتخاذل عن استوفاء مسؤولياته في علاقته بالأسرة النووية، وهذا ما يولي إلى ممارسة العنف ضدّ الزوجة بصفة مباشرة، حيث يَصُبّ مسؤولياته عليها ككلّ إلى أن يستنزف قواها معنويا وماديا، يسلبها من حياة زوجية مشتركة مُتساندة لمواجهة ظروف الحياة الاجتماعية اليومية؛ والجماعة الأسرية الأصلية تتجاهل الموقف وتُحبّذ تملّك الابن بصفة خاصّة، وإذا كان هناك أيّ إعتذار موجّه من طرف الزوجة فهذا قد يُترجم بالإجماع نيتها في الإستحواذ على الزوج ومنع الجماعة الأسرية من امتيازات ابنهم المادية والمعنوية.

"بقيت نخدم ونعاونه ونعاون راسي.. حتّى بقى يتكل على دراهمي.. ما يسوقش حتى نصيب راسي أنا نخرج وأنا نسوّق.. والديه ماعلابالهمش بيك. ولكن هم كي يستحقوه تم تم يكون عندهم.. إذا في دْراهم أو في حاجة أخرى: خاصنا ديك الصالحة، عبّي، جيب، وصّل، أشري.. جي تهدر أو تشتكي ! ما تنجمش. وهو ما يسمعلكش." (المبحوثة رقم 13)

وعليه نشير تبعا للدراسات الذي أجريت في الأسرة الألمانية ومنها لـ Müller وSchröttle والتي أكّدت أنّ العنف يكون أقل تواترا ضمن العلاقة الزوجية بوجود تقسيم متساوٍ للمهام الأسرية.. ونفس النتيجة توصلت لها دراسات في فرنسا والتي اهتمت بتأثير التقسيم للمهام بين الزوجين وعلاقته بالعنف، فتوصلت إلى نتيجة تبيّن أنّ الشعور بالرضا يكون قويّ كلما كان هناك توزيع متساوي ومتكافي للمهام بين الزوجين،[2] وكلّما استخفّ الفرد بمسؤولياته كزوج وكوالد كلّما نتج ضعف في علاقات التآزر الزوجية، والتي تحول دون قيام علاقة تفاعل زوجية موفّقة في نطاق التبادل الوظيفي؛ وهذه الأخيرة تصبح أكثر تأزما إذا انصرف الزوج إلى الاندماج ضمن المحيط الاجتماعي العام بحكم قواعد التنشئة الاجتماعية الأسرية التي تضبط كلا الجنسين من حيث تقسيم الأدوار والفضاءات.

ب. عوامل مرتبط بالتنشئة الاجتماعية

ب.1. التصورات الاجتماعية لأدوار الجنسين

إنّ التقسيم الغير متكافي بين الزوجين يولّد تفاعل ضعيف بينهما، والدور التنشئوي الأسري للذكر والأنثى له الأثر البالغ في الفصل بين الجنسين، حيث أنّ الأدوار الاجتماعية لا تزال قيد التقاليد الاجتماعية لنظام الأواصر، ولا تزال تحت المراقبة الاجتماعية، حيث تخبرنا المبحوثات:

---

[1] . Voir : Maranda Pierre, Dialogue conjugal, O.p. Cité.

[2]. Schar Moser Marianne, La violence dans les relations de couples : les causes et les meurs prise en suisse, B.F.E.G. 2008. P.23-24

"بالنسبة للمساعدة في المنزل: يخمّل، يمسح الطاولة.. زوجي **يعاون ولكن يخاف توصل للأم بلّي عاوني**. ولكن هكذاك وماشي حتى لتمّ؛ كيما النهار لي رسلني نقضي دارهم عملت كلش وحدي مادرَبش معاي دَرْبة" (المبحوثة رقم 7)

"حا الخطرة **ختنتي ماكانش في الدار**.. وأنا كنت نتوحم بولدي الأول، وقوايمي يوجعوني. **ناض راجلي يطيّب**.. سلفتي شافتني.. قالتها لختّنتني (الحماة).. إيوا آجي تسمع! ماخلاّت ما حطّتلي من كلام" (المبحوثة رقم 6)

من خلال هذه التصريحات يتوضّح أنّ كل زوج إلاّ ويتوجّب عليه اجتماعيا أن يلتزم بالمعايير التي تحدّد مسؤولياته الأسرية تبعا لنظام تقسيم الفضاءات الاجتماعية، فكل ما يخصّ المجال المنزلي هو من مسؤوليات المرأة من حيث الأشغال المنزلية وتربية الأبناء، أمّا الزّوج فعليه تلبية المتطلبات الأسرية ولا يستلزم عليه الانسياق نحو القيام بالأعمال التي تبقى من أولويات الزوجة، وإذا قام بها فلا تعتبر إلاّ مبادرة خاصّة لجلب رضا الزوجة ليس إلاّ، وتجنّب أي عنف زوجي وارد بخصوص الموضوع؛ ولكن نشير أن الزوج في كل الأحوال "لَن يفلت من استقبال العنف بصفة مباشرة حيث يكون ***الرجّل تلميذ للزوجة*** أين تقوم بمعاتبته تحاول توجيهه في الأمور المنزلية، فغالبا الرجل ليس له الرغبة في الالتزام بالمهام التي يعتبرها نسوية، وفي الأكثر من الأحيان يرفض قطعيا تقديم أي نوع من المساندة[1] حتى ولو كانت بسيطة، الأمر الذي يصبح محلّ ازعاج للزوجة -خاصّة إذا كانت امرأة عاملة تعدّدت مسؤولياتها-. فباستياء تخبرنا المبحوثات:

"أنا دروك كي نمشي للدار نصيب كلّش يستناني.. فنجان تع قهوة لي شرب فيه هو مايخسلوش. **ليّه ! ماشي حرام ! نقولوا حرام.** ما يعاونيش، **وهذا اللّي يخليني أتعصّب منه**" (المبحوثة رقم 4)

"هو عنده قشه يقيسه، والغسّالة تغسل.. والله الكاس لي يشرب فيه يبقى في الطّابلة ما يرفدهش. هذا نَعتابره عُنف.. أنا كلش.. يقول لي غسلي مّاعيينَك ودبري راسك" (المبحوثة رقم 15)

وتحكي المبحوثة رقم 13 مُصرّحة بقوّة في طريقة الكلام وبغضب: "لو كان أنا مانَقْضِيش الدّار، هو لاّ، ماعلابالوش.. ونزيدك يحلّ باب الخزنة أنا نبّلعها موراه، يْسيِّب قشّه.. نغيب لدارنا أو نروح عند أختي في العاصمة –أسبوع تقريبا- ياكل ويخلّي الماعن.. يزيد يَجْبد المَّاعن تع الضّياف.. نولّي للدار نصيبها كَشْفَة.. كامل هذه باش نقولك **في الدّار ما يرفْط ما يْحُط غير أنا**، نقول له بعدا غير الدراري قرّيهم أنت.. زعما ماشي صوالحوا.. **نظلّ نزكّي**."

من خلال تصريح المبحوثات يتبيّن أنّ الزوجات تدخل في علاقة تفاوضية مع أزواجهن غالبا ما تكون معنِّفة لهم لتعديل سلوكياتهم في البناء التنظيمي المنزلي، و"أغلب هذه السلوكيات على حسب Welzer-Lang مرتبطة بالعلاقات الميكروتفاعلية بين الزوجين اليومية، والبارزة في توزيع السلطة، والانتقادات التي توجّهها النساء لأزواجهنّ، هي انتقادات خاصّة بتصرفاتهم داخل المنزل من حيث: طريقة إرتداء ملابسه ورميها في ناحية، عدم مساعدتها في أشغال المنزل، الشّك المتداوم في وفائه.. قضاء وقت طويل أمام التلفاز.. إلخ. وكلّها يمكن أن تُعلِن على عنف لفضي ضدّ الزوج أو جسدي يتمثّل في قَذفِه بأشياء، أو نفسي[2] أين تضغط عليه مُحاولة إعادة بناء شخصيته ضدّ إرادته بما تتطلبه ظروف حياتها الزوجية، وكأنه يدخل في تنشئة اجتماعية أسرية متأخّرة تريد الزوجة تغيير تصوّره الرجولي حول ذاته بتغيير معتقداته التقليدية الضابطة للأدوار الجنسية، وكلما اشتدّ هذا التصور كلما نتجت قساوة التعامل، والتي تعيق العلاقة السيستيمية التكاملية بين الزوجين.

فتخبرنا المبحوثة رقم 18: "عندما يأتي للدّار، يتوضّأ ويصلّي إيا ويقابل التلفاز.. يْنغّشني، ويقولي أنتِ راكي ديري في المشاكل !.. نوض نزعف ونزكي **ونعطي له الملاحظات.. نقعد أنا نقول له شّا دير وشا ماديرش**.. يقولي أنت صعبة" (البحوثة رقم 18)

ويضيف المبحوث رقم 12: "الله غالب.. نعاونها كي نقدّ.. هي تقولي أنا "أنانيّ"، وأنا ماشي أنانيّ، هي تْبان لها ما نْدير لهاش خاطرها ولكن أنا تبان لي بزاف عليك.. ولكن أنا نضرب كي نتنارفة نضرب، أنا

1 . Kaufmann Jean-claude (1992), Cité O.p. P.p.221-225

2 . Welzer-Lang Daniel, les hommes battus, Empan, 2009/1 (n°73). P.87

لست عناديّ، ولكن هي تعاند وتوصلني حتى ندير مشكل وأتهور. من المفروض أنتِ عارفة زوجك عصبيّ، ما توصلينيش للمحال، ومن بعد تقولي شوف أنتَ كي داير"

في عقب هذا الشجار، لا يرى الرّجل سوى سلوك الزوجة المتصلّب والعدواني والمتشدّد في طريقة الكلام، ويتجاهل مضمون الرسالة الموجّهة له بطريقة معنِّفة، غرضها إدماجه في الحياة الزوجية المشتركة، فتصبح هي المتهمة الأولى في خلق التشاحنات، باعتبارها تثير المشاكل وتنشب الصراعات بدون أي سبب، **فهي تفتعل معضلة لا تستحق النقاش بحكم البداهة الاجتماعية**، حيث كل طرف إلاّ والطبيعة حدّدت له مهامه ومسؤولياته الخاصة ضمن البنية الأسرية لا يمكنها أن تتغيّر، وهذا ما يحيل إلى ممارسة مختلف مظاهر العنف ضدّ المرأة إذا ما انساقت نحو توكيد اتجاهاتها.

وعليه فردود أفعال الزوج ضدّ الزوجة وكل ما يوجّهه لها من اتهامات في افتعالها للعنف هي على حسب Kaufmann غير مرتبطة بوضعيات نفسية، وإنما اجتماعية نابعة من سيرورة تاريخية يستبطن فيها أفراد المجتمع سلوكات متوارثة ثقافيا من طرف الجماعة، والتي تقوم ببناء الهوية الفردية بتوجيه انطباعات حول الذات يتعرّف الكل من خلالها على نفسه؛ وعليه فالفرد بكليّته ينشأ بعاداته... ويتشكّل لديه شيئا فشيئا مجال معرفي أساسي من التقنيات والمهارات والكفاءة... فيكوّن ذاكرة مستقرّة للهوية الفردية تترسّخ عن وعي، وكل الأفكار والسلوكات التي اكتسبها هي عبارة عن أوامر مستبطنة يصعب تغييرها، ولهذا تُردّد العبارة « هذا أقوى منّي»"[1] أو **"الله غالب"** –على حدّ تعبير المبحوث رقم 12 أعلاه- لا يمكن أن يعطي أكثر مما تستحقه إرادته الذاتية، فهو لا يقوم إلاّ بما تمليه عليه معتقداته التي تطبّع عليها، ولهذا رغم أنّ "دور الرجل بدأ يتبدى في عالم الأشغال المنزلية بخطوات خفره وقليلة، إلاّ أنّها، لا تكفي لإسقاط التصورات البديهية المبنية اجتماعيا منذ قرون مضت؛ فقد تكفَّل إلاّ ببعض المهام الطفيفة والتي يعتبرها الزوج من أضخم الأعمال التي قام بها، حيث يكرّر دوما قصّة الأعمال الصغيرة التي يقدمها للمساعدة لأنها من المفروض ليست من اختصاصه، وليست من التصرفات الاعتيادية له.[2] إذ تخبرنا المبحوثات:

" زوجي ماراهش خويا ولاّ بويا، يأتي اليوم الذي يملّ ويكره.. كي مرضت دخلت للمستشفى قال لهم صحّ أنا نقابلها، وقال لأختي الصغيرة أنت قعدي غير مع دراري، ولكن لمّا خرجت من بعد أسبوع يقلّع لي.. **وراجلي فيه حاجة لو كان يرفد معاك حاجة، يقعد يفكّرني بيها على طول العام**" (المبحوثة رقم 1)

وتشير المبحوثة ياء[3] في ملاحظة ميدانية: "تعّرفي يشدلي –الزوج- البنت.. يوكّلها، أو يعطيها الحليب.. يقول لي: شوفي راني قابطها لك، باه تتفكري بلّي عاونتك !.. تحّسبي بنتي وحدي. ما يبغيش يعاوني فيها يشدّها غير بالسيف"

وعليه وبناءا من كل ما سبق نشير أنّ علاقة التفاعل الزوجية التقليدية بمدأ التقسم الجنسي الصارم للعمل مرتبط بضمون أكثر تعقيدا يولي إلى العنف الزوجي، لا يمكن أن يفرّ الزوج ضمنه من ضغوطات الزوجة، حيث كما أنّ الرّجل يرفض القيام بالأعمال المنزلية الخاصّة بالمرأة لاعتبارات اجتماعية سوسيوثقافية، فكذلك *ترفض الزوجة القيام بالمهام التي تعتبرها من المفروض هي خاصّة به،*[4] أين ينسحب عن أداء واجباته الأسرية كرجل مسؤول بجانب المرأة. وبهذا من الممكن أن نقول أنّ "الرجل سيّان المرأة، كلاهما مُفخّخان "piégés " حيث أنّ المجتمع مؤسّس على نحو تقليدي، والقوانين مشتركة بأكثر وضوح: هي التي توجّه إلى القيام بالفعل.[5]

ب.2. المسؤولية الأسرية تُكتسب اجتماعيا

[1] . Kaufmann Jean-claude (1992), Cité O.p., P.p.145-229-234

[2] . Voir : Kaufmann Jean-claude (1992). Cité O.p., P.p.18-138

[3] . من مواليد 1994 متزوجة لمدّة أربعة سنوات، لها ابنة تبلغ من العمر سنة، ماكثة بالبيت، مستوى جامعي.

[4] . Voir : Kaufmann Jean-claude (1992), C.p., P.p.138

[5] . Kaufmann Jean-claude (1992), C.p., P.p.229-234

رأينا مسبقا في الفصول التي مرت معنا كيف أنّ المرأة تُجهَّز منذ طفولتها إلى اكتساب الأدوار الاجتماعية الخاصة بها في علاقتها بالأم، وتقوم بتنشئتها لأن تكون زوجة وكنّة متحملة أعباء الحياة اليومية، حيث تكوِّن انطباع حول ذاتها كيف تصبح امرأة مسؤولة عن أسرة، فتتصلّب في فترة مبكّرة؛ أما الرجل فيكون تحت تصرف الوالدين غير مقيّد بواجبات أسرية إلى غاية فترة الزواج، ولربّما ما بعد الزواج أين الوالد يكون هو ربّ الأسرة في سكن مشترك؛ وفي بعض الحالات هذا النمط الأسري الأخير يعتبر من بين الأسباب التي لا يتقبّل فيه الزوج فكرة الانفصال عن الوالدين، يرفض بناء أسرة منفصلة عن السكن الأبوي، يعجز عن تحمّل مسؤوليات أسرية تفوق إراته وطاقته الشخصية، وهذا ما لا تتقبّله الزوجة؛ فتحكي المبحوثات عن علاقتهن بأزواجينّ المُستدعية للإستياء:

"شيخي هو قايم... وما يبغيش يغبن أولاده، وحتى عجوزتي ما تبغيش على أولادها.. **زوجي ما يعرفش للمسؤولية**.. ما بغاش باه نديرو دار وحّدنا" (المبحوثة رقم 2)

"هو في دارهم ما يعمل والوا.. حتى لّي تزوجت، النساء يقوموا بالرجال، ولمّا سكنا وحدنا، نهدر معاه وهو ماحاصيش وهذه لي تغلغلني مرات.. أنا نعمل كلشي حتى lavabo أنا نسقدوا؛ نسڤّد حتى les prises تع الضوّ.. **أنا ملّي كنت صغيرة ندخّل راسي في هذه الأمور، كانوا دارنا يتكّلوا عليّ**.. ولكن هذه المرة خليتوا هاكذاك بْلى مسواق. قلت له والله ما راني مسوقتها، إيا ناض في خاطروووا وراح حتى مع 11 يتسوق وأنا طيّبت حتى لـ12، زعما حتى نهدر ونكسّر راسي.. هو ما يعمل والوا غير الدخان والبالكون.. وأنا القضيان تعرف fin de journée نولي شرويطة.. ونزيد خاصني نخدم خدّمتي –الخياطة-. تغيضني.. ونوصل ندابز معاه.. نقولوا حبيت طرطقلي عرق في راسي؟ !، الدّرك طايح علي أنا.. وهو يقولي بالزعاف مالكي مالكي؟!" (المبحوثة رقم 27)

إنّ روح المسؤولية يتطبّع عليها الفرد، فهي مكتسبة منذ الصغر باكتساب جلّ الأعمال والأشغال التي قد تنفعه شخصيا، وتعود بالفائدة لجميع أعضاء العائلة؛ فكما ورد في حديث المبحوثة رقم 27 أعلاه أنّها لم تحصر نفسها في مجال نسوي ضيّق، وإنّما بادرت حتّى في الأشغال التي تُعدّ اجتماعيا من اختصاص الرّجل، فأصبحت بالتالي امرأة تتميّز بشخصية قوّامة مُعتمد عليها في المجال الأسري، ولهذا: **"كانت تقول لي الأم: كل شيئ تْصِيبوا (تجده) في يدّك.. كنت أحب نتعلّم كل شيئ وندخّل راسي في كلّ شيئ"** على حد تعبير المبحوثة رقم 14.

وعليه ينوّه Kaufmann أنّ ماضينا الاجتماعي يقود الحاضر في سلوكات الجسد، بدون وعي أو أقل وعيا؛ ويعبِّر ضمن نفس المضمون Mauss أنّ تكويننا مرتبط بالتعوّد وما نحمله في ذاكرتنا من البداهة التي تشكلنا،[1] وبحكم هذه الأخيرة كلّ فرد يتصرّف في علاقته بالآخر بما قد تطبّع عليه من ممارسات اجتماعية قد تكون إيجابية تضمن الإستقرار للبنية الأسرية في عمليات التفاعل، وإمّا أن تكون سلبية تولّد علاقات غير منسجمة وغير متكاملة، خاصّة من حيث التقسيم الجنسي للعمل والذي يؤثّر على العلاقة التفاعلية الزوجية. فتحكي المبحوثات:

"تقسيم العمل فيه توترات غير أنا.. سامح.. **ليس لديه روح المسؤولية كرب أسرة، جَايب عقلية تع مازال راه عازب**.. أنا ندير المارشي أنا نصرف أنا كلشي نديره.. **هو لو كان يصيب لا يقوم بشيئ**، والوا والوا.. مرات كي نتعصب نعايره في صوالح: عديم المسؤولية، علاقته مع الابن غير فعالة. وعلى شخصيته: فنيان، ماشي قافز، مالك داير كيما هاكة، ماشي أب.. هو **كبر مقلّش..** عجوزتي ماربّاش ولدها مْليح... تعرف ما يحبش نروح لدارنا ماشي زعما ما يبغيش نكون بعيدة عليه، تتلفله في الدار: الفطور، غسيل الماعين، هو مايدير والوا" (المبحوثة رقم 18)

"راجلي عديم المسؤولية، **مّاه تقولي هو هكذاك، من لي كان صغير لا نتّكل عليه**.. تعرف طبايعوا ما شي نيشان مّاه ماربّاتوش: يدوّش خاصوا أنا نوجّد لوا الدّوش ونحجّر له الماء... **مقلّش**.." (المبحوثة رقم 13)؛

ويُقرّ المبحوث رقم 1 في حديثه: "هي كلّش، لا أبادر بأي شيئ.. وأنا منتهلاش عمري ما قابلت الدار.. عندي هذا المشكل مطروح، وربما **المشكل الكبير هو أنا**.. هي تعاير: أنتَ لي المُقرف و**الفنيان** والبخيل."

[1] . Kaufmann Jean-claude (1992), Cité O.p., P.24

إنّ ما تمّ ملاحظته في خطابات المبحوثين كلماتٍ متكرّرةٍ، تردّدها الزوجات على أزواجهنّ: "مقلّش، فَنيان، ماشي قافز، عديم المسؤولية"، وكلّها مفاهيم تثير الإستياء ضدّ الزوج باعتباره فرد مُتّكل على الغير، مدلّل، ليس له الاستعداد لتحمل أعباء ومسؤوليات الحياة الزوجية، غير معتمد على نفسه ولا يمكن الإعتماد عليه؛ وهذا الزوج *يكون في علاقته بالزوجة في وضعـيَّة الرّجل الطفل الذي تعوّد على أن يلقّي كل شيئ جاهز من الوالدين* خاصّة الأم *ويتوقع الانتضارات نفسها من الزوجة في استوفاء مطالبه*[1] وفي هذه الحالة الزوجة تعتبر أنّ مطالبه قد فاقت الحدود أمام عجزه على توفير مطالبها الخاصّة التي كانت تستقيها من الأب، فهو رجل يعيش تحت رعاية الزوجة بدون تقديم أي خدمة لها أين تشعر بفقد الوحدة الزوجية.

وعليه فإنّ المسؤوليات الزواجية بين الزوجين لا يمكن فهمها بعيدا عن مسار علاقة أم/إبن، وعلاقة الابنة بالأب، وما تتضمّنه هذه العلاقات من إسقاطات تصوّرية لمعنى الرّجل والمرأة المستقبلية؛ فأمّا علاقة الابن بالأم فيشرحها ويفسّرها Kaufmann من خلال غسيل الملابس، وهذا ما يوحي بالحضور القويّ للأم في الاعتناء بابنها، فما نَعرفه من المجتمع منذ وقت طويل، الرجل كان تابع لنساء العائلة فيما يخصّ الملابس، وبعد الزواج يمرّ من علاقته بالأم إلى الزوجة، وهذا يعني من امرأة إلى أخرى... وقبل أن تستقر العلاقة الزوجية وينشأ الرابط الزوجي بعد مدّة، وغالبا ما تكون طويلة بعد الخروج من المنزل الأبوي، يبقى الزوج مرتبط بالأم بصفة قوية... وضمن هذه الظروف العلاقة أم/إبن لا تمثّل تعوّد على الماضي، ولكن التمسّك بالعلاقة الوجدانية التي تربطه بالأم والتي تطوّرت من خلال ما تقوم به الأم في الاعتناء بملابسه،[2] مما يدعوا إلى تصوير انطباعات حول المرأة التي قد تعوّض الأم فيضمن نفس الاهتمام الذي كان يلقاه في وقت سابق؛ والزوجة بحدّ ذاتها لا تخرج من هذا الإطار التمثّلي، فهي كذلك لها توقعات اتجاه الزوج في دوره داخل المجال الأسري، فمن البديهيات وما اكتسبته في علاقتها بالأب أن الرجل هو من يتكفل ببعض المسؤوليات المنزلية، زيادة على دوره في جلب القوت؛ ولهذا تعجز الزوجة على استيعاب المجال المنزلي بتقمّص الأدوار الاجتماعية للرجل (إصلاح قنوات صرف المياه مثلا، إعادة بناء أو ترميم المنزل... إلخ) فهي أعمال ليست من عاداتها، ولا من طبيعة تكوينها –رغم ما تبادر به من مساندات ضمن نفس المجال، فتبقى دائما عبارة عن مهام بعيدة عن تصوّرها لذاتها- ولهذا لا تتقبل دورها المزدوج إلاّ بصعوبة كبير.

وفي هذه الظروف المعيشية –أثبتت لنا الدراسة أنّ- الحياة الزواجية تصبح قاسية للمرأة، تشعر بضغوطات لا تتحملها، فتصبح حياتها جحيم بعد محاولاتها في جذب الزوج إلى مهامه المنزلية، أين يدخلان في علاقة صراع عنيفة يكون الزوج مستقبلا لأحكام لاذعة تعيد اللوم للوالدين باعتبارهما مسؤولين على بناء شخصية فرد في مجتمع يتوجّب أن يكون له فيه دور قيّم في الحياة الأسرية حيث تعتبره مُهمِل لأسرته، عاجزا عن مواجهة ظروف الحياة اليومية الصعبة والشّاقة بصفة مشتركة معها، و"هذا الزوج –المدلّل والإتكالي- إذا ما جابهته مشكلة أو إذا كانت زوجته من النوع العنيد فإنه سرعان ما ينهار ويعجز عن التصرف،[3] **ويحمّل الأعباء الأسرية وكذا مسؤوليات أخطائه على الزوجة**.

–تحكي المبحوثة رقم 6 وهي تبكي- يقول ليّ الزوج: أنا ماخاصنيش تقولي لي مشكلة هذه أو هذه.. هو لا يشتري لأولاده أي شيئ: لا القش تعهم ولاّ الماكلة، ماعلابالوش أصلا.. غيل أنا راني بونيشة، راجلي قع مامقيمنيش ويضربني حتى يزرقني.. **ولكن هذاك فشّوش (دلال أمّه) مّاه مْفشاته. تقول لي: أحنا مانهدروش معه**... تقول لي: هو الوحيد في أولادي لي مانهدرش معاه، **مانزكيش عليه غالط أو نيشاش.. هي ماتبغيش عليه**.. وعندما يتدخل الأب يربّيه ختنتي ما تبغيش عليه.. والوا ما تقولش تزيّره.. وصل بآه

---

[1]. أنظر: Marande Pierre، مرجع سبق ذكره؛ أظر كذلك: عبد الخالق محمد عفيفي، بناء الأسرة والمشكلات الأسرية المعاصرة، المكتب الجامعي الحديث، بورسعيد، 2011. ص.ص.273-274

[2] . Kaufmann Jean-claude (1992), Cité O.p., P.p.36-38

[3]. عبد الخالق محمد عفيفي، مرجع سبق ذكره، ص.ص. 273-274

كان يطرده.. -حماتي- تقول له غير هو أو أنا. ما تحبش على ولدها. تقولوا غير يخرج من هنا ألحقه من هنا"

ما لاحظناه في تصريحات جل المبحوثات التي مرت معنا، وما تجلّى في الحديث الأخير، الزوج لا يعطي اعتبار لمكانته كربّ أسرة، ليس له القدرة على المنح والعطاء لا المعنوي ولا المادي، لا يشعر بروح المسؤولية، يمكن أن نقول أنه يحمل شخصية غير سوية من خلال المعايير التي قدّما محمد مصطفى الشعبيني في موضوع "التوافق والشخصية"، مبرزا أن الشخصية السليمة مكتسبة في مراحل التنشئة الاجتماعية في علاقته بالوالدين والأسرة عامة، أين يكتسب روح المبادءة والاحساس بالإنجاز والإتمام، ويتحمّل مسؤولياته. وإلاّ فسوف يصبح شخص يشعر بالاستقلالية الذاتية إلى حد أنه لا يشعر بالوِدّ والألفة، مُنغمس في الذات وبالتالي يشعر بالأنانية"؛[1] والفرد يصبح أكثر اضطرابا في نمط الشخصية إذا كان كثير الدلال، فعلى حسب سليمان مظهار أنّ هذا الأخير هو بمثابة فرد مُتعرّض للإهمال غير مضبط إجتماعيا لم يتلقى معايير السلوك ضمن علاقات التفاعل الأسرية ولم يتعلّم قوانين التعامل والنظم الاجتماعية، وحدود تفاعله مع الآخر، ينشأ إنسان غير مسؤول، حرّ نفسه، إلى أن ينحرف اجتماعيا، فيتخطى معايير وظوابط المجتمع، لا يشعر بالذّنب ممّا يخلّفة من عنف، وهذا النوع من الإنسان لا يعتبر نفسه أنّه خارج عن القانون،[2] فلا يمكن ردعه في مرحلة متأخّرة من العمر بعدما أصبحت الأم حامية له بصفة مطلقة، مانعة أيّ عقاب يوجّه ضدّه حتى من طرف الأب، تُخفي ما يَنتج عنه من سوء ومن سلوكات غير سوية والمخلّة لاستقرار البنية العائلية، إلى أن ينحرف عن النظام التراتبي للمؤسسة الأسرية فيتميّز بالرّعونة لا يبالي بوجود لأي سلطة لا الرّوحية منها ولا الزّمنية، أين الزوجة تكون ضحيّة تنئشة أسرية معنِّفة للزوج لم يتعرّض أبدا للتثريب، والتأنيب، والتوجيه الأسري، ليكون فرد منظبط في علاقته الأسرية، حيث يصبح: "**المجال الذي يرهق بالأكثرية، هُو بالذّات كزوج**" على حد تعبير المبحوثة رقم 16، وتضيف المبحوثة رقم 23: "**أكثر مجال يرهقني، المسؤولية المنعدمة للزوج**".

- **الرجل الراشد هو الرجل المسؤول عن الأسرة**

إنّ المسؤولية الأسرية التي من المفروض أن يتطبّع عليها الرّجل لم تكن مُضبطة مثلها عند المرأة، فما هو مُقيّد به اجتماعيا في تنشئة الرجل أن يكون "*متميّز بالرجولة من حيث السيطرة والهيمنة ضمن العلاقة الزوجية*"،[3] رغم أنّه ما ثبت عبر التاريخ، هذه الرّجولة مميزاتها الأساسية مرتبطة بمدى تحمّله لمعضلات الحياة الاجتماعية(*) حيث أنّ الرجولة تتجاوز القوة والسلطة، وفرض الفروض، فـ"معاني **القوّة والسيادة للرّجولة يقابلها كقيمة اجتماعية لمعاني الشهامة والمسؤولية**[4] **والرعاية الأسرية** والتي يتوجّب أن يتطبّع عليها الذكر منذ نعومة أظافره، حيث يستعدّ للدخول إلى عالم الراشدين بعد الزواج، فـ"الزواج هو نهاية التطوّر النفسي للشخص... نهاية مرحلة المراهقة

---

[1] . محمد مصطفى الشعبيني، علم الاجتماع: دراسات في علم الاجتماع، دار النهضة العربية، القاهرة، 1974. ص.ص.131-153

[2] . Medhar Slimane, O.p. Cité, P.p.5-6

[3] . Welzer-Lang Daniel, les hommes battus, Empan, 2009/1 (n°73). P.87

*. يشير زيان محمد مستطردا بحوار نادية تازي، أنّ الرجل قديما كان يتميّز بالرجولة ويستحق لقبها إلاّ بعد خضوعه لامتحانات تجعل منه رجلا ساميا يمثّل معنى الفحولة، وذلك عن طريق الغزو والمشاركة في الصيد وغيرها من الأعمال التي يدخل من خلالها في صراع مع الطبيعة. ولكن في الزمن الحالي الرجل يتمتع بامتيازات تفوق المرأة دون التقيّد بالتزاماته ضمن علاقات التفاعل الأسرية حيث يوضّح زيان محمد أكثر أنّ، الآن الرجل لا يعمل أي شيئ ليحصل على لقب الرجولة... كل شيئ معطى وممنوح له... دون أن يلتزم بتقديم أي واجبات... وليس مطلوبا منه أي شيئ مقابل تلك الامتيازات الموضوعة في خدمته، وهذا النوع من الرجولة هي في محل انتقاد شديد من طرف النساء". زيان محمد، مفهوم الرجولة ونزعة العنف ضد المرأة في الجزائر، المجلة المغربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، ع:9، جوان 2014، مذكورة مسبقا، ص.146.

[4]. أنظر: زيان محمد، مفهوم الرجولة ونزعة العنف ضد المرأة في الجزائر، المجلة المغربية للدراسات التاريخية والاجتماعية. ص.144.

والدخول إلى عالم الراشدين"[1] أين يستوفي ويستكمل أدواره الزواجية والانتظارات المتوقّعه منه في مكانته كرجل راشد مسؤول عن أسرة.

ولكن يبيّن أنّ الرجل ليس له استعدادات أسرية مثلها عند المرأة، وهذا لأنّ "الفتيات في كل العالم سواءا في العالم الجديد أو القديم، تُجيب إذا ما سئلت عن مشاريع المستقبل بقولها:"أريد الزواج"؛ في حين ما من شاب يعتبر الزواج هدفا أساسيا له. بل النجاح الاقتصادي هو الذي يكسبه المكانة.. حيث إقبال الشباب على الزواج عروضهم تبقى بوجه عام أقل من عروض النساء.[2] ولهذا حتى في مرحلة ما بعد الزواج لا يكون مستعدّا لبناء علاقة زوجية متكاملة، وكما تؤكّد سيمون ديبوفوار فإن المرأة هي زوجة قبل كل شيئ، أو زوجة فقط... يتحدد بصورة جوهرية بخدمة السرير وخدمة الأعمال المنزلية؛ وحيث لا تجد مكانتها إلا إذا رضيت بالتبعية... بيد أن الزواج التقليدي لا يتيح للمرأة فرصة الانطلاق مع الرجل، بل يتركها في حالة جمود. أمّا الرجل فهو مواطن منتج قبل أن يكون زوجا،[3] له الحقّ في الانسياق نحو تأكيد مكانته ضمن المحيط العام كما يجوز له الخروج من المنزل بمبرّر أو بدون مبرّر، وهذا خلافا عن المرأة التي يتوجّب عليها أن تلبّي متطلبات العائلة فتكون محجوزة مُنهمكة في مسؤولياتها العملية والتربوية ضمن الفضاء المنزلي المخصص لها اجتماعيا.

تحكي المبحوثة رقم 2 مؤكّدة لنا مكانتها في علاقتها بالزوج:

"يقولي غسلّيلي العباية تاعي، قلت له مانغسلهاش دّيها عند المنظّف؛ قال لي: باش أنتِ تقعدي دّوري؛ إيّا قلت له: يا سيّدي، الباب لي راهي مكسّرة روح أصلحها الآن حتّى أنت، هذه خدمتك ولاّ لاّ، خدمتي أنا !، والبارح لي كنت نضرب في البالة في الحديقة، نسيتها... آه حبيبي! **مَك خلاّتك تتكسل وتتفرج la télé قدّام plasma مريّح، وأنا لّي خاصني نقري أولادي وندير العشاء، وأنا ظهري مقسوم، نروح نلمّ في التراب،** علاه ما قلتش خليني أنا ندير عليك !، ولاّ منين حْشمت على عرضك عاونتوا شويّ **أنت وخوك ورُحتوا تلعبوا "البولا" وخليتني حاصلة"**

وتضيف المبحوثة رقم 6: "قلت لأمه.. هدّري معاه شويّ.. هو غير سامح. تقول لي: راه عاد صغير. ماتحبش –الحماة- عليه ينغبن.. وتقولي ولدي مازال صغير غير أنا روحت زوّجته".

وعليه فالتنشئة الاجتماعية الأسرية مهمّة في بناء شخصية مُعتمد عليها تخلق على الأقل علاقة متكاملة في توزيع الأدوار الاجتماعية، أين كل طرف يقوم بواجباته ومهامه المكلفة له إجتماعيا.

ج. عوامل مرتبطة بانحياز الزوج للمجال العام

إنّ الأشكال البيانية أسفله رقم 16 و17 والممثّلة للجدول رقم 1، يوضّح جليا نسبة شدّة اندماج الرجال خارج المجال الخاص مقارنة بالنساء، إذ أنّ قوة علاقة الرجل بالمجال العام تتضح في جودة العلاقات الجيدة بنسبة 79% مقارنة مع الزوجات والتي تقدّر بـ55% وهن نساء أثبتن وجودهن ضمن المجال العام وسّعن نسيجهنّ الاجتماعي؛ ورغم ما أثبتته النساء من وجود خارج الإطار المنزلي إلاّ أنّ هذا الأخير يبقى من أولوياتها على عكس الرجّل، ويتّضح ذلك في الاختلاف بين الزوجين الوارد في **"الوقت المرن أو المناسب** للجنسين حيث أنّ أوقات بعد العمل يسمح للنساء الاعتناء بالعائلة، في حين هو عند الرجال ما يسمح بمزيد من الحركة، وهو حرية التصرّف لإعادة إمتلاك أوقات الفضاء العام، من أجل تعزيز مكانة الرجل المعيل الذي لا ينبغي أن يشبه إعالة المرأة التي تبقى في صورة العامل من الدرجة الثانية"[4]

[1]. رسالة دكتوراه للأستاذ فسيان حسين، مذكورة سابقا، ص. 289
[2]. سيمون دي بوفوار (2008)، مرجع سبق ذكره، ص.124
[3]. سيمون دي بوفوار (2008)، نفس المرجع، ص.ص.136-148
[4]. شارب دليلة، رسالة دكتوراه سبق ذكرها، ص.ص. 242-264

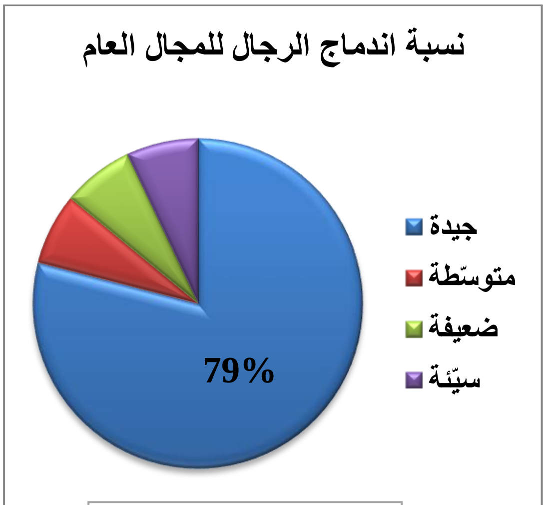

التمثيل البياني رقم 16

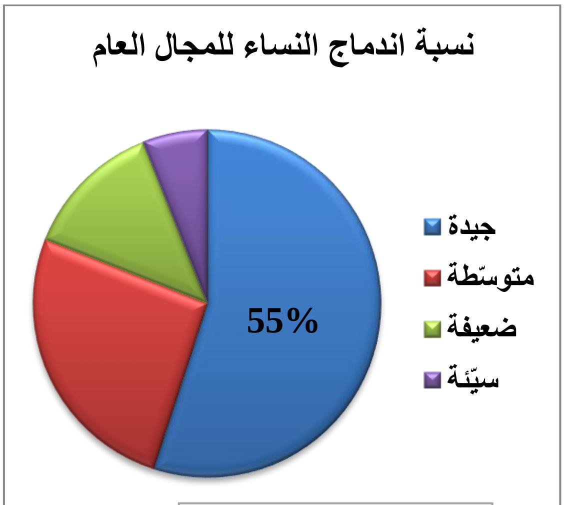

التمثيل البياني رقم 17

مهما إن اختلفت الظروف والأسباب التي تحيل إلى اندماج الزوج ضمن المجال العام بقوّة باعتباره الفضاء الأساسي له يخلق ضعف علاقته بأسرته الصغيرة، ويخلّف صراعات زوجية تتمثّل أهمّها في نمط التقسيم اللامتكافئ للمسؤوليات بين الزوجين، وما يقابلها من ضعف التواصل الزوجي، فيكون هناك تداخل بين عاملين يؤهّلان إلى توليد الصراعات والشجارات والتي قد تقود للعنف: إنّ الزوج في علاقته بالمحيط العام يكون غالبا مندمج بقوّة ضمن جماعات الرفاق؛ و23,66% من جل المبحوثين صرّحوا أنّ ما يثير حنق الزوجة التقرب القوي للزوج بالأصدقاء وعامة انغماسه في غور العلاقات الاجتماعية العامة (راجع الجدول رقم 7) وهي من أهم العوامل التي *تدفع بالزوج أحيانا أن يعيق الحياة الزوجية الوظيفية*[1] وكذلك البنيوية أين يهمل مسؤولياته الأسرية ولا يهتم بعلاقته الزوجية، حيث تجد المرأة نفسها الفرد الذي يُلقى عليه العبئ الأكبر لضغوطات الحياة المعيشية اليومية، في ذات الحين تشعر باغترابها واستلابها لمعنى الحياة الزوجية، وهذا ما يزيد الأمور تعقيدا، فـ"الرّجال هم أقل اندماجا ضمن العلاقة الزوجية، عكس النساء[2] اللواتي تطمحن في إنشاء علاقة زوجية محكمة متكاملة تربطهما علاقة تبادلية مادية ووجدانية. وفي هذه الظروف التي تعاني منها الزوجة لايحقّ عليها الدخول في علاقات تفاوضة مع الزوج، فتتعرّض للعنف. حيث تخبرنا المبحوثات:

"ملّي سكنّا وحدنا كان يضربني بزّاف. وصل حتى كواني بالدخان.. زعما ما تحاسبينيش وين راني نروح مين راني نجي وماعرفش حتى للآن وين كان يروح.. ومانعرفش غير في الدار قاعدة.. كنا غير على هذه الأشياء نوضوا.. ياكل برّا ويجي!.. المصروف ماكانش، ماعارف إذا كْلينا أو لاّ.. ما يعرفش كيفاه راحنا. هذه لّي غبنتني بزاف نقولوا علاش راك عملي كيما هاك؟!. غبنّي والله" (المبحوثة رقم 8)

"أنا لّي وصلت papa يجيب لي القفة للدّار... ولكن حتى أنا تاكلة على راسي نخيّط ونخدم الزينة في الأعراس.. بقيت حتى في المصروف غير أنا !، ويقول لي أعطيني، فاين نعطيك !.. **هو يقول لي غير ماعنديش.. دراهمه ما نعرفهمش فاين يروحوا، وما نعرفش هو أصلا فاين راه يروح..** يدخل حتّى لّليل، ما يصقصي علينا ما يقول لنا أسم (ماذا) راه خاصكم" (المبحوثة رقم 13)

توضّح سيمون دي بوفوار أنّ الرجل يتزوج اليوم لأنه يريد أن يكون له بيت، لكنه يحافظ في الهروب منه. يواصل التردّد على الأماكن الخاصة بالرجال (المقاهي، النوادي...)؛ إنه يستقر ولكنه يبقى أفّاقا في قرارات نفسه. كما أنه لا يحتقر السعادة الزوجية ولكنه لا يجعلها غاية بذاتها. ويتولّد التكرار والملل في نفسه، فينشد التجديد والمخاطر ويبحث عن صداقات التي تنتشله من العيش مع شخص واحد، أمّا وضع الزوجة فيكون أصعب مما كان عليه من قبل. لا تزال تتحمل نفس الواجبات دون أن يكون لها نفس الحقوق. كما لا تزال تقوم بنفس الأعباء دون أن تحصل على مكافأة وشرف

[1] . سناء حسنين الخولي، الأسرة والحياة العائلية، دار الميسرة، عمان، ط، 2011. ص.ص.86-87
[2] . Kaufmann J.-C., sociologie du couple, 1ère édition, PUF, 1993. P.105

نتيجة للنهوض بها،[1] وفي غور هذه الظروف يشير De singly أنّ "النساء تقاسي، يتهيّأ لهن أنّ الرجال مستقلّين ذاتيا في علاقتهم بزوجاتهم، حيث أن الرجال تقليديا لهم الحقّ في الخروج، والمرأة مسجونة في إطار محدود، مما يسيدعي تجلّي الصراع بين الجنسين؛ وهذا الصراع الناجم عن "تقويض الآخر" « territorialiser l'autre » لا ينتهي بسلام، أين تبرز مشاهد العدوانية أو ينفجر العنف الذكوري بناءا على الملامات، والمعاتبات، والأسئلة المتكررة للزوجة بعد عودة الرجل متأخرا، معتبرا أنه، من الخطأ أن تقوم بتقويضه داخل المنزل، والزوجة تقوم بتهديده على هجرانه مع الأبناء، فبدورها تستدعي الغياب والتخلي عنه،[2] أو تمارس العنف وتبرز عدوانيتها تبحث على أن تُسمع صوتها واتجاهاتها نحو الموقف بصوت عالٍ، تُثبت غيضها واستياءها من الظروف اليومية التي تعيشها. مُعبّرة المبحوثات في ذلك:

"بدأ هو يتسلّق في الجبال ويخرج مع صحابوا.. **ماعلابالوش كيفاش راني نفوت نهاري**.. انا نتعب: نسوق ولاهية بالدراري.. وهو في بالوا غير التحواس.. حتّى الحانوت سمح فيها الخدّام راه مقابلها.. **وليت وحدي**.. وصلت نْطير في وجهه و نزكي عليه.. حتى أولاده لم يعد يدّيها فيهم، أنا نْعبّيهم وأنا نْجيبهم من المدرسة وأنا نْقرّيهم.. أصبحوا أخواي يعاونوني: يخروجوا أولادي من المدرسة؛ وصل خاي هو يطلّع carlages للدار.. وهو لاهي، فاش لاهي؟ ما نعرفت؟. سامح غير سامح. من الصباح يدخل لساعة متأخرة ليلا.. أنا كلّش.. يظل غي برّا ويحوّس.. **ولكن قلت له حانهار تولي للدار ماتْصيبنيش، ولمّا أتّخذ قرار مانولّيش فيه**" (المبحوثة رقم 13)

"هو عايش حياة رفيهة.. **كرالي هنّاني. ولكن خلاّني في الدّار وبقى يحوّس**.. بقيت أنا متحملة المسؤولية وحدي: شغل الدار، والمسواق، والتربية تع الدراري.. وهو يحوّس مع لنصحاب ما مخلّي حتى بلاصة.. هو كي يحب يْريّح يروح يتقهوة مع صحابوا أو وحده بالثلاث ساعات ويجي مهني في راسو، وانا نبقى في داك الضغط...أقول له قعد بعدا غير قرّي الدراري في الوقت لّي أنا راني لاهية في شغل الدار، ماعلابالوش يروح ويخليني بالسوايع يقعد برّا ويدخل.. وزيد يقول لي تغذّيت مع زملائي في المطعم، كنت معروض في مطعم.. وأحنا نَستناوا فيه.. لو كان أنا ما نصرّحش كيفاش نوفت نهاري تبالوا راني نقعد مْكسلة، هذه تغيضني بزااااااف. نقعد نزكّي. غير نزقّي، حتى يقولي ريك تَقلب الراس. لا أخفي عليك وجدت نفسي وحدي وكل الحياة مضلمة.. وصلت طردته من المنزل، قلت له ريك مع صحابك أقعد معهم" (المبحوثة رقم 14)

ويُقرّ المبحوثون:

"أنا وقتي كلّه في الغابة.. وهذه التنزّهات ماريهاش باغيتهم، تَطّرْطَق، أنا نبغي كيما هاكذا يليق نتلاقاوا في مفترق الطرق. بالنسبة ليّ بزّاف عليها. راني رجل مثالي لها: دّير كيما تبغي، ماشي مقلّش لي طيبَه ناكلَه، نعاونها مراااااات، نشد البنت ونخرجها.. وهي تعقد تكعرر، وتْحرحر: ماراكش تعاوني. وأنا نعاونها كي نقد، وتزيد في الهدرة، ما نتجمش. تسمع غير "تطتطتطتط". وهي تحاسب بزّاف. مرّات نْتِيري عليها حاجة ولكن أنا نضرب " (مبحوث رثم 12)

"تسيطر عليّ.. المحاسبة تع الخروج" (مبحوث رقم 10)

يفسّر Kaufmann أنّ، الأهداف المختلفة والمتمايزة في العلاقة الزوجية مرتبطة بمتغيّر الشعور الوجداني، معبّرا بذلك أنّ "الدعم الوجداني الذي يتكلم عليه الرجال، هو بمثابة خدمة متعوّد على تلقّيها، ولكن النساء تركز على هذا الجانب بهدف التواصل الزوجي والاتصال مع زوجها،[3] ولهذا الغرض تحاول جذبه إلى الأنا الزوجية، ودمجه إلى المجال الخاص، باستوفاء أدواره ومحاولة التقرب إليه، مستعينة بفرض إرادتها ورغبتها بفعل العنف والعدوانية، وماهو إلاّ تعبيرا عن الرغبة في حماية علاقتها الزوجية، فكما تقول سيمون دي بوفوار الرجل إذا تسهالت المرأة معه ستفقده وإذا طوقته بمراقبتها وإلحاحها سيعود ضدها بالعنف،[4] وهذا لأنّ ضوابط اجتماعية أكثر قوّة تطوّق الزوج خارج المجال الخاص فتحول دون إنشاء علاقة زوجية، تحفظ مكانة الزوج خارج الفضاء المنزلي.

---

[1] . سيمون دي بوفوار، ترجمة: ندى حداد، الجنس الآخر، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2008. ص.147؛ أنظر كذلك: Welzer-Lang D., Virilité et virilisme dans les quartiers populaires en France, VEI Enjeux, n° 128, mars 2002. P.8

[2] . De singly François, Sociologie de la famille contemporaine, Nathan, 1993. P.P.100-101

[3] . Kaufmann J.-C. (1993), O.p. Cité, P.105

[4]. سيمون ديبوفوار، ص.159.

إنّ الزوجة لأن تصبوا لإنشاء رابط زوجي وبناء علاقة سيستيمية بالزوج تندفع إلى ممارسة العنف، تقوم بمراقبته وتقويم سلوكياته، فتضغط عليه ليغيّر انطباعه حول تأييد المجال العام كمجال أساسي له؛ ولكن بالمقابل الزوج بدوره مضغوط ليخضع للمعايير التي تجعل منه رجلا مختلفا عن المرأة، حيث أنّ **الرجل ضمن المجال العام مراقب من نفس جنسه**، تدفعه جماعة الرفاق إلى الخروج للمجال العام، بحكم أنه المجال الطبيعي له حيث أنّ "المتطلبات الاجتماعية توّجه المرء لأن يكون رجلا تتمحور حول الأفعال التالية: عليه أن يكون براغماتيا، مبادرا، مشاركا، ناشطا في المجال العام محققا فيه انجازات ملموسة، باحثا عن الشهرة والمجد والمغامرة بعيدا عن أمان واستقرار الدائرة الأسرية. وباختصار، أن يكون شغوفا بـ"المجال العام" بارزا فيه، خاضعا لقوانينه؛[1] وعليه فتحاول الزوجات التمرّد ضدّ معتقداته لتغيير تصوره الذكوري.

يصرح المبحوثون في نفس الموضوع:

"أكون في نزهة مع أصحابي.. تناديني في الهاتف، تحشّمني، يقولوا راهي تحكم فيه" (المبحوث رقم 11)

"**دابزت معه على الخرجات**، عملّي خاطري وقعد في الدار.. ولكن لما عيّط له صديقه للخروج، قالوا راني مريض!" (المبحوثة رقم14)

يوضّح De singly أنّ الحياة الشخصية تتكون بين مجالين مفروضة على الفرد، العمل والعائلة، مشيرا أنّ المجال المهني، وكل ما هو مرتبط بالمجال العام (مقاهي، الذهاب إلى الصيد..) يبقى طاغيا على هويّة الرّجل، حيث مثلا الذهاب إلى التنزه مع الأصدقاء تتضمّن وظيفة كسر الروتين، وكل الأوقات الريتمية الاجتماعية أو العائلية الملزمة على الفرد، كما أن الذهاب إلى المقاهي يقدّم نوع من الترفيه على النفس، ولكن كل هذا يدخل في نطاق الاستقلالية الذاتية التي تستدعي التفاوض[2] بين الجنسين المختلفين في نمط الحياة الاجتماعية، فـ"حقيقة يبدوا أن بعض الناس يتمتعون بالحرية وبالامكانيات التي تمكنهم من الهرب من القيود التي يفرضها عليهم النظام الاجتماعي المسيطر بأن يتجهوا إلى الإقامة في "الكميون" يخلقونها في الغابات، لكن بالنسبة للأغلبية الساحقة من الناس قد تستحيل عملية "الهروب من المجتمع القاهر"،[3] وهو المجتمع المخصّص للنساء على الأغلب، بناءا على التصورات الاجتماعية العامة التي تفصل بين مجالين من حيث الفضاءات والأدوار، والتي من الممكن أن تأخذ إلى الفصل بين الجنسين من حيث علاقات التآزر والتعاون والتفاوض الزوجي.

وعليه تنصح Aline Furnement أنّ الزوجين يمكنهما بناء علاقة تواصلية معا بإنشاء نوع من التوازن بين الاندماج الزوجي وبعد المسافة، أو بتعبير آخر بين "أنا ونحن"، بين الفردي والزوجي"[4] لتكون الحياة الزوجية مستقرة مبنية على حسن الشّراكة الأسرية والتعاون، حيث يكون كل زوج بمثابة شريك الحياة للطرف الآخر يتمتّعان بحسن إدارة المسؤوليات الأسرية بصفة مشتركة، وكما يشير كومفوشيوس :"إذا سلك كل فرد المسلك الصحيح كعضو في الأسرة يسود السلام" وهذا يعني تأكيد التزامات الفرد اتجاه الأسرة[5] وتحمّل مسؤولياته واستوفاء أدواره، فـ"الزواج ليس بالأمر اليسير وأنه لا يقوى على القيام به والوفاء بمسؤولياته إلا من استعد له صحيا ونفسيا وماديا... والحياة الزوجية والأسرية لها وظائف لابد من توافر القدرة على الوفاء بها و آدائها وإدراك مسؤولياتها[6]

▪ العلاقة الزوجية يغلب عليها طابع الفردية

---

[1]. عزة شرار بيوض، الرجولة وتغير أحوال النساء،: دراسة ميدانية، المركز الثقافي العربي: بيروت-لبنان، ط1، 2007. ص.41

[2] . Voir : De singly François (1993), O.p. Cité, P.p.98-100

[3]. محمد عودة، أسس علم الاجتماع، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د.ت. ص. 111

[4]. Centre d'Education à la famille et à l'Amour, Les clefs d'un couple qui dure, apprentissage de la vie à deux, CEFA asbl, mars 2008. P.3

[5] . سناء حسنين الخولي، الأسرة والحياة العائلية، دار الميسرة، عمان، ط، 2011.ص.104

[6] . عبد الخالق محمد عفيفي، مرجع سبق ذكره، ص.ص.293-294

رأينا مسبقا أنّ الزّوج له علاقات صلدة خارج الإطار العائلي، بحكم أنّ الفضاء العام من المجالات الخاصّة والمخصّصة للرّجل اجتماعيا، ولكن هذا لا يعني أنّ الزوجة مَعفيّة عن بناء علاقات خارج المجال العائلي -من صداقات جورية، صداقات عمل.. وغيرها- والتي قدّرت جودتها بـ55% (راجع الجدول رقم1، التمثيل البياني رقم17، ص.216) حيث تجعلها امرأة متماهية لجامعات اجتماعية على غرار الجماعة الأسرية، أين تتعدّد لديها مضمون "النحن" الجماعية، على غرار الرغبات والخصوصيات الفردية التي تريد أن تخبوا لها، منها: النجاح المهني والدراسي. لكن المنمطات تستدعيها بصفة مستمرّة لاستوفاء أدوارها الأسرية قبل أي علاقة اجتماعية أخرى فـ"العمل الذي تقوم به المرأة في الداخل.. لا يحرّرها بل يجعلها معلقة بالزوج والأطفال"،[1] مُدركة لأهمية دورها في المجال المنزلي؛ ولهذا سوف تبحث بصفة مستمرة على تكوين علاقة زوجية سيستيمية تكاملية تعطيها ديناميكية حركية ومرونة في تخطي باب المنزل، أين تخبوا إلى تكوين فرديتها والبحث عن الأنا المتحرّرة سيّان الرّجل. لهذا في إطار البحث عن علاقة التفاوض والتي غالبا ما تكون من إرادة المرأة، تنشب علاقات صراع وشجارات عنيفة هدفها إعادة بناء حياة زوجية مستقرّة تخدم المصلحة الشخصية قبل المصلحة الزوجية أو الأسرية؛ ونفس الأمر يستدعي بالرّجل إلى الاهتداء للمرأة وتقديم يد المساعدة ولكن ليس إلى درجة الانغماس في الأعمال والمسؤوليات المنزلية والتربوية لكي لا يفقد ما منحه له المجتمع من حرية حتى ولو كانت نسبية. لذلك نقول أنّ العلاقات الاجتماعية ليست شفافة فدائما المصلحة الشخصية تطغى عن المصلحة العامة، ولهذا فإنّه "من الطبيعي أن تعتري الحياة الزوجية أزمات، وهذه الأخيرة بناءا على تحليل Hans von Hattinberg هي أزمات تكوين للحياة الزوجية، فالجدل فيها بين الشريكين هو أداة للاهتداء إلى الطريق المشتركة بين الطرفين، وهي **"كالصراع بين الحياة المطلقة والتقيد".**[2]

ولكن الزوجان عقب الصراع حول سيرورة البحث عن الفردية لا يعيان مدى الهوة التي سوف تنشأ بينهما، فتبعا لتقدير Kellerhals حول قياس مدى تقرّب الزوجان من بعضهما يوضّح أنّ العلاقة الزوجية تؤسّس بناءا على *"درجة الفردانية ووحدويّة العلاقة"*، فكلّما توجّه الزوجان إلى *"الطريق نحو بناء "الأنا"* كلّما تولّت اضطرابات تخلّ بالتوازن العلائقي الزوجي، فيعتبر Kellerhals أنّ الفردانية هي بمثابة انحراف ضمن العلاقة الزوجية،[3] ويؤكّد Kaufmann خطورة الفردية في العلاقة الزوجية موضّحا أنّ "اللُّبس أو الخلل الزوجي" يتجلّى أين كل طرف يبحث عن مصلحته الشخصية، حيث كل واحد منهم يتجاهل "الأنت" أو "النحن" ويبحث عن "الأنا الذاتية"،[4] وعليه يُوجّه Kaufmann الفرد الذي يرغب في وقت كاف له ومجال خاص به، رغم أنه يعيش حياة زوجية، أن يعيد النظر في توجّهاته، فينبّه أنّه إذا طغت الفردية على العلاقة الزوجية يمكن أن يتعرّض الزوجان إلى الانفصال."[5] فيخبرنا المبحوثون:

"أنا نقضي معظم وقتي في التجوالات.. وصلت أهملت الأسرة.. بغات دّير الخلع وتلعبها، ولكن ماقدّتش.. قلت لها ما تزيدش تشوف بنتك" (المبحوث رقم 12)

"كنت عطيها غير برّا: من الخدمة نروح مع اصحابي. ماكانتش تُحُب. ولكن عندها الصحّ بقيت نحس بلّي راني مفرّط فيها وفي اولادي.. بقيت نقصّ. ولّيت من الخدمة للدّار: j'ai évité القعدات مع صحابي. وصلنا للمتعايرة والدباز.. حتى قالت لي: كرهتك.. لوكان عندي فاين نروح نسمح فيك.. حتى الخدمة بزاااف، عندها الصحّ مانرفدش كامل عطلة.. غير الخدمة.. فعلا يليق une rupture" (المبحوث رقم 45)

"نحس بالاهانة، غير وحده أو مع صحابه.. هادي حالة أنا نروح نرقد وهو يتفرج.. نقول مرات نطلّق ولكن نستغفر" (المبحوثة رقم 17)

---

[1] . سيمون دي بوفوار، ترجمة: ندى حداد، الجنس الآخر، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2008. ص.147

[2] . أوسفالد كوليه، تر: رونيحة أمين، زوجتك هذا الكائن المجهول، دار القلم، بيروت، لبنان، ط2، 1982. ص.236

[3]. Voir : Kellerhals Jean, O.p. Cité.

[4]. Kaufmann J.-C., sociologie du couple, 1ère édition, PUF, 1993.P.P.72-73

[5]. Mouchtouris Antigone, la femme, la famille et leurs conflit, l'Harmattan, France : Paris, 1998.p. 11.

"كنت انا نقابل الدراري... وريك شايفة هي طلعت في خدمتها، نساتني ولآت تسافر، ولآت تخرج، تمشي للعاصمة وبلدان في الخارج.. حسيت ببعد بيني وبينها.." (المبحوث رقم 3)

"يشوفني نهدر مع الناس: أنا تتجم تقول populaire، ونهدر مع كل واحد في العمل محبوبة، يقولي ماراكيش عاطيتني وقت ليّ. يبغيني غير ليه.. خاصةً نسمع لَه غير هو ونقابلَه غير ليه.. إيا نقولها لَه ماعنديش غير أنت." (المبحوثة رقم 12)

إنّ الحياة الأسرية المشتركة التي تستدعي إلى تجاهل الآخر يُعتبر نمط أسري حدّده De singly في مفهوم مختصر "libres ensemble " والذي يعني حياة حرّة مطلقة في غور الحياة المشتركة حيث يعيش الزوجان بجانب بعضهما أكثر من العيش مع بعضهما، وهذا النمط من العيش يؤدّي إلى غياب الوعي لبعض الطقوس التي تؤكّد الاهتمام والعناية بالآخر، منها: القُبلات، الابتسامات، كلام لطيف، وغيرها من الأفعال التي تضمن وجوب علاقات التفاعل المادية والمعنوية والتي تعمل على تأكيد الرابط الزوجي.[1] وعقب هذا النمط من الحياة المشتركة كلّ طرف إلاّ ويريد أن يضمن السعادة الذاتية بدون أدنى اهتمام للسعادة الزوجية، إلى أن تنشأ علاقة غير متكافئة في نظام التسيير الأسري، فبينما يبحث طرف على العيش بدون ضغوطات يكون الآخر مقيّد بمسؤوليات تأسِره في محيط ضيّق بعيدا عن الوحدة الزوجية وتطوّقه نحو التقدّم للحرية الفردية.

ولضمان الاستقرار والتوازن الأسري يوجّه D.H.Olson في هذه الحالة أنّه يتوجّب التوفيق بين الاستقلالية والاندماج، الإستقرار والتكيّف، موضّحا أنّ الأسرة تسير على واجهتين: "المرونة la flexibilité" و"قابلية الالتحامla cohésion". فأما المرونة يقصد بها التكيّف مع التغيرات الاجتماعية، خلافا عن "الأسرة المتصلّبة famille rigide" التي لا تتقبل تغيير قوانينها رغم التغيرات التي أحيطت بها. أمّا "الالتحام" يعني عند Olson، درجة التقرب الوجداني.. وقابلية الاندماج الزوجي، ويتحقّق إذا كل طرف لا يعيش إلاّ من خلال الآخر، يتقاسم معه كلّ شيئ... وهذا خلافا عن "الانشقاق الزوجي la fission" يعني أن الزوجان لا يتشاركا ولا يتقاسما أي شيئ، إلى حد أن يشعران أنهما غريبان عن بعضهما، ولا يهمّهما إلاّ استقلاليتهما الفردية،[2] يرفضان حتّى الدخول في علاقات تفاوضية لإعادة بناء حياة زوجية.

وينوّه في نفس سياق المضمون De singly أنّه "كلما توسّعت الأرضيات الشخصية لكل طرف من أطراف العلاقة الزوجية، كلّما تطلّب الأمر تبريرات وإمكانية التفاوض على الأمر من جهة أخرى، ويتوجّب على الزوجان ألاّ يعتبرا أن المجالات الخاصّة لا تتطلب التفاوض، والآخر مُلزم عليه تقبّل الوضع، بل على العكس يتوجّب التفسير وإثبات أنّ ما يقوم به ليس رغبةً بتجنّب القرين أو هو تهرّب من العلاقة الزوجية، فيقوم بإقناع الشريك بتقبّل بعض الأعمال والممارسات المستقلة، وهذا التقبّل إذا كان متبادل يؤدي إلى تجنّب الصراع الزوجي؛[3] وكما يحلل Peter Berger وLuckmann Thomas أن كل فرد ضمن العلاقات الاجتماعية مدعو إلى "التنميط" في تفاعله مع الآخر أين كل طرف يحدد السلوك المنتظر منه للتأقلم معه. والآخر يفعل نفس الشيئ حيث يحاولون تنظيم التفاعل أين كل واحد سيتعرّف بالآخر. فيحدد لباقة القول والفعل وتحديد نوعية السلوك والكلام.[4]

وعليه ومن كل ما سبق نشير أنّ تقسيم العمل الغير متكافئ بين الزوجين يعتبر من أهم العوامل المولّدة للصراع الزوجي وبدوره **مولّد إجتماعي لعوامل وأسباب يخلق بعد المسافة بين الزوجين** أين كل طرف لا يشعر باهتمام القرين، بعد تنافر مسترسل الأحداث، كل عامل يولد عامل أقوى منه يمكن أن يقود إلى ممارسة العنف بمختلف مظاهره النفسية والجسدية واللفظية في علاقة تأثير وتأثّر، فيؤدي إلى الطلاق الروحي أو الطلاق الجسدي أين يعجز الزوجان على إعادة بناء الصراع وإدارته. إنّ "المعضلة الحالية للعائلة تتمثل في أنّه: لكي يضمن الزوجان علاقة جيّدة، يجب

[1]. De singly françois, libres ensembles : individualisme dans la vie commune, Paris, Nathan, 2000.
[2] . Kellerhals Jean, Cité O.p., P.p.118-119
[3] . Voir : De singly François (1993), Cité O.p., P.p.98-100
[4] . Kaufmann J.-C. (1993), Cité O.p., P.69

في مرّة واحدة أن يقومان بالمستحيل ليحتفظا بشخصيتهما الخاصّة، وينعمان بحياة أسرية مشتركة في نفس الوقت[1] تستدعي التعاون المتبادل بين الجنسين، وعليه "طبيعة الزواج.. الغاية منه التسامي إلى المصلحة الجماعية عن طريق الاتحاد.. بين الرجل والمرأة، وليس الهدف منه تأمين السعادة الفردية.[2]

ولهذا يميز Eving Goffman بين "العلاقة المجهولة relation Anonyme"، و"العلاقة المرسّاة la relation ancrée" التي تضرب جذورها إلى العمق، المنبسطة والتي تتحدّد كبنية موحّدة؛ ويسطّر دوركايم شروط خاصة للاندماج الاجتماعي معبّرا أنّ، العلاقة الاجتماعية تكوّن وحدة مشتركة من خلال عملية التفاعل الاجتماعي، ويشتركون في نفس القيم ويتقاسمون نفس الأهداف[3] فيكون نوع من التواصل الذي يضمن الاتصال بين الزوجين.

2. العلاقة الزوجية واهية بضعف عملية التواصل

رأينا مسبقا أن ضعف التفاعل الزوجي مرتبط بمنمطات اجتماعية تدفع إلى الانقياد نحو "تصرفات اعتيادية"[4] بديهية لكل زوج، يختلف عن الآخر في التنشئة لمرحلة الطفولة تسمح بتوسيع مجال الصراع، وتحول دون بناء علاقة زوجية متوافقة ومنسجمة أين تتناقض الاتجاهات والمعتقدات والمبادئ وتختلف الرؤى للعلاقة الزوجية باختلاف نظرة كل طرف للأسرة والحياة الاجتماعية يكون فيها القرين يحتل المكانة الثانوية إلى أن يخلقان التباعد الزوجي، "خلافا على مشاعر أخرى واردة ضمن العلاقة قابلة للاحتجاج، كلّها ناتجة من تجاهل الطرف الآخر... الذي يبقى غريب عنه وهو قريب منه له علاقة خاصة به، وكأنهما تعرفا على بعضهما ولكن لم يتعرفا، حيث تاريخ العلاقة الزوجية تبدأ أين يكتشف كل منهما الآخر الاختلاف الوارد بينهما، والذي يصبح مشكل يتوجّب البحث عن حلّه، وإلاّ سيتطور المشكل إلى مشاكل عديدة مع مرور الوقت... وبذلك التفاعل لا يأخذ مجراه،[5] حيث يضعف التواصل الزوجي، وهذه الأخيرة ثُبتت ميدانيا أنّها من أقوى الأسباب التي تقود إلى إثارة العنف بين الجنسين والتي تجلت بنسبة 55,38% (أنظر الجدول رقم 14، التمثيل البياني رقم 18 أسفله) تبعا لتراكم النزاعات والصراعات الزوجية طوال مسار الحياة الزواجية و/أو الزوجية والتي عجز الزوجان على إعادة بنائها، مُؤكّدا Kellerhals أنّ المشاكل الزوجية عديدة تتجلّى لعوامل تضعف عملية التواصل، فتعيق بناء الالتحام الزوجي.[6]

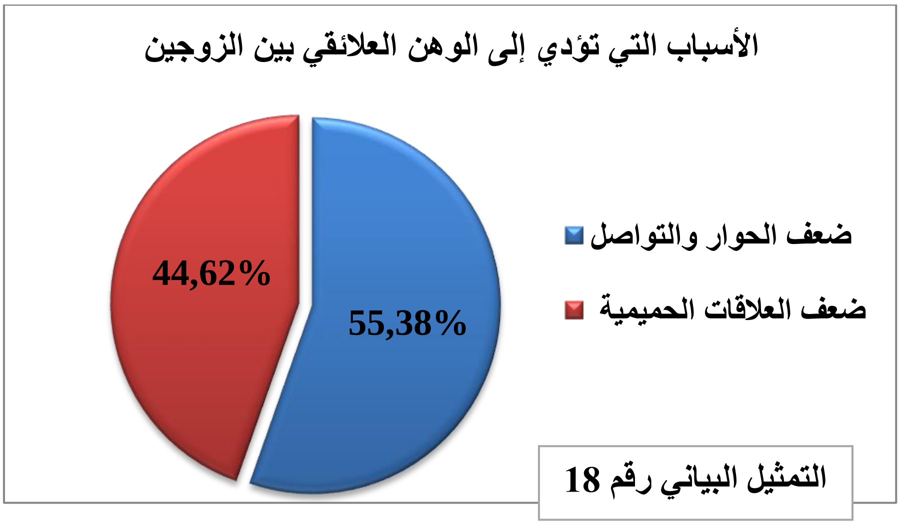

التمثيل البياني رقم 18

---

[1] . Diane Drory, L’enfant et la séparation parentale, Ministère de la Communauté française, Bruxelles, Juin 2009. P.9

[2] . سيمون دي بوفوار (2008)، مرجع سبق ذكره، ص.126.

[3] . Voir : Kaufmann Jean-claude (1992), O.p. Cité, P.p.58-83

[4]. مصطلح مأخوذ من: Kaufmann Jean-claude (1992)، مرجع سبق ذكره، ص.138.

[5] . Kaufmann Jean-claude (1992), C.p., P.57

[6] . Kellerhals Jean, Cité O.p., P.122

غالبا وفي العديد من الحالات التابعة لمجتمع البحث الذي كان في طور الدراسة يكون الزوج هو الأكثر إثارة لبناء هوة في علاقته بالزوجة حيث يمسّ علاقات التواصل الزوجية، وهذا ما تُؤكّده النتائج الميدانية في الجدول رقم 13 والتي تُثبت مدى غيظ الزوجات من أزواجهن في مختلف المواقف المثيرة للعنف لعوامل وأسباب أدّت إلى خلق بعد المسافة بينها وبين الزوج والتي تجلّت بـ33,33% إلى أن يصبح ضعف التواصل الزوجي من أهمّ العوامل التي تولّد العنف فتؤثّر على عملية الاتصال، أين يتشدّد مجال الحوار، أو أنّه يَضعف، إلى حدّ بعث جوّ صامت يعمّه اللامبالاة في علاقة تأثير وتأثر، والذي يُترجم من بين مظاهر العنف الزوجي، وتكون هذه الأخيرة بصفة متفاوية بين الزوجين أين كل طرف يتلقى عنف نفسي وعنف لفظي مع سلوكات عدوانية في طريقة الكلام، وهذه الأخيرة تعتبر أعلى نسبة تجلّت ضدّ الزوج بـ 42,86% (راجع الجدول رقم 23، التمثيل البياني رقم 3، ص.116)، وأمّا الزوجة تعيش عنف نفسي بنسبة 36,78% من أهم أشكاله اللامبالاة والتي تعتبر هي من أهم العوامل التي تقود إلى ضعف التواصل والاتصال الزوجي وبالتالي ضعف الرابطة الزوجية، مؤكّدا Mouchtouris من خلال دراسة استنباطية أنّه، من أهم الأسباب التي تؤدّي إلى فتور العلاقة الزوجية غياب الاتصال الزوجي، إلى جانب ما تخلقه الحياة اليومية من روتين؛ وينوّه أنّ النمط المثالي للعائلة مبني أساسا على حسن الحوار والتواصل، واللذان يستدعيان إلى التوافق الزوجي، أين كل طرف يتعرّف على الآخر عن قُرب... فيهتم بالجوانب التي تثير الرّضا وعدم الرّضا بالقرين،[1] وهذا الأخير ماهو مفقود في الأسرة الجزائرية. فتحكي المبحوثة رقم 13:

"زوجي لا يعلم حتّى يومياتي كيف تمرّ.. يدخل لساعة متأخرة ليلا.. ويقول لي كنت نخدم. **ولكن عندما تدخل تكلّم معي! أحكي لي !، والو. عندما أريد أن أتكلّم معه:** راني عيّان.. حتى في عطلة الأسبوع ما نلقاهش يخرج في تجوالات مع الأصدقاء.. العلاقة بدأت تسوء.. **لم يتقبل الحوار كليّا**، عندما أقول له نتفاهموا: يا يرقد، يا يروح للانترنت، يا يخرج ويخليني.. هو يدخل للدار حتى بعد كي نتعشاوا ونرقدوا. أنا ماولّيتش نحب نستنّاه، كنت نتعشا مع أولادي ونروح نرقد ونرقّد الأولادي، وهو ما كانش يحوّس يفهم، والصباح يخرج بكري للخدمة، فإذن ما وليتش نشوفوا." (المبحوثة رقم 13)

ما يتوضّح في حديث المبحوثة أنّ التواصل الزوجي من أهم مميزاته الاتصال، والذي كان غائبا في العلاقة الزوجية بغياب مجال التفاعل العلائقي الذي يُعتبر الدعامة الأساسية في توليد الشعور بالالتحام والتواجد للآخر، ولهذا الاتصال يعتبر "الإسمنت التي توثّق وتوطّد العلاقات بين أعضاء العائلة؛ الوسيلة التي تسمح لكل واحد منهم إثبات حضوره كعضو نشط في العائلة،[2] حيث يضمن عملية التواصل الجماعية أو الزوجية. لهذا يقودنا Kaufmann في مرجعه "علم الاجتماع الزوجي" إلى ضرورة بناء علاقات تواصلية من خلال عملية الاتصال ودَرَج الحوار، حيث يوضّح لنا ما للاتصال من أهمية في الحياة الزوجية، فيفنّد الفكرة التي توحي إلى أنّه لا يمكن أن نتكلّم كيفما شئنا وما شئنا، فمن المهمّ ومن حيث الكمية أن يكون الحديث يومي في جل المواضيع التافهة منها والمهمّة؛ وفي نفس سياق الموضوع يفسّران Peter Berger وHansfried Kellner في كتابهما الحامل لعنوان "الزواج وإعادة بناء الواقع" لماذا هذا الحديث العادي هو ضروري، فيعتبران أنّ الحديث اليومي وسيلة أساسية تسمح ببناء وإعادة بناء بصفة يومية الإطار المشترك الذي يجمع الزوجين؛ فمثلا الكلام حول العائلة، انتقاد زميل، الاهتمام بفِلم معيّن يتحدّثان عنه... إلخ، هذا يعني حياكة ظرف يجمع الزوجان معا، وإعادة تركيب عالم من القيم والمعاني التي من خلالها تتجسّد العلاقة الزوجية؛ كما أثبتت دراسات أنّ العديد من المشاريع والأهداف الزوجية كانت قرارات صادرة من الكلام العفوي الغير رسمي؛ ولا يمكن استبعاد ضرورة وجود الكلام العذب المؤثّر والمدعّم معنويا والذي هو مهمّ

[1]. Voir : Mouchtouris, Cité O.p., P.p.137-138

2. Moutassem-Mimouni Badra, Famille, éducation et changement sociale, Cahier du Crasc, N° 27, 2013. P.53

لحضور المشاعر، كما يساعد الحوار اليومي في مجال الاتصال على إعادة تحليل العلاقة وإصلاحها في وجود خلافات أو أي نوع من الشقاق.[1]

وعليه فإنّ الاتصال والحوار وكل أنواع النقاش من الضروريات التي تولي إلى بناء علاقة تواصلية زوجية، مع إثارة علاقات تفاوض وإبداء الآراء، وطرح كل المعضلات التي تثير أطراف العلاقة الزوجية حيث "نبوح بما يعجبنا ولا يعجبنا، نعبّر بوضوح عمّا يختلجنا من عدم الرضا بهدف إيجاد حلول لفضّ النزاع واتخاذ قرارات تناسب الجميع. مع الالتزام بالاستماع للآخر، وهذا الأخير يعتبر من ضروريات وأساسيات الحوار؛[2] وكما يوضّح Godenzi وشركائه في نفس السياق الأخير، من خلال دراسة خاصّة له حول العنف الزوجي أنّ، الوقاية الثانوية من العنف لا تتطلّب إلا التركيز على تعلّم تقنيات الاتصال،[3] وضعف هذا الأخير يؤزّم الأوضاع مع غياب الحوار أو سوء مجاراته في علاقات التفاعل الزوجية.

1.2. التواصل خاضع لميكانزمات الاتصال: غياب ثقافة الحوار والنقاش

إنّ التواصل الزوجي يُبنى اجتماعيا من خلال عملية التفاعل التي تقوم على التعاون والتآزر في مواجهة متاعب الحياة اليومية بصفة مشتركة، وبناء مؤسّسة أسرية مستقرّة تدعّمها عمليّة الاتصال "الذي يُساعد على نشأة علاقة زوجية مبنية على الحوار والنقاش البنّاء، والتي تعدّ من الوسائل الأساسية لحل المشاكل وإدارة الصراع؛ ولكن قليلا ما ينجح الزوجان في ذلك لأنّ المناقشة هي فنّ يصعب اللجوء إليها عند الزوجين،[4] فغالبا ما يكون مجال اللاتصال الزوجي عنيف يأخذ أشكال مختلفة حيث، من الممكن أن يصدر من كل طرف انزلاقات وهفوات كلامية تزيد من درجة العنف اللفظي؛ كما قد يأخذ شكل مرن في الإدلاء عن الاتجاهات ضدّ الآخر بأسلوب استهتاري يثير غيظ القرين، أو قد يكون الحوار ساري لرغبة فردية بعيدا عن اتصال تفاعلي يثير تجاهل الآخر؛ فعديدة هي ميكانزمات اللجوء إلى التواصل الزوجي بغرض الاتصال والتي تقود إلى التعنيف في نطاق الحوار هدفها إيصال انتقادات، اتجاهات، ورغبات خاصّة ضدّ الآخر الذي في أغلب الأحيان يرفض الاستماع وفسح مجال التواصل بفتح قنوات الاتصال حيث "تغيب القدرة على التفاوض، مع نقص المهارة في الحديث.[5]

أ. الاتصال مبني على مواقف الميزاح والإستهزاء

تخبرنا المبحوثات:

"تعرف هو يدير لي صوالح، يكون يزعقّ، وأنا ما نبغيش، نحس ما راهش يزعقّ، فإذن نوض نزعف ونزكي ونعطي له الملاحظات تاعي" (المبحوثة رقم 18)

"يهدر لي بالضحكة، كي نزعف يقولي لي راني نضحك معاك.. ولكن متأكدة مايكونش يضحك. نقول له كونك صريح. باش نعرف نيتك.. ومرّة كان يْوعَّق معاي على حا la veste ما كانتش تعّجبوا. زعما جيني قصيرة.. أنا كانت تبالي راه غير يَطنَز عليّ ولكن وصل حتّى زكّا عليّ باش ما نوليش نلبسها" (المبحوثة رقم 14)

---

[1]. Kaufmann J.-C. (1993), O.p. Cité, P.p.111-112

[2]. HASSANI Ali, Des mots pour comprendre le conflit et la violence, Dar El Gherb, Algérie, 2005. P.p.25-32 ;
أنظر كذلك: مايكل نبيل، سيكولوجية الأسرة: الرجل-المرأة- تربية الأبناء، شباب الجامعة، الاسكندرية، 2014. ص.ص.182-186.

[3] . Schar Moser Marianne, La violence dans les relations de couples : les causes et les meurs prise en suisse, B.F.E.G. 2008. P.25

[4] . Kaufmann J.-C., (1993), O.p. Cité, P.p. 122-124.

[5] . Kaufmann Jean-claude, trame conjugale : analyse du couple par son linge, Nathan, paris, 1992. P.57

غالبا ما يتأيّد الزوجان إذا ما حاولا فتح باب الاتصال لطرح أي مشكل يشغل بالهما يتناولانه بعبارات ممازِحة تثير الجدل، ليس لها مضمون الحوار والتواصل، وإنّما لافتعال الشجار كـ"وسيلة لـ"خفض التوترات"؛[1] وغالبا ما تكون واردة من طرف الزوج حيث يفتح مجال مُمازح فيقوم بالإستهتار على الزوجة كميكانزمات عقلانية توحي بتصريح للمواقف المثيرة للإزعاج، والإستياء، بطريقة لبقة غير مثيرة للعنف، فـ"الضّحك كما أشار A.R.Radcliffe-Brown أنّه يحمل شعور مزدوج بين "الاستراتيجية" "والتجنّب"، والمعبّرة عن الاحترام، مُوضّحا أكثر أنّ الممازحة تجسّد مزج مميّز، من الرفقة والعداء؛[2] ويكون غالبا الاتصال في هذه المواقف على الأرجح ذو *عبارات قصيرة* وكلمات مجرّدة وما على الطرف الآخر إلاّ فهم الرسالة، حيث هذه الرسالة هي قصيرة من حيث عدد الكلمات ولكن *تحمل ألفاظ لها مضمون عميق، وعامة لها معنى يكون معقّد، وغالبا ما تُذكّر بصفة مستمرة ومتكرّرة، ستدعي مضايقات وازعاجات أو نوع من التسلية؛ في هذه الحالة* يوجّهنا Kaufmann إلى وجوب وضع الحدّ لنفهم القصد المضمر في هذه الظروف المتوترة فالتسلية في الكلام لا يستهان بها، حيث يشير Kaufmann أنّ الكثير من روايات الصراع نابعة من الضحك، والكثير من انتقادات الشريك مأخوذة بشكل متهكّم، وهذا الأسلوب في الاتصال له وظيفتين تتمثّل في "الحماية والرياء" حيث، في الحياة المألوفة بين الزوجين الضحك، المزاح، والسخرية هم أولا مقصودة للحماية بكسر الحوار الجدّي، وبمنع أي تطور يؤدي إلى الخطر في الحوار الزوجي. أو برياء وعدم الاهتمام بكلام الشريك وأسئلته بغرض تهدئة الصراع.[3]

ويفسّر أكثر Lemarchant ضمن نفس المضمون أنّ الضّحك والمزاح يستعين به البعض لضبط علاقاتهم القرابية وإعادة تأكيد مكانتهم، خالقين جوّ الفكاهة للمواجهة، وتحذير لأي خلاف سيقع. وصرّح Lemarchant أنّ هذه الممازجة القرابية لا يمكننا التكلّم عنها في إطار الفكاهة إلاّ إذا كانت متبادلة ومباشرة،[4] وإلاّ ستخلق توترات وردود أفعال غير مُرضية من الآخر، معتبرا أنه استهزاء دون المستوى وذو قيمة متدنّية تثير التعنيف، فيقوم بالردّ عليه بـ"كلمات لاذعة تترك أثرا عميقا تُؤدي إلى تصدّع العلاقة الزوجية[5] من الممكن أن يأخذ العنف في هذه الحالة دورة يتعذّر الخروج منها؛ وكما يوضّح Gilles Rondeau أنّه، عندما يتجلى العنف ضمن علاقة معيّنة، فهو قابل لإعادة الكرّة، فالفعل العنيف يحيل للمهاجم الفرصة للاسترخاء وخفض توتراته المكدّسة.[6]

وعليه ينوّه Kaufmann في توجيهاته أنّ حتى الجمل القصيرة فتتطلّب مهارة لإبلاغ رسالة بدون إطناب، فتسمح للآخر السمع لكلمات صغيرة مختصرة بدون كسر النظام العلائقي الزوجي، ويمكن أن نأخذ الكلمة بأشكال متعدّدة مموّهة بالضّحك، أو التهكّم، أو السخرية، بدون تعميق في العبارة. أو على العكس بجملة ثائرة غير متحكّم فيها، وهذا لكي لا نفتح المجال للقرين الخوض في الموضوع بعمق، ولتفادي المشاكل الصعبة والتي لها هيئة تافهة.[7]

وغالبا وفي معظم الحالات يكون هذا النمط من الاتصال المُمازح نوع من التهكّم والسخرية للإستخفاف بالموضوع المطروح للنقاش، أين يقوم الزوج بتوجيه كلاما مهلهلا من الممكن أن تترجمه الزوجة على أنّه كلام مقصود لاذع كرد فعل للتهرّب من مجال النقاش والحوار الذي تريد الزوجة فتحه بهدف إعادة بناء المواقف التي تثير استيائها، حيث تبحث على فتح مجال حوار جاد مُطنب وعنيف قد يؤثّر على التواصل الزوجي.

---

[1] . Lemarchant, O.p. Cité, P.p.121-122

[2]. Lemarchant, O.p. Cité, P.122

[3]. Kaufmann Jean-claude (1992), O.p. Cité, P.p. 194-195

[4]. Lemarchant, O.p. Cité, P.122

[5]. Kaufmann J.-C. (1993) O.p. Cité, P.p.122-124.

[6]. Gilles RONDEAU, O.p. Cité, P.13

[7]. Kaufmann J.-C. (1993) O.p. Cité, P.p.12-117

ب. الاتصال الزوجي مبني على الحوار العنيف.

بناءا على الحالات التي وردت معنا في مجتمع البحث للدراسة، لاحظنا أنّ الاتصال الزوجي لا يأخذ مجراه للتّحسُّس بالقرين وفتح مجال قابل للتواصل الزوجي، فغالبا ما يكون النقاش والحوار إلاّ بهدف ضبط الاضطرابات التي تتخلّل الحياة اليومية للزوجين، وإعادة بناء علاقة زوجية منسجمة، ولكن حتّى هذا الأمر غالبا ما يكون موفّق، حيث يعتبر صعب المنال عند الكثير من الأزواج والزوجات. فيحكي المبحوثون:

"لا يجلس معي و**لا نتكلم في مواضيع**.. ماكانش وقت تهدر معاه دائما مُنشغل.. **أتكلم معه غير على الشهرية أو على الإبن.. وفي المرة الأخيرة وصلت خويت لي في قلبي عمّرت عمّرت حتى طرطقت**... عايرته ورجّعته ما يسواش نغبنه مرات بزاف ونبغي نقزيه، **ولكن قلت له شاراه غابني، غير جابد ما قدّيش**" (المبحوثة رقم 18)

"الحوار موجود... **ولكن أنا مرات نساعف فيها غير باش نْليكيدي المشاكل**. **هي تبغي تشكيلي**، ولكن تقول الحوار باه نْتحاوروا واتخاذ قرارات لاّ." (المبحوث رقم 10)

"الحوار مع الزوجة! ليس لدي هاذك الحوار معها. لاّ ماعنديش.. هي تحكي وتبغي تحاور.. **تبغي تحاسب.. والمعيار**" (المبحوث رقم1)

إنّ الاتصال الزوجي يكون عسيرا في حالتين، أين التواصل الجسدي لا يأخذ مجراه حيث يعجز أحد أطرف العلاقة الزوجية أن يضمن مجال التواصل مع القرين للنقاش حول مختلف الصعوبات والمعضلات التي يواجهها الزوجان، والتي تقود إلى اصطدامات وشحنات يتوجّب التحاور فيها، وإيجاد حلولا لها، بهدف بناء علاقة توافق ضمن مجال يدعوا إلى التفاوض، وغالبا ما يكون فتح النقاش مبادءة من طرف الزوجة، ولكن بفعل الضغط على الزوج لمجاراة الحديث أين تعصب عملية الاتصال في اتخاذ حوار هادئ بنّاء؛ كما تبيّن في حديث المبحوثين أعلاه، وما تمّ تأكيده من طرف المبحوثين في التصريحات التالية:

"موجود الحوار ومرات ما يكونش. **هي تفرض الحوار**، وأنا الميزاج تاعي ما يكون في رغبة مانبغيش.. مرات كي يكون موضوع نعرف بلي فيه شجار من بَعد، مانبعيش ندخل في حوار معها **نــتْناساه.**" (المبحوث رقم 7)

"هو يرفض الحوار.. **كي نحب نهدر معاه يتنارفة ومايسمعليش.. يخرج ويخليني**.. وباش نقدوا ونهدوا مانتلاقاوش هو غير هَايَم.. **يخلّيني نتخبّط**" (المبحوثة رقم 13)

إنّ الزوج في العديد من الحالات لا يستجيب للتواصل مع الزوجة وباستراتيجيات مختلفة: يلجأ إلى الإحالة دون بثّ أي مجال للاتصال الزوجي حيث يخرج من المنزل لسويعات، ينسحب إلى الانعزال، يتظاهر بالتّعب، أو من الممكن أن يجاريها في الكلام بدون اهتمام لمغزى الحديث؛ وكلّ هذه المواقف لا تترجم إلاّ بإعراض الزوج عن الدخول في علاقة حوار زوجية، والتهرّب من تثريبات الزوجة المُترجمة بتلكُّآت مُثيرة للأعصاب، وتوجيهات يعجز عن الانضباط لها، ومتطلبات يرفض استوفاءها، فيريد أن يكون بعيدا عن كلّ المواضيع التي تثير مضايقته، حيث "يتجاهل المشكل، لا يتواصل مع الزوجة ولا يتحاور معها إلا قليلا، يبحث عن تجنبها، يشتكي منها على الدوام، ولا يتفاوض معها... فباختصار الرجل يظهر غير مبالي بدون عدوانية، وعلى المرأة أن تتدبّر أمرها؛ وفي هذه الحالة الزوجة ترفض أن تترك الأمور تتجوّل، لا تتغلب على عواطفها، ترتبك، وتضخّم المشكل، فتبرز عدوانيتها، تقوم بالسخرية والتهكّم، تلجا إلى التهديد، العتاب والإتهام. وبهذا نحن أمام رجل هادئ وعقلاني الذي يؤدّي حتميا بالمرأة إلى التشوّق للحلول فيتركها تندفع بتهوّر، مُوجَّهة من

طرف قلقها وبالها المنشغل دوما، إلى أن يقوم الزوج بتوجيه اتهامات لزوجته،[1] فتشعر بالضغط، وتفرض حوار يأخذ شكل نزاع وخصام مفعم بالمساومات والحسابات التي تسدعي صراع محتدم يعيق عملية التفاوض، ويكون محفوف بالمخاطر، فـ"تصبح العدوانية الركيزة الأساسية لحل المشاكل... عندما الحوار لا يعد ممكنا[2] تغيب فيه الرزانة والهدوء، في مرحلة يفقد فيها الزوجان الصفة العقلانية في توجيه السلوك، لا يتمالكان نفسيهما عند الغضب، فـ"عندما يصبح الحوار مستحيل يصرّح Héritier أنّه لا يمكن أن نتكلّم عن العقل والمنطق"؛[3] في هذه الظروف، بعضهم من الأزواج الحثيثي الانفعال وسريعي الغضب يثورون ضدّ زوجاتهم، وفي عقب هذه الحالة تكون الشجارات والممارسات العدوانية من الميكانزمات التي تهدف إلى "التأثير على الضحية بضبطها من خلال الخوف والتخويف، مُحاولا اخضاعها لكي يتجنّب أي سلوك أو كلام قد يثير غضب المهاجم"،[4] وعليه يمنع أي مبادرة للحوار من طرف الزوجة، والتي تُترجم على أساس منع الاحتجاجات والمقاومات الزوجية بفعل العنف الجسدي، الأمر الذي يزيد الوضع تأزّما. حيث يخبرنا المبحوث رقم 12:

"أنا ندكّن في قلبي.. أنا ما نحبش نهدر بزّاف.. **هي لي في قلبها تخوّيه**، تبحث عن الحوار وتحب تفّهم وتحب تحط النقاط على الحروف.. وأنا نسمع لها وما نجاوبهاش.. يولّي شجار نخرج ونخليها. هي تبحث باش تتواصل معي.. وما تتهنّاش لوكان ما تْحطتش هدرتها.. **خطرة ضربتها**" (المبحوث رقم 45)

"**هي تهدر وتلكّ وتزيد.. توصلني نضربها ما نبغيش التبعكيك والهدرة الزّايدة**.. وأنا ما نشكيش حتى مرّات يحدثوا مُناوشات ومشاكل أسبابها مرات تكديس"cumul" ونقص الحوار: يَحدث مشكل اليوم، لا أتكلّم عليه، ثمّ غدا كذلك يحدث مشكل ولا أتكلّم فيه.. حتى يوّلوا 4 أو 5 ونْطّرطقْ لك كلّش ضربة وحدة.. في الأول تظهر الحاجة صغيرة، ما كان لاه نهدر لك عليها" (المبحوث رقم 12).

من النتائج التي توصلت إليها الدراسات العلمية في سويسرا تبيّن أن، الرجال الذي يمارسون العنف الزوجي ليس لهم الكفاءة في الاتصال وخوض الحوار مع الزوجة، عامة لهم صعوبة في التعبير عن رغباتهم الشخصية، الاستماع لشكاوي الزوجة، تطبيق اتخاذ القرارات المشتركة، إيجاد حلول للتوافق الزوجي، والتحدث عن أعباء الحياة الزواجية، وما يقلق ويشغل البال؛[5] فغالبا ما تكون المشاكل محلّ تكديس وتراكم للأحداث المكتوم عنها، إلى أن ينفجر بدون ضبط انفعالاته الهجومية ضدّ الزوجة بعد أن "يعجز عن طرح إشكاله للحوار والتفاوض –كما وضّح المبحوث رقم 12 أعلاه- في هذه الحالة سيعبّر عن مشاكله بعدوانية وسيحاول تفسير عنفه من خلال هذا التكديس أو لحدث أقلقه، والذي أثار غضبه و"أفقده صوابه"، أما الضحية فقد تعرضت لعقاب مضاعف، لسبب إخفاء "فقد صوابها" والذي غالبا ينفجر لحدث لا قيمة له، ولهذا العديد من الضحيّات للعنف الأسري تعيش الخوف لأنها تعجز عن تقدير ما يمكن أن ينشب من عنف من طرف المهاجم إذا حاولت البوح عمّا يختلجها من استياء، ومتى سيقوم بالفعل، إذا احتجّت"[6]

ويفسّر Gilles Rondeau هذه الوضعيات المزدوجة التأثير على الزوجة بأنّها راجعة بناءا على التفاعل الزوجي الغير سويّ، ويستطرد هذا التفسير من خلال مفهوم "المسؤولية" «responsabilité» و"السببية" «causalité» والتي يوجد خَلط بينهما، فسوء التفاعل الزوجي راجع إلى اتهام الضحيّة ولَومها على ما توصلت له من إيذاء، حيث المسؤولية تعود على الضحية أين يَجدر بها لَوم نفسها

---

[1]. Kellerhals Jean, C.p., P.p.167-168

[2]. Hassani Ali, Typologie des violences sociales en Algérie, Conférence donnée au Centre de Documentation économique et sociale Sophia, à Oran en mars 2017.

[3]. Yahyaoui Abdessalem et coll., VIOLENCE : Passage à l'acte et situations de rupture, Ed : la pensée sauvage, Grenoble, 2000. P.190.

[4] . Rondeau Gilles, La violence familiale, Université de Montréal, (1994). P13

[5]. Schar Moser Marianne, La violence dans les relations de couples : les causes et les meurs prise en suisse, B.F.E.G. 2008. P.25

[6]. May Clarkson, La Violence Familiale : une approche systémique, Service des études et analyses, Québec, Novembre 1994. P.25

على ما تُسبّبته من ترويع، رغم أنّها لم تكن المسببة الأساسية في افتعال مواقف العنف والصراع، فهذه الأخيرة راجعة لعلاقات سببية موجودة بين مختلف الأفعال أو الأحداث، والتي تكون مسترسلة حالت دون التواصل والاتصال؛ وأمّا Holtzworth-Munroe فتوضّح أكثر أنّ المسؤولية من المفروض أن تُسند إلى الجانب الأخلاقي للفعل وما قد ينجم عنه من عوائق وخيمة،[1] وبالتالي المسؤولية تعود على مرتكب الفعل بعد أن تهرّب من بثّ الحوار الهادئ والبنّاء، والتعرّف عمّا يختلج المرأة من ضيق، فإنّه "يرتكب الخطيئة ويتحلل منها بإلقائها على عاتق المرأة. وقد لا ينطق أحيانا بكلمة، بل يكتفي بالصمت والهروب، واللذان يشكلان تذيُّيا صارخا لكل الأخلاق التي شرّعها الذكور.[2] إذ تحكي المبحوثات:

"وين راه؟ باه تتحاور معاه. ومين جّي تتحاور معه، ما يفهمنيش.. نكملوها بالدباز: **أنا تعرفي كي شغل يردّ كلشي فيّ.. ويردني للوراء**" (المبحوثة رقم 17)

"كي نجي نحاسوا ونحب نهدر معاه بالهدنة يقعد ساكت وكي نزكي يتهرَّب، يا يخرج، يا ينوض يزكي باش يحبّسني.. نوصلوا ندّابزو حتى كامل نخرجوا على الموضوع، ويردّ اللوم فيّ، **يرّجعني أنا نوضت المشاكل وحبّيت نشعل النار**.. حتى نقول تَفيجْلت!" (المبحوثة رقم 14)

ج. الصّمت من مظاهر الاتصال الزوجي العنيف

لقد ركّزت دراسات علمية على مضمون التواصل الزوجي ووجدت أنّ عدم القدرة على الاتصال من الأسباب المولّدة للعنف، وغالبا ما يعود بالضّرر ضدّ الزوجة أين الزوجة تفرض فتح مجال للحوار، والذي غالبا ما يكون محتدم الصراع يؤدّي إلى العنف الزوجي، ولكن هذا الأخير يكون أكثر شدّة إذا لا تُطرح الانشغالات والمشاكل الزوجية طوال المسار الزواجي، حيث يشير Gillioz أنّه، ضمن العلاقة الزوجية تكون الزوجة ضحية العنف الزوجي إذا لا تتحدث أبدا عن مشاكلها مقارنة مع النساء اللواتي تطرح انشغالاتها للزوج؛ كما أنّ المرأة تتعرض للعنف ضمن العلاقة الزوجية أين الرجل لا يطرح أبدا مشاكله للزوجة، مقارنة بالعلاقة الزوجية أين الرجل معتاد على التحدّث عمّا يشغل باله.[3]

غالبا ما يتوجّه الزوجان لتفادي المشاكل والصراع الزوجي في حالات ومواقف مختلفة إلى الانسحاب، رافضين مجال الحوار، فينعرِجان نحو الصمت، وهذا الأخير "من أنماط الاتصال الذي يتضمّن معنى عميق، وغالبا ما يكون غامض، يُضفي هدوء واستقرار، ولكنه في واقع الأمر بُركان خامد، نجهل اليوم والساعة التي سينفجر فيها، ولكن لطالما كانت "النساء من الفئة التي تتكلم كثيرا، ولها الكثير ما تقوله وما تطلبه؛ والرجال هم أقل تركيزا على الرابط الزوجي، يتهربون عادة بالصمت، ويلجؤون إلى **الانسحاب بسرية**، لا يفهمون طلبات زوجاتهنّ للاتصال الودّي، وبالتالي فاعلية الاتصال تقلّ كلما ارتفع الشعور بعدم الرضا... والمجال يكون مفتوح للصراع،[4] وكلما طالت مدة الصراع والخصام كلما ضعف التواصل، وكلما تجنّب الزوجان الحوار ومحاولة إعادة بناء الصراع كلما زاد الوضع تعقيدا وتأزّما، حيث يتم "الإغلاق على المشاكل الزوجية" بدلا من محاولة كل طرف فهم الآخر.[5] إلى أن تُبنى علاقة متباعدة والتي تقود إلى علاقة زوجية أكثر سوءا في حالات يتزمّت الرجل فيها على المبادرة في التقدم لإيجاد الصلح والصلاح للأسرة عكس الزوجة: "هي سهلة الرضا" أين الزوج يتقدّم إلى مرحلة الغفران لدورة العنف، والتي صرّح بها معظم المبحوثين وتقدّر

[1]. Rondeau Gilles, La violence familiale, Université de Montréal, 1994. P10 ; voir aussi : Evelyne Josse, Les O.p. Cité, P.p.16-17

[2] . سيمون دي بوفوار، ترجمة: ندى حداد، الجنس الآخر، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2008. ص. 170

[3]. Schar Moser Marianne, La violence dans les relations de couples : les causes et les meurs prise en suisse, B.F.E.G. 2008. P.25

[4]. Kaufmann J.-C. (1993) Cité O.p., P.p.112-117

[5] . أنظر: سناء حسنين الخولي (2011)، مرجع سبق ذكره، ص.ص.219-220؛ عدي الهواري، مرجع سبق ذكره، ص.65.

بـ78% حيث 11 ما بين 14 الرجل صرّح أنّ الزوجة تتقبّل العَفو بمرونة رغم كل مواقف العنف التي تتعرض لها من طرف الزوج كما يتوضّح في الشكل التالي:

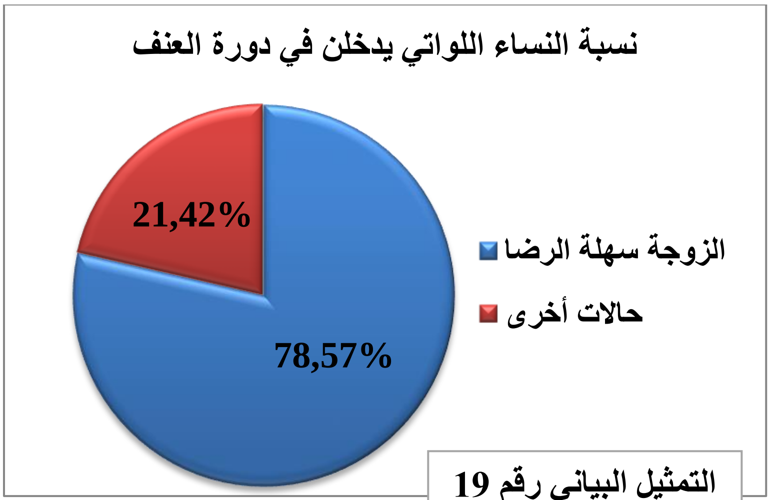

التمثيل البياني رقم 19

تحكي المبحوثة رقم 14:

"في المرة الأخيرة تشاجرنا لسبب... تخاصمنا ليومين أو ثلاث، أنا مانجمتش، قلت لاّ. لو كان تزيد هذه متنايفة دوك تتأزم الأحوال. فبدأت أتكلم معه، هو قعد مْنايف.. تعدى 7 أيام.. وتخاصمنا لمدة تقريبا شهر كامل.. والله إذا خمّمت في الطلاق، عاود قلت نعل الشيطان، آجي نهدر معاه فاين ريك حاب توصل.. لابدّ من التفاهم بهدوئ، لم يرد. فإذن قلت له دبّر راسك أنت وضميرك.. عيّاني.. **نقول له أنت كي تحب تهدر معاي خفخف نكحْز لك، يضحك علي بـ 2 كلمات**. وهو يقعد مقنّف.. حتى يهجرني" (المبحوثة رقم 14)

يشير Mouchtouris منوّها أنّ غياب الحوار بين الزوجين من العوامل المؤدية غالبا إلى الانفصال أمام غياب التواصل والتبادل الزوجي تُعتبر من العوامل المهمة التي تؤدي إلى إنقطاع العلاقة،[1] فإنّ منع الاتصال والحوار يعني منع التواصل الزوجي أين سيعمّ الصمت وبالتالي الطلاق الروحي؛ ويوضّح لنا أكثر Kaufmann أنّ حالات الصمت التي تقود إلى علاقات معنَّفة تأخذ غالبا شكل المكر، والحيلة والمراوغة، مع بعض التصرّفات المقنّنة المقتصدة للجوء إلى عملية التفاوض المنفجر، وهذا أهول من حالات يكون فيها الصمت متشدّد وثقيل يحصر الصراع، محمّل بالعنف؛ فالصمت الزواجي "le silence conjugale" لا يتولّد من فراغ ويأخذ درجات مختلفة، يعجز الفرد على فهم تعابير وتصرفات الآخر المتعصب بطريقة هادئة، وهذه التصرفات تؤدي إلى ما يرثى له أين المتعصب قد يقول تفاهات وكلام مهلهل لا معنى له،[2] يؤول إلى عنف لفضي.

ولهذا فإنّ الصّمت يعتبر من أقوى وأشد عنف وارد بين الزوجين، يقود إلى ضعف الاتصال أو انعدامه، وهذا الأخير على حسب Kaufmann يؤدّي إلى عواقب وخيمة، من آثارها ضعف التبادل الوجداني الزوجني، والذي يؤدّي بدوره إلى بروز خلل في غور العلاقة الزوجية، مع تجلّي الخداع الزوجي. فإنّ الاتصال من الوسائل الضرورية لإحداث التوازن في العلاقة الزوجية"،[3] وعليه تضيف سناء حسنسن الخولي منوّهة أنّه، "كلما عاد الزوجان إلى حالة العاطفة والتخاطب بصفة سريعة بعد المشاجرة، كلما كان أسهل عليهما تأخير شجار آخر. فمن الأفضل ألاّ ينام الزوجان وهما متخاصمان لأنهما بذلك يعتادان على الضغينة والتباعد".[4]

[1]. Mouchtouris, Cité O.p., p.145

[2]. Kaufmann Jean-claude (1992), O.p. Cité, P.p.179-183

[3]. Kaufmann J.-C. (1993), C.p., P.p.108-109

[4]. سناء حسنين الخولي (2011)، مرجع سبق ذكره، ص.229.

2.2. ضعف التفاعل الوجداني نابع من ضعف التواصل والاتصال

أ. العلاقات العاطفية بناء اجتماعي

تبيّن لنا في الدراسة الميدانية أنّ، رغم سوء العلاقة بالقرين والتي تمثّل 36% من جل المبحوثين، وهي نسبة نعتبرها كبيرة تجاوزت الرّبع من مجتمع البحث المدروس؛ ورغم ضعف العلاقة بين الزوجين التي قدّرت بنسبة 22% (أنظر الجدول رقم 5، التمثيل البياني رقم2، ص.113)، إلاّ أنّ العلاقة الزواجية بقيت مستمرة عند الأغلبية من مجتمع البحث، وهذا يعني أنّ معظم المبحوثين متقبّلين نمط العلاقة مع القرين، والتي تستدعي الألفة الزواجية وكأنّه تعوّد على نمط الحياة بالقرن أكثر منه تعوّد على الزوج أو الزوجة كفردين قابلين لبناء علاقة موحّدة متكاملة، مُصرّحون المبحوثون:

"لا نقول حب مع الزوج وإنما وَلْف.. يقولوا لي الدراري علاه ما تطلقيش منّه نقولهم ما نخلّيكمش بلا بوكم.. يبقى بوهم وبو اولادي" (المبحوثة رقم 1)

"حب مع الزوج، لاّ.. الحب مع الوالدين والاخوة والأخوات" (المبحوثة رقم 2)

"مع الزوج الوَلف نعم، والوالفة خير من التالفة" (المبحوثة رقم 24)

"مع الزوجة الولف ليس الحب، الحب مع الوقت يأتي.." (المبحوث رقم 4)

"هو يقول لي أنا ماحبيتكش ولكن والفتك. أنا من ناحيتي مرات يبالي حب ومرات ولف. كي يغبني مرات أكرهه. كي يْضَرني مرات ندعي عليه. مرات نقول والفت المشاكل لي راني فيهم" (المبحوثة رقم 7)

إنّ نمط هذه العلاقة التي صرّح بها المبحوثين والمبنية على الألفة والتعوّد، لا تنفي أنّها علاقة قابلة للانفصال في أي لحظة وفي أي مرحلة من مراحل الحياة الزوجية، غير مبنية على العاطفة؛ فعلى حسب Mouchtouris العلاقات الوجدانية، تعتبر من *المميّزات والخصائص الأساسية لبناء علاقة زوجية محكمة تستدعي البذخ العاطفي وبناء أسرة متمسّكة*[1] ومتماسكة الوحدات، فإنّ نوعية العلاقات الزوجية تبنى بدرجة التبادل الوجداني والحميمي، وإذا غابت هذه الأخيرة فإنّنا أمام بناء علاقة واهية وهشّة، حيث ضُعف العلاقات الحميمية والوجدانية تُعتبر من أهم العوامل التي تثير الفتور العلائقي بين الزوجين، وهو *الأمر الحاسم الذي يأخذ إلى توليد علاقة ضعيفة بين الزوجين تجمع بينهما الألفة والتعوّد على الآخر ليس إلاّ*،[2] ومن الممكن أن تأخذ هذه العلاقات إلى تشابكات عنيفة، والتي تجلّت ميدانيا بنسبة 44,62% من جلّ المبحوثين (أنظر الجدول رقم 14، التمثيل البياني رقم 18، ص.222) وأثرها يكون واضح في لحظة يكتشف فيها قرناء الأزواج أنّ مضمون الرابط الزوجي لا يحتوي على علاقات التبادل الزوجية -سواءا المعنوية منها، أو المادية- والتي تعطي معنى للوحدة الزوجية، حيث تضعف المشاعر والعواطف وتُختزل العلاقة الزوجية بتقبل الآخر في مكانته كأب للأبناء، وأم للأبناء؛ وعليه نشير أنّ الرابط الزوجي وما يتضمّنه من تفاعل وجداني لا يتكوّن من فراغ، وإنّما يبنى في غور علاقات التفاعل الاجتماعية الزوجية، وما يجمع بينهما من مقوّمات تضمن الحياة الأسرية المشتركة والتي غالبا ما يعجز الزوجان على التوفيق في بنائها.

يوضّح سليمان مظهار أنّ التباعد بين الزوجين ينشأ من خلال المجالات والأدوار العائلية المقسمة بين الجنسين، حيث المجال المنزلي دائما يُصرف منه الرجال لاعتبارات اجتماعيا تخوّل كل طرف أداء دوره في المجال المستحق له بصفة مطلقة، إلى أن يُخلق تباعد في إمكانيات التبادل بين الرجال والنساء الذي يمكنه أن يولّد ألفة قد تكون ضارة، ويحدث اضطراب في التوازن الأسري؛ وعليه فالانشغالات اليومية للزوجين تُخفي عملية التواصل وتحول دون بناء علاقة وجدانية تثير علاقة زوجية محكمة، وعليه تضطرب الحياة الجنسية، ويُلغي الحب الزوجي،[3] إلى أن يصعب على

[1] . Voir : Mouchtouris, Cité O.p., P.p.137-138

[2]. أنظر سليمان مظهار، مرجع سبق ذكره، ص.80

[3]. سليمان مظهار، مرجع سبق ذكره، ص.235؛ دكتور سبوك، ترجمة منير عامر، حديث إلى الأمهات: مشاكل الآباء في تربية الأبناء، الطبعة العربية، بيروت، 1998. ص.ص.202-204.

الزوجان التوفيق بين المسؤوليات العائلية و*الحياة العاطفية التي تصبح صعبة المنال إلى حد عدم القدرة على إدارة العلاقات الأسرية*، وهذه الأخيرة تلتمسها Aline Furnemont *كموجّهة زوجية في عجز أحد الطرفان أو كلاهما أن يتوصلان إلى ما هو متوقّع من الآخر والتي تشمل: التضامن، قدرة الاتكال على الآخر، الكفاءة في ادخال السرور والانشراح أين يمكن للزوجين اعطاء قيمة لحياتهما المشتركة.*[1]

وعليه يمكن أن نقول أنّ العلاقات العاطفية وكل ما يتضمنها من مشاعر الحب تُبنى اجتماعيا بعد أن يكتشف كل طرف مع مدة من الزمن تضحيات القرين له وما يمكن أن يقدمه كل منهما للآخر، فـ"الحب هو توافق الحاجة والعاطفة"[2] حيث الفرد لا يمكنه أن يتفاعل مع الآخر إلاّ إذا توفّرت له الشروط الاجتماعية والذاتية، والتي تسمح ببناء علاقات وجدانية مع من يعتبره شريك الحياة، والتوصل إلى التمسّك بالآخر كطرف يستدعي القبول والحبّ. حيث يصرّح المبحوثون والمبحوثات:

"هي بالنسبة لها العلاقة معي سيئة.. ولكن أنا ما نسمحش فيها، لقيت فيها الحنان الموفقود من الأم" (المبحوث رقم 10)

"هي متعصبة.. ولكن أحبها. أنا الأم كانت دائما بعيدة عليّ، رغم أنها قريبة، والزوجة عمّرت عليّ واحد الفراغ كنت أشعر به" (المبحوث رقم 45)

"وجدت الزوج مثل الاب وأكثر.. رغم أنه ينارفيني.. هو نْصيب راسي معاه. في الحق لي نطلبه منه يجيني عند فمّي. أحبه" (المبحوثة رقم 14)

ما استلهمناه في عمق حديث المبحوثين أنّ العلاقات الوجدانية والتقرّب من القرين تتضمن شروط، وكما أشار De singly الحب والعلاقات الوجدانية تتطلب واجبات، حيث لا بدّ أن تسير باحترام بعض القوانين والأولويات[3] التي تسمح بتقبل كل منهما الآخر بعيوبه ومزاياه، فينظر أحد منهما أو كلاهما إلى الوجه الآخر للقرين الذي يجد فيه ما هو مفقود لديه أو ما سيكمله؛ فما توضّح لنا من حديث المبحوثين أن كل طرف إلاّ ويريد احتواء العلاقة الزوجية من حيث ما يمكن أن يقدمه له الطرف الآخر في علاقات التفاعل، أين كلا الطرفان يشعران بالرّضا في إطار المجال الزوجي، وفي هذا السياق يخبرنا De singly أنّ "الرجل ضمن الرابطة الزوجية يبحث عن الدعم العاطفي والمرأة تبحث عن الدعم المادي[4] الذي كان تحت رعاية الأب، وإذا العلاقة الزوجية لم تنجح هذا يعني أن القرين لم ينجح في دوره كزوج (زوجة) ولم يستوفي رغبات كل منهما الآخر حيث كان "من الصعب عليه أن يفهم كيف يمكن للحب أن يصبح واجبا"[5]

ب. ضعف التواصل الوجداني يولّد ضعف الرابطة الزواجية: خيانة زوجية محتملة

تشتكي المبحوثات:

"ما يقربليش قع.. الأكثرية مدابزين.. وزيد لا يجلس معي.. لا يوجد تلك العبارات اللطيفة "عمري" مثلا، والتصرفات الجذّابة" (المبحوثة رقم 18)

"**الزوج لو كان تبعّد عليه شْهر غْبّرت ماعلابالوش**.. أنا نحوّس عليه" (المبحوثة رقم 4)؛

"أصبح يتكلّم إلاّ على المادة والمشاريع.. ولكن باه يقولّك مالكي، شّا راه غابنك، ولّي راه ضارّك، لاّ.." (المبحوثة رقم 1)

معظم المبحوثات تشير أنها هي من تبادر أولا في التبذّخ العاطفي والزوج قليل المبادرة في هذه المشاعر، لكي لا نقول منعدمة، فتعتبر الزوجات أزواجهن غير مكترثير لهنّ وللعلاقة الزوجية؛

---

[1]. Centre d'Education à la famille et à l'Amour, Les clefs d'un couple qui dure, C.p., P.p.1-3

[2]. سيمون دي بوفوار، مرجع سبق ذكره، ص.ص.83-84

[3]. De singly François, Sociologie de la famille contemporaine, Nathan, 1993. P.79

[4]. De singly François, les manœuvre de séduction, revue française de sociologie, 25(4),1984. Par : Kaufmann J.-C. (1993), C.p. P.p. 104-105.

[5]. سيمون دي بوفوار (2008)، مرجع سبق ذكره، ص.129

ولكن في الحقيقة هذا البعد المعنوي الزوج هو من يبحث عنه لأنه في الواقع يبحث عن المرأة التي تعوّضه حنان الأم، حيث أنّ *الزوجات يتوجّب عليهنّ أن يتقمّصوا دور الأم في علاقتهنّ بأزواجهنّ*،[1] ليكون هناك لديها قبول من الزوج، *وعليه* تنجح المرأة في دورها كزوجة إذا كانت عاطفية كالأم، ولكن للأسف لا يمكنها أن تطمح في التبادل الوجداني الزوجي. يوضّح Kaufmann فتور الجانب الوجداني بالنسبة للزوج اتجاه زوجته، على أنّه يكمن في درجة اندماج الأزواج في العلاقة الزوجية حيث يتحدّد الفرق بين النساء والرجال؛ ويفسّر Kaufmann هذا الفرق على أنّه مرتبط بمتغيّر الدّعم العاطفي، فيشير أنّ، الأزواج يحبّذون الدعم العاطفي من زوجاتهم هذا لأنهم معتادين على تلقي هذه الخدمات الوجدانية، فيكونوا أقل اندماجا في الوحدة الزوجية عكس النساء، إلى حد أنهم يركزون على هذا الجانب بصفة مباشرة وبأنانية"[2] لا يهتموا بالتبادل الوجداني في علاقتهم بزوجاتهم فيصعب على الزوجات إنشاء علاقة زوجية تدعمها العلاقات الوجدانية بصفة متبادلة. فتخبرنا المبحوثة رقم18:

"يقول لي أنت دلقيلي.. **نحس بلّي أناني**.. وماعلابالهش **شحال ما نبعّد هو يبعّد**. وهذه الخطرة راه مْنَايفني مابغيش نهدر معاه. لاّ. مانهدرش وماندير هاش.. مرات نبغي نهدر معاه زعما ماحاصيش.. **كي كان معايَ غاية كنت نسيطر على المشاعر والغضب**، ولكن عندما تغيّر لم أعد أستطيع أن أتركها في قلبي. كما جرحني أجرحه حتى هو. الحياة راهي مضطربة.. **وينقصه حنان، انا مارانيش عاطياته الحنان، عندي دودة في راسي انت راك مبعد حتى أنا نبعّد**.. الراجل ماجانيش كيمّا لي كنت باغية" (المبحوثة رقم18)

إنّ من التصريح الأخير نلاحظ أنّ العلاقة الوجدانية بعدما كانت في طور الإنشاء فقد تهدّمت في مرحلة نكص الزوجان عن العطاء الوجداني بصفة متبادلة، أين التواصل الزوجي بات يُخفي بعض التذمُّرات التي تعاني منها الزوجة وأساسها غياب العلاقات الحميمية، مما يسمح لنا القول أنّ "الحبّ من أساسيات علاقات التفاعل الاجتماعية؛[3] ولكن الحب يتطلّب التنقيح أمام المشاكل والعوائق التي يواجهها الزوجين، فإنّ العلاقات الوجدانية كما تُبنى "تتطلب إعادة البناء وتذكير الآخر أنّه دائما موجود يعمل على إثارته وجدانيا،[4] يستبعد أي فتور عاطفي، والذي يؤدّي إلى توليد ضعف التواصل وإثارة علاقات تعنيف. يؤكّد سليمان مظهار أنّ العدوانية تتجلى بين الزوجين بضعف الحياة الوجدانية، لا يوجد نظرة عاطفية، ولا كلام لطيف، أين فعل أُحبّ وكل ما ينجرف من عواطف وتبذّخ وجداني محدود إلاّ في المصطلحات الأمومية. وفي هذه الحالة الأفراد يعانون من حرمان مزدوج وجداني وجنسي،[5] حيث العلاقات الجنسية لا تكون مدعّمة بالتبادل العاطفي؛ ولكن يشير عدي الهواري في نفس سياق المضمون أنّ الحب هو شعور إنساني، سنبالغ إذا نقول أن المغاربي لا يحب زوجته أو الزوجة المغاربية لا تحب زوجها، لأنّ هذه المشاعر موجودة ولكن يُعبر عليها من خلال الثقافة الأبوية،[6] التي تضبط غالبا الزوج في علاقات رمزية تضمن تحفّظ الزوج لمشاعره الزوجية؛(*) وفي عقر هذا النظام تدخل المعاملة بالمثل، فتتراجع الزوج عن دورها التعبيري في علاقتها بالزوج أين ستفقد علاقتها به بعدما تتخلّل المحاسبات في مجال المعاملات والتصرفات الغير مرغوب فيها.

يوضّح لنا Kaufmann أنّ المعاملات هي أكثر ما تميز العلاقات الزوجية، أين نعطي دون ثمن لنأخذ دون تحفظ؛ و"المعاملة بالمثل" تكون هي النقطة الأساسية والمهيمنة في الزواج، حيث

---

1 . Lemarchant, O.p. Cité, P.14

2 . Kaufmann J.-C. (1993), C.p., P.105

3 . محمد مصطفى الشعبيني، مرجع سبق ذكره.

4 . Kaufmann J.-C. (1993), Cité O.p.

5 . سليمان مظهار، مرجع سبق ذكره، ص.ص.235-139

6. Lahouari Addi, C.p., P.65

* "كان المجتمع العربي يرفض أن تكون هناك علاقة حميمية بين الزوجين. ولنا لرثاء جرير لزوجته خالدة، يقول: **"لولا الحياء لعادني استعبار******ولزرت قبرك والحبيب يزار"**. يشرح "الخمار بوقرعة" هذا البيت الشعري موضّحا أنّ، هذا التصريح بالحب كان متأخر بعد موت الزوجة، حيث جذور حميمية ناضجة بين الزوجين كانت ممكنة التحقق لولا تلك "النظرة السيئة" كقيمة تقليدية اجتماعية "**لولا الحياء**".. تحرّم الشخص حتى من زيارة قبر زوجته. فهناك رغبة خفيّة في العيش في حميمية زوجية والتي تُكبت على مستوى اللاشعور". الخمار بوقرعة، الزوجان والخطاب: نحو وضع اشكالي لمفهوم الزوجين، مقاربات: أزواج وتساؤلات، سلسلة بإشراف عائشة بلعربي، نشر الفنك، 1992، ص.ص.18-19.

يلجأ الزوجان إلى التركيز على هذا التبادل التفاعلي والمحتمل التطبيق حتى في المعاملة السيّئة التي تمهد إلى الثورة الأسرية... وغالبا ما يتجه الزوجان لإدارة المعاملة المتماثلة بضبط العلاقات من خلال ما يسمّى بـ"الإخلال بالواجب بصفة سرية" أو "الارتداد السري"، هذا النمط في التعامل يسمح بإبداء نوع من عدم الرضا من دون أن يتفوّه بكلمة... شكله يسمح بالانفصال نوعا ما عن الشريك بتكتّم ومن دون تغيير الهيئة؛ ولكن من جهة ينتظر لمدّة رد فعل من الآخر يتمّ فيه إزالة عدم الرضا. هذا الارتداد السري هو سيرورة في غاية الحركة، متغير ومتعدد الأشكال، يعبِّر بليونة عن الإستياء بأنواعه المختلفة،[1] ولكن يُضعف التواصل الزوجي خاصّة إذا طال مدّته أين سيتجاهل الزوجان بصمت استياء كل منهما الآخر، وإذا ما حاول أحد الطرفان التنازل عن كبريائه للآخر فسيزيد الوضع تأزّما، فـ"على حسب Peter Berger وHans Kellner، الزواج هو حدث قاطع وجازم يوجّه الهوية الذاتية الفردية في العلاقة بالقرين، وهذا لا يقوم إلا من خلال عملية الاتصال، وبطريقة مستمرة تسمح بتغيير نظرة الزوجان للعالم. فالزوجان يتوجب عليهما التقرب من بعضهما ليعيدان بناء شخصيتهما والتقدم للأمام"[2] يخبرنا المبحوثون:

"راني نحاول نقربَه، وراني خايفة نوصل للبُغض على خاطر ولّيت نكَّرهه. راني باغية ندير صوالح حتى يولّي يبغيني ومايوليش يصبر عليّ. نخاف نجبد راسي complètement." (المبحوثة رقم 18)

"في مرحلة حسيت لو كان نْعاندو دوك نوّصلوا للبعيد.. بديت نحاول نتقرب منّه.." (المبحوثة رقم 14)

"كنّا ماشين نتخاسروا على والوا.. ما بقيتش نحب نّايف، ومابقيتش نحب نعمل عليها" (المبحوث رقم 45)

"أشعر أنه –الزوج- بعيد عني كثيرا.. حتى العلاقات الجنسية ضعيفة جدا هو في جيه وأنا نرقد مع الدراري.. ولكن ندمت لّي فرقت في المضجع. **يليق المرا تقعد قدام راجلها**.. بعد مدّة خلاص **تبقى علاقة سطحية ليس إلاّ.. هو باش يقول زعما يدلّق والوا**" (المبحوثة رقم 1)

من خلال حديث المبحوثين يتبيّن أنّه كلّما طالت مدّة الصرّاع وضعفت علاقة التواصل والاتصال الزوجي، كلّما اتجه الزوجان إلى العنف، والذي سيكون خطّي مسترسل يولّد علاقة واهية قابلة للانفصال *باتخاذ قرار الطلاق أو الهجران*،[3] وهذا الأخير كلّما طالت مدّته كلّما تخلّلت العلاقة الزوجية ارتدادات عنيفة مُعلن عنها، أين يتوصل الزوجين أو أحدهما إلى وضع القرين تحت المراقبة تخوّفا من أي خداع زوجي؛ أو سريّة أين ينحرف أحد الطرفان إلى الخيانة الزوجية.

إنّ الهجران *يُؤدّي إلى توسيع هالة التبادل خارج المجال الزوجي، والفرصة التي يمكن أن نتوقعها أنّه يبقى المجال مفتوح للتعارف وبناء علاقة غرامية أخرى*،[4] بعدما يشعر بالوحدة، محروم *من الضروريات الغير ماديّة، وهو نمط من أنماط العنف الذي يتجلّى في حالة منع سدّ حاجيات الفرد والتي تفرز عدم الرضا*،[5] وهذه الضروريات تُجرف الفرد إلى الشعور بالفراغ الداخلي والانفصال عن الطرف الذي من المفروض أنه بمثابة نصفة الثاني، حيث يخبرنا المبحوثون والمبحوثات:

"أحببت الزوج ولكن خان العشرة.. هو وصل حتى خدعني.. تعرف وصل يكرّهني فيه وفي حياتي، حتى أصبح **يقول لي: "رِيكْ بلا احسَاس"، كيفاش يجي هذا الاحساس؟! وهو ما نشوفوش كامل النهار** ومايعرفنا إذا راحنا غاية أو لاّ.. **وصل يقوم بصداقات نسائية** عبر الهاتف، وتوصل به الحد أنّني وجدت في منزلي ملابس داخلية لامرأة.. وفي الأخير قمت بالخلع" (المبحوثة رقم 13)

"**خدعني معها** –امرأة أخرى- **وجدت فرصة تقربت منه**، وأنا قلتهالوا.. **كنّا متفارقين وظروف كثيرة فرقت بيناتنا.. حسّيت أنني لم أقم بدوري جيّدا!** ولكن طْفْرَت.. المحامي الذي طلقها هي.. طلقني أنا وراجلي.. دخلت حتى لداري كي كنت غايبة. كانت تخلّي les traces.. ويقولي كانت مقلقة!." (المبحوثة رقم 7)

---

[1] . Kaufmann Jean-claude (1992), Cité O.p., P.167

[2] . De singly François (1993), C.p., P.79

[3]. أنظر: سليمان مظهار، مرجع سبق ذكره، ص.ص.200-201.

[4]. Kaufmann J.-C., (1993), O.p. Cité, P.p.108-109

[5]. May Clarkson, cité O.p., P.10

"متزوج بامرأتين، الأولى طلّقتها.. **خانتني** شفت sécatrice في رقبتها.. وتتبّعت الموضوع وتأكدت.. تعرف حاجة يمكن أن أقول الغلطة منّي أنا: **أنا كنت خدام نخدم كامل النهار**.. أنا تجاوزت حدودي في التّنبيه: ماديريش ديك، ماتعمليش ديك، ما تلبسيش.. وهي ما نَجمتش.. **وأنا كنت من الذين يبغوا يقصروا كنت نشرب شويّ**. كي نخرج من العمل نروح للدار نشوفها **نقعد معاها ونعاود نخرج مع اصدقائي**، وكنت عاطيها نوع من الحرية أثق فيها.. فإذن **قلت لها عمل أنت صديقات روحي معهم**، كملي قرايتك.. فإذن **ما بقاتش تقعد في الدار بزاف**، وطريقة لبسها تعدّات الحدود بدأت أتخاصم معها بزاف. فإذن كان الحل الطلاق" (المبحوث رقم 8)

"أنا نظل قع النهار خدّام.. وأنا سمحلي نفسي ضعيفة نعيا.. في هذه العلاقة نخدم وندخل لداري حتى للّيل نبغي نريح.. وهي على هذه ظل تحاسبني والغيرة.. طلّقتها.. خدعتني: سمعتها تهدر في تليفون مع واحد شحال من مرّة" (المبحوث رقم 9)

يشير Erich Fromm أنّه بعدما أن يشعر الفرد بالانفصال عن الآخر، وفَقد الوحدة الزوجية، يلجأ إلى الانحرافات من بينها الجنسية، معتقدا أنه سيصل إلى حل لملئ ثغرة الشعور بالوحدة. ولكن من الممكن أن يفشل لمرات ويَدخل في علاقات أخرى لا مفرّ منها،[1] أين يدخل في دورة الخيانة الزوجية، وهذه الأخيرة "من أهم وأخطر الأسباب التي تؤدي إلى الطلاق، إذ أن الحياة في أسرة تحيط بها الخيانة هي عملية شاقة لا يقدر على تحملها أحد.[2]

- **الغيرة المرضية نتاج علاقات زوجية ضعيفة التواصل**

كانت الغيرة من نتائج الدراسة التي ولّدت العنف الزوجي في علاقة تأثير وتأثّر، ولكن بلغت شدّتها عند الزوجات مقارنة بالرّجال حيث بلغت نسبة 83% كما يتوضّح في الشكل البياني أسفله والممثِّل للجدول رقم 17.

ويخبرنا المبحوث رقم 11:

"**حتى أنا نغير عليها** لو كان نشوفها في بلاصة ما يكونش على بالي مانبغيش، **ولكن هي لدرجة الشكّ**.. فاتت الحدود، أنا داير les limites ما نخليش راسي يدّيني بعيد، ولكن هي تخلي راسها يخدم ويديها بعيد.. راني متحمل ومتقبلها لربّما تتغيرّ"

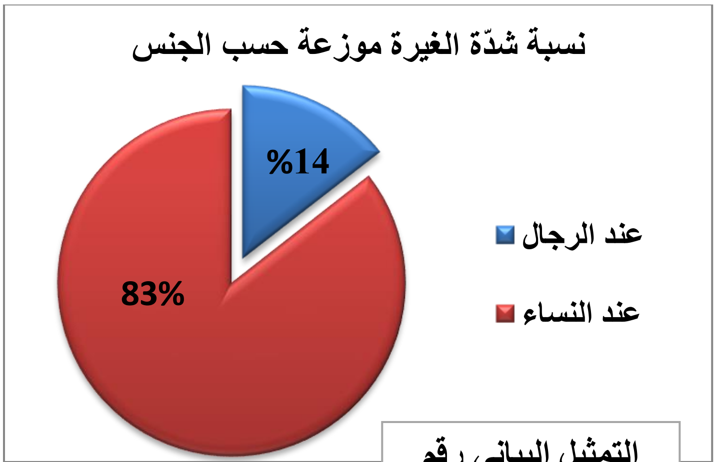

التمثيل البياني رقم

يشير علي حساني أنّ الصراع يمكن أن يكون بين زوجين، من أسبابه: الغيرة وعدم الوفاء، والميزاج المعكر؛[3] والغيرة بدورها لها أسباب تكمن عندما يختلج أحد الزوجان الشعور بالوحدة والفراغ العاطفي، والذي يولي إلى الخوف من إضاعة الزوج كشريك حياة مستأنس له، فإنّ "الغيرة هي رد فعل للخوف من فقدان العاطفة والإخلاص من الشخص الآخر.. وقد لا يحلِّل الزوج خوفه إلى

[1]. Voir : Erich Fromm, O.p. cité.

[2]. طارق كمال، الأسرة ومشكلات المجتمع، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2015. ص.55.

[3]. Hassani Ali (2005), O.p. Cité, P.p.37-38

هذا الحد ولكن الخوف موجودا رغم ذلك. وقد يكون رد الفعل عنده بالغضب والكراهية وذلك حسب مقدار وَعيه بالخوف الذي ينتابه، ولكن هذا الشعور يرجع في الأصل إلى عدم الأمان... والشعور بالدونية... فيمكن اعتبار الغيرة "انهزاما للذات"... تتضمن غالبا إسقاط اللوم على الشخص الآخر؛ فالشخص الغيور لا يقول أنا غيور لأنّي خائف وغير آمن، ولكن يقول أنا غيور لما تفعله".[1]

غالبا هذه التخوّفات تنتاب النساء أكثر من الرّجال ولهذا الغيرة تكون أشد وقعا عند الزوجات، فتبدأن بمراقبة تصرفات الزوج وسلوكياته، دون الإدلاء عن شعورها، تندفع إلى اتباع خطواته من بعيد أو من قريب، "تحت سيطرة الاعتقاد بأنها تتمسك بما هو ملك لها وتحاول أن تحافظ عليه"،[2] وهي مرحلة لبداية العنف ضدّ القرين حيث "العنف يبدأ بغيرة بسيطة إلى نوبة من الغيرة التي تفرز الإحساس بالاستياء والحنق،[3] النابع في اتجاهين: الغير على الزوج، والغير من المرأة التي يتهيّأ لها أنها ستأخذه منها؛ وبما أنه مندمج بقوة ضمن المجال العام ستراودها الحيرة بما يفعله خارجا، وتتأجّج لديها الشّكوك، وهذه الأخيرة كما يعبّر Alexis De Tocvil "تعتبر ثالث أهوال الحياة بعد المرض والموت"،[4] أين تختلجها الغيرة المرضة بعدما تفقد ثقتها بنفسها وبالتالي في القرين. فتحكي لنا المبحوثات عن غيرتها والظروف التي سمحت بتأجّج هذا الشعور:

"أنا ما كنتش نغير، هو رجعني نغير.. أصبح ماعلابالوش بيّ. يسمح فيّ: يرقد ويخليني، يخرج ويخليني، يغيب كامل النهار في الخدمة، يا إما يدخل للدار يرقد، أو يتفرج، من بعد يخرج مع صحابوا، حتى للّيل، ومرات يسافر ويقولي مشيت راني قابط الطريق. بدأت ندّابز معاه، ماحبش يستعرف. ما نكذبش عليك **وليّت نرعش بالغيرة والشكّ، الشكّ قتلني. تعرف نهار لّي بانت لي راه خدعني، الدنيا دارت بيّ، حسّيييت راسي ضايعة**.. بانت لي الدنيا كحلة، رفدت خُدمي وحبّيت نقطّع العروق تع يديّ.. غير أولادي قبطوني" (المبحوثة رقم 14)

"**أنا غُرت منه وحتى وليت نشك**.. كان بعيد علي، أنا في تلمسان، وهو يتنقل مّرات للعاصمة، لوهران.. كنت نروح على غفلية نفقده.. يدُخلَك الشك وصرات لي شحال من مرّة. خاصة كي قعد في وهران 6 سنوات.. **وصلت نغير عليه ودّابزنا**.. نروح نقضي ونطيبلوا تع الأسبوع ونغسل القش ونحدّد.. نفوتوا غير تُعب، وكي نولي وعلى غفلية.. نصيبوا مخلي الماكلة لّي قداموا ويأكل في المطاعم، أنا نجي 150كلم من البعيد ونتعب وهو ماعلابالوش.. **إيا كنت نشكّ، ولكن عمري ما قلت له بلّي نشك فيه**.. هذه أثرت فيّ.. je serai triste. ندّابز معاه ونحاسبوا.. على صوالح مايعجبونيش.. ومن بعد قلت نرفد عامين mise en disponibilité وقلت نمشي نقعد مع راجلي sauvait ma vie de couple" (المبحوثة رقم 4)

إنّ الزوجة في عقب الاضطرابات الزوجية لنظام التواصل والاتصال يختلجها غالبا تصورات خيالية تشعر أن نساء المجتمع منافسات لها على نفس الرّجل، فـ"متى نشأت الغيرة فإنه يعقبها اضطراب في الملكات النفسية للفرد إذ تفقد اتزانها ونزعتها الواقعية، فيساعد ذلك على تولد الأوهام والتفسيرات الخاطئة للوقائع"[5] فيبرز "العنف الخيالي"[6] الذي هو عنف نـــــابع من عواطف خيالية حاضرة بصفة مطلقة أين الزوجة تتوهّم بروز العنف من طرف الزوج إذ تخاف من ردود أفعال مناوئة من الزوج إذا ما عنّفته وصرّحت بتكهّناتها، فتشعر بضرر وجداني، إلى حد قد تتوهم الخيانة

---

[1] . سناء حسنين الخولي (2011)، مرجع سبق ذكره، ص.ص.223-224

[2] . أوسفالد كوليه، تر: رونيحة أمين، زوجتك هذا الكائن المجهول، دار القلم، بيروت، لبنان، ط2، 1982. ص.238

[3]. Voir : Evelyne Josse, O.p. Cité, P. 16

[4]. جوزيف ابستاين، سير العظماء: "ألكسي دو توكفيل" المرشد إلى الديمقراطية، تر: سمية ممدوح الشامي، مراجعة: أسماء محمد عادل، دار كلمات عربية للطباعة والنشر، مصر، القاهرة، ط1، 2010.

[5]. ولاء الضميدي، القتل على خلفية شرف العائلة، القتل للخلافات الزوجية، المؤتمر العلمي الدولي السنوي الخامس لكلية الشريعة، حالات القتل في المجتمع: الأسباب والعلاج من منظور اسلامي اجتماعي وقانوني، جامعة النجاح الوطنية، فلسطي، 2015. ص.371

[6]. Florian Houssier، استعمل هذا المفهوم لتفسير العلاقة بين الأم وطفلها، باعتبار أنّ العنف الخيالي هو جزء من العلاقة العاطفية والمستأمنة بين الأم والطفل، حيث من جهة يشعر بحبّها ومن جهة أخرى يخاف من ردود أفعالها، فالأم حليمة وطيبة جدا ولكن إذا هاجمها الطفل بشدة بصفعة على الخدّ –مثلا- يمكن أن تتعامل معه بطريقة أخرى. ونحن أعدنا استعمال هذا المفهوم لتفسير العلاقة بين الزوجين. Voir : Florian Houssier, Métapsychologie de la violence, enfance § psy, N°45, 2009/4. P.P.3-4.

الزوجية فتتصرف بعدوانية ضد الزوج وهذه الأخيرة ما هي إلاّ عنف موجّه ضدّ نفسها، حيث باتت تعاني الفراغ والوحدة وما يتضمّنه من الشعور بالإهمال إلى غاية الشعور بالفتور المعنوي والذي يؤدي إلى الطلاق الروحي المُنجرف بضعف العلاقات الحميمة؛ فكلما أهمل أحد الطرفين قرينه، كلما ولّد لديه مشاعر الغيظ وفقد الثقة بالنفس وازدياد مشاعر الغيرة إلى حدّ الشك في الخيانة الزوجية، والتي هي بحدّ ذاتها شكّ في أخلاق القرين، وهذا ما سيؤثّر على الزوج في حالة ما يُترجم شكوكها كاتهامات وإهانات موجّهه ضدّه إلى أن **"يتعرّض للإرهاق العصبي"**؛[1] حيث *لا يصبح الموضوع متعلّق بالغيرة ولكن أيضا بأسلوب التعبير عنها*، فهذه الأخيرة تستلزم النقد والاستجواب والمضايقة وطلبات تفسير والنكد وفقدان الاحترام، وتقييد للحرية.. وكثيرا ما يرفض القرين الغيور أن يؤمن بالحقيقة. وكلما حاول الشخص الآخر أن يفسر عدم وجود أي سبب للغيرة كلما زاد الطرف الأول في غيرته، مُصرا على أن هذا التفسير ما هو إلاّ محاولة لتغطية الموقف"؛[2] وهكذا يتجلى العنف في مرحلة يصعب فيها الحوار، والتماس تبريرات يثبت فيها براءته، وفي هذه الحالة "الرجل لا يُلفت الانتباه للزوجة، يشعر فقط بما تُسبب له من ضيق ويثور عليها ويقوي بذلك شعور الغيرة عند زوجته... وتتصاعد بذلك مضايقتها للزوج وعدم الاطمئنان إليه... من ذلك تتحطم الحياة العائلية وتنفصم إذا لم تتداركها يد خبيرة مسعفة".[3] حيث يخبرنا المبحوثون:

"من المفروض الراجل يدخل ويخرج كيما يبغي، تبان ليّ نقعد برّا نقعد، تبانلي ما ندخلش ما ندخلش.. **بزاف عليها، فيها مشكل الغيرة والشكّ**. لا إله إلا الله.. موَسْوَسة.. مشكاكة بزاف.. أنا نكمي في balcon تبان لها راك تشوف في بنات جوارين.. تحس بلي راهي ديرلك في les enquêtes.. تدخل عاي وتزيدك هي pression.. نزيد نهبل.. ونوصل نضرب." (المبحوث رقم 11)

"عييت نفهمها بلّي خاطيني !.. حمقتني.. عمري ما مدّيت يديّ عليها وكي جات في هذه ضربتها وهرّست الدّار.. والوا ما حبّتش تفهم بلّي ما كان والوا وخاطيني.. ولكن حتى أنا كنت غير برّا ومع صحابي.. حتى نقّصت" (المبحوث رقم 45)

"ندخل لداري نبغي نريح... وهي تشكّ، تشكّ بزاف، الغيرة قاتلتها على والو.. طلّقتها" (المبحوث رقم 9)

إنّ موضوع الغيرة من المواضيع المهمّة التي تثير القلق عند الزوجة، وإذا لا يدرك الزوج مدى معانتها ويلجأ لضبط تصرفاته الباعثة للشكوك، قد تنغمس الزوجة في الغيرة المرضية، من الممكن أن تندفع إلى حد ارتكاب جريمة القتل أو محالة تهديد بالقتل بعد الشعور بالاكتئاب، حيث "قال الدكتور عبد المنعم عاشور أستاذ الصحة النفسية بجامعة عين شمس أنّ، الدوافع التي تلجأ المرأة معها للجريمة وبالأخص قتل زوجها قد تكون دوافع مرضية كإصابتها بالاكتئاب.. إثر ارتباط الزوج بأخرى ومن ثم التفكير في قتله من باب الحب أو الغيرة.. فالشعور بالغيرة مرتبط بالغريزة الجنسية من جهة وغريزة الاقتناء من جهة أخرى".[4] فتحكي المبحوثات:

"ما بقاش يبات في الدار.. حتى نهار قابلته. قلت له: شوف تعرف صاحبك intime نخرج معاه، الملهى الليلي لي تكون فيه نشرب فيه معاك... قال لي: توصل كبيرة.. قلت له: ياك العيشة لي راك باغيها راني باغيتها.. وكي جا ماشي يرقد رفدت خدمي، حطيتهولَه في رقبته، قلت له: رفدت الهمّ وتقرصنت، شقيت، صحتي مشات، لوني تْلف، ولكن باش أنا نعيش في la merde وأنت تعيش la belle vie لاّ، أنا ممردة ممردة نروح بعدة للحبس بشاني وسَنسْاني، ماكلة واجدة والخبزة مقيّدة والرقدة مهنية" (المبحوثة رقم6)

ماعلابالهش قع بينا.. يظل برّا ويبات بعيد على داره ماعرفتش وين يروح.. بغيت نقتله خمّمت باه نأذيه ولكن مادرتهاش.. بغيت نقتله.. مادرتهاش" (المبحوثة رقم8)

وعليه فرغم أنّ كل فرد وله ملكات الغيرة فطريا، إلاّ أنّ في عمق ما ورد في حديث جلّ المبحوثات يتبيّن أنّ الغيرة نتاج اجتماعي تتولد وتتأجّج لظروف زوجية باعثة للاستياء، حيث يؤكّد

---

[1]. Voir : revue de l'union nationale des associations familiale, Réalités: violences conjugales , N°90, 2010. P.5. P.16

[2]. سناء حسنين الخولي (2011)، مرجع سبق ذكره، ص.ص.224-225

[3]. أوسفالد كوليه، تر: رونيحة أمين، زوجتك هذا الكائن المجهول، دار القلم، بيروت، لبنان، ط2، 1982. ص.238

[4]. ولاء الضميدي، مرجع سبق ذكره، ص.371

ولاء الضميدي أنّ هناك "دوافع اجتماعية يمكن أن تكون نتيجة عدم وجود توافق زوجي لا يُرسي سلام داخلي، تشمل الشعور بالغيرة؛[1] وعليه فلابدّ من قرناء الأزواج أن يبتعدوا عن كل المواقف المستدعية لتفجير صمّام الأمان، خاصّة للمرأة، لابدّ من الزوج أن يقي حذره ولا يبني الشكوك في محيط المرأة، فرغم كل الخلافات الواردة بين الزوجين والتي تقود إلى علاقات محتدمة الصراع فإنّ *الزوجات عامة لا تثق بالزّوج بحكم المعتقدات التقليدية التي تقود الزوجة إلى بناء تصوّر سلبي حول الرّجل*[2] حيث: "الرّجال ما فيهمش الأمان" هكذا تشير المبحوثة رقم 27؛ وتضيف المبحوثات:

"الراجل تعيش معاه شحال من العام ماتعرفش الخرجة لي يخرج بيها.. مافيهمش الثقة" (المبحوثة رقم 4)

"الراجل ماديرش فيه confiance، اللّي مجربين قبلي يحكولي.. درتها في راسي. "الراجل مايليقش يشوفك طايحة قاع. ما تبيني لهش يقول صايي كبرت.. ويقولها لي: آآه صايي كبرتي !.. ليّه راك توشفني بالعكاس قاع شيبانية راني عاد صغيرة نقوله.. تعرف ننضر." (المبحوثة رقم 15)

إنّ بوادر الغير الخفيّة والأكثر عمقا ليست فقط مبنية على نمط الحياة الزوجية، وما يتدفّق منها من صراعات وخلافات تعيق عملية التواصل، وإنّما هي مرسّاة بناءا على التصورات الاجتماعية الجنوسية كذلك، والتي تدفع إلى الاعتقاد القويّ أنّ علاقة الرّجل بالمرأة علاقة مرتبطة بيفاعة المرأة وجمال جسدها، الأمر الذي يستدعي الغيرة من كل امرأة تثير اعجاب الزوج، وتتأزم المواقف الباعثة للغيرة إذا وُجّهت أي نوع من الانتقادات الغير مُرضية من طرف الزوج تمسّ أنوثة المرأة الجسدية، أين يدفع إلى تصوّر سلبي مغلوط فيه حول نفسها، يتهيّأ لها أنّها أصبحت امرأة لا تجلب رِضا الزوج، "فصورة كل فرد عن نفسه تتكون خلال نظرات الآخرين له حيث التفاعل الإجتماعي يكوّن صورة عن الذات"[3] من الممكن أن يولّد الشعور بالنقص، حيث أنّ الفرد يمثّل نفسه على أساس التصورات التي يوجهونها له عن ذاته؛ وفي هذه الحالة تفقد الزوجة معنوياتها النفسية تدخل إلى هالة من القلق على مصير علاقتها بالقرين.

3.2. المرأة والجسد: تشييئ المرأة واختزال وجودها بيفاعتها

1. الجسد تصوّر إجتماعي يضبط العلاقات الجنوسية

إنّ للجسد معايير ومعالم خاصة بالشباب، وأخرى خاصة بالشيخوخة، من خلالها يُصدر أفراد المجتمع أحكامهم على الآخر، فيصنّفونه إذا كان من فئة الشباب أو من فئة المُسنّين الذين تَطرق الشيخوخة أبوابهم؛ هذه الأحكام التي غالبا ما تكون موجّهة على أحد أطراف العلاقة الزوجية، ويثبتون الاختلاف الوارد بين الجنسين من حيث مفهوم "الكِبر" والذي يحمل مضمون بروز علامات الشيخوخة في مرحلة متقدمة من العمر –من أهمّها: شَيب، تجاعيد، خلل عضوي، مرض مزمن يؤثّر في التوازن العضوي للجسد، سقوط الشعر.. إلخ- وتكون الزوجة هي الأكثر تضررا من هذه الأحكام، على أساس أنّ بِنية جسدها لها وجود مرتبط بالرّجل، يكون لها اعتقاد قويّ أنّ هذا الجسد بيفاعته خُلق للزّوج، وهذا الاعتقاد مغروس لأجيال مضت في ذهنيات أفراد المجتمع، يجعل جسد المرأة مُراقب إجتماعيا، ومن طرف نفس جنسها، وليس من الجنس الآخر، خاصّة من ناحية حسن المظهر والشكل، فالنساء هنّ من يؤكّدن مكانة المرأة كجسد في علاقتها بعالم الرّجال، تعملن على تنمية وعي كلا الطرفين، أين تكون الزوجة محل انتقاد من قبل المجتمع النسوي، والزوج "لا ينظر إلى زوجته بعينيه الخاصتين بل يتفحصها من خلال عيون الآخرين لها،[4] والتي من الممكن أن تأخذه إلى تبصُّر حياة زواجية مستقبلية؛ وفي هذه الحالة وإذا لا تحمل الزوجة قوة الشخصية ستفقد معنوياتها وثقتها بذاتها، وتدخل في لعبة حصيلتها تطاحنات لا تعرف مخرجا منها. فتخبرنا المبحوثات:

---

[1]. ولاء الضميدي، نفس المرجع، ص.371

[2]. Voir : Zerdoumi Nefissa, O.p. cité.

[3]. محمد مصطفى الشعبيني، مرجع سبق ذكره، ص103

[4]. سيمون دي بوفوار (2008)، مرجع سبق ذكره، ص.ص.189-190

"يقولوا لي مرّات، سواءا من العائلة أو صديقات، **عندك تزيد تسمن، راجلك يبدلك**" (المبحوثة رقم 10)

"يقولوا لي في العائلة **راجلك راه عاد صغير** مايبانش متزوج!. البنات راهم عاد يشوفوا فيه.. إيا بدات نقول لهم: حتى أنا راني عاد بديداني، ماشي غير الراجل.. نسكّتهم." (المبحوثة رقم 14)

"يقولوا لي راجلك ما يبانش كبير **أحضي راسك**.. راه غير يزيد يصغار.. **وراه غير يزيد يولّي شْباب**.. تعرف تتغصّص !، يرجعوك والوا، تحسب خلاص رِجليّ ريها في المَقْبرة" (المبحثة رقم 13)

"النسا تع تَشراك الفُم والغيرة واللّسان الطويل.. أنا نكره النسا رغم أنني امرأة.. وصلوا يقولوا لي عندك راجلك **راه عاد صغير دوك يرفدوهولك النسا**.. ! c'est du n'importe quoi.. ولكن أنا ما ندخلش dans leur jeux، وما نجيبش المشاكل مع الزوج.. وحتى أنا j'été belle، ولحد الآن ما نسمحش في راسي.. دايما واقفة" (المبحوثة رقم 28)

إنّ كلمة "**شْباب**"، وكل ماتجلّى في حديث المبحوثات من عبارات تؤكّد ريعان شباب الرّجل في مكانته كزوج، تُترجمها الزوجة على أساس قضم لذاتها، تعكس انتقادات ضدها، تحذّرها من بداية انحدار مرحلة شبابها؛ وبهذه العبارات المستحسِنة للرّجل يعمل المجتمع على ترسيخ معنى الأنوثة والجمال الجسدي للمرأة كوَاجِهة أساسية، من الممكن أن تُفقدها علاقة حميمية بالزوج، حيث تحضى به امرأة أخرى تبني معه علاقة زواجية حتى ولو أنه مُتزوّج ولربّما له أطفال، وكأنّ الرجل في المعتقد الاجتماعي سهل المنال ضمن مجال التعارف الأيكولوجي المشوّب بالجنسين، حيث تتدخل تصورات اجتماعية أخرى تضع الرّجل والرّجولة في مكانة الاستحقاق واللاَّحرج في أن يتخطّى المعايير الضابطة للعلاقة الزواجية بدون تثريب، يمكنه أن يَحضى بامرأة أخرى بعدما يميل جسد الزوجة إلى فقد حيويته، و**هنا يبرز قوة المجتمع الرجولي الذي يُصدر الأحكام المقيتة ضدّ المرأة** ويُعزّز الرّجل رغم أخطائه، حيث يخوّل له حقّ بناء علاقات تعارف نسوية، مثلما يؤيّده في إعادة بناء علاقات زواجية بعد الزوجة الأولى، والثقافة الاسلامية تشرّع له حقّ تعدّد الزوجات بحكم أن يجمع بين أربعة نسوة، وعليه فـ"الرجل وحده يملك الامتيازات والحق في التفكير والتدبير واتخاذ القرار في كل المسائل، **وله حتى الحق في الخطأ الذي يجد الغفران**... كما يجد من يبارك خطواته التي تعزز رجولته التي ليست كقيمة أخلاقية للنّبل والكرامة الانسانية، إنما كمنظومة ذهنية منبثقة من التربية القاصرة التي تهيئ الذكر بضرورة العنف والعدوانية والجفاف العاطفي وقهر الأنثى جسديا وفكريا واجتماعيا[1]. تحكي المبحوثات:

"قبل ما يعاود الزواج كنت ندخل للموقع الالكتروني الخاص به ونشوف بلي راه مع النساء يتكلم وأمحي كل الرسائل التي لا تعجبني بدون أن ينتبه.. مّاه كي سمعت تقولي، شّا فيها، شا فيها !.. راجل.. حتى نهار لّي شافو خاي مع وحدة.. الختنة (الحماة) مادّاتهاش وقالت لي راجل يحق له يعاود يتزوج" (المبحوثة رقم7)

"قلت لمّاه بلّي الراجل راه يدور مع وحدة.. قالت هاصّحا! الكسكاس يدور من دار لدار ويولّي غير لمولات الدّار" (المبحوثة رقم6)

إنّ هذه المعتقدات الرجولية تولي لأن تؤجّج مشاعر القلق عند الزوجة إذا صدرت من لسان نساء العائلة أي مديح حول الجانب الفسيولوجي للزوج، حيث تشتعل نار الغيرة على شريك حياتها. معبرة المبحوثات:

"خَالته.. تزيد تحلّوا العينين وتقول له قدّامي: يعرّي سمّك والله إذا ريك غير تزيد تصغار، **احْضِي راسك من البنات**. هو متزوج كيفاش تهدر معاه هكذاك !.. وصلت نرعش عليه" (المبحوثة رقم 13)

"أنا واثقة من نفسي وبعلاقتي بزوجي. هكذك وركبولي الغيرة.. يشكّكوك في راسك" (المبحوثة رقم 14)

لكن إنّ إعطاء الأهمية الكبيرة للرّجل الشاب تمحي له الصفات والمميزات الأساسية التي تولي إلى بناء علاقة زوجية متكاملة منسجمة، فتعظيم البعد الفيسيولوجي قد يلغي مقوّمات الحياة

---

[1] . فوزية بلعجال، العنف الأسري ضد المرأة في المجتمع الجزائري، المجلة المغربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، الملتقى الوطني حول: مظاهر العنف الاجتماعي وتداعياته المختلفة (يومي 09و2013/12/10)، دار الكنوز للانتاج والنشر والتوزيع، جامعة جيلالي ليابس: سيدي بلعباس، الجزائر، ع:9، جوان 2014. ص.95.

الاجتماعية وما يتضمّنها من علاقات التفاعل والتبادل الزوجية المادية والمعنوية، والتي تضبط علاقات التواصل والاتصال الزوجي؛ وعليه لن يكون البعد الجمالي الجسدي العامل الحاسم في تغيير نظرة القرين في شريكه؛ فكثير من أزواج لهم قوامة فسيولوجية على حسب المتطلبات الاجتماعية لجمال الرّجل ولكن لا يُعتمد عليهم في بناء حياة أسرية سلسة، معبّرة المبحوثات:

"قالوا لي راجلك شْباب.. ولكن زِينُو ماعملّي والوا" (المبحوثة رقم 7)

"نهار نهار وهم يشّكروا فيه.. قلت له نحّي masque لّي ريك عاملوا.. ما يصلاح لوالوا. عيّاني.. طلّقته عملت الخلع.. قبل ما يزوج ما كانش باين لهم حتى لّي زوج وكل وحدة طمعت فيه" (المبحوثة رقم 13)

وكما تشير سيمون ديبوفوار ضمن نفس سياق الحديث، "إذا كان الرجل يحب المرأة في عريّها حبا ملتهبا فإنه يهواها بغض النظر عن تبرجها. وعلى العكس من ذلك، إذا كفّ عن حبها فأجمل ثوبا في العالم يصبح عديم الجدوى؛[1] والمجتمع الذي يؤكّد تصوّر الفرد في بعده الجسدي هذا يعني أنّه يدعّم العلاقة الزواجية التراتبية الجنسية، حيث يكون "الحب والجنس هما الوظيفتان الأساسيتان في المرأة كما يريدهما الرجال"[2] وبالتالي يقوم بتشييء المرأة واختزال وجودها بيفاعة جسدها إلى أن يصبح "كيان المرأة كلّه مرتبط بجسدها"[3] يولي إلى القلق إذا يوما فقدت مقوّماته العضوية أو الفسيولوجية.

2. تَفقد المرأة توازنها النفسي بفقد نظارتها الجسدية

إنّ المرأة كيانها مرتبط بجمالها، استبطنت هذه التصورات منذ مرحلة طفولتها، تعتبر أنّ بعدها الجسدي من المميزات الخالصة لها؛ وهي "فكرة ثابتة لجسدها الذي يتوافق ويتكيف مع الوظيفة المفروض أن يؤديها جسمها: استغلاله في الحب والجنس"؛[4] بهذا المنظور، قد اختزلت وجودها بيفاعتها، وهذا التمثّل عمل على تأكيده الرّجل في علاقته بالزوجة، يقود بتعنيفها من الناحية المعنوية بتقديم ملاحظات ماكرة لها على التحولات الغير مرغوب فيها من الناحية الفسيولوجية الجسدية أين يصتصغرها معنويا، يقدحها جسديا، ويقلل من شأنها، حيث يشيّؤها فيجعل منها امرأة دون معنى بعد فترة من الحياة الزوجية، الأمر الذي يُحدث اضطراب في حالتها النفسية. فتحكي المبحوثات عن علاقتها بالزوج المستهزئ لهنّ:

"يقولي كيدايرة. شيبانية. يعايرني.. أنا la peau عندي sèche، غبرة أو جافيل يأثروا عليّ" (المبحوثة رقم7)

"يعايرني بالكبر.. يطيّح بيّ، من ناحية السنّ مرات يعاير يعاير. راكي كبيرة راكي كدا.. حتى نقول له لو كان تزوجت وحدة صغيرة. علاه تزوجت وحدة قدّك.. أنا يخليني نتعب علة مّه ومن بعد يْعايرني: رُحت واحد النهار رفدتها ظهري نقسم، قالي: كبرتي وليتي شيبانية." (المبحوثة رقم 18)

"كان دائما يقول لي كبرت، ريك تكبر، وعندما ألبس لباس قصير مثلا في المنزل يقول لي: ريك عاد صغيرة باش تلبس هكذا، حتّى أنه عقّدني، هنا شعرت بالإهانة" (المبحوثة رقم 13)

"يقول لي راكي تكبري خاصة عندما قفلت 39 سنة قال لي: ما بقى لك والوا على الأربعين، قلت له: ولكن تبقى دايما أنت كبير عليّ راك في الخمسين (50).. والفتني غير مبهدلة.. راني عاد صغيرة حبّ ولاّ كره، وأنت اكبر مني بـ 12 عام." (المبحوثة رقم 2)

إذا خُدشت المرأة في أنوثتها فإنّه قد تمّ المساس في شخصها لما يمثّله لها هذا الجسد من رمزيات *"تثبت من خلاله وجودها"*،[5] وتؤكّد علاقتها الزوجية، وبالتالي فإنّ شكل جسدها من حيث

---

[1]. سيمون دي بوفوار (2008)، مرجع سبق ذكره، ص.ص.189-190

[2]. سناء حسنين الخولي (2011)، مرجع سبق ذكره، ص.93

[3]. خلود اليباعي، مرجع سبق ذكره.

[4]. سناء حسنين الخولي (2011)، نفس المرجع السابق، ص. 93

[5]. أنظر: سيمون دي بوفوار (2008)، ص.203.

الرشاقة أو البدانة أو الجمال والقُبح، هي أمور حسّاسة تؤثّر في نفسية المرأة، تشعر وكأنّ مكانتها الاجتماعية في علاقتها بالزّوج قد انهزّت، حيث تشير سيمون دي بوفوار ضمن نفس المضمون أنّه "إلى أن تعرف رأي الرجل الذي يقوم بدور الحكم في هذا الموضوع... تخجل من عرض جسدها وينتابها الشك في جمالها. ولذلك فإن وضعية الرجل تكتسب أهمية بالغة، وتنتج عنها تأثيرات عميقة في حياة المرأة، فإذا ما أبدى الرجل حماسه ورقته اتجاهها، فإنه يبعث في قلب المرأة ثقة تامة لا تنساها ولو بلغت الثمانين من العمر، وعلى العكس من ذلك، إذا أساء التصرف، فقد يؤدي ذلك إلى تولد شعور بالنقص لديها، وقد ينتهي بها الأمر إلى الوقوع في براثن أمراض عصبية لا حصر لها"[1] تتخوّف من اليوم الذي يتقدّم بها السنّ فتفقد كل معايير الشباب، وهذا التخوّف يُترجم من توجّسها من فقد علاقتها بالزوج، فتحاول أن تبذل قصارى جهدها لتحافظ على "*هويتها الشبابية*"؛[2] لكي لا تفقد نظارتها ويفاعتها وجنسانيتها، وتكون دوما المرأة التي تعمل على استهواء زوجها؛ مما "يستدعي على المرأة أن تجابه الزمن لأن الجسم يُبلى مع الوقت"،[3] حيث :

"**يليق المرا ما تسمحش في روحا..** أنا في بعض الأحيان أتهاون في هذا الجانب، نحوس غيل باش نرقد ونكمل صوالحي ولتهيت بالدراري. الراجل كي يشوف المرأة سامحة يبتعد عنها، وهو كي يبعد مني نتوتر.. المرأة عليها أن تقوم بالمستحيل لكي تظهر دائما جميلة" هكذا تشير المبحوثة رقم 1؛ وتضيف المبحوثة رقم 4:

" la femme il faut toujours qu’elle s'entretienne et elle reste la même"

ولكن ظروف الحياة اليومية تجعل منها امرأة مأسورة في مسؤوليات أسرية تفوق طاقتها، تعطي دون أن تأخذ، مضحّية لأجل أسرتها ولأجل الجماعة العائلية ككلّ، إلى أن تتخذ العلاقة الزوجية بوعي أو بدون وعي علاقة ثانوية أمام واجباتها التربوية بالأبناء، وما يتضمّنه المجال الخاص من مسؤوليات في أعمال المنزل، الأمر الذي يجعل منها امرأة متميّزة بالميزاج السوداوي، هزيلة، متهاونة في الاعتناء بنفسها جسديا، فتهمل نفسها، ولا تتفطّن إلاّ بعد مدّة قد تطور أو تقصر. مُعبّرة المبحوثات:

"**سمحت في راسي**، وراني سامحة.. ولكن لابدّ من الاعتراف بالكبر. أنا قاسيت في حياتي، ولكي أحمي علاقتي مع الزوج كذلك عانيت" (المبحوثة رقم 4)

"نوعا ما محبة لذاتي. نهار لي شفت روحي لقيت روحي كْبَرت.. بالشقى: نّوض على الثلاثة تع الصباح وما نرقدش نخدم القاطوا والمسمن ونبيع وشغل الدار والقضيان.. كي يجي تالي تع النهار نولي عايّة.. من ناحية ربيت اولادي وحافظت على داري وراجلي **ولكن كبرت**. صُغري راح خسارة داولي كلّش وهو صغري راح معاه" (المبحوثة رقم 24)

"ماستغليتش حياتي. ما شابعاش راحتي. سامحة في صوالحي. **ما متهلياش في روحي**.. ولكن هو يستيكي في روحه.. حتى في الدار أظل معصبة راسي" (المبحوثة رقم 2)

"أنا أعاني من سقوط الشعر، هذه ريها **تخليني نشعر بالنقص**.. نكره راسي في هذه.. أشعر بلي راني أفقد الجاذبية تاعي، أحس بالتوتّر معه في هذا الجانب !!!، **وسقوط الشعر يجي بالخمار، كنت نديره في الدّار كل النهار كنت مع الخُتان (أسرة الزوج) ولكن كيفاش ديري..** ؟ هذه مؤثرة فيّ، زعما كي راني بّحدي ونبغي نعدّل قدامه، جاني هذا المشكل دَروك.. فإذن نظرتي لذاتي غير مقبولة" (المبحوثة رقم 5)

من حديث المبحوثات يتأكّد لنا أن المرأة تقاسي يوميات عائلية مجحفة، على غرار أنّها تعيش تحت وطأة التقاليد إلى يومنا هذا، حيث نفس الصورة وضّحها عدّي الهواري للزوجة الجزائرية في وقت مضى مُعبّرا أنّ "الكنات هن من يتحملن ثقل القيم الأبوية... تعاني من اختناق وهدر لشخصيتها، تجاهل مصالحها الخاصة، وأكثر من ذلك تعمل الأسرة التقليدية على الحط من قيمة جسدها "[4] بضبطها في إخفاء جنسانيتها، وسرعان ما تفتقد أنوثتها بدون أن تشعر، إلى أن يُبنى انطباع حول

---

[1] . سيمون دي بوفوار (2008)، نفس المرجع، ص.107

[2]. Voir : Enguerran Macia et Nicole Chapuis-Lucciani, La vieillesse et ses masques :Quelle place pour le corps âgé dans le maintien de la subjectivité ?, Dans Corps 2008/2 (n° 5), P.p 101 - 106

[3] . سيمون دي بوفوار (2008)، مرجع سبق ذكره، ص.189

[4] . Addi Lahouari, O.p. Cité, P.p.68-69

نفسها غير مقبول، وتتأزّم حالتها بعدما أن تفقد خصوبتها ونظارتها ويفاعتها، الأمر الذي يؤول إلى الشعور بالنقص، تجد نفسها امرأة ليس لها مكانة في حياة الزوج الوجدانية ومسؤولياتها هي التي تبرّر وجودها في العلاقة الزواجية.

أ. سن اليأس له تأثيرات سلبية على الزوجة

إنّ أزمة سن اليأس رغم أنها مرتبط بانقطاع الطّمث وانتهاء مرحلة الخصوبة، إلاّ أنّه يحمل بعد نفسي محض تمسّ "نرجسيّة المرأة التي تتطلب التعديل في هذه المرحلة"،[1] فهي بالنسبة لها مرحلة دراماتية لحياة مأساوية لا يمكن تغييرها أو الهروب منها، خاصّة من النساء اللواتي ييأسن في سنّ مبكرّة تعتبرت أنّ الزمن قد خانها، لم تحضى بعلاقة طيّبة مع الزوج في مرحلة لم تتمتع فيها بشبابها، إلى أن تضيق بها الحياة حيث " تشعر المرأة في هذا السن بأنها أصبحت قريبة من النزول، بينما يكون الرجل –مثلا- في سن الخامسة والأربعين في مستوى فعاليته الرجولية وأوج فعاليته المِهنية".[2]

يتكلّم أوسفالد كوليه على سن اليأس بأنه تعبير تخافه أكثر النساء وتعتريهم القشعريرة حين يفكرن به، وعندما يصلن إلى الأزمة يجعلن سن اليأس مسؤولا عن كل بؤس في العالم، وكثيرا من الناس يتخوفن منه لأنهن يعتقدن أن الشيخوخة تبدأ ببداية سن اليأس. وعندئذ تشعر الواحدة منهن بأنها نصف امرأة فقط، ولا أمل لها بالحب والانفعام الأنثوي، وهكذا التخوف بالذات يكون باعثا لاضطرابات نفسية وجسمانية... زيادة عن التقلبات الجسدية والتبدلات الهرمونية التي تُعاني منها المرأة قبل سن اليأس، مثل الدوران، هبات الحرارة وخفقان القلب، والكآبة"؛[3] إذ تُخبرنا المبحوثة رقم 4:

> "أنا j'était ménopausée jeune، كان عندي 41-42 سنة.. وla ménopause هي لّي أثرت عليّ بزاف؛ تحمّق.. كاين لي جيها بالقوايم، كاين لي جيها بالراس، كل واحدة وكيفاش.. أنا القوايم قبطوني.. وكاين لي جيها les bouffées de chaleur، la migraine.. عداك فيla préménopause يبدوا يْبانو العيوب.. الرجال مايحسوش إذا كانت préménopause أوغيرها.. ربّي يكون عالم بينا.. أنا كي نمشي عند gynécologue نروح معاه.. قالواil faut tranquille il faut la laisser غير هذا le trouble hormonale ربي راه عالم بيها.. c'est vrai tu devienne nerveuse"

تقول "كاثلين وودورد" إنّ النساء عندما يكبرن في السنّ تفقد شبابها ونظارتها وحيويتها على المستوى البيولوجي، تفقد جمالها الذي تتعيّن من خلاله ككائن جنسي، وبناءا على ذلك فإنّ جسدها بكل شكل من الأشكال يعبّر عن هويتها الجنسية، بخلاف ما يحصل مع الرجل الذي تزداد هويته الجنسية ترسيخا مع كبر سنه، فتصبح تجاعيده عنوان رجولة ناضجة، ما دامت سمات الجمال تتعارض مع عنوان ترسيخ الرجولة وتثبيت الهوية الذكورية؛[4] وهذا التباين سيتدعي بروز الغيرة، عندما تشعر الزوجة بالفراغ الداخلي، تعتبر نفسها أنّها فقدت جاذبيتها الأنثوية وفقدت علاقتها بالزوج، فتتوجّس من أن تتخلل امرأة أخرى حياتها تُنافسها على زوجها مادام "المجتمع لا يتطلب منه صفات سلبية في مظاهر حياته، فإن ترهل جسمه لا تهدم جميع إمكانياته في إثارة الإعجاب"،[5] أمّا النساء على حسب "جون لافورغ" فهنّ كائنا منعزلا ليس له من سلاح سوى سحره الجنسي، فيكون بالتالي جسدها وجمالها هو راسمالها"[6] وإذا فقدته بعد تقدمها في السن فستكون الزوجة البائسة التي تَرى أن حضها في جلب انتباه الزوج يتناقص، فالزوج لا يولي لها انتباه وأهمية كالسابق.

وعليه ينصح المتخصصون في علم النفس وعلم الاجتماع أهمّية علاقة الزوج الوجدانية في هذه المرحلة، فـ"يقول الأستاذ "ماير" في هذا الصدد: بعدما القلق يستولي على كل امرأة بالنسبة لموقف

---

[1]. Voir : Marie de Hennezel, par Anna Latron, Apprivoiser Sa Vieillesse, Article N°1711, 08/12/2010.

[2] . أوسفالد كوليه، مرجع سبق ذكره، ص.ص.230-231

[3] . أوسفالد كوليه، نفس المرجع، ص.ص.211-229

[4] . خلود السباعي، مرجع سبق ذكره؛ انظر كذلك: سيمون دي بوفوار (2008)، مرجع سبق ذكره، ص.203

[5] . سيمون دي بوفوار (2008)، مرجع سبق ذكره، ص.204

[6] . سيمون دي بوفوار (2008)، نفس المرجع، ص.ص. 5-10-124

زوجها منها بعد ذبول جمالها تحتاج للتخفيف من شدة هذا القلق لمزيد من الانتباه من قبل زوجها... لأن الموضوع هنا هو موضوع أزمة نفسية عند الزوجة"[1]، ومن أفضل الميكانزمات التي تعمل على إخماد توتر المرأة من موقف زوجها في هذه المرحلة، تبادل الهدايا، والتي لها بعد رمزي اجتماعي يُقرّب العلاقات الحميمية الزوجية، حيث "يكتشف Theodore caplow أنّ تبادل الهدايا بين الزوجين لها دور في تحليل العلاقة الزوجية[2] أين تشعر الزوجة بأهميتها في علاقتها بالزوج؛ وهذا ما هو مفقود في غور العلاقات الزوجية. تحكي المبحوثات:

"أنا نبغي كي هو يجيب لي هدية بيدَّه. المرا تحس بلي راه مهتم بها ويحوس عليها، كيفاه أنا نخدم ونشري روحي!، يليق هو يخمَّم فيّ باش نحسّ بلّي راه عاد مهتم بيّ. مثلا كان يديرلي les anniversaires هدايا، ولكن مابقاش، تباله كبرت ما رانيش قَدّ عيد الميلاد، المرا تقارع دايما هذه الصوالح. فإذن أريد الاهتمام منه، خاصة في مرحلة اليأس تقول بلي ربّما راه يكرهني وخاصة عند ما تبدأ التجاعيد بالظهور، تقول ربّما زوجي بغا يدير علي واحد أخرى" (المبحوثة رقم 1)

"مرّات يقدم ملاحظات على السمنة، ولكن لم يتزوجني سمينة، والمرض أثّر عليّ من ناحية الوزن.. تعرف كي نولّي !!، نزعف وندّابزوا بزّاف مادابيّ نحس بلّي يحبني ومتقبلني كيما راني. حتى قلت له: الجمال يروح مع الوقت، والرشاقة كذلك.. المرأة تلد، وتتحمل أعباء تظهر علاماته على الوجه.. نقول له: زعما كي نكبر خلاص، تبان لي ما تبقى حتى علاقة بيننا. إيّا يقولي ريك تزيد فيها، وأنت معقدة. وهو الذي عقّدني. راهم عاد التجاعيد ماخرجوليش راني في المعيار، كي نكبر كيفاش !.. قلت له نهار لي نوصل la ménopause والله ما تسمع بيّ" (المبحوثة رقم 14)

من خلال هذه التصريحات يتأكّد لنا أنّ المرأة يلزمها بناء ثقة بالنفس، فإنّ مرحلة التقدّم في السنّ بكل ما تحمله الكلمة من معنى هي مسألة رمزية مرتبطة بجمال الجسد ليس إلاّ، وبما أنّها "تولي إلى أزمة نفسية، تميل إلى الهروب من الحياة الزوجة التي أصبحت مُملة لا تتضمّنها علاقة وجدانية وعاطفية بالزوج. ويستولي على الرجال زعم خاطئ وهو أن المرأة بعد سن اليأس لا يمكن أن تظل ذات موضوع بالنسبة لمشاركتها في العمل الجنسي، أو أن المرأة في هذا السن لم تعد لها رغبة فيه،[3] بل: "**على العكس c'est le deuxième âge هذه الفترة، elle sera disponible.. يقولوا على pour les couple.. أنا مرّات ننفر منوا.. وفي عدة مرات ليس مرّة أو اثنين.. في بعض الأحيان الواحد يكون عيّان.. أو ينارفيني.. ما نتقربّش منو.. ولكن باش تقول عنده علاقة مع la ménopause، ça n'a rien avoir**" تخبرنا المبحوثة رقم 4؛ وعليه فإنّ سنّ اليأس لا يؤثّر على العلاقات الحميمية، فطالما الزوجان لهما القدرة على العطاء الوجداني والعاطفي أين يشعر كل طرف باهتمام الآخر له لا داعي أن نتكلّم عن الرمزيات الجمالية.

3. العلاقات الجنسية مبنية على التراتبية: تُثبت العنف الجنسي

أ. العلاقات الحميمية مبنية تحت سلطة الزوج

إنّ سر العلاقة الزوجية تكمن في قوة التواصل المادي والوجداني، والجنسي، وهذا الأخير "يعتبر كنه وجوهر العلاقة الزوجية على حسب .Goffman E، له معنى قويّ يجمع الزوجين إذ يُعتبر مجال مشترك وخاص بهما،[4] ولكن ما هو وارد ميدانيا أنّ هذا المجال يعتبر خاصّ بالزوج، والزوجة ما هي إلاّ متاع له في علاقة تراتبية تحكمها الهيمنة الذكورية، تؤكّدها الأعراف الاجتماعية منذ القدم، حيث "كانت العشيرة الأبوية تتصرف بالمرأة كما تتصرف بالأشياء... يفرض عليها الزوج لسببين: أولا أن تنجب الأطفال للجماعة، ثانيا، إرضاء حاجات الذكر الجنسية والعناية بمنزله"[5]، على غرار النظام السسيوثقافي الذي تسير عليه العائلة والذي يجبر الزوجة على الخضوع للزوج في المجال

---

[1] . أوسفالد كوليه، تر: رونيحة أمين، زوجتك هذا الكائن المجهول، دار القلم، بيروت، لبنان، ط2، 1982. ص.ص.230-231

[2] . De singly François (1993), O.p. Cité, P.79

[3]. أوسفالد كوليه، مرجع سبق ذكره، ص.230

[4]. De Singly François (2007), O.p. Cité, P.p.91-97

[5]. سيمون دي بوفوار (2008)، ص.122

الجنسي، فتعمل على اتباع ما نصّت عليه الشريعة الاسلامية،(*) إلى أن "يسمح للرجل بأن يعيش هويته الجنسية كشيئ طبيعي، بينما تعيشها المرأة بكيفية مرضية تفرض عليها الخضوع والاستسلام، وكأنها تخضع لقوانين الطبيعة"[1] إكراها أو عن رضا.

تحكي لنا المبحوثات:

"في العلاقات الجنسية كانت عندي مشكل، **غير كي يبغي**: مثلا هو يرقد في البيت وأنا في الصّالة وأنا هذه لم أتقبلها من المفروض تتحملني وأتحمله نتحمّل بعضنا، يقولي روحي ترقدي مع بنتك لهيه تزعجني بشخيرك، أنا نروح تم تم، نروح مع بناتي. ولمّا يعيط لي نحس راسي بهيمة زعمة في الرقاد يحوس عليّ. والله **لو كان ماشي غضب الله ما نرقد معاه والو**. ونقولها له: يحاسبك ربي لي راك ترقد وحدك. يقول لي: روحي طبقي غادي أنا راني بروحي، **زعما السلطة تاّعه وهذو صوالحه هو يحس هكذا**.. **غايضتني**. نخدم، نوكله ونشربه، ونعاونه في المصروف وهذه صوالح خاصينه ليه.. أنا صبتوا هو جابد لو كان نقرّب له مايبغيش وباه يقزيني مانتقبلهاش" (المبحوثة رقم 1)

"بالنسبة للعلاقات: نحس بالإهانة، نحس بلي يكون عنده رغبة ولكن ليس عن حب وعنده سلطة.. مادابيّ قع ما يقربليش.. نقول غابني وعلى صوالح يجي يجبدني... نحس بالاهانة.. نرفض مرات، ومرّات عديدة" (المبحوثة رقم 16)

بناءا على هذه العلاقة الزواجية المبنية على المعتقدات التقليدية الأبوية، يجعل الزوجة "تُغامر مغامرة كبرى بتعهدها أن تنام كل حياتها مع رجل لا تعرفه جنسيا، في حين أن مصيرها الجنسي معلق تعلقا جوهريا بشخصية شريكها"،[2] وكما أورد مايكل نبيل في وصفه للمرأة ومكانتها الزوجية أنّها "غدت في نظر الرجل شئيا... لا شخصا يُحبّ لذاته؛ ورغم أنّ "المتعة مع المرأة" موجودة ومرغوبة، ولكن الاختلاف وارد بين القول "المتعة مع المرأة" و"المتعة بالمرأة" سواء أكانت المتعة جسدية أو معنوية؛ ولكن النظرة الفوقية من الرجل تورث "أنانية رجولية أو رجالية"، وهذه الأنانية تتّبع إمتاع الذات وإشباعها حتى ولو على حساب ذات الأخر"،[3] ضدّ إرادته عنوة بفعل الضغط، وإذا كلّف الأمر يستعين بالعنف الجسدي تحت مبدأ السلطة والسطوة عليه، والتي تشير إليها Liliane Daligand بغريزة التملّك، موضّحة أنّ المهيمن يبحث على إخضاع الآخر والسيطرة عليه ليتفرّغ له ولخدمته، وهذه السطوة على حسب Daligand أنها دائما في وضعية سابقة لترضية دوافع فطرية؛ والدافع هو مفهوم أساسي في التصور الفرويدي عند الفرد، يسمح له بالتوجه نحو الهدف المنشود، والتوصل إلى رغباته. هذه الرغبات هي أشياء مفقودة عند الإنسان والتي تضمن له حياته، منها: الحاجيات الفسيولوجية -من مأكل ومشرب، النار، والبرد، الظلام أو النور- ولكن كذلك الحذر والتفطّن، الخضوع، القُبلات.. وكل ما هو مرتبط بما يجلب الحبور والسعادة، حيث يسدّ فجوة أيًّا كانت، فيتخّذ كل الوسائل لكسبه، وبكل ثمن، في أي لحظة وبكل احتقار؛ وضمن العلاقة الزوجية هذه الرغبات تتضمنّ بكثافة الرغبة الجنسية والتي يتوصل لها الفرد إما بالقوة، أو بتحايل وخداع، ليخضع الآخر له، وغالبا المرأة هي الموضوع التي يجلب السعادة"،[4] وعليه يلجأ الزوج إلى تعنيفها "لدرجة أن عددا من الرجال لا يأبهون فيما إذا كانت المرأة التي تشاركهم سريرهم ترغب في الجماع أو أنها تستسلم إليه تلبية لرغبته... يتحكم بها وفق مشيئته؛ ويحدث كثيرا أن تعتبر الزوجة التجربة الجنسية عملية تتعرض لها كالاغتصاب القسري، إذا أظهر الرجل عنفا يقترب من حدود الوحشية.[5] فتصرح لنا المبحوثة رقم 24:

---

*. عن أبى هريرة أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال" :**إذا دعا الرَّجلُ امرأتَهُ إلى فراشِهِ فلم تأتِهِ، فباتَ غضبانَ عليْها، لعنتْها الملائِكةُ حتَّى تصبِحَ"** (متفق عليه)

[1]. خلود السباعي، الجسد الأنثوي وهوية الجندر، لبنان، جداول، ط1، مايو 2011.

[2]. سيمون دي بوفوار (2008) مرجع سبق ذكره، ص.136.

[3]. مايكل نبيل، سيكولوجية الأسرة: الرجل-المرأة-تربية الابناء، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2014. ص.27.

[4] . revue de l'union nationale des associations familiale, C.p., . p. 21

[5] . سيمون دي بوفوار (2008) مرجع سبق ذكره، ص.ص.102-108.

"العلاقة الحميمية: هذه لي راهي غابنتني. **والله تقولي اغتصاب تعرفي هكذاك نحس**. نكون عايَّة.. إيا ينوض يزكي. حتّى نرقد ونوّض نغسل وجهي ومكروضة نَنْحني ليه.. مرات بالضرب، والمتعايرة، ويَجبد من الشَّعر باه نرضى. والله العظيم من بكري والآن غير بالسيف... **ما نبغيهش**"

إنّ كلمة بـ"**السِّيف**" التي ادرجتها المبحوثة في حديثها تُترجم درجة دافعية الزوج العدوانية ضدّ الزوجة والتي تُثبت درجة استعصائها لتلبية رغباته الجنسية، ومدى إرادتها في النفور منه، وفي هذا الموقف لا يدرك الزوج أنّ هذا النّفور ما هو إلاّ تعبير على استيائها لنمط العلاقة الزواجية التي يغيب فيها العاطفة، فيوضّح أوسفالد كوليه أنّ المرأة تستجيب للزوج بعد أن تشعر بقدر كاف من الاهتمام بها، وتتحسّس بوجوده الوجداني، فتحتاج فيه إلى المزيد من التهيئة الجسمانية والنفسية قبل أن تتقبل التقرب منه، حيث أنّ النساء تكره بشدة الشعور بالاجتماع الجنسي مع الزوج الذي يأخذ عنده طابع أداء واجب معتاد يصرف فيه رغبته[1] فقط، بدون إعطاء إعتبار لرغباتها الشخصية، وكأنّها خُلقت كفرد موجود إلاّ لخدمة الآخر باستوفاء جميع الانتظارات المتوقعة منها بما فيها علاقاتها الحميمية التي تربطها بالزوج، حيث يتوجّب عليها أن تعطي حياة سلسة له بما يفوق إراتها الشخصية، إلى أن تعي بعضعنّ أنهن تحت السيطرة الزواجية فتعترض أن تخضع للزوج إلاّ برغبتها وإراتها الخاصّة، فـ"ليس للحب أبدا نفس المعنى إلى كل من الجنسين... وصدق "بيرون" بقوله: إن الحب بالنسبة إلى الرجل أحد المشاغل فقط، أما بالنسبة إلى المرأة فهو حياتها بالذات.[2]

ب. العلاقات الجنسية هي تحت سلطة الزوجة

تشير المبحوثة رقم 18:

"لا ماكانش علاقات جنسية، عادية !.. **تع كي هو يشعر بالرغبة، وخلاص.. بدون عاطفة.. ولكن لكي يتم الحمل علينا أن تكون استمرارية لا أدري كيفاه نفهمها له**"

إنّ الثقافة الأبوية -كما رأينا مسبقا- عملت على ضبط الزوجة تحت سلطة الزوج الجنسية، معتبرة أنّ المرأة هي مجرّدة منها ليس لها حق المبادءة إلاّ إذا كانت مرتبطة بالرغبة الجنسية للزّوج، رغم أنّ المرأة وُلدت وتكوّنت هي كذلك بغريزة جنسية، فهذه الأخيرة هي حيوانية، هذا ما أورده Freud في أعماله والذي "يرى أن الطفل له جانب غريزي (الجنس والعدوان) وهي عوامل ذاتية توجه السلوك"،[3] ولكنها تُضبط اجتماعيا، حيث يصبح الفرد لاجم لغرائزه الجنسية خارج نطاق الزواج، وأمّا بعد الزواج فكل من الجنسين يتوجّب ضبط تصرّفاتهما تحت مبادئ وعقائد أبوية تضمن التراتبية بين الجنسين.

وعليه نقول أنّ الجنسانية هي رغبة يندفع إليها كلا الجنسين، وقد أثبت ذلك علميا من الناحية البيولوجية حيث "توصل العالمان الأمريكيات Benedek وRubinstein إلى نتائج مضبوطة ودقيقة، إذ أنّهما ربطا بين العادة الشهرية، والأحلام، والمشاعر، والميول عند المرأة، مفسّران ذلك أنّه: في بداية الدورة المقبلة بعد انتهاء الدورة الأخيرة تبدأ بيضة جديدة بالنضوج داخل المبيض، وفي هذا الطور يفرز الجسم بكميات متزايدة تدريجيا هرمون الأستروجين Ostrogen، ويصل إلى الذروة عند منتصف الدورة الشهرية بين اليوم الرابع عشر واليوم السادس عشر بعد نهاية آخر دورة، وفي الموعد تخرج البيضة الناضجة من المبيض إلى بوق الرحم، وهنا يستبدل هرمون الأستروجين في الجسم بهرمون البروجستيرون Progestiron... يُطلِع مركز القيادة في الدماغ على وجود بيضة ناضجة وصالحة للتلقيح في بوق الرحم للاستغناء عن تحضير بيضة أخرى لا حاجة لها في هذا الوقت. وفي هذا الطور من الدورة الشهرية تزداد المرأة تطلبا للعمل الجنسي لتتوفر للبيضة الناضجة إمكانية التلقيح؛ وفي هذا الطور أيضا تتوقع المرأة مجيئ زوجها إليها ويزداد اشتياقها إلى مجامعته وتصاب بخيبة مريرة إذا هو لم يلاحظ ذلك ويُرضي رغبتها، وهنا تستولي على المرأة حالة من التوتر العصبي الداخلي

---

[1] . أوسفالد كوليه، تر: رونيحة أمين، زوجتك هذا الكائن المجهول، دار القلم، بيروت، لبنان، ط2، 1982. ص.134.

[2] . سيمون دي بوفوار (2008) مرجع سبق ذكره، ص.225.

[3] . مهرة سالم، محمد القاسيمي، دور التنشئة الاجتماعية في اكتساب السلوك السوي للأبناء، دار الفكر العربي، 2010. ص.14.

يتعسر على الرجل تفهمها وإدراك أسبابها؛ وبعد انفجار البيضة تهبط رغبة المرأة واستعدادها لتقبل الجماع... وعليه يكون عزوف المرأة عن الرجل في أعلى درجاته.[1]

وعليه نشير أنّ المرأة تسيطر على دور العلاقات الجنسية لوظيفة غريزية سيّان الزوج، لها رغبات جنسية في التقرب من الزوج كما لها السلطة في النفور أين يكون الزوج في وضعية تراتبية بالزوجة، وكما صرّحت سيون ديبوفوار أنّ الزوجة تعترض عن الزوج "إذا كانت عواطف الزوج عنيفة قاسية تشعرأنها بين ذراعيه كمتاع... وإذا بَالغ في التحكم بعواطفه فإنه يُحدث مفعولا معاكسا لديها... تفرط إصرارها على القيام بدورها في الجماع، ويعود الأمر في معالجة هذه الوضعية إلى حذاقة الرجل الذي يستطيع أن يوحي للمرأة بأن العملية الجنسية هي مشاركة بينه وبينها ولا يهدف منها إلى السيطرة.[2]

إنّ القبول الجنسي لدى المرأة غالبا ما يكون موجّه بهدف يكون مرتبط بدور الإنجاب بعيدا عن كل العلاقات العاطفية، على غرار تودّدها للزوج بتملّق ومكر لتحرز رضاه وتتوصل لمقتضياتها، حيث تمارس عليه عنف رمزي أو حتى نفسي أين يكون تحت سيطرة جنسية تراتبية في خط الزوجة. حيث يخبرنا المبحوثون:

"تعرفي هي تبغي جّامع بزّاف.. ماعرفش! هي دايرة هاك !.. **وأنا ندخل عيان من العمل تجبد فيّ مانقدش نقول لها راني عيان نهار الكل**.. مانقدش.. تَزّعف.. **خاصها تزيد تولد، وأنا مارانيش باغي نزيد دروك**" (المبحوث رقم 9)

"**أنا في العلاقات الجنسية تلقى راحتها كي تعرف بلي خلصت الدراهم**.. إيوا تمّ.. غير باش تقول لي راهم يسالولي عطيلي دراهم.. كي تحب تعطيهالك المرا من خاطرها ولكن كي متعطيهالكش لا يمكنك أخذها.. **حتى تع بالسيف هي ما تكونش على خاطرها**" (المبحوث رقم 4)

"**غير كي نبغي صوالحي نقرّبله**.. وصايي.. كيما هذا اليمات راه يرقد معانا في البيت مانسمحوش فيه راحنا نفرشوله.. باش يعاوني في الصوالح تع الدار –وتضحك- هو لاّ مافايقليش" (المبحوثة رقم9)

يصوّر بيار بورديو الحب والعلاقات الوجدانية بـ"الجزيرة الغناء" باعتبارها عالم مغلق ومكتفي ذاتيا ومكان لسلسلة متواصلة من المعجزات: عالم اللاّعُنف الذي يجعل إرساء علاقات قائمة على التبادلية الكاملة ممكنا، والذي يسمح بالتنازل وتسليم الذات"[3] في علاقة تراتبية بين كلا الجنسين، تستدعي ممارسة العنف بفعل الضغط أو التملّق لبولغ رغبات غريزية أو اجتماعية أو الإحراز على ممتلكات مالية سواء للرجل أو للمرأة؛ مؤكّدا بيار بورديو أنّ الزوجة تستعمل استراتجيات المكر والرياء بصفة مضمرة في العلاقات الوجدانية بما فيها العلاقات الجنسية والتي تدخل في إطار العنف الرمزي الذي قد يمارس على المرأة كما يمارس على الرّجل، بحكم أنّ النفوذ السحري للحب يمكن أن يمارس على كلا الجنسين، ولكن يتوجّه ممارسته على الزّوج للتماس طابع من "الهدنة الإعجازية"، أين العنف الرجولي يكون مخفَّف والهيمنة تبدوا مُلغاة، وتنتهي بالمناسبة استراتيجيات الهيمنة التي تهدف إلى الربط، أو التكبيل، أو الإخضاع، أو التحقير، أو التسخير بأن تثير انشغالات بال وشكوك، وانتظارات، وإحباطات، وجراح، وإهانات، والتي تسمح ببناء علاقات التبادل الغير متكافئة.[4]

وعليه فتبقى العلاقة بين الزوجين علاقة سطحية غير شفافة ترمي إلى الولوج لرغبات ذاتية، حيث يكون للعلاقات الجنسية وظائف مُضمرة، على غرار دور الانجاب المعلن عنه اجتماعيا، مما يستدعي ببناء علاقة زواجية بعيدا عن العواطف، أين يكتشف كل طرف بأن قرينه يخفي وراء العلاقات

---

1. أوسفالد كوليه، مرجع سبق ذكره، ص.147-148
2. سيمون دي بوفوار (2008) مرجع سبق ذكره، ص.111
3. بيار بورديو، الهيمنة الذكورية، تر: سليمان قعفراني، مراجعة: ماهر تريمش، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحددة العربية، بيروت، أبريل 2009. ص.162
4. بيار بورديو، الهيمنة الذكورية، نفس المرجع، ص.ص.162-163

الجنسية مصالح شخصية تستدعي التملّق والمراوغة والمكر لبلوغ أهدافه، وهي نوع من المعاملات المعنَّفة نحو القريبين تنتج علاقة تراتبية في علاقة تأثير وتأثر تولي إلى الشعور بإهانة للذات المستسلمة والمخدوعة من الشريك الذي يريد أن يلتمس منه عواطف صادقة وحقيقية، ولهذا وبما أن الرجل يشعر بسموّه يعطي له انطباع أنّ التبادل العاطفي مع المرأة يضعفه، حيث لا يثق بها، و"تخوّفا من أن يكون مخدوع بلطف الكلامها سينصرف إلى خلق بعد المسافة بالزوجة باستكبار،"[1] لا يعبّر عن مشاعره، ولا يترفّع بالجانب العاطفي نحو الزوجة، لربما تستغل ضعفه الوجداني وترتفع سلطتها فتتحكّم به، أين تتعرف على نقطة ضعفه، فتتضعضع مكانته الاجتماعية التي تعطي انطباع لمعنى الرجولة، موضّحة المبحوثة رقم 18:

"يقول لي ما عندكش أحاسيس ماجية باردة، زعما وصلّي المعنى حتى في الفرش، إيا أنا نقول له: لا أنا ماشي باردة، أنت كي نشوفك بارد من جِهتي نولّي أنا باردة، هو ردّ اللوم فيّ أنا، وصل قالي انااا نجي ونسلم عليك، ونعنقك، نقعد ندلّق، لا أنت تقربيلي وجي دلقيلي"

وكما يأبى الزوج لمسايرة الزوجة وجدانيا وجنسيا، في حالات أخرى، تأبى الزوجة التقرب من الزوج لها، ترى أنّ المتطلبات الجنسية لا تفي بالغرض أمام ضروريات الحياة اليومية المادية والمعنوية الغير مستوفية بالغرض من طرف الزوج، حيث تكون رغبتها الجنسية مقيتة مع الزمن، معبرة المبحوثات:

"وصلت ندابز معاه بزاف وصلت نحس روحي بهيمة **يتقرب لي غير كي يبغي** هو **بصّح قلت له راني معاك دير فيّ لي تبغي ولكن من دروك الجسد تاعي عمرك عمرك ما تقرّب له ملكي هذا ماشي ملكك.** بزاف ندير له لي يبغي وما يقرش، ويبغي غير دراهمي، ونخدمه، ونخدم أولاده، حتى في les relations sexuelle يفتّش غير على راحته ما يخلينيش نحس بيه.. ما نكمّلش الليل قدامه نروح مع الدراري نرقد. الحنانة والوا ما تحش بيها." (المبحوثة رقم 1)

"الزوج دربني في مخيّ ما نشوفش فيه والوا.. العلاقة الحميمية عندها أهمية ولكن تبغي قبل يتكلّم معك، يشاورك، يعطيك مكانة عنده. ولكن عندما يأتي مباشرة تحسي أنّك مثل البهيمة، ليس لديك أهمية.. نهار الكل وأنا واقفة مع دارهم في المطبخ، القضيان وأنا خدامة كذلك، وندخل لبيتي إلاّ في الليل، نكون عيّانة وهو يحبّ هذه العلاقات ويرقد! **أنا هذه لا أتحمّلها. أنا هكذاك ماكانش !، راه مريح في كلّش، هو معندوش الحق.** في هذه **السلطة أنا كي مانبغيش مانبغيش، وإذا كنت زعفانة مايدورش بيّ.. وإذا لم أكن في راحة جيّدة أرفض.** هو مايبغيش، من هذا الجانب يقول لي كلش فيك مليح ولكن في هذا الجانب!" (المبحوثة رقم 2)

"أصبحت أنام وحدي، نرقّد أولادي معي.. قعدت هكذاك لمدّة 3 أشهر.. هو كي يحب يتقرّب منّي يحاول يجبدني ليه ويولّي لطيف للغاية ولكن بعد ذلك يولّي لطبايعو.. هو أسم (ماذا) يخصّوا مهنّي يرقد ويوحوّس وصايبني أنا قايمة بداري.." (المبحوثة رقم 13)

من خلال جل التصريحات يتبيّن أنّ الزوجات في ظروف حياتهنّ الزواجية عامّة مقارنة بالزوج تعيش حياة قاسية بينما هو يعيش حياة رغدة هانئة، موجودة لخدمته وخدمة أهله فقط، غير مهتم بما تعانيه في حياتها الزواجية وما تحمله على عاتقها من مسؤوليات ضمن المجال الخاص، وغير معترف بمجهوداتها التي تقوم بها لإسعاده وتوفير له ظروف حياة سلسة ماديا ومعنويا، الأمر الذي يستدعي ضعف العلاقات الوجدانية، أين تصبح العلاقات الجنسية هرمية تحت سلطتها بحكم أنّ جسدها ملكها وهي من يتوجّب عليها اتخاذ موقف إيجابي أو سلبي فيما يخص ذلك، تحرمه من أي علاقة حميمية تقرّبه منها كعقاب له، فتريد أن تراه مقهورا، فـ"لقد وجد كل من "بيرجس" و"كوترل" وكذلك "تيرمان" أن **الموانع الجنسية كانت تعبيرا ثانويا عن صراعات نشأت عن عوامل شخصية واجتماعية**... وعندما تظهر العوائق الجنسية وتطفو على السطح باعتبارها السبب الأساسي فقد تكون مجرد تعبير عن توترات نتجت عن صراعات أخرى أو مشكلات معلقة، وفشل الأسلوب المتبع في حل مثل هذه الصراعات. وقد وجد كل من بيرجس ووالين أن التوافق الجنسي يمكن أن نعتبره إلى

[1] . Voir : Lahouari Addi, O.p. Cité, P.65

حد بعيد نتيجة لتحقيق النجاح في مجالات أخرى من العلاقات الزواجية أو انعكاسا له.[1] وهذا ما يولي الاشمئزاز في التقرب من الزوج، موضحًا أكثر بيار بورديو أنّ خضوع المرأة لرجلٍ لا يُعجبها، عذاب بالنسبة إليها.. ونحن معشر الرجال نجهل تقريبا هذا النوع من التقزز... في حين نشعر باللذة مع امرأة مُسايرة، رغم أنّها لا تعجبنا. النساء أقل تحكما بحواسهن من الرجال، إلا أن النشوة عندهن ليست سريعة ومضمونة كما عند الرجل[2] حيث العلاقات الجنسية بالنسبة للمرأة مرتبطة بالعواطف واضطرابات هرمونية تستدعي القبول أو النفور.

وعليه ومن كل ما سبق نشير أنّ العزوف والنفور والقبول والتقرب الجنسي كما له عوامل فزيولوجية له عوامل اجتماعية، تستدعي بناء علاقة زواجية متوافقة أو مضطربة تولي إلى توار التواصل الزوجي، وبالتالي كل طرف إلاّ وله القدرة على النفور من الآخر ومنع نفسه على الآخر والعكس لا ينفي ذلك. وأهم ما ينشب في عقب هذا النفور الزوجي مشاكل وعوائق أسرية تستدعي إلى ممارسة العنف في مختلف مظاهره وأشكاله يؤثّر على جميع أفراد الأسرة يكون فيه الأبناء أوّل المتضرّرين له.

II. أثر العنف على المحيط الأسري

غالبا ما يكون العنف نتاج صراع يتخلل المجال العائلي يبلغ ذروة محتدمة من التطاحنات والشجارات، جرّاء الاختلافات الواردة بين أفراد العائلة الواحدة، أو بين الزوجين، لعوامل وأسباب متعدّدة ومختلفة تستدعي ممارسات معنِّفة علنًا ضدّ الآخر، أو سرّا باللجوء إلى المكر والخداع، لبلوغ الأهداف والتوصل إلى تغطية المصلحة الخاصّة أو العامّة على حساب الآخر، الذي سيكون ضحيّة عنف أسري يمسّ أحد الزوجان أو كلاهما ويكون فيه الأبناء محل تلقّي الضرر، خاصّة إذا ما تمّ أي شكل من أشكال الانفصال؛ وهذا الأخير كما أنّه بمثابة نتاج لعلاقات أسرية مضطربة ومُعنَّفة، هو بدوره يعتبر عامل من العوامل التي تستدعي نشوب عنف أسري في علاقة كل فرد بأسرته الأصلية والتي تمسّ بالضرورة علاقات الأبوة /الأمومة والبُنوّة حيث تضعف الروابط الأسرية.

1. ظاهرة الطلاق في الجزائر

تشير الإحصائيات الوطنية أنه، يعيش 18 مليون جزائري حالة عزوبية بمختلف أشكالها، سواء بعدم الزواج، أو عبر الطلاق والتطليق أو الخلع؛ وحسب أرقام الديوان الوطني للإحصائيات فإن نحو 387 ألف حالة قران حصلت خلال سنة 2014، ويشير إلى أنها كانت مستقرة نسبيا مقارنة بسنة 2013؛ ويوضّح أنّه في الوقت الذي تستقر حالات الزواج تعرف حالات الطلاق منحى تصاعديا رهيبا، حيث تم اتخاذ في السنة ذاتها ما يزيد عن 57 ألف قرار طلاق، وهو الرقم الذي زاد بـ18 ألف حالة منذ سنة 2000 أي بنسبة 14 بالمائة؛ كما كشف الديوان الوطني للإحصائيات عن تزايد رهيب لحالات الخلع منذ سنة 2011، حيث تم تسجيل 7559 زوجة قامت برفع دعوى من أجل الخلع وفك الرابطة الزوجية؛[3] وقد أشارت إحصائيات وزارة العدل التي تم إعدادها خلال سنة 2013 إلى 54 ألف و985 حالة طلاق، أي قرابة الـ55 ألف حالة... وبالنسبة للخلع فقد سجلّ ارتفاعا رهيب إلى 20 ألف و591 حالة، وكلهن نساء فضّلن الانفصال عن الشّريك حتى وإن فقدن الكثير من حقوقهنّ بين المهر والنفقة.[4]

---

[1] . محمود حسن، الأسرة ومشكلاتها، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1981. ص.122-123

[2] . سيمون دي بوفوار (2008) مرجع سبق ذكره، ص.ص.133-134

[3]. م.ف. عثماني، جريدة الخبر، 18مليون جزائري يعيشون العزوبية، 22أغسطس 2015 . لوحظ يوم 2019/07/17 على الساعة 26: 11، على الموقع: https://www.elkhabar.com/press/article/88498/18

[4]. *مصطفى* بسطامي، جريدة النهار، ألف حالة خلع في الجزائر عام 2013.. والسبب الخيانة الزوجية، 2013/12/13. لوحظ يوم 2019/07/17 على الساعة 26: 11، على الموقع: https://www.ennaharonline.com/

أنظر كذلك: عبد السلام بارودي، المصدر: أصوات مغاربية، 13ألف حالة خُلع في الجزائر.. وهذه هي الأسباب، السبت 12 يناير 2019. لوحظ يوم 2019/07/17، 00: 12، على الموقع: https://www.maghrebvoices.com/a/475470.html

وعرفت ظاهرة الطلاق تزايدا ملحوظا في السنوات الأخيرة إذ أنّه بلغ "عدد الحالات في الجزائر خلال عام 2017 إلى 65 ألفاً و637 حالة، فيما سجلت الرابطة الجزائرية للدفاع عن حقوق الإنسان (منظمة غير حكومية) أكثر من 68 ألف حالة طلاق في 2018 بزيادة قدرها 3 آلاف حالة، مقارنة بعام 2017... و13 ألف جزائرية خلعن أزواجهن في 2018، ما يمثل 19% من العدد الإجمالي لحالات الطلاق في البلاد.[1]

إنّ الطلاق بات ظاهرة اجتماعية مستفحلة إذ أصبح من ضمن الحلول التي ينتهي إليها أفراد العائلة عامة والزوجين خاصة، وهذا لإقامة الحد لظروف حياة بلغ فيها الصراع ذروته أدى إلى التعنيف، و"كثيرا من الاتجاهات في العلوم الاجتماعية الحديثة، ولاسيما المدرسة النسوية تحديدا، تعزو أكثر أسباب الطلاق إلى ما تعتبره العامل الحاسم الأهم في مؤسسة العلاقة الزوجية عموما اللامساواة في توزيع مواقع القوة والعمل والسيطرة على الموارد داخل العائلة، والقمع البطريركي[2] الذي يتميّز بعلاقات تراتبية محضة بين الجنسين وبين الجيلين، تكون فيه الزوجة هي الطرف الأكثر استقبالات لهذا القمع، ولهذا أصبحت الفرد الذي يقاوم قيود سطوة الجماعة الأسرية الأبوية، مُواجهة كل ما ينجم من ممارسات معنِّفة لها من طرف أعضاء العائلة أو من طرف الزوج؛ وهذه المقاومات قد تولي إلى نبذها وعدم قبولها كفرد من أفراد العائلة فيتم تطليقها، أو أنها تندفع بحدّ ذاتها إلى اتخاذ قرار التطليق وإقامة الحد للرابط الزواجي فتخلع زوجها عنها، مُعتبرة أنّ الطلاق أهون لها من العيش في انتحاب دائم لأيام شاقّة تكابد فيها حياة متعبة. فتخبرنا المبحوثات:

"وصلت للاستعصاء، وصلت للتمرّد، وصلت للبغض، وصلت. حتى لي وصلت للخلع... ماقدّيش لمّه ولخواتاته.. وهو يتبّعهم غير هم. ما علابالوش بيّ.. حبّت أمّي ترجعني كي العادة ولكن أنا أصريت باش ما نوليش لو كان نولي نمرض." (المبحوثة رقم 29)

"**مين طلقت درت الطابلي على أولادي.. بويا قالي ولّي على خاطر أولادك.** أنا مابغيش نولي.. أصبحت نكّرهوا. كي يدخل للدار مايباليش بنادم. يبالي كحل وحش.. يضربني ويحرقني بالنار كي نحاسبه، هو مايقعدش في الدار.. أنا كاينة ولكن ماكانش ماعاطينيش قيمة.. هاملنا ما عارفنا إذا كلينا أو ماكايناش.. وزيد هو كيما تقولوا مّاه يدير يدير. ما مايدافعش عليّ والوا" (المبحوثة رقم 8)

يشير دوركايم أنّ "الطلاق في الأغلب الأعم هو خلاص وتحرير، بعدما يصبح الزواج إزعاج دائم للمرأة دون منافع كبيرة، فتلجأ إليه المرأة بطيب خاطر[3] وعلى قناعة، ولكنه يبقى قرار يصعب اتخاذه فلا تتجرأ له سوى المرأة الصلدة التي تتحلّى بشخصية قوية معتمدة على نفسها في تحمل مسؤولياتها لمواجهة ظروف الحياة الاقتصادية، وعامّة فإنّ "قرار الطلاق يعني أن تملك الشجاعة لمواجهة الضغوطات الاجتماعية.[4]

1.1. ظروف حياة المرأة بعد الطلاق

الطلاق رغم أنه في فترة يعتبر حلا للمشاكل الاجتماعية الأسرية، و"علاجا حاسما للمشاكل النفسية على حسب رأي علماء النفس، ولكن هذا الحل يبقى دائما محل تساؤلات، يصعب علينا أن نحدّد إذا كان من الممكن أن نقبل فكرة الطلاق أم نقف ضدها، وعلى حسب الدكتور سبوك يستحيل أن نعطي نصيحة قاطعة بأن الطلاق فيه سعادة للأم أو للطفل[5] فإنّه من جهة أخرى هو مجازفة وله عواقب في غور العلاقات الأسرية والاجتماعية العامّة.

---

[1]. يونس بورنان، العين الاخبارية (مجتمع)، الأربعاء 16/1/2019، لوحظ يوم 2020/04/27، 27 :11، على الموقع: https://al-ain.com/article/divorce-in-algeria
أنظر كذلك: آمنة سماتي، الحوار (وطني)، 9 ديسمبر 2019، نُظر يوم 27 أفريل 2020، 56 :11، على الموقع: https://www.elhiwardz.com/national/160408/
[2] . أنتوني غدنز، مرجع سبق ذكره، ص.264.
[3] . إيميل دوركايم، الانتحار، ترجمة حسن عودة، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2010. ص.348-350
[4] . أنظر: فسيان حسين، رسالة دكتوراه سبق ذكرها، ص.290
[5] . دكتور سبوك، مرجع سبق ذكره، ص.ص. 322-325

تحكي المبحوثات:

"المجتمع لا يرحم.. جاني الزواج عاودت تزوّجت.. المرا المطلقة تقعد تحت العينين" (المبحوثة رقم 13)

"واجهت أمرا .. مع الجار، بدأ يطبطب علي شافني هجالة وحدي بغى يدخل في حياتي.. دفعته للشّرع حكموا عليه تعويض وحبس" (المبحوثة رقم 19)

"باه تقول المرا عندها حقوق يكذب عليك.. ولّي راهم يهدروا على الحقوق مزاااال ما شفناهاش! مازال المرا محقورة، والمجتمع تاعنا يضلمها خاصة بعد الطلاق. كي يشوفوا المرا يشوفوها جسد علاقات جنسية فقط. مازال المرا ما وَصلت..!" (المبحوثة رقم 30)

إنّ المرأة من السهل عليها الهروب من الحياة الزواجية الصاخبة والمعنَّفة، وفضّ الرابطة الزواجية، ولكن العلاقات المعنّفة واردة اجتماعيا يعسر الخروج منها، حيث يوضّح Fabienne Kuenzli-Monard أنّ المرأة مع الزّمن تصبح في حالة خطيرة، فالهروب من وضعية ميؤوس منها يمكن أن يورّطها في وضعيات درامية من الجانب الاجتماعي، والاقتصادي والنفسي،[1] في غور العلاقات الاجتماعية العامة.

فأمّا من الناحية الاجتماعية، تكون المرأة في أغلب الأحيان فردا فارًّا من النظرات الثاقبة والأحكام المسبقة الواردة اتجاهها، موسومة بـ"المرأة المطلّقة" فهذه الأخيرة "غير مقبولة اجتماعيا لأنها خرجت عن النظام الاجتماعي العام، وتخلّت عن الوضع الاجتماعي الذي يميّزها في وجودها كامرأة يعزّز مكانتها الاجتماعية،[2] وعلى الأرجح هذه الوضعية تجعلها تستقبل عنف اجتماعي من طرف أفراد المجتمع من نساء ورجال؛ فمن جهة "تتقلّص علاقاتها الاجتماعية فتصبح محدودة حيث أنّه في الغالب لا ترحب الأمهات المتزوجات بصداقة المطلقات،[3] وفي ذات الحين تصبح محل ترقب الرّجال حيث تشير Evelyne Josse أنّ المرأة إذا كانت مطلقة –أو أرملة- في المجتمعات التقليدية، تتعرّض للاستخفاف من طرف الرجال، لأنها غير محمية من طرف رجل.[4]

وأمّا من الناحية الماديّة فستعيش ظروف ساحقة إذا كانت امرأة ماكثة بالبيت، أو أنّ عملها غير مضمون، أو أنّ عائدها الشهري لا يكفيها لتلبية متطلباتها واحتياجات أبنائها، فقد "دلّت الأبحاث التي أجريت على الأمهات المطلقات على أن كثيرا منهنّ اللائي لم يتزوجن مرة أخرى تكون الحياة في نظرهن مليئة بالكآبة... تعيش في ظروف من المعاناة الاقتصادية، بل وتصاب في هذه الحالة بعقدة الخوف من المستقبل والتوجس من شبح الفقر... وعلى كل حال فالنتيجة النهائية تتوقف على مسألتين: قدرة الأم على الإحساس بالرضا بهذا النوع من الحياة؛ وقدرة الأم على أن تسيطر تماما على مشاعرها فلا تصاب بالضيق والإحساس بالذنب... فتعلن ملكيتها الكاملة للأطفال[5] لكي تشعر بالوحدة الأسرية، هذه الوحدة التي تفقدها بعد العودة للعيش تحت كنف رجال الأسرة الأصلية أين تجد ظروف اجتماعية وماديّة تعزي حياة قاسية لها. حيث تخبرنا المبحوثات:

"أخاف من المستقبل. أخواي نخاف يْسيبُوني. كنت عاملة بالقطاع الخاص وAssurée، دروك خاصني خدمة pour faire une situation.. حتى واحد ما يدوم.. تحس بلي ناقصاتك حاجة في داركم.. **مادابيّ لو كان نقعد مع بنتي وحدي**" (المبحوثة رقم30)

"حياتي غير مقبولة بالنسبة لي، لاّ، لحد الآن.. **مادابي نخدم ونكري** دار أنا ولدي ونعيش معاه، راحتي وحدي مع ولدي لو كان نصيب نسكن وحدي مع ولدي نخدم ونكري وندبر راسي.. عندي خاي واحد متزوج في الدار معنا.. هم ما قالوا لي والوا.. ولكن أشعر بلي ما عنديش بلاصة.. حاجة خاصتني معهم. خاصني

[1]. Fabienne Kuenzli-Monard, O.p. Cité, P.407.

[2]. أنظر: فسيان حسين. ص.290.

[3]. دكتور سبوك، مرجع سبق ذكره، ص.ص. 322-325

[4] . Evelyne Josse, O.p. Cité, P.12

[5]. دكتور سبوك، ترجمة منير عامر، حديث إلى الأمهات: مشاكل الآباء في تربية الأبناء، الطبعة العربية، بيروت، 1998. ص.ص. 322-325

نهنّي راسي.. ونفتش على خدمة قدقد.. **فإذن خاصني** une bonne situation**.. العمل الذي راني فيه بدون تأمين**" (المبحوثة رقم 29)

أ. مكانة المرأة الأسرية في حالة الانفصال الزوجي

غالبا ما يعيش الزوجان حالات انفصال من الممكن أن تؤول إلى الطلاق في أي ظرف من الظروف، وفي كلتا الحالتين تصرح المبحوثات أنهن فقدن مكانتهن في علاقتها بأسرتهن الأصلية، إذ تحكي:

"أنا حسيت راسي زيادة في دارنا كي خرجت غضبانة.. أختي عزبة خرجوها من بيتها: زوجة الأخ قالت لراجلها زيدلي بيت أختك تروح ترقد في الصّالة. أختي بقى خاطرها، قالت لي أنا في دارنا نطرّد كيما البرّانية!. وراني عزبة بْشَاني، وكي نتزوّج لو كان يْصرالي حاجة وين نروح !؟، بويا والله ماهدر ماتكلّم، وخَرْجت من البيت، ومّا مسكينة ما تهدر ما تتكلم.. وبويا بغى يعاوني دراهم وخويا وقف له." (المبحوثة رقم 10)

"خاي يستقبلنا غاية.. بعد ثلاث أيام لو كان يعرف بلي راحنا غضبانين يرجعنا.. هو قايم بمّا.. ومتزوج وعنده دراري" (المبحوثة رقم26)

"نهار لّي خرجت من عند ختاني (أسرة الزوج) وقعدت ثلاث أشهر في دارنا حسيت بلاصتي مشات.. وبّا تقول كان خيفان راجلي يسمح فيّ" (المبحوثة رقم 14)

إنّ المرأة مكانتها الأصيلة اجتماعيا مرتبطة بمكانتها كزوجة، فإنّ النظام الأبوي يستدعي أن يكون الأولاد المتزوّجون وزوجاتهم وأبنائهم تحت سلطة رب الأسرة فيكون الجميع تحت رعايته، والبنات حتى تتزوجن لتكون تحت رعاية أزواجهنّ تابعة لهم ماديا؛[1] ولهذا المرأة بفقد حصانتها ضمن العلاقة الزواجية ستفقد مكانتها الأسرية، حيث تصبح عبئ على الرّجل العائل ماديّا، خاصّة إذا كانت لا تملك عملا تجني منه ربحا ولها أبناء، أين ستتكثّف المسؤوليات على الأب أو على الأخ الذي ستتعدّد أدواره في مكانته كزوج وأب وأخ للبنات، يعسر عليه توفير احتياجات الجماعة وتوفير ظروف معيشية رغدة للجميع، فتبقى مسؤولياته الأولوية كراع مسؤول عن رعيّته مرتبطة بالزوجة والأبناء في مكانته كربّ الأسرة، وفي هذه الحالة المرأة المتزوّجة لا يجدر بها التخلّي عن رعيّة أولادها حيث إذا ما وقع الطلاق ليس من ضامن لها ولأبنائها، ولهذا غالبا ما يطلب من البنات/الأخوات التحلّي بالصبر، وتقبّل ظروف حياتهن المعيشية، فكما يقول المثل الشعبي بلسان المبحوثة رقم 4: "**ما يدوم لك غير راجلك وأولادك.. هكذا كانت تقوللي الأم.. وما دّوم لك غير خدّمتك في الوقت لي راحنا فيه**"؛ ولكن في كل حال من الأحوال: "**بعد الوالدين لا يوجد من معين**" هكذا تخبرنا المبحوثة رقم 19، سواء بعد الوفاة أو إذا فقد أحدهما أو كلاهما صحتّهما الجسدية أين السلطة والقرارات الأسرية الهامة تكون تحت تصرّف الأخ البِكر. مُوضّحة المبحوثات:

"كنت نخدم والراجل بَطّلني.. وخوايا قباح وصعاب.. لا أثق فيهم لو كان الأم تَخْطاني يْصرالي حاجة. وبويا مات.. **نَنْدم كي طلقت، نقول لو كان قعدت على الجمرة مع الزوج ولاّ الطلاق.** مع الإخوة نشعر راسي زيادة، **يحاسبوني على كُلّش** نحشم كي نجي ناكل، ونحشم حتى نرفد الماكلة من الثلاجة، والأم عَاطْيَتْني بِيتْ مع بنتي ويضلوا علاه تعطيها داك البيت ليها.. **نحس بلي زيادة**، نَرْقد حَشْمانة لي الأم مدتلي البيت" (المبحوثة رقم 30)

"ما عندي حدّ عندي ربّي.. أخواي انا نفتشّ عليهم ولكن هم ماعلابالهمش.. **أخي الصغير معي في الدار نَقّصده باش يْسقّد لي طاقة أو باب ما يْسالش.**. حتى نْدبّر على راسي" (المبحوثة رقم 3)

"تزوجت وطلقت.. أنا قلت نصبر باش مانوليش لدارنا.. ولكن ماقديش طلّقت. كان عندنا مشاكل في الدار مع زوجة الأخ الأكبر قالت له تلها فيّ وفي أولادك ما تقعدش لاتي بيهم.. **أنا بويا مايشوفش، مريض بالسكر، وخويا كان شاد الدار هو كان يصرف علينا**.. ومرته قالت له ماتقعدش تصرف على داركم **مع لي كنت دروك أنا في الطلاق.. الأب تعرفي ملي مرض ما بقاتش عنده ديك الهيبة تاعه**" (المبحوثة رقم 21)

[1] . Voir : Boutefnouchet Mostefa, O.p. Cité.

"**والديّ ماتوا**.. أخواي واحد في الخارج، والآخر ساكن غير قدامي. نحتاجوا شحال من الخطرة ولكن مانصيبوش.. متزوج.. مراتو **وصلت طردتني من دار بّا..** وخاي il n'a aucun pouvoir معاها.. في ديك العامين لي سكنتها في دارنا **كان زوجي غائب**.. **وكنت في مشاكل معه"** (المبحوثة رقم 4)

إنّ من حديث المبحوثات يتبيّن أنّ وضعية ومكانة المرأة بأسرتها الأصلية بعد الطلاق تكون كاسحة مهدورة، أين تتعرّض للعنف من أقرب المقرّبين لها، من طرف الإخوة المُنْساقين في علاقتهم بالأسرة النووية، تابعين لقرارات الزوجة، حيث لا يستهان بدور هذه الأخيرة في جذب زوجها إليها ترفض شراكته بالقرابة الدموية فتقوم ببناء علاقة متحفّظة بين الأخ والأخت وأسرته عامة –كما رأينا في الفصل الثاني- تريد الاستحواذ عليه بأنانية، فتبحث عن تملّكه، وتملّك المكتسبات المادية العائلية، باعتبار أن زوجها ذكر العائلة وله الأولوية في ممتلكات أبيه قبل الأخوات، إلى أن هؤلاء لا تجدن مكانا لها في ظروف قاهرة، أين تستنجد بالإخوة في حالة الطلاق أو في حالة أي شكل من أشكال الانفصال عن الزوج، إلى أن تصبح العلاقة بين الإخوة علاقة ضعيفة.

حيث يصرّح المبحوث رقم 7: **"أنا أؤمن في مرتي وجيبي... أنا حسيت بلي الزوجة رغم المشاكل هي نصفي الثاني.. أمي ماتروحش لعندها بزااف.. وحتى الإخوة والأخوات ماعندناش علاقات قويّة معهم...الحب مع الزوجة ومع الأبناء"**

في هذه الظروف تتأسّفن الزوجات من إغترابهنّ بالأخ المستلب من طرف الزوجة، حيث يزداد شعورهن بفقد مكانتهنّ كبنات للعائلة، والجدول رقم 18 يوضّح لنا أنّ علاقة الفرد بالإخوة لم تقدّر إلاّ بنسبة ضعيفة تساوي 11,11% عند جل المبحوثين، مما يمكننا استنتاج أنّ معظمهم من الأزواج يعتبر أنّ الأسرة النووية من الأولويات العلائقية، وما يؤكّد ذلك 27,78% من الزوجات اللواتي صرّحن بأنّ الإخوة هم من الأشخاص اللذين تفتقدهم وتودّ لو أنّ العلاقة معهم بقيت كما في السابق، بعدما أن تكتشف أنّها فقدت السّند الرّجولي. إذ تخبرنا المبحوثة رقم 7:

"لما تطلّقت ماحسيتش راسي غاية، خفت نقعد بين نسا الإخوة ندور.. فإذن قلت نولّي لرّاجلي، لمّا جاوا يردّوني.. قلت لـpapa كيما راني هنا نكون معهم. قررت باش نولّي."

في هذه الحالة المبحوثة فضّلت العودة إلى الكنف الزوجي بعد الطلاق، أحسن من أن تدخل في علاقة تنافس على الأخ/الزوج في علاقتها مع زوجة الأخ، من الممكن أن "تصل الصراعات إلى مستوى من العنف كبير أو صغير... وتأخذ شكل لعبة حصيلتها صفر، ما يربحه أحدهم يخسره الآخر، بل تكون أحيانا سلبية، حيث لا يوجد إلا الخاسرون"[1] أين تجد المرأة نفسها وحيدة كما أشارت لنا المبحوثة رقم 23:

"الزواج بدون فائدة.. لقيت الوحدانية.. راجلي قع مادايهاش، يجي دوك الأيام ويروح.. ويطوّل، بقيت في دارنا، ما بغيتش نقعد مع العجوز.. وما يعطينيش حتى النفقة كدّي ماكانش.. **راني باغية نطلق، والأخ سمح فيّ**، والأم توفاة.. **خويا قال لي ماجيش معاي هي ما بغاتش** –على مرته- **قع تبدلوا**، كنا في دار وحدة، الكنة كانت معانا في الدار.. كانت تحاسبني على المصروف تقول لخويا على المصروف وعلى الضوّ والماء، زعما يليق نخلص معهم، إيا يحاسبني، وكنت نخلّص.. **دروك مارانيش نشوفه ما يتفقدني ما يقول عندي أختي**. **لقيت روحي** لا راجل ولا عائلة: الأخ لّي بقالي من الأم تبّع مَرته وسمح فيّ. حمبوك أخت وحدة !، وحدة !، بعد الأم والعائلة لا يوجد غير الأخ.. والأب رفداته مرته عايش مع أولاده".

ما توضّح لنا أنّ دائما هناك انحياز لطرف أو لجماعة دون الأخرى، حيث كلما انحاز الفرد إلى جانب يهمل الجانب الآخر، وهذا الإهمال قد يمسّ علاقة الأبوّة والبنوّة في مرحلة يفقد فيها الأبناء أقدس علاقة اجتماعية بالأب الذي ينحاز للزوجة الثانية وأبنائه من صلبها غير مبالي بالأبناء من الزوجة الأولى.

[1] . جيل فيريول، معجم مصطلحات علم الاجتماع سبق ذكره، ص.56.

2.1. علاقة الفرد بالأسرة الأصلية في حالة التفكك الأسري

أ. زوجات ضحية الانفصال الزواجي

إنّ الجدول رقم 20 يوضّح أن 20% من جل المبحوثين فقدوا علاقة وجدانية بالأب، و32,26% محرومين من كل دعم مادي من طرف الوالد، مع العلم أنّ في الحالة الواحدة يعيش الأبناء كلا نوعيّ الحرمان إلى أن تضعُف العلاقة بين الأبناء والأولياء، خاصّة في حالات التفكك الأسري وإعادة بناء علاقة زواجية بامرأة أخرى؛ فتحكي لنا المبحوثات عن ظروف علاقاتها الأسرية ومعاناتها في علاقات الأبوة:

"ما عندي حتّى حدّ: الزوج بعيد يخدم في الصحراء. راني شاكة ربما تزوج بأخرى، هو مايجي، مايصقصي عليّ، ما يمدلي النفقة، تاكل على خدمتي.. والأخ لاز لمرته.. الأم توفاة.. **والأب متزوج بأخرى، مايصقصيش عليّ وعلى خويا... متقرب من أولاده من زوجته الثانية.**" (المبحوثة رقم 23)

"أمي ماتت.. **أبي تزوج ولم تلد له،** جدتي قالت له طلقها، كانت مرته تحبنا مع لي ماجابت الدّراري. طلقها وتزوج بأخرى ولم تلد معه. **ثم تزوج،** هذه الأخيرة جابت معه الدراري.. **شوّفتني الويل** كنت خدامة عندها.. هي تولد وأنا نربي، حتى مابغاتش تْزَوّجني.. **وبويا ما يدير والوا بلى بيها ولي تقرّه هي يكون.. سلّوني،** ومن بعد سلّولي دراهمي، بويا يَتْتَر منِّي ويعطي لمرتَه دْراهمي.. **والأخ تزوّج ومابغانيش نروح لعنده. تعرفي لو كان ماجاتنيش الدار والرّاجل، لو كان قتلت روحي.** الدار لي كنا نسكنوا فيها تع الورثة **بويا قال لي دبري على روحك، مرته ماقبلتنيش..** قلت لعمتي وين نروح؟!" (المبحوثة رقم 15)

وتضيف المبحوثة رقم7 حيث تصِف لنا علاقة ابنتها بأبيها المُحتنقة عليه وهي لا تزال طفلة:

"راجلي معاود الزواج عنده معاها 2أولاد.. ابنتي ريها تغير من أخواها، ريها تكره بّاها وتعطيه الكلام في عمرها 9سنوات، تقول له ريك تحبهم غير ليهم، وتقول لي papa ما يحبناش ما يجيش لعندنا بزاف. باش يْقولوا الضرّة !"

إنّ من حديث المبحوثة الأخيرة يتبيّن لنا أنّ المرأة لها **"ضرّة"** هذا يعني بالمفهوم العامّي **"الشْريكة"** حيث الزوج هو بمثابة مجال مشترك بين زوجتين من المفروض كل منهما لهما الحق في الزوج معنويا وماديا، إلاّ أنّ علاقة الزوج بهما تكون غير مُنصفة، والتي تولي بالضرورة إلى التمييز بين الأبناء، غالبا ما يكون أبناء الزوجة الأولى هم الأكثر تضررا، لا يشعرون بالوحدة الأسرية، لا يكون لهم نصيب في الأب، الأمر الذي يستدعي إلى *بناء علاقات أسرية متوتّرة يعمّها مشاعر العداء؛ هذا ما أثبتته دراسات عديدة حول أنماط التفكك الأسري في حالات الزواج الثاني، أو في حالات الطلاق أو لاعتبارات أخرى، أدّت إلى تجلّي ظاهرة* ***"الأب الغائب"*** *أي الوالد الذي انقطعت الاتصالات والعلاقات –أو كادت- بينه وبين أطفاله،*[1] ولا يقوم بالإنصاف في استوفاء مسؤولياته اتجاه أبنائه في مرحلة تصل فيها الضغينة إلى ذروة قصوى في علاقته بالزوجة الأولى، حيث يشير السيّد عين[2] مُغتاظا من زوجته:

"حكموا عليّ نَكري لها دار.. والله إذا ندبّر دار في قوربي، وتسكن فيها مع الدراري.. ماعلاباليش بيها، والنفقة ماتعابيهاش كامل"

في هذه المواقف وفي هذا الوقت الذي تتكثّف فيه الأحقاد الزوجية تنوّه Diane Drory أنّ الانفصال الزوجي يصبح قرار مأساوي، حيث لا يُؤخذ الطفل بعين الاعتبار، ولا يهتم كلاهما بما سيلحقه به من أذى،[3] أين ينجرّ الزوجان إلى تعنيف القرين بعد الانفصال، وعلى الأرجح مواقف الانتقام هي أكثر المواقف إثارة للعنف؛ وأغلب القرارات التي يتّخذها الأزواج ضدّ زوجاتهم تعتبر محلّ انتقام، والتي ستعود بالضّرر على الأبناء، ولهذا ينبّه الطبيب النفسي السويسري Haffter أن نتجنّبه في حالات الطلاق أو الانفصال الزوجي، يتوجّب أن يبقى كل دور في مكانه، الأب يبقى أب والأم تبقى

---

[1] . أنتوني غدنز، مرجع سبق ذكره، ص.265

[2] . من مواليد 1980، مطلق وله بينت وابن، عامل حُرّ، مكان الاقامة وهران، الاصلي الأسري تلمسان (ملاحظة ميدانية)

[3]. Diane Drory, O.p. Cité, P. 9

الأم، ولا يحاول كل طرف تشويه صورة الآخر للأبناء، ولا يُقدم الزوجان على الانتقام من بعضهما،[1] لأنّ التوجّه إلى الانتقام يجعلهم يتجاهلون دورهم كأولياء في علاقتهم بأبنائهم، الأمر الذي يولّد ظروف نفسية قاهرة لهم، حيث يتعرّضون لكل شكل من أشكال الحرمان المعنوي، وكذا المادي، خاصّة بعدما ينكص الزوج عن آداء دور الإعالة في النفقة، وهذه الأخيرة رغم ما تحمله من مضمون اقتصادي من الممكن أن يقود إلى أزمة مالية، إلاّ أنّنا لا يمكن استبعادها عمّا تتضمّنه من بُعد معنوي الذي يُثبت وجود الصلة التي تجمع الأبناء بأبيهم؛ إذ تحكي المبحوثات:

"هو تعرف رسلي الورقة تع الطلاق الأولى بعد عامين لي سكنا في وهران.. نهار الأول تع رمضان في 2009، حتى ولدي مسكين يبكي داك النهار قالي نهار الأول تع رمضان يروح ويخلينا.. ولدي مسكين يقولي papa فقدته. **هو يبغي بوه،** يبغيه بزاف تعرفي **كان يخرجه ويديه غير في جنبه يشري له ومقلشه تعرفي كي نخرجوا نحوسوا غير يقوله بغيت دِي يشريها له لَبْغى بمليون**.. لمّا تطلّقنا ما بقاش يعطني النفقة" (المبحوثة رقم 19)

"طلّقت ما يعطينيش النفقة.. ويرجعني وعاود يطلقني. وأنا نولي غير على جال أولادي، وهو يرجعني على لّي حكمت عليه بالنفقة.. في الطلاق الثاني سمحت له في حقوقي والنفقة في الآخر.. اولادي يروحو لعند حنّاهم يسّكنوا غير قدّامنا، ولكن مايحنوش فيهم غير يروحوا ويجوا ويقولوا لي قْراوْنا.. وحتى هو ماشي حنين فيهم قع ما يتفقّدهمش" (المبحوثة رقم 8)

عقب هذه الظروف يجد الأبناء أنّهم خدعوا بأوليائهم، فكما أشار عبد السلام يحياوي، أنّ العلاقة مع الأولياء تعتبر حدود مؤلمة وليست مُخجلة، بحكم أنّنا كلّنا أطفال كذبة وَزُور، وخُدعة، كلنا نعتقد أنّنا منحدرين من أولياء حاميين لنا وذو قيمة اجتماعية... إلى أن نكتشف أنّ الأولياء غير معصومين من الخطأ،[2] وهذا الأخير قد يصبح شنيع يأجّج مشاعر الحقد للأبناء اتجاه أحد الأصول، وهذا "الحقد الذي يكنّه الفرد لأحد أعضاء الجماعة المتماسكة والملتحمة، يشير إليه A.Hahn أنّه ما هو إلاّ تعبير عن هذا الالتحام[3] الذي ضاع في لحظة، والذي يؤدّي إلى تعنيف الشخص الذي يعتبره قد سرق منه روح الوحدة العائلية، حيث يعبّر عن غيضه بممارسات عدوانية، غالبا ما تكون موجّهة ضدّ زوجة الأب الثانية أو ضدّ الأب بحدّ ذاته، الأمر الذي سيُضاعف من العنف الأسري يكون ضحيّته دائما الأبناء.

تحكي لنا المبحوثة رقم 26 باستياء عن ظروف حياتها مع الأسرة الأصلية، مصرّحة بما يحيقها من غيظ وأسى على فقد الأب، بعد أن أعاد بناء حياة خاصة مع زوجة أخرى، وبما أنّ الأب يحمل رمزية مقدّسة اجتماعيا، يعبّر عن انتمائها العائلي، حاملة لاسمه، تعتبر نفسها أَولى به من أي امرأة أخرى بعد أمّها التي ذاقت مرارة العيش في علاقتها الزواجية، حيث تصرّح:

"مشاكل بزاف من لّي كنت صغير بويا ومّا حياتهم غير دباز وبويا حاقر مّا، حاقرها بزاف حتى **تزوج عليها وهاملنا**. هو ما طلقهاش ولكن تزوج عليها بالسّيف في 2010 حتى مين كبرنا.. **مّا ما يعطيها المصروف ما يشري لها ما والوا، إيا مين تزوج زاد اهملنا أكثر**.. إيّا **مرت بويا مين لْقيتها في الحمّام ضربتها،** ضربتها، **كنت باغية نقتلها** تشْادِّينا حتى سلّكوا بيننا الغاشي تمّ، وكانت بالحمل، إيا مين راحت للدار قالت لبويا، **بويا جا للدار سوَّطني، وقالي غير خرجي علينا روحي، روحي باتي برا ولاّ دبري راسك**. ومن قبل مين كبرت بدأت ندافع على مّا ونقول له علاه راك دايرنا كيما هاك هو ما كانش يبغي. كرّهلي حياتي. إيا مين جات السبة تع مرته طردني.. وبدأ يقولي دايما غير خرجي غير روحي.. حتى رفدت روحي وخرجت.. **نحسّ بلّي نكّرهه**" (المبحوثة رقم 26)

يفسّر لنا الدكتور سبوك علاقات الأبوّة والبنوّة والصراعات المتجليّة في حالات الانفصال الزوجي من خلال نظرية فرويد، التي توضّح أنّ الولد يميل إلى أمّه، والابنة تميل إلى أبيها، حيث كل جنس يميل إلى الطرف الآخر، وكل منهما يشعر بالغيرة والتنافس مع نفس جنسه: البنت مع الأم والولد مع أبيه. هذا ما أورده فرويد في نظريته. فمثلا الأبناء يميلون الى الخوف من آبائهم.. وإلى معاداتهم علانية أو سرا. وبعض البنات الصغيرات اللائي يكن عاطفيا أقرب من أمهاتهم إلى آبائهم

---

[1] . أنظر: أوسفالد كوليه، مرجع سبق ذكره، ص.245

[2]. Abdessalem yahyawi, O.p. Cité, P.144

[3] . Lemarchant, O.p. Cité, P.157

بسبب تنافر أو جفاء بين الأبوين، قد يُظهرن من ألوان الطغيان على أمهاتهم ما يدعو إلى الدهشة... ونفس الصعوبات عندما يتزوج الأب أو الأم مرّة أخرى... فالزوج الجديد يبدوا له وكأنه سيسرق اهتمام أمه له... فأزواج الوالدين يعتبران طفيليّين في الحياة العائلية، ويحاولون سرقة حنان الأم أو الأب[1] أين ينشب العنف ضدّ أزواج الوالدين، ويعمّ الحقد والضغينة على الآباء والذي يولّد تنافر عكسي في غور علاقة التنافس على نفس الرّجل الأب/الزوج، أو من الممكن أن تكون الزوجة هي الخاسرة ضمن علاقة التنافس والصراع، وتجد نفسها محل خلاف بينها وبين بنات الزوج الذين نجحوا في الاستحواذ على أبيهم ضدّها وضدّ أبنائها، أين الغيرة على الوالد والخوف من فقده تكون أكثر تعقيدا من حب تملّك الزوجة للقرين، وإبعاده عن أبنائه، حيث يغتربون عن الأب الذي يُستلب من الزوجة فيفقدون متعة وحدة الحياة الأسرية الجماعية. تخبرنا ابنة المبحوثة رقم 31 –عزباء- :

"بّا يحب بناتوا من الأولى.. مّا الثانية بعد وفاة زوجته الأولى، وهم ما يْحبّوش كي يتقرب مِنّا.. **حتى الدراهم مايعطينيش.. كرهته**.. وراني خيفانة نفقد الأم ونقعد بّحدي.. وكي يحقّروني أخواتاتي الأب ما يجيش معاي غير معاهم. يقولي أنت ريك تكذب وهم يقولوا الصح حتى لدروك نهدرلوا ولكن ما يجيش معاي.. ويعايروني الأكثرية كي ما نجيش في صفهم وأنا لازّة للأم وهم ما يحبوش. لو كان نجي في صفهم راني مليحة ولو راني ضدهم يدابزوني وينايفوني. وبّا عمروا ما يجمعني مع اولادوا.. وصلت ما تقعدش في الطابلة معه. كرهته"

وعليه فإنّ الانفصال الزوجي والطلاق يتوجّب أن يتوفّر فيه شروط؛ فعلى حسب Drory Diane أنّ هذه المأساة تبقى تصوّر بديهي، فالفكرة التي توحي بأن الطلاق يخلّف حياة مضطربة للأطفال هي خاطئة، لأنّ المثالية لا تتمثل في البحث عن حياة سلسة وهانئة للطفل ضمن أسرة مستقرة، ولكن هناك اختيار آخر يتمثل في توفير ظروف مستقرة للطفل بعد طلاق الزوجان -أو في حالة تعدّد الزوجات الذي غالبا ما يستدعي الطلاق الوجداني- يعيش الطفل انفصال سلس للوالدين، بدلا من أن يعيش انفصال عاصف وصعب، أو الكارثة الكبرى إذا يعيش وسط أسرة تتمزّق يوم بعد يوم بطريقة مدمّرة. وعليه ففي مرحلة الانفصال أو إعادة بناء أسرة مركّبة، تدعو Drory بوجوب التركيز على الناحية العاطفية الأسرية، وإعادة التفكير في عدم الاستقرار الزوجي الذي سينجم بعد الانفصال، والاهتمام باستمرارية استوفاء المسؤوليات اتجاه الأبناء، أين تتواصل العلاقات الوجدانية، فيستمر الحب الأبدّي على مدى الحياة في وضعية الزوجان كوالدين.[2]

ب. الإرث من دواعي ممارسة العنف بحكم التمييز الأسري

الجدول رقم 8 يبرز لنا 39,53% من الصراعات الأسرية ناجمة عن المجال المادي، والإرث يعتبر من أهمّ الأبعاد المرتبطة بهذا المجال، والذي يؤدّي إلى نشوب العنف الأسري، ويكون له الأثر البالغ في حالة التفكك الأسري، أين يحدث التمييز بين الأبناء على غرار الظروف المادية الأخرى التي تستدعي الحرمان المادي، غالبا ما تكون مرتبطة باستغناء الزوج عن تقديم النفقة للزوجة. فتحكي المبحوثة رقم 23:

"راني وحدي مع بنتي.. **الأب متقرب من زوجته الثانية وأولاده.. وصل به الأمر باع الدار بيعًا وشراء لزوجته كتبها على اسمها**.. خَرْبت لَه في مُخّه وقالت له ربما من بعدك أولادك يقولوا لنا نسالوا.. فإذن، ماتت قَبله، **وقبل ما تموت كتبت الدار على أولادها... بويا ما يكسب دروك والوا. تغيضني**. لا أشعر به، وهو يحس بالذنب.. **لقيت روحي لا دار لا أسرة**.. جدّتي ربّاتنا وقالت لنا راكم معاي بعد لّي ماتت مّانا، وكانت تقول لي خوالاتك هم أخواتاتك.. ولكن بعد ما توفاة الأم –لّي هي جدّتي- عرفت بلي هذوك خوالاتي ماشي خواتاتي.. جاوني des pressions نهار لي اكتشفت نيتهم.. قالوا لي ما تسالوا والو"

---

1 . دكتور سبوك، مرجع سبق ذكره، ص.ص.327-376

2. Diane Drory, O.p. Cité, P.p.9-11

إنّ الصراع حول الارث جائز لا محال، إلاّ فئة قليلة منهم لا يتوصلوا إلى صراع في هذا المجال، خاصّة مع بروز الفردية المستحقة أين الوالد يكتب جل الإرث باسم فئة دون الأخرى أو لفرد دون الآخر، مصرحا المبحوث رقم 8:

"الأب لم يترك لي أي ملك من ممتلكاته، أخواتي كلّهم كان عندهم نصيب إلاّ أنا.. لما علمت بهذا حسيت تم وكأنه ليس لدي أب.. رغم أنه مات عندي في داري والمرا وقفت معه في مرضه.. ما حاسبت حتى حدّ.. أنا ابنه من الزوجة الثانية"

إنّ ما أثبته المبحوثين في تصريحاتهم أنّ الإرث لا يعني المال فقط، ولكن يثبت هوية الانتماء الجماعي وقوة الرابط بالوالدين؛ ولهذا فحرمان أحد الأبناء من الميراث يعني بالضرورة نكران الابن كفرد من أفراد الجماعة الأسرية، ونكرانه بأحقّية صلة الأبوّة، هذا ما يستدعي إلى التألّم والذي يمسّ الجانب السيكولوجي للفرد، يؤجّج مشاعر الحقد بين الإخوة واتخاذ مواقف سلبية اتجاه الوالدين؛ فقد حدّد Felson العلاقة بين الإخوة والأخوات في علاقة تنافس وصراع للحصول على الممتلكات الخاصة بالوالدين على أنّها علاقات تؤدّي إلى ضغينة، وعداوة، وشجارات إلى حد العدوانية وممارسة العنف، مع تجلّي الشعور بالغيرة. والذي يؤثّر بالضرورة على العلاقة الزوجية وبالصلة التي تربط علاقات الأبوة والبنوة[1] وبالتالي تضعف الروابط الأسرية؛ هذه الروابط التي في الغالب تكون موجّهة بسلطة المرأة وجسارتها وقوة شخصيتها، تعمل على ضبط الأولويات العلائقية، أين يُخدع الجميع في علاقات التفاعل الأسرية، حيث يكون أبناء الزوجة الضعيفة ضحية التفكك الأسري بعد أن قام الزّوج/الأب إعادة بناء أسرة مع امرأة أخرى في مرحلة ينصرف فيها الزوجان إلى التعرف على شريك آخر، بدلا من محاولة إعادة بناء الصراع والبحث عن نوع من التوافق الزواجي، الأمر الذي يولي إلى نِتاج شبكة علاقات أسرية معقّدة، فتتزايد أطراف العلاقات المتنافسة بين الاخوة والأخوات على نفس الرّجل/الأب سيّان الرّجل/الزوج.

وغالبا ما يكون الأخ الأكبر هو المسيطر على ممتلكات الأب والذّي يولي إلى الصراع حول الارث بين الاخوة والأخوات بعد وفاة الوالدين، وتكون الأُخت هي المتضرّرة الأولى التي تُحرم من أحقيّة الميراث خاصّة إذا كانت مطلّقة وليس لها عائد مادي تعيش به، يريد الاستحواذ على جلّ المصادر المادية للأب، حيث تصرّح المبحوثة رقم 3:

"المكتوب جاني حتى بعد وفاة الوالدين.. كنت كبيرة باش تزوّجت.. ولكن كلّ واحد وقسّمته.. لما تزوجت مرِضت.. وصل للموت.. خاي مشى طلّقني، كي خرجت من المستشفى قالوا لي الراجل طلقك، ومن بعد عرفت بلّي خاي الكبير مشى عند الراجل وخرّجلي صوالحي.. قبطوني des pressions، خاي الصغير وقف معاي.. كامل هاذ الشّي على جال الورث؛ وخاي الصغير ماصاب ما يعمل، حتى هو حبّ يحرمه من الحانوت لّي راه فيه.. خاي الكبير أناني، لاز غير لمراتوا واولادو.. أنا وصل طرّدني من بيت "بّا".. قبطني دفعة وحدة وعانّي من البيت، وقالي هذا بيتي، ومن حقّي.. باش تقول يتفقدني والوا.. زعما يجي يشوفني مرّااات.. ليّ ربّي.."

قد يتجرّأ الأخ إلى أن يُحرِّم على الأخت أحقّيتها في التمتّع بالرابط الأسري الزواجي، حيث يتّخذ قرارات أسرية باحتيال لمصلحته الخاصّة، يحدّد بها قدر الإخوة والأخوات والتي تولي بالضرورة إلى بناء علاقة واهية بالأسرة الأصلية، وكان قدر الطلاق مرسوم ومخطّط للمبحوثة رقم 3 من طرف الأخ، إذ أنها حُرمت من بناء أسرة، تركها تعاني الوحدة تخوّفا أن يتقاسم زوجها الإرث العائلي كفرد من أفراد العائلة.

2. علاقات البنوّة خاضعة للعنف الرمزي: أبناء تحت السيطرة

[1] . Kellerhals Jean, O.p. Cité, P.p.145-147

1.2. الأبوة رمزية أسرية: علاقات الأبوة منتزعة بسلطة المرأة

ما تبيّن في نتائج دراستنا أنّ نسبة علاقة الأبناء بالأم تمثّل أعلى نسبة تقدّر بـ42,42% مقارنة بنسبة علاقة الأبناء بالأب، والتي تمثّل 3,03% (أنظر الجدول رقم 31، التمثيل البياني رقم 21 الوارد أسفلا)، وهي نسبة ضئلة جدّا تُثبت لنا الارتباط الوثيق الذي يجمع الأبناء بالأمّهات، مقابل ضعف صلتهم بالأب؛ ولقد أثبتت الدراسات أنّ هذه الصلات مبنية اجتماعيا لاعتبارات اجتماعية تحكم علاقات الأبوة والبنوة، تُرسي مضمون الأمومة التي تسبق صلة الأبوّة.

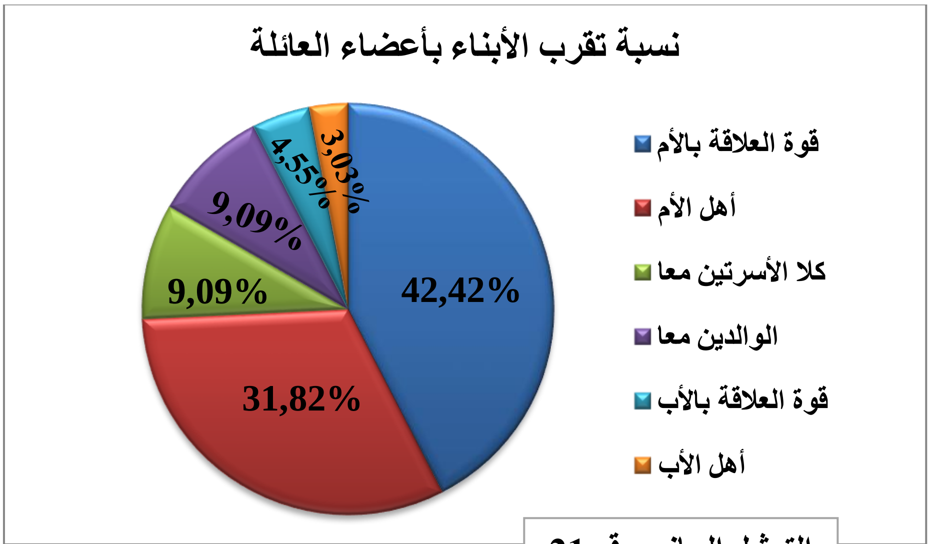

التمثيل البياني رقم 21

على حسب ما أورده المتخصّصون في عدّة مجالات أنّ الزوجة هي من تسيطر على نمط هذه العلاقات، فهي من لها السلطة في توطيد علاقة الأبناء بالزوج، وهي *التي تؤمّن المحافظة على الصلة التي تجمع الأبناء بأبيهم*،[1] مؤكّدا Badinter أنّ الأم تظهر كوسيط ضروري بين الأب والطفل، فتلعب دورا كبيرا في إدخال الأب إلى جانب طفله، حيث تكون هي المسؤولة عن الأبوة الجيدة لزوجها،[2] وفي نفس الوقت هي المسؤولة عن الأبوة السيئة، باختلاف المواقف والأحداث التي تتخلل العلاقات الأسرية، فالأم هي من "لها القدرة على التحكم في المسافة التي تربط الأبناء بأبيهم، فإما أن تجعلها ضيّقة أو واسعة؛[3] حيث تصرّح المبحوثات:

"الولد يليق نقولوا روح شوف بّاك وصقصيه.. **ولكن ننجم ما نعملهاش**.. أنا مهيمنة.. **والولد قريب ليّ** par apport à son père.. ولكن الولد يليق يعمل الهمة لبّاه" (المبحوثة رقم 4)

"أنا لّي نقول للولد صقصي بّاك، عيّط له، غير باش ما يكونش بعيد عليه.. **ولكن لو كان ما نحبش ما نخليهش، نقولوا مثلا دوك نشوف حتى نهدر أنا معه**.. لو كان أنا ما نقولش لّي يَصرا في النهار مع الدراري ماكانش لي يقولوا.. وما يعرفش كيفاش راني نفوت الوقت معاهم.. هم قراب ليّ أكثر منه." (المبحوثة رقم 14)

إذا كانت الزوجة لها القدرة على إقامة علاقة محدودة بين الأبناء وأبيهم، فهذا وارد أساسا تبعا لقوّة الصلة التي تربط الأم بأبنائها، والتي هي مبنية في الأصل على مضمون الأمومة، والتي من الممكن أن تتعدّى إلى علاقات صداقة *تسمح لها بتكوين علاقة قويّة بامتياز، تكون الفرد المحتدب عى أبنائه والحافظ لأسرارهم*،[4] على غرار مسؤولياتها المنزلية ومهامها في القيام بدورها التربوي تجعلها

---

[1] . Revue de l'union nationale des associations familiale, O.p. Cité, P.28

[2] . (Badinter E., 1980, l'amour en plus: histoire de l'amour matenel (XVII- XX siècle), ed. Flamamarion, paris.)، نقلا عن: عمار عبد الحق، مكان الأب داخل الأسرة الجزائرية: دراسة مقارنة، مذكرة ماجستير، تحت إشراف: فسيان حسين، جامعة وهران، علم النفس وعلوم التربية، السنة الجامعية 2011/ 2012. ص.149.

[3] . عمار عبد الحق، نفس المذكرة، ص.54

[4] . Voir : Mostefa Boutefnouchet, O.p. Cité, P.62

الفرد الأكثر تقربا من الأبناء؛ على عكس الزوج فإنّ "المجتمع ينتزع منه المجال التنشئوي والتربوي[1] بحكم مسؤولياته وأدواره المرتبطة بالمحيط العام، حيث يبقى البيت بالنسبة له مجال يعيد فيه نشاطه بعد تعب النهار، لا يكون متفرّغ للأبناء، على غرار أنّ "العلاقة بين الأب والابن يمكن أن تكون لها خاصية اللامساواة: خضوع مطلق ورسمي للابن اتجاه هيمنة الأب".[2]

في ظل نمط هذه العلاقات سيكون للزوجة القدرة على احتكار واستيلاء الأبناء من أبيهم، تضبط علاقات الأبوة والبنوة، فإنّ "الزوجة بعدما أن تصبح أم تولي البذخ العاطفي لأبنائها، وتشكل معهم شبكة تقوم هي بتنشيطها، ومراقبتها، اعتمادا على البعد الوجداني... وهذه التبعية التي قامت ببنائها مع الأبناء تخلق حرمان عاطفي للزوج، بحيث يصبح أب معزول،[3] تمنع الرجل/الزوج أن يكون الرّجل/الأب بوعي أو بدون وعي، في حالات مختلفة بناءا لمواقف تختلف باختلاف الظروف أين يتعرض الزوج لعنف خفي غير مباشر، يُحرم من بناء علاقة صلدة بالأبناء، حيث **يبقى الأب رمز اجتماعي**، يفسح المجال إلى بناء علاقات ضعيفة إلى متوسّطة على المدى البعيد بالأبناء.

أ. رمزية الأبوة تتحدّد من خلال عملية التربية: التنشئة الأبوية خاضعة لسلطة المرأة

من بين نتائج الدراسة، الزوجات تغتاظ من الزوج الذي لا يولي أهميّة في علاقته بالأبناء، والتي تمثّل 17,14% (أنظر جدول رقم 13) فيكون الأب الحاضر الغائب، أو أنّ يكون في الغالب غائبا عن الفضاء المنزلي، لا يهتم بالأدوار المستندة في الفضاء المنزلي، بما فيها المجال التربوي معتبرا أنّها مهام خاصة بالزوجة، وفي هذه الحالة تجد الأمّهات في فترة أنّها تحتاج لمساندات في عملية تربية الأبناء، تعتبر أنّ هذه الأخيرة تتطلب حضور الأب بجانب الأم؛ ولهذا الزوجة ستقوم بإعطاء انطباعات حول الهيمنة الأبوية ضمن العائلة التي تضمن التوازن التنشئوي، واستقرار النظام الأسري أين لا بدّ من وجود سلطة زمنية أمام السلطة الروحية؛ وعليه فإنّ المرأة في دورها كأم والتي هي مصدر العطاء الوجداني، تريد إثبات وجود الأب في غيابه، فـ"لابد للطفل أن يخشى هذا الأب حتى يحترم القانون بدون مناقشة، ويطبقه حتى ولو كان بعيدا عن إرادته... فيظهر الأب الصارم وفي الحقيقة تعتبر هذه الصرامة وظيفة، وهذه الأخيرة لا تتطلب حضور الأب الملموس، بل تحتاج إلى حضور الأب الرمزي... وهنا يظهر جليا أن للأم دورا كبيرا في تقديم الأب، ويبدوا أنها هي من تحدد الصورة التي يجب على الطفل أن يدركها؛[4] فتخبرنا المبحوثات:

"لازم الحضور تع الأب.. مع لّي الولد راه يكبر، وراه يحب يتغول شويّ" (المبحوثة رقم 4)

"ولدي راني نحس بلّي يليق بّاه شوي يهتم بيه.. مارانيش نقد له، راه شويّ يحب يبيّن راسوا" (المبحوثة رقم 14)

"أنا كي ينارفيني –الابن- نقول له دوك نقولها لبّاك.. تعرف يخاف شويّ" (المبحوثة رقم 22)

---

[1] . أنظر: عزة شرار بيوض، الرجولة وتغير أحوال النساء، دراسة ميدانية، المركز الثقافي العربي: بيروت-لبنان، ط1، 2007. ص18.

[2] . Mostefa Boutefnouchet, C.p., P.62

[3] . سليمان مظهار، مرجع سبق ذكره، ص. 80.

[4] . عمار عبد الحق، مذكرة ماجستير سبق ذكرها، ص.ص.58-57.

يفسر المحلل النفسي Jacques Lacan كيف تتشكل مكانة الأب الحاملة للسلطة ضمن العلاقة الثلاثية (أب/أُم/طفل)، مُستعينا بمفهوم "الإستعارة الأبوية" «métaphore paternelle» وهو مفهوم مجرّد يتضمن وظيفة الأب ومكانته الرمزية بحيث هذه الأخيرة تكون مبنية في خطاب لغوي يسمح ببناء تصور رمزي للأب؛ وهنا الأم هي من تقوم بتصميم هذا التصور: إنّ الأم لا تكون حاضرة في كل الأوقات فهناك تعاقب بين الحضور والغياب، تجعل الطفل يتساءل: "من أنا بالنسبة لها؟" و"ماذا تريد؟"، والجواب يأتي من الأم: ستعني شيء آخر تفتقده موجود خارج عنها، وهذا الشيئ ليس بالضرورة أن يكون حاضرا أو متوفرا لتعويض ما تفتقده، والقضيب هو المفهوم لهذا الشيئ المفقود عندها، فستقوم بنقل تصورات خاصة بها كأشياء مفقودة، على أساس أن هذا الشيئ الذي تفتقده موجود ومعترف به، حيث الأم تبني مكانة ثلاثية رمزية فاصلة بينها وبين طفلها؛ يكون فيها اسم "الأب"، وبالتالي الأب كإسم يأتي من الأم... ومكانة الأب ودوره يصبح تابع لطريقة تقديم الأب للطفل من طرف الأم.
Raphaële Noël et Francine Cyr, Le père : entre la parole de la mère et la réalité du lien à l'enfant, Université de Montréal, Dans La psychiatrie de l'enfant 2009/2 (Vol. 52).

وبناءا على التمثلات التي تقوم الزوجة ببنائها في علاقة الأبناء بالأب، سيتشكل تصور خاطئ على الأب، والذي سوف تعمل الزوجة على تأكيده في حضور الأب، حيث إذا ما قام الأبناء بأي أفعال تثير غضبها أو أي سلوكات غير سوية لا تستجيب للنظام الاجتماعي الأسري ستدفع الزوج إلى تأديب الأبناء فيكون العقاب الأبوي تحت تأثير الأم والذي تجلّى بنسبة 23,08% (أنظر الجدول رقم 29). يُخبرنا الأزواج:

"تكون تزعف عليهم.. تقولي رواح شوفهم.. نقول لها في خاطري شاداك ليَّ !، خاطيني، مانوضش" (المبحوث رقم 1)

"تقولي المرا آجي شوفهم زكي عليهم شوي.. نقول لها زعما أنا نزكي باش نولي ماشي مليح، زعما غير أنا نزكي وتينا تْحَنّ عليهم.. ملي ندخل وهي عملوا وفعلوا.. وخاصة الولد، نوض نضربوا" (المبحوث رقم 45)

وتخبرنا المبحوثة رقم14: "نقعد نشتكي له على الولد.. حتى يقول لي أسم خاصك نوض نقتله. تعرف حتى نولي ندابز معاه، نقوله زعما تقولي كيما هكذا دوك يقولوا الدراري انا راني نحرشهم فيك.. ولكن نعم لو كان أنا ما نقدمش ملاحظات هو ماعلابالوش".

في عقب هذه المواقف التي تستدعي التأديب للأبناء من طرف الأب، والتي *تجعله لا يقف إلا في موضع العقاب والرّدع، فإنّ العلاقات العاطفية التي تمكنه من التقرب للابناء يفقدها،*[1] والعكس لا ينفي ذلك أين يحرم كذلك الأبناء من العلاقات الوجدانية بالأب، لا يربطهم به إلاّ تصورات مرهبة ومخيفة حول مكانة الأب وسلطته التي تدفعهم إلى النفور منه، وبذلك لا يتسنى لهم فرصه التعرّف على بعضهم عن قرب، مما يسمح لنا القول أنّ كل الآباء والأبناء مخدوعين من طرف نفس الشخص الذي منحت له فرصة بناء تمثلات رمزية مخالفة لما تستحقها مكانة الأب. موضّحة السيّدة فاء[2]:

"أنا خدعوني.. مّا تقول لي لا ما تقوليش لبوك واعر عصبي.. عملت في راسي هكذاك.. فإذن كنت أخافه.. كانت تحرّش فيّ "بّا" كنت ننضرب بزاف.. من الأب والأم.. ولكن مع الأخوات رأيت الفرق ورأيت أن الأب هو الحماية أفضل من الأم هم كانوا متقربين ليه.. وأنا مّا منعت عليّ ديك العلاقة مع الأب.. أنا بويا نقوله غير السلام كي يدخل وكي يخرج، ما نشوفوش ونخاف منوا، كي يدخل نهوّد راسي"

ب. الأب تصوّر مأخوذ عن نمط العلاقة الزوجية

تخبرنا المبحوثة رقم 1: "كي يشوفوه -الأبناء- غابنّي، مايغبوش عليَّ.. **ما بقاوش قراب ليه**.. ندابزوا قدّامهم"

لقد ثبت لنا أنّ الزوجان يتشاجران أمام أعين الأبناء، وهذه الشجارات قد تصل إلى حد تعنيف كل منهما الآخر، وتجلّت هذه المواقف بنسبة 91% (أنظر الجدول رقم 25) كما هو موضّح في التمثيل البياني التالي:

[1] . سليمان مظهار، ص.80.

[2] . من مواليد 1980، عاملة بالقطاع العام، متزوجة ولها طفلين، بنت: 15 سنة، والابن: 12 سنة، الأصل الأسري: بجاية، قاطنة بالعاصمة، أسرة نووية

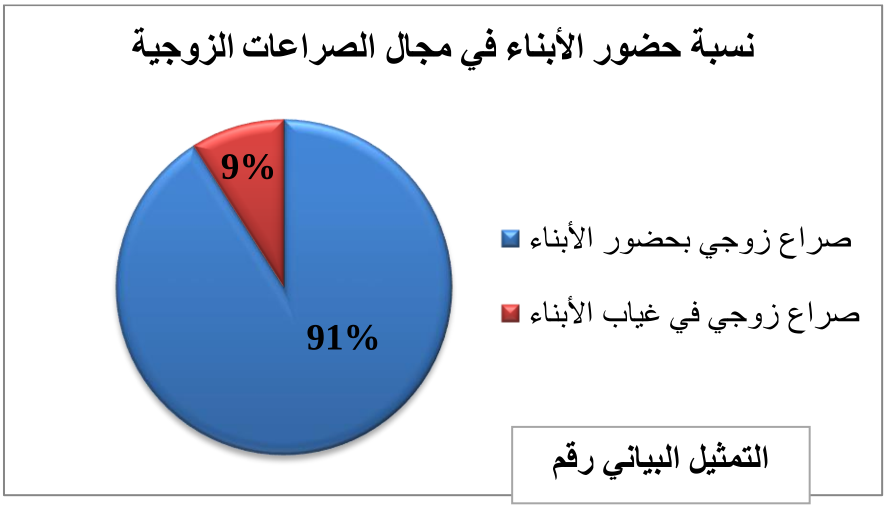

التمثيل البياني رقم

إنّ كل ما يُورد من مشاكل وصراع في مواقف عنيفة بين الزوجين ويكون الأبناء شاهدين عليها، تعطي انطباعات سلبية حول الرّجل/الأب، يتهيّأ لهم أنّ هذا الأخير هو رجل فضّ لا يمكن التقرب منه، لا يدركون أنّ الرجل/الزوج هو غير الرّجل الأب، إلاّ الواعيين منهم الذين يميّزون بين الأوضاع والمكانات التي تختلف باختلاف دور كل من الأب والأم كزوجان وأولياء في قلب الجماعة الأسرية.

فيوضّح بوتفنوشت أنّ الرجل في دوره ومكانته كوالد يَعتبر أنّ الطفل يُعدّ "مِلك خاص له" فهو دمه بالمعنى الحقيقي... لا يمكنه رفض شئ للإبن من الممكن أن يرفضه للزوجة... فيكون هناك عواطف مع الولاء للبروتوكول السلّمي ونمط الهيمنة بين الأب والابن؛ والإبن يعلم جيّدا هذه العلاقة ويولي الاحترام له؛[1] وهذه الهيمنة تختلف كل الاختلاف في دور الرّجل ومكانته كزوج الذي يمارس سلطته على الزوجة في علاقة تراتبية بين الجنسين، والتي تمثّل الهوية الجنوسية، تحدّد تفوّق الرّجل عن المرأة، من الممكن أن تثير صراعات زوجية عنيفة تؤثّر بالضرورة على علاقة الأبوة والبنوّة إذا لا يحاول الزوج تأكيد علاقته بأبنائه، فيثبت لهم أنّه لا يخفي أيّ ضغينة اتجاههم في مكانته كأب؛ حيث سيعطي فرصة للزوجة أن "تتمسّك هي بهم تمسّكا شديدا إلى حد إنكار حق الأب،[2] تقوم بإيغار قلب الأبناء على أبيهم، تُثبت لهم فَضاضة الزوج لها، وتَحتدب عليهم مُنتحبة لما أصابها مع الزوج، حيث أنها تُقحم الصراعات الزوجية في علاقات الأبوة وتقوم بالانتقام لنفسها ضدّه ببناء تصوّر لا يليق بمكانته كرجل/أب، تخدِش صورته وتكسر علاقته بالأبناء بحكم أنه الرّجل الذي لا يقدّر ولائهم له؛ فيخبرنا المبحوث رقم45:

"مرات نقول لها انت أسم (ماذا؟) ريك مدخلتلهم في راسهم.. أنا ما نقعدش معاهم بزاف يا في الخدمة، يا في القهوة وكي ندخل نحب نريح"

وعلى غرار ما يشهده الأبناء من مواقف العنف الزوجي أين تكون الأم ضحيته، مقهورة من المعاملة السيئة للزوج، فإنّ بالمقابل في مواقف أخرى الزوجة بشدّة غيظها على الزوج تدخل معه في علاقة صراع عنيفة أين يتعرّض للإهانات والتي من الممكن أن تولي إلى فقد احترام وتقدير الأبناء له، حيث تخبرنا المبحوثة رقم 14:

"يقول لي –الزوج- بالزّعاف: مابقالي هدرة بيالّي. ريك مبهدلة بيّ قدّام الدراري.. دروك كيفاش يشوفوني!؟".

وعليه في عقب التطاحنات الزوجية المرأة تبني علاقة الأمومة وتقوم بكسر علاقة الأبوّة، وتختلف الاستراتيجيات باختلاف سنّ الأبناء، فإنّ الصراعات الزوجية التي غالبا ما تتمّ أمام أعين

---

[1]. Boutefnouchet Mostefa, O.p. Cité, P.257

[2] . حنان قرقوتي، مردع سبق ذكره، ص. 119

الأبناء في سن نوعا ما قابل لاستيعاب وجود عنف زوجي، وفهم ما يورد من تصريح أحد الوالدين على ما يجري بين الأب والأم؛ ولكن في حالات أخرى يكون الأبناء رُضع لا يتجاوزون السنة الثانية من العمر أين تتّخذ الزوجات استراتيجيات أخرى لمعاقبة الزوج في مكانته كأب، يتعسّر عليه التقرب من الأبناء، إذ يخبرنا المبحوث رقم2:

"أشعر وبقوّة أنها –الزوجة- عندما نكون متخاصمين.. لا تترك البنت معي وتبعدها عليّ.. أتأثر من هذه المعاملة جدا. كي ندخل للدار نفتش على بنتي ونحب ألعب معها.. وهي –الزوجة- des fois تقولي راني نرضعها. راهي راقدة.. دائما جيب لي سبّة باش تبعدني منها.. ولكن المُشكل الرّاجل لا يظل في الدار مثل المرأة، مثلا أنا ندخل حتى في أخر النهار" (المبحوث رقم2)

وعليه وفي كل حال من الأحوال فإنّ الزوجة بحكم معطيات الأمومة ستكون قادرة على بناء هوة أبوية، وفي سن مبكّرة، إلى أن تصبح الأبوة صعبة المنال، بعد أن تجعل من الأبناء أفراد تابعين لها معنويا، تريد تملّكهم، فتقوم بتعنيفهم بصفة رمزية مقابل الزوج على إثر الصراعات المبنية مع زوجها، تعتبر أنّ الأبناء لا يمكنهم التقرب من أبيهم، والعكس لا ينفي ذلك، ويجدر بهم مناصفتها في نظرتها الحقودة للزوج/الأب، حيث أنّ قوة علاقة الأبناء بالأب يُعتبر تمرّد ضدّها قابل لكسر علاقة أمومة/أبناء وهذا يعني كسر مكانتها في دورها كأمّ وهي أثمن مكانة تستمدّ بها سلطتها على المدى البعيد بعد أن يصبحوا أبنائها وبناتها راشدين، تستعيد بهم قوّتها أين يصبحوا الأبناء تحت طوعها وسلطتها وهيمنتها، وقد تتوصل إلى حدّ اتخاذ قرار الانفصال عن الزوج مستعينة بالضروريات المادية والممتلكات العقارية فتعتبر أن ابنائها كل ما يهمها في غور العلاقات الأسرية؛ وقوّة الرابط الذي يجمعها بهم سيسمح بالأبناء للانقياذ نحوها تابعيين لقراراتها، مصرّحة المبحوثة رقم 1:

"كي يمدولي السكنة نخرج ونخليه، وندي اولادي معاي.. وألدراري قع متقربين ليّ.. غير بنتي الصغيرة كانت متقربة من أبوها. كانت جُنّني.. الآن راهي قريبة مني.. كانت تشوفَه كي يحقرني" (المبحوثة رقمك 1)

وفي ظل هذه الظروف يجد الزوج أنّ علاقته بأبنائه قد تقلّصت مع مدّة من الزمن لا يدرك أنّ علاقة الأمومة/الأبوة والبنوة هي مضبطة من طرف الزوجة، حيث يخبرنا المبحوث رقم 7:

"الأبناء مرتبطين بيها هي، كي كانوا صغار كانوا لازين لي ولكن كي كبروا للأم والأب –يصمت ويكمل حديثه- ولكن نحس مادامهم يكبروا مادامهم يميلوا للأم بالأغلبية.. ماعرفتش !.. وراني نْخمم في ولدي الصغير هو متمسّك بيها بزّاااف وما عندوش علاقة قوية بي" (المبحوث رقم 7)

وكما يشير سليمان مظهار أنّه في عقب نمط هذه العلاقة التي تجمع الأبناء بآبائهم أين الأم تكون الطرق المحتذى به في غور العلاقات الأسرية الوجدانية، إذا حدث أي وقع لوفاة أو طلاق أين الزوجة تغيب عن البناء الأسري، "الزوج يرتعد... فهو غير مهيّأ ليتوسّط العلاقات التفاعلية الأسرية ويدخل في تفاصيلها... يجد نفسه منذ الحين مواجها لأبنائه، قد فقدوا أمهم وهي مركز القوة لعلاقتهم، حيث لا يشكلون بعد الآن شبكة علائقية. ويمكن أن تتشتّت... فإذن عليه بزوجة في أقرب الآجال التي تلعب هذا الدور، ويعيد التوازن للأسرة. وهذا ما يفسّر إعادة زواج الأرامل،[1] هذا إذا كان الحل الأفضل، فغالبا ما تتزعزع علاقات التفاعل الأسرية بعد إعادة بناء علاقة زواجية ثانية أين تنشأ أسرة مركّبة، يكون فيها الزوج/الأب طرف جدل بين الأبناء من الزوجة الأولى والزوجة الثانية –كما رأينا سالفا-

وعموما ضمن نفس السياق يشير Houssier أن العدائية يمكن أن تتواجد في عالم الرضيع... حيث الطفل الذي يولد يمكن أن يُنظر إليه كمنافس في المستقبل[2] على الأب/الزوج أو على الزوجة/الأم، أو حتى بين أسرتي النسب كل جماعة تبحث عن تأكيد نسبها أكثر من الجماعة الأخرى من خلال الأبناء،

[1]. Medhar Slimane, O.p. Cité, P.80.

[2] . Florian Houssier, Métapsychologie de la violence, enfance § psy, N°45, 2009/4. P.3

فكلما تقرب الأبناء إلى الأب وأسرة الوالد كلما تحقق النسب الأبوي، والعكس لا ينفي ذلك، وهذه المسافة مضبطة اجتماعيا من خلال عنف مضمر يمارس على الأبناء.

2.2. ضعف النسب الأبوي بتأكيد النسب الأمومي

يشير قانون الأسرة 2005 في بند الحضانة أنّ: الأم أولى بحضانة ولدها، ثم الأب، ثم الجدّة لأم، ثم الجدّة لأب، ثم الخالة، ثم العمّة، ثم الأقربون درجة، مع مراعاة مصلحة المحضون في كل ذلك، وعلى القاضي عندما يحكم بإسناد الحضانة أن يحكم بحق الزيارة. بعدما كان في القانون 1984 يضمن للأم أولوية حضانة ولدها، ثم أمها، ثم الخالة، ثم الأب ثم أم الأب، ثم الأقربون درجة مع مراعاة مصلحة المحضون في كل ذلك، وعلى القاضي عندما يحكم بإسناد الحضانة أن يحكم بحق الزيارة.

إنّ ما نلاحظه بموجب القانون الأسري القديم وجود إثبات أولوية النسب الأمومي بحكم رعاية الأبناء التي تتطلب حضور الأم، وبحكم التصورات الاجتماعية العامة التي تولي للأم الدور الأساسي للتربية، ويعقبها في الحضانه نساء أسرتها الأصلية، أمّا الأب لم يكن له الحق إلاّ في زيارات تفقدية للأبناء، فدوره التربوي يعدّ ثانوي، وفي هذه الحالة سوف يتطبّع الأبناء على النسب الأمومي فتصبح علاقتهم بعائلة الأب كذلك ثانوية؛ إلى أن أصبح للزوج، في القانون المعدّل والمتمّم حق الحضانة بعد الزوجة مباشرة، إذ أنّ القانون في هذه الحالة سيولي حقّ الحضانة لكلا الأسرتين أين سيكون النسب الأبوي قائما بالتناوب حسب أوليات الحضانة للأم ثم للأب؛ ورغم أنّ القانون أثبت وجوب وجود علاقة تثبت النسب الأبوي –في حالات الانفصال- إلاّ أنّ الزوجة أساسا تولي الاهتمام العلائقي بأهلها قبل أهل الزوج، وتفضّل علاقة أبنائها بأسرتها الأصلية بدلا من أسرة الزوج، حيث تريد تأكيد النسب الأمومي سواء بوجود انفصال زوجي أو لا؛ تبعا للمعاناة التي عاشتها في علاقتها بعائلة الزوج. فتخبرنا المبحوثات:

"طلعولي أحبابوا في الصحة.. شوّقتها –الحماة- في الدراري، حتى ولاّت تقول للأحباب راني متوحشة أولادها.. لو كان عَملت لهم الهمّة كي كانوا قدّامها" (المبحوثة رقم 14)

"نروح نخدم ما نخليهمش –الأبناء- قع عند عجوزتي.. وهم غير متقربين من شيخي وعجوزتي.. أنا أصلا مانروحش لعندهم ومانبغيش نروح" (المبحوثة رقم 25)

بعد الصراعات الأسرية في خضمّ الحياة الزواجية والتي مجملا تكون نابعة من النظام الأبوي المتصلّب، الزوجة ستحاول مقاومة هذا النظام وخلق نظام جديد، أين ستقوم بضبط العلاقات الأسرية بعدما أن تحاول قطع الصّلة بالحماة، خالقة بُعد المسافة بينها وبين عائلة الزوج –كما رأينا في الفصل السابق- فتجذب نحوها أبنائها وتقوم ببناء علاقة صلدة بينهم وبين أهلها، إلى أن يصبح النسب الأمومي هو النظام الأساسي للمجتمع الجزائري مضمونا في علاقة الأبناء بعائلة الأم، أما النسب الأبوي فيبقى إلاّ رمز إجتماعي لصورة مكتسبة من الإسم الأبوي، حيث يشير Camilleri أنّ "الابن هو ملك عائلة الزوج وحامل لاسمها"[1] ولكن نشير أن الابن سيصبح ملك الأم وحامل لاسم عائلة الزوج؛ وهذا ما يستدعي إلى بناء علاقة ضعيفة بعائلة الأب، وبالتالي ضعف النسب الأبوي، والجدول رقم 31 يوضح لنا 3,03% فقط من مجتمع البحث الذي تربطه بالأحفاد علاقة قوية في خط الأب، وهي نسبة ضئيلة جدّا مقارنة بنسبة 31,82% والتي تثبت لنا قوة علاقة الأحفاد بأسرة الزوجة فتمثّل النسب الأمومي.

ومن بين أهمّ العوامل التي تؤكّد النسب الأمومي دور المساندة التربوية والتي غالبا ما تكون قائمة من طرف أسرة الزوجة، فما تبيّن لنا في دراستنا أنّ الأقرب إلى الزوجة هم الأبناء بموازاة الأم بنسبة 27,50% (أنظر الجدول رقم 18)، والتي تؤكّد أنّ الزوجة تعود للأم كلما استلزم الأمر، خاصة بالنسبة للمرأة العاملة التي تستنجد بمن يساعدها في المهام التنشئوية للأطفال لكي لا تفقد عملها، فتكون الحضانة الأسرية للأبناء خاصة بأسرة الزوجة والتي تجلّت بنسبة 83%، وهي نسبة كبيرة

---

[1]. Camileri Carmel, jeunesse, O.p. Cité, P.p.27-28 ; voir aussi : Boutefnouchet Mostefa, O.p. Cité.

مقارنة بنسبة 17% التي تخصّ دور الحماة في حضانة أحفادها (أنظر الجدول رقم 32، التمثيل البياني رقم 23 أسفله).

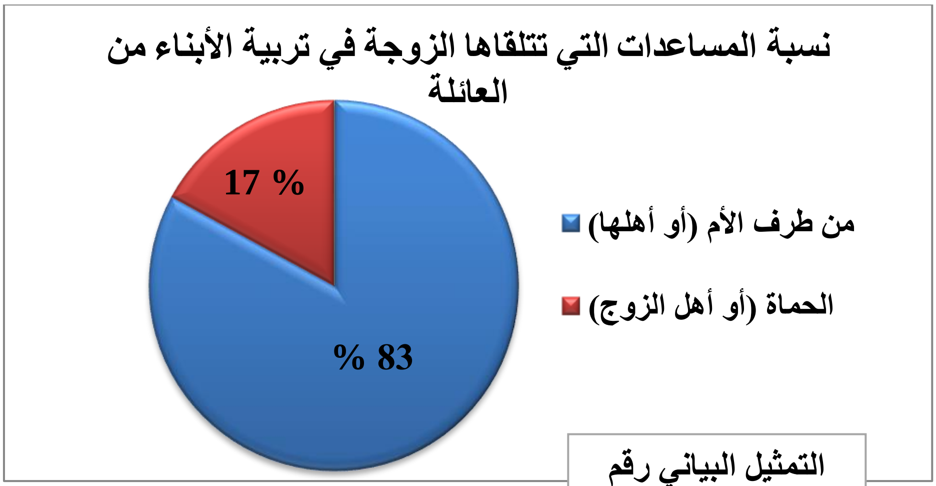

التمثيل البياني رقم

تؤكّد Bawin-Legros في نفس سياق الموضوع أنّ الأغلبية من النساء، وتَفُوق النسبة المتوسّطة، يلجّأن إلى المساعدة التربوية من الوالدين،[1] فمعاناة المرأة في العلاقة الزواجية وهي امرأة عاملة يكون همّها الوحيد البحث عن من يكفل أبنائها، ومساعدتها في تربية الأبناء، فتتخذ أسرتها الأصلية والأم خاصة بهذه المهمّة، وعليه "الزوجة... تخلق جماعة أسرية فرعية لجماعة الزّوج؛ أمّا الحماة تقف موقف معارضة ضدّ كنتها لتحتفظ بحفيدها وتقوم هي بتربيته؛ ولكن غالبا ما يتمّ تقديم المساعدة في تربية الأبناء للابنة، موضحّا L.Toulemon و C.Gokalp أنّ المرأة تكون دائما جاهزة ومستعدّة للإبنة أكثر من الكنّة، أو أنها أكثر التماسا من طرف الأخرى. وفي ذات الحين الزوجة تفضل الجماعة التي قامت هي باختيارها لتتكفل بابنها،[2] تحبّذ تقرّب الأبناء للأم وأسرتها الأصلية تمنع أي علاقة تولي إلى بناء علاقة صلدة بالحماة وأسرة الزوج عامّة، إذ تخبرنا المبحوثة رقم 18:

"ولدي تربيه لي مّا.. في معسكر.. هو –الزوج- مابغاش بغى الولد قدّامه.. أنا خدامة.. نجيبَه غير في أيام العطل أو نروح نشوفوا في آخر الأسبوع.. وكي نجيبه في أيام العطل ندّيه لعجوزتي تشوف حفيدها.. **غير باش ما تقولش حرمتنا من حفيدنا، هكذاك وما ندّيهش بزّاف"**

وعلى غرار ذلك فمن بين الميكانزمات الأخرى التي تؤكّد بها الزوجة النسب الأمومي، إبراز غيظها وبغضها اتجاه أسرة الزوج للأبناء في سن معيّنة، تعيد بناء المواقف العنيفة التي استقبلتها في مرحلة مضمت من حياتها الزواجية، فتقوم ببناء تصوّر سلبي للأبناء ضدّ أهل الزوج، تُرسي ما أثارته الجماعة من أذية ضدّها، حيث تنتزع ثقتهم بهم إلى أن تُبني علاقة ضعيفة باطنيا بين الأحفاد وعائلة الأب، فـ"إن الحاجز الذي يوضع بين الأحفاد والأجداد في خط الأب، تولّد علاقات عائلية واهية. موضحا Lemarchant ذلك من خلال نكران الزوجة علاقة البنوة للزوج ورفضها تقرب الأبناء من أسرته، وهذا سيولّد تجاهل الطابع العائلي، وبالتالي ضعف علاقات القرابة، ويقلّل بلا شكّ التواصل بين الأجيال،[3] ويضعف علاقات التفاعل والتبادل بين الأبناء وعائلتهم في خطّ الأب، موضحّا أكثر Kellerhals أنّ التضامن الأسري كما له قوّة له حدود أيضا، وهذا لأنّ علاقات التبادل تمتدّ بحكم كبير اتجاه أسرة الأم مقارنة مع أسرة الأب، حيث تركّز النساء على تضامن أبنائهن مع أسرتهنّ أين يتولّد النسب الأمومي،[4] والذي غالبا ما يكون مدعّم من طرف الجماعة الأسرة عامّة، ففي هذه الحالة

[1]. B. Bawin-Legros, P29
[2]. Medhar Slimane, O.p. Cité, P.p.73-74
[3]. Lemarchant Clotilde, O.p. Cité, P.83
[4]. Kellerhals Jean, O.p. Cité, P.P.150-151

إذا ما ولّت أسرة الزوج الاهتمام بأحفادها من صلب الذكر فإنّ أسرة الزوجة تجد المجال مفتوح لتأكيد النسب الأمومي. فيُشير المبحوث رقم2:

"الأم ما تقصيش على البنت.. ومايشريولهاش حاجة يْجَلبوها بيها.. وهذه هي الغلطة.. راهم عاملينها كحلة.. **والديها على العكس يعيطوا ويعاودوا ويصقصوا على بنتهم وعلى حفيدتهم**.. والديها مقلشينها بزاف قش حلوة.. كلّش.. **ومّا تعيا تحب ابنتي ماشي كيما بنت أختي**.. كاين الفرز.. ومراتي يبقى خاطرها.. **ولكن حتى هي كي تروح لدارنا البنت تقعد ملصقتها في جنبها. نحس بلّي كي ماما تقبط البنت مراتي تقعد بلعاني قدامها باش تخليها تبكي عليها وترفدها"**

ما تبيّن في الدراسة أنّ العائلات هم أكثر التماسا لأحفادهم من البنات، بحكم أنّ الجماعات الأسرية تريد دائما بناء صلات أمومية أكثر منها أبوية؛ ونفس الأسلوب -في حالات أخرى- يتعامل به أهل الزوج مع أحفادهم في بناء هوة بين الأبناء والأم وأسرتها الأصلية عامّة، تريد المحافظة بذلك على النسب الأبوي إلى أن يتجلى صراع بين جماعتين أسريتين على إثبات وتأكيد نسب الأبناء وهويتهم الجماعية، حيث يكون الأحفاد مجال مشترك متنافس عليه في غور العلاقات الأسرية كلّ جماعة إلاّ وتحاول جذبهم إلى أرضيتها الخاصّة تحت تأثير العنف الرمزي.

- **أبناء تحت سيطرة أسرة الزوج: تأكيد النسب الأبوي بتحفّظ**

يوضّح عدي الهواري أنّه من المهمّ أن تكون صورة أسرة الأب أحسن وأجود في نظر الأبناء مقارنة مع أسرة الأم لإثبات النسب الأبوي، وإذا النسب الأمومي تفوّق وأصبح أسمى العلاقات الأسرية من الممكن أن يسبّب خطورة على نظام القيم الأبوية[1] ولهذا تدخل عائلة الزوج في انتزاع علاقة الأم بابنائها لإثبات النسب الأبوي وتأكيد نظامه عبر أجيال. تشير المبحوثة رقم 14:

"نخاف نخيلهم –أسرة الزوج- الولد يعمرولوا راسو وبالاك يكرهوه فيَّ.. مرّات بالزّعاقة نسمعهم يقولوا له مّاك ما نحبوهاااش ماشي مليحة !.. ولكن باش يشريولهم أو يقربوهم ليهم لاّ يحبوا غير أولاد بناتهم"

إنّ أهل الزوج وخاصة الحماة ستحاول جذب أحفادها إليها باستراتيجيات مختلفة، بحكم أنّ أبناء الكنة رسميا هم من ملكيات عائلة الزوج، وبالتالي "سيقومون بالمستجيل ليسلبون منها ابنها: يثقلون عليها أعباء المنزل، يتوسّطون بينها وبين ابنها. يدلّلونه بلاحدود. يقدمون الامكانيات للابن لعصيان الأم. ويمنع على الأم لأن تصحّح له الخطأ إلى أن يصبح مع الوقت مشوّش، يزعج الحياة العائلية،[2] لا يهتم بتعليمات الأم؛ إذ تحكي لنا المبحوثة رقم 2:

"فيما يخص التربية تع أولادي ماذا أقول لك؟! دلّلناهم تقول لك العجوز علاه. زكينا عليهم لكي نربّوهم ما نسلكوا معها: عندما تسمعني أقول لابني آحبيبي تقول لي راكي مقلشاته، وكي نزيّره تقول لي راكي كيي مهبولة؛ ولكن هي قالتها وانساتها، ولدي دارها في راسه، كي نزعف عليه ماعلابالهش بيّ. حتى كي نربّيهم تحاسبني وتقول لي راكي تبّهمي (كيما الحوانات) قدام أولادي حتى قلت لها ما تقوليش هكذا وقدام الدراري. ولكن لو كان يطلعوا ماشي نيشان يقولوا ماه ماربلتهش يحصلوا فينا؛ وأسمعها تقول لابنتها في الهاتف وقدّام ولدي: مسكين الولد في الابتدائي راهي مجيفاته يبات يقرا وينوض للقرايَ، تحسبي شوف شاه، هي حَمقة وبغات تحمقه. حتى قلت لها أنا راني كي نزيّر في ولدي ونخاف على المستقبل تّاعه راني حَمقة !؛ **ومايبغوش عندما أتقرّب من ولدي، نقول لها أنتيّ راكي لازّة أولادك لعندك ما عليش وراهم كبار ومتزوجين، وأنا أولادي صغار نسمح فيهم"**.

غالبا ما تحاول العائلة جلب أحفادها إلى صفّها بملأ قلب الأحفاد بالأحقاد ضدّ الأم لتضمن تقرّب الأبناء لها؛ كما أنّها في حالات أخرى تتبّع التملّق والمكر في تأكيد النسب الأبوي، أين العواطف والعلاقات الوجدانية يكون لها الأثر البالغ في بناء علاقة وطيدة بالأحفاد، فتصبح الكنة وأسرة الزوجة عامّة مغتربة عن أبنائها/أحفادها؛ فعلى حسب بوتفنوشت فإن قوة العلاقات العائلية وأهميتها في خط الأب تظهر في درجة العلاقة العاطفية مع الأحفاد، فكلما تعلّق الأطفال بعائلة الأب ومندمجين ضمنها كلّما برزت قوّة النظام الأبوي أمام هشاشة العلاقة مع عائلة الأم، فإذا الأم كانت لديها الإمكانيات

[1]. Lahouari Addi, O.p. Cité, P.92

[2]. Medhar Slimane, O.p. Cité, P.57.

للإندماج أكثر فأكثر ضمن أسرتها الجديدة... فمن غير الممكن لهذه الأسرة أن تترك مجال مفتوح للأم أن تحتكر علاقتها بالأبناء، وتتـشبّث بهم، وتُكلّمهم أكثر من اللّزوم عن أسرتها الأصلية... فهناك نوع من التنافس بين عائلة الأم وعائلة الأب فيما يخص العلاقات الوجدانية. ولهذا أسرة الأب تحاول من خفض قيمة أسرة الزوجة في نظر الأطفال،[1] وكذا من قيمة الأم؛ حيث تخبرنا المبحوثة رقم 7:

"بكري كانت ابنتي لازّة ليهم هم جبدوها وبزاف، ختّتني (الحماة) ما تخلّي ما تشري لها وغير الحاجة المليحة، تعرف مقلشتها.. وكي نروحوا لعدنها تقول لبنتي هذا القش كامل لّي ريك لابساته أنا جبتهولك. حتى ولاّت تسألني: شكون هذا لي جابهولي؟ حتى أنا جبدتها ليّ. يظلوا يسلوا لها في لسانها. تقول لي ماما كي نمشي mami تقعد غير تصقصي فيّ. ولاّت تسمعهم يهدروا فيّ، وتعيدلي.. ولكن الآن ريها لازتلي ليّ.. مرّات نحلف فيها، ونخوّفها نقول لها نسمع بلّي هدرت فيّ نعملّك القلياط في لسانك"

تشير سيمون ديبوفوار في نفس المضمون أنّ الحماة تُصرّ أحيانا على اعتبار المولود الجديد وليدها الوحيد، وتحبه حبا عنيفا ديكتاتوريا، لكن الأم تقاوم بصورة عامة هذا الاتجاه لدى حماتها وتعلن حرب الغيرة... بينها وبين ابنها، وتتبدل عواطفها نحو صغيرها فتصبح عدائية، فتكرهه نحو ستار من القلق والعطف المصطنع"[2] الذي يتحوّل إلى عنف موجّه نحو الأبناء ويصبح الحفيد لعبة بين جماعتين أو بين امرأتين كل منهما تحاول بذل مجهود لربح حبه، وفي نفس الوقت يعنفونه وراء التهديد والتخويف، حيث يُستعمل الطفل للانتقام من الآخر في علاقة صراع، أين الكنة تفضل علاقة الابناء مع الوالدين أكثر من والدي الزوج، والحماة تفضّل تقرّب أحفادها إليها وللعائلة، وفي نفس الحين تميّز بين أحفادها من صلب البنات أكثر من صلب الكنّات،[3] محاولة الدخول في علاقة تحدّي لجذب أبناء بناتها إلى النسب الأمومي إزّاء علاقتهم بأهل الأب، حيث "الطفل يعتبر موضوع أساسي للتوترات، إذ أنّ الإعتراف به كـأرضية مشتركة وفي نفس الوقت خاصّة يصبح مركز التفاوض بين أعضاء العائلة"[4] حيث يحكي لنا المبحوث رقم 13:

"**الأم، تنجم تقول ماكايناش؛** حرمتني من الحنانة تعها.. الأب، أفتقده –توفيّ- وما شبعتوش كنت نحبوا بزاااف.. **العمّة أعطاتني الحنان**.. الأم هي الشخص القريب منّي وأفتقده.. وهي تحب خواها.. **خوالي ما يستعرفوش بيّ.. أنا متقرب لأحباب بّا**، وجدّتي وعمتي خاصّة.. وأعتبر نفسي عندي مراتي ونسابي فقط.. تعرف الحنان لي ما لقيتوش عند مّا لقيتوا عند مراتي"

إنّ من خلال تصريح المبحوث الأخير يتبيّن لنا أنّ قوّة علاقة الزوج بالزوجة وأسرتها بُنيت بضعف علاقة الزوج بأمّه، وهذه العلاقة الأسرية الضعيفة بُنيت بعد مسار طويل مليئ بالعنف بصفة مسترسلة، كان الزوج في فترة الصبا منقادا بعنف رمزي، أين أسرة الأب عملت على جذبه ببناء علاقات وجدانية طيّبة معه، وتحقيق النسب الأبوي، إلى أن بنيت علاقة ضعيفة بين الأم والابن لم تسنح لهما الفرصة للتمتع بعلاقة أمومة/بنوّة، وكان الأثر بالغ بالنسبة للابن الذي في فترة على المدى البعيد شعر بالنقص العاطفي اتجاه الأم الذي لا تربطه علاقة وثيقة بها، وهو الأمر الذي جعله عرضة للعنف الأسري أين تعرّض للتثريب لانحيازه الأبوي والزوجي دون الأمومي.

وعليه فإنّ العلاقات الأسرية تبنى اجتماعيا ولا تتكون من فراغ، ومُضبطة بميكانزمات مختلفة أين يكون العنف الرمزي ضروري لإثبات وتأكيد العلاقات الأسرية، وهذا الاخير هو بمثابة "العنف الوديع يشبّع في هذه المناسبات، فعندما امكانيات الجماعة تكون متوفّرة يغدقون أبناءهم في الرفاهية، يغوص ضمنها حيث يصبحون تابعين لهم، يدلّلونهم، يلبّون لهم كل احتياجاتهم إلى حدّ أنهم

---

[1]. Mostefa Boutefnouchet, O.p. cité, P.66

[2] . سيمون دي بوفوار (2008)، مرجع سبق ذكره، ص.210

[3] . Voir : Lemarchant Clotilde, O.p. Cité, P.p.73-99

[4] . Lemarchant Clotilde, C.p., P.83

يعجزون عن التعبير. وعندما الامكانيات المادية لا تتوفر يغمرونهم بالعواطف؛[1] وعموما وكما أشار سليمان مظهار فإنّ "العنف ما هو إلا استثمار عاطفي ضمن المجال العائلي".[2]

3.2. علاقة الأمومة والبنوة: علاقة معنَّفة بامتياز

من المعروف أنّ الأم لها قداسة سوسيوثقافية اجتماعية تولي تصوّر مثالي لعلاقات الأمومة والبنوّة، ولكن هي صلة قابلة للانفطار بعدما تخدش صورة الأمومة في غور العلاقات الأسرية المعنَّفة؛ وهذه العلاقة لا يُعاد بناؤها إلاّ تبعا لنظم الأخلاق المرساة في النظام السوسيوثقافي العام وما تمليه العقيدة الدينية على طاعة الوالدين واحترامهما، تولي التوجّس من أي نظرة سيّئة من الأم نحو أبنائها؛ حيث يحكي المبحوثون:

"أمي نعم، ولكن **مشاعري اتجاهها ضعيفة**" (المبحوث رقم 13)

"فقدت الأم.. أعادت الزواج. وتركتنا.. نهار لّي رُحت نشوفها، قال لي خالي راجلها ماراش عارف بلّي عندها دراري عمل راسك كدّي صاحب ولدي دهماتك الرّكبة ومالقيش وين تبات.. ولكن نهار لّي شفتهههههها.. طرطقت من القهر والبكى ما نعيدلكش.. الشّيباني كبّرنا وتعب علينا وهو يغسلنا ويطيبنا.. هي سمحت فينا.. **هي بغات تطلّق ومادّاتناش معها**" (المبحوث رقم10)

"والله إذا نحشم نقول نكره مّا.. ولكن تبقى الأم، تمنيت لوكان علاقتي بها كانت قوية.. كانت تضربني. تعرف الحاجة لّي ريها باقية بين عينيّ كسرت عليّ العود تع البالي." (المبحوثة رقم 14)

"الأم: العطاء، ولكن من ناحية أمي والله ما نحش بالأمومة من جهتها أبدا.. الأم تاعي كانت صعبة للغاية ولها قوة الشخصية ولكن قوة بالعنف.. زكي بزاف وصعبة الطباع وتضرب وتأخذ حقها وتفرض نفسها بخشونة" (المبحوثة رقم 24)

وتخبرنا السيّدة فاء[3] عن علاقتها بالأم وهي تبكي: "الأم ما نحش بلّي مّا ما عطاتنيش الحنان الكافي ما كانتش توقف معاي كان مادابيها نقعد في الدار معاها كانت تحرّش فيّ بّا كنت ننضرب بزاف."

إنّ 20% من جل المبحوثين صرّحوا بالحرمان العاطفي من الأم (أنظر الجدول رقم 20) فما توضّح في الواقع أن الأم يمكن أن نقول أنها لا تلعب دورها التعبيري في أغلب الأحيان على أكمل وجه، وهو بمثابة الدور الأساسي الذي ينتظره الأبناء في علاقتهم بالأم، فيشعرون بالعطاء الوجداني للأمومة، والتي تُعتبر اجتماعيا من أهم وأقدس العلاقات الأسرية، إذا فقدها الفرد فإنّه سيشعر بحزازة في أواصله تبقى إلى غاية فترة متأخرة من العمر ولا يستطيع التعبير عنها –تبعا لما ورد في تصريحات المبحوثين أعلاه وأغلبهم تجاوزوا الثلاثينيات من العمر-

لقد أثبتت لنا دراستنا لموضوع العنف وعوامله الاجتماعية أنّ علاقات الأمومة والبنوّة تخفي ورائها مواقف اجتماعية وظروف تثير العدائية، تمسّ الصلة التي تجمع الأبناء بالأم، وهذه الاخيرة غالبا وفي معظم هذه المواقف تكون عدوانية اتجاه أبنائها تمارس العنف الجسدي بكل أشكاله ضدّ أبنائها؛ والذي تجلّى بنسبة 76,92% (راجع الجدول رقم 29) وهي نسبة كبير مقارنة مع العقاب الجسدي الممارس من طرف الأب، كما يتوضّح لنا في التمثيل البياني التالي:

[1] . Medhar Slimane, O.p. Cité, P.p.46-47

[2] . Medhar Slimane, C.p., P.186.

[3] . من مواليد 1980، عاملة بالقطاع العام، متزوجة ولها طفلين، بنت: 15 سنة، والابن: 12 سنة، الأصل الأسري: بجاية، قاطنة بالعاصمة، أسرة نووية

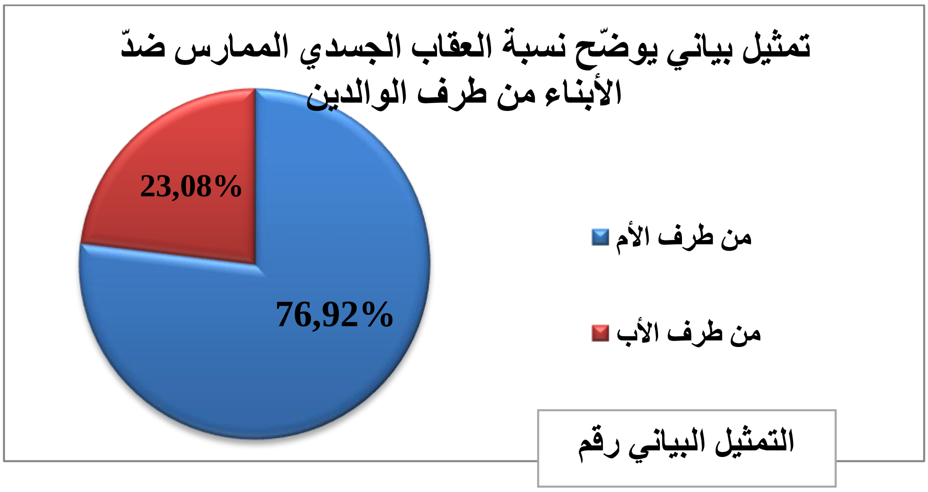

التمثيل البياني رقم

من خلال هذه النتائج تبيّن لنا أنّ الأم هي أكثر الأفراد المعنِّفين للأبناء جسديا، وهذا ما تمّ تأكيده مسبّقا من خلال دراسات تابعة للمجلس الأعلى لشؤون الأمّة للخليج العربي، والتي تشير إلى أنّ الأم تأتي في مقدمة الممارسين للعنف ضد أطفالها؛[1] ولكن من الجدير للاهتمام معرفة العوامل التي تؤدّي إلى ارتفاع نسبة هذا المظهر من العنف إزاء الأبناء من طرف الأمهات، هل فعلا غرضه العقاب والتأنيب لأجل التربية أو أنه مرتبط بظروف أخرى بعيدا كل البعد على مواقف التّأديب؟.

لقد أثبتت لنا الدراسة أنّ العقاب الجسدي برز بنسبة 39,39% (أنظر الجدول رقم 26) وهو شكل من أشكال النمط التربوي للأسرة، ولكن حتى ولو أن الأم لجأت إلى هذا النمط من العقاب إلاّ أنه من جهة أخرى لا تعتبره الطريقة المثالية، حيث أنها لا تمارسه بصفة مباشرة وإنما هي طريقة فعلية أين تلجأ إلى هذا النمط من العقاب إلاّ بعد محاولات مختلفة للأنماط التربوية، على الأرجح الحوار والذي يمثّل 34,85%، ومنهنّ من ترفض الطريقتين معا وهذا يعني أنها ترفض أصلا أي عنف وارد نحو الأبناء حتى ولو كان مفاده التأديب (أنظر الجدول رقم 27)، ولكن بالمقابل يبقى العنف الجسدي ضدّ الأطفال يمثّل أعلى نسبة في الأسرة، كما يتوضّح في الأشكال البيانية التالية رقم 25 والممثّل للجدول رقم 27، ورقم 26 الممثل للجدول رقم 26:

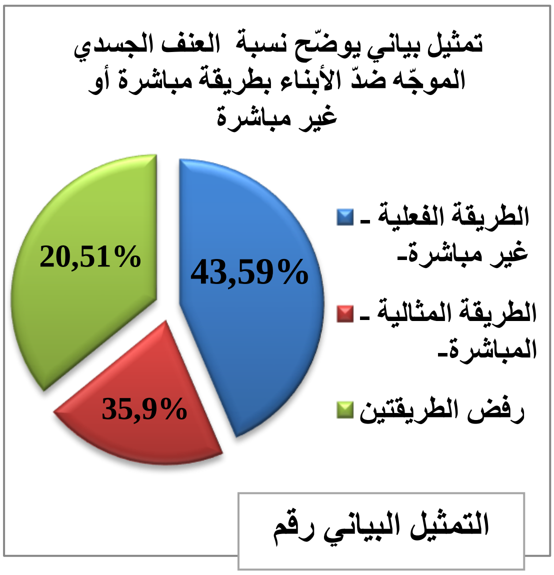

التمثيل البياني رقم

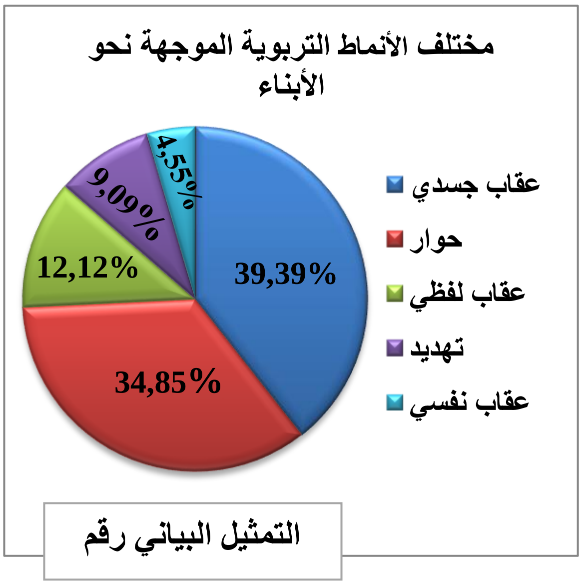

التمثيل البياني رقم

[1]. نورة ناصر المريخي، سارة ابراهيم المريخي، الإساءة والعنف ضد الطفل، المجلس الأعلى لشؤون الأسرة، دولية قطر، الطبعة الأولى، 2013. ص59.

وأهم ما أثار انتباهنا في النتائج الميدانية أنّه على الأرجح 67 % من جل المبحوثات تلجأن إلى ممارسة العنف الجسدي ضدّ الأبناء بسبب الضغوطات الاجتماعية، خلافا عن الأسباب الأخرى التي تثبت وجود العقاب البدني ضدّ الأطفال والتي تمثّل 33% من المفروض أنها ناتجة بغرض تأديبي (أنظر الجدول رقم 28)؛ هذا ما يوضّح أنّ الأبناء يستقبلون العنف الجسدي بأكبر نسبة بسبب وبدون أي سبب وارد من طرفهم في حالات يمثلون وضع الضحية للعنف الأسري، ولهذا يُعتبرون من أكثر الفئة تضررا في مواقف العنف، فـ"ثمة باثولوجيا شائعة في العائلات وهي: "التّثْليث Triangulation" حيث يقوم طرفان في الصراع بتوجيه أو تحويل طلقتهما السلبية نحو الطرف الثالث، ويحدث ذلك نموذجيا عندما يفرغ الأبوان المتحاربان هذه الطاقة في أحد الأطفال.[1] فتقرّ المبحوثات بذلك:

"ما نضربهش على التربية نبرد الزعاف فيه.. التربية أنا نفهمه. ولدي عاقل مسكين ويحشم" (المبحوثة رقم19)

"لا ما نضربش بزاف، مرات نْصبّ فيهم الزعاف بالضغط" (المبحوثة رقم 25)

"نضرب ومانعرفش كيفاه نضرب.. مرات نكون منارفية نضربهم" (المبحوثة رقم 9)

"كنت حا الوقت نفرغ فيها الزعاف ولكن فُقت بروحي ومابغيتش نعاود وماخاصنيش تكبر كيفي وتولي مقلقة. ولي صرالي يصرالها" (المبحوثة رقم 23)

"الدراري نرد فيهم الزعاف.. نقول على جالهم راني هكذا" (المبحوثة رقم 8)

ويخبرنا المبحوث رقم 1: أنا ما نضربش.. ولا أحب الضرب ولكن هي تضرب وتعاير وتضرب كيما جاها وبأي شيئ. ليس لديها الحوار.. أنا نشوف أنّها ترمي عليهم الزعاف ربما بالضغط.. وكي تضرب البنت نقول لها غيل بشوي دوك تزعفها منك وتكرهك غيل بالسياسة خدعيها"

من خلال هذه التصريحات نرى أنّ الأمّهات المعنِّفات للأبناء ظروفها قاهرة تفوق إرادتها تولّد لها دافعية اللجوء إلى العدوانية ضدّ الأبناء فتنهال عليهم ضربا، و"الأم التي تضرب الطفل لا تضربه وحده فقط، أو أنها لا تضربه مطلقا إذا جاز القول، بل تنتقم من الرجل ومن العالم ومن ذاتها... ولكن الطفل هو الذي يتلقى الضربات،[2] وما يبرّر هذه العدوانية ظروف حياتها الزواجية وما ينجم عنها من آثار سيكولوجية فتصبح أكثر قلقا، تولي إلى ممارسات عنيفة ضدّ الأبناء، ولقد تبيّن أنّ نسبة تكرار النساء اللواتي يعانين القلق تمثل 26,32% (أنظر الجدول رقم 33)

تقدّم لنا فاطمة المرنيسي في عرض سيرتها الذاتية وضعية أمّها التي كانت تعاني في علاقتها بأسرة الزوج، إلى أن تراها في معضم الأحيان متعصّبة، ولمّا سنحت لها بعض الفرص في قضاء أوقات منفردة مع زوجها ولو قصيرة كانت ترى أمّها "تتحلّى برقّة غير اعتيادية"،[3] مما يثبت لنا أنّ المرأة ستتميّز بالعصبية بشدّة اختناقها في نظام يمنع عليها الشعور بنعمة الحياة الأسرية مع الزوج والأبناء، والذي يعود على الأبناء بالسلب، وهذا ما أكدته "الجمعيات الخاصة لحماية المرأة من العنف، حيث اكتشفوا أنّ النساء ضحيات العنف الزواجي تصبح فاعلة للعنف اتجاه أبنائها،[4] والذي يسمح ببناء علاقة أمومة واهية تثير ضعف الولاء للأبناء واهمالهم عاطفها، فإنّ التوترات التي تنشب في الوسط العائلي يؤثر على الزوجة وبالتالي على الأبناء ضمن علاقات تراتبية؛ مؤكّدة لنا المبحوثة رقم 6 في تصريحها، فتحكي لنا وهي تبكي:

"أولادي.. ماشي خدامين خرجوا لي من القراي والوا. من الشّمتة. الخدمة ما كانش. **ماقابلتهمش** (لم أهتم بهم)" –**تبكي بكل قهر وبصمت، ثم تواصل**:- ماقابلتهمش لاهية غير في القضيان مع الخَتنة (الحماة) كنت كي الهايشة نخدم ونهمبر.. وهو –الزوج- سامح سامح بزّاف لا يظهر بالثلاث أيام وأربع.. –**تواصل البكاء وتحكي**- "مرّات كثيرة نبّرد فيهم الزعاف: مثلا في رمضان كانت ختنتي ماجيها الحال عليّ.. ونهار كامل

[1]. جرانت جوردون، نايجل نيكولسون، تر: علا أحمد إصلاح، الحروب العائلية: الصراعات الكلاسيكية في الشركات العائلية والسبيل للتعامل معها، ط1، مجموعة النيل العربية، القاهرة: مصر، 2009. ص.47

[2]. سيمون دي بوفوار (2008)، مرجع سبق ذكره، ص.183

[3] . أنظر: فاطمة المرنيسي، مرجع سبق ذكره، ص.98.

[4]. Schar Moser Marianne, O.p. Cité, P.46

وأنا في الكوزينا.. ولدي اعطيني معقودة اعطيني معقودة.. بـles ners، رفدت معقودة سخونة ودرتهاله في يدّه وزيّرتهاله وقلت له بغضب هاك المعقودة **حرقته**.. وثانيك على ولدي راه يقباح راه يقباح هبلوني. عندي حا الخامسة كبيرة تع مّا دايرتها عطيته بيها للراس **شقّقته** إيا ختنتي غير دور وتقول درباته شقفاته شقفاته.. تسوّطت راجلي ضربني.. ويضربني مرات عديدة يقول لي ما راكيش تقابل اولادي"

وعليه، فإنّ نوبات العنف الأسري، وما يحمله من ضغوطات خارجية وداخلية ،تولّد العدوانية ضدّ الأبناء، وماهي إلاّ نوع من التنفيس عن التوتّر، فـ"الاستجابات العدوانية غالبا ما تتجه بصفة غير مباشرة نحو أشخاص غير هؤلاء الذين كانوا سببا في الاحباط الأصلي،[1] تخوّفا من المواجهة المباشر ضدّ الفرد الذي تسبّب في ضرره أو احباطه، فـ"الأم التي تكون معرّضة للعنف إلى حدّ الانهيار العصبي لا يمكنها أن تمنح لطفلها إهتمام كافٍ ولا تملك الطاقة للتجاوب معه، وهكذا الطفل يجد نفسه مع أم غير متفرّغة له، كئيبة، هنّ أقل حضورا وغير جاهزات وجدانيا، وأقل تعاطفا، وأقل تفاعلا، فتتّخذ بسهولة سلوكات ساخطة، ويمكن أن تتوجّه إلى الاستعانة بالعنف الجسدي ضِعف ما يمارسونه الآخرون كاستراتيجية تربوية، وأمّا سلوكاتها العنيفة توضّح وجود تصدّع لقدراتها ومهاراتها في حماية الطفل،[2] أين يتعرّض للإهمال والذي يقود إلى آثار سلبية سواءا في الصلة بين الأبناء والأولياء، أو في شخصه، أو حياته الاجتماعية، فهذا "السلوك الذي يستخدم الآخرين كوسيلة للتنفيس عن توتراته النفسية كثيرا ما يكون وخيم العواقب.[3]

3. أثر العنف الأسري على الأبناء

رأينا مسبقا كيف يتعرّضون الأبناء للعنف الجسدي والذي يكون في الأغلب نابع من طرف الأم، قد يوجّه بمبدأ العقاب؛ وتبعا "للأبحاث العلمية فقد أثبتت أن مبدأ العقاب بالضرب لتربية الطفل عديمة الجدوى، لا ينتج عنها سوى اضطرابات نفسية وجسدية وعقلية، قد تصيب الأطفال، فتحدّ من قدراتهم ونشاطهم وحيويتهم وقد تؤثر على درجة ذكائهم، بل إن بعضها قد يترك آثار دائمة على أجساد الأبناء من عاهات وغيرها. ولعل أكثر حالات العنف الأسري الموجه للأطفال يمارس باسم التأديب وهو في الواقع ظلم يوقع على الطفل ولا سيما حين يكون دون العاشرة،[4] ويكون أكثر تأثيرا إذا كان هذا المظهر من العنف موجّها للأبناء خارج الإطار التربوي، ممارس بفعل ضغوطات اجتماعية أثّرت على أحد الوالدين أو كلاهما، يصبّون غضبهم على الأطفال ويضعونهم في موقف تثريب لما يتعرّضون له من مشاكل عائلية، الأمر الذي يخلّف مستقبلا شخصيات مضطربة غير متوازنة، وغالبا "العنف الأسري له تأثير كبير على نموّ الطفل؛[5] حيث تحكي المبحوثة رقم6:

"أولاده ماشي حنين عليهم، الصغير عدواني بزاف وكثير الحركة، والكبير علابالك traumatiser من بوه تقولي يكّرهه.. راه باقي شافي على بوه، كان يرفد حطبة بالمسامير ويعطيه بيها، عندي الولد تعرفي ماجي صعيب وغيل يزقي وnerveux على صغره.. البنت الكبيرة عندها شوية اضطرابات في الكلام... في بعض الاحيان جي تنطق تعتر لها الهدرة.. حتى أنا مالتهيتش بيهم"

وعموما، وتبعا لما توصلنا له في دراستنا نشير أنّ نمط الحياة الصاخبة بالمواقف المفعمة بالعنف والعدوان أين يكون الأبناء شهودا عليها، على غرار مختلف أنواع الحرمان التي يعيشونها مع الوالدين سواء في حالة الحياة المشتركة أو في حالات الطلاق، أين يتعرّضون للإهمال المعنوي والمادي والتربوي وحتى الصحّي، وما يقابلها من سوء المعاملة التي ليس لها سبب وافر، كلها تؤثّر بالضرورة على شخصية الأبناء من الناحية السلوكية والنفسية، فهم أطفال لم يتمتعون بالاستقرار

---

[1]. محمد مصطفى الشعبيني، مرجع سبق ذكره، ص.ص.171-182.

[2]. Severac Nadège, O.p. Cité, P.p.18-40

[3]. محمد مصطفى الشعبيني، نفس المرجع السابق، ص.ص.171-182.

[4]. خالد بن السعود الحليبي، العنف الأسري: أسبابه ومظاهره وآثاره وعلاجه، مدار الوطن للنشر، المملكة العربية السعودية، الرياض، 2009. ص.ص.58 -59

[5]. Schar Moser Marianne, O.p. Cité, P.46

الأسري والاحساس بوحدة الجماعة الأسرية؛ فعلى حسب J. Bowlby الحياة الأسرية العنيفة وخاصّة المفاجئة منها والتي تكون مثيرة للانزعاج عند الطفل، يمكن أن تولّد يقضة عالية وغير عادية للطفل، أو قد ينسحب وينزوي على الذات،[1] وينوّه Pierre Karli أن العنف ضدّ الأبناء قد يصيب الخلايا العصبية للطفل.[2]

ومن بين النتائج التي توصلنا لها في البعض من الحالات التي أثبتت وجود تأثيرات سلبية على الأبناء تتمثّل في: ضعف التركيز ودرجة الاستيعاب والتي تمثّل 17,50% من الممكن أن تؤثّر على التحصيل العلمي وتقود إلى التدهور المدرسي والذي ثبت بنسبة 15%؛ إلى جانب ضعف الاندماج الاجتماعي للأبناء المعنَّفين، وقد تجلّت بنسبة 11,25%، وأعلى نسبة تمثّل 21,25% ومرتبطة بنشأة أطفال كثيري الحركة يتميّزون بالعدوانية (أنظر الجدول رقم 30) وهي من المؤشرّات التي تستدعي بناء شخصيّة عنيفة فضّة. وقد أثبتت دراسات مختلفة ووضّحت أن هؤلاء الأطفال الذين يعيشون حياة أسرية عنيفة "ينتابهم هالة من الشعور بعدم الأمان، تأنيب الذات، يتعرضون لكوابيس، ارتباكات في السلوك كإعاقة في حرية التعبير، كبت أو يخلق أطفال معنِّفين.[3]

إذ تحكي لنا ابنة المبحوثة رقم 31 تبلغ من العمر 30 سنة:

"في دارنا ما نضحك ماوالوا ! هذي ماشي عيشة !.. قرايتي ما كملتهاش كنت ندوبلي بزااف.. مرات نكون غاية ومرات ندور على دارنا لّي ما عشت غاية، حتى قبطوني les ners غير من ديك الدار فيها غير الزكا: نوضوا بالدباز ونرقدوا بالدباز. أنا منارفية بزاااف. على حاجة تع والوا نتنارفة نوض حتى نهرّس ما نفيقش براسي. نعمل ديك الحاجة بـ les ners عاود نندم" –**تمسكها قنطة وكأنها تريد البكاء وتمسك نفسها فتواصل الحكي**:- "ونحس بلي mama ماتفهمنيش.. الطفولة تاعي ما عشتهاش غاية ما نعقل حتى على جاجةةةة.. أنا نحشم جابدة، وحتى الضحكة غير بالسيف تخرج.. ولي راه قاهرني الأكثرية papa لّي راه مفرزني على بناتو.. حتى نحس بلي راني وحدي عندي غير ماما.. الأب: ماعنديش.. الأم كي تخرج تضحك وdéfouler وفي الدار غير ساكتة"

1.3. العنف الأسري ينتج أبناء عنيفي الطبع: طبع يؤثر على نمط العلاقة الزوجية المستقبلية

مرحلة الطفولة تعدّ في حالات من المراحل السيّئة التي ينظر إليها الفرد نظرة سلبية أين مورس عليه العنف أو كان شاهدا عليه، وعلى حسب المتخصّصين، الطفولة المؤلمة تؤثّر في حالات عدّة على نمط حياة الفرد الاجتماعية والنفسية في مرحلة الرّشد بتفاوت، فعلى حسب Ethier الوالدين المعنِّفين لأبنائهم كانوا مستقبلين أكثر للعنف مقارنة مع الأولياء الذين كانوا شاهدين عليه،[4] والتي من المحتمل أن يُعاد انتاجها عبر أجيال حيث يكتسب الأبناء الطبع المتعصّب من الأسرة المتميّزة بالتعنيف.

يعتبر Schar Moser الشبكة الاجتماعية التي يتفاعل معها الفرد مهمّة في تكوين شخصيّته، يمكن أن تأخذ إلى العنف أو لا في مرحلة الرّشد؛ فإذا عاش في مجال مؤيّد للعنف يمكن أن يلعب دور كبير في تجلي العنف[5] أين سلوكياته تصبح من التصرفات الاعتيادية التي نشأ عليها، حيث ترعرع ضمن مجال يتّصف أعضاؤه بنفس السلوك؛ وهذه المكتسبات السلوكية العنيفة في مرحلة الطفولة ستخلّ من نمط العلاقات الأسرية مستقبلا مع الزوجة والأبناء؛ لكن على حسب Kaufman وZigler ما هو مهمّ في دراسة أثر العنف الأسري على الأطفال لا يكمن في البحث عن ما إذا كان الأفراد المتعرضين

[1]. Severac Nadège, C.p., P.p.18-39

[2]. Vasselier-Nouvelli G. et Heim C. (2006), p192 ; par: D.Bouzid Baa Saliha, Femmes victimes de violences conjugales, Dirassat insaniya wa Ijti-maiya, N°6, janvier 2016, université d'oran1. P.13

[3] . Bouzid Baa Saliha, C.p., P.13

[4]. Raymond MASSÉ, O.p. Cité, P.p.8-18

[5]. Voir : Schar Moser Marianne, C.p., P.13

للعنف سالفا في مرحلة الطفولة يمكن يصبحون بدورهم أولياء معنِّفين، ولكن السؤال المطروح ما هي الظروف التي تسمح لنقل الممارسات من جيل إلى جيل،[1] ويؤكّد ضمن نفس المضمون Goldberg أنّ "التربية المتعلقة بفترة الطفولة –والأحداث والظروف التي عاشها الفرد في طفولته في سلسلة متتابعة من الحرمان المبكّر- والتي تلقاها في المجتمع لها وقع حاسم بتشجيع الأنماط العدوانية فيما بعد[2] حيث تنشأ شخصية عدوانية قابلة لتعنيف الآخر. فيخبرنا المبحوث رقم 1 متنكّئًا الجراح القديمة:

"الصغر يؤثر في الإنسان لما يعيش ظروف.. حتى الآن راهي باقي فيّ.. عشت الفقر.. الأب أهملنا.. أنا الصغر أثر فيّ. الزوجة قالت لي، وكانت تقولي: عندي صعوبة معاك غير مستقر.. ومنارفي"

وأمّا المبحوث رقم 45 يشتكي من طباع زوجته العصبية فيحكي لنا:

"الزوجة nerveuse، بزّاااف.. وتقيسلك كلام يجرح وماتستعرفش بيك.. هي الطفولة تعها ما عاشتهاش غاية.. نحسها تكون غاية وفي وسعها تنقلب. تقول حاجة ضارّتها. غايضها صغرها. هي والديها كانوا غير في الدباز. ومّاها كانت شويّ قاسية عليها وعلى حساب ما تحكي لي كانت قاسية بزّاف. ماعندهاش علاقة قوية مع والديها.. ماتحبش حتى تروح لعندهم بزّاف"

ويضيف المبحوث رقم 7: "هي عصبيّة trop nerveuse. طبيعتها هكذاك. توصل تبرّد الزعاف في الدراري وفيّ كذلك، تستناني مرات غير ندخل.. وتقول لك كلام قاسي.. هي عانت في الطفولة.. بوها وماها ماتوا في حادث.. قاست كثيرا، تحكي لي: عاشت عند خالتها الكبيرة، هي رباتها ولكن دايما تحسّ كي شغل حاجة فقدتها.."

يحلّل Raymond Massé العنف المُستقبِل في مرحلة الطفولة على أنّه مرتبط بقوّة بتجارب مختلفة لها علاقة بظروف الحياة في الأسرة الأصلية، وتكون مرتبطة بعوامل أخرى سببية لها علاقة مباشرة بعمليات تؤدي إلى سيرورة يكون فيها الفرد ضحيّة، تُنتج سوء المعاملة في مرحلة الرّشد؛[3] ويؤكّد الدكتور سبوك أنّ الشخص الذي نشأ في أسرة تعاني دائما من ألوان كثيرة من النّكد والمعارك المستمرة بين والديه، هذا الانسان عندما يكبر ويتزوج يسعى دون أن يشعر الى خلق المشاكل لا في حياته الخاصة فقط ولكن في حياته العامة أيضا. وعلينا أن نعلم أنه ما كان في الماضي مصدر ألم وخجل يتحول دون أن ندري في الكبر إلى مصدر لذّة.. وهذا النوع من البشر يتوقع دائما أن تكون حياته الزوجية مليئة بالنكد، والخلافات، والصراخ، وجرح كرامة الطرف الآخر... ولعل أحد الزوجين يلعب دورا أكثر عدوانية في حين أن الآخر يلعب دورا أكثر استسلاما. ولكن إذا لاحظ أحد مايقوم بينهما من مشاكل يجد أن كليهما يستفز الآخر ويتحرش به،[4] الأمر الذي يستدعي نشوب علاقة زوجية محتدمة الصراع والتي تؤثّر بالضرورة على الأبناء في علاقة تأثير وتأثّر، على غرار كل المواقف التي تكون محل شجارات وتطاحنات بين الزوجين والعلاقات الأسرية.

غالبا ما تكون العدوانية الممارسة في الحياة الزواجية بمجملها سواء مع الزوج أو أسرته ما هي إلاّ تعنيف يولي إلى غرض حماية النفس من أي عنف وارد ضدّه، قد يزيد من اضطراباته التي عاشها في مرحلة الطفولة او الصّبا، فقد أثبتت دراسات أنّ "الأغلبية من الأطفال المتعرضين للعنف لا يتحولون إلى ضحايا للعنف في سن الرشد،[5] حيث يمارسون العنف لحفظ كيانهم وعزة نفسهم، لا يتقبّلون أن يعيشوا سيّان علاقة الوالدين المعنَّفة، خاصّة بالنسبة للمرأة التي تأبى أن تعيش نفس ظروف الأم فتكون ضحية عنف زوجي وأسري عامّة؛ وفي هذه الحالة يكون العنف بالنسبة لها من العوامل الضرورية لحماية الذات من القهر الأسري بعد الزواج، فتكون امرأة متمرّدة، مواجهة كل من يقوم بتعنيفها وبعدوانية؛ وعليه فإنّ "الجوّ العائم في التوترات والصراعات لمرحلة الطفولة لها أثر حاسم وملموس في المراحل القادمة لحياة الفرد.. وتؤكد بعض النتائج أن العلاقة الزوجية أين كلا الطرفان

---

[1]. Voir : Raymond MASSÉ, C.p., P.20

[2]. Jacques Goldberg, O.P. Cité, 187-196.

[3] . Raymond Massé, C.p., P.p.8-18

[4] . دكتور سبوك، مرجع سبق ذكره، ص.327

[5]. Schar Moser Marianne, O.p. Cité, P.p.19-20

ترعرعا في وسط هادئ، لا يعرفان حاليا مشاكل، على العكس إذا كلا الطرفان لهما تجربة عائلية متوترة يعمّها العنف والمعاملات الفضّة؛[1] فتخبرنا المبحوثة رقم 14:

"حبيت نتزوج غير باش نخرج من ديك الدار، ولكت صبت أكثر ملّي كنت عايشاته مع والدي.. تعرف ولّيت nerveuse وبزاف، ولذي يوقف في وجهي ماراش ماشي يسلك منّي.. الختنة كذلك عييت نساعف فيها ومن بعد ما ولاتش تَنجَم تهدر معاي، حبّت تتحكم فيّ وما قدّتش، ولكن صابتني حرّة.. فإذن حبّيت نقول لك رجعوني برهوشة، مانستعرف حتى بواحد"

يفسّر كوفمان أنّ الأفكار والتصرفات مكتسبة ومستبطنة، ولكن الشخصية تتغير مع تغير ظروف حياة الشخص أين تتغير نظرة الفرد لذاته، وهذه النقطة وضّحها كوفمان حيث أشار أنّ الحاضر يستدعي الماضي، والماضي ينتج الحاضر، مفسّرا ذلك من خلال عملية التكديس لطريقة تصرفاتنا وسلوكياتنا وأفكارنا المختلطة، المستبطنة في حلقات محدّدة المعالم: ذاكرة كامنة، تلقائيات فردية واجتماعية، ذاكرة واعية؛ وسيرورة هذه الحلقات تكون مسيّرة من طرف حاضر أفكار وتفاعلات؛ ولكن هذا الحاضر مرتبط بالماضي لسنا أحرار لاتخاذ القرارات، ولكن القيام بالنشاط يبقى مرتبط بالحاضر. وعليه يمكن أن نفهم أكثر أنّ الطفولة تترك أثر كبير كان أو صغير في مرحلة الرّشد، والذّي يبرز الاختلاف مع تاريخ حياة الآخر. وكذلك لا بدّ أن نفهم أنّنا جميعا نتحوّل إلى شخص آخر[2] بصفات متفاوتة، ومختلفة، تبعا لشدّة وكثافة العنف الذي عشناه في مرحلة سابقة.

فيشير علي حساني ضمن نفس سياق المضمون أنّ، الصراع وما يتخلّله من مواقف عدوانية تؤثّر على نفسية الفرد خلال مراحل متعدّدة، فتبقى مغروسة في ذهنه إلى غاية استبطان هذا العنف أو اكتسابه، أين تتغير نمط شخصيته، فإما أن يصبح قوي الشخصية صلد للمواجهة، أو إنسان عدواني معنِّف أو إنسان ضعيف متنازل عن رغباته لصالح الجماعة، فالصراع هو من عوامل التنموية الفردية. يسمح ببناء علاقات جديدة، ويستخدم لتأكيد القوانين بمواجهة مشاكل عديدة ونزاعات مختلفة في كل مراحل الحياة (طفولة، مراهقة، شاب وراشد)؛ وبناءا على كيفية إدارة الصراع وحل المشاكل، ***الإنسان يُصنع***، فيتكوَّن على حسب التجارب التي مرّ بها فإمّا أن يكون ذو شخصية أكثر ضعفا، أو أكثر قوّة[3] مندفع ومتسرّع حثيث الانفعال في ردود أفعاله، يلجأ دائما إلى العنف لإدارة مشاكله الداخلية والعلائقية باعتباره الحل الأمثل له؛ ولكن *هذا ما يؤدي به إلى عواقب لا يكن ينتظرها*، وعلى حسب عبد السلام يحاوي أنّ *هذه العواقب لا يكون مذنب عليها فهو ضحية عنف أسري محض*؛ فالعنف في بعض الأحيان يكون حليفه، يقوم بحمايته ضدّ الأخطار، ومن جهة أخرى يمكنه كذلك أن يؤثر عليه سلبا ويدفعه إلى أماكن مجهولة ينفرد فيها، حيث لا يكون الفرد سيّد نفسه وإنّما الدوافع العدوانية تقوم بتوجيهه،[4] وهذا ما يخلق بالضرورة علاقات صراع وشحنات في علاقة تأثير وتأثّر تمسّ كل أطراف العلاقات الأسرية المتصارعة قد يولي إلى المساس بقداسة الوالدين أو أحد الأصول والتمرّد ضدّه وإثارة العدوانية اتجاهه، يعتبره الشخص الذي زعزع مصداقية حياته الأسرية الأصلية.

2.3. العنف الأسري ينتج أبناء متمرّدين ضدّ الوالدين

تحكي المبحوثة رقم 14:

"عانيت مع الوالدين، حتى حبّيت نهرب، وخرجت من الدّار مشيت لدار جدّي.. ولكن ماكانش الحل الصائب، جبت رّاسي الهدرة ولّيت مانسواش زعما خرجت من دار بّا رغم أنهم عارفين الهمّ لّي راني فيه.. كان بّا يدابز مع مّا وانا نخلّص. يخليها بلا مسواق، يحرمها من الخرجة، وانا معها. وهي كانت تضرب تضرب وبزاف. مرات كنت نحس تقول مرات بّا ماشي مّا.. كي كنت عاتق، **وصلت قلت لمّا: لوكان تحط يدّك عليّ**

---

[1]. Kellerhals Jean, O.p. Cité, P.p.143-144
[2]. Kaufmann Jean-claude (1992), O.p. Cité, P.146
[3]. Hassani Ali (2005), O.p. Cité, p.19
[4]. Voir : abdessalem yahyawi et coll., O.p. Cité, P.p.146

نضّربك.. وهكذاك وقفت ضدها حتى وليّت مانسواش تع بصّح.. وقلت لها خاصّك تحترمني وتحرم حتى بّا.. كانت مطيحتلو بقدره في وسط احبابها.. وهم يظلوا يعايروا فيه حتى وقفت ضدّهم"

وتضيف إبنة المبحوثة رقم 31:

"تضربني mama. **مرات ينوض الدباز بيني وبينها.. حتى نحب نضربها**.. أنا كنت ندابز معاها على صحبتها تروح لعندها بزااف وتخليني بّحدي. نحس بلي تحب صحاباتها أكثر مني.. وبّا كدّي ماكانش هو يحب أخواتاتي من زوجته الأولى.. حتى الدراهم ومايمدليش: زعما أنا ما نطلبش وهو ما يفهم راسو.. **وماما مادافعش على راسها ومادّافعش عليّ، نقول لها هدر شويّ**.. غير تع المعاير ماكانش حا الضحك، غير ساكتين ما يهدروش.. ما نعرفش الضحك ما هو ما كبرتش في العائلة لي تفرحك، حتى أنا ما نضحكش بزااف نحس بالخوف.. ماعندي صحابات.. وأنا عدوانية وبزّاااف.. **راني غير مع mama باش نخّرجوا من ديك الدّار**"

إنّ من حديث المبحوثتين يتبيّن غيظهما وحقدهما على أسرتهما الأصلية، لم تجد سند اجتماعي في علاقتها بالوالدين لا المادي ولا المعنوي؛ وفي هذه الحالة أين "يتخلي الوالدين عن دورهما التربوي والرقابي على الأبناء، وعدم المبالاة بمتطلباتهم، يحوّل الأبناء إلى عناصر ناقمة على الأسرة"[1] تريد التغيير وتبحث عن إعادة بناء أسرة يعمّ فيها الاستقرار، وذلك بالاستعانة بالعنف والعدوانية لاسترجاع كرامتها وكرامة أحد الوالدين المفقودة في غور العلاقات الأسرية، فتتمرّد ضد كل من تعتبرهم أعداء لها*بعد عمليّة التقويم والتقييم لنمط العنف الوارد في الأسرة وبين الزوجين*.[2]

لقد أثبتت دراسات عديدة بأمريكا، قام بها كل من Kratcoski، Felson وRuss حول العنف ضمن المجال الأسري مركزّين على وضع الأبناء وعلاقتهم بأعضاء الأسرة، فاكتشفوا أن شريحة من الشباب نسبيا مرتفعة تربطهم علاقة عنيفة بين أخوانهم، كما اكتشفوا بوجود عنف موجّه للأولياء من طرف أبنائهم، ويفسّرون هذه الصلات المعنَّفة على أنها نتاج عنف ضمن العائلة أين كانوا هؤلاء ضحية عنف أسري أو شاهدين عليه[3] عاشوا القهر، والاستلاب، والاغتراب في علاقات الأبوة والأمومة، والتي تستدعي العدوانية كتعبير عن الاستياء وعدم الرضا على أحد الأصول أو كليهما، فيعتبرون أنّ الأم و/أو الأب قد عكّر صفو حياتهم، وحرمَهم من حقوقهم الاجتماعية الأسرية المادية منها والمعنوية، "عرّضهم للعيش في حياة مملوءة بالصراع. أفقدهم ثقتهم به، وبكل من يحيطون بهم، إلى أن يتحفّظون بذكريات سيّئة مع والديهم، يفقدون الأمان ويعتبرون أن المحيط الذي يعيشون فيه مملوئ بالخطر. منشطرين بين الوالدين، وينتابهم شعور مضاد ضدّهما ممزوج بالحب والضغينة، التعلّق والانفصال، القرب والنّبذ اتجاه أحد الوالدين.[4]

وفي هذه الظروف قد يتجرّأ الأبناء إلى حدّ ارتكاب فعل إجرامي ضدّ أحد الأصول، وهو عنف وارد اجتماعيا؛ مؤكّدة المصادر الاعلامية والاخبارية أنّ معدّل جرائم قتل الأصول يرتفع ويهدّد المجتمع الجزائري،[5] فأصبحت حالات متكرّرة في الوقت الراهن الذي تتزايد فيه الصراعات الأسرية وتتضاعف فيه ظاهرة الطلاق والتفكك الأسري، أين "الفرد تنموا له دافعية الحقد على الطرف الآخر الذي لم يمنحه السعادة"،[6] حرمه من العيش في علاقة أسرية منسجمة مستقرّة، يشعر ضمنها بوحدوية الجماعة؛ وقد "أثبتت مقاربات إكلينيكية أنّ أغلبية المراهقين قاتلي آبائهن هم أطفال متعرضين لسوء

---

[1]. حنان قرقوتي، مرجع سبق ذكره، ص.26

[2]. دراسة كيبكية "Québécoise" وجدت أنّ وجهة نظر الأطفال اتجاه العنف الوارد في الأسرة محلّلة لأربع أبعاد: يقوّم الابن الخطر الذي قد يخلّفه له العنف الزوجي. حين يتعرّض للتوبيخ يعتبر نفسه هو المسؤول عن الصراع والعنف بين الزوجين. يبحث عن حماية أحد الأبوان الضحيّة... ووجهة النظر هذه متقاطعة مع تقويم درجة العنف من طرفه. أنظر:
Revue critique de littérature, L'impact de la violence conjugale sur les enfants, C.p., P.58

[3] . May Clarkson, C.p., P.17

[4]. Revue de l'union nationale des associations familiale, Réalités : Violences Conjugales, C.p., P.23-24

[5] . Voir : https://www.youtube.com/watch?v=sNLM_67ozeY Ajoutée le 6 août 2017
أنظركذلك: جريدة الخبر، 9 ديسمبر 2018؛ جريدة الشروق، 10 ديسمبر 2018؛ جريدة الشروق، 14 ديسمبر 2018.

[6]. Catherine Dupuis-Gauthier, Au Cœur De La Relation Entre Mère Et Fille : Quelle Transmission Pour La Haine, L'Esprit du temps, « Champ psy » 2011/2 n° 60. P.128

المعاملة،[1] وتفسّر Linda Widad المتخصصة في علم النفس الإكلينيكي أنّ الحياة المتشنّجة بين الفروع وأحد الأصول هي حياة باعثة للجنون والهذيان، تؤدّي إلى بناء واقع جديد néo-réalité أمام العودة إلى واقع غير محتمل يتطلّب المواجهة. حيث يخلق الفرد مسافة بينه وبين الواقع.[2]

وفي نفس المضمون Pierre Kammerer في نصه "العنف وتأسيس المراهق" يوضّح أنّ هذا المراهق "ببساطة حياته مؤلمة، مخيّبة للأمل: جعلته يثور.. دفعته لارتكاب أخطاء. يمكنه أن يكون مشبّع بضغينة والرغبة في الانتقام، وهذا الأخير له تأثيرات قد لا يتحمّلها، مدفوعة بمشاعر النّدم والشعور بالذنب، ورغبات مستحيلة غير مسؤول عنها، تخفي وراءها قصّة إنسانية من خلالها تدبَّر أموره، وواجه الحياة كما استطاع وبوجهة نظره الخاصّة للأحداث التاريخية التي أثّرت في شخصه؛ فنحن لا نعلم عن حياته الماضية شيئ؛ نحن فقط الذين نعلم ماذا قالوا لنا الآخرون، وهم الذي كتبوا على ملفّاتنا... قاموا بالتعبير أو الكتابة على ما كان صحيح بالنسبة لهم، ولكن الحقيقة التي تطرح هي الحقيقة الذاتية، مرتبطة بماضي الفرد الذي أثّر عليه: حدّد أحاسيسه، طريقة التصرّف في مقاومة إحباطه، وإنزعاجه، وفشله، والصعوبات التي تعرض لها، وحدد طريقته في استيعاب الظلم والأخطار والضغوطات، فقد تعوّد في الدفاع عن نفسه بردود أفعال مندفعة ومتهوّرة[3] ضدّ الشخص الذي يكنّ له الكراهية ومشاعر الغيظ بعدما فقد نظم القيم الاجتماعية، والأخلاقية، والدينية التي تضبطه في علاقته التفاعلية الأسرية، وهذه الأخيرة التي فقدها في الأصل من الإهمال للدور التنشئوي والذي سمح بإمكانية بروز "الشخصية السيكوباتية"[4] حيث الوالدين لم يكن لهما الاستعداد بالاهتمام بأدوارهما كأولياء، وضمان بناء شخصية مستقرة قابلة للتفاعل مع الآخر بضمير اجتماعي.

وضمن نفس سياق الموضوع يؤكّد Widom وبعده Strauss أن العنف السابق من المحتمل أن يولّد انحرافات اجتماعية: انحراف في فترة المراهقة أو جرائم في سنّ الرّشد، عنف نحو الزوجة واتجاه جميع من يحيطون بهم... وبعض الحقائق تؤكّد في نفس المضمون أنّ الأفراد المتعرّضين لسوء المعاملة في مرحلة الطفولة من أكبر الاحتمالات أنهم يمارسون العنف ضدّ أنفسهم بالذّات (انتحار، سلوكات مدمّرة).[5] إذ تخبرنا إبنة المبحوثة رقم 31:

"نميل للعدوانية والغضب السريع.. أنا نحشم جابدة حتى الضحكة غير بالسيف نضحكها، وصلت حتى نكره الدنيا.. حبيب ننتحَر، كنت هاذي شحال حبيت نشرب cachet وغير مْرات خاي –من بّا- مَنعتني كانت ساكنة معانا"

وعليه، وفي عقب هذه الظروف ينصح Pierre Kammerer أنّ "هؤلاء الأفراد عليهم الاندماج ضمن مجال مهني أو دراسي أو ثقافي فنّي... أو يشارك في علاقات التفاعل بين الناس ويشعر بالحب والحياة العاطفية فيكون قادرا على بناء علاقات صداقية، قادر على المفاوضة مع رغباته والتحاور مع مشاعره،[6] وإلاّ ستتولّد له نزعة الانزواء والانطواء على النفس، ما ينجرّ عنها من حالات الاكتئاب، والتي تدفع إلى الرغبة في مغادرة الحياة، أو البحث عن الهروب بطريقة خاصّة قد تولي إلى الانحدار إلى الجماعات المنحرفة.

---

[1]. Malmquist, Carl P., Cité O.P.

[2]. Linda Widad, Le Matricide Féminin, « Le Journal des psychologues » 2009/3 n° 266. P.p.67-71

[3]. Yahyawi Abdessalem, O.p. Cité, P.p.145-146

[4]. الملامح الأساسية للشخصية السيكوباتية: فقدان الضمير، عدم القدرة على تطبيق الأحكام الخلقية السائدة، عدم الشعور بالذنب إذ أن الشعور بالذنب عنصر هام في تكوين الضمير. قادر على تبرير تصرفاته للخروج من المأزق. فقدان الخجل والشعور بالعيب، عدم النضج الانفعالي والتركيز على ذاته. أنظر: علي راجح بركات، الشخصية السيكوباتية " Psychopathic personality"، قسم علم النفس، جامعة أم القرى. مرجع محمول في جوان 2019.

[5]. Raymond MASSÉ, C.p., P. 8; voir aussi : Revue critique de littérature, L'impact de la violence conjugale sur les enfants, C.p., P37

[6]. Violence passage à l'acte abdessalem yahyawi et coll. O.p. Cité, P.p.146

3.3. الانحرافات الاجتماعية نابعة من ظروف أسرية قاهرة

إنّ سوء المعاملة والإهمال العاطفي الذي يعيشه الأبناء في علاقتهم بالوالدين تولّد فتور علائقي بينهم وبين أوليائهم، حيث تضعف الصلة، قد تؤدّي إلى التمرّد والعصيان -كما رأينا مسبقا- وغالبا تختزل علاقة الأبوة والأمومة بمدأ الأخلاق ورمزية مكانتهما المقدسة، ويعمّ الشعور بالنقص الوجداني والذي غالبا ما يؤثّر على الطفل في سنّ المراهقة قد يؤدّي إلى عواقب وخيمة.

فتخبرنا Severac Nadege أنّ سنّ المراهقة هي مرحلة انتقالية فجائية، جسدية ونفسية، وتكون على الأغلب مصحوبة بنوبات بعصيان الوالدين... حيث المراهق يعلن عن استقلاليته الحركية والذهنية ويبحث على توطيد علاقات خارج المجال الأسري... ولهذا العنف الزوجي سيعمل على تنمية الشّاب فيكون معرّض للخطر، يجلب المشاكل له ولأسرته... يضع حدّ للمهاجم أو يقوم بالانتقام لنفسه، أو يواجه الأم بالتخويف... أو التوجه إلى تعاطي المخدّرات؛[1] ولهذا المراهق لابدّ أن يكون تحت رعاية وحماية الوالدين، ويشعر بالاستقرار الاجتماعي والنفسي في أحضان الجماعة الأسرية، حيث "يرى العلماء المعاصرون أن الإهمال الوجداني للطفل يعتبر من أكبر الأخطاء التي يرتكبها الآباء، وهو يعني حرمان الطفل من اشباع حاجته إلى الحب.. فالجو الأسري الذي ينقصه الحب والحنان يؤدي إلى شعور الطفل بالقلق وغيره من ألوان الاضطرابات النفسية... فإن الموقف المشحون بالقلق والكراهية يؤدي به إلى الشعور بالاضطراب وفقدان الأمن والثقة بالنفس... وفي مثل هذه المحنة الانفعالية قد يلجأ بعض الأطفال... إلى عصابات الأحداث يلتمسون لديهم ما فقدوه من حب.[2] فيحكي المبحوث رقم2:

"الأم كانت خدامة. خلاّتني عند جدّتي.. أنا في الطفولة تاعي عشت مع جدي وجدتي تربيت معهم.. لقيت اهتمام كبير من الجدّ.. ولكن عندما ذهبت للعيش مع والديّ دنيا أخرى في محيط آخر رأيت أشياء لم أكن أراها من قبل، **اكتشفت الحياة.. مع أولاد بلاصة.. المخدرات.. خربت في كلّش. كان عندي 16 سنة كنت أدخن..** الأسرة خلاّوني أدخل إلى هذا المحيط.. أنا كان عندي مشكل العزلة.. أنا جدي كان عاطيني كلشي: الحضانة بدون حدود. نهار لّي مات بكيت عليه ونقهرت.. ولكن مع الأب محدودة من ناحية المصاريف، الصيانة، والحنان. كان خاصني مساندة أو مساعدة ولو بكلمة.. "كيريك" "sava" "راك غاي؟". حتى هذه لم ألقاها.. مع المعاناة المادية.. **دخلت في صراع مع الأب. حسيت بالحقرة.. العصيان، العناد، لا أسمع الكلام..** وهذا ما لم يتقبله الأب صاب ابنه مستعصي، كنت أتشاجر معه والخلاف يصبح أقوى بيننا. **أتجرأ لأصرخ في وجهه..** في اليوم الذي توفي جدّي جاء الأب وحضنني بقوّة وضمّني بكل شدة. هذي لي عمري ما شعرت بها ولم أرى هذا الحنان في حياتي أبدا.. تلك صورة انغرست في ذهني تمنيت لو كان يعاودها، وحتى هو يتمناها.. الأب يخطأ عندما ما يدخلش فيك.. ما يحرصش عليك.. يسمح بعد ذلك.. يزيّر حتى ليضيّقها عليك.. أو يرخف حتى لّي يخليك وحدك لا تجده أبدا.. ولّيت nerveux سريع الغضب والانفعال.. ملّي كنت صغير مقلّق"

إنّ من حديث المبحوث يتبيّن أنّ الجد قد عوّض الأب، والذي كان بمثابة أب اجتماعي أعطاه كل الاهتمام، اعتبره كأب حقيقي مثالي، وبعد مماته بكَى الحنان الموهوب والذي افتقره في علاقته بالأب والأم. إنّ المبحوث قد اصطدم حينما تعرّف على الأب الحقيقي وهوية انتمائه الواقعية، أين اكتشف ذاته فتعرّف على محيطيه الطبيعي مع الوالدين البيولوجيين؛ فبعدما توفّرت لديه كل الظروف المادية والمعنوية التي تستدعي للاستقرار الاجتماعي والنفسي، وجد نفسه تائها في محيط ايكولوجي واسع، تعرف فيه على جماعات اجتماعية منحرفة بأشكالها المعدّدة (من متعاطين المخدرات، كحوليين، مدخّنين..) أين تعرّض للإهمال، يقضي ساعات طويلة بعيدا عن المنزل بدون مراقب، لا وجود للسلطة الأبوية مع غياب السلطة الروحية من كلا الوالدين، يعيش مع أب الحاضر والغائب، ليس له دور ملموس لا ماديا ولا معنويا، إلى أن فقد الابن الاحساس بدعم الأبوة باعتباره السند والعون والمآزرة.

---

[1]. Severac Nadège, C.p., P.24

[2] . محمود حسن، الأسرة ومشكلاتها، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1981. ص.274.

يوضّح لنا بوتفنوشت أنّ "العلاقة بين الأب والإبن تتطلّب اهتمام خاص، ومن خلال هذه العلاقة التجمّع المنزلي للعايلة يستمر... فالأب بالنسبة للابن هو حاميه، الضمان الإجتماعي له، هو منقذه إذا ما تعرّض لمشاكل... وأكثر هو الدعم والسّند، وإضافة إلى ذلك يولي الخوف والاحترام والطاعة... ويتوصّل إلى غاية عقاب الإبن بالنفي والطرد إذا ارتكب أخطاء خطيرة لا تُغتفر... فالأب له سلطة مطلقة على أبنائه... يرسي التعاليم والقيم الأخلاقية، يولي الرهبة والتوجّس فيضبط العلاقات داخل النظام الأسري، حيث يعتبر الأب بالنسبة للابن شخصية كارزمية؛[1] وإذا فَقَدت الأسرة هذه الشخصية وما تملكه من سلطة ستفقد توازنها، ويمكن أن يتعرض الأبناء للإهمال، على غرار غياب دعم الأم التائهة بين العمل المهني ومسؤولياتها الأسرية، لا تستطيع التوفيق بين أدوارها الاجتماعية، ولهذا فإنّ "دراسة حديثة تجلب الانتباه، تسقط المسؤولية لكلا الوالدين بما يعانيه الطفل، وهذا يعود إلى عرض الأم بإفراط للخطر عند تجنيدها في أدوارها الأسرية، ونسيانها كامرأة متعرضة للإهلاك، والأب مجنّد بصفة إيجابية ليكون غائب في أغلب الأوقات، أين يقع عاتق تحمّل المسؤولية والتكفّل بالأبناء على كتفي الأم، وغالبا حتى بعد الإنفصال.[2]

وما يزيد الوضع تأزّما، الحياة القاسية وسوء المعاملة التي تستدعي الاستعصاء للوالدين والبحث على اللجوء إلى اتباع جماعات المخدّرات لدواعي قصور مادية أو معنوية، حيث يتمّ الهروب من واقع لا يولي للرّضا،[3] والاتجاه إلى البحث عن "القدوة المفقودة في الأسرة.. وقد تكون تلك القدوة ذا شخصية سيئة وهنا تصبح شخصيات الأبناء ضعيفة ونوازعها في اللاشعور تكون أقرب الى السطح، وأكثر قابلية للاستغلال،[4] من طرف الغرباء أين يفسح المجال إلى الانعراج نحو أصدقاء السوء أو ما تسمى بالجماعات المنحرفة بعد أن يفقد الاحساس بوحدة الأسرة، يشعر بالتهميش والانفصال عنها. تحكي لنا المبحوثة رقم 21 عن ظروف زوجها المذمن على المخدرات:

"**زوجي ماترباش غاي مع مّه كنت نشوف شي صوالح نقوله يقولي هذيك مّا،** تعرفي مأمّنتهش، نَخْلعت. مّه لقيتها الحاجة المليحة تخبيها لولدها الآخر تسقصي عليه، تقعد معاه، وراجلي ماعلابالهاش بيه.. كانت دّير الفرز بين اولادها. يقول لي: أنا لّي مّا تحطله ليه كي يجي من المدرسة وأنا تخليني، تقعد معاه غير هو وأنا ماعلابالهاش بيّ، أنا لي دماياتي عليّ وهي تزيد تسوّط فيّ.. فإذن ماعندوش واحد الاحساس منها كبير.. وهو كان في عمره 12 سنة ماقراش راح يخدم على روحه، مع الميزيرية، دخل في واحد الكُوشة يخدم تعرّف بواحد.. مع الوقت قاله كيفاه راه عايش.. قاله تعرف نعطيك cachet يريحك وراسك ما يوجعكش، علاخاطر الراس كان يشده.. **راح مدله الكيف**، بدأ يلقى روحه غاي -هو يعيدلي- إيا كي يحبّس يولي nerveux حتى سكنه مع الوقت.. طلّقت، عاود راني في نفس المشكل حتى خويا دروك كي يجيوه حواله يولي علينا يضرب فينا.. بويا مريض ماعنده سلطة"

ولقد أثبتت الدراسات المعاصرة أن الإحساس بالأمن والرعاية والتقبل التي يتلقاها الطفل، هي شروط ضرورية لاستكمال عملية النمو السليم، وإن الخبرات السيئة التي تعصف بالوسط الأسري وتمر بحياة الوالدين تؤثر سلبا في عملية النضج والتكيف، وإذا ما تعرض الأبناء للإهمال والحرمان، والقسوة والنبذ في طفولته أثر ذلك في شخصيته، وفي عملية بنائه النفسي والاجتماعي.. فإن الأسرة بدون شك هي المسؤولة بشكل مباشر عن ظهور السلوك المنحرف عند الطفل، كونها أول مؤسسة تتلقف الطفل وتتعامل معه وتعهده وترعاه... بحيث يمكن لأي فرد أن يلقي همومه، ومتاعبه، واضطراباته، ويفرغ مشاكله، ويحل مواقفه الصعبة داخل نطاق أسرته.[5]

وكما يؤكّد Alain Legrand -رئيس الاتحادية الدولية للجمعيات ومراكز عناية المتعرضين للعنف الزوجي والعائلي- أنّ الآفات الاجتماعية هي كنتيجة لعمليات نفسية مرتبطة بعوامل مؤلمة أو

---

[1]. Mostefa Boutefnouchet, O.P. Cit., P62

[2]. Revue de l'union nationale des associations familiale, Réalités : violences conjugales, C.p., P. 28

[3]. Voir : Revue critique de littérature, L'impact de la violence conjugale sur les enfants, C.p., P.37

[4]. غني ناصر حسين القريشي، المداخل النظرية لعلم الاجتماع، دار صفاء، عمان، ط1، 2011. ص.ص.343-344

[5]. محمد سند العكايلة، اضطرابات الوسط الأسري وعلاقاتها بجنوح الأحداث، دار الثقافة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2006.

مقلقة وُجدت منذ الطفولة... عملت على خلق اضطراب وظيفي للمجال الذهني، وتطوير مشاعر الضغينة، والغضب، والعدوانية، وكوّنت فكرة حول الوالدين بصفتهم عنيفين متصلبين... هذه العوامل توجّه الفرد إلى الجوء للقيام بالفعل الانحرافي لحل توتراته النفسية،[1] إلى أن يصبح مدمن عليها؛ وبما أنّ هذا الأخير من دواعيه يتطلّب القدرة المادية الاقتصادية سيتوّصل إلى التعنيف لأحد أفراد العائلة واستلابه للأموال أين يصبح العامل المادي من الأسباب التي تثير غيظ المدمن؛ فرغم أن "الآفات الاجتماعية يمكن أن تكون من المتغيرات التابعة، ناتجة عن ما يعانيه الفرد من بعض الظروف تؤدي به إلى الإدمان أو الاتجاه نحو سلوكات منحرفة... تعتبر في ذات الحين العامل المباشر لتوليد العنف.[2]

- **الآفات الاجتماعية تثير العنف الأسري لعوامل مادية محضة**

تحكي المبحوثات:

"راجلي هكذاك ضاربه على الدراهم هو ما يصرف على الدار قد لي يصرف على الكيف.. يكمي بزاف بزاف.. **كي يطيح en panne يقول لمّه مدلي دراهم وتمدله**.. هو كي جيبه يكون فاضي ما يكونش مليح.. أنا قاعدة في الدار وما نملك والو" (المبحوثة رقم 26)

"**دراهمه لّي يجيبهم النهار يدّيهم الليل**.. يظل هامل وسامح فينا.. يسوطني ويقتلني بالضرب.. أنا لي نضربت بـ l'antenne زرّقني.. على جال الدراهم كي مانبغيش نمدله.. **خْلاني سَلك ما بقاليش**" (المبحوثة رقم 6)

"قعدت 3 سنوات وطلقت.. كان مُدمن على المخدرات. مانجمش، وصل يضرب فيّ ووصل خطرة كواني في ذراعي بالدخان، وصلت نخاف منه كي يدخل ونسمعه، قلبي يبدأ يرعش، خاصة كي مايكونش في حواله.. **ذهبي داهولي قع من الادمان ماعندي والوا**.. كي مانبغيش نعطيه يضرب فيّ" (المبحوثة رقم 21)

ما يتبّن لنا من خلال هذه التصريحات أنّ المرأة تعاني التعنيف الزوجي من جرّاء إدمان الزوج على الآفات الاجتماعية، والذي يخفي مشكل يتضمّن بعد مادي صرف يكون السبب الرئيسي الذي أدى في مواقف عدّة إلى عدوانية الزوج ضد الزوجة، حيث أنّ هذا النوع من الانحرافات يتطلب إهدار أموال طائلة يتبّع من خلالها الفرد نزواته؛ فالخمر أو أي نوع من أنواع الإدمان لا تعتبر من العوامل المباشرة المولّدة للعنف، فعلى حسب Maryse Jaspard بالرغم من أنّ "الافراط في تعاطي الكحول يولّد العدوانية؛ والمدمنين على الكحول هم من يمارسون العنف على الأغلب مقارنة مع الآخرين؛ ولكن من الخطأ أن نربط حصريا العنف بالافراط على الكحول، فإنّ هذا الأخير ما هو إلاّ محفّز أو عامل مساعد، وليس عامل حاسم لنشوب العنف داخل الأسرة.[3]

حيث تخبرنا المبحوثة رقم 28: "كانت علاقتي مع الزوج جيّدة، ومقبولة لا إراديا.. هو **بدراهموا، بخير عليه، ولكن كان يشرب، كحولي لآخر يوم في حياته.. عمروا ما ضربني أبدا**، كي يشرب يولي يضحك ويتبهلل ويولي أكثر انسان هادئ"

وعليه فإنّ الظروف المالية للزوج المدمن هي العامل المحرّك لنشوب العنف ضدّ الزوجة والتي تصبح ضحيّة عنف أسري سابق، أنتجت شخصية منحرفة متوتّرة قلقة على الدّوام من وضعها الاجتماعي، من الممكن أن تصل إلى أوج عدوانيتها، فتمارس العنف بإفراط إلى حدّ إلحاق الضرر بالآخر تجعله يكابد معاناة جسدية ونفسية وسوسيواقتصادية مريرة.

لقد أثبتت لنا دراسات علمية أنّ الوضع المالي عموما يعتبر هو الدافع الأقوى في ممارسة العنف سواءا أكان الفرد سكّير أو معافى، حيث كيفما كان "العدواني، له دافعية اللجوء إلى العنف للتوصل إلى ما يخبو إليه[4] في مرحلة يكون فيها الجسد في حالة مضطربة غير مستقرّة تتضاعف

[1] . Revue de l'union nationale des associations familiale, Réalités : violences conjugales, C.p., P.34
[2] . Voir : revue de l'union nationale des associations familiale, C.p., P.34
[3] . Revue de l'union nationale des associations familiale, Réalités : violences conjugales, C.p., P.17
[4] . Evelyne Josse, O.p. Cit., P.12

فيها التوترات،[1] ولكن يكون الوقع حاسم عند الحكولي والمتعاطي للمخدّرات التي تولّد فيه دافعية استلاب أموال الزوجة ضاغطا عليها، بفعل العنف أو التهديد إلى أن يجرّدها من ممتلكاتها المادية، غالبا ما تكون ذهب خالص، فتصبح فقيرة مجرّدة من أيّ عائد مادي وهي امرأة ماكثة بالبيت؛ وفي حالة ما إذا ولج إلى السّجون سيترك الزوجة تقاسي الفقر المذقع فيصبح هذا الأخير سبب شقائها، وعنائها، لا من معيل ولا معين في الحياة الزواجية؛ إذ تخبرنا المبحوثات:

"ضرب في الحبس 18 شهر.. شفت الويل فيها بغات أخته طردني مطلقة ما عنهاش الدراري.. ضربتني وسوطتني ما بغيش نخرج، بنتي كان في عمرها عام تقريبا.. سمحوا فيّ عام تقريبا لا ماكلة لا شراب، وما ننجمش نخرج من الدار نخاف نخرج يبلعوا عليّ.. كي خرج من الحبس وقلت له ناض مع أخته دقدقها.. ومن تم دارت عليّ... وعاود دخل للحبس كنت بالحمل بالولد.. تم دخلت نخدم femme de ménage، ونعاون روحي.. بنتي دخلتها في la crèche تع باطل مع ولدي وخدمت على روحي.. ماكان عندي وين نروح!" (المبحوثة رقم 26)

"هو عاطيها للسكرات.. سمح فينا، إيا ختّتني (حماتي) قالت لي نوضي ديري طابلية على اولادك ماتتكليشش عليه يوكلك.. إيا بقيت نخدم مربية أطفال." (المبحوثة رقم 6)

وتبعا لهذه الظروف المزرية التي تعيشها الزوجات يكون من المجدي بها أن تثب ذاتها فتستقل مادّيا عن الزوج وأسرته، أو أنها تفضّ الرابطة الزواجية، لا تستطيع مقاومة عدوانية الزوج السكّير، فتلعب دور المعيل الأسري بصفة فردية، قد تتوصّل إلى قبول أرخص المهن لضمان عائد مادي تكتفي به ذاتيا، لها ولأبنائها، ولهذا من الممكن أن نقول أن "الإدمان على المخدرات يلعب دور مهمّ في خلق الصراع والعنف داخل الأسرة،[2] تكون الزوجة والأبناء الأكثر تضررا يعيشون مرارة الحياة الأسرية المعنَّفة ويكونوا عرضة لقساوة الحياة الاجتماعية، والتي ستمسّ مع الوقت الجانب الصحّي خاصّة بالنسبة للزوجة/الأم حيث يشير Lefrançois Richard أنّ عدم الاستقرار والشعور بعدم الأمان الوظيفي يؤهّل أفراد المجتمع للانحدار نحو تقهقر صحّي تدريجي من جراء ضرر اقتصادي أو اجتماعي، يهدد التوازن النفسي ويضعف النسيج الاجتماعي[3].

4. تأثير العنف الأسري على صحّة الفرد

وضّحنا سابقا كيف أن أفراد المجتمع يعانون العنف الأسري لعوامل وأسباب عديدة تنبع بين الزوجين وعلاقتهما بأفراد العائلة، حيث كانت الفترة بعد الزواج هي الفترة الأشدّ وقعا (راجع الجدول رقم 6، التمثيل البياني رقم 9، ص.128) والتي أثّرت على المدى البعيد بشدّة على البعد الصحّي لهم.

إنّ ما ثبت لنا في هذه الدراسة أنّ قساوة الحياة العائلية تمسّ بالضرورة سلامة الفرد الصحّية، الجسدية منها والنفسية، فيكون الوهن الجسدي والخور النفسي نتاج علاقات اجتماعية عنيفة؛ ويكون النساء هنّ الفئة الأكثر تعرّضا للوهن الصحّي بصفتهم الفئة الأكثر استقبالا للعنف بدرجة كبيرة في حياتهن الزواجية –كما رأينا سالفا- فـ"من شدّة تلقي الضّرر، ننتهي بالضّرر،[4] وهذا الأخير إحتمالا أن يمسّ جميع الأجزاء المكونة للبنية الأسرية –أبناء وأولياء الزوجين- فإنّ العيشة الغير راضية الباعثة للاستياء للأحد الزوجين أو كليهما تؤثّر بالضرورة على الجماعة الأسرة، تكون الأم هي أوّل المتأثيرن بظروف حياة ابنتها –أو ابنها- المزرية بعد الزواج والتي تكون بمثابة حادث مفاجئ لها (un choc) يؤثّر في بُعدها الصحّي، وتعتبر الحوادث المفاجئة التي يصطدم منها الشخص على حسب

---

[1]. Voir : Revue critique de littérature, C.p., P.36

[2]. May Clarkson, O.p. Cit., P.29.

[3]. Lefrançois Richard, Léandre, Bouffard, Vieillesses oubliées. Insécurité économique et sociale des aînés, Université de Sherbrooke, GGC, 2009.

[4]. Maranda Pierre, O.p. Cité, P.26.

R.Lefrançois هي حوادث مقلقة تمسّ الصحة الجسدية، فهي من مؤشّرات المحنة والضياع؛[1] حيث تخبرنا المبحوثة رقم 7:

"ماما ريها مريضة جاتها pakinsonne، من المشاكل لّي صراولي، ملّي داري نحرقت وهي للوراء في الصحة.. وطلّقت.. وبعد ما عدت وصبت نفس المشاكل قبطتها هذه من الصدمة.. وزيد في ديك الفترة خاي كذلك طلّق.. وأنا من المشاكل بدأت يديّ تعواج وقوايمي يعواجوا، كي نزعف. والطبيب قالي لو كان تبقى هكذا غير تزعف وما تقبطش راسك تكملها paralysé، من تم مرضت وليت حاجة تع والوا ضرني.. وحتى la lergie زادت لي من الزعاف، وصلت دخلت للمستشفى عليها قعدت قريب شهر"

تؤكّد بعض الدراسات من مختلف التخصصات أنّ العنف الأسري يمسّ البُعد الانفعالي للفرد، فيكون هناك تأثير على التغذية، القلق والتوتر، الانفصال، الأرق، وكل هذه السلوكات هي نتاج لصدمة نفسية والتي تؤدي إلى صدمة عصبية؛[2] وقد تبيّن أنّ القلق برز بنسبة كبيرة جدّا حيث سجلنا نسبة منوالية تقدر بـ 28,20% عند الجنسين الذين يعانون القلق بسبب تعرضهم للعنف، وما يصطحبها من صعوبة التنفس، على غرار بعض الاضطرابات في الخلايا العصبية التي تثير آلام الرأس والمعدة، وغيرها من الاضطرابات العضوية الناتجة عن المواقف الباعثة للقلق عند الفرد (أنظر الجدول رقم 33)، مع العلم أنّ هذه الاضطرابات من الممكن أن يعاني منها نفس الفرد، حيث تتكرّر في الحالة الواحد، تجعله يقاسي أعراض صحية نفسية وجسدية في آن واحد.

1.4. الصحّة النفسية للفرد

لقد أثبتت الدراسة الميدانية أنّ العنف النفسي قد تجلّى بنسبة كبيرة جدّا عند كلا الزوجين، كما يتوضح في الأشكال البيانية الواردة أسفله الممثلة للجداول التكرارية رقم 22 و23 والتي توضّح أنّ: 23,81% من الرجال تعرضوا للعنف نفسي من طرف زوجاتهم و35% من طرف أسرة الزوجة مع العلم أنه قد يقاسي هذا المظهر من العنف في نفس الموقف؛ ونفس الشيئ بالنسبة للنساء حيث 36,78% منهن تعرضن للعنف النفسي من الزوج و57,14% من طرف أسرة الزوج، على غرار مظاهر العنف الأخرى التي تؤثّر بالضرورة على البعد المعنوي والتي من الممكن في حالات متعدّدة تثير الجانب النفسي والعصبي لهم.

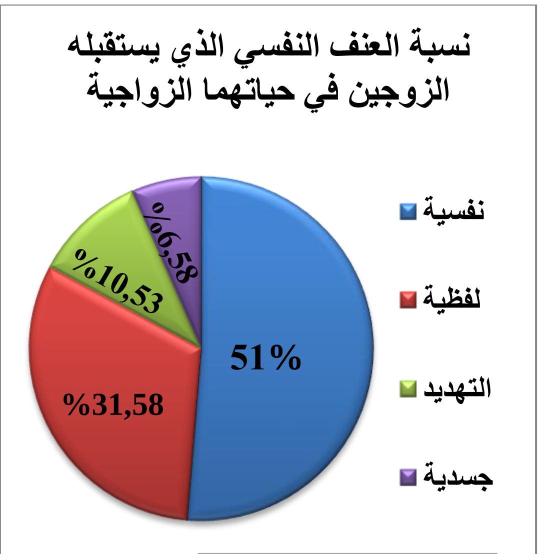

التمثيل البياني رقم

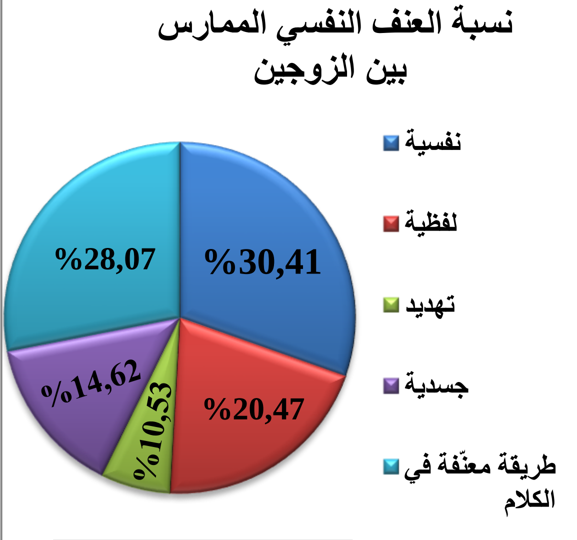

التمثيل البياني رقم

---

[1]. Voir : Le François Richard, Les Nouvelles Frontiere De L'age, PUM, 2004.

[2] . Revue critique de littérature, L'impact de la violence conjugale sur les enfants, C.p., P.36

وتبعا لمجمل هذه النتائج فقد لاحظنا أنّ النساء هنّ الفئة الأكثر تأثّرا من مختلف أشكال العنف الممارسة ضدّها سواء من طرف الزوج أو أسرته، حيث تخبرنا المبحوثات:

"كسرولي قلبي –أسرة الزوج- حطّموني، الضحكة تاعي دبالت، مابقاتش أصلا، الضحكة ريها تخرج غير بالسيف.. ولّيت منارفية.. تعرف كي نوض نزكّي الدّار تزعزع" (المبحوثة رقم 14)

"تكون ساكتة وساكتة ولكن تعيا ما تهدرش وتهدر.. وليت نهدر بالنشط ونعلي صوتي.. أنا كي نعلي صوتي يعّرفوني بلي راني في ديك الفترة agressive.. قلبي كي يدكّن نطرطق." (المبحوثة رقم 4)

"القلق.. نعم بزاف وليت trop nerveuse.. وكذلك وليت نبغي نقعد وحدي" (المبحوثة رقم 19)

"مقلقة بزاف ماكُنش... وليت مقلقة وبزاف" (المبحوثة رقم8)

"نشد الحقد.. ماكنتش هاكة ولكن وليت ما ننساش ومقلقة" (المبحوثة رقم 11)

وعموما فإنّ ما يتلقاه الفرد في سيرورة حياته الاجتماعية الأسرية من مواقف معنَّفة في قلب الشجارات الأسرية والزوجية المحتدمة الصراع، تثير فيه دافعية العدوان، حيث عوامل اجتماعية مسترسلة ومتداخلة تؤثّرت على البعد السيكولوجي له، تثير مشاعر الغضب والقلق، والتي تستدعي إلى استجابات عدوانية؛ وقد ميّزت النظرية البيولوجية بين ردود الأفعال الانفعالية التي تتميّز بحدّة الغضب وما يصحبها من ردود أفعال نوعية تتمثّل في تسارع نبضات القلب وعملية تفريغ العمل العدواني؛[1] وهذا الأخير يأخذ إلى مظاهر وأشكال مختلفة للعنف أين يكون القلق من أهمّ النتائج التي يخلّفها العنف الأسري عند كلا الجنسين، وهو من العوامل التي تولي إلى إحداث خلل في توازن سلوك الفرد أين *العقل ينفصل عن الجسد تحت اسم التوترات المعاكسة*،[2] حيث يلجأ الفرد للممارسات العنيفة "كحلول يمكنها أن تقدم ارتخاء مؤقّت، يفرز توتراته الداخلية على إثر الضغوطات الاجتماعية، والمراقبة الصارمة، والتي تؤدّي إلى الإنهاك، واستنفاذ القوى، وبالموازاة تولّد القلق، انشغال البال، الخوف، وضعف العزيمة؛ وبالتالي فإنّ العدوانية المختلفة التي يتلقاها بدون انقطاع تقلقه، وردود أفعاله الدفاعية تُنهكه،[3] إلى أن تُمسَّ صحّته الجسدية بالأذى، حيث "يرى الأطباء أن الحقد، والكراهية، والخوف، إذا أصبحت من عادات الشخص يمكن أن تؤدي إلى تغيرات عضوية، وتسبب الأمراض الجسمية، كما أن الكثير من الحالات المرضية يمكن إرجاعها إلى عوامل انفعالية، فالوساوس والمخاوف والقلق تؤدي جميعها إلى الأمراض العضوية إذا لم يتخلص الشخص منها.[4] كما أنّ هذه الأخيرة -في حالات مختلفة- تولّد مواقف مقلقة عدوانية حيث بعض الأمراض تؤثّر على التوازن الهرموني للجسد منها "هرمونات "الكورتيزول" وهي هرمونات القلق، وقد أثبتت دراسات متخصصة أنّ الإفراز الزائد لهذه الهرمونات لها خطورة كبيرة، يمكن أن تنتج قرحة معدية "Ulcerations Gastriques" أو أمراض قلبية وعصبية "maladies cardio-vasculaires"، والوضعيات المتوترة بدورها تؤدي إلى اضطرابات نفسية؛[5] وبذلك تتولّد علاقة سيستيمية بين المواقف الاجتماعية المُقلقة الغير مُرضية، وبين *الاضطرابات الصحيّة الجسدية، والنفسية، والتي تستدعي إلى ممارسة العنف*؛[6] حيث يخبرنا المبحوثون:

"j'ai un problème thyroïdien، هو يجيب les nerfs، زاد حمّقني.. يشوفني –الزوج- غير نسوطي.. ويزيد في stresse، والطبيب قالي essaye de ne pas s'énervé" (المبحوثة رقم 4)

---

[1]. Revue de l'union nationale des associations familiale, C.p., P.34

[2]. Voir : Bouzid Baa Saliha, Femmes victimes de violences conjugale, Dirassat insaniya wa Ijti-maiya, N°6, janvier 2016, université d'oran1. P.P.10-11

[3]. Medhar Slimane, O.p. Cit., P.p.258-259.

[4] . محمود حسن، الأسرة ومشكلاتها، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1981. ص.78

[5]. Moatti Daniel. La communication par la violence. In: Communication et langages, n°123, 1er trimestre 2000. Document généré le 15/10/2015. P.12

[6] . Voir : revue de l'union nationale des associations familiale, C.p., P.34

"المرض دَخلني.. نعاني من Hyper tyroïde.. الطبيب قالي من Stresse.. وهذا المرض زاد رجعني متعصبة أكثر.. والطبيب قالي ماخاصّكش تتنارفة." (المبحوثة رقم 14)

"نقول لها خلّيهم ريك معاي غير تبّعني ما تندمش.. قبطوني des pressions وصلت عند الواحدة تع الصباح نزقي راسي يوجعني قَبطت le lit وقلبتوا عليها هرّسته.. والله إذا خفت على راسي كاش ما يصرالي نمرض أو..؟ هكذاك وla tention طلعتهالي.. وعينيّ راهم يوجعوني، فيّ الضغط تع العينين.. جاني في الوقت لّي خرجنا من دارنا.. قالي الطبيب ما خاصّكش تزعف ومافيهاش الدواء.. وانا كي نتنارفة يقبطوني les crises d'estomac" (المبحوث رقم 45)

"هي وأنا مرضنا بـ la tension.. من الظروف لي عانينا بها مع أسرتي.. نشرب الدواء تع la tension"(المبحوث رقم 13)

ضمن نفس الموضوع تؤكّد تقارير الأطباء أن الرجال الذين ينفعلون بكثرة يصابون بقرحة المعدة أو الإثنى عشر... وفي هذا العصر أصبحت نسبة النساء اللائي يصبن بهذا المرض في ارتفاع بشكل مضطرد، وهذا يرجع إلى طبيعة التطور الذي حدث في دور المرأة في الحياة. إنها أيضا أصبحت تحمل قدرا من الهموم، وبذلك يمكن للمعدة أو الاثنى عشر أن تصاب بالقرحة،[1] وقد بيّنت نتائج الدراسة أنّ 10,53% من النساء يعانين من آلام المعدة بنسبة قريبة مقارنة بالرجال والتي تقدّر بـ 18,18% (راجع الجدول رقم 33)

كما أنه قد أثبتت دراسات أخرى مدى تأثير الحالة النفسية على العقم، باعتبار أنّ هذا الأخير مسبّباته في أغلب الأحيان ليست عضوية، وإنّما ظروف اجتماعية أسرية ضاغطة أدت إلى الخور النفسي، وولّدت بالضرورة الخور الجنسي، وأثرت على توازن الخلايا العضوية التناسلية مع حدوث اضرابات في الدورة الشهرية، والتي تؤدّي إلى تأخر الحمل، وبما أن هذا الأخير من أكبر المواضيع التي يشغل بال كلا الزوجين فإنّه سيثير القلق –كما رأينا في الفصول السابقة- إذ أنه يعتبر معضلة اجتماعية تؤثّر بدورها على الحالة النفسية للفرد؛ حيث يخبرنا المبحوثون:

"عندما تزوجت بقينا عام باش مشينا عند الطبيب، مشينا انا وياها، وقال لنا ماعندنا والو c'est psychique.. أنا نفسي باردة.. مع المشاكل بزّاف.. تقولي انا ما عندي والوا أنت روح فوّت.. تعايرني بهذه.. حتى علابيها نقعد نخمم نروح عند psy. ولّيت نشرب cachet على هذا sujet خاصة خاصنا الدراري.. وليت نحس بالنقص.. ومراتي هذه المشكبة أثرت عليها ولّات بغضية، ومنارفية" (المبحوث رقم 4)

"راه عندي توقّف في الدورة الشهرية ماعرفتش.! بغيت نزيد ولد آخر.. قالوا لنا ماعنكم والوا.. قلت له روح جري على راسك أنت أنا ماعندي والو هو ما يقربليش بالأيام خاصة كي نكونوا مدابزين.. يقولي أنا ما ندلقش" (المبحوثة رقم 18)

وعليه نشير أنّ المعاناة النفسية تنتج لأسباب وعوامل متعدّدة وتسبب بدورها اضطرابات سيكوجسدية "psychosomatiques" تمسّ الجانب العضوي أو العصبي، ولهذا ينوّه Chénard أنّ المعاناة النفسية هي أكثر خطورة من العنف الجسدي، تعود بالضرر على أفراد العائلة أين يشعر الفرد بتوتر بالغ الذروة، والذي يسمح بنشوب العنف لأمر تافه لا قيمة له،[2] وغالبا ما يكون الأبناء ضحيّة هذه المعاناة –كما رأينا مسبّقا- وما هي إلاّ دلالات عن معاناة اجتماعية يكابد فيها الفرد الآلام النفسية والجسدية؛ و"المعاناة كيفما كانت شكلها ومظهرها فهي علامة لوجود العنف،[3] حيث "المتخصّصون في الصحّة، قد حدّدوا الأعراض الجسدية، والنفسية، والسيكوجسدية، التي لاحظوها عند المرضى النساء، على أنّها آثار للعنف واعتبروا أنّ العنف المرتكب في الأسرة كأسباب محتملة في تشخيص الأمراض الصحية الجسدية.[4]

---

[1]. دكتور سبوك، مرجع سبق ذكره، ص.176

[2]. Voir : May Clarkson, O.p. Cit., P.29

[3]. Liliane Daligand, revue de l'union nationale des associations familiale, C.p., P. 28

[4]. Voir : Schar Moser Marianne, O.p. Cit., P.27

2.4. الوهن الجسدي نتاج اجتماعي

تحكي المبحوثات:

"مرضت بالغدّة الذرقية من الظروف التي مررت بها في فترة، مرضت بها كنت في عطلة مهنية لمدة سنة، وقعدت في الدار حسيت كلش راه مقفول عليّ وما لاقياش وين نفشّ خلقي، قعدت عام وغير في وسطهم – أسرة الزوج- ما لقيش وين نتنفس، نبغي نبكي ومانلقاش كيفاه، قعدت غير تمّ.. وليت عصبيّة، خاصة بعدما مرضت بـ la tyroïd" (المبحوثة رقم 2)

"tyroïde .. مَرض مزمن جاني من ظروف اجتماعية بـ70%.." (المبحوثة رقم 4)

إنّ الجسد عبارة عن بنية فيزيقية تتعرض للاضطرابات تبعا للظروف التي يعيشها الفرد في مختلف المجالات المتباينة المعالم في مرحلة الرّشد، والزواج هو من أبرز المراحل التي يبلغ فيها أفرد المجتمع سنّ الرّشد باعتبارهم أفراد/أولياء مسؤولين عن أسرة، لهم أولويات عائلية يتوجب عليهم استوفائها ضمن علاقات أسرية متشابكة ومعقّدة؛ وكلّما تزوج الفرد في سنّ مبكّرة كلّما أصبح راشدا في وقت مبكّر، وكلّما واجه قساوة الحياة في شبابه كلما أثّرت عليه الظروف فمسّت شخصيته وأصبح أكثر صلادة، أو أنّه تحوّل إلى شخص ضعيف خائر القوى المعنوية والفيزيقية فهو "فرد راشد مستنزَف قواه، مُهلك صحيّا[1].

يتكلّم سليمان مظهار على مسألة الصحة ويشير على أنّها قوّة مستهلكة من طرف الجماعة تلزم على الفرد استوفاء أدواره بعد الزواج؛ فإنّ الفرد طالما هو في مرحلة الشباب يمكنه التحفّظ على بعض الواجبات واتخاذ موقف الحياد، ولكن بعد عبور المرحلة الأساسية المقدّسة لطقوس الزواج، خاصّة بالنسبة للنساء، لابدّ عليهنّ التميّز بطابع أساسي في إدارة شؤون العائلة تحت نظام تراتبي متصلّب... كلّ ما تقوم به إلاّ السهر على رعاية شؤون الجماعة الأسرية، وتحمّل كل أعباء الحياة اليومية إلى غاية فقد صحّتها، ولا يمكنها التوجّع ولا الشكوى عن حالتها الصحيّة إلى أن تصبح المسألة الصحية ثانوية أمام الرعاية العائلية، حيث كل ما هو أساسي يجب أن يظهر ثانوي أين المصلحة العامة تفوق المصلحة الخاصة للفرد.[2] إذ تخبرنا المبحوثات:

"كنت حتى مريضة نقعد واقفة في الكوزينة.. تعرف حا النهار ظهري يقتل فيّ وقاعدة نغسل القش ما كانتش كاينة la machine، وتعرف القشوش لّي تلايمهم ختّنتي مانعيدلكش.. حتى واحد ما يعاونّي. حتى لّي فرقت القش.. بقيت نغسل قشّي وقش راجلي. وهي دبّر راسها" (المبحوثة رقم 14)

"من بعد لّي تزوجنا ما لقيش كيما نبغي ماشي غاية.. من نهار لي لقيتهم صحتي مالقيتهاش والدنيا بدأت تبالي صامطة. دروك راني قاعدة راني كارهة روحي. ماعلاباليش.. غير عايّة بلا سبّة.. ماحاملاش راسي" (المبحوثة رقم 8)

"تعرف كبرت قبل الوقت راني هاكذا نحس براسي... ولاّت la tension تطلعلي، مرضت مرضوني.. دوخة دوخة حتى لي عباوني l'hopitale، غير ربي وماجاتنيش AVC.. ودروك راني نعاني بـ la tyrïde.. والسكر يطيحلي.. وبالنسبة للصداع ما نعيدلكش. أنا Doliprane مايخطانيش" (المبحوثة رقم27)

"أنا مع مّاليه كي راني بعقلي راني غاية، مرضت مرضوني.. كلش طايح عليّ، أنا ومالي وصحتي كلّش ليهم...نعاني بـ Sinusite، la tension، tyroïde، arthrose، آلام الظهر.. مرضوني.. انا لّي نسيق الدّار من الفوق لتّحت كل يوم.. وفي البرد تقولنا عجوزتي روحوا نقّوا jardin" (المبحوثة رقم2)

من نتائج الدراسة تَوضّح لنا معاناة الكنة في حياتها الزواجية، والتي تؤثّر في صحّتها الجسدية، فغالبا "تضايق الكنّة الفائق الحد من نمط حياتها المتعبة، يترجم في السحنة الذليلة التي تبدو على الكنّة الخدومة والخاضعة على غرار حالات الصداع الحاد،[3] وكان هذا الأخير قد برز بنسبة 42% على غرار ما تتعرّض له من أمراض جسدية والتي تسبب التهابات مفصلية وآلام جسدية،

1. Lefrançois Richard, Léandre, Bouffard, O.p. Cité.
2. Medhar Slimane, O.p. Cit., P.p. 40-41
3. Lemarchant Clotilde, O.p. Cit., P.131

فحسب ما تبيّن في الجدول رقم 33: 5,26% منهنّ يعانون من آلام المفاصل؛ وبعدها الغدة الذرقية، والانزلاق الغضروفي "Hernie discale" بنسبة 4,21%؛ و2,11% بالنسبة للتمدّدات الوريدية في السيقان "les varices"، والحساسية الجلدية –كما يتوضّح في الشكل البياني رقم 27 أسفلا-؛ وكلّها حالات مرضية أسبابها تكون على الأغلب مرتبطة بنمط الحياة اليومية التي تستدعي التَّعب، حيث الانزلاقات الغضروفية من بين أسبابها: الأعمال التي تتطلب ممارسة مجهوداً كبيراً يمثل عبئاً على فقرات العمود الفقري؛ حمل الأشياء الثقيلة بحيث تنحني معها الفقرات بشكل خاطئ؛[1] وأما التمددات الوريدية أو ما تسمى بـ"دوالي الأوردة" تَنتج غالبا من **الوقوف أو الجلوس لفترات طويلة من الزمن** فإذا بقي الفرد في نفس الوضع لفترات طويلة فإنه سيعيق تدفق الدم بشكل منتظم في الجسم؛[2] وبالنسبة للحساسية الجلدية -والتي هي متنوّعة منها "L'eczéma de contact"- تنجم في بعض الحالات **عن الإفراط في النظافة التي تؤدّي إلى الإفراط في استخدام مواد التنظيف منها الصابون؛**[3] وكلها تسبب أعراض وآلام جسدية لا يمكن تحمّلها مع الوقت حيث يصبح الجسم من العوامل التي تؤدّي إلى المعاناة، "يُثقل كاهل الفرد وكأنّه شيئ منفصل عنه، وثقيل عليه يحمله دوما معه، فيؤثّر عليه معنويا، إلى أن تذبل الروح داخل سجن الجسد.[4]

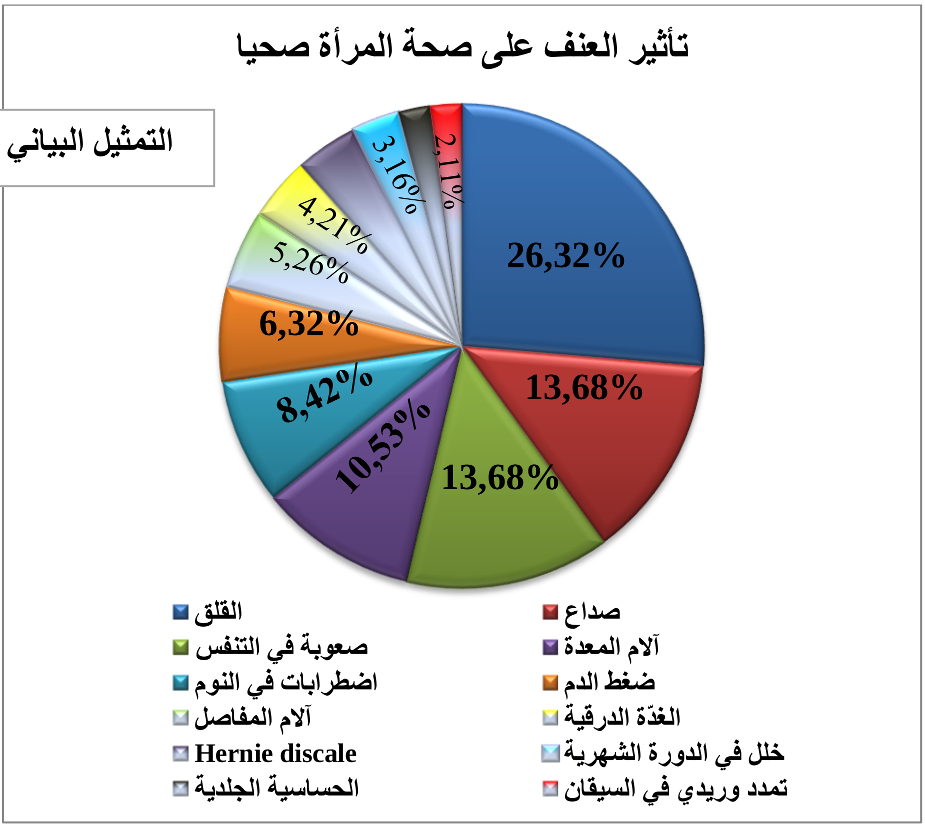

وعليه ومن كل ما سبق نشير أنّ المشكلات الصحية تخفي وراءها معاناة اجتماعية أسرية يعمّها أشكال متعدّدة من مظاهر مختلفة للعنف، خاصّة في المواقف التي تستدعي إلى إجبار الفرد في استوفاء بعض الأعمال والواجبات ضدّ إرادته الشخصية وقدراته الجسمية، ولهذا فقد "حدّدت المنظمة

---

[1]. Vu sur : https://sehatokalyoum.blogspot.com/2019/11/hernie-discale.html le 10/05/2020
[2]. Vu sur : https://www.mayoclinic.org/ar/diseases-conditions/varicose-veins/symptoms-causes/syc-20350643 le 10/05/2020
[3] . Vu sur : https://www.fondation-dermatite-atopique.org/fr/eczema-atopique/les-causes-de-leczema-atopique le 10/05/2020
[4]. Voir : Fsian Hocine, « Quel(s) corps ? », revue Dirassat insaniya wa ijti-maiya, université Oran, N°06, Janvier 2016.

العالمية للصحة ابتداء من 1948 مفهوم الصحّة على أنها حالة عامّة من الراحة الجسدية والعقلية والاجتماعية.[1]

وقد اعتبرت دراسات متعددة التخصصات أنّ العنف في حدّ ذاته مرض، وهو مرض مزمن يمسّ الصلات الاجتماعية الأسرية ويولّد هالة من الاضطرابات الجماعية والفردية والتي تنعكس على الصحيّة النفسية والجسدية للفرد في علاقة متطاردة؛ فيؤكّد السيّد الدكتور "Debout" رئيس مصلحة الطب الشرعي بجامعة Saint-Étienne بفرنسا أنّ، العنف وخاصّة الزوجي منه ضدّ المرأة، يمسّ الحالة الصحيّة للنساء. إنّ الضّرب الذي تتلقاه، حالات التوتر والقلق التي تنتابها، مع الشعور الدائم بالخوف والكرب في علاقتها بالقرين المهاجِم، زيادة على العنف الجسدي الذي يكون دائما متبوع بإهانات، وتهديدات، وضغوطات نفسية، والحط من قيمتها كفرد يستوجب الاحترام. كلها تنتج اضطرابات عصبية ونفسية وخيمة تفقد بالتالي تقديرها لذاتها؛ وأما بالنسبة إلى المنظمة العالمية للصحة، فتشير على أنّ النساء ضحيات العنف الزوجي تفقدن صحتهن بصفة متواترة،[2] من شدّو وكثافة العنف الذي تتلقاه من مختلف مظاهره، إلى حدّ أن ينتابها القلق الحادّ anxiété aiguë، إنهيار عصبي dépression، ومحاولة الانتحار[3] حيث تمارس العنف ضدّ نفسها.

3.4. الانتحار: مواقف اجتماعية تستدعي إلى التفكير في مغادرة الحياة

الانتحار أو قتل النفس عمدا، يعتبر من أقصى النتائج الواردة من العنف الأسري، فـ"العنف يتطوّر ضمن دورات مكثّفة تجعله يرتفع مع الوقت، إلى حد دفع الفرد إلى الانتحار،[4] وهو بمثابة عنف ممارس ضدّ الذات صادر من أفراد راودتهم مشاعر الكرب وضيق العيش نتيجة لظروف اجتماعية قاهرة، حيث أنّ "الحركات التي ينفذها المنتحر والتي تبدو للوهلة الأولى بأنها لا تعبّر إلاّ عن مزاجه الشخصي، إنما هي في الحقيقة... نتيجة لحالة اجتماعية[5] عجز عن مقاومتها أفقدته الشعور بلذّة الحياة، أثارت فيه الرغبة في مغادرتها؛ حيث يجيب المبحوث رقم 11:

> "هل سبق وأن شعرت برغبة في مغادرة الحياة؟: واه واه نخمم فيها مرات كي نوصل معاها للمحال.. غير على الغيرة والشكّ.. **نبغي حتى neswisidi**، نقول نقتل روحي باه هي تريّح. قلتها لها شحال من الخطرة."

ويضيف المبحوثون:

> "هي غير مّاك، مّاك، حتى قلت لها "حرام عليك". والله والله **نطلب الموت وما نعيش هذه العيشة**، عييت ملّيت.. خاصني نشوف للقدام ماشي للوراء.. بزّاف.. والغيرة الغيرة والشك.. بزاف." (المبحوث رقم 45)

> "دابزوا بينهم –الأم والأخت والزوجة- على القضيان.. وأنا جيت مع مراتي.. إيا تنوض أختي تضربني بالسّقلة! وقالت لي خرج من الدّار.. ومّا ماقالت لها والوا! جات معها.. حسّيت راسي قيمتي طايحة... أنا **داك النهار حسّيت بلي ما بقالي قعاد في الدنيا أصلا ماشي غير في الدار**" (المبحوث رقم 13)

تبعا لنتائج الدراسة توصلنا إلى أنّ 43,33% من جل المبحوثين والمبحوثات تبرّموا من ظروف حياتهم؛ و33,33% منهم انتابتهم الرغبة في مفارقة الحياة قد تولي إلى التفكير في الانتحار والتي بلغت بنسبة 23,33% (أنظر الجدول رقم 24، التمثيل البياني رقم 30 أسفلا)؛ وجل هذه المواقف ما هي إلاّ مراحل متتابعة تؤدّي إلى محاولات ارتكاب فعل الانتحار؛ كما أنّ الاندفاع نحو مرحلة اغتيال النفس بحدّ ذاتها لن تكون في الوهلة الأولى للتفكير، حيث أنّ القدوم على الفعل يكون بعد تردّدات متتالية فـ"السلوك الانتحاري، هو سلسلة أفعال سواء تم الانتحار أم لم يتم".[6]

---

[1]. Voir : Schar Moser Marianne, O.p. Cit., P. 14; voir aussi : عبد الخالق محمد عفيفي، مرجع سبق ذكره، ص.253

[2]. Revue de l'union nationale des associations familiale, Réalités : violences conjugales, C.p., P.19

[3]. Voir : May Clarkson, O.p. Cit., P.21.

[4]. Revue de l'union nationale des associations familiale, Réalités : violences conjugales, C.p., P.6

[5]. إيميل دوركايم، الانتحار، ترجمة حسن عودة، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2010. ص385

[6]. عدنان محمد الضمور، ظاهرة الانتحار: دراسة سوسيولوجية، دار الحامد، ط1، 2014. ص.23.

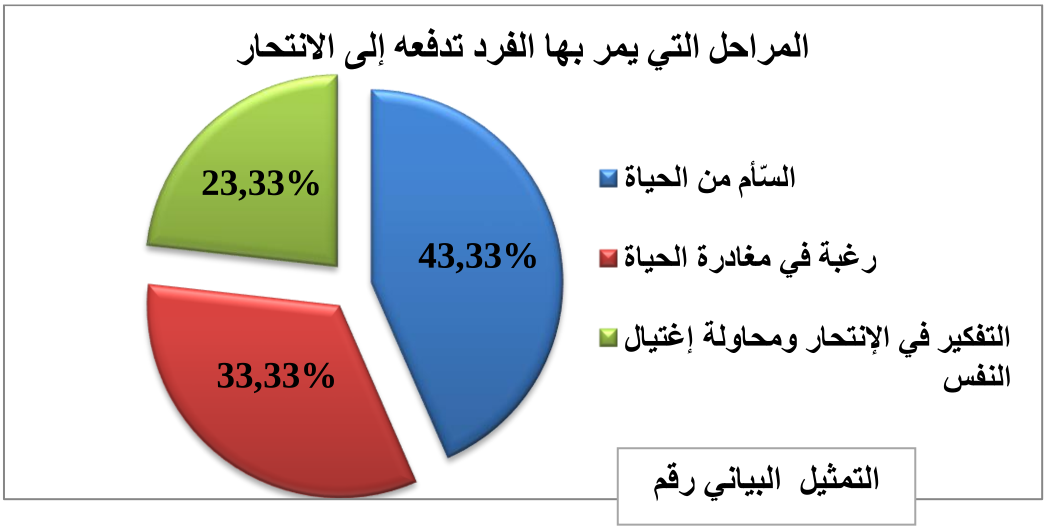

وعموما الزوجات هن الأكثر فئة اللواتي تندفعن نحو اختيال النفس، والتي بلغت 24,44% (راجع الجدول رقم 24)، بعدما أن أصبحت الحياة حالكة لها، وصلت إلى ذروة المعاناة لم تتحمل قساوة الحياة بعد الزواج، ولم تستطع الهروب من دورات التعنيف المغلقة، والتي جعلتها تفقد الشعور بالأمان حيث تولدت لها دافعية ارتكاب الفعل الانتحاري؛ وهذا النمط من الانتحار "نطلق عليه اسم الانتحار الجبري، ينجم عن إسراف في التقنين، والذي يرتكبه الأشخاص الذين سدّت منافذ مستقبلهم دون رحمة، والذي كبتت شهواتهم بعنف بواسطة نظام تعسفي صارم... يعزي إلى إفراط في الطغيان المادي أو المعنوي.[1]

فتحكي المبحوثات:

"تعرف هو clochard تع سكرة وشراب والنسا.. والحاجة لي تنارفيني وتخرجني من عقلي يهدر معاهم قدامي.. يقولي أنا نهدر معاها ومع لي تعجبني.. **وإذا ما بغيتيش طلعي للسطح وقيسي روحك**.. **ووصلت نتحرت وشربت الدواء تع ختنتي** (حماتي) تع la tension ضربت قابصة.. حتى أغمي عليّ... طلعوني l'urgence، الطبيب أصر باه يعرف ولكن ما بغاوش يهدرو.. **حسيت بلي كرهت الدنيا**، انتحرت.. ولكن من بعد خرجت، طلّقت كنت بالحمل بشهرين" (المبحوثة رقم 30)

"بغيت نقتل روحي.. أخذت السكين لقطع عروق اليد.. كنت خدّامة في دارهم.. وهو تابع ليهم.. حتى طلّقته، قمت بالخلع" (المبحوثة رقم 29)

"بغيت أنتحر. شربت محلول الجافيل.. مّاليه غبنوني، وهو دار عليّ.. من بعد طلّقت منه" (المبحوثة رقم 19)

"حسّيت كم من مرّة أكره الدنيا لحدّ الموت. أكثر من مرّة نطلب من الله لو كان الموت تعابيني، لوكان ربي يديني.. الانتحار قع ما يجيش في بالي أنا مؤمنة بالله.. ولكن أطلب موتة طبيعية من الله" (المبحوثة رقم 2)

تبعا لحديث المبحوثات تبيّن أنّ الانتحار يتم بطرق عديدة -منهن من تقوم بتسميم نفسها بشُرب مواد كيميائية، أو أدوية بجرعة كبيرة، أو تندفع نحو محاولة قطع أوردة اليد-؛ وكما تبيّن أنّه يحمل اتجاهين، من الممكن إذا ما انجرف الفرد نحو القدوم على إقامة الحد من حياته بفعل الانتحار، فيترجّى الموت الطبيعي المؤجّل قبل الأوان المحدّد في القدر الغيبي، ولكن أفراد المجتمع يعتبرون الحالة الأولى ما هي إلاّ رغبة مرتبطة بضعف الإيمان العقائدي، رغم أنّه في كلتا الحالتين تُوجّه التخمين إلى نفس الهدف المرغوب فيه ألا وهو الموت، في مرحلة يريد فيها الفرد الهروب من واقع معاش غير محتمل، يفقد الأمل وينتزع رحمة الله تعالى.(*) وهكذا تصبح الرغبة في مغادرة الحياة كيفما كان

---

[1] . إيميل دوركايم، الانتحار، مرجع سبق ذكره، ص.354

*. يقول تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾(سورة يوسف: 87)؛ ﴿ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾ (الحجر: 56).

شكلها متفاوتة بين أفراد المجتمع، مرتبطة أساسا بضعف النفس والشعور بالوحدة، وهذه الوحدة إذا بلغت شدّتها ستُفقد الفرد الرغبة في العيش، لا يجد فيها ملذّة في علاقاته الأسرية تدفعه إلى الانتحار، فيكون هذا الأخير "في مجتمعا نتيجة الانفصال عن الوسط الأسري والانقطاعات العاطفية، فمحاولات الانتحار تترجم تعذّر وجود لغة الحوار في الحياة اليومية.[1]

وغالبا لا تلجأن الزوجات إلى الوقوع في فخ الوحدة، حيث تتوجّه إلى العلاقة الروحانية مع الأعلى والتقرب من الله، والتضرّع له، بعدما لا يبقى سواه، وهنا تتجلى قوة الإيمان بالله التي تمنعها من الشعور بالوحدة والفراغ الداخلي، فيكون "الدين بوجه عام له تأثير واقٍ من الانتحار"؛[2] وعموما كل امرأة إلاّ وتواجه ظروفها الأسرية -التي تعتبرها قاسية- على حسب نمط شخصيتها: فمنهنّ من تضبطن النفس وتتعامل بعقلانية مع المشكل، باحثة عن حلول تساعدها في تقبّل علاقتها بالآخر ضمن المجال الأسري، تحاول أن تتكيّف مع الواقع المعاش أين تَعتبر الصبر هو من المقوّمات الأساسية التي يجب أن تمتاز بها لحماية علاقتها الزواجية، خاصة بوجود أبناء؛ أو "قد تبحث عن طرق جديدة لتنبسط وتبتهج: مثلا العمل خارج المنزل، تركز في علاقتها بالأبناء، تملأ فراغها بهوايات خاصة؛ أو أنّها تناهض الموقف بصفة فردية، أو تلجأ إلى المساعدة الأسرية؛ أو تبحث على تغيير الزوج... أو تهديده بالإعلان عن عدوانية في مراكز الشرطة؛ أو تبحث عن آراء من المحيطين بها من أعضاء الأسرة أو من طرف جمعيات خاصة، ومتخصصين نفسانيين... أو تعيد له نفس الضربات، تلجأ إلى الطب الشرعي، والقانون... إلى حد الطلاق أو قتل الزوج، أو الانتحار[3] في مرحلة تتغلّب عليها النفس وتضيق بها الحياة بعد مجابهات ومقاومات باءت بالفشل، ولم تعد بالنّفع، حيث أنّ "السأم والكلال من مطاردة متواصلة دونما نهاية محتملة... تتترك وراءها نوعا من الإنهاك... تسقط الشخص بنوع من الاكتئاب... وهو حال شامل من الكرب يدخل فيه الفرد، لا يعد يغريه أي نوع من الأفراح والمسرات، يرى الدنيا سوادا حالكا. وبما أن هذه الحالات دائمة، فإنها تثير أفكار الانتحار، حيث ينجم **الانتحار الاكتئابي**.[4] تحكي المبحوثة رقم 8:

> "الدنيا راهي تبالي صامطة كرهتها.. نكذب عليك ما متعلقة لا بوالدي، لا بدارنا، لا براسي.. النهار لي بغيت ننتحر قلبي كحال ما خمّمت حتى في حاجة... ما نبغي نروح حتى لبلاصة. كلش سماط عليّ"

إنّ ما يعاني منه الفرد في علاقاته التفاعلية الأسرية والتي أدت به إلى الشعور بالاكتئاب وحالة نفسية عصبية، وجسدية منهارة، تسمح لنا القول بأنّه "لن تكون العائلة إذن هي التي ستقي الفرد المكتئب من الانتحار، أو من الجريمة، أو المرض؛ والامتياز الذي يتمتع به المتزوجون بهذه الوقاية نابع ببساطة من أن هؤلاء هم وحدهم الذين تم قبولهم في حياة عائلية وفرت لهم ضمانات صحية جسدية ومعنوية،[5] يشعورن حيالها بالوحدة الجماعية التي تحرز الشعور بالرضا، والأمان، والاستقرار، فتغرس التمسك بالحياة وتمنع أي نوع من الجنوح الذي يعود بالضرر على الذات.

وبذلك فإنّ الفرد الذي تغلّب على مشاكله الأسرية واضطراباته الشخصية، فهو فرد حاول أن يتوافق مع الذات ومع العالم الخارجي، والاندماج ضمن مجالات اجتماعية مهنية، أو رياضية، أين يشعر بروح الجماعة، حيث أنّ الحياة الاجتماعية ضرورية للفرد تساعده على الخروج من كربه، أين يستطعم ملذّة الحياة، وعليه "فإذا انتحرت المرأة أقل بكثير من الرجل هذا لأنها مندمجة أقل بكثير في الحياة الجمعية المشتركة، حيث أنّ الحياة الداخلية تستمد من الخارج مادتها الأولية... فبخلق الفرد للفراغ من حوله فقد خلق الفراغ في داخله، ولا يبقى لديه أي شيئ يفكر فيه سوى شقائه الخاص، ولا

---

[1]. كبداني خديجة، محاولات الانتحار بين أزمة الوجود وأزمة الاتصال: مقاربة سوسيو-ثقافية، دراسات انسانية واجتماعية، العدد:08، 2018. ص.ص. 200- 201

[2]. إيميل دوركايم، نفس المرجع السابق، ص.ص.169-197

[3]. Evelyne Josse, Les violences conjugales : Quelques repères, Algérie, Alger, Octobre 2007. P.21

[4]. إيميل دوركايم، نفس المرجع السابق، ص.ص.35-36؛ ص.359

[5]. إيميل دوركايم، نفس المرجع، ص.212-213

يعود لديه موضوع للتأمل، سوى العدم الرابض في داخله والكرب الذي هو نتيجة لهذا العدم... فإنّ الحياة بدأت تغدو حينئذ بدون مبرر".[1]

وعليه فإنّ الفرد لا يشعر بوجوده إلا في ظل جماعة اجتماعية تمنحه الأمان بالتقدير والاحترام المتبادل، بعيدا عن التعسف والضغط والقهر، والأنانية الجماعية التي تدفع بالفرد إلى الشعور بالتضحيات المبالغ فيها إلى حدّ كتم رغباته الذاتية، فإنّ العلاقات الاجتماعية هي علاقات تفاعلية بالدرجة الأولى، و"الجوهري أن يكون من شأنها أن تغذي حياة جماعية قوية ومتينة بنحو كاف،[2] تتضمن أخذ وعطاء، تعاضد وتآزر، حيث تنتج تماسك اجتماعي بعيدا عن حالات الانزواء والشعور بالعزلة والانفراد، أين الفرد يجد من يعود إليه في فترات أزماته فيلقي همومة، فـ"الفرد يكوّن أناه من خلال الموضوع الخارجي أي الآخر. الفرد لا يوجد للآخر لكن يوجد مع وبالآخر،[3] الذي يستأنس وحدته، ويشجعه على البقاء، واستمرارية العيش. حيث تحكي المبحوثات:

"دائما هناك حلول، لا بدّ من مواجهة الصعاب كيفما كان الأمر.. **أكره العيش** ولكن **أحب زوجي وابنتي**." (المبحوثة رقم 7)

"**بغيت ننتحر ونقتل روحي ولكن مادرتهاش**.. ومازالت في بالي ماراحتش من بالي.. الأولاد نقول نسمح فيهم ونروح **ولكن مايخلينيش قلبي ما عندهم حتى حدّ**.. باهم سامح فيهم" (المبحوثة رقم 8)

ولهذا على حسب ما أشار إليه دوركام في مرجعه "الانتحار" أنّه في الواقع حتى في لحظة مغادرة الحياة لا نزال متعلقين بها.. ورَبط مفهوم الانتحار باليأس من الحياة وعدم التعلق بها إنما هو مفهوم عامي وشائع،[4] فبصفة متناقضة الفرد يبقى متعلّق بالحياة رغم الرغبة في مفارقتها فدائما تربطه علاقات أسرية أوّلية تجعله يتراجع عن ارتكاب الفعل، فيكون وجوده خاضح لمبرّرات اجتماعية هادفة.

خلاصة الفصل

أهمّ ما توصّلنا له من خلال كل ما ورد في مضمون هذا الفصل أنّ، اليتامى ليس فقط من توفي لهم الوالدين، وإنما اليتامى من فقدوا علاقتهم الاجتماعية والوجدانية بهما، فيحتفظون في أواصلهم نظرة مؤلمة في علاقتهم بهما أين هؤلاء انغرست في ذاكرتهم صور لمسارح التعنيف الأبوية أو الأمومية، وكل ما يعمّها من مواقف العنف الأسري التي كانوا شاهدين عليها، حيث افتقدوا بذلك روح الجماعة الأسرية التي يتضمّنها الاستقرار الاجتماعي والنفسي؛ وفي هذه الحالة فـ"من المحتمل أن يكون الزواج منقذ يعوّض من خلاله ما فقده في وضعية عائلية مسبّقة، وإذا فشل في ذلك فمن المحتمل أن يعاني ويقاسى،[5] حيث يكتشف أنّها من أكثر المراحل التي سبّبت المعاناة له، من الناحية الاجتماعية والاقتصادية، والنفسية، أين يشعر بالوحدة بعدما اضطربت الروابط الأسرية عامة، والزوجية خاصة، على إثر مشاكل أصبحت من معضلات الحياة اليومية تولي إلى ممارسة العنف وبعدوانية، والتي تؤثّر بالضرورة على المدى البعيد على البعد الصحّي للأجزاء المكونة للبنية الأسرية ضحايا العنف الأسري.

---

1 . إيميل دوركايم، نفس المرجع، ص.385؛ ص.ص.359-361

2 . إيميل دوركايم، نفس المرجع، ص.ص.169-197

3 . Mohamed aziz lahbabi (1974), de l'être à la personne, ed : SNED, Alger؛ عن: كبداني خديجة، محاولات الانتحار بين أزمة الوجود وأزمة الاتصال: مقاربة سوسيو-ثقافية، دراسات انسانية واجتماعية، العدد:08، 2018. ص. 211

4 . إيميل دوركايم، نفس المرجع السابق، ص10.

5 . Lemarchant, O.p. Cit., P.226

خـــــاتمــة

خــــــــاتمة

إنّ الأسرة كما أشارت إليها معظم المؤلفات الاجتماعية والدينية والفلسفية على أنها مركز أساسي لبناء المجتمع، والخلية الأوليّة ضمن البناء الاجتماعي العام، تتميّز بتوازن علائقي بين أجزائها، تُرسي التماسك والوحدة الاجتماعية، فتكون الجوّ المثالي الذي يجد فيه الفرد الراشد أو الطفل الأمن والأمان والاستقرار الاجتماعي والمعنوي؛ ولكن تبيّن لنا في هذه الدراسة الأكاديمية أنّ واقع

الأسرة المعاش مغمور بعلاقات صراع تأخذ إلى معاملات سيّئة تتخلّلها ممارسات عنيفة، وعدوانية، بصفة كثيفة، والتي أثبتت لنا أن العدائية باتت متفشّية في العائلة الجزائرية، تُؤكّد وجود ظاهرة العنف في المجال الأسري ضمن المجتمع الجزائري.

وأهمّ ما استقيناه في إطار بحثنا هذا في دراسة بوادر العنف الأسري، ثبت لنا أنّ هذا الأخير وكل ما يتضمّنه من مواقف الصراع السابقة عن وجوده، لا يمكن أن تتجلّى من فراغ، حيث أنّ العنف بكل أشكاله ومظاهره المختلفة (الجسدية والنفسية وكذا الرمزية) له منبع، فالعنف هو صنيعة المجتمع، ونتاج اجتماعي، تختلف مظاهره على حسب درجة الخلاف والصراع المبني ضمن العلاقات الأسرية، والتي تتضمن عوامل وأسباب متنوّعة ومختلفة –توصلنا إلى تحليلها في جميع فصول الرسالة- والمرتبطة غالبا بمعتقدات ثقافية لا تزال راسخة في ذهنية الأسرة الجزائرية.

ما تبيّن لنا أنّ الجماعة العائلية رغم أنّها حاولت مواكبة المستجدات الاجتماعية العامّة إلاّ أنها لا تزال مرتبطة ومتمسّكة بنظم القيم الاجتماعية المرسّاة في ثقافة الأواصر، أين بات الاختلاف في الاتجاهات والمعتقدات والمصالح أساس نشوب الصراع ضمن علاقات التفاعل التراتبية بين الجيلين وبين الجنسين، من الممكن أن يقود إلى ممارسة العنف في علاقة ردود أفعال معاكسة؛ وتختلف هذه الأخيرة من فرد إلى آخر على حسب نمط شخصيته، فإمّا المواجهة، أو كظم الغيظ وتقبّل الواقع؛ وفي كل الأحوال يعيش الفرد ظروف ومواقف ضدّ إرادته الشخصية ضمن العلاقات الاجتماعية المبنية على الهرمية والتي تستدعي القهر والإلزام وما يصطحبهما من مشاعر الحنق والغيظ.

إنّ الظروف التي يعيشها الفرد في هذا النمط من العيش المتضارب الذهنيات بين التقليد والحداثة، والتي يعتبرها صعبة التعايش وقاسية تكبح رغباته الشخصية، وطموحاته التي يريد أن يخبوا لها، تجعله يواجه المواقف التي لا يتقبّلها، فيطلب التغيير أو يطالب به عنوة، أين سيمسّ النظم القيمية والمعايير الاجتماعية المعترف بها في المجال العائلي؛ وهو الأمر الذي سيُضاعف من حدّة الصراع، حيث تتولّد العدائية والعدوانية بين أفراد الجماعة الواحدة والتي تؤول إلى ممارسة العنف في ردود أفعال مناوئة بين أعضاء الجماعة الواحدة، والتي تقود في كثير من الحالات إلى تأجيج دوافع فردية تتوجّه إلى دافعية ممارسة العدوانية لتأكيد ذاته، ووضع حدّ للعنف والممارسات العدوانية الموجّهة ضدّه، حيث تتولّد شخصية قويّة عدوانية تملك الجسارة في المجابهة، وفي حالات أخرى تنشأ شخصيات ضعيفة خائفة وخائرة القوى منصاعة وخاضعة، لا تتمكن من مجابهة الصراعات ومقاومة من يقوم باعتراض طريقها نحو الرقيّ أين العنف يصبح ضروري في علاقات التفاعل الاجتماعية بين الفاعل الذي يمارس عمليّة الضبط بفعل العنف والعدوانية بحكم مكانته السلطوية، وبين الفاعل الذي يعمل على وضع الحدّ للعنف الموجّه له في مرحلة يعي أنه فرد مسيّر من طرف الجماعة ومُضطهدة في علاقته بالآخر، وغالبا ما تكون المرأة هي ذلك الفرد المضطهد المنزوع الشخصية.

أهمّ ما توضح لنا في الدراسة الميدانية أنّ، النساء هنّ أكثر فئة متعرضة للعنف الأسري مقارنة بالرجال، ولكن، رغم ذلك كلاهما يتعرضان لصدمات نفسية من جرّاء الظروف الزواجية التي تحيق بهما، يشعران بكدمات وجدانية تثير الإحباط والقلق والتوتر، إلى حدّ أن تُؤثّر في الرغبة الجنسية لكلا الزوجين؛ وكلّ هذه المؤثّرات النفسية مرتبطة بعوامل اجتماعية مسبّقة أين يكون الفرد محصور بمنمطات سوسيوثقافية تطوّقه في غور العلاقات الاجتماعية العائلية، تكبح نشاطاته الاجتماعية وكذا الأسرية، حيث لا يكون إلاّ في خدمة الجماعة وتحت تصرفّهم.

إنّ من أهم الأسباب المثيرة للنزاعات العلائقية العائلية والزوجية خاصة، والتي تأكّدت في معظم الحالات التي وقع عليها الدراسة، قمنا بتحليلها في الفصل الثاني، مرتبطة بالتغيرات والتحولات الاجتماعية التي سنحت للمرأة الإسفار عن وجودها في عالم الشُّغل، ومحاولتها إثبات الذات المستقلة عن الجماعة وعن القرين، وهذا ما كان بين التأييد والمعارضة في مختلف الأُسر الجزائرية حيث أنّ

النظم السوسيوثقافية لا تزال تحتكر المرأة وتحصرها في دورها ضمن المجال الخاص تحدّها في مكانة ثابتة، تكبحها من النجاح في المجال العام، وتمنعها من ممارسة السلطة، حيث لا يحقّ لها أن تخبو للهيمنة، فهذه الأخيرة معترف بها إلاّ للفئة الذكورية، حتى ولو أنّها توصّلت في الوقت الراهن إلى اتخاذ القرارات الأسرية أمام الزوج وأصبحت تلعب دور المعيل بجانب الرّجل.

وفي غور هذه التغيرات الاجتماعية لا يستهان على المسببات المادية للعنف، حيث يكون البعد المادي من العوامل الأساسية التي تثير نشوب العنف أين يدخل الزوجان في علاقات تفاوضية هادفة لإعادة بناء مخطّط تقسيم الأدوار التقليدية ودفعها نحو مخطّط تداخل المهام الزوجية، أين ستقع محاسبات ورهانات على من يقوم بدور العائل؟ ومن يساعد من؟، الأمر الذي يستدعي إلى توليد نقاشات بيزنطية في موجة من الاتهامات بين الفاعل والمفتعل للعنف، كل يوجّه ردود أفعال مناوئة للآخر بحكم المعتقدات الثقافية الأسرية التقليدية التي تنجرّ بين التغيير والترسيخ، وكذا هوية الانتماء الجنوسية التي تحكمها التصورات والتمثلات الاجتماعية العامة لمعنى الذكورة والأنوثة، وغالبا إذا ما تجاوز أطراف العلاقة الزوجية المعتقدات العامة لهويّتهما الجنوسية فقد يتعرّضان للعنف الزوجي والأسري عامّة، وهنا تختلف أشكاله ومظاهره بحكم المكانات والأوضاع التي يحتلها الفرد في علاقاته التراتبية بالقرين.

ما تبدّى جليا من خلال استجوابات المبحوثين في الدراسة، أنّ الزوج في مكانته المُهيمِنة يُطالب بالحقوق التي قننتها له النظم الاجتماعية، فكما أوردت Evelyne Josse في مرجعها الموسوم بالعنف الزوجي أنّ "الرّجل يشرّع أفعاله باسم التقاليد؛ ففي المجتمعات التقليدية، الزوج له الشرعية في العقاب، والتأديب الجسدي نحو المرأة إذا لم تُطِعه، وتُقلّده فتُعانده بردّ فعل شرس، تَعتَرِضه... تقوم بالاستفسار عن الجانب المادي في تدابير المنزل، ترفض علاقة جنسية، غير وفيّة له؛[1] كل هذه المواقف تصبح عند الزوج من بين المسبّبات الأساسية في شنّ العنف حيث يعتبر الزوجة مفتعلة له وتثير غيظه، في مرحلة تتأجّج لديه العدوانية كرد فعل لتصرفاتها الغير مطلوبة.

وما أحال انتباهنا من خلال تحليلنا لمواقف العنف الزوجي -في الفصل الثاني والثالث- أين تكون الزوجة ضحيته، الزوج يكون في أغلب المواقف مفتعل للعنف بهدف الضغط على الزوجة لتغيير سلوكياتها، تجنّبا من أن يكون هو بالذّات ضحية عنف زوجي، حيث أنّ الزّوج كما يصوّره Schar Moser هو رَجُل موجه له وصمة مزدوجة: الرجل الذي يتواجد في وضعية الضحية، لا يُعدّ رجلا؛ والرجال الفاعلين للعنف على الأقل حافظوا على مكانتهم السلطوية كرجال،[2] حيث لطالما صُنّف العنف ضدّ المرأة على أنّه مَسكوت عنه، مقبول اجتماعيا؛ وأما العنف ضدّ الرجل فهو مَنْبوس عنه لأنّه غير معترف به اجتماعيا.

ولكن ما ثبت لنا في الدراسة الميدانية في العديد من الحالات أنّ العنف موجود ومتواجد في كلّ الوضعيات، ويمارس على الرجل كما يمارس على المرأة، مع بروز العلاقات الغير متكافئة التي تستدعي إلى اللاتجانس في البعد الثقافي والدراسي وخاصة المادي، في فترة تتفوق فيها المرأة على الزّوج وتصبح لها سلطة أسرية، بعد أن تخوض دور العائل بصفة فردية في مرحلة ينعزل فيها الزوج عن آداء دوره الاجتماعي الذي حدّده له المجتمع، فتتجلّى اللامساواة بصفة معاكسة في السلطة واتخاذ القرارت، والتي تشجّع في ممارسة العنف في علاقة متبادلة بين الجنسين، في مرحلة تطالب فيها الزوجة الزوج بالنكوص عن معتقداته الثقافية التقليدية بعدما أن أصبحت الطرف المحتذى به تغطي جميع المسؤوليات الأسرية المادية والمعنوية بما فيها أشغال المنزل، أو بالأحرى تعتبرها

---

[1]. Evelyne Josse, O.p. Cité, P.17
[2]. Schar Moser Marianne, O.p. Cité, P.46

الزوجات أعباء منزلية بتعدّد مسؤولياتها في مجتمع مغيّر، بينما احتفظ الرّجل إلاّ على هويته المهيمِنة رغم كل التغيرات الاجتماعية والتحولات الحضارية العامة.

إنّ المرأة توصّلت لمرحلة تتجرّأ فيها على ممارسة العنف ضدّ الزوج، كما توضّح لنا في دراستنا، وتفتعل العدوانية الزوجية في علاقة تأثير وتأثّر باحثة لأن تخبوا إلى التغيير في المعتقدات التقليدية التي تفصل بين الجنسين، وتريد بذلك على الأرجح رفع التراتبية الجنوسية وتكوين رابط زوجي يحكمه علاقة تفاعلية وجدانية، ولكن ظروف أسرية سوسيوثقافية واجتماعية واقتصادية تتخلل العلاقة الزوجية وتخلّ في التوازن الزوجي تُضعضع علاقات التبادل والتواصل، إلى أن تهتز العلاقات الحميمية الزوجية، وكل شيئ يهون ويمكن إعادة بناؤه ولكن الخيانة الزوجية من الأمور التي لا يتقبلها الزوجين، تؤدي إلى الانفصال الوجداني والجسدي إلى غاية الإنفصال العلائقي المنعقد قانونيا بالطلاق أو الخلع، -كما توضح لنا من خلال حالات أشرنا إليها في دراستنا ضمن الفصل الرابع- رغم أن الطلاق له عوامل عديدة تمليه الثقافة الأبوية وما تتضمّنه من علاقات هرمية تكون المرأة غالبا محصورة بين الزوج وأسرته، حيث لا يستهان بعلاقة الكنة بالحماة الآمرة والناهية، وما يترتّب كذلك عن عجزها في استوفاء دور الولادة أين المرأة العاقر تكون غير مقبولة ضمن الأسرة التقليدية، كما وضحنا في الفصل الثالث.

ولكن الانفصال الزوجي كيفما كان شكله، ومهما كانت أسبابه فإنّه يولّد عواقب وخيمة تستدعي التفكّك الأسري، حيث تضعف الروابط الأسرية. فتبعا لنتائج دراستنا تبيّن لنا أنّ الأبناء هم الفئة الأكثر تضرّرا للعنف الأسري، يُؤثّر في البعد السيكولوجي لهم من الممكن أن يأخذ إلى معاناة في فترة متأخرة من العمر، يمسّ علاقته بالوالدين مستقبلا، فهؤلاء الأفراد الشاهدين على العنف ضمن المجال العائلي، وخاصّة المستقبلين له، والمتعرّضين لسوء المعاملة من طرف الأولياء أو أحد أفراد العائلة، على حسب Cesare Lombroso أنّهم لا ينسوا لمدّة شهور طويلة من قام بضربهم،[1] قد يتوصّل الأمر إلى غاية الانتقام للنفس وقتل أحد الأصول أين تسقط قداسة الوالدين والقيم الأخلاقية التي تستدعي الاحترام لهما بعد تجاهلهما لهم، أين يُحرمون من تغطية ضروريات الحياة المادية والعاطفية؛ ويكون الأثر بالغ في حالة وقوع أي تمييز بين الأبناء سواء المادي أو المعنوي، حيث تفرز الفردية المستحقّة في استخدام الممتلكات المادية بالأولياء أو يكون تقتير في إلتماس علاقة وجدانية بين الفروع وأحد الأصول، خاصّة ضمن الأسرة البنيوية المركّبة. فيكون الأبناء ضحية عنف أسري.

ومن كل ما سبق وما ورد في معظم فصول الدراسة، وعلى أساس النتائج المتوصل لها، قد تبيّن لنا أنّه، خلافا عمّا هو مرئي لنا بالعين المجرّدة، والذي يعطي لنا انطباع لحقيقة مزيّفة عن نمط حياة بعض العائلات الجزائرية، نشير أنّه لا توجد أسرة مثالية، حيث كلّ جماعة أسرية إلاّ وتعيش ظروف اجتماعية وسوسيوثقافية اقتصادية قاسية تأخذ إلى التعنيف وممارسة العدوانية في علاقة الفرد بالجماعة وبقرينه؛ ويبقى الاختلاف وارد في درجة المشاكل والمعضلات التي يواجهها أفراد المجتمع في حياتهم الاجتماعية العائلية، ودرجة وكثافة العنف المستقبِل من المحيط الأسري؛ وعموما الأسرة عرفت تطورات وتحولات جعلتها تفقد الكثير من قيمها وتتأثر بالكثير من الصفات المخالفة لمعتقداتها، وأديولوجيتها عامّة، قد تؤدّي إلى التفكك الأسري الذي يمسّ الأطفال في شخصيتهم وكيانهم، فتكون بذلك الأسرة مهدا للمحبّة والقساوة في آن واحد.

[1]. Cesare Lombroso, L'homme criminel Criminel né – Fou moral – Épileptique – Criminel fou – Criminel d'occasion – Criminel par passion : Étude anthropologique et psychiatrique, 1895.

الملحق الأوّل

الجـــــداول التكـــــرارية

الملحق الأوّل: الجداول التكرارية(*)

ارتأينا أن نعرض نتائج الدراسة الميدانية العامّة في جداول تكرارية توسّع لنا الرُّؤى لموضوع الدراسة من خلال نسب مئوية، توضّح لنا ما توصلنا له من معلومات في مجتمع البحث المُختار، فتوجّهنا إلى معرفة مدى تفاوت الإجابات بين جل المبحوثين والمبحوثات في معطيات رقمية مئوية موزّعة حسب الجنس ومختلف الأسئلة الواردة في دليل المقابلة.

الجدول رقم 1: يوضح توزيع المبحوثين حسب الجنس ونوعية العلاقات في المجال العام

	رجال		نساء		المجموع	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
جيدة	11	79	17	55	28	62
متوسّطة	1	7	8	26	9	20
ضعيفة	1	7	4	13	5	11
سيّئة	1	7	2	6	3	7
المجموع	14	100	31	100	45	100

الجدول رقم 2: يوضّح توزيع المبحوثين حسب الجنس ونوعية العلاقات مع الأسرة الأصلية

	رجال		نساء		المجموع	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
جيدة	5	36	12	39	17	38
متوسطة	6	43	13	42	19	42
ضعيفة	2	14	4	13	6	13
سيئة	1	7	2	6	3	7
المجموع	14	100	31	100	45	100

الجدول رقم 3: يوضّح نسبة نوعية علاقة الزوجات مع أسرة الزّوج

	التكرار	النسبة المئوية
جيدة	3	7
متوسّطة	16	36
ضعيفة	14	31
سيّئة	12	26
المجموع	45	100

الجدول رقم 4: يوضّح نسبة نوعية علاقة الأزواج مع أسرة الزوجة

* . نشير إلى أنّه، بعض الجداول نجد عدد التكرارات الإجمالية والنسبة المئوية العامّة تفوق عدد المبحوثين، نظرا لتعدّد الأجوبة في الحالة الواحدة، حيث أنّ المبحوث يقاسي عدّة مواقف في مجال الصراع، باختلاف علاقاته الهرمية بين أفراد العائلة، وانتمائه إلى أسترين : الأسرة الأصلية، وأسرة الزوج.

	التكرار	النسبة المئوية
جيدة	9	20
متوسّط	17	38
ضعيفة	13	29
سيّئة	6	13
المجموع	45	100

الجدول رقم 5: يوضح نسبة نوعية العلاقات بين الزوجين

	التكرار	النسبة المئوية
جيدة	13	29
متوسّطة	6	13
ضعيفة	10	22
سيّئة	16	36
المجموع	45	100

الجدول رقم 6: يوضح توزيع المبحوثين حسب الجنس، وتقدير الفترة المؤلمة في الحياة عند كلا الجنسين.

	رجال		نساء		المجموع	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
الحياة	11	79	29	94	40	98
أخرى	3	21	2	6	5	11
المجموع	14	100	31	100	45	100

الجدول رقم 7: يوضّح، المواقف التي تثير الخلافات والنزاعات العلائقية الزوجية والعائلية، موزّعة حسب الجنس (زوج وزوجة) والجماعة الأسرية الأصلية للزّوج.

			التكرار	النسبة
المواقف التي تثيـــر الخلافات الأسرية والزوجية	**بالنسبة للزوجة**	التقرب القويّ للزوج بأسرته الأصلية	23	24,73
		التقرب القوي للزوج بالأصدقاء	22	23,66
	بالنسبة لأسرة	تقرّب الزوج من الزوجة	21	22,58
	بالنسبة للزوج	التقرب القويّ للزوجة بأسرتها	14	15,05
		التقرب القوي للزوجة بالأبناء	9	9,68
		التقرب القوي للزوجة	4	4,30
		المجموع	93	100

الجدول رقم 8: يوضّح لنا المجالات الأكثر إثارة للصراعات، والمصرّح عنها من طرف المبحوثين، والتي تكون متعدّدة في الحالة الواحدة.

	التكرار	النسبة المئوية
المجال المادي (الاقتصادي) عامل مولد للصراع	34	39,53
السكن المشترك مع عائلة الزوج	29	33,72
التقسيم الغير متكافئ للعمل المنزلي بين نساء عائلة	23	26,74
المجموع	86	100

الجدول رقم 9: يوضّح الأفراد الممارسين للسلطة ضمن عائلة الزوج

	التكرار	النسبة المئوية
سلطة الحماة (أم الزوج)	27	55,10
سلطة الزوج	12	24,49
سلطة أخوات الزوج	8	16,33
سلطة الحمى	2	4,08
المجموع	49	100

الجدول رقم 10: يوضح نسبة مواجهة الزّوجة لـ:سلطة الزوج/سلطة الحماة/سلطة أخوات الزوج/سلطة الحمى

	التكرار	النسبة المئوية
سلطة الزوج	29	47,54
سلطة الحماة	18	29,51
سلطة أخوات الزوج	12	19,67
سلطة الحمى	2	3,28
المجموع	61	100

الجدول رقم 11: يوضح مدى مواجهة الزّوج لـلأم/أسرته الأصلية وللزوجة

	التكرار	النسبة المئوية
أسرته عامة والأم خاصة	4	8
الزوجة	41	92
المجموع	45	100

الجدول رقم 12: يوضّح لنا المواقف التي تثير حنق الزوج ضدّ الزوجة قد تؤدي به إلى ممارسة العنف اتجاهها.

	التكرار	النسبة المئوية

سلطة الزوجة	29	27,88
التصرفات (السلوكية والكلامية) المعنِّفة الغير مطلوبة	24	23,08
إبراز سموّها أو تفوّقها عليه	20	19,23
رفض الزوجة للخضوع إلى أسرته	12	11,54
مواجهة الزوجة لأسرته	11	10,58
سلطة أسرة الزوجة	8	7,69
المجموع	104	100

<u>الجدول رقم 13</u>: يوضّح المواقف التي تثير غيظ الزوجة في علاقتها بالزوج.

	التكرار	النسبة
يخلق بعد المسافة بينه وبينها	35	33,33
تقسيم العمل الغير متكافئ بين الزوجين	25	23,81
غير مبالي في علاقته بالأبناء	18	17,14
تجاهل أسرتها الأصلية	12	11,43
فرض علاقتها بأسرته	15	14,29
المجموع	105	100

<u>الجدول رقم 14</u>: يوضح الأسباب التي تؤدي إلى الوهن العلائقي بين الزوجين في علاقة تأثير وتأثر، والمفتعِلة لمواقف العنف الزوجي.

	التكرار	النسبة
ضعف الحوار والتواصل	36	55,38
ضعف العلاقات الحميمية	29	44,62
المجموع	65	100

<u>الجدول رقم 15</u>: يوضح الأسباب التي تثير ممارسة العنف بصفة مباشرة أو غير مباشرة على أحد أطراف العلاقة الزوجية.

	التكرار	النسبة
غياب التجانس في المستوى الاجتماعي	16	51,61
غياب التجانس في المستوى المادي بين	8	25,81
غياب التجانس في المستوى الدراسي بين	7	22,58
المجموع	31	100

<u>الجدول رقم 16</u>: يوضح نسبة نشوب الغيرة النابعة بين الزوجين أو بين نساء العائلة

	التكرار	النسبة المئوية
الزوجين	33	52,38

الكنة والحماة	19	30,16
كنّات العائلة	11	17,46
المجموع	63	100

الجدول رقم 17: يوضح توزيع المبحوثين حسب الجنس ودرجة الغيرة التي تنشب بين أطراف العلاقة الزوجية.

	رجال		**نساء**	
	التكرارات	**النسبة**	**التكرارات**	**النسبة**
غَيْرة شديدة	2	14	26	83
غَيْرة ضعيفة	12	86	5	17
المجموع	14	100	31	100

الجدول رقم 18: يوضح توزيع المبحوثين حسب الجنس، ومدى تقرب الزوجين لأعضاء الأسرة

		رجال		**نساء**		**المجموع**	
		التكرارات	**النسبة**	**التكرارات**	**النسبة**	**التكرار**	**النسبة**
الشخص الأقرب إلى الفرد	**الأم**	6	26,09	11	27,50	17	26,98
	الأب	2	8,70	6	15,00	8	12,70
	الإخوة	3	13,04	4	10,00	7	11,11
	القرين	8	34,78	8	20,00	16	25,40
	أبناء	4	17,39	11	27,50	15	23,81
المجموع		23	100	40	100	63	100
الشخص القريب ولكنه بعيد	**الأم**	4	36,36	4	11,11	8	17,02
	الأب	3	27,27	5	13,89	8	17,02
	الإخوة	1	9,09	10	27,78	11	23,40
	القرين	2	18,18	17	47,22	19	40,43
	أبناء	1	9,09	0	0	1	2,13
المجموع		11	100	36	100	47	100

الجدول رقم 19: يوضح نسبة حرمان -أو محاولة حرمان المرأة- من إثبات ذاتهاّ ضمن المجال العام، موزّعة حسب علاقتها بالأسرة الأصلية وأسرة الزوج.

حرمان المرأة أو محاولة الحرمان من إثبات الذات في المجال العام

	التكرار	النسبة المئوية
من طرف الأسرة الأصلية	13	48
من طرف أسرة الزوج	14	52
المجموع	27	100

الجدول رقم 20: يوضح توزيع أشكال العنف المعنوي والمتمثل في الحرمان المادي، والحرمان من التفاعل الوجداني، حسب علاقة كل طرف من أطراف العلاقة الزوجية بقرينه، وعلاقة كل زوج بالوالدين.

		التكرار	النسبة المئوية
الحرمان المعنوي (العلاقات الوجدانية)	العلاقة بالزوج	26	37,14
	العلاقة بالزوجة	16	22,86
	العلاقة بالأم	14	20
	العلاقة بالأب	14	20
المجموع		70	100
الحرمان المادي	من الزوج	14	45,16
	من الأب	10	32,26
	من الزوجة	5	16,13
	من الأم	2	6,45
المجموع		31	100

الجدول رقم 21: يوضح توزيع أشكال العنف المعنوي والمتمثل في الحرمان المادي، والحرمان من التفاعل الوجداني، في علاقة المرأة بأسرة الزوج، مع العلم أنّ في الحالة الواحدة من الممكن أن تعيش الحرمان المادي والمعنوي في نفس الوقت

	علاقة المرأة بأسرة الزوج	
	التكرار	النسبة المئوية
الحرمان المعنوي	20	66,67
الحرمان المادي	10	33,33
المجموع	30	100

الجدول رقم 22: يوضح لنا توزيع المبحوثين حسب الجنس ومظاهر العنف التي يتعرض لها الفرد من طرف عائلة النسب

	الرجل		المرأة		المجموع	
	التكرار	النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية	التكرار	النسبة
نفسية	7	35	32	57,14	39	51,32

لفظية	6	30	18	32,14	24	31,58
التهديد	6	30	2	3,57	8	10,53
جسدية	1	5	4	7,14	5	6,58
المجموع	20	100	56	100	76	100

الجدول رقم 23: يوضح لنا توزيع المبحوثين حسب الجنس ومختلف أشكال ومظاهر العنف المتعرض له من طرف الشريك

	الرجل		المرأة		المجموع	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
جسدية	5	5,95	20	22,99	25	14,62
لفظية	16	19,05	19	21,84	35	20,47
نفسية	20	23,81	32	36,78	52	30,41
طريقة معنّفة في	36	42,86	12	13,79	48	28,07
تهديد	7	8,33	4	4,60	11	6,43
المجموع	84	100	87	100	171	100

الجدول رقم 24: يوضح توزيع المبحوثين حسب الجنس ومراحل الكرب التي من الممكن أن يتوصّل الفرد لها تدفعه إلى التفكير في الانتحار.

	رجال		نساء		المجموع	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
السّأم من الحياة	7	46,67	19	42,22	26	43,33
رغبة في مغادرة	5	33,33	15	33,33	20	33,33
التفكير في الإنتحار	3	20,00	11	24,44	14	23,33
المجموع	15	100	45	99,99	60	99,99

الجدول رقم 25: يوضح نسبة حضور الأبناء في مجال الصراعات الزوجية والأسرية عامة.

	التكرار	النسبة المئوية
نعم	30	91
لا	3	9
المجموع	33	100

الجدول رقم 26: يوضح لنا مختلف الأنماط التربوية الموجهة نحو الأبناء.

	التكرار	النسبة المئوية
عقاب جسدي	26	39,39
حوار	23	34,85
عقاب لفظي	8	12,12

تهديد	6	9,09
عقاب نفسي	3	4,55
المجموع	66	100

الجدول رقم 27: يوضّح، إذا كان العقاب البدني التربوي يعتبر من الطرق الفعلية التي يلجأ لها الأولياء بعد اللجوء إلى أنماط تربوية أخرى، حيث يكون العقاب الجسدي هو آخر الحلول؛ أو أنّه يعتبر الطريقة المثالية المقتدية بها أين يلجأ الأولياء إليه بصفة مباشرة.

	التكرار	النسبة المئوية
الطريقة الفعلية	17	43,59
الطريقة المثالية	8	20,51
رفض الطريقتين	14	35,90
المجموع	39	100

<u>الجدول رقم 28</u>: يوضح الأسباب التي تستدعي بالأولياء إلى اللجوء للعنف الجسدي ضدّ الأبناء، بحكم أنه عنف ممارس لغرض تأديبي أو أنّه موجّه لضغوطات اجتماعية أو سيكولولجية.

	التكرار	النسبة المئوية
سببه ضغوطات	26	67
أسباب أخرى	13	33
المجموع	39	100

<u>الجدول رقم 29</u>: يوضح لنا نسبة تلقي الأبناء للعقاب الجسدي من الأب أو الأم

	التكرار	النسبة المئوية
الأم الممارسة	30	76,92
الأب الممارس	9	23,08
المجموع	39	100

الجدول رقم 30: يوضّح الجوانب التي تمسّ الأطفال من تأثير الصراعات في المجال الأسري.

	التكرار	النسبة المئوية
كثير الحركة وعدواني	17	21,25
نقص في التركيز	14	17,50
التدهور المدرسي	12	15
الانطواء والانسحاب	9	11,25
لديهم عدد قليل من	8	10,00

وقوع حوادث جسدية	7	8,75
اضطرابات في النمو	4	5,00
الاضطراب في الكلام	4	5,00
الخجل الشديد	4	5,00
التبول اللاإرادي	1	1,25
المجموع	80	100

الجدول رقم 31: يوضح لنا نسبة تقرب الأبناء لأعضاء العائلة (الأم، الأب، أهل الأم، أهل الأب)

	التكرار	**النسبة المئوية**
قوة العلاقة بالأم	28	42,42
أهل الأم	21	31,82
كلا الأسرتين معا	6	9,09
الوالدين معا	6	9,09
قوة العلاقة بالأب	3	4,55
أهل الأب	2	3,03
المجموع	66	100

<u>الجدول رقم 32</u>: يوضح توزيع نسبة المساعدات التي تتلقاها الزوجة في تربية الأبناء، بين الأم - أو أسرتها الأصلية- والحماة –أو أسرة الزوج عامة-

	التكرار	**النسبة المئوية**
تتلقى الزوجة مساعدة من الأم / أو	15	83
تتلقى الزوجة مساعدة من أم الزوج	3	17
المجموع	18	100

<u>الجدول رقم 33</u>: يوضح توزيع المبحوثين حسب الجنس وتأثير العنف على الفرد صحيّا

	نســـــــاء		**رجـــــــال**		**المجموع**	
	التكرار	**النسبة المئوية**	**التكرار**	**النسبة المئوية**	**التكرار**	**النسبة المئوية**
القلق	25	26,32	8	36,36	33	28,21
صداع	13	13,68	3	13,64	16	13,68
صعوبة في التنفس	13	13,68	4	18,18	17	14,53
آلام المعدة	10	10,53	4	18,18	14	11,97

اضطرابات في النوم	8	8,42	1	4,55	9	7,69
ضغط الدم	6	6,32	2	9,09	8	6,84
آلام المفاصل	5	5,26	0	0	5	4,27
الغدّة الدرقية	4	4,21	0	0	4	3,42
discale Hernie	4	4,21	0	0	4	3,42
خلل في الدورة الشهرية	3	3,16			3	3,16
الحساسية الجلدية	2	2,11	0	0	2	1,71
تمدد وريدي في السيقان	2	2,11	0	0	2	1,71
المجموع	95	100	22	100	117	100

الملحق الثاني

الملحق الثاني: الجدول السوسيوغرافي

الرموز : جنس المبحوث (F: امرأة – H: رجل) - **الحالة المدنية** (م: متزوج – ط: مطلق – أ: أرمل)

										معلومات خاصة بالشريك						
رقم الترتي	**رقم المقابلة**	**جنس**	**الحالة المدنية**	**سنة الزواج**	**الأصل الأسري**	**سنة الميلاد**	**المستوى التعليمي**	**المهنة**	**عدد الإخوة**	**الأصل الأسري**	**سنة الميلاد**	**المستوى التعليمي**	**المهنة**	**عدد الأبناء**	**نمط الأسرة**	**مدينة الإقامة**
1	1	F	م	2000	تيارت	1972	نهائي	موظفة إدارية	10	غليزان	1971	السادسة ابتدائي	عامل بالقطاع الخاص	4	أسرة نووية	وهران
2	2	F	م	2000	مسيردة الفواقة	1976	نهائي	موظفة إدارية	4	البيّض	1965	التاسعة متوسط	موظّف متقاعد	5	أسرة ممتدة	وهران
3	3	F	ط	1997	تلمسان	1952	نهائي	ماكثة بالبيت	4	تلمسان	1930	شهادة متوسّط	تاجر	0	أسرة أحادية	تلمسان
4	4	F	م	1990	تلمسان	1964	بيولوجية	مسؤولة مصلحة	4	تلمسان	1960	جامعي	مدير بنك – متقاعد-	1	أسرة نووية	تلمسان
5	5	F	م	1997	عين غرابة	1967	مهندسة دولة	بيولوجية في القطاع العام	6	سبدو	1960	الثانية متوسط	سائق	4	أسرة نووية	تلمسان
6	6	F	م	1992	تلمسان	1973	نهائي	مربية أطفال	9	بليدة	1967	أولى متوسط	متعدد الخدمات	4	أسرة ممتدة	وهران

رقم الترتي	رقم المقابلة	جنس	الحالة المدنية	سنة الزواج	الأصل الأسري	سنة الميلاد	المستوى التعليمي	المهنة	عدد الإخوة	الأصل الأسري	سنة الميلاد	المستوى التعليمي	المهنة	عدد الأبناء	نمط الأسرة	مدينة الإقامة
7	7	F	م	2008	تلمسان	1884	نهائي+ تكوين	تقني سامي في السكن والعمران	4	بلعباس	1980	أولى جامعي	محل تجاري	1	أسرة نووية	وهران
8	8	F	ط	2003	زمورة غليزان	1983	أمية	عاملة صيانة	7	تيارت	1976	الخامسة أساسي	حارس وقاية	2	أسرة أحادية	وهران
9	9	F	م	2000	وهران	1978	التاسعة متوسّط	عاملة صيانة	6	وهران	1964	السادسة ابتدائي	عامل يومي	4	الزوج والأبناء	وهران
10	10	F	م	2014	معسكر	1986	جامعية	مهندسة في إ.آلي	6	تلمسان	1986	السادسة ابتدائي	عامل يومي	1	الزوج والأبناء	وهران
11	11	F	م	1982	وهران	1963	السادسة ابتدائي	عاملة صيانة	7	وهران	1954	السادسة ابتدائي	بدون مهنة	3	أسرة نووية	وهران
12	12	F	م	1992	وهران	1966	ماستر	إطار	6	معسكر	1958	الثانية متوسّط	عامل بمديرية الأمن	3	أسرة نووية	وهران
13	13	F	ط	2008	تلمسان	1983	نهائي	ماكثة بالبيت	5	تلمسان	1980	التاسعة متوسط	عمل حرّ	2	أسرة نووية	وهران
14	14	F	م	2004	تلمسان	1978	جامعية	موظّفة	1	تلمسان	1975	نهائي+ شهادة	موظّف	2	أسرة نووية	وهران

رقم الترتي	رقم المقابلة	جنس	الحالة المدنية	سنة الزواج	الأصل الأسري	سنة الميلاد	المستوى التعليمي	المهنة	عدد الإخوة	الأصل الأسري	سنة الميلاد	المستوى التعليمي	المهنة	عدد الأبناء	نمط الأسرة	مدينة الإقامة
15	15	F	م	1999	شرشال	1966	جامعية	موظفة إدارية	2	وهران	1965	التاسعة متوسّط	كهربائي سيّارات	0	علاقة زوجية	وهران
16	16	F	م	2012	وهران	1986	سنة أولى جامعي	عون طبّي	1	معسكر	1975	السنة الثانية جامعي	عامل بالقطاع الخاص	1	العائلة	وهران
17	17	F	م	2008	صحراء	1967	الثالثة ثانوي	موظّفة	10	صبرة	1971	أولى متوسّط	بدون مهنة	0	علاقة زواجية	وهران
18	18	F	م	2014	معسكر	1976	نهائي + تكوين	تقني سامي في إ.آلي	7	وهران	1976	ثانية ثانوي	عامل متعدّد الخدمات	1	أسرة نووية	وهران
19	19	F	ط	1999	وهران	1973	نهائي	ممرضة	8	بليدة	1952	السادسة ابتدائي	سبّاك	1	أسرة احادية العائل	وهران
20	20	F	أ	1993	غليزان	1966	أمية	عاملة صيانة	8	غليزان	1946	السادسة متوسط	عامل بالقطاع الخاص	4	أسرة أحادية العائل	وهران
21	21	F	ط	2010	بجاية	1992	السادسة أساسي	ماكثة بالبيت	7	وهران	1987	الثانية متوسط	عامل يومي	حامل	أسرة ممتدة	وهران
22	22	F	م	2004	بلعباس	1972	التاسعة متوسط	ماكثة بالبيت	6	البيض	1966	السادسة أساسي	تاجر	2	الزوج والأبناء	وهران

رقم الترتي	رقم المقابلة	جنس	الحالة المدنية	سنة الزواج	الأصل الأسري	سنة الميلاد	المستوى التعليمي	المهنة	عدد الإخوة	الأصل الأسري	سنة الميلاد	المستوى التعليمي	المهنة	عدد الأبناء	نمط الأسرة	مدينة الإقامة
23	23	F	م	2003	معسكر	1970	نهائي	موظّفة	2	وهران	1969	الرابعة متوسّط	حارس وقاية وأمن	1	أسرة أحادية العائل	وهران
24	24	F	م	1988	عين الصفراء	1964	الثالثة ثانوي	ماكثة بالبيت	5	مستغانم	1955	التاسعة متوسط	سبّاك	3	الزوج والأبناء	وهران
25	25	F	م	2005	بجاية	1981	جامعية	مهندية معمارية	7	مستغانم	1973	جامعي	رئيس مصلحة	3	الزوج والأبناء	وهران
26	26	F	م	2012	غليزان	1990	أولى متوسط	خادمة	4	مستغانم	1988	التاسعة متوسّط	صيّاد	2	الزوج والأبناء	وهران
27	27	F	م	2001	تلمسان	1981	نهائي	ماكثة بالبيت	4	تلمسان	1972	التاسعة متوسّط	موظّف	0	علاقة زوجية	وهران
28	28	F	أ	1979	تلمسان	1957	جامعية	صيدلية متقاعدة	9	تلمسان	1954	جامعي	موظف بالقطاع الخاص	0	وحيدة	تلمسان
29	29	F	ط	2009	تلمسان	1978	التاسعة متوسط	عاملة بالقطاع الخاص	3	تلمسان	1968	التاسعة متوسط	أرض فلاحية ملكية عائلية	1	العائلة	تلمسان
30	30	F	ط	2005	ندرومة	1986	نهائي	ماكثة بالبيت	4	تيرني	1981	التاسعة متوسط	سائق تاكسي	1	العائلة	تلمسان

رقم الترتي	رقم المقابلة	جنس	الحالة المدنية	سنة الزواج	الأصل الأسري	سنة الميلاد	المستوى التعليمي	المهنة	عدد الإخوة	الأصل الأسري	سنة الميلاد	المستوى التعليمي	المهنة	عدد الأبناء	نمط الأسرة	مدينة الإقامة
31	31	F	م	1987	تلمسان	1948	نهائي	ماكثة بالبيت	3	تلمسان	1941	نهائي	تاجر متقاعد	1	العائلة	تلمسان
32	1	H	م	1994	غليزان	1959	جامعي	موظّف	7	ضواحي مستغانم	1964	نهائي + معهد تدريس	معلمة طور متوسط	2	أسرة نووية	وهران
33	2	H	م	1014	تلمسان	1986	التاسعة متوسّط	سائق	5	شلف	1985	جامعية	ماكثة بالبيت	1	أسرة نووية	تلمسان
34	3	H	م	1895	تلمسان	1958	نهاية الدراسة	حفاف+فنان موسيقي	3	تلمسان	1962	سنة ثانية جامعي	موظفة في بنك	3	أسرة نووية	تلمسان
35	4	H	م	211	تلمسان	1971	التاسعة متوسط + تكوين	موظّف	3	تلمسان	1978	جامعية	موظّفة	1	أسرة نووية	تلمسان
36	5	H	م	1991	تلمسان	1964	نهائي+ تكوين	محاسب رئيسي	4	تلمسان	1965	التاسعة متوسط	ماكثة بالبيت	3	أسرة نووية	تلمسان
37	6	H	م	2006	وهران	1968	الرابعة متوسّط	حرفيّ	4	وهران	1981	السادسة ابتدائي	ماكثة بالبيت	3	الزوج والأبناء	وهران
38	7	H	م	1990	ندرومة	1962	جامعي	إطار	7	بلعباس	1966	نهائي	ماكثة بالبيت	4	أسرة نووية	وهران

رقم الترتي	رقم المقابلة	جنس	الحالة المدنية	سنة الزواج	الأصل الأسري	سنة الميلاد	المستوى التعليمي	المهنة	عدد الإخوة	الأصل الأسري	سنة الميلاد	المستوى التعليمي	المهنة	عدد الأبناء	نمط الأسرة	مدينة الإقامة
39	8	H	م	2003	العاصمة	1972	جامعي	مصور فوتوغرافي	6	وهران	1974	جامعية	محامية	3	الزوج والأبناء	وهران
40	9	H	ط	2013	وهران	1981	جامعي	سائق تاكسي	4	وهران	1987	نهائي	ماكثة بالبيت	1	الزوج والأبناء	وهران
41	10	H	م	2004	وهران	1972	نهائي	موظّف	5	برج بوعريريج	1978	التاسعة متوسّط	ماكثة بالبيت	2	مع العائلة	وهران
42	11	H	م	2006	معسكر	1976	نهائي +تكوين	تقني ساي في إ.آلي	5	معسكر	1973	سنة أولى جامعي	موظّفة	1	أسرة نووية	وهران
43	12	H	م	2014	وهران	1987	جامعي	مترجم	6	وهران	1988	جامعية	طبيبة مختصة	1	أسرة نووية	وهران
44	13	H	م	2001	تلمسان	1971	التاسعة متوسّط	موظّف	2	تلمسان	1966	نهائي	ماكثة بالبيت	0	علاقة زوجية	وهران
45	14	H	م	2005	تلمسان	1975	نهائي + شهادة	مسؤولة مصلحة	4	تلمسان	1979	جامعية	موظفة	2	أسرة نووية	وهران

الملحق الثالث

دلـــــيل المقــــــــــــابلة

الملحق الثالث: دليل المقابلة

I. **معلومات شخصية للمبحوث**

الأصل الأسري للمبحوث: ....

الأصل الأسري للزوج (ة): ....

الحالة المدنية: متزوج – مطلق- أرمل.

سنة ميلاد المبحوث: ..../..../....، مستواه الدراسي: .... المهنة: ....

سنة ميلاد الزوج (ة): ..../..../....، مستواه الدراسي: .... المهنة: ....
سنة الزواج: ....
عدد الأبناء: .... سنهم: ....
عدد الإخوة: ....

II. معلومات حول السكن

نوعية السكن: جيد – حسن – مقبول – سيئ- واسع - ضيّق
الإقامة: مع العائلة / مع الزوج والأبناء
ظروف الحياة؟ ....
....
....

III. نمط الشخصية

هل تحب العزلة؟
الميزاج: مستقر أو متقلب؟
هل تميل إلى الغضب السريع؟
الشعور بالذنب؟
هل تشعر بالقلق؟
هل أنت عنادي؟
صعوبة في السيطرة على المشاعر؟
هل تملك الثقة بالنفس؟
اضطرابات في النوم؟
هل تميل في بعض الأحيان إلى العدوانية
هل تشعر بالنقص؟
نظرتك لذاتك: محبّة أو سيئة؟
هل حياتك مقبولة ذاتيا؟
هل تشعر بالوحدة (أو الفراغ الداخلي)

هل سبق وأن شعرت برغبة في مغادرة الحياة؟

IV. نوعية العلاقات

كيف هي علاقتك خارج المجال الأسري؟
جيدة- متوسّطة (حسنة- نوعا ما حسنة)- ضعيفة- مقبولة (إراديا/لا.إراديا)، سيّة (تعيسة- مقهورة للغاية)
كيف هي علاقتك مع الأسرة الأصلية؟
جيدة- متوسّطة (حسنة-نوعا ما حسنة)- ضعيفة- مقبولة (إراديا/لا.إراديا)، سيّة (تعيسة- مقهورة للغاية)
كيف هي علاقتك مع أسرة الزوج (ة)؟
جيدة- متوسّطة (حسنة- نوعا ما حسنة)- ضعيفة- مقبولة (إراديا/لا.إراديا)- سيّة (تعيسة- مقهورة للغاية)
كيف هي علاقتك مع الزوج (ة)؟
جيدة- متوسّطة (حسنة- نوعا ما حسنة)- ضعيفة- مقبولة (إراديا/لا.إراديا)، سيّة (تعيسة- مقهورة للغاية)

V. تجارب الحياة

هل تعرضت لأي شكل من أشكال الإهانة من أعضاء العائلة، وأثرت فيك في الطفولة وربما في المراهقة، أو بعد الزواج (جسدية - لفظية- جنسية - أخرى)

1. مرحلة الطفولة

- لو أقول الطفولة ماذا تجيب؟
- ماذا تقول عن: الأم؟ - الأب؟ - الإخوة والأخوات؟
- كيف ترى هذه المرحلة؟

- من كنت تحب أكثر في العائلة؟
- من هو الشخص الذي غمرك بالحنان أكثر؟
- مع من كنت تشعر بالأمان؟
- نوع العقاب الممارس نحوك في الطفولة؟ مِن مَن؟
- كنت يوما شاهدا على علاقة معنفة؟
- كيف ترى علاقة الأب والأم كزوجين؟
- هل كنت تجد كل ما تطلبه من الوالدين؟
- طموحاتك التي لم تتوصل إليها؟ ولماذا؟
- شعرت بأنك حرمت من شيئ؟ هل واجهت أمرا لبلوغه -بكل الوسائل-؟

2. **مرحلة ما قبل الزواج**

- اختيار الزوج: كان مفروض- اختيار شخصي.
- لو تحكي عن تلك الفترة، مع ذكر العوائق أو أي مشكل تعرضت له.
- هل رفضت الأم أو الأب اختيار من قبل، أو رفضت أنت أي اختيار نابع من العائلة؟

3. **مرحلة ما بعد الزواج**

- ما كانت عواقب هذا الزواج؟
- من يصدر القرارت الأسرية على الأغلب؟
- ماذا تقول عن: الحماة؟ - الكنّة؟- الزوج/الزوجة ؟
- طبيعة التوترات، أو الخلافات
  - مادية
  - تقسيم الأدوار
  - علاقة الشريك بأسرتك
  - العلاقة الحميمية
- ما هو المجال الذي يتعبك بشدّة من بين المجالات المذكورة سابقا أو مجال آخر تعتبره مشكل أساسي؟
- هل حاول (حاولت) يوما إيذاءك؟
  - إذا نعم: كيف؟ كلام قبيح، ضرب، آخر
  - لماذا؟
- هل عانيت سوء المعاشرة والجفاء
- هل الزوجة مستعصية؟ ومتمرّدة؟ وبغيضة؟
- هل شعرت يوما أن زوجك (زوجتك) مقهور(ة) في الأسرة؟ أو ينقصه (ها) الحنان؟
- هل حاولت أن تضع نفسك مكان الآخر لتفهمه؟
- هل وصلت الصراعات إلى العدوانية؟
- الحلول التي فكرت فيها للخروج من معاناتك ؟
- هل تشتكيان متاعب الحياة لأشخاص آخرين من أفراد العائلة أو خارج إطار الأسرة؟
- رأي الوالدين أو الأسرة عامّة؟
- في المواقف التي عانيت فيها هل تشعر بـ: الخوف - عدم تقدير الذات- القلق - الشعور بعدم الأمان - عدم الاستقرار لك ولأطفالك - الاكتئاب (من علاماته: الانعزال عن أفراد الأسرة، عدم الاهتمام بالذات، اليأس، انخفاض الشهية أو عدم الرغبة في الأكل)
- ما ذا تقول عن : الغيرة؟
- الحوار والاتصال؟

ما هي المرحلة المؤلمة في حياتك، والتي عانيت فيها بالأكثر؟

4. **العلاقة مع الأبناء:**

- ماذا تقول عن : الأبناء بنات/أولاد؟
- هل تتم الصراعات على مرأى منهم، أو مسمعهم؟ كيف يكون إحساسهم؟
- أحوالهم؟
- هل يعانون من:

اضطرابات في النمو	كثير الحركة وعدواني
فقدان الشهية في الأكل	اضطراب في النموّ
الانطواء والانسحاب	اضطراب في الكلام
مرض مزمن مثل الربو	وقوع حوادث جسدية ومرضية
التدهور المدرسي	لديهم عدد قليل من الأصدقاء
نقص في التركيز	التبول اللاإرادي
الخجل الشديد	

- الوقت الذي تقضيه مع الأبناء؟ .... وكيف هي العلاقة معهم؟ ....
- نوع العقاب؟ .... إحساسهم؟ .... من يُؤنِّب أكثر، الأم أم الأب؟ ....
- هل تعتبر الضرب **الطريقة الفعلية** للتربية، أو **المثالية** باعتبارها تربية الجيل القديم المقتدية بها؟
- الأبناء مرتبطين بـ: الأم أو الأب؟ - أهل الأب أو أهل الأم؟
- طبيعة الخلافات بين أبناء العائلة؟
  - كيف يتم فضّ الخلاف؟ وما هي نتائجها؟
- هل يساعدكِ (هل يساعد الزوجة) أحد في العناية بالأبناء؟
  - إذا (لا/نعم) لماذا؟
  - هل تعانين من التعب؟
  - هل تصب غضبك نحو الأطفال؟

مِن بين الأشخاص المذكورين في كل مراحل الحياة (الأب- الأم – الإخوة والأخوات – الزوج- الحماة- الأبناء)

مَن هم الأقرب إليك؟

من الذي تريد أن يكون قريب منك وتفتقده، أو تطوق إليه؟

VI. التدهور الصحي

- صعوبة في التنفس؟
- هل تعاني من الصداع؟
- هل تعاني من آلام المعدة؟
- آلام أخرى؟
- هل تعاني من مرض أيا كان نوعه؟
- لو تحكي عن الظروف التي أدت بك إلى المرض أو الأوضاع التي عانيت فيها عندما أصبت بالمرض؟
- كيف تم العناية بك من طرف الأسرة أو أعضاء العائلة ككل؟
- لو عانى أحد أفراد أسرتك بمرض وتطلب منك العناية به كيف يكون رد فعلك؟

VII. آراء

- ما رأيك في المرأة؟

- من هي المرأة الفاضلة حسب رأيك؟
- سؤال للرجال. هل الزوجة تحمل هذه المواصفات: شديدة الأنوثة -عاطفية كالأم - سهلة الرضا -تخضع لجميع رغباتك دون اعتراض - ربة بيت ماهرة – مضحية –رفيقة - خدومة للرجل.
- من هو الرّجل الفاضل حسب رأيك؟
- ماذا تقول عن الأسرة؟
- هل لديك أي ملاحظة تريد إضافتها؟

شكرا على مشاركتك

قائمة المراجع

قائمة المراجع

1. **قائمة المراجع بالعربية**

- احسان محمد الحسن، العائلة والقرابة والزواج: دراسة تحليلية في تغيّر نظم العائلة والقرابة والزواج في المجتمع العربي، دار الطليعة: بيروت، ط1: ديسمبر 1981، ط2: ديسمبر 1985.

- أميرة منصور يوسف علي، محاضرات في قضايا السكان والأسرة والطفولة، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، 1999.
- أنتوني غدنز، علم الاجتماع، تر: فايز الصباغ، مركز دراسات الوحدة العربية: بيروت، ط4، 2005.
- بيار بورديو، الهيمنة الذكورية، تر: سليمان قعفراني، مراجعة: ماهر تريمش، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحددة العربية، بيروت، أبريل 2009.
- جرانت جوردون، نايجل نيكولسون، تر: علا أحمد إصلاح، الحروب العائلية: الصراعات الكلاسيكية في الشركات العائلية والسبيل للتعامل معها، ط1، مجموعة النيل العربية، القاهرة: مصر، 2009.
- جمال معتوق، مدخل إلى سوسيولوجية العنف، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2013.
- جميل حمداوي، ميادين علم الاجتماع، الجزء الأوّل، الألوكة للنشر والتوزيع، ط1، 2015.
- حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية: متاهات الإنسان بين الحلم والواقع، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2006.
- خالد بن السعود الحليبي، العنف الأسري: أسبابه ومظاهره وآثاره وعلاجه، مدار الوطن للنشر، المملكة العربية السعودية، الرياض، 2009.
- خلود السباعي، الجسد الأنثوي وهوية الجندر، لبنان، جداول، ط1، مايو 2011.
- د. سبوك، ترجمة منير عامر، حديث إلى الأمهات: مشاكل الآباء في تربية الأبناء، الطبعة العربية، بيروت، 1998.
- دكتور سبوك، ترجمة منير عامر، حديث إلى الأمهات: مشاكل الآباء في تربية الأبناء، الطبعة العربية، بيروت، 1998.
- سامية مصطفى الخشاب، النظرية الاجتماعية ودراسة الأسرة، الدار الدولية، القاهرة: مصر، 2007.
- سناء حسنين الخولي، الأسرة والحياة العائلية، دار الميسرة، عمان: الأردن،2001.
- سناء حسنين الخولي، الأسرة والحياة العائلية، دار الميسرة، ط1، 2011.
- سيمون دي بوفوار، الجنس الآخر، ترجمة ندى حداد، مراجعة: إيمان المغربي، الأهلية للنشر و التوزيع، لبنان، بيروت، ط1: 2008.
- سيمون دي بوفوار، تر: لجنة من أساتذة الجامعة، الجنس الآخر، دار أسامة: دمشق، 1997.
- صالح خليل الصقور، أثار التفكك الأسري على النظام الاجتماعي العام، دار زهران للنشر، الأردن، 2013.
- صفوان مبيض، العنف المجتمعي، اليازوري، عمان، 2013

- طارق كمال، الأسرة ومشكلات المجتمع، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 2015.
- طارق محمد، مشاكل بيئية وأسرية، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 2008.
- عبد الباسط عبد المعطي، اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، دار المعرفة، الإسكندرية، 1995.
- عبد الباسط محمد حسن، علم الاجتماع: المدخل، دار غريب، بدون تاريخ.
- عبد الخالق محمد عفيفي، بناء الأسرة والمشكلات الأسرية المعاصرة، المكتب الجامعي الحديث، بورسعيد، 2011.
- عبد القادر القصير، الأسرة المتغيّرة في مجتمع المدنية العربية: دراسة ميدانية في علم الاجتماع الحضري والأسري، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1999.
- عبد الناصر عوض أحمد جبل، النزاعات الأسرية: من منظور الخدمة الاجتماعية، دار الوفاء للطباعة النشر، الاسكندرية، ط1، 2012.
- عدنان محمد الضمور، ظاهرة الانتحار: دراسة سوسيولوجية، دار الحامد، ط1، 2014.
- عدي الهواري، الاستعمار الفرنسي، وسياسة التفكيك الاقتصادي والاجتماعي (1830-1960)، ترجمة: جوزف عبد الله، بيروت، دار الحداثة 1983.
- عزة شرار بيوض، الرجولة وتغير أحوال النساء،: دراسة ميدانية، المركز الثقافي العربي: بيروت-لبنان، ط1، 2007.
- علي اسماعيل عبد الرحمان، العنف الأسري: الأسباب والعلاج، مكتبة الأنجلو المصرية، دون تاريخ.
- علي اسماعيل عبد الرحمان، العنف الأسري: الأسباب والعلاج، مكتبة الأنجلو المصرية، دون تاريخ.
- علي عبد الرزاق جبلي، الاتجاهات الأساسية في نظرية علم الاجتماع، جامعة الاسكندرية، دار المعرفة، 2011.
- غني ناصر حسين القريشي، المداخل النظرية لعلم الاجتماع، دار صفاء، عمان، ط1، 2011.
- فاتن محمد شريف، الرؤية المجتمعية للمرأة والأسرة: دراسات في الانثروبولوجية الاجتماعية، دار الوفاء، الاسكندرية، الطبعة 1، 2007.
- كوفمان ج.ك.، تر: بسمة بدران، علم الاجتماع الثنائي، ط1، المؤسسة الجامعية، مصر،2001.
- مايكل نبيل، سيكولوجية الأسرة: الرجل-المرأة-تربية الابناء، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 2014
- محمد سند العكايلة، اضطرابات الوسط الأسري وعلاقاتها بجنوح الأحداث، دار الثقافة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2006،1.

- محمد عبد الفتاح محمد، مشكلات الأسرة والطفولة، المعهد العالمي للخدمة الاجتماعية، الاسكندرية، 2012.
- محمد عودة، أسس علم الاجتماع، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.
- محمد مصطفى الشعبيني، علم الاجتماع: دراسات في علم الاجتماع، دار النهضة العربية، القاهرة، 1974.
- محمد نبيل جامع، علم الاجتماع الأسري وتحليل التوافق الزواجي والعنف الأسري، دار الجامعة الجديدة: الإسكندرية، 2010.
- محمود حسن، الأسرة ومشكلاتها، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1981.
- محمود فتوح سعدات، الاسباب الدافعة للانتحار وطرق الوقاية منها، المؤتمر العلمي الدولي السنوي الخامس لكلية الشريعة، حالات القتل في المجتمع: الأسباب والعلاج من منظور اسلامي اجتماعي وقانوني، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2015.
- مدحت مطر، تنامي ظاهرة العنف في المجتمع وعلاجها، اليازوري، عمان: الأردن، 2014.
- مصطفى حجازي، الإنسان المهدور: دراسة تحليلية نفسية اجتماعية، المركز الثقافي العربي، ط1، دون تاريخ.
- منال محمد عباس، العنف الأسري: رؤية سوسيولوجية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2011.
- منير كرادشة، العنف الأسري: سيولوجية الرجل العنيف والمرأة المعنفة، عالم الكتب الحديث، إربد: الأردن، 2009.
- مهرة سالم، محمد القاسيمي، دور التنشئة الاجتماعية في اكتساب السلوك السوي للأبناء، دار الفكر العربي، 2010.
- نادية حسن أبو سكينة، منال عبد الرحمن خضر، العلاقات والمشكلات الأسرية، دار الفكر، عمان، ط1، 2011.
- نور الدين عتر، ماذا عن المرأة؟، دار الفكر: دمشق، ط3، 1979.
- هشام شرابي، النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي، نقله إلى العربية محمود شريح، مركز دراسات الوحدة العربية: بيروت، لبنان، ط1، 1992، ط2: 1993. نشر في الأصل بالانجليزية عام 1988.

2. قائمة المراجع بالفرنسية

- ADDI Lahouari, Les mutation de la société Algérienne : famille et lien sociale dans l'algérie contemporaine, OPU, Alger, 1994.
- BOURDIEU Pierre, La « JEUNESSE » n'est qu'un mot, minuit, paris, (1984, 1992).

- BOURDIEU Pierre et Abdelmalek Sayad, Le déracinement : la crise de l'Agréculture traditionnelle en Algérie, Paris, Minuit,1964.
- BOUTEFNOUCHET Mostefa, la famille algérienne : évolution et caractéristiques récentes, diffusion, Alger, 1980.
- CAMILERI Carmel, jeunesse, famille et développement, essai sur le changement socio culturel dans un pays de tiers monde (tunisie), centre de recherche scientifique, France, 1973.
- DE SINGLY François, sociologie de la famille contemporaine, Armand colin, paris, 2007.
- DE SINGLY François, Sociologie de la famille contemporaine, Nathan, 1993.
- DE SINGLY françois, libres ensembles : individualisme dans la vie commune, Paris, Nathan, 2000.
- DURET Pascal, les jeunes et l'identite masculine, puf, 1ere edition, 1999.
- HASSANI Ali, Des mots pour comprendre le conflit et la violence, Dar El Gherb, Algérie, 2005.
- KAUFMANN J-C., sociologie du couple, 1ère édition, PUF, 1993.
- Kaufmann Jean-claude, trame conjugale : analyse du couple par son linge, Nathan, paris, 1992.
- KELLERHALS Jean, WIDMER Eric, LEVY René, mesure et démesure du couple: cohésion, crise de résilience dans la vie des couples, payot § rivages, Paris, 2004.
- KOUAOUCI Ali, Famille – Femme et contraception : contribution à une sociologie de la famille algérienne, CENEAP (Centre nationale d'étude et d'analyse pour la planification), FNUAP (Fonds des nations unies pour la population), Alger, 1992.
- LACOSTE-DUJARDIN Camille, Des mères contre les femmes : Maternité et patriarcat au Maghreb, la découverte, paris, (1985-1996).
- LEMARCHANT Clotilde, Belle filles : avec les beaux parents trouver la bonne distance, collection : le sens social, presse universitaire de Renne. 1999.
- MARTIN segalin, sociologie de la famille,6ème Ed : Armand colin, 2008.
- MEAD Margaret, mœurs et sexualité en Océanie 1935. Edit. Plon-pocket 2004.
- MEDHAR Slimane, La violence sociale en Algérie, Thala éditions, Alger,1997
- MOUCHTOURIS Antigone, la femme, la famille et leurs conflit : Réponses institutionnelles et aspirations sociale, l'Harmattan, France: Paris, 1998.
- YAHYAOUI Abdessalem et coll., VIOLENCE : Passage à l'acte et situations de rupture, Ed : la pensée sauvage, Grenoble, 2000.

- ZERDOUMI Nefissa., Enfants d'hier : L'éducation de l'enfant au milieu traditionnel algérien, François Maspero, Paris, 1982.

3. مراجع الشبكة العنكبوتية

- الجمعية العامة للأمم المتحدة، دراسة متعمقة بشأن جميع أشكال العنف ضد المرأة: تقرير الأمين العام، الدورة 61، 6 جويلية 2006. https://doc-04-bk-apps-viewer.googleusercontent.com
- المؤتمر العلمي الدولي السنوي الخامس لكلية الشريعة، حالات القتل في المجتمع: الأسباب والعلاج من منظور اسلامي اجتماعي وقانوني، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2015.
https://repository.najah.edu/bitstream/handle/20.500.11888/10582/%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8.pdf?sequence=1&isAllowed=y
- الوزارة المنتدبة المكلفة بالأسرة وقضايا المرأة، التقرير الوطني للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، الاستراتيجية الوطنية لمحاربة العنف ضد المرأة: أمان المرأة... استقرار الأسرة، د.ت.
http://www.arabwomenorg.org/MediaFiles/Landing/files/algeria-strategy.pdf
- أوسفالد كوليه، تر: رونيحة أمين، زوجتك هذا الكائن المجهول، دار القلم، بيروت، لبنان، ط2، 1982.
http://almaktabah-up.net/up1/do.php?id=1734
- إيميل دوركايم، الانتحار، ترجمة حسن عودة، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2010. http://kt-b.com/?p=7554
- جوزيف ابستاين، سير العظماء: "ألكسي دو توكفيل" المرشد إلى الديمقراطية، تر: سمية ممدوح الشامي، مراجعة: أسماء محمد عادل، دار كلمات عربية للطباعة والنشر، مصر، القاهرة، ط1، 2010.
www.goodread.com/book/show/18776194
- حنان قرقوتي، عنف المرأة في المجال الأسري، كتاب الأمة، سلسلة دورية تصدر كل شهرين عن إدارة البحوث والشؤون الاسلامية، قطر، العدد 18، 2015.
http://www.books4arab.com/2017/03/Women-in-the-domestic-violence-field-pdf.html
- زيرش سعيد، قراءة سوسيولوجية في ظاهرة العنف ضد الأصول، الأسباب والحلول، جامعة حسيبة بن بوعلي شلف. أطلع عليه في مارس 2019، عبر الموقع: https://www.univ-chlef.dz/eds/wp-ontent/uploads/2017/11/Article-5-N7.pdf
- زينب ابراهيم العزبي، علم الاجتماع العائلي، جامعة بنها، كلية الآداب، قسم علم الاجتماع، د.ت.
http://olc.bu.edu.eg/olc/images/fedu513.pdf
- فاطمة المرنيسي، تر: فاطمة الزهراء أزرويل، نساء على أجنحة الحلم، المركز العربي الثقافي، نشر الفنك، ط1، 1998.https://www.noor-book.com/
- شادية علي قناوي، نحو تفسير آليات العنف في المجتمع المصري: رؤية سوسيولوجية، قسم علم الاجتماع، عين شمس وقطر. أطلع عليه في مارس 2019، على الموقع:
http://qspace.qu.edu.qa/bitstream/handle/10576/9061/029619-0010-fulltext.pdf?sequence=4
- فيليب بلانشيه، التداولية: من أوستن إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع: سوريا، ط1، 2007.http://lisaanularab.blogspot.com/2012/01/blog-post_8537/.html
- محمد الحسني، سوسيولوجية الفقر والهشاشة، جامعة ابن زهر، كلية الآداب والعلوم الانسانية، دت. محمول يوم 2019/07/14 على الساعة 03: 11 على الموقع: https://www.b-sociology.com/2018/12/blog-post_78.html?hl=fr
- نورة ناصر المريخي، سارة ابراهيم المريخي، الإساءة والعنف ضد الطفل، المجلس الأعلى لشؤون الأسرة، دولية قطر، الطبعة الأولى، 2013. نظر على الموقع: https://dohanews.co/wp-content/uploads/2013/10/study_88.pdf
- علي راجح بركات، الشخصية السيكوباتية "Psychopathic personality"، قسم علم النفس، جامعة أم القرى، محمول في جوان 2019 على الرابط:
http://www.gulfkids.com/pdf/Shaksia.pdf

- Addi Lahouari, Femme, famille et lien social en Algérie, HAL : France, 24 Jun 2009. https://hal.archives-ouvertes.fr/halshs-00398641/document

- BELANGER Vincent, BELENGER Arine , Landry Jean Michel, repenser la violence : conversation avec Martin Hébert, Aspect sociologique, volume14,n°1,avril2007. http://www.fss.ulaval.ca/cms_recherche/upload/aspectssociologiques/fichiers/belanger_hebert2007.pdf

- Bernadette Bawin-Legros, préface : Jean KELLERHALS, familles, mariage, divorce, Etid : Pierre Mardaga, sans date. https://books.google.dz/books?id=p4BJid5lxTsC&printsec=frontcover&hl=fr#v=onepage&q&f=false

- BRECHON Pierre, la famille idées traditionnelles, idées nouvelles, 1976. http://classiques.uqac.ca/contemporains/brechon_pierre/famille_idees/la_famille.pdf

- BORGHINO Béatrice, Genre et sexe : quelques éclaircissements, Le débat sur la légitimité du terme "genre" n'est pas récent, le 7 janvier 1999. http://www.genreenaction.net/spip.php?article3705

- Centre d'Education à la famille et à l'Amour, «Les clefs d'un couple qui dure, apprentissage de la vie à deux », – CEFA,ASBL – mars 2008. www.asblcefa.be/cefa/images/pdf/clefscouple.pdf

- Cesare Lombroso, L'homme criminel Criminel né – Fou moral – Épileptique – Criminel fou – Criminel d'occasion – Criminel par passion : Étude anthropologique et psychiatrique, (1895). http://www.uqac.ca/Classiques_des_sciences_sociales/

- CLARKSON May, La Violence Familiale: une approche systémique, Service des études et analyses, Québec, Novembre 1994. http://www.santecom.qc.caBibliothequevirtuellesantecom35567000006178.pdf

- Colette Parent, La Criminologie Féministe Et La Question De La Violence Des Femmes, La Découverte, paris, 2012. pages 273 à 285. Consulté le 08/04/2019 à 09:10 sur le site : https://www.cairn.info/penser-la-violence-des-femmes--9782707172969.htm

- DE SINGLY François, la famille individualiste face au pratique culturelle, le(s) public(s) de la culture, P.S.Po., paris : France. 2003. Consulté le 21/04/2019, à 19 :30 sur le site : https ://www.cairn.info/les-publics-de-la-culture-politiques-publiques--9782724609212.htm

- DE SINGLY François, Pratiques culturelles chez les jeunes et institutions de transmission, revue culture prospective, cedex, paris, 2009-1. Consulté le 21/04/2019, à 19 :04 sur le site : http://www.culture.gouv.fr/exception/404

- DEBLE Isabelle, Germaine Tillion, Le harem et les cousins. In: Tiers-Monde, tome 8, n°29, 1967. Blocages et freinages de la croissance et du développement (2) pp. 157-158; généré le 29/03/2018, consulté le :10/07/2019 à 09 :07 sur le site : https://www.persee.fr/docAsPDF/tiers_0040-7356_1967_num_8_29_2341_t1_0157_0000_2.pdf

- DE HENNEZEL Marie, par Anna Latron, Apprivoiser sa vieillesse, ARTICLE N° 1711, 08/12/2010. consulté le 01/10/2019 à 10 :37 Sur le site : https://www.famillechretienne.fr/famille-education/seniors/apprivoiser-sa-vieillesse-46570

- DRORY Diane, L'enfant et la séparation parentale, Ministère de la Communauté française, Bruxelles, Juin 2009. http://www.yapaka.be/files/publication/TA-EnfantSeparWEB.pdf

- DUPUIS-GAUTHIER Catherine, Au Cœur De La Relation Entre Mère Et Fille : Quelle Transmission Pour La Haine, L'esprit Du Temps, « Champ psy » 2011/2 n° 60. https://www.cairn.info/revue-champ-psy-2011-2-page-125.htm?try_download=1#

- EDELMAN Nicole, Le triomphe de la virilité, Revue d'histoire du XIXe siècle, N°44, 2012, paris, la seuil. http://rh19.revues.org/4285

- ENGUERRAN Macia, Nicole Chapuis-Lucciani, La vieillesse et ses masques :Quelle place pour le corps âgé dans le maintien de la subjectivité ?, Dans Corps 2008/2 (n° 5). consulté le 01/10/2019 à 11 :32 sue le site : https://www.cairn.info/revue-corps-dilecta-2008-2-page-101.htm

- FROMM Erich, L'art d'aimer, 1956, Traduit Par Jean-Louis Laroche, Françoise Tcheng, Desclee De Brower, 2007. https://collectiflieuxcommuns.fr/IMG/pdf_IntroFromm.pdf

- GOLDBERG Jacques, Violence animale, violence humaine, *Pardès* 2002/1 (N°32-33). https://www.cairn.info/load_pdf.php?ID_ARTICLE=PARDE_032_0187

- HOUSSIER Florian, Métapsychologie de la violence, enfance § psy, N°45, 2009/4. http://cairn.info/revue-enfance-et-psy-2009-4-page14.htm

- JOSSE Evelyne, Les violences conjugales: Quelques repères, Algérie, Alger, Octobre 2007. http://www.resilience-psy.comIMGpdfviolconjejalgerie2007.pdf

- KUENZLI-MONARD Fabienne, Déconstruction des idées reçues sur la violence: une alternative à la violence, *Thérapie Familiale*, Vol. 22, N°4, Genève, 2001. http://www.cairn.info/revue-therapie-familiale-2001-4-page-397.htm

- KERGOAT Danièle, Division sexuelle du travail et rapports sociaux de sexe, source : dictionnaire critique du féminisme, paris, P.U.F, 2004. http://moodle.ead-online.be/pluginfile.php/23132/mod_book/chapter/3367/kergoat%20.pdf

- LAROCHE Denis, condition de vie : Prévalence et conséquence de la violence conjugale envers les hommes et les femmes, Institut de la statistique, Québec, Juillet 2005. www.stat.gouv.qc.ca

- LEBLANC marc, Le cycle de la violence physique : trajectoire sociale et cheminement personnel de la violence individuelle et de groupe, 1990. Site web: http://classiques.uqac.ca

- LEFRANÇOIS Richard, Léandre, Bouffard, Vieillesses oubliées : Insécurité économique et sociale des aînés, Université de Sherbrooke, GGC, 2009. Consulté le 01/10/2019 à 10 :07 Sur le site: file:///C:/Users/user/Downloads/31(1)%20Vieillesses%20oubliees.%20Insecurite%20economique%20et%20sociale%20des%20aines.pdf
- LE FRANÇOIS Richard, Les Nouvelles Frontiere De L'age, Pum, 2004. Vue le Oct. 2019 sur le site : https://books.openedition.org/pum/18081?lang=fr
- Linda Widad, Le Matricide Féminin, Le Journal des psychologues, 2009/3 n°266. Vue sur le site : https://www.cairn.info/revue-le-journal-des-psychologues-2009-3-page-67.htm?contenu=resume#
- MUCCHIELLI Laurent, Pour comprendre la violence, 2001. Consulté le 20/12/2017 à 22 :30 sue le Site web : http://www.uqac.ca/Classiques_des_sciences_sociales
- Mallarmé Stéphane, les Dieux antiques ; Œdipe, Edit.J. Rotschild, 1880. consulté le 17/02/2019. Sur le site web : https://fr.wikisource.org/wiki/Les_Dieux_antiques/%C5%92dipe
- MALMQUIST, Carl P., Adolescent Parricide as a Clinical and Legal Problem, The Journal of the American Academy of Psychiatry and the Law, Volume 38, Number1, 2010. https://pdfs.semanticscholar.org/6ac9/d13fffe688697a1199c406ab0caf669e575f.pdf
- MARANDA Pierre, Dialogue conjugal : Pour les couples bien assortis, mal assortis, bien mariés, mal mariés, rafistolés, séparés, divorcés, accotés... Ou ceux qui songent à le devenir, Un document produit en version numérique par Jean-Marie, 1985. Dans le cadre de la collection: « les Classiques_des_sciences_sociales »
- MASSÉ Raymond, Antécédents de violence et transmission intergénérationnelle de la maltraitance. Université Laval, 1994. Site web: http://classiques.uqac.ca
- May Clarkson, La Violence Familiale : une approche systémique, Service des études et analyses, Québec, Novembre 1994. http://www.santecom.qc.caBibliothequevirtuellesantecom35567000006178.pdf
- Michel Bozon et François Héran, formation du couple, Textes essentiels pour la sociologie de la famille, Éditions La Découverte, Paris. 2006. www.prepabl.fr/img/pdf/couple.pdf
- MOATTI Daniel, La communication par la violence, In: Communication et langages, n°123, 1er trimestre 2000. Document généré le 15/10/2015 http://www.persee.fr/docAsPDF/colan_0336-1500_2000_num_123_1_2990.pdf
- PITARELLI Emilio, vous avez dit « sanction éducative ? », congrès CSPS, Haute école spécialisé, suisse, 2 septembre 2011. http://file:///c:/users/socio/downloads/pitarelli.pdf
- QUENIART Anne et ROUSSEAU Nicolas, L'exercice de la paternité suite à une séparation conjugale : un parcours semé d'obstacles, Université de Montréal, 2004. Site web: http://classiques.uqac.ca/

- Raphaële Noël et Francine Cyr, Le père : entre la parole de la mère et la réalité du lien à l'enfant, Université de Montréal, Dans La psychiatrie de l'enfant 2009/2 (Vol. 52). Mis en ligne sur Cairn.info le 01/02/2010 ; https://doi.org/10.3917/psye.522.0535
- RENNEVILLE Marc, compte rendu de Lapalus sylvie, la mort du vieux : une histoire du parricide au XIX e.s, Tallendier, paris, 2004. https://halshs.archives-ouvertes.fr/halshs-01390659/document
- REPUSSEAU Jean. Education et violence. In: Revue française de pédagogie, volume 16, 1971. Document généré le 07/06/2016 sur le site : http://www.persee.fr/doc/rfp_0556-7807_1971_num_16_1_1802
- RONDEAU Gilles, La violence familiale, Université de Montréal, 1994. Vue sue le Site web: http://www.uqac.ca/Classiques_des_sciences_sociales
- SCHAR MOSER Marianne, La violence dans la relation de couples : les causes et les meurs prise en suisse, B.F.E.G. 2008. http://www.vd.ch/fileadmin/user_upload/themes/vie_privee/ViolenceDomestique/pdf/BEFG_Violence_relations_de_couple.pdf
- SERGE CHAUMIER, Du couple au trouple, Le Passant ordinaire, n°50, octobre 2004. http://textesetcultures.univ-artois.fr http://www.passant-ordinaire.com */revue/50-688.as*
- SEVERAC Nadège, Les enfants exposés à la violence conjugale : Recherches et pratiques, ONED, France, 2012. http://www.oned.gouv.frsystemfilesoned_eevc_1.pdf
- Tostain Manuel, Pour en finir avec la domination masculine ? Regard critique sur les études psychosociales des relations entre sexes, Bulletin de psychologie, 2016/5 (Numéro 545). Consulté le : 03/07/2019 – 11 :25 sur l'adresse : https://hal.archives-ouvertes.fr/hal-01668315/document; Article disponible aussi en ligne à l'adresse : http://www.cairn.info/revue-bulletin-de-psychologie-2016-5-page-345.htm
- Welzer-Lang Daniel, les hommes battus, Empan, 2009/1, (n°73). doi: 10.3917/empa.073.0081.
- Welzer-Lang Daniel, Virilité et virilisme dans les quartiers populaires en France, VEI Enjeux, n°128, mars 2002. http://www.cndp.fr/revueVEI/128/01003211.pdf

4. مذكرات وأطروحات

- بوعلاق كمال، العنف الأسري وأثره على الأسرة والمجتمع في الجزائر: دراسة ميدانية على مستوى مصلحة الطب الشرعي بمستشفى مسلم الطيب بمعسكر، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع، جامعة وهران2: محمد بن احمد، السنة الجامعية 2017/2016.
- حجيمي حدة، الحماية القانونية للمرأة في الجزائر، مذكرة ماجستير في القانون، كلية الحقوق، جامعة الجزائر 1 سعيد حمدين، السنة الجامعية 2014/2013.

- حسان عربادي، العنف ضد الأطفال في الوسط الأسري: دراسة ميدانية لعينة أفراد من أسر مقيمة ببلدية براقي، رسالة لنيل شهادة الماجستير، تخصص علم الاجتماع الثقافي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم الاجتماع، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2005/2004.
- دحماني سليمان، ظاهرة التغير في الأسرة الجزائرية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الانثروبولوجيا، جامعة أبي بكر بلقايد: تلمسان، السنة الجــامعية 2005-2006.

- دشاش نادية، عنف الزوجة ضد الزوج: أسبابه وأشكاله حسب رأي الأسرة التربوية بولاية قالمة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، فرع علم النفس الاجتماعي، المشرف: الهاشمي لوكيا، جامعــة منتــوري: قسنطينــة، السنة الجامعية 2006/2005.
- زيان محمد، الرجولة ومسألة العنف ضد المرأة في الجزائر: مقاربة سوسيوثقافية، رسالة دكتوراه العلوم، تخصص علم الاجتماع الثقافي، جامعة وهران، السنة الجامعية 2013/2012.
- شارب مطاير دليلة، الفضاء المنزلي والعمل: الأساتذة الجامعيون والعلاقات الجنوسية، رسالة دكتوراه العلوم، تخصص علم الاجتماع، جامعة وهران، السنة الجامعية 2010/2009.
- عبد المحسن بن عمار المطيري، العنف الأسري وعلاقته بانحراف الأحداث، دراسة مقدمة للحصول على شهادة الماجستير في العلوم الاجتماعية، إشراف: معن بن خليل العمر، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 2006.
- عربادي حسان، العنف ضد الأطفال في الوسط الأسري: دراسة ميدانية لعينة أفراد من أسر مقيمة ببلدية براقي، مذكرة ماجستير، تخصص علم الاجتماع الثقافي، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2005/2004.
- عليلي عبد الصمد، الجريمة بين المفهوم القانوني ومدلولاتها في مخيلة الأفراد وثقافتهم، رسالة دكتوراه، تخصص الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، قسم التاريخ وعلم الآثار، السنة الجامعية 2012-2013.
- عمار عبد الحق، مكان الأب داخل الأسرة الجزائرية: دراسة مقارنة، مذكرة ماجستير، جامعة وهران، قسم علم النفس وعلوم التربية، السنة الجامعية 2011/ 2012.
عيساوي نسيمة، العنف اللفظي الأسري من المنظور السوسيولوجي، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص علم الاجتماع التربوي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم الاجتماع، جامعة الجزائر2، السنة الجامعية 2011/2010.
-
- قرطي فائزة، الزوجان والعلاقات الأسرية، مذكرة لنيل شهادة ماجستير، تخصص علم الإجتماع العائلي، السنة الجامعية 2016/2015.
- يسلي نبيلة، العنف ضد المرأة بين واقع التربية والرجلة: دراسة ميدانية لعينة من الأسر الجزائرية، رسالة لنيل شهادة ماجستير في علم الاجتماع رسالة لنيل شهادة ماجستير في علم الاجتماع، تخصص ثقافي/ تربوي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم الاجتماع، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2009/2008.

- FSIAN Hocine, Thèse Doctorat d'état, psychologie clinique, identité féminine–identité masculine à propos des relations Homme/Femme en Algérie, université d'Oran, Année universitaire 2005-2006.

4. مقالات ومجلات

- المجلة المغربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، الملتقى الوطني حول: مظاهر العنف الاجتماعي وتداعياته المختلفة (يومي 09و2013/12/10)، دار الكنوز للانتاج والنشر والتوزيع، جامعة جيلالي ليابس: سيدي بلعباس، الجزائر، ع:9، جوان 2014.
- الخمار بوقرعة، عنوان الزوجان والخطاب: نحو وضع إشكالي جديد لمفهوم الزوجين، مجلة أزواج وتساؤلات: سلسلة بإشراف عائشة بلعربي، نشر الفنك، 1992. ص.13
- أنس عباس غزوان، العنف الأسري ضد الأطفال وانعكاساته على الشخصية، مجلة جامعة بابل، العلوم الانسانية، المجلد 23، العدد 4: 15-2.
- سهيل مقدم، من اجل استراتيجية فعالة في مواجهة العنف الاجتماعي، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة وهران، العدد الثامن، 2012. محمول من الرابط:
http://dspace.univ-ouargla.dz:8080/jspui/bitstream/123456789/6168/1/S0821.pdf
- كبداني خديجة، محاولات الانتحار بين أزمة الوجود وأزمة الاتصال: مقاربة سوسيو-ثقافية، دراسات انسانية واجتماعية، جامعة وهران2، العدد:08، 2018.
- مرخوص فاطمة، الجماعة الجنائية ضد المساس بكرامة الأشخاص في قانون العقوبات الجزائري: دراسة على ضوى آخر التعديلات التي طرأت على قانون العقوبات الجزائري، مجلة الدراسات الحقوقية، جامعة سعيدة: الجزائر، ع:10، ديسمبر 2018. محمول من الرابط:
WWW.asjp.cerist.dz/en/article/28120
- مصطفى حجازي: المرأة والتحرر من الاعتراف المشروع، مجلة باحثات، النساء في الخطاب العربي المعاصر، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، العدد:9، 2003-2004.
- قرطي فائزة، "السلطة والصراع في واقع الحياة الزواجية"، مجلة الحوار الثقافي، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة مستغانم، العدد: شتاء رقم 11، 2017.
- قرطي فائزة، "واقع الاختيار الفردي للشريك"، مجلة الحوار الثقافي، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة مستغانم، العدد: 12 ربيع صيف 2017.
- نجاة أحمد الزليطني، سيكولوجية العدوان والنظريات المفسرة له، المجلة الجامعية، العدد:16، المجلد الرابع، نوفمبر 2014. محمول يوم 2020/09/25 على الموقع:
https://www.bulletin.zu.edu.ly/issue_n16_4/Contents/A_08.pdf

- AYADI Nesrine ; Delladj-Sebaa FZ, L'impact psychique de la violence conjugale sur les enfants exposés, revue des sciences sociale, socialités et humanité, université oran2 Mohammed ben Ahmed, N°6/2018.
- DJAAFER Nouara, Près d'une femme sur dix subit des violences dans son couple: Toute l'actualité sur liberte-algerie.com, 14/10/2018. https://www.liberte-algerie.com/actualite/pres-dune-femme-sur-dix-subit-des-violences-dans-son-couple-37381/print/1
- BOUZID BAA Saliha, Femmes victimes de violences conjugale, Dirassat insaniya wa Ijti-maiya, université d'oran1, N°6, janvier 2016,
- Faouzi Adel, La crise du mariage en Algérie, revue insaniyat, N°4, 1998. http://insaniyat.revues.org/11687
- FSIAN Hocine, Quel(s) corps ?, revue Dirassat insaniya wa ijti-maiya, université Oran, N°06, Janvier 2016.
- FSIAN Hocine, Qu'est ce qu'un homme ? Qu'est ce qu'une femme?: A propos d'une représentation sexuée en constante évolution, revue Insanyat: Varia n°71, janvier-mars 2016 ; Pascal duret, les jeunes et l'identite masculine, puf, 1ere edition, 1999.

- Samar Smati, Près d'une femme sur dix subit des violences dans son couple : Les chiffres effarants de la violence à leur égard, A la une/Actualité, 14/10/2018. Consulté le 14 mars 2019 à 10 :43 sur le site : https://www.liberte-algerie.com/actualite/pres-dune-femme-sur-dix-subit-des-violences-dans-son-couple-37381/print/1 1/2
Publié dans Liberté le 18 /12/2013. Consulté dans la même date, à 10 :45 sur le site : https://www.djazairess.com/fr/liberte/69706

- Cahier du Crasc, sous la direction de Badra MOUTASSEM-MIMOUNI, Famille, éducation et changement sociale, N° 27, 2013. https://cahiers.crasc.dz/index.php/fr/les-cahiers/33-famille,-education-et-changement-social

- Insaniyat, famille d'hier et d'aujourd'hui, n°4, Janvier-Avril 1998. https://insaniyat.crasc.dz/pdfs/insniyat_n_4_resumes_francais.pdf

- Revue de l'union nationale des associations familiale, « Réalités : violences conjugales », N°90, 2010. http://www.unaf.fr/MGpdfRealites/Familiales90/Violences_Conjugales/UNAF.pdf
- Revue critique de littérature, L'impact de la violence conjugale sur les enfants, Florence Ovaere Sofia Sardo-Infirri Abdia Touahria-Gaillard Jean-Maxime Lévy, Avec la participation de Laure Chaveron et Cândida Ferreira-Leconte, *Réf. : 2007aor1*, Octobre 2007. http://www.stat.gouv.qc.castatistiquessanteenvironnement-socialviolence-famillesviolence-familiale-2012.pdf

5. مداخلات، وملتقيات

- عاقلي فضيلة، جامعة- باتنة - كلية الحقوق –الجزائر، مستجدات وتطور حقوق المرأة في التشريع الجزائري، أعمال المؤتمر الدولي السابع: المرأة والسلم الأهلي. مركز جيل البحث العلمي، طرابلس 19/21 مارس 2015.
- عبد الحفيظ معشوشة، سعد الدين بوطوبال، العنف الأسري الموجه ضد الطفل، الملتقى الوطني الثاني حول: الاتصال وجودة الحياة في الأسرة، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، أيام 09/10 أفريل 2013.
http://bu.univ-ouargla.dz/production%20scientifique/national/2013/21.pdf

- HASSANI Ali, Typologie des violences sociales en Algérie, Conférence donnée au Centre de Documentation économique et sociale Sophia, à Oran en mars 2017.

- Khadidja ADEL, « Femmes de l'Aurès et espace » ; Faouzi ADEL, « Femmes et Mariage » ; Mohamed KOURSI, « La famille algérienne : Entre le texte et le contexte » ; Jacqueline DES FORTS, « Le droit de vivre et de bien vivre pour celles qui donnent la vie », femmes et développement, conférence mondiale sur les femmes, 18-21 octobre 1994, Alger, organiser par Centre de recherche anthropologique, oran. https://ouvrages.crasc.dz

6. معاجم، وقواميس

- ابن منظور، لسان العرب المحيط، دار الجيل، بيروت، المجلد الرابع، 1988.
- بودون. ر، بوريكو ف.، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، تر: الدّكتور سليم حداد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986.
- جون سكوت، تر: محمد عثمان، معجم علم الاجتماع: المفاهيم الأساسية، الشبكة العربية للأبحاث والنشر علي مولا، بيروت، 2009.
- جيل فيريول، تر: أنسام محمد الاسعد، معجم مصطلحات علم الاجتماع، ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1، 2011.
- عدنان أبو مصلح، معجم علم الاجتماع، دار أسامة، عمان: الأردن، 2010.
- محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2005.

"واقع العنف ومظاهره ضمن العائلة في المجتمع الجزائري: دراسة ميدانية بمدينتي تلمسان ووهران"

الملخّص: الموضوع يتضمّن دراسة العنف بين الزوجين والعلاقات الأسرية في قلب التغيرات الاجتماعية، وذلك بالإحاطة على علاقة كل طرف من أطراف العلاقة الزوجية بأعضاء العائلة ككلّ في وضعهما ومكانتهما كأبناء، وأولياء، وعلاقة كل منهما بأسرة النسب؛ حيث نشير أننا قمنا بالاهتمام بالعنف ضدّ المرأة والعنف ضدّ الرجل على حد السواء. وفي إطار هذا الموضوع اتجهنا نحو البحث عن آليات إنتاج العنف بمختلف مظاهره وأشكاله ضمن الفضاء العائلي في المجتمع الجزائري، وذلك من خلال التنقيب عن العوامل والأسباب التي تؤدي إلى نشوبه، حيث قمنا بدراسة العنف كمتغير تابع.

الكلمات المفتاحية: العلاقات الأسرية، العنف العائلي، العنف الزوجي، عنف الأبناء، عنف الأصول

« Réalité et types de violence au sein de la famille dans la société Algérienne: Etude sur le terrain dans les villes de Tlemcen et d'Oran»

Résumé : Le thème comprend l'étude de la violence entre conjoints et relations familiales au cœur des changements sociaux, Dans le but d'étudier chaque partie de la relation conjugale avec les membres de la famille dans son ensemble. Et dans le cadre de ce sujet, nous nous sommes dirigés vers la recherche des mécanismes de la violence dans l'espace familial en explorant les facteurs et les causes qui conduisent à l'apparition de diverses manifestations de violence et ses formes au sein de la famille dans la société algérienne, où nous avons étudié la violence en tant que variable dépendante.

Mots clés : relations familiales, violence domestique, violence conjugale, violence infantile, violence parentale.

« **Reality and types of family violence in Algerian society: Field study in the**